

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه، أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بؤنوا الحكمة من بقاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
ينكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كتاب الطريق)

(مصر يوم الاثنين غرة المحرم سنة ١٣٢١ - ٣٠ مارت (٩٠٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على خاتم
النبيين ، وإمام الهداة والمصلحين ، وعلى آله وصحبه الراشدين المهديين ، وعلى
من تبعهم بهداهم إلى يوم الدين ،

وبعد فقد بلغ المنار بفضل الله وتوفيقه السنة السادسة وهذا أول
جزء منها . والله مزيد الشكر والثناء ، أن أعطانا فوق ما تعلق به الأمل
والرجاء ، وزادنا على ما كنا نتوقع من زيادة القراء والمشاركين ، عددا
صالحاً يدخل في عقود المثين ، من غير دعاة مندوبين ، ولا وكلاء ، مستخدمين ،
الترغيب أهل الغيرة المالية ، وتنبه ذوي الأريحية الإسلامية ، صادقا
من قلوب إخواننا المسلمين شعوراً بنمو ، ووجداناً يسوء ، وعلماً بالحاجة
الشديدة إلى توثيق الرابطة الدينية ، وإحكام عقدة العقائد الإسلامية ،

والجمع بين مجارة الأمم المعاصرة ، وحفظ ما فيه حياة الدار الآخرة ، من العقائد الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والأعمال النافعة ، وهذا ما أنشئ المنار للدعوة اليه ، وهو عين ما يدعو اليه الاسلام ، ما زدنا فيه ولا نقصنا منه ؛ وإنما نتوخى بيانه ، ونقيم برهانه ، بما يناسب حال الزمان ، وما انتهى اليه رقي الانسان ،

لقد أتى على المسلمين حين من الدهر وهم في مرض اجتماعي يشبه داء السكنة ؛ تعيث في جامعتهم جراثيم المرض وهم لا يشعرون ، وتهتدم بالقضاء والزوال ولا يعلمون ، حتى اذا فار التور ؛ وجاء القدر المقدور ، تخرق حجاب الغرور ، وطفق يدب ديب الشعور ، ولكنه شعور يظهرانه زاد الأمة مرضا ، حتى كادت تكون حرّضا ، شعور هبط ببعض ذويه في مهاوي الاياس ، وطوح ببعضهم الى مواحي الوسواس ؛ فكان انتقالا من طور الخدر والسبات ، الى طور الحيرة والشتات ، ولحيرة في الفكر ، وشتات في الامر ، خير من خدر الحواس ، وفقد الاحساس ، لأن هذا من أمارات العدم والزوال ، وذلك من علامات الحياة على كل حال ،

ذهب أقوام في هذه الحيرة الى ان وقاية المسلمين من الخطر إنما تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين ؛ والاستماتة في الخضوع لهم وتقديس سلطتهم ، لأن الخطر إنما يندرنا من الجانب الغربي جانب القوة القاهرة ، والمدنية الساحرة ، وملوكنا وان جارواهم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التي تكافح بها تلك القوى ؛ فلا بد من تعزيزهم وتعزيزهم ، وإجلالهم وتقديرهم ، بل لا بد لنا من تنزيهم وتقديسهم بكرة وأصيل

وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة

بدون مشاورتها قرونا طويلة فما كان منهم الا أن أوقعوها في هذا الضعف والهوان ، والفقر والخذلات ، والجهل بأمر الدنيا والدين ، لأجل الخضوع الأعشى لهم وان كانوا ظالمين ، واذا كانوا هم مصدر الشرور والفتن ، ومثار البلايا والحن ، فأول واجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاواة استعبادهم ، وإلزامهم بالمشاورة في الأمر ، وتقييد السلطة في الحكم ، وإعلامهم بأنهم أجراء الرعية ، كما قال أبو العلاء ، حكيم الشعراء :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها
وبذلك يصلح الحال ، وتحقق الآمال ، ونشق من حسن الأسقبال ، وأما دوام الاستماتة في الخضوع للمستبدين ، فإنه يردنا في اسفل سافلين ، فهم الذين يجهزون على ما أتى أسلافهم من قوى الأمة الحسية والمعنوية ، وهم الذين يسلمون بقية بلاها للدول الاجنبية ،
الا أن الفريق الأول أكثر عددا ، وأغزر مددا ، والفريق الثاني أكثر علما ، وأبعد فهما ، ولكل منهما صحف منشرة ، وجرائد محررة ، ولكن جرائد حزب القوة أعز أنصارا ، وأكثر دينارا ، والنجاح من حجج القوة على الضعف وما كل ناجح محق ؛ وما كل خائب مظلوم ؛

وقد فاق حزب المحافظين أنهم يطلبون بناء ما كان على ما كان . فاذا طلب أحدهم إصلاحا فائما يطلبه في فرع من الفروع ؛ ولا إصلاح الابصلاح الاصول « متى يستقيم الظل والود أعوج » . وفات حزب المعارضين أنهم لا يدرون من يطلبون ، ولودروا لعدوا أنهم يلغون ويعبثون ، فانه لا تقويم الحكام إلا الأمة المتعلمة المهذبة فالسعي في تكوين أمة عالمة مهذبة هو الواجب الاول على الذين شعروا بمصائب المسلمين وأبصروا من وراء الحجاب

ما كن لهم من من الفوائد والرزايا. ولا طريق لهذا التكوين الا التربية المالية الصحيحة والتعليم العام ولا يكمل هذا الا في المدارس الكلية كما سبق لنا القول هذا رأي لا يختلف فيه أهل البصيرة من عقلاء المسلمين ولكن هؤلاء لم يبلغوا أن تكون لهم صحف تنشر؛ وجرائد تدعو - على أن كل الصحف عون لهم - حتى إذا ما أنشئ النار كان هو صحيفتهم لأنه لم ينشأ لمقاومة سلطة ولا حكومة ولا مدح سلطان أو أمير ولا لدمها وإنما أنشئ لمساعدة العقلاء على السعي في «تكوين الأمة» من طريق التربية المالية والتعليم النافع. ولذلك قلنا في مقدمة العدد الأول إن الغرض الأول من المنار الحث على التربية والتعليم، لا الحط على الأمراء والسلاطين، الخ وقلنا في أواخر مقالة نشرت في العدد ١٦ من السنة الأولى عنوانها (إلى أي تربية وتعليم نحن أحوج) بعد كلام في تعلم الفنون المصرية بصبغة أوربية ما نصه: «فيجب على العلماء والكتّاب الشرقيين أن يوجهوا عنايتهم الكبرى إلى هذا الأمر «تكوين الأمة» ويجتهدوا فيه قولا وعملا، ويجب على مؤسسي المكاتب والمدارس الوطنية ومعلميها وأساتذتها أن يجعلوه نصب أعينهم وأهم ما تدور عليه تعاليمهم بحيث يفرسون في قلب كل تلميذ أن حياته كلها لامته وبلاده وأن علمه وعمله لا شرف له فيهما الا اذا صرفهما لمنفعة الأمة والبلاد» الخ

في طريق هذه التربية وهذا التعميم عتبة في طريق المسلمين يتعسر اقتحامها وهي سوء فهم الدين وتقليد الجاهلين بعضهم بعضا فيه. لهذا كان الإصلاح الديني شرطا في الإصلاح المدني أو شطرا منه في وضع الاسلام الذي جمع بين مصالح الدارين. وليس المراد من جعل المنار دينيا الا بيان

- ملهو الدين: على وجه الحق والفرقة بينه وبين مالمس من الدين في شيء
وكيفية الجمع بين مصالح الروح والجسد . وكل هذا مما يتقبله جميع
المسلمين بالإجمال ؛ وفي التفصيل منزلة الاقدام ، ومضلة الاقوام ،
ومن مقدمات الاصلاح إحياء اللغة اذ لامة بدون لغة حية . ومنها
إزالة حجب الضرور ، عن حقائق الأمور ، ومن هذا القليل ما ينشر
أحيانا من التبذ الأدبية والتاريخية ومن جوائب الاخبار ، التي تضمن
العظة والاعتبار ؛

هذا هو موضوع المنار نشير اليه على رأس كل سنة . لا ينازع حزبا من
الاحزاب في مشربه ولذلك سألته أصحاب الجرائد السياسية — من وقف
نفسه منهم على مدح الامراء والسلاطين ومن وقفها على ذمهم ؛ ومن رضي
بنفوذ الحكومات الاجنبية في البلاد التي يسكنها ومن سخط عليها . وسأله
أيضا أصحاب المجالات العلمية والدينية وسألهم الامن استهوا الضرور
فطن في أصول الاسلام الاعتقادية أو الادبية أو العملية فرد المنار طعنه ،
وأخرج ضغنه ؛

وجملة القول ان المنار قد جاء بمشرب جديد استعذبه الأقلون ، ومجبة
الاكثر — استعذبه من ذاقه فعرفه ، ومجبة من جهله فما أنصفه ، وألئك
أسرى التقليد ؛ ينفرون من كل جديد الا أن يكون بدعة دينية ، وينفرون
من كل داع الا ان يدعو الى لغة بهيمية ، يألمون مما هم فيه ، ويتكبدون طريق
تلافيه ، يطلبون النجاة من الشقاء ، ويصرون على أسباب البلاء ؛ يهرب
مدعي العلم فيهم من المناظرة ، ويتهرب المعترف بالجهل منهم الى المماراة
والمهارة ، يتهرب زعيمهم من الدليل المعقول والمنقول ، ويحاول أن يقلد في كل

﴿الكرامات والحوارق﴾

(المقالة الثامنة في منفعة الاعتقاد بها ومضرته)

يذهب كثير من الناس الى ان جميع الأديان وتولية وسماوية قائمة على قواعد الخوارق فاذا ترزلت هذه القواعد في دين انقض الجدار وخر السقف وذهب بناء الدين حتى لا يبقى له أثر ،

قول يقوله الملاحدة ، ويوافقهم عليه رجال كل دين على حدة ، فهو حجة الدين عند أهله ، وهو الحجة عليه عند أعدائه ؛ وتلك عضلة العمدة ، ومحك المشتد ، يقول كل ذي دين : ان الخوارق التي نعتقد بها قد ثبتت عندنا بالمشاهدة بالنسبة الى قوم وبالنقل عن الثقات بالنسبة الى آخرين وقد بلغ عدد الناقلين في بعضها مبلغ التواتر الحقيقي وفي بعضها الآخر مبلغ التواتر المعنوي أو الاستفاضة أو الشهرة بين الآحاد الثقات على الأقل . وأما ما يدعيه أهل الملل الأخرى فهو كذب وافتراء ؛ أو شعوذة وسيمياء ، ويقول الملحد - لا سيما اذا دعي الى الدين : انه ليس من العدل ، ولا من مقتضى العقل ، أن ينظر طالب الحقيقة في قول أحد المدعين ، ويفعل أقوال الآخرين ، بل الصواب ان ينظر في جملتها ليتسنى له الترجيح . وقد

فعلنا ذلك فالتينا ان الآية الكبرى في كل دين هي دعوى الخوارق لرعاه
الدين . واننا لنعلم ان كل دين من هذه الاديان يحرم الكذب ونعلم ان
من أهل كل منها الاخير والاشرار فلا وجه لترجيح أحدها على الآخر
فلم يبق الا تصديق الجميع او تكذيب الجميع . والتصديق يستلزم التكذيب
إذ لو قلت كل واحد من هؤلاء صادق لدخل في تصديق كل واحد
تكذيب الآخرين لانه يدعمه وهو صادق فتكون النتيجة ان كل واحد
صادق كاذب في حال واحدة وهو محال فتمين إذن تكذيب الجميع
ثم أن هؤلاء المنكرين يقولون أيضاً : ان من ينشأ في دين يجوز وقوع
الخوارق أنا بعد أن من كبار المتسكين يكون عقله دائماً متقللاً اسير
الاهام والخرافات بل يكون العوبة في أيدي الدجالين والمسموذين ، الذين
يلبسون ثياب الصالحين ، أو الذين يتخذون الدين حرفة يمشون بها في سوق
الغرور والنفلة . ولذلك نرسم هذه الخوارق التي يدعونها تكثير ويكثر
مدعوها في البلاد التي خيمت فيها الجهالة ، وعرف أهلها بالتباوة والبلادة ،
واننا نعرف كثيراً من البلاد الاوربية كان أهلها يدعون كثيراً من هذه
المجائب ويزعمون انهم يروون ما يرون بأعينهم ويسمعون بأذانهم ويحسون
في أنفسهم . ومن ذلك زعمهم ان القديسين والشهداء يخرجون من قبورهم
في صور نورانية فيطوفون في الارض ويأتون بمض الأعمال . ثم لما تشمت
عنها سحب الجهل ، واشرقت عليها شمس العلم ، بطلت هذه الدعاوى ،
وانتقضت هاته القضايا ، واطاحت تلك الاشارات ، وذهبت هاتيك العبارات ،
وحُيت آيات الليل بآية النهار ، وصار النور بدلا من الظلام شرطاً في الابصار ،
ويقولون أيضاً : ان العلم قد كشف الستار عن اكثر هذه الخوارق

للغادات ؛ وعرف علة ما أدركه من هذه العجائب والكرامات ، وقد
 حاكى العلماء بعض ما رأوه من مدهشات سحرة إفريقية وكهنة الهند ودعروا
 علة بعض وان لم يحاكموه . ففهم من توصل الى الجلوس في الهواء بحيلة صناعية
 ومنهم أظهر للملأ أنه أطاح رأس إنسان عن بدنه ثم أعاده اليه . فبين من
 استقرأ هذه الامور والبحث فيها ان منها ما له أسباب علمية صحيحة كان يعرفها
 بعض الناس فيكتبها عن الآخرين لما يكون له بها من السلطان عليهم . ومنها
 ما هو حيل وشموذة يخيل المتبرنون عليها الى الناس أنهم يوجدون أشياء
 وما هم بموجدية ولكنهم قوم يخدعون

وقد رأى هؤلاء الناس ما كتب كثير من التسديدين في إنكار
 نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام واحتجاجهم بأنه لم يكن يحتاج على نبوته
 إلا بإجاء به من العلم والهدى في الكتاب ... وهو أي لم يقرأ ولم يكتب
 وزعمهم أن هذا لا يكفي في إثبات النبوة ، وأنه لا بد من إظهار الخوارق
 الكونية ؛ فضحكوا من احتجاجهم وزعمهم وقالوا : ان صح ما ذكرتموه
 فهو اقوى البراهين على صدقه وبرائه من النش والتمويه الذي كان يتيسر له
 لو أراد له لعل فكره وقوة ذهنه . وقال بعض فلاسفة فرنسا منهم : ان محمدا
 (صلى الله عليه وسلم) لم يكن محتاجا الى عمل العجائب لمثل ما كان يحتاجها
 الانبياء من جذب النفوس الى الايمان به فانه كان يقرأ القرآن بسم الله في
 حال وجد ووله روحاني ينقل تأثيره من نفسه الى نفوس من يسمعه فيكون
 ذلك جاذبا لهم الى الايمان ؛ بجاذبي الازعان والوجدان ؛ إيتانا يملك على
 النفس أمرها حتى لا يمكنها الانسلال منه وان قاست في سبيله من الاهوال
 ما يشيب النواصي ، ويدك الصياصي ، فأين هذا الايمان من إيمان قوم رأوا

أعجوبة لا يدركون سرها فخضعوا لصاحبها وسلموا بما يقول، وإن لم تدرك
فائدة العقول؛ حتى إذا ما غاب عنهم برهة من الزمان، عبدوا ما يصوغون
من الاوثان؛ فإذا كانت فائده المعجزات جذب النفوس إلى الإيمان فلا شك
أن هذه الفائدة أظهر في القرآن منها في سائر المعجزات ولذلك كان إيمان
المسلمين أشد من إيمان جميع اتباع الانبياء الآخرين

وقال أحد القسيسين العلماء: إننا نفضل الانجيل على القرآن بما فيه
من كثرة الحوارق والمعجائب المنسوبة إلى صاحبه على أن القرآن لم يسند
إلى من جاء به عجيبة واحدة وإنما ذكرت فيه المعجائب حكاية عن السابقين
ويقول في جواب الذين طالبوا محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالآيات: «أولم
يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم» (قال) ولكننا صرنا إلى
عصر تمتد فيه الحوارق من العقبات في طريق الإيمان ويفضل فيها القرآن
على الانجيل بذلك

هذا يحمل اعتقاد خواص الناس في الاقطار الغربية في الحوارق
والمعجائب وهو اعتقاد أكثر الذين يتعلمون على طريقهم في البلاد الشرقية
وهذا الصنف المتعلم هو صاحب السلطة على غير المتعلم وإن اتراه لا يوجد في
بلاد الا وينمو نمواً مستمراً بطيئاً كان أو سريعاً. ونرى أهله يتسللون من
الدين لو اذنا، ويمرقون منه زرفات وأفذاذا، ولهذا رسخ في أكثر الأذهان؛
أن العلم والدين ضدان، وصار المستمسكون بالدين ينفرون من العلم،
ولكن أهله يسودون عليهم تارة بالحرب وتارة بالسلم؛ ولهذا يظن الناظرون
في سير الانسان أن العلم يفتأ يفتك بالدين؛ حتى يحجوه من لوح الوجود ولو
بعد حين؛ وما لهؤلاء الظانين من علم بأن في العالم ديناً حل جميع المشكلات،

وأزال جميع الشبهات، وهو دين العلم والعرفان، الى آخر الزمان،
 فلم بما شرحناه ان أهل الأديان يرون ان للحوارق التي تجري على
 أيدي رجال الدين فائدة عظيمة وهي تأييد الدين بهافي أثباته كما قام بهافي أول
 ظهوره. ولذلك قال بعض علمائنا ان كرامات أولياء شعبة من معجزات الانبياء
 فيخشى عليه منكر القرع أن ينكر الاصل. وقد شرحنا هذا أنم شرح
 في المقالة الأولى فلتراجع في المجلد الثاني. ويذكرون لها فائدة أخرى وهي
 انتفاع الناس بالكرامة فانها إما أن تكون جلب منفعة للإنسان أو دفع مضرة
 عنه أو إيقاع سوء بمنكر أو فاسق ليرتدع غيره

وعلم أن من غوائل الاعتقاد بالحوارق ومضراتها - فخير خواص أهل الدنيا
 من الدين وهذه غائلة تتبعها غوائل أخرى نأثرنا اليها آنفا وهي تطرق الى معجزات
 الانبياء كما تقدم ولم يكن ذلك من موضوعنا هنا وقد سبق لنا القول في
 إثبات آيات الانبياء فليراجع في الأمالي الدينية من المجلد الرابع. ونريد
 الان أننا كانت في أزمة تحقق فيها أن البشر كانوا في أشد الحاجة اليها وثبت
 أنهم انتفعوا بها في عقولهم ونفوسهم وفي أعمالهم ومعاشهم. ذلك لهم
 كانوا لم يرتقوا الى معرفة العقائد يراها كانوا الأعيب في أيدي السحرة
 والدجالين يتصرفون في عقولهم ونفوسهم وأموالهم فاتقدهم الانبياء باذن
 الله تعالى وتأييده من ذلك كله وعلوهم أن أولئك السحرة قوم مبطلون
 وأنه ليس لهم من الامر الذي يزعمونه شيء وأن التصرف فيما وراء الاسباب
 التي يقدر على الوصول اليها الناس خاص بالله تعالى وحده وان تلك الاعمال
 التي يظهر بايدي الرأي انها عن اقتدار إنمائي وكيد ساحر ولا يفلح الساحر
 حيث أتى. ولولا أن جاء كل نبي بمعجزة أو أكثر لما نسئ له جذب أولئك

القوم الغلف القلوب الغلاظ الرقاب، الضفاف الاستعداد.

والدليل على أن المراد من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام تطهير العقول من لوث الخرافات والأوهام؛ تنهاتهم عن أسرار السحرة ولذجالين وأن الآيات الكونية كانت هي الآلات الجاذبة لهم إلى الإيمان بالتوحيد الذي هو المطهر الأكبر للعقول وأنه لو أمكن جذبهم بالآيات العلمية الأدبية، لما خرق الله على أيديهم شيئاً من الأمور المادية. — هو بناء نبوة خاتم النبيين على الآيات العلمية الكبرى. والهداية الأدبية العظمى وهي القرآن الحكيم، المنزل على النبي الأُمِّيِّ اليتيم، الذي علم به الأميين الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل في ضلال مبين، ومكن به لهم في الأرض وجعلهم أمّةً واثقين، وبلغ رسالة ربه الأمم المجاورة وأمر بأن يبلغ الشاهد الغائب. ومن أصول دينه أن زمن الوحي والمعجزات قد انتهى به فلان يهود، وأن الله في الخلق سنناً لن تتغير ولن تتبدل، وأن الأمور تطلب بأسبابها، وأنه ليس وراء الأسباب شيء إلا معونة الله تعالى وتوقيفه، فليس لمؤمن أن يئأس إذا انقطعت به الأسباب من خير يتطلبه، أو النجاة من سوء يترقبه، فثبت بهذا أن الدين القيم الذي يمكن أن يتفق مع العلم في كل زمان هو هذا الدين الذي يحكم بأن زمن المعجزات قد مضى ولا يكلف الآخذ به بأن يتقدم بخارقة على يد أحد الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

أما البحث في آيات الأنبياء كيف وجدت وهل كانت كلها بمحض قدرة الله تعالى التي قامت بها السماوات والأرض أم كانت لها سنن روحانية خفية عن الجمهور خصهم الله تعالى بها كما خصهم بالوحي الذي هو علم خفي عن الجمهور؛ فكل ذلك مما لا يفيد البحث فيه بل ربما كان ضاراً. ومبلغ العلم

فيها أنها كما قال ابن رشد قد وجدت وتقلت تعالمتوا ترا أترف به المؤمنون بهم والكافرون الذين سموها سحراً لجهلهم بالفرقة بينها وبين تلك الشعوذات والحيل الباطلة . وفي شرح المواقف ان المجزة كل ما يراد به إثبات النبوة . وان لم يكن من الحوارق .

فعلم بهذا أن آيات الانبياء عليهم السلام مصونة من إنكار المنكرين ، واعتراض الوهمين ، وأنها قد انتهت فلا يخشى أن يضر الاعتقاد بها في الزمن الحاضر وما بعده كما أنه لم يكن ضاراً في الماضي وإنما كان نافعاً .

وبقي القول في كرامات الاولياء ومقتضى ما تقدم أن الاعتقاد بها يضر كما يضر الاعتقاد بالحوارق عند كهنة الوثنيين وقد يسي المسيحيين . والمنفعة التي تدعيها كل الطوائف من الاحتجاج بهذه الحوارق على صحة الدين أو الاستعانة بها على تمكين اعتقاد المؤمنين ، ممنوعة بأنها من المشترك الإلزام كما تقدم في الجزء الماضي

فاذا دعوت انسانا الى دينك بحجة ان من قومك من يعمل العجائب وتظهر على يديه الحوارق يلزمك بأن في قومك أيضاً من له مثل ذلك أو ينازعك في دعوته داع آخر يحتج بمثل هذا الاحتجاج .

ووجه آخر للدفع وهو أن أهل العلم والبحث يرون دعوى الحوارق من الأدلة على بطلان الدين كما سبق آنفاً . وأما العوام فانهم أسرى التقليد ولذلك يصمدون ما يسمعون من قومهم من الأخبار ويكذبون ما تدعيه لقومك . هذا وأزدعوة الاسلام قد انتشرت في الارض انتشاراً لم يعرف ما يقاربه في دين آخر وما ذاك الا أن الدعاة اليه ما كانوا يسمدون في الدعوة إلا على كون ما يدعون اليه صواباً عقائده معقولة ، وأحكامه مقبولة ، ولم

يعرف أنه كان للإسلام دعاة قد استحوذوا على النفوس بما أدهشوها بالكرامات والخوارق كما هو المنقول عن دعاة النصارى وغيرهم . ثم أنه قد نقل عن بعض الأولياء من الكرامات أضاف ما نقل عن المسيح وتلاميذه وعن جميع الأنبياء والمرسلين ولكن أولئك الأولياء لم يعرف في التاريخ الصحيح أنهم كانوا دعاة وأن الناس آمنوا بكراماتهم اللهم إلا بعض الحكايات التي توجد في بعض كتب المناقب وقلا يوثق بشئ من رواياتها إلا إذا انفردت بها ووجه آخر للدفع وهو أن أمر الخواق صار عند العامة من جميع الأمم كالصناعة المحترمة لشدة الحاجة إليها ولا ينظر فيها إلى الدلالة على صحة دين من ظهرت على يديه لاسيما بعد موته ولذلك ترى كثيراً من عامة النصارى يقصدون من اشتهر من أولياء المسلمين لقضاء الحاجات ببركاتهم وهم على نصرايتهم . ولقد كان عم والدي (السيد الشيخ احمد رحمه الله تعالى) مشهوراً بالصلاح والبركة فكان يرد عليه وفود الناس من المسلمين والنصارى يلتمسون بركته بالرق والتأيم يأخذون منه البشارات . وقد كدت أكون خليفة له رغم أنني لأمور اتفقت لي في سن الحديث . من ذلك أن بعض الأعراب أخذوا مني ورقة فعلقوها على كبش في غم موبوء فزعموا أن الموت أدبر والصحة أقبلت منذ عقلت الورقة على الكبش . ومن ذلك أن إنساناً كان يصرع ويرى نفرًا من الجن يضره بونه فدعيت إليه فأبيت . وكذا لهم أنه لافائدة من زيارتي له البتة فألجأوا وتسلوا بالوالدة فعدت مريضهم فشفيت . وتفق لي أمثال هذه الوقائع من كثير من المسلمين والنصارى فانتشر خبرها وكدت أكون مقصوداً بها كم الوالد الذي كنت أنكر عليه (رحمه الله تعالى) لولأن

بادرت الى محاربة هذه الاعتقادات وعدم إجابة القاصدين الى ما يطلبون وكذلك نرى كثيراً من المسلمين والمسلمات يقصدون بعض الأديار وقبور القديسين بالزيارة ويحملون اليها التذوق كما يحملونها الى قبور الأولياء متوسلين بهؤلاء وأولئك وطالين منهم قضاء الحاجات ومن ذلك دير مار جرجس في مصر العتيقة والمير تادرس بكنيسة القبط بمحارة الروم وغير ذلك مما لا يحصى . وكذلك يقصد بعض المسلمين والمسلمات بعض القسيسين الذين يشتهرون في قومهم بالعجائب وقضاء الحاجات . ولا يكاد يعتد أحد من هؤلاء وأولئك بصحة دين غير دينه الذي نشأ عليه . وذلك أن الحوارق صارت عندهم من قبيل الصناعة والدين صار من قبيل الجنسية . وقد طال بنا المقال أكثر مما كنا نتوقع فترجيئاً إتمام المبحث الى الجزء الآتي وفيه نبين وجود التأويل ومناشئ القول والقليل . وما ينبغي اعتقاده في السكومات التي أنبناها في المقالات الأولى . وقد سألنا عن الثابت من معجزات بني ناغير القرآن وسنجيب عنها في الجزء الآتي أيضاً

باب الوهباء النبوية وآثار السلف

﴿ وفد بني تميم ﴾

عن جابر قال جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه : يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زين ، وإن سبنا شين . فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول : إنما ذلكم الله عز وجل فما تريدون ؟ قالوا : نحن نأس من بني تميم جئناك بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ولكن هاتوا » فقال الأقرع بن حابس لشاب من شباهم : قم فاذا كر فضلك وفضل قومك فقال : الحمد

الله الذي جعلنا خير خلقه ، وآتانا أموالاً فعل فيها مانشاء ، فنحن من خير أهل الأرض وأكثرتهم عدداً وأكثرتهم سلاحاً ، فمن أنكر قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا وبجعل (كرم) هو أفضل من قائلنا :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شاس الأنصاري وكان خطيبه « فم فأجبه » فقال ثابت فقال : الحمد لله أحده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، دعا المهاجرين من بني نمر أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أحلاماً فأجابوه . الحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وهنأ لدينه . فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها منع منا ماله ونفسه ، ومن أبها قاتلناه وكان رغمه في الله علينا حيناً ، أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات :

قال الزبير بن بدر لرجل منهم : يا فلان قم واذكر آياتنا تذكر فيها فضلك وفضل قومك : فقال

نحن الكرام فلا حي يبادلنا نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
ولعلم الناس عند الحل كلهم من السيف إذا لم يؤلس الفزع (١)
إذا أيننا فلا يأتي لنا أحد أنا كذلك عند الفخر نرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « علي بن محسنان بن ثابت » فذهب إليه الرسول فقال : وما يريد مني رسول الله (ص) وإنما كنت عنده آتفاً : قال جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم فتكلم خطيبهم فامر رسول الله (ص) ثابت بن قيس فأجابه ، وتكلم شاعرهم فأرسل رسول الله (ص) إليك لتحييه : فقال حسان : قد آن لكم أن تبعثوا إلى هذا المود — والمود الجمل الكبير — فلما آن جاء قال رسول الله (ص) : يا حسان فم فأجبه . فقال : يا رسول الله مُرْسِ فليسمعني ما قال : قال « أسمعهم ما قلت » فأسمعهم فقال حسان

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم باد من ممسٍ وحاضر
بضرب كإيزاع الخاض مشاشه وطمن كافوا اللقاح الصوادر (٢)

(١) السيف شحم السنام (٢) قال في التاج عند قول القاموس « والتوزيع القسم والتفريق كالإيزاع » : وبه يروى شعر حسان رضي الله عنه * بضرب كإيزاع الخاض مشاشه * جعل الإيزاع موضع التوزيع وهو التفريق وأراد بالمشاش هنا البول وقيل

وسل أحداً يوم استقأت شعابه
 ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى
 ونضرب هام الدارعين وننتهي
 فأحيانا من خير من وطئ الحصى
 فلولا حياة الله قلنا تكررنا
 على الناس بالحيثين هل من منافر (٣)
 فقام الاقرع بن حابس فقال : إني والله يا محمد لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء
 إني قد قلت شعراً فاسمعه : قال « هات » فقال

أنتك كما يعرف الناس فضنا
 وأنا رؤس الناس من كل ممشر
 وأن لنا المرباع في كل غارة
 فقل رسول الله (ص) « قم يا حسن فأجبه » فقام وقال

بني دارم لا تفخروا أن فخركم
 هبتم عابنا تفخرون وأنتم
 يعود وبالأ بعد ذكر المكارم
 لنا حول ما بين قين وخادم

فقال رسول الله (ص) « اتقد كنت غنياً يا أخا بني دارم أن تذكر منك ما قد
 كنت ترى أن الناس قد نسوه منك » فكان قول رسول الله (ص) أشد عليه من قول
 حسان ثم رجع حسان إلى قوله :

وأفضل ما نلتم من الفضل أنكم
 فأن كنتم جئتم لحقن دمائكم
 فلا تجملوا لله ندًا وأساموا
 ولإلأرب البيت مالت أكفتنا
 رداقتنا من بعد ذكر المكارم
 وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
 ولا تفخروا عند النبي بدارم
 على رأسكم بالمرهفات الصوارم

فقام الاقرع بن حابس فقال : يا هؤلاء ما أدري ما هذا الأمر . تكلم خطيبنا
 فكان خطيبهم أرفع صوتاً وأحسن قولاً وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أرفع صوتاً
 وأحسن قولاً : ثم دنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت

هو بالغين المعجزة وهو بمناء : اه (١) اللبث الحادر المقيم في خدره وهو أشد بأساً
 منه خارج العرين لمكان الحماية ومنع الاشبال (٢) جند غسان أصله وهو بكسر الجيم ويقشع
 (٣) نافر من منافرة حاكمه في الحسب والنسب وقيل فاخره مطلقاً

رسول الله : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يضرك ما كان قبل هذا ، اهروا
الروائي وابن مندة وأبو نعيم وابن عساكر . وقد طعنوا للمعلّى ابن عبد الرحمن ابن
الحكيم الواسطي روى حتى رماه الدارقطني بالكذب ولا يتلزم هذا أن يكون الحديث بطوله
غير واقع فإن احتمل أن فيه زيادة أدرجها للمعلّى فذلك لا يمنع أن يستفاد من الحديث ما فيه
من الأدب والعبرة وانما يمنع الاحتجاج به في آيات الأحكام وروى في السير بالفاظ أخرى

﴿ ورع أبي بكر رضي الله عنه ﴾

عن زيد بن أرقم قال كان لأبي بكر ثلوك يغلّ عليه فأناء ليلة بطعام فنأول منه
لقمة فقال له المملوك : مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟ قال : حافني على
ذلك الجوع من أين جئت بهذا ؟ قال مررت بقوم في الجماعة فرقيت لهم فوعدوني
فلما أن كان اليوم مررت فاذا عرس لهم فأعطوني : قال : أفألك كدت أن تهلكني
فأدخل بيده في حاقه فجعل يتقيأ وجعل لا يخرج فقيل له : أر هذا لا يخرج إلا الماء
فدعا بمس [١] من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها . فقيل له يرحمك الله كل
هذا من أجل هذه اللقمة : قال : لو لم يخرج لا مع نفسي لأخرجتها . سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل جسد نبت من سحت فأنار أولى به . فخشيت أن
ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة : روى الحسن بن سفيان وأبو نعيم في الحلية
والديلمي في المجالسة بهذا السياق . وروى أحمد في الزهد من طريق ابن سيرين
والبيهقي عن زيد بن أرقم ما يؤيد الواقعة

وعن أبي بكر حفص بن عمر قال جاءت عائشة إلى أبي بكر وهو يعالج ما يعالج أليت
ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت

(لعمرك ما ينفي الزناء عن الفتى إذا حشر جت يومواضاق بها الصدر)

فنظر إليها كالغضبان ثم قال ليس كذلك يا أم المؤمنين (وفي رواية ليس كما قلت
يابنية) ولكن « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » إني كنت قد
نحلتك حائطاً وإن في نفسي منه شيئاً فريده على الميراث — قالت نعم فردته — أما إنا
منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل ديناراً ولا درهماً ولكن قد أكلنا من جريش

طعامهم [١] في بطوننا ، وللبستان خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من في المسلمين قليل ولا كثير الا هذا المبد الحبشي وهذا البعير الناضج وجرده هذه القطيفة [٢] فاذا مت فابقي بها الى عمر وابريئني منهن : فضلت فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل على الارض وجعل يقول : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده . يا غلام ارفعهن : فقال عبد الرحمن بن عوف : سبحان الله تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبسراً ناضجاً وجرده قطيفة ثمنه خمسة دراهم ! قال فاذا تأمر ؟ قال : تردهن على عياله : قال : لا والذي يموت محمداً بالحق لا يكون هذا في ولايتي أبداً ولا يخرج أبو بكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله . الموت أقرب من ذلك : رواه ابن سعد (المنار) هكذا تكون خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه هي السيرة التي كان يجب على المسلمين ان يلزموا بها ملوك بني مروان وبني السباس الذين سموا أنفسهم خلفاء وكذلك غيرهم من الملوك . والله ما نكل بالاسلام وأوقع المسلمين في هذا الموان ، الا استبداد أولئك الملوك بالسلطة وجعلهم الرعية وأموالها ملكا لهم يتوارثونها ويتصرفون فيها بما شاؤوا حتى اذا ظهر فيهم عادل يحاول وضع الحق موضعه كماواة الأصغر وعمر بن عبد العزيز والمأمون أزموه بقوة المصيبة على ان يجري في طريقهم أو يخلع من الملك . ولقد تعب عمر بن عبد العزيز فيما قدر عليه من العدل تعباً عظيماً لم ان هذه السنة التي سنها أبو بكر متعبة لا يقدر عليها الا مثل عمر ويظهر أنه كان يستقدان ما فرض له من الانتفاع من بيت المال (كما ذكرنا في السنة الماضية) يجب أن يكون مشروطاً بمدة صالحة للمسلمين وأنه اذا بقي منه بقية يجب أن ترد الى بيت المال ولا يجوز لورثته التمتع بها لانهم لا يعملون للمسلمين ما كان يعملوه . ولما لتتمنى اليوم أن يأخذ أمراؤنا وملوكنا أضماض كفايتهم وأن يورث عنهم ما بقي عن فقائهم بشرط أن يكفوا عن تبذير ما في خزائن الامنة من الاموال والتحف والإفضاء بها الى أوليائهم ، بمجرد شهواتهم وأهوائهم ، وقد سبق لنا القول في السنة الرابعة بان في خزائن الدولة العلية من الذخائر والجواهر ما يكفي بعضه للقيام بإنشاء الاساطيل البحرية وترقية القوة الحربية ، بحيث تقاوم بها اعظم الدول القوية ، وهذه الذخائر كثيرها تحت تصرف شخص السلطان ، ولا يكاد يسمح بشيء منها الا لقيصري الروس والامان ،

(١) الجريش الدقيق الغليظ مصروف والملح لم يطيب (٢) القطيفة دثار مخمل أي له زغب وجرده قطيفة يريدون به خلق قطيفة وأصله شيء جرد أي خلقت

أشعار علي بن أبي طالب

﴿ باب التقاريف ﴾

﴿ ديوان الرافعي ﴾

مصطفى اقصي صادق الرافعي يعرف شعره قراء المنار فلا حاجة لثعريفهم به وقد جمع منظوماته في ديوان يطبع الآن وانما ننشر كلمة له فيه تنوياً به وترغيباً فيه وهي

﴿ كلمة الناظم ﴾

أول الشعر اجتماع أسبابه • وانما يرجع في ذلك الى طبع سقته الحكمة وفكر
جلا صفحة البيان • فما الشعر الا لسان القلب اذا خاطب القاب • وسفير النفس اذا
ناجت النفس • ولا خير في لسان غير ميين • ولا في سفير غير حكيم
ولو كان طيراً يتفرد لكان الطبع لسانه • والرأس عشه • والقلب روضته • ولكان
غناؤه ما تسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء • وحسبك بكلام تنصرف اليه كل
جارحة • ويجني من كل شيء حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات
فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس •

وكأنما هو بقية من منطلق الانسان اجتنأت في زاوية من النفس فما زالت بها
الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بمد ذلك الحانا بغير إقناع • الا تراها
ساعة التظم كيف تنفرغ كلها ثم تتعاون كأنما تبحث بنور العقل عن شيء غاب عنها في
سويداء الفؤاد وظلماته • لذلك كأن أحسن الشعر ما تنفق به قبل عمله وهي طريقة
تفان فيها الشعراء حتى لكان الخطيئة يعوي في أثر القوافي عواء الفصيل في أثر أمه •
وترى المجيد من أهل الغناء اذا رفع عقبرته يتنقى ذهب في التحرك مذهب حتى
كأنما ينزغ كل لغة من موضع في نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقة فيه
وقست كل قطعة منه في مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن يستغزه طربه •
كأنما أنجذب قلبه • وتصوب نفسه • كأنما أخذ حسه • لافرق في ذلك بين أعجمي وعربي
ومن أجل هذا ترى أحسن الاصوات يغلب على كل طبع وانما الشاعر والمغني في
جذب القلوب سواء • وفي سحر النفوس أكفاء • الا أن هذا يوحى الى القلب

وذاك ينطق عنه • وأحدها يفيض عليه والثاني يأخذ منه • والويل لكليهما إذا لم يطرب هذا ولم يجب ذاك •

والشعر موجود في كل نفس من ذكر وأنثى • فأنك لتسمع الفتاة في خدرها • والمرأة في كسر بيتها • والرجل وقد جلس في قومه • والصبي بين أخوته • يقصون عليك أضغاث أحلام فتجد في أثناء كلامهم • من عبق الشعر مالمو نسمة لفمك • وحسبك أن تكسر وسادك تحدث إليهم فقرأ طائراً بين أمتالهم وفي فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل اعشاشه • ولقد نبغ فيه من لسان هذه الامة شمس سطعن في سماء البيان • وطلعن في أفق البلاغة • ولا يزال الساس الى اليوم يروون للحفساء وجنوب وعلية وعنان ونزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول النواصي: ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الحفساء ولبلى •

ولو كان الشعر هذه الالفاظ الموزونة المقفاه لعدناه ضرباً من قواعد الاعراب لا يعرفها الا من تعلمها ولكنه ينزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطق به ولا يقيمه كل انسان • وأما ما يمرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يمرض للكلام من استقامة التركيب والاعراب • وأما انما تمدح الكلام بأعراجه ولا تمدح الاعراب بالكلام •

ولم أقرا أجمع فيه من قول حكيم المصير • وامام الافناء في مصر • « لو سألوا حليقة ان تختار لها مكاناً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر » ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الاحبار • الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة •

• ولم يكن لأوائل العرب من الشعراء الا الابيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربي
اليوم يئني لدويد يئته . لو كان للدهر على أبليته
أو كان قرني واحداً كفيته

واتما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف . وهذا رفع امرؤ القيس ذلك اللواء • وأضاء تلك السماء التي ما طاولتها سماء • وهو لم يتقدم غيره الا بما سبق اليه مما اتبعه فيه من جاء بعده • فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمهي والبيض وشبه الخيل بالمقبان والمصي وفرق بين التسيب

وما سواه من القصيدة وقرب ما أخذ الكلام وقيد أو ابتداء وأجاد الاستعارة والتشبيه . ولقد بلغ منه أنه كان يتنعت على كل شاعر بشعره .

ثم تابع القارضون من بعده فهم من أسهب فأجاد . ومنهم من أكب كما يكمو الجواد . وبعضهم كان كلامه وحى الملاحظ . وفريق كان مثل سويل في التجوم يعارضها ولا يجري معها . ولقد حدوا في ذلك حتى أن منهم من كان يظن أن لسانه لو وضع على الشعر لخلق . أو الصخر لفلق .

ذلك أيام كان للقول ضرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء أن تغلب عليهم القاهم بشعرهم حتى لا يعرفون إلا بها كالمركش والمهلل والشريد والمزق والملبس والثابفة وغيرهم . ومن قدر الشعراء كانت القبيلة إذا نبع فيها شاعر أنت القبائل فتهنأ بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالزهر كما يصنعن في الاعراس . وأيام كانوا لا يهتثون إلا بفلام يولد أو شاعر ينفع أو فرس ينتج وكانت البنات يتفنن بعد الكساد إذا شيب بهن الشعراء .

ولم يترك العرب شيئاً مما وقت عليه أعينهم أو وقع إلى آذانهم أو اعتقدوه في أنفسهم الا نظموا في سمط من الشعر وادخروه في سبط من البيان حتى أنك لترى مجموع أشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وأيامهم وما يستحسنون ويستعجبون حتى من دوابهم . وكان القائل منهم يستمد عفوها جبه وربما لفظ الكلمة نحسبها من الوحي وما هي من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم الا أخلاقهم الغالبة على أنفسهم فزهر أشعرهم إذا رغب ، والثابفة إذا رهب ، والاعشى إذا طرب ، وعذرة إذا كلب ، وجريز إذا غضب . وهلم جرا ،

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر امرأة من أيامه فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واحتص زهير بالحوليات واشتهر الثابفة بالاعتذارات وارتفع الكهيت بالهائشيات وشيخ الحطيئة بأهاليه وساق جرير قلائصه وبرز عدي في صفات المطية ومظيل في الخيل والتمناخ في الخير . ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعره فيها فقال ما أوصفه لها اني لأحسب أن أحد أبويه كان حماراً . وحسبك من ذي الرمة رئيس المشبهين الاسلاميين أنه كان يقول « إذا قلت كأن » ولم أجد مخلصاً منها فقطع الله لساني . وقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته ؟ وأسكرهم أبو نواس بخمرياته ؟ ووقت قلوبهم على زهديات أبي التماية وجرت دموعهم لمراثي أبي تمام

وابتهجت اقصهم بمدائح البحري وروضيات الصوري ولطائف كشاجم .
 فن رجع بصره في ذلك وسلك في الشعر ببصرة المعري وكانت له اداة ابن
 الرومي وفيه غزل ابن ربيعة وصباية ابن الاخنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم
 وأجنحة ديك الجن ورقة ابن الجهم ونفر أبي فراس وخين ابن زيدون واثقة الرضي
 وخطرات ابن هاني وفي نفسه من فكاهة أبي دلالة ولينه بصر ابن خضاعة بحسان
 الطبيعة وبين جنبيه قلب أبي الطيب فقد استحق ان يكون شاعر دمه ؟ وصناعة عصره .
 ولا يهولك ذلك اذا لم تستطع عد الشعراء الذين اتحلوا هذا الاسم ظلماً وألحقوه
 بانفسهم إلحاق الواو بعمر و فكلهم أموات غير أحياء وما يشعرون .

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفاً لكل نادرة فربما عرضت للشاعر أحوال
 مما لا يفي غيره فإذا علق بها فكره تمحضت عن بدائع من الشعر فجاءت بها كالمعجزات
 وهي ليست من الإعجاز في شيء ولا فضل للشاعر فيها الا أنه تقيه لها . ومن شديده
 على هذا جاء بالتادر من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه في كل حين .

وليس بشاعر من اذا الشدك لم تحسب ان سمعه مخبوء في فؤادك . وان عينك
 تنظر في شفافه ، فإذا تنزل أمحكك ان شاء وأبكاك ان شاء . واذا تحس فزعت
 لمساقط رأسك . واذا وصف لك شيئاً هممت بلمسه حتى اذا جثته لم تجد شيئاً .
 واذا عتب عليك جمل الذنب لك ألزم من ظلك . واذا نزل كنانته رأيت من يرميه
 صريماً لا أثر فيه لفديفة ولا مدية وانما هي كلة فتحت عليها عينه أو ولجت الى قلبه
 من اذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على حجر .

واذا مدح حسب الدنيا تجاوبه ، واذا رثى خفت على شعره ان يجرى دموعاً ، واذا
 وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعاً ، واذا نخر اشتم من لحيته رائحة الملك
 فحسبت انما حفت به الاملاك والمواكب .

وجاع القول في براعة الشاعر ان يكون كلامه من قلبه فان الكلمة اذا خرجت
 من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

ولقد رأيتني في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالاعمى يتناول
 الاشياء ليقرها في مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين أو مواضع وهو لا يدري .
 وأبصرنا فيهم كذلك من يحجى باللفظ الموفق والوشي الضر فإذا نثرت أوراقه
 لم تجد فيها الا تمرات خفة .

ورأينا في المطبوعين من أثقل شعره بأنواع من المعاني فكان كالحسناء تزيد من الزينة حتى سمعت فصرقت عنها العيون بما أرادت ان تالفها به . على ان أحسن الشعر ما كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغاية فهو معرضها .

وهو عندي أربعة أبيات يبت يستحسن ويبت يسير ويبت يندر ويبت يحسن به جنونا وماعد ذلك فكالشجرة التي تقض ثمرها . وجني زهرها . لا يرغب فيها الاختط . أما مذاهبه التي أبانوها من الغزل والنسيب والمدح والمجاء . والوصف والثناء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا يخرج من طريق الا الى طريق . ألم تر انهم في كل واد يهيمنون . وما دامت الاعمار تتقلب بالناس قال شعر أطوار . أونة تحظر فيه نسائم الصبا ما بين اذان الوصف الى أزهار الغزل . ويتسبب فيه ماء الشباب من نه الحياة الى مشرعة الامل . وطورا تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف . وتفرق بمحدهم الصفوف . وحينما تجده وقد ألبسه المشيب ثوب الاعتبار . وجهه بمسحة من الوقار . وهو في كل ذلك يروي عن الايام وتروي عنه . وما أكثر فنون الشعر اذا رويتها عن أفاين الايام

وأما ميزانه فاعمد الى ما تريد فقدمه فرده الى النثر فان استطعت حذف شيء منه لا ينقص من معناه أو كان في نثره أو كل منه منظوماً فذلك الهذر بعينه أو نوع منه ولن يكون الشعر شعراً حتى يجد الكلمة من معطلمها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الاجادة وتلك مقلدات الشعراء . اليك مثلاً قول ابن الرومي يصف منهزماً

لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخ فيعرفه

فقلب لظرك بين الفاظه وأجله في نفسك ثم ارجع الى قول ذلك الخارجي وقد قال له المنصور: أخبرني أي أحماني كان أشد إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقدامهم فقل لهم يدبروا أعرفك : أأست ترى في ذلك النظم من كمال المعنى وحلاوة الالفاظ ما لا تراه في هذا النثر .

ولقد بقي ان قوماً لم يهتدوا الى الفرق بين منشور القول ومنظومه . والذي أراه أن النظم لو مد جناحيه وحلق في جو هذه اللغة ثم ضمهما لمسا وقع الا في عيش النثر وعلى أعواده . ولن نجد منشور القول بهجة الا اذا صدح فيه هذا الطائر الفرد . بل لو كان النثر ملكاً لكان الشعر تاجه . ولو استضاء لما كان غيره سراجاً .

وما زال الشعراء يأتون بجمل منه كأنها قطع الروض اذا تورد بها خند الربيع .

وهذا ابن عباس وكتبه • وابن المعتز وفصوله • والمرعي ورسالته • وانظر الى قول
بشار وقد مدح المهدي فلم يعطه شيئاً ف قيل له لم تجد في مدحه فقال • والله لقد مدحته
بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خفت صرفه على حر ولكني اكذب في العمل
فاكذب في الامل • وبشار هو ذلك القواس على المعاني الذي يزعم ابن الرومي انه
اشعر من تقدم وتأخر وهو القائل في شعره مفتخراً

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أوقطرت دما
اذا ما أعزنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلمنا
والالة على ذلك أكثر من أن تعد • وأوسع من أن تحد •

ولا نجد الناظم وقد أصبح لا يحسن هذا الطراز الا اذا كان جافي الطبع كدرا الحس
غير ذكي الفؤاد لم تجتمع له آلة الشعر وهو اذا كان هناك وجاء من صنعة بني
فانما هو نظام وليس بشاعر •

أما الفرق بين المترسلين والشعراء فان كما يقول الصابي • ان الشعراء انما
أغراضهم التي يرمون اليها وصف الديار والآثار • والحنين الى الاهواء والاطوار •
والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء • والمديح والهجاء • وأما المترسلون فانما
يرتسلون في أمر سداد نعر واصلاح فساد • أو تحريض على جهاد • أو احتجاج على
فئة • أو مجادلة لمسألة • أو دعاء الى ألفة • أو نهى عن فرقة • أو نهضة بعطية • أو تعزية
برزية • أو ما شاكل ذلك • فذلك زمن قد درج فيه أهله • وبساط طوي بماعليه • ولم
يعد أحد يحذر • مؤاخاة الشاعر لانه يمدحه • بنين ويهجوهم مجاناً • وانما الفرق بين
الفرقيين ان مسلك الشاعر أوعر ومركبه أصعب وأسلوبه أدق وكلامه مع ذلك أوقع
في النفس وعلى قدر إجادته يكون تأثيره فالجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة
الكلام وانك انما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر •

وفي الحديث الشريف • انا قد سمعنا كلام الخطباء وكلام أبي سلمى فما سمعنا
مثل كلامه من أحد • • وقال الشافعي في كتاب الأم: الشعر كلام كالكلام فحسنه
كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام انه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه:
هنا وان من الشعر حكمة • ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر
الا أولوا الالباب •

تمة تقریظ « أحسن الكلام »

أورد المصنف بعد مقدمته تلك حديث أبي هريرة الصحيح في النبي عن الكلام وقت خطبة الجمعة وهو « اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنت والامام يخطب فقد لغوت » وقال انه قد أخرجه السنة ونقول ان ابن ماجه لم يخرججه . وأورد بمسده احتجاج أبي حنيفة بأقوال الصحابة على منع الكلام من وقت خروج الامام وان صاحبه خلفاء لأنهما لا يمتحجان برأي الصحابي لأن المجتهد لا يقبل مجتهداً . واستنتج من ذلك أن الترقية المتعارفة في زماننا جائزة عند الصحاحين ما لم تشتمل على تفنن وتلحين غلّ قال « والا فهي مكروهة اتفاقاً » . ثم قال انه لا وجه للانكار على الترقية مع هذا الخلاف بين المجتهدين « وانما يجب الانكار فيما اتفق الكل وأجمعوا على عدم جوازها »

ونقول : الظاهر ان مصنف الرسالة هو الذي استنبط هذا الجواز من قواعد الصحاحين . فإن كان يدعي ان بدعة الترقية كانت في عهدها وانها نصاً على جوازها فليدللنا على النص . واذا كان هو المستنبط للجواز فلنا في استنباطه إشكالات (أحدها) انه ليس مثله أن يستنبط ولا أن يرجح وانما هو من الطبقة التي لا قبل منها الاثقل نصوص المذهب كابن عابدين ولا يدعي أنه فوق طبقة ابن عابدين الذي صرح بأنه لا قبل منه الا الاثقل لنصوص المذهب للرجحة . بل قالوا ان أبحاث الكمال بن الهمام لا يميل بها اذا خالفت نصوص المذهب

(ثانيها) اذا فرضنا أنه ادعى أنه فوق الكمال في الفقه وأن له أن يستنبط من نصوص أئمتة فلماذا لا يستعمل هذه الموهبة في وظيفته ويرزح عن المحكمة بعض قيود الفقهاء الذين ضيقوا مذهب الحنفية واكثرهم من الذين لم ييلفوا هذه الدرجة — درجة الاستنباط من أصول المذهب — واذا كان المؤلف وصل اليها فلا يجوز له التقييد بأقوال من هم دونه من الفقهاء وأي نعمة على الحاكم الشرعية في مصر بل على مذهب الحنفية من وجود مجتهد فيه يتقحه ويسهل وعورته فيصلح به حال هذه الحاكم التي يحتاج قضائها بأنهم ممنوعون عن الاصلاح قيود الفقهاء التي كلفوا بالجلود عليها وعدم التصرف فيها كأنما ألفاظها قرآن تمسّدوا به تمسداً

(ثالثها) ان ما ينقل عن الصحابة عليهم الرضوان ان كان من قيل الرأي فهو الذي لا يكلف المجتهد اتباعهم فيه الا اذا وافق دليله دليلهم . وأما اذا كان بمالاجمال

للرأي فيه كالعبادات فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . والأقرب أن مسألتنا من هذا القسم فإن لم يعلم بأنه الأقرب فلا أراد ينكر أنه الأحوط

(رابعا) أن الكلام الذي أجازوه في المسجد في غير وقت الخطبة ليس فيه شبهة التمدد به واتخاذ شعارا لازما كما هو الشأن في الترقية المعروفة في هذه الأزمنة فقياس الترقية على الكلام قياس مع الفارق . على أن ما كان من قبيل الشعائر الدينية والتعبد لا يجوز القياس فيه كما تقدم في النبذة الماضية لأنه مما يجب فيه الوقف عند نص الشارع فثبت بهذا أن الترقية بدعة . منكرة لا وجه لجوازها في مذهب من المذاهب

(خامسا) أن الترقية المسؤول عنها مشتملة على التغي والتلحين المحل فهي منكرة حتى في رأي المصنف ولكن أراد قياسه على تقدير خلوها من ذلك والحكم بأنه لا وجه لإنكارها يوم من يطلع على الرسالة من غير أهل التدقيق أنه بذلك القياس ، يحيز ما على الناس ، وهو أنما أجاز صورة من صور الترقية غير موجودة ، وخلاصة القول أن هذه الرسالة لا تبيح الترقية الممهودة الآن وإنما تبيح ترقية مشروطة بشرط غير موجود بناء على قياس في غير محله

ثم تكلم المصنف في حكم قراءة سورة الكف فقال أنها « جائزة اتفاقا ولا وجه للقول بمنعها » ثم ذكر أنها عبادة لم يرد النبي عنها بخصوصها ولم يدخل ذلك تحت نهى عام واستثنى من ذلك القراءة وقت الخطبة أو عند خروج الامام على الخلاف المار . ثم صرح بأن قراءتها رفع الصوت في المسجد لا تمنع وأورد حديث « لا يجهر بمضكم على بعض بالقرآن » وقال أنه على فرض صحته لا يصلح حجة للمنع وكذلك حديث « لا ضرر ولا ضرار » قال « وعلى فرض وجود مصل لنحو تحية مسجد وقت قراءتها فلا يحصل من ذلك تشويش عليه » ثم قال « أنه ورد أحاديث كثيرة بطلب قراءتها وأورد منها حديثين ثم نفى أن يكون الاجتماع الخاص في المسجد لسماعها بدعة لدخوله في عموم الترخيب في الاجتماع للذكر

فقول ان في هذا الاستدلال نظراً ظاهراً لاسيما على قواعد الحنفية الذين يقدّم المصنف فاتهم نصوا في كتبهم على أن قراءة الم السجدة واللسان في فجر الجمعة مكروهة مع أن الأحاديث فيها صحيحة ليست كأحاديث قراءة سورة الكهف . وعطلوا الكراهة بأن فيها محرراً لبقى القرآن بل قالوا بأنحاء التحريم في ذلك . فإن قيل أنهم قالوا بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لم ياتزم قراءة الم السجدة واللسان في فجر يوم الجمعة

بل ورد أنه قرأ غيرهما أيضاً قالوا بكرة المواظبة عليهما . تقول ان ماورد فيها أصح مما ورد في غيرها ويدل على التكرار ولم يرد حديث صحيح في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة والناس يواظبون عليها مع الاجتماع والتوقيت حتى كأنها من شعار الاسلام المنصوصة . مع انها معارضة بأحاديث منها ما رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس مرفوعاً « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس » ومنها ما رواه ابن مردويه عن كعب مرفوعاً بسند صحيح « اقرأوا سورة هود يوم الجمعة » نعم أنه مرسل ولكن الحنفية يحتجون بالمرسل وان لم يحتج به مصنف الرسالة في منع الكلام عند خروج الامام الى الجمعة . ومنها حديث الطبراني في الكبير عن أبي أمامة « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومنها أحاديث في قراءة سور في ليلة الجمعة

أما الاحاديث التي اختارها مما ورد في قراءة سورة الكهف فهي كما ذكرها بالنص قال : « ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعاً » من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيئ له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجنتين » . وما رواه غير واحد عن أبي سعيد الخدري « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق »

أقول قد طعن في سند كل منهما بل قال الحافظ ابن حجر في تخریج أحاديث الأذكار ان أقوى ماورد في قراءة سورة الكهف حديث أبي سعيد عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجنتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان : بل نعيم بن حماد ذو مناكير . . وقد ورد في قراءة آيات مخصوصة من الكهف بدون ذكر الجمعة روايات قوية وبعضها في صحيح مسلم وأما تشويش هؤلاء القراء في المساجد على المصلين فهو مما لاشك فيه وما فرضه صاحب الرسالة من وجود المصلين وقت قراءة سورة الكهف في المسجد أمر واقع مشاهد ولكن هؤلاء الفقهاء يتكلمون بالفروض كأنهم في كون مفروض غير موجود . وكون التشويش على المصلين غير جائز مما لا ينبغي أن يشك فيه والصلاة هي المقصودة من المساجد بالذات ولذلك صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي . وقد أول المصنف حديث « لا يجهر بمصنكم على بعض بالقراءة » ورواه

« بالقرآن » بأن مضاء الظاهر « لا يذم أحد أحداً بالقرآن أولاً يشتم بعضكم بالقرآن انتصاراً على البعض الآخر » ولم يعلم أنه عُلل بإيذاء المصلي (رواه الخطيب عن جابر) وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الست وقال « ألا إن كلكم مناجاة لربه فلا يؤذ بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » ولكن أكثر المشتغلين بالفقه لا يطلعون على كتب السنة الا قليلاً . ولا يخفى أن إيذاء من يجهر لمن يسر بالصلاة أو للقراءة أشد من إيذائه لمن يجهر مثله لأن الجهر يدفع بالجهر . فسقط جميع استدلال المصنف وثبت أن قراءة سورة الكهف في المسجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع الناس فيه للصلاة بدعة محظورة لاستعظامها (للتقريظ بقية)

﴿ كتاب اصابة السهام . فؤاد من حاد عن سنة خير الأنام ﴾

اهدانا الشيخ محمود محمد احمد خطاب السبكي أحد علماء الأزهر نسخة من كتاب له جديد سماه بهذا الاسم وهو في بيان البدع والمنكرات الفاشية بين أهل العلم والدين وفي المساجد وحلقات الدروس وغير ذلك . ولم نتيسر لنا مطالعته وإنما أخذناه الآن في يدها وقرأنا جملة من فهرسه فإذا فيها (مطاب محرم القراءة إذا لزم عليها تشويش خلافاً لمن قل بالكراهة) فراجعنا هذا المطاب وأحياناً أن نقل منه تأييداً لما ذكرنا آنفاً في الانتقاد على رسالة الشيخ بحيث ما ياتي . قال المصنف في سياق الكلام على المنكرات الفاشية في الجامع الأزهر ومنها التشويش على المصايين برفع الصوت بالنية مانصه : « قال ابن السامد لوتوسوس المأموم من تكبيرة الاحرام على وجه يشوش على غيره من المأمومين حرم عليه ذلك كمن قعد يتكلم بجوار المصلي وكذا يحرم عليه القراءة جهراً على وجه يشوش على المصلي بجوارده . اهـ وقوله : من المأمومين : يعني مثلاً وكذا قوله على المصلي والا فالتشويش حرام ولو على النائم . وأما قول ابن حجر بكراهة القراءة عند التشويش ورد قول ابن السامد بالحرمه فهو المردود . وكيف لا وقد أضر بقرائه المتعبدين ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ضرر ولا ضرر » اهـ ثم رأيت فيه بحث قراءة سورة الكهف في المساجد فأحييت نقله أيضاً وهو :

« ومنها أعني البدع التي اخترعوها في الجامع الأزهر ونحوه قراءة سورة الكهف يوم الجمعة بصوت مرتفع وترجيع والمسجد تمتلئ من الناس ما بين راحة وساجد وذكر وقارئ ومتفكر الى غير ذلك ومع ذلك يرتبون للقارئ لها اجرة من الوقف وذلك

ممنوع من وجوه (الاول) كونه مخالفا لما كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمن أصحابه والسلف والخبر كله في الاتباع والشركة في الابتداء والاحاديث في ذلك معلومة (الثاني) أن فيه تشويشا على من بالمسجد متلبسا بعبادة وقد تقدم غير مرة أن التشويش ممنوع بالاجماع لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ملعون من ضار مؤمنا) (الثالث) فيه صرف المال في غير مصرف شرعي بل هو منكر وهو ممنوع ولا سيما من مال الوقف (الرابع) أن ذلك كان سببا في اعتقاد العوام أن قراءة السورة المذكورة بهذه الصفة من معالم الدين فأدخلوا في الدين ما ليس منه وتقدم أنه ممنوع بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخامس) فيه رفع الاصوات في المسجد لغير ضرورة شرعية وقد ورد انتهى عن ذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة » وقال عليه الصلاة والسلام « يا علي لا يجهر بقرائكك ولا بدعائك حيث يصلي الناس فان ذلك يفسد عليهم صلاتهم »

« وقال في الدر المختار للسادة الحنفية « يحرم رفع الصوت في المسجد بذكر الالامة تقية: اه » ولعل موضوعه فيما اذا كان في تشويش » وقال ابن العماد الشافعي : تحرم القراءة جهرا على وجه يشوش على محو مصل اه ومر ويأتي النص على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن ولا سيما في المساجد فإذا عند التشويش لا يشك في التحريم . نعم ورد النص على فضل قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ويومها ولكن ليس كما اعتاده هؤلاء الناس بل يقرأ لنفسه في بيته مطلقا أو في المسجد بدون رفع صوت حذرا من التشويش . وعبارة قرعة العين مع شرحها فتح المعين للعلامة زين الدين الملباري الشافعي لصهاه وسُن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها لأحاديث فيها وقراءتها نهاراً أو كذا وأولاهابعد الصبح مسارعة للخير وإن يكثر منها ومن سائر القرآن فيها ويكره الجهر بقراءة الكهف وغيرها إن حصل به تأذٍ لمصل أو نائم كما صرح به الثووي في كتبه » وقال شيخنا في شرح الباب فبني حرمة الجهر بالقراءة في المسجد وحل كلام الثووي بالكرهية على ما اذا خيف التأذي وعلى كون القراءة في غير المسجد اه قال محشيه السيد علوي قوله (لأحاديث) فقد صح ان من قرأها ليلتها أضاء له من النور ما بينه وبين البيت الشيق اه

وفي فتاوي قاضي خان : رجل يقرأ القرآن ويجنبه رجل يكتب الفقه لا يمكنه أن يستمع كان الاثم على القارئ لانه قرأ في موضع يشغل الناس باعمالهم ولا شيء على الكاتب اه فإبلاك بمن كان مشغولا بنحو صلاة ويشوش القارئ عليه كالحاصل

بقراءة سورة الكهف يوم الجمعة . ونحوه في الفتح عن الخلاصة قال : وعلى هذا لو قرأ على السطح والثاس نيام يَأْتُم اه قال ابن عابدين اي لانه يكون سبباً لاعراضهم عن استماعه أو لانه يؤذيهم بإيقاظهم ثم قال يجب على القاري احترام القرآن بأن لا يقرأه في الاسواق ومواضع الاشتغال قلنا قرأ فيها كان هو المضجع لحرمته فيكون الاتم عليه دون أهل الاشتغال دفماً للحرص اه

• وكذا في مذهب السادة الحنبلية وغيرهم فتحصل أن قراءة السورة المذكورة بهذه الكيفية التي اعتادها كثير من الناس متنوعة باجماع المسلمين • وكيف لا وهي من الحديث في الدين • لمخالفتها لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وصالح السلف • ومعلوم أن كل ما خالف ذلك فهو في شرك الوبال والتلف • اه هذا ما رأيناه نقله الآن من كتاب السبكي من غير بحث فيه وسنعود الى التقل عن هذا الكتاب الذي نود أن يطلع عليه جميع المسلمين ، ونشكر لمؤلفه عنايته بخدمة الدين ، (تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد لسنة الهجرة الجديدة وفيه من الفوائد والمباحث العلمية والتاريخية والسياسية والأدبية ما جمع على احصائه بين الفائد والذمة وقد توسع فيه بالكلام عن مصر والسودان حتى انه يغني عن كتاب (دليل مصر) لما فيه من بيان أحوال البريد والسكك الحديدية ••••• وذكر في باب وفيات الاعيان ملخص تراجم كبار الرجال الذين ماتوا في العام الماضي ومنهم باي تونس والسيد الكواكبي • وذكر في باب القضاء أهم المسائل التي يحتاج الى معرفتها المتخاصمون في المحاكم المصرية مرتبة على حروف المعجم • وفي باب الإحصاء طلبه العلم والعلماء بمساجد مصر • البريد المصري • سكك الحديد في العالم • الامم المدمنة السكر • لسبة المتعلمين في الامم • العائلات و نصف التناسل • الجرايد في العالم • سكان الارض • السفن • اللغات • الزنا في فرنسا • النساء في الولايات المتحدة • أعمار النساء • وغير ذلك • وجملة القول في هذا التقويم انه نديم المقيم ورفيق المسافر وقاموس العلم ومكتبة الحبيب • وهو يطلب من مؤلفه محمد اقصي مسعود المحرر بالمؤيد ومن المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش

✽ النخبة الأزهرية • في تخطيط الكرة الأرضية ✽

كتاب حافل في تقويم البلدان يدخل في أربعة أجزاء • الجزء الأول — عموميات على الدنيا • الجزء الثاني — مصر والحكومة السودانية • الجزء الثالث — أفريقيا واوروبا • الجزء الرابع — آسيا وأمريكا والاقيانوسية والاقليم القطبية • وفيه ٤٧

خريطه ملونة و ٦٦ صورة وشكلا . ومؤلفه اسماعيل اقندي علي الموظف بدياة الاستئناف الأهلية ومدرس علم تقويم البلدان بالجامع الأزهر الشريف .

هذا ماخص التعريف بالكتاب . ونقول إن قراء العربية في أشد الحاجة الى كتب مطولة في هذا الفن ومن العجيب أن وجدت كتب مطولة في أكثر العلوم العصرية دون هذا العلم الذي يجب أن يكون عاماً ومن الفضاخ أن يجمله ذكر أو انق . فمن نعم الله تعالى على قراء العربية أن سخر لهم رجلا من أوسمهم اطلاعا وتدقيقاً فيه فوضع لهم هذا الكتاب وهو مؤلفه اسماعيل اقندي علي الذي زاول تعليمه في المدارس الاميرية أعواما طويلة ثم لا يزال يملئه في الأزهر الى اليوم

ومن شكر النعم أن يبادروا الى اقتناء الكتاب والاستفادة منه لأن الشكر انما يكون بوضع النعمة في موضعها الذي وجدت لأجله . ومن آيات الجهل الفاحشة أن يجبس هذا الكتاب الجليل في مكاتب الباعة زمنا طويلا . ومن الاساءة الى الحسن أن ينفق هذا المؤلف زمنا طويلا من وقته في التعريب والتأليف ووضع الخرائط بالعربية ثم يصرف مبلغا كبيرا من ماله في نفقات طبع الكتاب ولا تكون أقل مكافأة له من الأتمسرة الاقبال على كتابه . أما صفحات الكتاب فهي ٦٤٠ من الشكل الكبير جداً وثمنه أربعون قرشاً صحيحاً ومن لاحظ الصعوبة في طبع الخرائط الملونة بالألوان الكثيرة وصعوبة وضعها يعلم أن ثمن الكتاب رخيص بصرف النظر عن قائده

اننا نصف هنا بعض الكتاب بالإجمال وانما نشق به لثقتنا بسعة اطلاع مؤلفه على كتب الافرنج الحديثة وله العذر اذا وقع فيه شيء من الخطا في احصاء أهالي بلاد كالبلاد الألمانية لا يتيسر له الوقوف على كتب حديثة فيها كما يتيسر له في غيرها . وقد كان أول من انتقد هذا في الكتاب هو أول المعجبين به صديقنا رفيق بك العظيم قال : انه اعتمد على الاحصاءات القديمة كقوله عن سكان دمشق ان عددهم ٦٠ ألفا مع ان الاحصاء الجديد الوارد ذكره في سلطنة الولاية الرسمية هو ١٤٣٣٣٢١ وفي الحقيقة إنه يزيد عن هذا العدد أيضاً اذ يقدر العارفون سكان دمشق بمائة وستين ألفاً . وعلى هذا يقاس ما ذكره عن عدد نفوس بقية البلدان الكبيرة في الزيادة والتقصان كحلب وبيروت وحماة وغيرها ولو اعتمد في النقل على سائحات الدولة الرسمية لكانت خدمته العظيمة أتم وضعه الجليل اكل وانتقد عليه أيضاً عدم تعيينه درجات المرض للبلدان الكبيرة بالتفصيل أو الاقطار بالإجمال ولو فعل لأغنى المطالع عن مراجعة الخرائط الموجودة في الكتاب لمعرفة

عرض كل بلد أو قطر كما فعل غيره في كتب أصغر من كتابه . وانتقد أيضاً اختصار الكلام في المملكة النمائية وهو يرجو كثر جوان يضع لها كتاباً مخصوصاً

باب الخبيرة في الدولة

الدولة العلية ومكدونية

نجم من عدة أشهر ناجم من الثورة في بلاد مكدونية فشخصت له أوروبا وأسرت روسيا والنمسا الى الدولة العلية بالتصحيحة والحث على تلافي الأمر والمصارعة الى إصلاح البلاد ووضعنا الإصلاح (لأئمة) عرفنا بها سائر الدول ثم قدمناها الى الدولة ملحقين في المبادرة الى قبولها فلم تلبث الدولة أن قبلتها على علانها خلافاً لاعتها في التريث والتي . ومن موضوع اللائحة وجوب استعمال الأوربيين في الإصلاح لانه لا تقهلاً وروبا رجال الدولة . وقد ساء هذا مشعر الألبانيين ، ولم يقع موقعه من نفوس معاشر المسيحيين ، لأن نفوسهم طمعت بالاستقلال ، فكل ما دونه يمد عندهم من الأعياب الأطفال ، كان في أثر ذلك أومعه حركة في البلغار وهزة في السرب وطاف في الأذهان ، ان هذه الفتنة ستم بلاد البلقان ، وظهرت من بعض الدول العظام أمارات الاتفاق مع روسيا والنمسا ومن بعضهن علام السكوت وعدم المعارضة . واحتلفت الظنون في نية روسيا فخرج بعض الى ترجيح كفة السلم من جانبها بدليل نصائحها المتتابعة للبلغار بين وغيرهم من شعوب البلقان بان يخلدوا الى السكينة ، ويتفوقوا ظلال الهدون والمسالة ، ومال بعض الى ترجيح كفة الحرب بدليل التقاليد القديمة التي وضعها بطرس الأكبر في وصيته (التي نشرناها في الجزء الماضي) وما يصدق ذلك من أخبار استعدادها الحربي في هذه الايام

الحق أن لكل من الرأيين وجهاً وجباً وأن سياسة روسيا أصبحت دقيقة المسالك مشبهة الأعلام فينا ترى قيصرها ينادي بوجوب تعمير الأمن والسلام ، ومد ظلاله على رؤس جميع الأنام ، تراه يستعد للكفاح استعداداً صورياً ومعنوياً .

قاما للصوري في إنشاء الأساطيل وتكثير الأسلحة وإتقان العلوم العسكرية. واما المعنوي فبمحاربة بعض الدول القوية ومسالمة بعض . ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا خلال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يطمع ولا يطمع شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جدّ جدّها يكتفي . منها بلقمة كبيرة ياتهما ويتركها بعد ذلك وشاتها . ولا يطوف في خاطر عاقل أنه يسمح بمجندي الماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطمان ،

كانت قلوب المسلمين في المدين محوّمة فوق بلاد مراکش تؤلمها فتنة الخارج ، كائسواءها سيرة المالك . وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها هم أكبر من هم مراکش — هم الدولة المسامة الكبرى (وقها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا . فاذا كانت لا تريد سوءا فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراما ولا تخش مفيتة فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبة تتظر حينئذ استقلال مكدونية أو وضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير أوروبا بالمسألة الشرقية مذهب التفكير وتحليل العناصر . وهذا المذهب خير لدول أوروبا واسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتوح والغلب لأن هذا يعوزه الاتفاق على ما يمتسر الاتفاق عليه . ويتضي بذل اموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقين او المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر يخل من عناصر بلادهم وكل قطعة من تنقص أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي . فاذا لم يتملوا بشكرار النذر وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون بأين يبعثون

مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض لما تقدم ولأن التصارى فيها وفي جميع ما بقي تحت حكم العثمانيين . من بلاد أوروبا ومايدانها كبلاذ الأرمين قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا أن أوروبا نصيرة لهم وأن الذريمة الوحيدة لإنارة نمرتها عليهم وتقصيدها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأترك الى سفك قطرات من دماهم تأديباً لهم . ولعل أوروبا في مجموعها وروسيا خاضة جرائم فكر الاستقلال في البلقان في خاصتها تعجز عن ضبط حركة هذه الثورة التي تولدت وتأصلت ورسخت واندفعت عن بصيرة أو غير بصيرة . هذا ما يخشى على تقدير إرادة

روسيا إطفاء الثورة والاكتفاء بما طلبت من الإصلاح فكيف اذا كانت تريد شيئاً آخر...

ماذا يجب على الدولة أن تفعله في هذه الفتنة وماذا يجب عليها أن تفعله في نفسها لأجل مستقبلها . اما الأول فالظاهر أن الذي تفعله الآن من اجابة طلب روسيا والنسبة الى الإصلاح الذي طلبناه بدون تأخير ولا تأخير ومن اختيار الموظفين الاوربيين للإصلاح من الامم الاوربية الضعيفة ومن الاستعداد للكفاح اذا طرأ ما هو أعظم من ذلك = هو الواجب الذي لا يمكن غيره . وأما الثاني فإن الجواب عنه لا يفهم ولا يقبل الا بعد العلم بأمر كثيرة أهمها (مالية الدولة) وان لدينا رسالة مطولة أو كتاباً صغيراً في ذلك لأحد الكتاب العثمانيين مستقى من التنايع الرسمية واننا ننشره تباعاً في أجزاء . المنار ليصح للقارئ معرفة الدولة وما يجب أن تفعله لتتجو من الخطر . وان فهم حقيقة الدولة بما لا بد منه للمشتغلين بمسألة الإصلاح الاسلامي للمهذه الدولة من المكانة في الوجود ومن المكانة في نفوس المسلمين في جميع أقطار الأرض . ولهذا أخذنا على نفوسنا أن نكتب في كل جزء من منار هذه السنة شيئاً عن الدولة العلية من بيان حقيقة وجودية ورأي معقول نرجو الانتفاع به . ونختم في ذلك المدح والتم للاشخاص المعينين

﴿ سلطان زنجبار والأمير العربي ﴾

نحمد الله تعالى أن حفظ البلاد المقدسة في هذه السنة من الوباء والأمراض وقد كتب إلينا من مكة المكرمة بأن صديقنا الأمير العربي الكريم محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين قد كان له من الحفاوة والاحترام عن سيادة الشريف ودولة والي الحجاز ما يليق بمقامه وأنه قد وفق الى توزيع ألف وخمسمائة جنيه على علماء الحرم الشريف وخدمته وغمر بصداقته الفقراء والموزين . وأنه تبرع بمئة جنيه وعشرة جنيهات إعانة لسكة حديد الحجاز . وأن سلطان زنجبار تبرع لهذه السكة أيضاً بمئة جنيه وخمسة جنيهات ووزع على المجاورين والمستخدمين في الحرم الشريف ست مئة ريال (يوم)

﴿ تقييه ﴾

كل من قبل هذا الجزء من المنار فهو مشترك الى آخر السنة ويجب عليه دفع القيمة المعينة على غلاف المجلة . ونستني عمال البريد خاصة فنقبل منهم نصف القيمة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
بذكر الأول إلا بالآب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيسمعوا أحسنه أولئك الذين عددهم
الله وأولئك هم أولو الآلآب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الاربعاء غرة صفر سنة ١٣٢١ - ٣ مايو (نيسان) سنة ١٩٠٣)

المسحاة والخوارق

(المقالة التاسعة فيما ينبغي عليه التمويل)

علم مما تقدم ان الامور الغريبة التي تسمى خوارق عادات وعجائب
منقولة عن جميع الامم فهي واقعة حتماً ومنقولة بالتواتر اللفظي وبالتواتر المعنوي
وان ادعاهما كثيرون من الناس كذبا وتملأوا للاشهار بها تملأ . ثم ان هذه
الامور على ضربين - ضرب عرف عن أهله أنه صناعي يتوصل اليه
بالعلم والعمل كالسحر والشعوذة فهو من الخوارق بالنسبة الى الذين
لا يعرفون طريقه ولم يفتقوا على علله قال الله تعالى « يلمنون الناس السحر » وقال
عز وجل « يخيل اليه من سحرهم أنها تسمى » أي والحقيقة خلاف ذلك
التخيل وقال « سحروا أعين الناس واسترهم يوم » وقال حكاية عن فرعون
« إنه لكبيركم الذي علمكم السحر » . وضرب عرف عن أهله أنه ليس له
طريق صناعي يوصل اليه العلم وإنما هو وراء الاسباب . والثابت القطعي من
هذا القسم آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم الكلام عليها في
المقالة الأولى وفي الامالي الدينية . ومنه ما يدعيه أو يدعى لكبار رجال الدين
من أهل الملل والكلام فيه والمقصود منه بالذات ما عندنا معشر المسلمين

وقد ذكرنا حجج مثبتة الكرامات وحجج منكرها وأوردنا مارواه
المثبتون من الكرامات الماثورة عن الصحابة والتابعين وبيننا ما صح منها
وما لم يصح فليراجع كله في المجلد الثاني من المنار . وإننا نختم القول في
مبحث الكرامات بمسائل أكثرها مستفاد من المقالات السابقة وهذه
المسائل هي خلاصة رأينا في الموضوع فمن أنكر عليها شيئا فليكتب
إلينا مدلياً بحجته ونمده بأننا نشر ما يكتب بمعناه أو بلفظه إذا كان صحيحاً
ومختصراً وغير خارج عن محل النزاع استطراداً إلى مسائل أخرى . فإن
كانت الحجة ناعضة سلمنا وإن كانت داحضة بينا . ولا ينبغي لأحد أن
يرد علينا في الموضوع إلا بعد الاطلاع على المقالات التسع لتلايحت في
شيء سبق بيانه فيهمل كلامه

(المسألة الأولى) إن الأصل في كل ما يحدث في الكون أن يكون له
سبب وأن يجري على سنة من سنن الله تعالى في الخلق وهذه الأسباب مطردة
متى تمت شروطها (كما قال الغزالي) وتلك السنن ثابتة لا تبدل ولا تتحول
كما علم بالمشاهدة والاختبار ونص القرآن فهي مسألة اتفق فيها الحس
والعقل مع نصوص الشرع فهي قطعية

(المسألة الثانية) إن من قضايا العقول، التي نصها علماء الأصول، أن
الظن الراجح لا يهز العلم اليقين وأيد هذا القرآن أيضاً بمثل قوله تعالى
« إن يتبعون إلا الظن . وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً » وقوله عز وجل
« وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » وغير ذلك من الآيات الواردة
في إبطال عقائد أهل الزيغ والجنود .

(المسألة الثالثة) اجمع العلماء من الأصوليين والمحدثين على أن روايات

الآحاد المدول الثقات كالصحابة وإئمة التابعين المعروفين ومن عرف بالصدق وجسن السيرة مثلهم لا يفيد أكثر من الظن. وأجمو على أنه اذا روي عنهم ما يخالف المقول القطعي والمنقول القطعي كنس القرآن فإنه لا يتبدل بالرواية ولا يمول عليها الا أن يوفق بينها وبين القطعي متقولا كان أو مقولا فقط (المسألة الرابعة) ان العجائب والحوارق قد تقلت عن جميع الامم فليس من الصواب التضائل بينها وادعاء أن بعضها على حق وبعضها على باطل بسبب ذلك وإنما يجب تمحيص النقول وتحريرها فان الناس مولعون أشد الولع بالغرائب، وأكثر ما يتحدثون به منها كاذب،

(المسألة الخامسة) كما يجب تمحيص النقل والرواية يجب تمحيص المروي المنقول من الغرائب ليعلم أنه واقع حقيقة ولم يكن تخييلا للانظار. أو خداعا للأبصار أو الافكار،

(المسألة السادسة) قد كشف العلم أسبابا لأمر كثيرة كانت تسمى حوارق وكرامات فإذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئا من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي للرجوع لآلتاس الاسباب من مظانها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه، ولا وجه يمكن أن يؤل إليه، فهو الذي يصح أن يسمى خارقة أو أعجوبة والنظر فيه من وجحين - حال من ظهر على يده وإمكان قياسه على غيره

(المسألة السابعة) لثبوت الخارقة على ما ذكر طريقان الحس السليم والتواتر الصحيح وكلاهما غير جدا لان الحواس تتحدع حتى تكذب صاحبها فيما ترى وتسمع، وأمر التواتر أبعد في السر وصعوبة التحقق فان من شرطه ان ينتهي الى حجب محقق باليقين وقد علمت ان الحس يخدع في هذا المقام.

ومنها أن يكون النافلون لذلك الخبر المحسوس جمعا يستحيل في العقل السليم
تواطؤهم على الكذب واتخاذهم بما أدركوه بحسبهم وأن ينقل عنهم مثلهم في
كل طبقة من الطبقات. وإنك تري أكثر الناس يسمون الأئمة والمشهورة بينهم
متواترة لاسيما اذا كثرت تحدث الناس بها فاذا استقرت حلقات سلاسل
الروايات وجدها كلها معلقة في آخرها بحلقة واحدة وحلقتين او ثلاث مثلا .
وما انتهى الى واحد أو أحاد فهو خبر يحتمل الصدق والكذب لذاته وربما
رجحت الكذب في أكثر الغرائب المشهورة التي يسوقونها متواترة . الحق ان
الانسان متهم طبعاً بإذاعة كل غريب لاسيما اذا صادف هوى في النفس
أو طابق التعليل والاعتقادات المسلمة . فالحمد لله الذي جعل آية نبينا بينة قائمة
على وجه لدهر محفوظة من المعارضة والنقض ، مادامت السموات والارض ،
(المسألة الثامنة) إنك اذا بحثت في حال الذين يدعون الخوارق تجدهم
طلاب مال وطلاب جاه وأنهم يقصدون بما يأتون استرهاب الناس بما
يؤمنونهم من قدرتهم على إيذائهم متى شاؤا أو تعليق آلامهم بهم وإيهامهم
ان بأيديهم مناليد الرزق ومفتاح الخير أو الجمع بين الامرين حتى إنهم
جعلوا ارادة الله تابعة لارادتهم كما قالوا في الكلمة المأثورة عن الربانيين
منهم وهي : « ان لله عباد ، اذا أرادوا أراد » (هكذا يقولونها بالوقف على
العباد على لثة ربيمة) وينقلون عنهم من مثل هذه الجرأة على الله تعالى كلمات
كبيرة وأشعار أو أغاني تختلب قلوب العامة . وفي كتب الذائد التي تقرأ في
الازهر وغيره من المدارس الدينية (كخوashi الباجوري على الجوهرية
والسنوسية) ان خوارق العادات تظهر على أيدي جميع أصناف الناس حتى
الكفار والفاسق وتسمى اذا صدرت من هؤلاء على نحو ما يحبون استدراجا

لأنها تترجم بعام فيه من الباطل فيسترسلون فيه - حتى لامطعم في هدايتهم وإذا ظهرت على يد مستور الحال تسمى معونة - ويخضون اسم الكرامة بالخارقة التي تكون للمتمسك بالشريعة اعتقاداً ومخلاقاً وعملاً في الظاهر والباطن . وإننا نقول لمن يأخذون أنوال هؤلاء العلماء بالتسليم: إذا كانت الحوارق تقع على أيدي جميع طبقات الناس فلا يجوز الاستدلال بها على أن من تظهر على يديه محق في اعتقاده أو مرضي عند ربه ونما يعرف ولي الله تعالى والصالح من عباده بأمر واحد وهو مطابقة اعتقاده للحق المؤيد بالبراهين الصحيحة وموافقته في أخلاقه وسجاياه وأعماله السرية والجزرية لما أرشد إليه الدين والعقل من الفضائل والمنافع العامة والخاصة بقدر الاستطاعة . ونحن نرى العامة يسيحون لمن يجري عليه يديه شيء من الغرائب جميع المنكرات فهم يحكمون خوارقه في حاله من الاعتقاد والعمل ، والعلماء يحكمون حاله في خوارقه . فقد تناقض اعتقاد العامة مع اعتقاد العلماء ولا نرى أحداً منهم ينكر على الآخر ولا يجذبه إليه لأن حرية الإسلام قد انقلبت إلى فوضى بعد ذهاب منصب الخلافة وتولية الجاهلين بالدين أمور المسلمين

(المسألة التاسعة) من رأى بينه خارقة للمادة أو نقلت إليه بطريقة التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعاً ولا تخيلاً وعلم أن من ظهرت على يديه ليس من أهل التليس والشموذة ولا من طلاب المال والجاه واستمالة القلوب إلى الاعتقاد به وصعب عليه أن يحملها على وجه من وجوه التأويل الآتية فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول: إن كثير من الغرائب وخوارق الماديات المألوفة قد كان يظن أنها خارجة عن نظام الخليقة وسنن الكون ومتثرة من سمط الأسباب التي تنظم بها المسييات ثم ظهر

أنها لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية ، ولا ناذة من دائرة الاسباب
الكونية ؛ وهذا الذي أراه الآن ، هو مثل تلك في ذلك الزمان ، فيجوز
أن يظهر له مثل ما ظهر لها من السبب ، وتزول الغرابة ويبتل العجب ؛
وهذا الرأي هو الذي عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنهم
ليتوقعون ظهور علل جميع الغرائب التي حدثت في العالم حتى معجزات
الانبياء عليهم الصلاة والسلام

(المسألة الماثرة) اذا فرضنا أن العلم اظهر لما يؤثر من المعجزات
عللا روحانية وأسبابا خفية فلا يهمن وام ان ذلك قدح في النبوة او ظهور
ابطالها . كلا إنه إن تحقق فلا يبعد ان يكون تحققة مظهر الحقيقة النبوية كأن
يتبين ان الارواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى
الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كإحياء الموتى وقلب المصا
حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لأن الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من
سننه الظاهرة والخفية وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى
يتصرفون فيه بمشيئتهم وإرادتهم متى شاؤا وكيفما شاؤا وإنما كانوا يتبرؤن من
حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ويقولون انه واقع بأذنه
وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان وكانوا لا يعطون الآيات الا
بعد معاندة ومجادلة من قومهم وإلحاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن
البشر في افعالهم السيية وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم
تكن هي الصعدة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووجوه
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم جاءتهم

رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لنفي شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم اني الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدوننا عما كان يصد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين .

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان تأييدكم سلطان الا بذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .»

فهذه هي سنة الله في الانبياء والامم - يدعو النبي قومه الى الله بالبينه وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونه فيتبرأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخفهم بها فيخضع له المستعد لقبول ذلك ويemand الآخرون فتحقق عليهم كلمة العذاب. قال تعالى « وما نرسل بالآيات الا تخويفا » . فاذا فرضنا ان العلم أظهر سيئاً معقولا لآيات موسى عليه السلام فهل ينافي ذلك انها كان تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني اسرائيل الى طاعة موسى بالارهاب اللائق بامثالهم في بلادهم وجفوتهم؟

نعم ان ما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يخرج على صحته الا بالمعائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في صحة كتابهم، أولئك الذين ينعقون في كل بلاد إسلامية: إن القرآن لم يثبت لحمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) المعائب والحوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة: فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحربية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربى في قريظة جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونها تأييدا إلهيا، وبرهانا على صدقه قطعيًا، وانما البرهان عندهم تلك الحكايات التي يتناولونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها

(المسألة الحادية عشرة) يؤيد ما ذكرناه في معنى آيات الانبياء وكونها لم تكن براهين لإثبات الدين ما جاء في الباب الثالث عشر من تنبيه الاشتراع آخر أسفار التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهو (١) إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلنا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبد لها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب الهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم « وما جاء في الباب السابع من انجيل متى وهو : « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تدبنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ حينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم » وفي الباب ٢٤ منه « لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويمطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لوامكن المختارين ايضا » فلم من هذا ان اليهود والنصارى يجب ان يوافقوا علماء الكلام من المسلمين على ان الحوار الكونية ليست دلائل برهانية قطعية على اصول الدين وعقائده وصدق دعائه كما أوضحنا ذلك في الدرسين ٢٩ و ٣٠ من الامالي الدينية (راجع ص ٢٧١ و ٢٨٨ م ٤) وقد اختلف المتكلمون في دلالة المعجزة على النبوة هل هي عادية او عقلية او وضعية وقد رجح الأخير بناء على انها بمعنى تصديق الله لهم بالقول (المسألة الثانية عشرة) سبق في المقالات الاولى أن أصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بأن الاولى لا بد أن تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي والثانية لا تكون كذلك وبأن الاولى يجب اظهارها لإقامة الحجة ، والثانية يجب اخفاؤها خوفاً للمتمتع،

وزاد بعضهم كالقشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى أن الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحيا الموتى وإنما تكون فيما دون ذلك كشفاء مرض ومكاشنة خلافاً للقول المشهور ما جاز أن يكون معجزة لئلي جاز أن يكون كرامة لولي ، ولقائل أن يقول جمعاً بين القولين : إذا جاز ذلك في تصور العقل ، فانه ما وقع ولا يقع بالفعل ،

(المسألة الثالثة عشرة) قال الشيخ محي الدين بن عربي أحد أئمة الصوفية ان خارق المادة لا يتكرر فان كل ما يتكرر يكون معتاداً سواء عرف سببه أو لم يعرف . وهذا القول معقول وهو يقضي القضاء المبرم على تلك الزخوف والفيالق من حكايات الكرامات التي يحارب بها العامة عقلاء الناس الذين لا يستخذون ويخمنون لاؤلك الجهال الذين يدعون الولاية بحجة أنهم في كل يوم يخبرون الناس بالمنيات ويبرؤن المرضى من الأسقام ببركاتهم ونحو ذلك . ويسمون هذا على تكراره كل يوم كرامة وما هو بكرامة وإنما بعضه كذب واختلاق وبعضه واقع بالأسباب التي سننبه عليها ولاكنه أسند الى غيرها أو ادعي فيه الكرامة (للمسائل بقية)



دعوى صلب المسيح

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

جاء في الجزء الاخير من الجريدة البروتستنتية نبدان في الطعن بالإسلام إحداها محاوره في صلب المسيح ، والثانية طعن في القرآن وفتح ، وقد كانت هذه المجلة تطعن في الإسلام وكتابه ونبه مع نبي من الأدب ونراها في هذه المدة هتكت ستر الأدب ونجاوزت حدوده مع أننا كنا نرجو ان يزيد في تحريره بعدما أسند تحريرها الى نقولا أفندي روفائيل الذي نرفه دمثا لطيف الثمائن ولكنها نشوة الحرية في مصر ، والشعور بصغف نفوس المسلمين في هذا القطر ، فلما في نفوس هؤلاء الدعاة الى

التصارية ما لا تفعل الحجر، فصار الواحد منهم اذا نسب الافراء الى سيد الانبياء بالتصريح وكتبه ونشره يرى نفسه كأنه قد جلس على كرسي ميناكس الاول أو رعمسيس الاكبر ونحن نقول ان الحرية تنفع الحق ولا تضره وإن سوء الادب يضر صاحبه ولا ينفعه وإن الشعب الضعيف قد يقوى بشدة الضغط المعنوي عليه فيتنبه الى التمسك بحقه والدفاع عنه وعند ذلك تزهق الأباطيل . واننا لم نطلع على ما ذكر الا بعد تهيئة أكثر مواد هذا الجزء من المناقشة فاختصرنا مقالة الحوارق والكرامات وكتبنا بدل تهيئة هذه الكلمات ، ورجي تنفيذ أقوالهم في القرآن الى الجزء الثالث من المناقشة ونخص كتابنا هذه في مقام ذلك الحوار ،

ذكرت المجلة ان الحوار كان في مكتبة البروتستان في السويس بين محررها وبعض المسلمين وان المسلم احتج بالقرآن على نفي الصلب فأجابه المحرر :

« هب أنك كنت معاصراً للمسيح ومن يعرفونه شخصياً وحضرت في مشهد الصلب خارجاً أو شليم فماذا كنت ترى؟ قال : كنت أرى ولا شك المسيح مصلوباً كما رآه الجمهور : قلت : وماذا يكون إيمانك ويحك حينئذ ؟ قال كنت أوقن وأؤمن وأشهد أنه صلب حقاً كما أبصرت بعيني وأبصر الجمهور في رائحة النهار

« قلت : افترض أنك فيما أنت مؤكد بهذا التأكيد عن صلب المسيح وأذا برجل أمي من العرب أولئك القوم المشركين يقول لك انت المؤمن وقد مضى على حادثة الصلب نحو سبعة عشر سنة عبارة القرآن هذه « وما صلبوه وما قتلوه » (كذا) فهل تستطيع أن تكذب عيانك وعبان الجمهور وتصدق خبر هذا الأمي ودل الخبر أصدق من العيان

قال اذا كنت أعلم ان هذا الأمي المكذب للعاب رسول الله فأصدق خبره وأكذب عياني وعبان الجمهور لأن الله أعلم منا بمخالفات الأمور

قلت : وهل علمت ان رسول الله وان هذه العبارة من وحي الرحمن لا من تلقين الشيطان؟ قال : نعم علمت ذلك بدون شك : أجبت كيف علمته ؟ « قال ان محمداً (صلعم) لما بعث رسولاً أيده الله بالمعجزات الباهرة

قلت ليس لمحمد معجزة بدليل قوله « وما من شأن نزل بالآيات الا أن كذب بها الاولون » ولكن هب ان له معجزة وأنت رأيتها فبأي حق ترجع حكم حكمك في رؤية معجزات محمد على حكمه في رؤية صلب المسيح أو لست تعلم انه اذا رأى الله الناس شيئاً على خلاف حقيقته ثم كذب ما أراهم إياه لا يهود الناس يصدقونه

إذا أراهم شيئاً على حقيقته • تعالى الله عن ذلك السلاخ وهل هذا هو الدليل
القرآني الذي نحاول أن نتفي به حقيقة شهدت لها الكتب المقدسة من قبل ومن
بعد وأنها التاريخ والآثار وعابها جمهور عظيم من كل أمة تحت السماء ؟ • وعند سماعه
حيث لم يكن عنده رد عليها وأمسك عن الكلام وخرج هو وأصحابه

«وعدا ذلك اعلم أيها القارئ العزيز أن عبارة القرآن • ولكن شبه لهم • منقولة
عن بقايا فرقة صغيرة من النصارى قد مرقت عن الحق يقال لها الدوسيتيين الذين
اعتقدوا بلاهوت المسيح تماماً كما تعتقد النصارى اليوم ومن البدء ولكنهم أنكروا
ناسوته وزعموا أن الجسد الذي ظهر به المسيح إنما كان صورة فقط لاحقيقة له أشبه
بظلال الخيال وأولوا الآيات الانجيلية التي تبين كون جسده كسائر الاجساد ما عدا
الخطية فقالوا عن نموه في القامة ما كان ينمو ولكن شبه لهم وعن تناوله الطعام قالوا
ما كان يأكل ولا يشرب ولكن شبه لهم وعن نموه وسائر أعماله الجسدية المشار إليها
في الانجيل قالوا لم تكن حقيقة بل شبهت لهم وعن صلبه وموته قالوا • ما صلبوه وما
قتلوه ولكن شبه لهم • فيحمد اذ سمع مقالهم بصلب المسيح صورة دون الحقيقة
ولم يكن يعلم المبدأ الذي ترتب عليه هذا القول بادر بالمصادفة عليه رغبة في تنزيه
المسيح عن الموت المهين ونكايته في اليهود والدليل على ذلك أن مقالة التشبيه هذه
لا يمكن أن تخطر مباشرة على بال غافل ما لم يكن لها مبدأ كالذي ذكرناه • اه

هذه هي المحذورة التي أورددهم بها ونقول له في الجواب: ان الاسلام يهدم الوثنية
التي غشيت جميع الاديان السماوية حتى يرجع الناس الى الدين القيم دين التوحيد القائم على
أساس الفطرة المتطابق للعقل حتى يسترف الناس ان الوثنية السفلى عبادة الحجر
والشجر مثل الوثنية العليا وهي عبادة البشر فهو يهدم كل دين بالبراهين الراجحة.
فكيف تقوى عليه هذه السفسة الفاسدة •

إذا فرضنا ان أجوبة المسلم له كانت قاصرة في معناها على ما كتبه فلا شك ان ذلك المسلم
عالمي غر • والظاهر أنه زاد في القول ماشاء وحرف فيه ماشاء كما هي عادتهم وكذلك
عليه المبالغة في تأكيد الصواب من المسلم بناء على ذلك الفرض ككلمة • كنت أرى
ولا شك • كلمة • كما رآه الجمهور • وكلمة • كنت أوقن وأؤمن وأشهد • ومن عادة
المتنكر اذا أقر بشيء على سبيل التسليم الجدلي الفرضي أنه لا يؤكد مؤكداً فكيف
نصدق ان ذلك المسلم انسل من هذه العادة الطبيعية العامة وغلا كل هذا الغلو في
تأكيد الصلب ثم انقطع عن المناظرة وتوهم أنه رأى المسيح مصلوباً حقيقة وحار

في التطبيق بين مشاهدته، وقول من قام البرهان على عصبه ، ! ! ونحن نذكر للكتاب البارع جواب المسلم العالم بدينه عن هذه المسائل

أما الجواب عن السؤال الأول فكل من يعرف الاسلام يقول فيه : انني لو كنت في زمن المسيح وكنت أعرف شخصه لجاز أن يشبه عليّ أمر تلك الإشاعة كما أشبه علي غيري وجز أن أعرف الحقيقة كما عرفها غيري فالتصاري انفسهم لا ينكرون انه وقع خلاف في الصلب وان بعض الاناحيل التي حذفها المجامع بسد المسيح بقرون كانت تنفي الصلب ومنها انجيل برنابا الذي لا يزال موجوداً رغمًا عن اجتهاد الصاري في محوه من الأرض كما محوا غيره . وإذا كانت المسألة خلافية وكان الذين اختلفوا فيه ملهم به من علم الاتباع الظن فما علينا الآن الا نأخذ بما قاله عالم الغيب والشهادة في كتابه المنزل على نبيه المرسل . وبهذا الجواب سقط السؤال الثاني وجوابه وكذلك السؤال الثالث . ومع هذا نقول ان السؤال الثالث غير وارد بحال فانه ليس عندنا مسألة مشاهدة وجاءنا رجل أمي من المشركين يكذبها ولو وقع لنا هذا لكذبنا المشرک الامميّ وصدقنا بصرتنا . وانما عندنا مسألة تاريخية اختلف فيها الناس وظهر فينا نبي أميّ بافئاد جميع الأمم ولكنه علمنا الكتاب والحكمة وهمد الشرك والوثنية من معظم الممالك بقوة إلهية أعطاه الله إياها . ومما جاء به حل عُقْد الخلاف بين الملل الكيرة ومنها هذه العقدة فوجب اتباعه في ذلك

ومحجب من نصراني يفتي دينه على التسليم بأقوال مناقضة للحس والعقل في كتب ليس له فيها سند متصل ثم يحاول هدم كتاب سبائي منقول بالتواتر الصحيح حفظاً في الصدور والسطور بمعمل وهمي وهو فرض أننا رأينا المسيح مصلوباً وما رأينا مصلوباً والفرض للوهوم ، لايس الثابت المعلوم ، يقول هذا النصراني ان التوراة التي يحماها هي كتاب موسى من الله تعالى وكله حق . وفي هذه التورات مسائل كثيرة مخالفة للحس والبرهان العلمي فكيف يؤمن بها ؟ كيف يؤمن بقولها ان الرب قال للاحية : وراًباً تأكلين كل ايام حياتك ، وهذه العبارة تفيد بتقديم المفعول أنها لا تأكل كل غير التراب وقد ثبت بالمشاهدة انها تأكل كل غير التراب كالخشرات والبيض ولا تأكل التراب مطلقاً . وكيف يؤمن بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان كلا من هذه الوحدة وهذا التعدد حقيقي ؟؟ وأمثال ذلك كثير في الكتابين

وأما السؤال الرابع فجوابه اننا علمنا أن محمداً رسول الله وان ما جاء به وحى من

اننا قبل ابراهيم القلعية ومنها ما أشرنا اليه آخفا في مقالات الكرامات والحوار وراجع
 المسألة العاشرة وقررناه بالتفصيل. في مقالات سابقة... وأثبتنا آخفا من نص
 توارثكم وانجيلكم ان الآيات. والمجائب الكونية لا تدل على النبوة وانها تصدر على
 أيدي الكذبة والمضلين

هذا إذ سلمنا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤت الآيات الكتاب العلمية.
 وما كان عليه يديه من الهداية العملية وكلاهما يدل على نبوته كما تدل المؤلفات التفيسية
 في علم الطب والمعالجات الناجحة النافعة على ان صاحبها طبيب بخلاف عن المجائب
 إذ جعل دليل على ان صاحبها طبيب قل لا يتخذه به الا الجاهلون لأنه لا علاقة بين
 معوفاة الطب وبين عمل العجوبة. وللمسلم ان يقول ان النبي الاعظم صلى الله عليه
 وآله وسلم قد أوتي آيات كونه كثيرة ولكنهم لم يجعلها هو ولا أتباعه من بعده
 عمدة في الشعوة الى يومه لأن دلالة هذا النوع من الآيات أضعف ولأن خاتم النبيين
 جاء مخاطب العقول ويؤيد العلم ويحدد الأساليب ويبطل السحر والكهانة والعرافة
 والدجل ليرتقي الانسان بعلومه ولا يستغنى عن عبادته تعالى

وأما قوله تعالى «وما ننسخ من آية إلا بأن نزل بها آية أولى» فهو
 مخصوص بالآيات التي تقررها الأمة فمعرض الآية فيه للشك بدليل مدرؤاه أحمد
 والنسائي والحاكم والطبراني وغيرهم في سبب نزوله وهو أن قريشاً افترقت على النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل لهم الصفة ذهباً وأن ينحني عنهم الحبال فيزربوا
 ولا ينحني أن هذه أسئلة تفت وعناد ولا فلاية أو الآيات التي أيده الله تعالى بها يقية
 لم يصدروا على مصادقها ولا نقضها. ولما طلبوا أية غير ميت كما هنا نزل قوله تعالى
 «أولم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم»

وأما قول القصاصي إن محمداً أخذ إنكار الصلب عن الدوسنيين فهو من القوم
 الذين يوضع عنهم المسلمون ككتلة كريمة ينسبته خليفة من خلائق هؤلاء المعتدين من دعاة
 التصاريح وطريقهم في الاعتراض على القرآن وهي أنهم يقولون فيما ورد فيه عن الانبياء
 والأئمة بما هو معروف ويسترف به أهل مذهبهم: إنه أخذ عن علي وليس وحياً من الله
 وفيما هو معروف عند غيرهم ولم يوافق أهواءهم أنه مأخوذ عن الطائفة الفلانية الكاذبة
 الضالة المبتدعة وليس وحياً وفيما لا ينفرد عنهم ولا عند غيرهم كالأموال التي جعلت ناربخها
 وأبدرت رسوماً: إنه غير صحيح ولا وحى لأنه لا يبره أحد: ولا يخلو الكلام

في الآثم من هذه الأقسام والتي الأبي لم يتعلم من أحد مذاهب الالام وآراء الفرق المختلفة لأشمل يكن في بلاده من يعرفها ولا تعلم يكن يعرف غير لغة قومه الأسيين الجعليين ولأنه يهولون طائفة في كلما يقول وتدين بل تسع للوحي المنزل عليه من الله ولله علام الغيوب . وإن ثلث في هذا المقام تنبها آخر وهو أن اعتداء هؤلاء للمتدين على للإسلام وتصدينا الرد على أبطالهم عقبة في طريق الدعوة إلى الاتحاق بولادة الضمن والاعتناق والتماون على عمارة البلاد فإن المسلمين يطعمون أن هؤلاء الطلغضين في للإسلام مستأجرون من قبل الجمعيات الدينية لتشكيل طمة المسلمين في دينهم وإهانة كتابهم . ونبيهم وأن هذه الجمعيات تنفق على دعائها في كل سنة أكثر من ثلاثة ملايين جنيه لأجل هذا الفرض ونتيجة هذا أن النصارى يجمعونهم لا يمكن أن يرضوا عن الأمة الإسلامية حتى تسع منهم فالذنب في كل عداوة ونشفاق على النصارى دون المسلمين ولما ردتنا عليهم وتصدينا لبيان أبطالهم فلا ينبغي أن يكون له تأثير سيء في النصارى لأنه هفاج لا اعتداء فإن رد للشبهات الواردة على الدين فريضة دينية على جميع المسلمين لاذالم يقم بها أحد كانوا جميعاً عصاة لله تعالى فاسقين عن أمره فحين دفع الحرج عن نفسنا وعن جميع المسلمين في هذه البلاد بحكم الاعتقاد للالك لبروحنا وللمصرف في إرلدتنا وهم ليسوا كذلك . ومن البلاء أن هؤلاء الطلغضين لا يؤثر فيهم البرهان لأنهم لا يطلبون الحق ولا يطلبون الملك فلذا استطعنا إسكان غيرهم عن يكتب لمنفعة شخصه فلا يتيسر لنا لسكانهم لأن منهم شخصه الشخصية مرتبطة بهذا الطمن . ولذلك نضطر إلى الرد عليهم دائماً عملاً بالواجب المحتم علينا في الدين فلا يلومنا عقلاء النصارى الذين عرفوا مضرة التعصب للذمم بل يجب عليهم أن يسعدونا عليهم بخطبتهم في سيرهم . وإن كانوا راضين منهم فهم أنصارهم وأوليؤهم والله ولي المؤمنين

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

معجزات نبينا عليه السلام : (س) علي افندي مهيب بتفتيش عموم التلغرافات بمصر : أرجوا أن تبنوا لنا كل المعجزات الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن الشريف لأن الناس في اختلاف كثير فيما جاء عن معجزاته عليه الصلاة والسلام وسيكون قولكم هو الفصل في هذا الموضوع جزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً : (ج) ان آيات النبوة أهم من المعجزات فمن آيات نبوته بشارت الأنبياء السابقين

وهي لا تسمى معجزات وان في مكتبة الفاتكان برومية إنجيلاً مكتوباً بالقلم الحديدي قبل بثة النبي عليه الصلاة والسلام وفي هذه العبارة مجرورها « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » ثم ان معجزة القرآن تتضمن معجزات كثيرة كما علم من مباحث المنار السابقة وسندين ذلك في الأملالي الدينية والرد على شبهات النصارى. والظاهر انكم تسألون عن المعجزات الكونية لا العامة والادبية. وهذه كثيرة جداً ومستفيضة. ولكنها لم تجعل عمدة في الدعوة الى الاسلام وطريق انبائه للحكمة التي بينها في مقالات متعددة آخرها المقتلان الثامنة والتاسعة من الكرامات والحواري وأوضحها مقالة (الآيات اليناث على صدق النبوات) في المجلد الرابع ولهذا لم يمتن بنقلها الصحابة والتابعون لتقل عنهم بالتواتر وانما اشتهرت ثم تواترت من بعدهم وتنتهي اسانيدنا الى أفراد منهم فنقلها شيه بنقل معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام من حيث استفاضت على السنة للتأخرين ولم تؤثر الا عن أفراد من أهل القرن الأول . إلا أن نقل معجزات نبينا الكونية أضيف وأصح من نقل معجزات المسيح (عليه السلام) لأن لها أسانيد متصلة اشخاصها معروفون إذ وضع لهم كتب مخصوصة في تاريخهم ولذلك ترى الحديثين يقولون ان سند هذه المعجزة صحيح وسند هذه ضعيف وهذه ثابتة وهذه مكذوبة أو واهية لأن في سندها فلانا الذي كان يكذب في بعض الأحيان ، أو فلاان الذي كان كثير النسيان ، وليس للنصارى مثل هذه الأسانيد المتصلة : أما استقصاء ما كان سنده صحيحاً أو حسناً وما كان مختلفاً فيه لترجيح أحد الوجهين فليس جواب السؤال بحل له على أنه غير ضروري ويتوقف على مراجعة جميع ما نقل بأسانيد وتاريخ رجالها وهو كثير جداً حتى ان بعض المتأخرين ألف في المعجزات كتاباً يدخل في ثمان مئة صفحة ونيف

ومن المروى في الصحيحين خبر انشقاق القمر روياه كثيرهم عن جماعة من الصحابة ودفع العلماء ما اعترض به من ان ذلك لو وقع امره أهل الآفاق ونقلوه بالتواتر وان لم يذكروا سببه بأنه كان لحظة وقت نوم الناس وغفلتهم وأن القمر لا يرى في جميع الأقطار في وقت واحد لاختلاف المطالع وان بعض المشركين لما قالوا : هذا سحر ابن أبي كبشة فانتظروا السفار : وانتظروهم جاؤا فأخبروا بأنهم رأوا القمر من ليلتهم تلك قد انشق ثم التأم وبأنه يجوز ان يكون رآه غيرهم وأخبر به فكذب به من أخبرهم أو خشي أن يكذبوه فلم يخبر وليس بضروري ان يراه في تلك اللحظة

علماء الفلك على قلوبهم في الجهة التي رؤي فيها . ولكنني لأذكر ان أحداً أجاب عن كون هذه المعجزة كانت مقترحة مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يبط الآيات المقترحة لأنها سبب نزول العذاب بالأنم إذا لم يؤمنوا . وقد روي أن انشقاق القمر كان بطلب كفار قريش ولا أذكر لهم أيضاً جمعاً بين آية « اقتربت الساعة » وانشق القمر ، وآية « وما ننننا أن نرسل بالآيات الا ان كذبها الاولون » ، ولا بد من تأويل لحداهما وقد أول بعضهم الأولى فقط وليس هذا المقام مقام التطويل في هذه المباحث ومن المعجزات الواردة في الصحيح أيضاً إطعامه عليه السلام الثغر القليل من الطعام القليل جداً رواه الشيخان وغيرها من حديث جابر ومن حديث انس وقد وقع ذلك مرات كثيرة . ومنها نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم حتى كفى الجيش وقد تكرر هذا أيضاً وبعض رواياته في الصحيحين . وقالوا إن هذه المعجزة اعظم من انضجار الماء من الحجر على يد موسى عليه السلام فان من شأن المياه ان تنبع من الاحجار . ومنها الاخبار بالتيوب في وقائع كثيرة جداً وبعضها في الصحيحين وغيرها كقوله « وجع عمار قتله الفئة الباغية » قال السيوطي في الخصائص هذا متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر وقد قتله فئة معاوية عند خروجهما على امير المؤمنين عليه السلام ولما ذكر لهم الحديث لم ينكروا لان منهم من كان يرويه . قبل هذه الفتنة كمرو بن الماص ولما اولوه بتأويل يخيف فقالوا : انما قتله من اخرجه : ويلزم من هذا ان يكون النبي عليه الصلاة والسلام هو القاتل لعمه حمزة ولسائر اصحابه الذين دافوا معه عن الدين . وتروى هذه الحجة عن امير المؤمنين كرم الله وجهه

ومن اللطائف في هذا الباب ما رواه ابن سعد في الطبقات من طريق عمارة ابن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة الجمل وهو لا يسلم سيقاً وشهد صفين وقال أنا لا أضل أبداً حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قتله الفئة الباغية » قال فلما قتل عمار قال خزيمة قد بانت لي الضلالة ثم اقترب فقاتل حتى قتل :

ومن قيل حديث عمار قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن عليه السلام « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني عن أبي بكر عن الحسن . ومع

ومما جئني الجنبع الذي كان يخطب عليه رواء البخاري وغيره وقال التاج السبكي إنه متواتر كان شقاق القمر روي عن نحو عشرين مجتاهداً من طريق صحيحة وتفصيل الوقائع التي كانت فيها هذه الآيات يطول فليطلب من مواضعه... ومنها إيراد كثير من الملاحظات والأمر لضعف المراس أو التقلد ولو أردنا أن نذكر كل من المحدثين في بعض أسانيد المعجزات التي لم تصح - كقول ابن كثير في حديث إحياء البنت الميتة أنه منكر جداً وقول ابن الجوزي في حديث نطق الحمار أنه موضوع وقول للزني في حديث نطق الضب لا يصح إسناداً ولا متناً إلخ - لكانت عبرة للموافق والمخالف في تحري المسلمين وتبنيهم في نقل معجزات نبينهم فليأتنا المخالفون بضبط كهذا الضبط وأسانيد كهذه الأسانيد فيما يروون عن رسولهم ووقدسهم ثم ليحبسوا على حلتنا بمجتبئهم وغرائبهم . وفرق أكبر من هذا بيننا وبينهم وهو أنهم إذا عجزوا عن إثبات عجائبهم لا يبق لهم شيء ونحن عندنا آيات الله الكبرى - القرآن والعلم الأجل من الأمل وما يشم ذلك وبهذا القدر كفاية

• الدولة العلية ومالياتها •

(بقلم المؤرخ العماني صاحب التوقيع الرمزي)

إن بالمال قوام الدول، وعزها وقد كثر الكلام في إصلاح الدولة العلية ما كان منه، وما يجب أن يكون وأكثر التكميلين في ذلك على جهل بمحققة الحال فأرأينا أن نكتب في مالية الدولة وأحوالها كتاباً نستفي مسائله من الموارد الرسمية

لا يظن ظان أن الحل في مالية الدولة حديث بل هو قديم يصعد تاريخه إلى أواسط حكم السلطان عبد العزيز وأنما زاد في الأدوار الأخيرة الإسراف والترف من جهة وسوء سلوك المستخدمين تحصيل الاموال من جهة أخرى فسرى داء الحل في سائر فروع الحكومة حتى استعصى الداء وعزّ الدواء، وأنشأت الخزينة العثمانية يضرب بها المثل في الإفلاس، وصارت تؤخر دفع رواتب المستخدمين أشهراً متصلة فكان لذلك ضرر عظيم حتى على سياسة السلطنة إذ لو كانت الحكومة تدفع رواتب المستخدمين في أوقاتها لكافي

الحكومات المنتظمة لما كان الظلم وصل الى هذا الحد ولما كان ظهر هذا التآلم العلم والشكوى من الحكومة وأعمالها ولما كان للاجانب منفذ للتدخل في شؤون الدولة الداخلية . وبالتيم يتدخلون لمصلحة جميع رجال الدولة بدون تفرق بين الملل والاجناس . انما يتدخلون انصاراً لفئة دون أخرى . فاذا كان المستخدم لا يقبض راتبه في السنة سوى شهرين أو ثلاثة شهراً فلا بد ان يظلم العباد لسلب أموالهم حتى يسد رمقه ويرمق عياله وأولاده . على ان أكثر صغار المستخدمين في الحكومة العثمانية هم من أفقر الناس لا يملكون شروى فقير سوى الراتب الرسمي الذي يجده قليلاً جداً بالنسبة الى الوظيفة .

وكثيراً ما نسمع بأن الحكومة ألقت لجنة لاييجاد طريقة تعطى بها الرواتب لأربابها وبعد ان تقدم تلك اللجنة بضع جلسات وتقترب بعض شذرات عن أعمالها في الجرائد يخفي أثرها ولا يعود لسمع لها ذكر حتى تنقضي شهور فتزف الجرائد حينئذ النيا بشرى تأليف لجنة أخرى بناء على إرادة سنية ولمر حتى الآن نتيجة لتلك اللجان الكثيرة العدد .

تقسم دواوين الحكومة من حيث دفع الرواتب في خمسة الدوائر الى ثلاثة أقسام قسم تعطى رواتب مستخدمي كل شهر بصورة منتظمة مثل نظارة البوستان والتعارف وأمانة الرسومات (الجمارك) وما يتبعها من الفروع ونظارة الدفتر الخاقاني وصندوق الدين العثماني والبنك الزراعي ولهذا السبب يتهاطل طلاب الاستخدام على الدواوين المذكورة تهافت الخياض على القنصاع .

وقسم يقبض ثمانية أو تسعة شهور في السنة ومن هذا القسم وزارة المعارف ووزارة العدلية : الحفانية . وأمانة الشهر : مشيخة المدينة .

والقسم الثالث لا يقبض الا أربعة شهور أو أقل مثل وزارة المالية والخارجية والداخلية . ويستثنى من هذه مصلحة النفوس ذات الربح لأنها تدخل في القسم الأول . وشورى الدولة ونظارة الضبطية ومستخفي الملايين الهنابوني ووزارتي البحرية والحربية وهذه الأخيرة هي أسوأ حالا من جميع الوزارات لكثرة المطالب عليها واتساع فقاتها وكثرة عدد الضباط النظام .

اما حالة المالية في الولايات فهي أسوأ منها بالمصلحة لأن الولاية يضطرون الى امتثال الأمر والى تصديقهم من الاستانة قاضية بأمر كل ما جرح عندهم من الدراهم قليلا كان أو كثيراً الى الاستانة وإذا لم يتمكن الحاكم من سرعة الامتثال يأتيه التوبيخ

بورا التوبخ حتى يزل من وظيفته شرعاً • فلذا ترى الولاة يتسابقون الى إرسال الدرامم الى العاصمة ولا يبقون عندهم لدفع الرواتب أوله مشروعات المفيدة شيئاً وقد كانت الحكومة في السنين الأخيرة اتخذت طريقة زعمت أنها ترضي الناس فما كان منها اتساع دائرة الحلل اتساعاً عظيماً واشتداد الأزمة المالية وهذه الطريقة هي إرضاء كل من يشكو أو يتألم من شيء أو ينتسب الى أحد العظماء بوظيفة عضو في إحدى المجالس أو بأية عطاء راتباً كبيراً يقبض وهو جالس في منزله والإيلاء بالرتب ذات الرواتب الكبيرة جزافاً بدون تفريق بين المستحق وغير المستحق • والجدول الآتي المستخرج من سجلات الحكومة النهائية لرسمية لسنة ١٢١٨ هجرية يظهر صدق ما نقول •

﴿ شورى الدولة ﴾

هذا المجلس ينقسم الى ثلاثة فروع : الأول دائرة الملكية والثاني دائرة التنظيمات والثالث دائرة المحاكمات •

ودائرة المحاكمات هذه تنقسم الى محاكم ابتدائية واستئنافية ومحاكم فيها أكابر المستخدمين الذين يرتكبون ما يحبط بقدر وظيفتهم أو يخل بمواد القانون وكان الأعضاء في مجالس شورى الدولة ثلاثة قبلاً لا يتجاوزون الاربعين اما الآن فان عددهم يزيد على مئة وخسين بينهم ٧ برتبة وزير و ٢٥ برتبة بالا وواحد برتبة صدر روم ايلي وواحد برتبة صدر اناطولي و ٢٠ برتبة أولى من الصنف الأول و ١٢ برتبة روم ايلي بكربكي و ٢٠ برتبة أولى من الصنف الثاني والباقيون من أصحاب رتبة التمايز فما دونها • ولا يخفى أن عضو شورى الدولة الذي هو أعظم مجالس الدولة الحائز لرتبة وزير أو بالا أو روم ايلي بكربكي لا يمكن أن يكون راتبه أقل من مائة وخمسين جنباً في الشهر وليس بين أعضاء هذا المجلس من قبض أقل من عشرين جنباً في الشهر فاذا فرضنا لكل عضو في المجلس • ومنهم أصحاب الرتب السامية وهم الاكثرون • ٤٠ جنباً شهرياً يكون المجموع ٦٠٠٠ جنب • هذا أقل ما يمكن تصوره للاعضاء ويزيد عليه رواتب المستخدمين من الرؤساء والكتاب وغيرهم

(وزارة المعارف)

يوجد في وزارة المعارف مجلسان يقال لأحدهما مجلس المعارف والآخر يسمى « آجمن فتيش » وكان هذا قبل أن تملأ الوظائف جزافاً يتألف من بضعة أعضاء مقتدرين ذوي اهلية واستعداد لإدارة معارف السلطنة بخلاف ما ترى عليه

أعضاءهما الآن ولا تخوض غمار هذا الباب لأنه ليس من خصائص رسالتنا هذه وربما عدنا إليه في رسالة أخرى .

أعضاء المجلسين اليوم هم خمسة وستون ماعدا الرؤساء وكتبة أقاليمهما وراتب كل منهم لا يقل عن ١٥ ج ولا يزيد عن ٥٠ ج في الشهر فإذا فرضنا لكل منهم ١٠ جنيهات يكون المجموع ٦٥٠ ج شهرياً . ولا يدخل في هذا الحساب رواتب الكتبة والرؤساء والمدارس التابعة لوزارة المعارف كثيرة جداً وأغلبها مجانية وهذا هو سبب الإقبال عليها . ويوجد في الاستانة وحدها ٤٢ مدرسة تتبع الوزارة المذكورة منها ست عالية وهي المكتب الملكي ومكتب الحقوق ومكتب الطب الملكي ودار الشفقة ودار المعلمين ومدرسة الفنون الجليلة وخمس تجهيزية واحدة منهم خاصة بالتجارة . وللبنات ثلاث عشرة مدرسة واحدة منها عالية وهي مدرسة المعلمات وثلاث للصنائع وتسع ابتدائية

أما مدرسة الصنائع للذكور فإنها تتبع ديوان الأشغال كما ان كثيراً من المدارس عالية وتجهيزية وابتدائية تتبع ديوان المعارف العسكري التابع لوزارة الحرب وسيجيء بيانه في الكلام على الوزارة المذكورة . ولهذه الوزارة في أغلب عواصم الولايات وبعض حواضر الألوية « الوعاظ في الولايات كالمديرية في مصر » مدرسة تجهيزية - ماعدا بعض الولايات الأسبوية - ومدارس ابتدائية وأما مراكز القضاء فقلما يوجد فيها مدارس والتعليم في المملكة العثمانية إجباري قانوناً وعملاً وكل من لا يلم ابنه أو بنته يعاقب حسب المادة الواردة في نظام المدارس فيجب والحالة هذه على الدولة ان تعتني اعتناء تاماً بإدارة هذه المدارس المهمل أمرها ويختار لها أساتذة مقتدرين ذوي كفاءة تامة وتحموهم بروحانياتها ونجملها على أساس متين كمدارس أوروبا مع العناية بالعلوم الدينية والعقائد وتنفيذ أحكام القانون القاضي بإجبار الناس على تعليم أولادهم وتنشئة مدارس ابتدائية في كل مركز قضاء ومدارس تجهيزية في حواضر الألوية وتكثر من مدارس الصنائع والتجارة في عواصم الولايات ولا بأس من فرض مبلغ جزئي على كل تلميذ نظير أجره التعليم ليساعد على نفقات المعارف .

ولهذه الوزارة حصة معلومة من أعشار الدولة قدرها اثنان في المئة غير إيراداتها الخاصة بها . فلو اتفقت هذه الاموال في الوجوه الموضوعة لها لمادت على الأمة بالنفع العظيم (لها بقية) (الثاني)

م . ق .

أناك ملكا لبرسية

• كتاب من صديق الى صديق في هذه الديار ، يصف له فيه حال بعض الأقطار •

سيدي الاخ اذا تذكرت مصر فلا تذكرها الابك ، واذا جنحت اليها فلا أجمع الا اليك ، قبي يهواك ولساني يذكر ك لائك مطلب الروح ومبتنى النفس • فان كرمك وحلمك وفضلك وعلمك ونبلك ونفرك — تلك نباشين المجد — جعلت لك سناء يخطف أبصار عشاق الخلال الكاملة وان لم يروك فبالك مولاي وانما ذلك الذي ملكك قلبه على ينة بعد درس جدك ونشاطك وعزمك وحزمك وعفتك ونزاهتك وغيرتك على دينك وشدتك في الحق ونزوعك الى نصرته — خلال تفوق عدد رمال الدهناء ، وتربو على نجوم السماء ، فكيف أتبين منك هذه الخلال العظيمة واستطيع مع البعد سلوا هذا وانني بين قوم تتعالى نفوسهم عن الحق ، وتجنأ جنوبهم عن ضامج الصدق ، لاهم ما توافوا — تراخوا ، ولاهم اتبهوا فاراخوا ، غشهم طائف من الجهل جعلهم يتحطلون في بعضهم بعض (١) كالذي يتخطه الشيطان من اللس حتى اضطرت ان أعصم بحبل النزلة وأزوي في ركن يبتقى على خلاف حادتي التي تعرفها • استمذروا هذه المخاطبة واحد من هؤلاء القوم لما هم عليه من النفاوة الزائدة والجهل للطبق والحق الشديد والمباذبة تعالى فلا بلاهة للمصري ولا غباوة السوري ولا استبداد التركي ولا جهل الأعجمي (٢) ولا غطرسة الأفغاني بأشد على نفوس العقلاء من تمخرق هؤلاء (٣) فان أولئك القوم مع مامهم عليه قد نجب فيهم أحرار أبرار يفرد واحد منهم بأمة كاملة فحيا الله بلاداً وسقيا لها ورعا تنجب أمثال عبده وعثمان (٤) والكواكبي ورفيق ورشيد وكمال ومدحت

(١) كان الصواب أن يقول : يتخط بعضهم في بعض : (٢) يريد بالاعجمي المجمي وهو من جنسه المعجم ويراد منهم الفرس وأما الأعجمي فهو نسبة من الى الأعجم وهو من لا يفصح في القول وان كان عربيا وينسب الى نفسه مبالغة • وظاهر ان هذه الاوصاف لا تنطبق كلها على الموصوفين بها (٣) ورد : تمخرق الرجل : أي موه وكذب واختلاف في أصالته في العربية ولم أجد تمخرق ولكنه مستعمل في الكلام العرفي الذي قلما تخلو منه الرسائل الشخصية الآن (٤) ظاهرا انه يعني بعبده الاستاذ الامام واما عثمان فهو الـكتور عثمان بك غالب العالم الطيبي المشهور . وقد فصل بين المضاف والمضاف اليه بالمعطف على المال في الثاني

وعالي وفؤاد والباب وقرّة العين وجمال الدين . وسحقاً لآمة (١)
مولاي: لا يستطيع القلم ان يصف لك ولو شيئاً قليلاً مما رزئت به هذه البلاد
من نكد الطالع وجهل الأمر وطيش حلم واغفر رأي بهذه الورقة الصغيرة ولكن لا اظنه
يخل عليك بيان رؤس منها ومنها تعلم البقية

(لنا علماء) ولكنهم جاهلون متكبرون متعابنون متفابون وهم آلهتنا (يريد أنهم
عبّدوا الناس باستعلائهم) حديثهم بطونهم وتديقاتهم ومباحثهم خاصة بمجانب النكاي
وكرامات القبور وعلمهم كعلم آلهة الاشوريين لا يزيد ولا ينقص ولا يحدد ولا يندعم
وهو محصور في تصرف أكمل يأكل أكلاً ١١١ وفي إعراب هذه الجملة : ليت لي
قطاراً من الذهب فأحجج به : وهو عندهم من تمنى ما لا طمع فيه أو ما فيه عسرو في
اكتشاف متعلق الجار والمجرور في إعراب البسلة وفي فرض وجه للحكم في عدة
زوج المسوخ هل تمتد عدة طلاق أو عدة وفاة وفي جواز تزوج الحني بالانسية
والانسى بالجنسية أو عدمه وفي اختراع نكت في التفسير في معنى تفاخر فرعون
بجريان الانهار من تحته في حكاية القرآن ففاصت أفكارهم في النهر ولم يوقف لهم
فيه على أثر ١١

اذا قلت لهم ان هذه أو هام في أو هام زبحروا واستكبروا ، ومنقوا شياهم
وطمروا . (٢) وصخبوا وفسبوا ، ويكوا وانحبوا ، وقالوا : هذا آخر الزمان : ووشوا عنك
انك كافر ، لا تؤمن باليوم الآخر ، واستمانوا عليك بمخطأ العامة فيسكتونك اماطوطا اما
كرها — طوطاذا وقتت بسجرك عنهم وكرها اذا وثقوا بقدرتك عليهم فاستعملوا معك
سلطة الحكومة (٣) التي لا يخل بها عليهم الدخلاء ، وربما كان ذلك من مقتضى سياستهم لأنهم
لا يودون أن يتبصر الناس ولا أن يرفعوا رؤسهم من شبكة الاستبداد . وهناك يحكم
القضاء ، ويمجرى البلاء ، وأين الصابرون الذين يوقون أجرامهم بشير حساب ؟

(لنا حكام) ولكنهم أميون جبناء متخاذلون ، إرادتهم شريعة قاهرة ، وحكمهم سلطان
نافذ ، لاراد لقولهم ، ولا مانع لحكمهم ، فالحاكم منهم يجمع في شخصه ثلاث سلطات فهو
. شرع منفذ مراقب كأنه المسيح عند النصارى يجمع في شخصه ثلاثة أقانيم . استغفر الله ، من

(١) ذكر هنا حاجته رأيتا السكوت عنها على فطاعتها إخفاء لتلك الامة
(٢) لأعرف هذه الكلمة الا في كلام العامة ومعناها انتقمخوا (٣) كان ينبغي
ان يقول فاستمانوا عليك بسلطة الحكومة

أين للمسيح المتهور أن ينال سلطة من السلطينين الاخيرتين ولو نالها تمكن بها على الأقل من تخفيف وطأة أكابروس اليهود . آه ! دعني أنفث الآهات حتي يفرغ الصدر فان الناس عندنا أرقاء ، وأسواق المحاكم اسواق الاسترقاق ، فلا قانون يزع ، ولا مسؤولية تردع حكامنا اما قضاة شرعيون وإما حكام سياسيون ، فالقضاة الشرعيون يتولون الحطة بعد دراسة تلك الكتب القديمة التي أخفى عليها الذي أخفى على لبدفعي أحدهم وانبا قليلا فيجديده بسائق الضرورة إلى الرشوة ويستعمل العبن في وظيفته ويجور ويبعد للدرهم والدينار لا يكتفي بأحدهما فلا يمر عليه زمن قليل حتى تتعدد مركباته بعدد أنواعها وتكثر قصوره بعد موافها ويكثر خدمه وحشمه وعبيده وجواره فلا الحدوي في مركبه ، ولا السلطان في موكه ، بأعظم من قاض شرعي في بلادنا ذاتمضي في الاسواق أو داخل المحكمة . هذا والعامه والخاصة !!! يتقدون أنهم ساجدة الرسول وشرع المصطفى وأن ما يحكمون به في الارض يبرم في السماء وإذا نظلم منهم مظلوم تقوم على رأسه للقيامه وتأتي عليه الآخرة بمذابها . أولئك يشيرون أنه مارق من الدين لا يرضى بالشرع ولا قبل حكم الله فيه فتكفره العامة وأنت أدري بماقبة هذا التكفير . على أن أهل الحل والعقد لا يجحدونه نفساً (١) ابتغاء مرضاة القضاة حتى يفسدوا الاحتلال في الشريعة وتأثت الأمة من نفسها القاضي لدى حكامها وتطلب استبدال الشريعة بالقانون (٢)

وليس رجال محامنا الأهلية بأقل خطراً على الأمة من قضاة الشريعة لأن مصدر تزيينهم واحدة ٥٥٥٥ . فأعمالهم بالطبع تكون متقاربة متشابهة ولا يكون هناك فرق بينهم اللهم الا في الشكل فان القاضي الشرعي يتردى بأردية الإهمال والكسل ، والآخر بلبس لبوس النشاط والعمل ، وهذه فاية الفرق بينهم

أما الأحكام فالقاضي الشرعي يرجع فيها الى قواعد مشتملة متضاربة متخالفة يطبقها على القضايا بحسب ما يراه والقاضي الأهلي يعتمد فيها العادات والاصطلاحات التي جرت عليها السياسة السالفة بدون أن يكون لديه قانون يرجع اليه ، أو دستور يؤتمل عليه ، فالطريقة الأولى كسبت صبغة الشرع اسماً ، وهذه أعطيت لقب القانون رسماً ، وفي الواقع لا شرع ولا قانون

(أحداثنا) هم مطمح آمالنا وزهرة حياتنا وهم ينقسمون الى قسمين قسم عامة وهم لا كلام عليهم . وقسم خاصة وعددهم لا يزيد على ربيع عشر ! نحن !

(١) المعروف « ما يجدي عنه » (٢) الصواب : استبدال القانون بالشريعة : أي جعل القانون بدلاً عنها وهذا مما يخلط فيه أكثر الكتاب تبعاً للجرائد

سدس ! خمس ! معشار الأربعين من مجموع الأمة • وهم يتقسمون على أنفسهم الى قسمين — قسم تربي في المهد الديني • • • وأهل هذا القسم عبارة عن مختصر أزهرى فهذا أيضاً لا كلام عليه • بقي الكلام على القسم الثاني وهو المراد من قولنا : أحدائنا هم مطمح آمالنا : فان هذا القسم مع قلة عدده وضمف مدده ليس بكامل التربية — هذا ان لم قل انه لاربية له — لأنه لم يتعلم شيئاً برقي ذهنه عن أفراد قومه وقاية مائلقته من التربية فشور طارية عن اللب كدرس اللغة الأجنبية ومبادي تقويم البلدان وقواعد من الطبيعة وشيئاً من الحساب وكل ذلك لا يخرج عن درس الاشياء التي يتلقاها تلامذة المدارس الابتدائية في البلاد المتمدنة ولا حظ له من تعلم اللغة العربية مطاقاً حتى يعرف أن لديه لغة وافرة المواد كثيرة المصادر لديها من ألفاظ موسعات العلوم مايكني للتفقيح نهضة جديدة اذا أفرغت في قوالها الحقائق المكتشفة ، والاخرات المتجددة ، وعلى فرض وجود من درس هذه اللغة فان معلوماته لم تتجاوز الحلقة الضيقة من التعليم الابتدائي فضلاً عن التتوي والعالي فهل معرفته لها والحالة هذه تجدي فضاء ؟ فهذا القسم الذي لظن فيه خيراً وتلق عليه آمالاً هو من العامة ولاشك (وأي فقع من العامة) وان ضرره أكبر من فقهه • ماثلنك يشاب دخل المدرسة ولا يدري أبواه ما سيتعلمه فيها وما سيكون من أمره نخرج منها متموداً التائق في اللبس والمأكل والمشرّب وحب الرياضة مع العوانس والأبكار والجلوس في المحلات العمومية للمقامرة والتسلي بالمشروبات الفولية وذلك بلارب يستلزم كثرة الاموال واتساع نطاق المكاسب فان كان غنياً بمر المال واستنزف الدينار استنزافاً ، وان كان فقيراً أهراق ماء الحياه وعبث بشرفه واسهان بناموسه وراء دريهمات يسدبها حاجات تربيته الجديدة الناقصة ؟ ومن بين عليه العبث بشرف نفسه فشرق أمته لديه أهون ولاشك

هذا ولا يمزب عنك ان هذه المفقدرات لجامعة الأمة والمحلات لتناصرها اذا كانت تدفعها يد ماهرة كيد الدخلاء فانها تلم بها من طرق مجهولة كثيرة الشباب وخطرهما متوقع لامحالة • وهذه الأخطار الحافة بهؤلاء القوم الساكنين ليست بذت زمن ولا منشأ سبب بل هي نتيجة اشتركت في ترتيب مقدمتها الأزمان والأسباب وصعب على عاجز مثلي أن يفهم هؤلاء القوم خطر موقفهم مادامت النفس غير قابلة والقلوب واهنة والبصائر مطموسة والحواس مغشوشة وثائرة الجهل قائمة • فنبها أحاول لإصلاح مافسد من أخلاقتهم ونجديد ما اخلولق من خلائقهم

ما يجدي الإصلاح في قوم يتقدون أن كل كلمة طيبة « هرقة » ، وكل كلمة حادة زندقة ، وكل خلق جديد كفر ، وكل سعى إلى الأمام ، خطوة من خطوات الشيطان ، ماذا يجدي الإصلاح في قوم ينتظرون خروج الدابة وقيام الدجال وظهور المهدي وزول المسيح وطلوع الشمس من مغربها ونفخة إسرافيل وهذه اشراط الساعة والساعة لا تقوم الا على شرار الخلق ؟ ماذا يجدي الإصلاح في قوم خلقوا أشراراً فجاءوا فساقاً ضللاً كتب الله عليهم أن يكونوا عاثين في الأرض مفسدين في السماء ؟ لا نشاء دولة وتكوين أمة أهون على نفوس الماين بالإصلاح من إصلاح أمة من الإسلام غفواً يا مولاي فاني قد أطلت عليك وحملتك ها على همك وزدتك غمّاً على غمك فلا تدني فصدري ضاق على اتساعه وحمل هموماً ناءت أمة كاملة بحملها فكيف يستطيع حملها ذلك الشكل الصنوبري ؟ فسل لأخيك قرب المخرج من هذه الديار ... فان العيش على شوك السيلاب في منقطع العمران لأهون عليّ من معاشره قومي ، ما تنكر شخص قومه كما تنكرتهم وما يسّ ساع لرشد كما يئست . قوم لو حاولت أن أحصي لك العقلاء فيهم لما أكلت شئنا الديدعاء . أليس هذا من بواعث اليأس ، ودواعي اليأس ؟ أهالل رادمنه [المثار] هذا كتاب رجل كنا نصفه أليم كان يئتنا بأكثر مما وصف به نفسه من سعة الصدر . كنا نصفه بأه لو فطرت السموات والشفت الأرض وخرت الحيايل هذا لما بالى ولا اهتمّ . وهاهو يشكو هذه الشكوى المرة من حال بلاده . أليس في هذا عبر لمن يقل ، أليس دال على الفرق بين هذه البلاد وغيرها فأن شكر النعمة من المنعم عليهم وأبن الاعتبار بالبلاء ممن حل بهم ، وقد ختم الكتاب بأن الرأي الوحيد في تحريك أذهان قومه نشر المجلات والجرائد النافعة والكتب المفيدة لمحب الله مقاصده وحباً له من المصطفين الأخيار من يشد عضده

بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَعْيَانِ

الدولة العلية والحرب

تستمد الدولة العلية للحرب لأن الفتنة في بلادها لا تزال تزداد وقد كنا في خوف عظيم من روسيا حتى أعطتنا الجوائب الأوروبية بعض الاطمئنان من جهة

روسيا نفسها ومن جهة الدول العظمى . أما روسيا فقد قررت ترك منشوريا بسبب العسر المالي والمسر لا يضرم ناراً للحرب محتاراً لاسبها اذا كان خصمه من أقرانه في ميادين الكفاح . وأما أوروبا فإننا نرى انكساراً تقترب من فرنسا وفرنسا تتقبل تقربها بقبول حسن ولا نرى سبباً لزيارة ملك الانكليز للجمهورية الفرنسية الا إقناعها بعدم إغارة روسيا على حرب تركيا بل عدم اجازتها على الحرب لما في ذلك من الخطر العظيم على أوروبا كلها . اما الحركات العسكرية التي تجريها روسيا فليست اكبر مما يعتاد في ايام السلم من الاستعداد والتمرين والله في غيه شؤن

فاذا كان استمرار بقاة مكدونية على نفهم وتماديهم في نورتهم انكساراً على البلغار والصر ب فلا خطر على الدولة من ذلك وهي قادرة على تدويجهم وان لم تستند من ذلك شيئاً لما علمناه من تمصب أوروبا. عليها واتفاق الدول الكبرى على منع المسلمين من الانتفاع من النصارى او التسلط عليهم ولو بحق . والناس يوجسون خيفة من تألب الاباليين وخروجهم امدم الرضى بمطالب أوروبا وروسيا والنسا تاحدن على الدولة بوجوب كبحهم واخضاعهم دون المكدونيين لأنهم مسلدون . ولعل حكمة مولانا السلطان تكفي الدولة مغتبهم بالقي هي أحسن

❁ ثورة مراکش ❁

لا يزال أمر الحار ج على سلطان مراکش في استفحال وقد طمع في الملك وتجرأ على خطاب بعض الدول بالاعتراف بكونه السلطان الرسمي لمراكش ويقال انه سيزحف على فاس وهذه عواقب الجهل والاهمال . وستنشر في جزء تال شروط الصاح بين صاحب مراکش ولويس السادس عشر ملك فرنسا اعلم من لم يقرأ التاريخ ان عهد مراکش بالفرقة والقوة غير بعيد

❁ فرنسا والجزائر ❁

كنا كتبنا مقالة عنوانها (فرنسا والاسلام) نصحنا فيها لهذه الدولة العظيمة بأن تعامل مسلمي مستعمراتها بالحسنى لتملك قلوبهم وتؤمن غائلتهم . ونحن نعلم ان فرنسا لم تكن مرتاحة الى تلك المعاملة القاسية التي كانت تعامل به مسلمي الجزائر ولكنها كانت ترى أنها هي الطريقة المتبعة وأنه يجوز أن يظهر لها خير منها . وفي هذه الايام قد زار الجزائر رئيس الجمهورية ويشر الاهلين بأن هذه الزيارة مبدأ معاملة جديدة مرضية وبالغ في استماله القلوب وطلب الائتلاف ولولا الزم على حسن الفعل لما

صدر عنه مثل هذا القول وما جزاء الاحسان الا الاحسان

﴿ المدرسة القضائية في السودان ﴾

علمنا ان حكومة السودان قد قررت إنشاء مدرسة لتخريج القضاة الشرعيين واشترطت في تلامذتها ان يكونوا قبل الدخول فيها معروفين بالاستمسك بالدين تخلقاً وعملاً وان يكونوا عارفين بما يجب معرفته من العقائد الاسلامية والمبادئ وصاحبي الامام بأحكام المعاملات . ومدة الدراسة أربع سنين والعلوم التي تلم فيها هي الحط الاملاء الحساب الهندسة تقويم البلدان التجويد والتوحيد والمنطق والحديث والتفسير والفقه وأصوله والنحو والصرف والبلاغة والإ إنشاء وتاريخ الاسلام والآداب الدينية وحكمة التشريع والقرينات القضائية والتوقيعات ونظام المحاكم وما يدرس فيها كتاب احياء العلوم وكتاب حجة الله البالغة

واننا نتمنى لو يبادر أولياء الامر في مصر الى مثل هذا العمل الذي كنا اقترحناه على مشيخة الأزهر من نحو أربع سنين فان داه المحاكم الشرعية في مصر لا يمكن برءه الا بتربية القضاة تربية تؤهلهم للقيام بأعباءه كما صرح به اللورد كرومر في تقريره وكما يعلمه كل قاطل بصير . وهذه الدولة العلية لها مدرسة مخصوصة لتخريج القضاة (مكتب التواب) وهي غير مدرسة الحقوق . فلما وجب على أولى الامر في مصر العمل بما كنا اقترحناه من انتخاب طائفة من نابغي الأزهر يعلمون فيه التعليم القضائي ليكون قضاة فان كارهناك مانع من نصب المشيخة فالتعين لإنشاء مدرسة مخصوصة لذلك واننا لتنسم من حكومة السودان أنها ستحيي الاسلام في تلك الاقطار وتقيم أحكامه فإن هي فعلت فلا شك أنها تملك جميع ما بقي مستقلاً من الممالك السودانية لأن المسلمين في تلك الاقطار شديدو التمسك بدينهم والتعصب له كأهل الجزائر فاذا قيدوا به سلسوا للاقياد ، والأصروا على المدوان والناد . وان لدينا نبأ من تقرير قاضي قضاء السودان عن المحاكم الشرعية يبشر بسير حسن وعاقبة حميدة ونية للحكومة سليمة وسننشره في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تليه ﴾

شاق هذا الجزء عن باب الترفيض ومنه نمة الكلام في انتقاد رسالة الشيخ محمد نجيت ولدينا انتقاد على عبارة في التفسير وموعدا في ذلك الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

فإنهم عبادي الذين يستمعون القول
فيسمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم الاربعاء غرة صفر سنة ١٣٢١ - ٣ مايو (نيسان) سنة ١٩٠٣)

« النبي العظيم »

آثار جديدة . هدم دين أو دينين . ملك أم الله . مذهب جديد في النصرانية .
قيصران ام نيبان . خطوة من اوربا . وثبة الى الاسلام . ظهور آية من آيات القرآن .
حيا الله التاريخ والمؤرخين فكم كشفنا من خفايا الاكوان ، وأظهرنا
من خبايا الازمان ، وكم أضل الجاهل بالتاريخ من إمام كبير ، وعالم محير ،
فانحرف عن سبيل ، وأخطأ محجة تأويل ، فقد كان مثل الامام فخر
الدين الرازي يتوهم ان التوراة منقولة بالتواتر ويحيل لذلك ان يكون وقع

في ألفاظها التحريف والتبديل وتصرف الآيات الواردة في ذلك الى التحريف المعنوي وسبقه الى هذا الرأي مثل الحافظ البخاري قياسا على نقل المسلمين لكتابتهم . وما كان ينبغي لأمثال هؤلاء أن يضعوا الأئمة النظرية ، حيث يجب ان تكون البراهين اليقينية ، ولذلك خالفهم الاكثر . وإننا لنسمع في كل يوم ناعقا من دعاة النصرانية يصيح محتجا على عوام المسلمين بقول فلان وفلان من علمائهم إن التوراة التي بين الايدي سالمة من التحريف اللفظي محفوظة من التبديل . وكيف تقبل قول أحدي في أمر عندنا فيه الحكم العدل ، والقول الفصل ، وهو كتاب الله تعالى .

ولسان الوجود أفصح مفسر لكتاب الله تعالى
كان علماء المسلمين يحكمون على التوراة والانجيل ولا يطعمون عابريها فلما اطعموا
سددوا وقاربوا ولكن لم يتجمل حكم القرآن الا يعلم علماء أوروبا وبجهم عن
. ثار الاولين ، ووقوفهم على تاريخ الأقدمين ،

بين هؤلاء العلماء ان كلام التوراة في الخليفة مخالف لما أثبتته العلم في مسائل كثيرة فقام أهل التأويل يقولون ان العلم غير الدين وإن كتب الدين اذا تكلمت عن الخليفة فانما تتكلم بما هو معروف عند الناس لانه ليس من غرضها بيان حقائق الموجودات وإنما غرضها إصلاح القلوب وهذا الكلام صحيح ولكنه ليس عذراً مقبولاً عند العلماء عن ذكر أمور مخالفة لواقع لا حاجة اليها في إصلاح القلوب . واذا سكتوا لهم على هذا فبأي تأويل يدفعون ما ظهروا الاكتشافات الاثرية من مخالفة تاريخ التوراة للأثار التي حفظها بطن الارض للامم ؛ أم كيف يدفعون تلك القوارع التي تظهر من علماء الالمان قارة بعد قارة وبها

استبان ان التوراة مقتبسة من البابليين بعد السبي حتى شرائعها وأحكامها كتب بعض هؤلاء العلماء كتابا حديثا أودعه جداول أحصي فيها ما وقف عليه من الكلمات البابلية في كتب العهد القديم التي يطلق على مجموعها لفظ التوراة وبين أن تلك الكلمات التي مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى (عليه السلام) واستنتج من مباحثه ان هذه الكتب ألقت بعد ان سبي البابليون بني اسرائيل بأزمئة مختلفة. ولعل هذا الكتاب النفيس ينقل الى العربية في زمن قريب فان اعتداء دعاة البروتستانت قد أعد النفوس للعناية بمثل هذه الكتب فكانوا نافعين للاسلام والمسلمين ، خلافا لما يتوهم بعض النافين ،

بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبا أخص من هذا وهو أنه وجد في الآثار التي اكتشفت من عهد قريب في خرائب سوس من بلاد بابل شريعة (حورزى) او (ملكى صادق) منقوشة على عمود من صم الصفا (الصوان) فاذا هي متفقة مع شريعة التوراة في اكثر الأحكام. فجزم الباحثون بأن الاسرائيليين قد اقتبسوا شريعتهم التي يسمونها التوراة من هذه الشريعة أيام كانوا في أسر البابليين . وكانت النتيجة عند هؤلاء العلماء ان موسى لم يكن نبيا وشريعة قومه لم تكن وحيا !! اشبه عليهم الباطل بالحق والحق بالباطل وانا نحكي الحقيقة في هذا المقال بما هو لب اللباب ، والمعجب العجيب ،

(حورزى او ملكى صادق) يقول علماء ألمانيا الأعلام كثيرهم ان حورزى هذا هو امرأفل المذكور في الفصل الرابع عشر من سفر التكوين في قصة لا تنطبق تماما على الاكتشافات الحديثة وهو هو (ملكى صادق)

لأن معنى هذه الحكمة العبرانية « ملك البر او ملك السلام » وهو ياتب نفسه بهذا اللقب فى شريعته المذكورة آنفا . ومما جاء فى الفصل الرابع عشر من سفر التكوين ان ملكى صادق هذا تبارك تلى ابراهيم (عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام) وان ابراهيم أعطاه العشور . قال بعد ذكر محاربة ابراهيم لكدر لعومر وانه ترجأه الأسرى ومنهم لوط أخوه : « ١٧ فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدر لعومر والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك ١٨ وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخرا وكان كاهنا لله اللى ١٩ وباركه وقال : مبارك إبرام من الله العلي ملك السموات والارض ٢٠ ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداك في يدك : فأعطاه عشرا من كل شيء » وقال بولس زعيم الديانة النصرانية المعروفة لهذا الزيد فى آخر الفصل السادس وأول الفصل السابع من الرسالة الى العبرانيين ما نصه : « ١٩ حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائرا على رتبة ملكى صادق رئيس كهنه الى الأبد ١ لأن ملكى صادق هذا ملك شاليم كاهن الله العلي استقبل ابراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه ٢ الذي قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء . المترجم أولا ملك البر ثم أيضا ملك شاليم أي ملك السلام ٣ بلائب بلائم بلائب . لا بداءة أيامه ولا نهاية حياة باع هو مشبه بابن الله . هذا يتي كاهنا الى الأبد . ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه ابراهيم رئيس الآباء عشرا أيضا من رأس الغنائم »

هذا هو ملكى صادق بشهادة العهدين العتيق والجديد ناذا كان الله - تبارك وتعالى - يحل فى الاجسام كما يقول النصارى فمن أجدر بهذا الحلول من ملكى

صاديق وهو يمتاز على المسيح بكونه من غير أم ولا أب وكونه بلا بداية ولا نهاية وهو الذي بارك ابراهيم أبأ الأنبياء ودو واضع الشرائع التي اقتبست منها التوراة. والنتيجة انه بشهادة المبدئين أعظم من ابراهيم وموسى وعيسى وان شئت فقل ان بولس نزهه عن البشرية ، ووصفه بأخص صفات الألوهية، والتاريخ يشهد أنه وثني أفانيت هذه الكتب أيضا كتباً وثنية ؟؟

(هذه التوراة) لاخلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب في أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام قد فقدت . ثم وجد عندهم غيرها وقد تم وجد غيره . والاعبار عندهم في ذلك معماة وطرقا مشتبهة الاعلام ، حالكة الظلام ، جاء في الفصل الرابع والثلاثين من أخبار الايام الثاني : « ١٤ وعند إخراجهم النضة المدخلة الى بيت الرب وجد (حلقيا) الكاهن سنر شريعة الرب بيد موسى ١٥ فأجاب حلقيا وقال لشافان الكاتب قد وجدت سنر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السنر الى شافان ١٦ فجاء شافان بالسنر الى الملك « الخ . وفي دائرة المعارف انهم ادعوا ان هذا السنر الذي وجده حلقيا هو الذي كتبه موسى (قال) ولا دليل لهم على ذلك . وأقول ان ادعاء شخص بمثل هذه الدعوى لا يوثق به فانه مهمل كان عادلا لا يزيد خبره عن كونه مذنون الصديق محتمل الكذب

ثم ان هذه النسخة التي وجدوها قد فقدت أيضا والمعتمد عليه عندهم أخيرا هو ما كتبه عزرا كما فصلناه من قبل في المجلد الرابع من المنار ففي الفصل السابع من سنر عزرا مانصه : « وبعد هذه الامور ملك أرتمش شستا ملك نارس عزرا بن مرايا بن عزريا بن حلقيا ٢ بن شلوم

ابن صادق بن أخطوب ٣ بن أمريا بن عزريا بن ماريوث ٤ بن زرحيا
 ابن عزري بن يقي ٥ ابن أيشوع بن فينجاس بن العازار بن هرون الكاهن
 الراس ٦ عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى
 التي أعطاه الرب إله إسرائيل . وأعطاءه الملك حسب يد الرب إلهه عليه
 كل سؤاله . - الى ان قال - « ٨ وجاء الى أورشليم في الشهر الخامس في
 السنة السابعة للملك ٩ لانه في الشهر الاول ابتدا يصعد من بابل وفي
 أول الشهر الخامس جاء الى أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه ١٠ لأن
 عزرا هيا قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة
 وقضاء » وذكر بعد هذا صورة الكتاب الذي كتبه هذا الملك لعزرا
 الكاهن بالاذن لبني اسرائيل بالعودة الى أورشليم معه من شاء منهم
 وفيه مائنه : « ٢٥ أما انت يا عزرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك صنع
 حكما وقضاء يقضون لجميع الشعب . - الى ان قال - ١٦ وكل من لا يعمل
 شريعة الهك وشريعة الملك فليقض عليه عاجلا إما بالموت » الخ
 بهذه العبارة يستدلون على ان عزرا كتب التوراة بدد نقدها وهو
 لا يدل على زعمهم وأنى له ان يكتب التوراة كما أثرت وقد مضت القرون
 عليها وهي مفقودة ولم ينقل ان أحدا حفظها كما يحفظ المسلدون القرآن
 في صدورهم . نعم لا يعقل ان أمة تؤتي شريعة وتعمل بها وتساو بأحكامها
 ثم تنساها بالترك كلها بحيث لا تحفظ منها شيئا بل المعقول ان العمل من
 أسباب الحفظ فالاسرائيليون وان طال عليهم أمد السبي وحكموا زمنا
 طويلا بنير شريعتهم لا بد أن يكون أهل الفهم والبصيرة منهم قد ظلوا
 يذكرون كثيرا من تلك الاحكام الالهية فلما رحمهم ارتحشستنا ملك بابل

وأذن لهم بالعودة الى بلادهم وأمر كاهنهم عزرا بأن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشرعية إلههم وشريعة الملك كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظه من وصايا الرب وأضاف اليه ما حفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجاً من الشريعتين كما تبين بالاكتشافات الجديدة . وكتب المهد العتيق التي يسمون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام قد كتبت بعده بزمان طويل كما بيناه في الجزء التاسع عشر من المجلد الرابع ومن ذلك ما جاء في الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ونصه : « ٢٤ فعندما أكمل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب الى تمامها ٢٥ أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضموه بجانب تابوت عهد الرب » الخ

ومنه ذكر وفاة موسى في الفصل الاخير من هذا السفر المنسوب اليه وقول كاتبه بعد ذلك « ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » ثم قوله « ولم يتم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى » وهاتان الجملتان تدلان على ان هذه التوراة قد كتبت بعد موت موسى واندراس قبره بزمان طويل وقد ذكرنا في ذلك الجزء ان علماء بروكستانت لم يسعهم الا الاعتراف بفقد توراة موسى وان صاحب كتاب (خلاصة الادلة السنية ، على صدق أصول الديانة المسيحية) صرح بفقدائها وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين في مدة ملك منساوأمون وانه قال بعد ذلك « والامر مستحيل ان تبقى نسخة موسى الأصلية في الوجود الى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها . والمرجح انها فقدت مع التابوت لما خرب

بمختصر الهيكل . وربما كان ذلك سبب حديث كان جاريا بين اليهود على ان الكتب المقدسة فقدت وان عزرا الكاتب الذي كان نبيا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها وبذلك عادت الى منزلها الأصلية » هذا نص عبارته بالحرف . وقد علمت ان ليس في سفر عزرا ذكر نسخ ولا كتب وانما قصارى ما يفهم منه ان الملك البابلي أمره بتعيين حكام لاسرائيل يحكمون بما يعرف من شريعة إلهه وشريعة الملك

ونتيجة ما تقدم كله ان أسرار التوراة الحاضرة تنسبها تؤيد لاكتشافات الحديثة وانه ثبت بمجموع الأمرين ان التوراة الحاضرة ليست توراة موسى وانما فيها شيء منها لاستحالة ان تكون نسبت كلها وذلك كاف في هدم الديانة اليهودية والديانة المسيحية المبنية على كتبها



(زلزال النعمرانية في أوروبا) أنس النصارى واليهود بما في كتبهم من الدلائل على عدم الثقة بنقل التوراة والانجيل وكابروا أنفسهم واناس بدعوى تواترها مع ان شرط التواتر ان ينتهي سند الرواة الذين يستحيل تواترهم على الكذب لكثرتهم الى من جاء بالكتاب كأن ينتهي تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذي لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به هل هو من البابليين أم هو مزيج مما حفظ عن أجداده واتبس عن ساداته البابليين . ولكن القيامة اليوم قائمة في أوروبا لاكتشاف شريعة حموربي (ملكي صادق) وبيان انها توافق هذه التوراة في أحكامها وتخالفا بعض المخالفة في تاريخها لأنهم لم يروا مجالا في هذا للمكابرة

والمواربة . وقد حكم العلماء بأن ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) هو الذي حمل نسخة هذه الشريعة من بابل الى فلسطين عند قدومه اليها وأن موسى (عليه الصلاة والسلام) قد اقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بني اسرائيل كما اقتبس بعض ذلك من الشريعة المصرية التي تربي في بيت ملكها وبذلك تكون هذه الشريعة التي يتنخر اليهود والنصارى بأنها إلهية مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت اليه من الله (حاشاه حاشاه)

خطب العلامة اللاهوتي الأثري (دليتس) أحد أعضاء (جمعية الشرق) في هذا الموضوع خطبة مطولة في برلين حضرها قيصر الألمان والقيصرة وجامهير العلماء والكبراء وقال في خطبته على رؤس الاشهاد إن شرائع التوراة منقولة عن الشرائع البابلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك أنه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس في الفطرة وذلك أنه ختم الخطابة بقوله : إننا نضع أيدينا على قلوبنا ولا نحتاج الى وحي غير الوحي الذي يصدر عنها :

فرع هذا العالم النصرانية بهذه القارة في ذلك الملاء العظيم تزلزلات هي ولم تزلزلك مكاتته من قوس القوم وأن كان فيهم من استاء منه لأن تقاليد الدين مطبوعة في وجدانه فهو يأنس بانطباعها ، ويتألم لا تزعجها ، أو لأن السياسة تقضي بالمحافظة على الدين وان زلزل العقل ، وزعزعه النقل ، فقد نقلت الجرائد أنه بعد خطابه جلس الى القيصر والقيصرة يحادثهما ويحادثانه بكل طلاقة وقبول . وقد عجب بعض الناس أن رأوا غليوم الثاني الذي أقام أوروبا وأقعد هائم دعها الى محاربة الصين دعا أن

أهانت بعض دعاة الدين يلاطف عالما لاهوتيا أثريا بعد ان قضى على هذا الدين القضاء المبرم . ولا عجب فان الدين عند هذا القيصر وأمثاله من آلات السياسة ولا يصح ان تكون السياسة عدوة للعلم الذي هو أقوى آلاها

المذهب الجديد : بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب مرة أخرى ثم أعمل رأيه في المسألة فلاح لذهنه الوقاد ان يضع للنصرانية مذهباً جديداً يستبقي به كونها آلة سياسية تنفع بها أوربا في مقاومة الشرق ويقطع به لسان العلم عن الحاجة والمجادلة فكتب الى صديقه الاميرال (هولن) كتاباً يقول فيه ما ترجمه باختصار قليل جداً :

« ان الاستاذ دليتش دخل مع القيصرة والوكيل العام (درياندر) في بحث استمر عدة ساعات وما كنت أنا الا من السامعين . ومن سوء الحظ ان الاستاذ انتقل من البحث التاريخي في المسائل الدستورية الى مسائل دينية لا محل لها فلبثت مصغياً حتى اذا ما انتهى الى الخوض في العهد الجديد عرفت رأيه فانه قال في مخلصنا أقوالاً شاذة مافضة لما أرى وأعتقد . ذلك أنه لا يعتقد بلاهوت المسيح ويرى ان ليس في التوراة شيء من الوحي والنبوة عن يسوع بأنه المسيح

» فمنا فنى الاستاذ دليتش المؤرخ الأثري في الاستاذ دليتش اللاهوتي فيبقى هذا اللاهوتي ماثلاً بما فيه من النور والظلام معاً . وإنني أنصح له بأن يخطو في هذه السبيل خطوة بعد خطوة لائذا بجانب الثاني والحذر وأن يختص بهذه الآراء الدينية رصفاءه اللاهوتيين

ويودعها كتبهم وأن يكفينا الخارجين عن هذه الدائرة مثلنا مؤنة البحث في هذه المسائل ولا سيما (جمعية الشرق) التي لم تنشأ لتكون ندوة للبحث في جميع الآراء وإنما نبعث الارض (١) ونقرأ ما كتب على الآثار المستخرجة منها لمساعدة العلم والتاريخ لا لتأييد الآراء الدينية أو تفنيدها. وبالتدليس لم يتجاوز في هذا العام الحد الذي وقف عنده في العام الماضي وهو الاستدلال بما تستخرجه جمعيتنا من الآثار الشرفية على ما كان للمدينة البابلية القديمة من التأثير في مدينة الاسرائيليين لنعرف العادات والأخلاق والشرائع التي أخذوها من البابليين ونرى هل يوجد فيها ما يزيكي البابليين مما تصفهم به التوراة من الأوصاف التي لا شك في كونها شنيعة وغير عادلة. هذا هو حد شوطه الاول وكان غرضه منه كبيرا يجب علينا ان نشكره له ولكنه من سوء الحظ قد تجاوزه في هذه المرة

« ولو أنه شرح المسألة وترك للسامعين استخراج النتائج الدينية منها لئلا تخطبته استحصاف جميع السامعين ولكنه طفق يناقش في مسألة الوحي فأنكرها بالجملة والتفصيل ثم ظن أنه قادر على إثبات كون أصلها بشريا محضاً فارتكب خطأ عظيماً بما دمر على النفس (٢) في باطنها وعبث بهيكلا المقدس في غير واحد من سامعيه الذين تختلف عقولهم باختلاف طبقاتهم. وسواء كان مخطئاً أو مصيباً في الواقع ونفس

(١) بعثر النبي استخرجه فكتشفه وبثرماً ثار ما فيه وهو استخراج نحو المدفون والحني وإظهاره لمرقة حقيقته ومنه قوله تعالى (وإذا القبور بعثت) (٢) دمر دخل بدون استئذان وماء صدرية

الامر فانه قد نكس في قوس كثيرين أفس الصور والاعتقادات المتدسة عندهم وزلزل أساس إيمانهم ان لم تقل إنه نفسه في اليم نسفا . وهذا عمل لا يجسر عليه الا أصحاب القرائح المتهبة والقول الكبيرة

(أقيصران أم نبيان) « أما الوحي فهو في اعتقادي الذي كشفتك به أنت وغيرك من قبل نوعان أحدهما تاريخي وهو مستر لا ينقطع وثانيها ديني خاص وكان تمهيدا لمجيء المسيح . أما الوحي الأول فهو أن الله يظهر دائما في الجنس البشري الذي هو خليقته وصنيعته فانه تفتح في الانسان من روحه أعني منحه شيئا من ذاته (٣) إذ أعطاه نفسا حية . وهو يراقب نمو الجنس البشري بناية الاب ليحسن أحواله فيظهر تارة في رجل عظيم هنا وتارة في رجل آخر هناك سواء كان ذلك الرجل كاهنا أو ملكا وسواء كان بين الوثنيين أو اليهود أو النصارى (٤) وقد كان (موربي) من هؤلاء الرجال كما كان موسى وإبراهيم وهوميروس وشارلمان ولوثر وشكسبير وجوت وقت والامبراطور غليوم الكبير . فان الله اختار هؤلاء ورآهم أهلا لأن يعملوا بحسب إرادته أعمالا عظيمة دائمة خدمة لأنهم سواء كان ذلك العمل روحانيا أو عالميا . وكثيرا ما كان جدي يقول إنه لم يكن الا آلة بيد الله . ولا شك في أن ظهور الله تعالى في الاشخاص يكون على حسب استعداد أئمتهم ودرجتهم في الحضارة ولا يزال يظهر هذا الظهور حتى في عصرنا هذا (كأنه

(٣) يتوهم أهل الحلول مثل هذا وهو منشأ وتنبؤ ذات الله تعالى لا تحزأ وإنما هي عنايته بمنحهم من شاء من عبادته (٤) انظر كيف لم يعد المسلمين أمة منفردة وما كان ذلك جهلا ولكنه التعصب

يومي الى انه ظهر فيه الآن كما ذكر في جده من قبل)

« أما النوع الثاني من الوحي وهو الديني الروحاني الخالص فقد ابتداء من زمن إبراهيم يبطء وحكمة ولولاه لقضي على النوع البشري . وقد نما وتسلسل نسل إبراهيم على الاعتقاد بالله واحد وقد حفظته عناية الله تعالى بحفظه هذا الايمان حتى ختم هذا الوحي وانتهى بظهور المسيح الذي كان أعظم مظهر لله تعالى في هذا العالم . ذلك ان الله ظهر يومئذ في شخص الابن بصورة بشرية (تعالى الله عن هذه الوثنية) وهو مخلصنا الذي يملأنا حماسة ويدعونا الى اتباعه وانا لشعر بناوه تأجج في احشائنا وبرحمته تعزينا . وانا باتباع وصاياه نفتحم كل شيء لانبالي بالتعب ولا بالازدراء ولا بالحزن ولا بالهزيمة ولا بالموت لأننا واثقون بالنصر لسماعنائمه الوحي الالهي الذي يصدق دائما

« هذا هو رأيي في المسألة فان (السكامة) عندنا معشر البروتستنت بمنزلة كل شيء وذلك بفضل (لوثر) علينا . وكان على (دليتش) أن لا ينسى ما كان يعملنا إياه لوثرنا العظيم وهو : « يجب عليكم ان تبقوا على السكامة » ومن البديهي عندي أن التوراة تحتوي على عدة فصول تاريخية رهي من البشر لا من وحي الله . ومن ذلك الفصل الذي ورد فيه ان الله أعطى موسى على جبل سيناء شريعة بني اسرائيل . فاني أعتقد انه لا يمكن اعتبار تلك الشريعة موحى بها من الله الا اعتبارا شعريا رمزيا لان موسى قد نقل تلك الشرائع عن شرائع أقدم منها على الأرجح وربما كان أصلها مأخوذا من شرائع (حموربي) ويوشك ان يجد المؤرخ اتصالا بين شرائع حموربي صاحب إبراهيم الخليل وبين شرائع بني إسرائيل باللفظ

والفحوى وذلك لا يمنع قطعيا من الاعتقاد بوحى الله لموسى وظهوره لبني إسرائيل بواسطته . وإنني استنتج مما تقدم ما يأتي

« ١ » إنني أؤمن بالله واحد « ٢ » إننا معاشر الرجال نحتاج فى معرفة هذا الاله الى شيء يمثل إرادته وأولادنا أشد احتياجا منا الى ذلك « ٣ » ان الشيء الذي يمثل ارادة الله عندنا هو التوراة التي وصلت إلينا بالتقليد . وإذا فندت الاكتشافات الأثرية بعض رواياتنا وذهبت بشيء من رونق تاريخ الشعب المختار - شعب إسرائيل - فلا ضير فى ذلك لأن روح التوراة يبقى سليما مهما طرأ على ظاهرها من الاعتلال والاختلال وهذا الروح هو الله وأعماله .

« إن الدين لم يكن من محدثات العلم فيختلف باختلاف العلم والتاريخ وإنما هو فيضان من قلب الانسان ووجدانه بما له من الصلة بالله . هذا وإنني مع الشكر والثناء أظل دائما صديقك المخلص

غليوم

امبراطور وملك

(المنار) هذا هو كتاب العظيم الألمان وهو على ما فيه من التمويه والمواربة والتمارض والتناقض والميل مع ربح السياسة يدل على فهم ثاقب وفكرة وقادة ونبىء عن بعد غور . ومجمل ما يقال فيه إنه مذهب جديد أو دين جديد . ويظن ان هذا القيصر يمتد أو يدعي بأن الله «جل وعلا» قد ظهر فيه كما ظهر فى جده غليوم الاول فكانا نبين أرسل أحدهما لتكوين الوحدة الألمانية وثانيهما لحفظ مجدها وإطلاع كوكب سعدا . وقد غمط حق من كان أحق منه ومن جده بهذا الظهور الالهى المدعى

وهو البرنس بسرك الذي كان آله في يد الله وكان جده «غليوم الاول» آله ييده . ولئن غمط حتى بسرك فقد غمط حق من هو أعظم منه ومن ابراهيم وموسى وعيسى وهو «محمد» عليه وثلى جميع الانبياء الصلاة والسلام فهو الذي جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى أعمالاً لم يسبق ما يقاربها لغيره ولن يلحقه بما يقاربها غيره فشريعته أعدل من شريعة التوراة ولا يمكن ان يوجد اكتشاف يظهر أنها مستفادة من شريعة أخرى والوحدة التي كونها بنفسه أحوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التي كونها بسرك وغليوم الاول لأن ترقى قبائل العرب وشعوبها كان أشد ولم يكن عندهم من العلوم والمعارف والمدينة التي تقرب بعضهم من بعض مثلاً كان عند الولايات الجرمانية . ثم ان الوحدة العربية قد استبعت من التوحات ونشر العلم والمدينة في الممالك ما لم يكن مثله أو ما يقاربه للوحدة الألمانية على أن تبرز هذه الامة في العلوم غير مجهول ولكن الفرق بين الامتين أن ظهور هذه كان في عصر العلوم والاكتشافات والاختراعات وظهور تلك كان في بدائة وجاهلية وأمة أمية . نأبهما كان بالأسباب العادية ، وأبهما كان بمحض العناية الالهية ، ؟؟

(الحكم العدل في الكلام . وخطوت أوربا ووثبتها الى الاسلام) : في كتاب القيصر أفلاذ من الذهب النضار ، وفيه كثير من الحصا وقطع التخار ، وقد كاد يصل بذكائه الى الحق ولكن بقي دونه حجاب نكسته بدد بيان نتائج كتابه وهي :

(١) ان للعالم إلها واحداً يديره بقدرته ، ويخص بعض العباد بمزيد معونته ،

(٢) ان البشر في حاجة شديدة الى معرفة الله تعالى بأن يكون بينهم وبينه عهد وصلة ليعرفوا بذلك ما يريد بهم وما يرضاه منهم

(٣) ان الله تعالى قد وهب البشر هذه الحاجة بالوحي الديني

(٤) ان حقيقة الوحي هي ظهور الله تعالى في البشر بأن ينخ فيهم من روحه أى يعطيهم شيئاً من ذاته وهو قسدين ديني محض وغير ديني محض هذه أربع نتائج عامة كلها مستفادة من كلامه . وهي صحيحة الا لاختلاف منها فانه قارب فيها الحق ولكنه لم يصل اليه . والصواب ان فاطر السموات والارض لا تتجزأ ذاته وان البشر — وان كانوا مكرمين ومفضلين على كثير من المخلوقات — لا يخرجون عن كونهم جنداً صغيراً من جنوده التي لا تحصى . فليس من العقل ولا من الحكمة أن نفتر بأفئتنا حتى نحصر الذات الالهية في أفراد منا دون هذا العالم الكبير الذي تعد أرضنا كتلة صغيرة منه وجميع ما فيها من الأحياء كالذرات الصغيرة التي نراها تعيش في كتلة من هذه الارض

ولكن هذا العالم العظيم الذي يدهش الواقفين على بعض أسرارهِ بنظامهِ وإحكامهِ لم يكن هذا النظام العام فيه بفعل هذه الاجسام التي ندرها بحواسنا ولكن الله تعالى بث فيه عالماً روحانياً غير منظور جملة علة لهذا الاحكام والنظام . وقد لمحت عقول البشر هذا العالم في طور وثنيتهم فسووه عالم الآلهة وزعموا أن لكل أمر عام إلهاً خاصاً يديره . ولكن الانبياء سموه عالم الملائكة . وقولهم هو الحق لانهم عرفوا ذلك بالوحي .

والوحي عبارة عن اتصال روح النبي بروح من هذه الارواح واستناده نوعاً من العلم منه

الروح الذى يفيض العلم على الانبياء يسمى بلسان الدين الروح الامين وروح القدس وعبر عن اتصاله بروح النبي لانه العلم بلفظ النزول قال تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » وقال « وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا » وأما العلم الذى يستفيدونه من هذا الوحي فأنهم معرفة الله تعالى على الوجه الصحيح ومعرفة الحياة الآخرة وبلي ذلك بيان الاعمال النسبية والبدنية التي تؤيد هذا الاعتقاد وتقويه وترقي النفس الانسانية . والترقى بين علم الانبياء الذى يسمى وحياً وبين علم هو ميروس وشارلمان ولوثز وشكسبير وبسرك وغليوم الاول وغليوم الثاني وأمثالهم أن علم الانبياء لم يكن مكتسباً وإنما كان يقع لهم بواسطة الروح الذى ينزل على قلوبهم وأن موضوعه ماذكرنا من أمر الايمان وحفظ الصلة بين العبد وربّه . وأما علم أولئك الملوكة والشعراء فقد كان كسبياً وموضوعه ليس متعينا فهو خيالات وتصورات وحكايات وسياسات منها الحق والباطل ، ومنها الحالى والمآطل ، ولا معنى للقول بأن كل نابغ فى شيء من الاشياء يسمى نبيا وعلمه وعمله وحيا الا اذا أردنا ان نجعل الوحي أمراً عادياً كما يقول الذين أنكروا الوحي فى أوربا لسيطرتهم بالكاتب المنسوبة للانبياء . والقيصر أرقى عقلاً أن يقول بذلك وما قلناه قريب من قوله ولعله لو وقف عليه لقال به

وأما النتائج الجزئية فى كلامه فهي :

(١) ان الوحي الدينى الروحاني المحض قد بدى بآبراهيم وآتى بالمسيح

- (٢) ان ظهور الله فى المسيح كان أعظم ظهور له فى هذا العالم
 (٣) ان اتباع وصاياه كافية لاقتران كل شيء ثقة بالنصر
 (٤) ان ما فى التوراة من التاريخ والشرائع والاحكام بشرى مستند
 من البشر وليس وحيا من الله ولا يمنع ذلك كون موسى نبيا
 (٥) انه ليس عندنا شيء نتخذة عبدا بيننا وبين الله تعالى نعرف به
 مراده بنا وما يرضاه لنا الا هذه التوراة . وان ما فيها من الكذب على
 الله تعالى بنسبة الشرائع اليه ومن الكذب فى التاريخ المقدس لا يحول
 دون ذلك !!!

وهذه النتائج كلها غير صحيحة فان التوحيد قد عرف عند الامم
 قبل ابراهيم وبعث قبله أنبياء دعوا الى مثل مادعا اليه هو والانبياء من
 ذريته ولكنهم اقرضوا وغت آثارهم ، وإن ظهور الله - عنايته ووحيه -
 فى المسيح كان دون ظهوره فى موسى فانه كان متبعا شراسته مع اصلاح
 قليل ولذلك قال « ما جئت لانتقض الناموس » وان ظهوره فى محمد كان
 أعظم من ظهوره فى ابراهيم وموسى والمسيح فن دونهم من البشر لانه
 هو الذى صدق عليه وحده القول المأثور عن المسيح عليه السلام :
 « ١٢ إن لي أمورا كثيرة أيضا لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون
 ان تحتملوا الآن ١٣ وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى
 جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر
 آية ١٤ ذلك يمجدينى لانه يأخذ مما لي ويخبركم » (١٦ يو)
 فقد صرح بأن الناس لم يكونوا مستعدين فى ذلك العصر لمرنة
 كل الحقائق الدينية . وقد علم محمد الناس جميع الحق فى العقائد المبينة

على البرهان والمبادئ المؤثرة في الروح والاخلاق المبنية على الاعتدال
والاحكام المبنية على العدل . وأسس ديننا هو وان ضعف زعمائه أرسخ
الاديان وأقواها ، وشريعة هي وان قل أنصارها اعدل الشرائع واعلاها ،
واما كانت باتباعه أعز الائم وأنماها ، نعم انها الآن مريضة ولكنها
ستبل إبلالا ، وتعود لها السيادة الاولى ان شاء الله تعالى ،

هذه اشارة الى بطلان النتيجة الاولى والثانية . وأما الثالثة فبطلانها
أظهر لان هذا القيصر وأتمه أبعد الناس عن وصايا المسيح التي
تدور على الزهد المطلق والذل وترك الانتصار للنفس ولو اتبعوا وصايا
الانجيل لضربهم فرنسا عن الخلد الايمن (الازلاس) فأداروا لها الخلد
الايسر (اللورين)

وأما الرابعة فقد جمعت بين التقيضين وهما كون موسى يدعي أن
شريعته وحي من الله وما هي بوحى من الله وإنما نقلها عن شرائع الائم
الوثنية وكونه مع ذلك نبيا موحى اليه من الله !! ولا ندري ماهو هذا
الوحي المبهم اذا لم تكن الشريعة وحيًا ؛ ثم لا ندري ماهو الدليل على
هذا الوحي . هذا رأي يمكن ان يقبل في حيز السياسة لا في حيز الدين ،
ويمكن ان يقال باللسان ، ولا يمكن ان يستقر في الجنان ،

ومن العجائب أن البابا وافق على رأي قيصر الامان في كون شريعة اتورا
وتاريخها من وضع البشر لامن وحي الله كما جاء في بعض الصحف . ولكن
ماذا يصنع البابا اذا لم يجد منفذا لدفع الشبهة ولا طريقة لحل الاشكال ؟
ماذا يصنع وقد أتمه بذلك العلم والاكتشافات التي لا يكاد يخفى عليه شيء منها
وهو في الدرجة العليا علما وعقلا وسياسة ؟ لعله لا يوجد في الارض من هو

أحرص من البابا ومن غليوم الثاني على المحافظة على التوراة وتقديسها ولا من هو مثلهما علما وعقلا وقد أعيأهما حل هذا الاشكال مع طول باعهما وسعة اطلاعهما وكثرة أتباعهما من العلماء والحكماء .

(آية جديدة للقرآن) وإن تعجب فأعجب العجائب أن القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا قد نطق بما أثبتته العلم وأيدته الاكتشافات في هذا العصر وحل هذا الاشكال حلا لا بد ان يرجع اليه جميع العلماء في وقت قريب . وهذه معجزة ظاهرة ، أو نبوة باهرة - كما يقولون - ولا غرو فالقرآن لا تنتهي عجائبه ، ولا تقنى غرائبه ، وهو حجة الله على العالمين ، منذ أنزل الى يوم الدين ،

حكيم القرآن بأن بني اسرائيل نسوا حفظا من الوحي الذي ذكرهم الله تعالى به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام وحفظوا خطأ آخر وقع فيه شيء من التحريف والكذب . قال تعالى (في سورة آل عمران ٢٢) : « ألم تر الى الذين أونوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » وقال (في سورة النساء ٤٣) « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ٤٤ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » الخ وقال بعد آيات « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقرءون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » (آية ٤٩) وقال تعالى (في سورة المائدة ١٤) بعد ذكر أخذ الميثاق على بني

اسرائيل : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم ناعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين »

وهذا الحكم هو المعقول وإنما ظهر صدقه وكونه معقولا في هذا العصر فصح قول المسادين في القرآن « لا تنقض عجايبه ، ولا تنهاى غرائب » فياله من معجزة تفيض بالمعجزات الكبيرة ، وباله آية بينة تنطوي على آيات كثيرة ، أنى لأمي نبت في أرض جاهلية ، وتربى في أمة أمية ، أن يحكم على شريعة كانت أم الشرائع ، وتاريخ أمة كانت أشرف الأمم ، حكما لم يعرف عن علماء الشرائع والقوانين ، ولا عن مدوني القصص والتواريخ ، فيحز في المنفصل ، ويقول القول الفصل ، ويأتي بكاءتين ثنتين لا تبلغ مساحتهما في الكتابة سطرًا واحداً - « فسوا حظا مما ذكروا به » أوتوا نصيبا من الكتاب - « تتخض الأيام والسنون ، وتر الأجيال والقرون ، ثم لا تظهر حقيقة تأويلهما الا بعد أن تبث دفائن الارضين ، وتستخرج منها آثار النابرين ، ليتم قول الكتاب أيضا « ولتعلمن نبأه بعد حين » وقوله « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » أفلا يتأملون في قوله للنبي الامي الذي أنزل عليه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطاه بيمينك إذا لارتاب المبطلون » فالام الشك والارتباب ، وقد ظهرت آياته لاولي الالباب ، ؟؟

بهذا الحل يثراً موسى عليه السلام من شبهة الكذب على الله تعالى

وتبرأ شريعته من شبهة الاقتباس من الشرائع البشرية لأن هذه الشريعة لو كانت موجودة بالنص الذي كتبه موسى عن الوحي الالهي لظهر الفرق بينها وبين شريعة (حوربي) وتبين ان المشابهة بينهما قليلة لاتصلح شبهة على اقتباس المتأخرة من المتقدمة . على أن التوافق بين الشرائع في بعض المسائل أمر طبيعي سواء كانت سماوية أو بشرية أو بعضها سماوي وبعضها بشري لان الوفاق في الطائعات وحال الاجتماع يقضي بالوفاق في الاحكام . وما زالت تتوارد خواطر العلماء والشعراء على بعد الدار ، واختلاف الأعصار ، وإذا كنا لا نرى دليلاً أو أمانة على أن أحدهما أخذ عن الآخر فلا يجوز لنا أن نحكم بهذا الأخذ . والدليل على ان التوراة الحاضرة قد اقتبس بعضها من البابليين واضح مما في سفر عزرا ومما أظهرته الاكتشافات . ويدل سفر عزرا وغيره أيضاً على ما يقضي به العقل من عدم نسيان بني اسرائيل شريعة الرب بالمرّة فتعين ان يكون الحاضر مزيجاً . فقد اتفق في المسألة العقل ونقل كتب العهد العتيق والتاريخ والآثار على تصديق القرآن في حكمه على بني إسرائيل وشريعتهم

فعلى عظيم الألمان ومقدس الكاثوليك (البابا) ان يرجعا الى حكم الله تعالى في المسألة فهو أفضل من حكمهما الذي يزيل ثقة جميع النصارى بالوحي وكتبه ويجمعهم إياحيين مفسدين لل عمران . وليعلم الزعمان العظميان ان دين الله تعالى واحد وأن تلك الأديان قد نسي بعضها ونسخ الباقي لان الله تعالى أراد ان يعطي البشر ما هو اكمل منها كما قال « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » فليهما ان يتركا التعصب لقومهما وان يكونا زعيمين للبشر كافة لا الامان

والكاثوليك أو النصارى خاصة وذلك بأن يأخذوا بجوهر الدين الخالص الذي بينه القرآن وهو الكتاب المحفوظ الذي لا ريب فيه الذي جاء بالحق وصدق المرسلين . وإذا تأملناه باخلاص فلا شك ان نور الحق يشرق عليهما كما أشرق على كثير من أهل العلم في أوروبا

جاء في كتاب (ديانات الأمم وعقائدهم) للاستاذ لينتزما خلاصته: « ان دين الإسلام دين يوافق الناس كافة ويحملهم أمة واحدة وإنني أؤمل أن أرى النصارى بعد حين آخذين بدرس هذا الدين والتدين به وموالاة محمد (عليه الصلاة والسلام) لان دينه الدين القويم المبين » (راجع ٥ الصفحة ٢٩٢ - ٣٠٠ من هذا الكتاب المطبوع في لندن سنة ١٩٠١) ومثل هذا القول أقوال كثيرة .

وقد بينا في مقالة (مسير الانام ، ومصير الاسلام) بعض المبشرات التي تدل على خطوات أوروبا الى الاسلام من حيث تدري ولا تدري واننا نعد هذا الاكتشاف الجديد الذي أيد القرآن وما قاله عظيم الالمان وجبر أجباز الرومان فيه خطوة من تلك الخطوات ، بل وثبة من الوثبات ، والعاقبة للمتقين ، والله ولي المؤمنين ،

الكرامات والحوار

(المقالة المباشرة فيما ينبغي عليه التحويل)

(المسألة الرابعة عشرة) استدل منكرو الكرامات من المعتزلة وبعض علماء السنة كالاستاذ أبي اسحق الاسفرايني والحلي ومن على رأيهم بسبع حجج على نفي الجواز وتقدم بسطها وما قالوه في الجواب عن بعضها في المقالة الثالثة (٤٤٩-٢) واستدل المثبتون بأربع حجج كما ذكر السبكي في الطبقات الكبرى وهي ترجع الى شيء واحد هو أنها وقعت بالفعل كما يعلم من بعض قصص القرآن والآثار المروية عن

الصحابة . وتقدم في المقالة الرابعة بيان ان تلك القصص لادليل فيها يصاح حجة في هذا المقام الا على ما يسمونه الاذام وما في معناه من مكالة الملائكة وكان ذلك لأمر موسى وأم عيسى عليهما السلام (راجع ٤٨١ - ٢) وفي المقالة الخامسة والسادسة انه لم يثبت بسند صحيح من الكرامات المأثورة عن الصدر الاول الا مثل ذلك الالهام أيضاً واستجابة الدعاء والبركة في الطعام (راجع ٥٤٥ - ٢ و ٦٥٧ - ٢)

(المسألة الخامسة عشرة) إن ما نقل عن الصحابة (عليهم الرضوان) من هذه الكرامات ما صح سنده منه وما لم يصح يمدّ على الانامل لقلته وصار المسلمون كلها بعد الزمان ، وقلّ العلم وكثر القسوق والحصيان ، يكثر فيهم القول بهذه الكرامات حتى أنهم يعدون لبعض الشيوخ المتأخرين ، ما يكاد يتجاوز عقد المئين . وهم متذقون على أن الصحابة أفضل ممن بعدهم من الاولياء . بلا قيد ولا استثناء ، وقد أجاب بعضهم عن هذا بأن المسلمين كانوا في عصر الصحابة وما يقاربه أقوىاء الايمان فلم يكونوا محتاجين الى كرامات وخوارق تقوي ايمانهم . وهذا الجواب مبني على قاعدة لم التي ذكرها السبكي وغيره وهي انه لا يجوز اظهار الكرامة الا عند ضرورة شديدة كتقوية ايمان شاك وصواب القول في الجواب ان أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين كانوا لقوة ايمانهم وبقينهم لا يكذبون ولا يخادعون اناس بالوهم ولذلك لم يدعوا هذه الحوارق التي ربما كانوا أحوج اليها ممن بعدهم لاقامة الحجّة على المشركين والكافرين الذين كانوا مشتغلين بدعوتهم ومجاهدتهم . ولكنهم لرسوخهم في معرفة مقاصد الاسلام كانوا يكتفون بالحجج المعقولة ولا يعتمدون على شيء من الحوارق الكونية التي يضل فيها الفهم ، ولا يهتدي فيها الوهم ، وهذه المسألة كنّا وعدنا ببيانها في المقالة السادسة

(المسألة السادسة عشرة) ان ما يصح ان يسمى كرامة من هدر الغرائب التي تظهر على أيدي اناس هو ما كان ثمرة لارتقاء الروح وصناء النفس بل هذا هو معنى ما ذكرناه في كتب العقائد كما تقدم في المسألة الثامنة . واذا كان الامر كذلك فالواجب ان تبقى هذه الثمرة معلقة بهذه الشجرة أي يجب ان لا تتجاوز هذه الخصوصية أهلها الخواص . فاذا تجاوزتهم الى من لا يعرف منشأها كانت قنّة له وضارة به ولذلك قال

كبار الصوفية والمتكلمين المثبتين للكرامات بوجوب إخفائها لأنها قسمة للناس وضارة بهم ومن مبالغتهم في ذلك القول المأثور عن الشيخ أحمد الرفاعي : ان الولي يستتر من البرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض :

(المسألة السابعة عشرة) أكبر ضرر وأعظم فتنة في فشو الاعتقاد بالكرامات بين العامة وكونها عند الصالحين صناعة من الصناعات ، أنها زلزلت قاعدة العقائد الكبرى وهي توحيد الله تعالى وأوتعت الناس في ضروب من الشرك الاصفر والاكبر . وليس زلزال التوحيد محصوراً في اعتقاد تمدد الخالقين للسموات والارض المشتركين في الابداع والتكوين وإنما الشرك في التماس المنافع أو دفع المضرات من غير الله تعالى وبواسطة غير سنه التي أقام بها نظام الكون وجعل الاتفاع بها عاماً لجميع خلقه . بل ورد في الاحاديث تسمية الرياء في العبادة شركاً فكيف لا يكون دواء غير الله تعالى شركاً . روى أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم ومصححه من حديث شداد بن أوس قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك فقال « اني تخوفت على أمتي الشرك أمانهم لا يعبدون صنأ ولا شمساً ولا قرأ ولا حجرأ ولكنهم يراؤن بأعمالهم » وإنما سمي الرياء شركاً لان المرأئي يطلب منفعة من المرأئي والمنافع لا تطلب الا من الله تعالى ومن الطرق والاسباب التي سنها لها . والفرض من العبادة طبع ملصكة الاعتقاد على الله تعالى في القلب لتقوية التوحيد فاذا لوحظ بها الناس وفعلت رءاءهم فقد قطعت طريق التوحيد ودلت على عدم تمكنه من انفسه . فبالك بمن يعتمد على غير الله تعالى ابتداءً وبجمله حجاباً بينه وبين الله يزعم انه قريب اليه لئلا يلو لو كان الشرك عبارة عن تعدد الخالقين لما كان فيه ما هو أخفى من ديب النمل . روى ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد والطبراني من حديث أبي موسى الاشعري قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل » فقالوا : كيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله ؟ قال قولوا « اللهم انا نعوذ بك ان نشارك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه » وروى غيرهم عن غيره أحاديث بمعناه منها حديث ابن عباس عند الحكم الترمذي « الشرك في أمتي أخفى من ديب النمل على الصفا »

إذا عدت عينك عما تشاهد كل يوم من العامة لاسيا في أضرحة الصالحين وذا
 سعدك عما تسمع منهم من دعاء غير الله ، والاستغاثة والاستعانة بغير الله ، وطلب
 الحوائج ورد البلاء من غير الله ، والتماس الصدقات « على قبول فلان وفلانة » من
 دون الله ، وقلت كما قال بعض علماء الأزهر : إن هؤلاء العامة لا يعقلون التوحيد
 وإن الامام محمدا صاحب أبي حنيفة قال في عامة زمنه وهم خير منهم « لو كانوا
 عيدي لأعقبتهم وأسقطت حق الولاء » : — فهل تعدو عينك عما ترى في الكتب
 المنتشرة كالتشاور الجهل من العبارات الشركية التي تقشعر منه جلود الموحدين
 كقولهم في كتاب تزيان الحيين وكتاب طبقات الوترى وغيرها من كتب الرفاعية
 « إن عبد الرحيم الرفاعي كان يميت ويحيي ويفقر ويغني ويسعد ويشقي » وقولهم إن
 أحمد الرفاعي وصل الى مرتبة صارت السموات السبع في رحله كالخلخال . ولهم في
 هذين وغيرهما أقوال أخرى يتبرأ منها حتى دين بولس ودين بوذا . وقد ذكرنا في
 المسألة الثامنة كلهم التي يجعلون إرادة الله تعالى فيها تابعة لأرادتهم . وإنك لتجد من
 حملة الصائم من يصح مثل هذه الأقوال ويحرف كلام القرآن عن مواضعه
 للتوفيق بينه وبينها

وإذا بحثت عن سبب هذا الفلوكه تجده الاعتقاد بالكرامات بغير قيد ولا حد
 ولا حساب . قالوا : يجوز إظهار الكرامة لتقوية الإيمان : ولكننا نرى إظهارها كان
 أكبر جنابة على أساس الإيمان . وأما هؤلاء العامة الذين قوي إيمانهم بأصحاب
 القبور المشرفة (خلافا لتهي الشارع عن تشريفها) فلم يعلموا بشيء من هذه
 الكرامات لما كان إذاعتهم وتسليمهم بالدين يقتض ذرة لأن الدين عندهم تقليدي
 في أحكامه وفروعه وجدائي فطري في أصله

(المسألة الثامنة عشرة) من مضرات فشو الاعتقاد بالكرامات ، إياحة المواقف
 ومحرم الواجبات ، وذلك أنه استقر عند العامة وأكثر الذين يمدون من الخاصة
 أنه لا يجوز الإنكار على الأولياء — وما الأولياء عندهم إلا من تظهر على أيديهم
 العجائب والحوارق — لأن المعصية التي تشاهد منهم لا بد أن تكون صورية لاحقيقية
 ولذلك يجب تأويلها . فإذا رايت واحداً يشرب الخمر فاعتقد أنها انقلب عينها كرامة

له فصارت لنا أو عسلاً أو شرباً آخر من الأشربة المباحة وإذا رأيته يترك الصلاة فاعتقد أنه يصلي بمكة أخذنا من قول السيد البدوي في الرد على الذين اتهموه بذلك :

وفي ملندنا قالوا صلاتي تركتها ولم يلمعوا أنني أصلي بمكة

أصلي صلاة الحبس في البيت دائماً مع السادة الأقطاب أهل الطريقة

ولهم في هذه التأويلات حكايات غريبة يسخر الغلاء من بعض المستفيض منها كرمهم أن بعضهم رؤي يأتي الفاحشة ثم تبين أن سفينة كانت خرقت في البحر وأشرفت على التفرق فبادر ذلك الولي إلى سد الحرق بما كان منه !!

(المسألة التاسعة عشرة) من مضرات فتوى الاعتقاد بهذه الكرامات عدم ثقة جاهل المعتقدين بها بالعقل وقضاياه ، ونظام الكون وسننه ، فهم دائماً أسرى الأوهام ، وعيد الخيالات والأحلام ، فضنفت بذلك المدارك ، واتقلبت في الصور الخائقة ، وصار معظم الناس يخضع للدجالين ، ويؤمنون بالشعوذين والعرافين ، ومن أنكر عليهم شيئاً من ذلك اتهموه بالفلسفة ، ورموه بفساد العقيدة ، فالمرافة والكهانة عندهم إيمان ، والحكمة (الفلسفة) كفر أو عصيان ، والله تعالى يذكر في كتابه أنه بعث رسوله ليعلم الناس الحكمة وقال « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » ويقول نبيه فيما علمنا من الحكمة « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أحمد والحاكم عن أبي هريرة . وروى أحمد ومسلم في صحيحه عن بعض أمهات المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل صلته أربعين يوماً » نعم أنهم لا يسمون هؤلاء المخبرين عما وقع وعما يتوقع كهانا وعرافين لما كان من الخلل في الله . والمبررة بالحقائق لا بالأسماء فإذا كان العراف يخرج عن كونه عرافاً بتسميته ولما مكلفنا فالخمر تخرج عن كونها خمرًا بتسمية بعض أصنافها كونيًا أو شنبانية . ومثل هذا يقال في تسميتهم الاستمانة بغير الله توسلاً وما أشبه ذلك .

وإن وراء الخضوع للدجالين والعرافين الذين يدعون الكرامات مقاسد لا يكتفئ عنها ولا تحصى أنواعها وأفرادها فن الناس من يسذل لهم المال ، ومنهم من يحكمهم في النساء والمال ، وانا نعرف أشخاصاً من هؤلاء الدجالين قد اشتهر أن

النساء يجردن لهم فيكتبون من طلاسمهم وحروفهم على بطونهم مايزعمون أنه ينفع
لجل العاقر أو يحجب البغيض منهن الى زوجها أو غيره من تهوى . ومنهم من يخلو
بالنساء متى شاء من ليل او نهار يرضى ازواجهن الذين يمتدنون ان هؤلاء من
المقربين عند الله تعالى فلا يمكن ان تقع منهم الناحشة . فالرجل يكون ديونا وصاحب
الكرامة قاجرا أو قوادا وكل ذلك بركة الاعتقاد بالحوارق والكرامات ولولاها لم
كان شيء من ذلك بهذه الصور

(المسألة العشرون) من مضرات الاعتقاد بهذه الكرامات ترك مجموع الأمة
الاهتمام بأموالها العامة اعتقادا بأن هذه الأمور قد وكأها الله تعالى الى رجال الغيب
فلا يجري في الأمة شيء الا ماقرروه في الديوان الأعلى . وما قرروه قضاء لا مرد
له الا ان يكون بصرفهم . وفي كتب الصوفية كلام كثير عن هذا الديوان ومحله
ورياسته وأعضائه ولتهم وإعمالهم . وقد كان من أسباب خضوع بعض البلاد
الاسلامية للمعرف عن أهلها الشجاعة والأثقل الاجانب قول بعض المتعدين من أهل
الطريق انه علم من أهل الله أن الله قد ساط الاجانب على تلك البلاد عقوبة لها
ويتقنون أن أهل الشام رغبوا الى ولي كبير كان عندهم ان يدفع عنهم لغارة
تيمورلنك فخرج فوجد الخضر على مقدمة جيشه فقال : انت ممه : فقال : نعم انا
وربك : فعملوا ان مقاومت عبت لأنها محاربة لله تعالى !!!

وقد اشيع في أثر الاحتلال الانكليزي في هذه البلاد ان بعض الصالحين استقامت
بأهل البيت والسيد البدوي لاجراهم فكشف عنه الحجاب فرآهم مقيدن بسلاسل
وقيل له أنهم حاولوا إخراجهم فقيدوا لان الله تعالى أراد هذا الاحتلال !!!
أمثال هذه الحكايات تسري في الأمة سريان الاوبئة . تظهر الحكاية اليوم في بلادهم
فيسمها في اليوم التالي أهالي مئة بلد . ولا يمر أسبوع الا وراها قد عمت الديار .
وجابت الاقطار . وقد الاول للآخر . إنها منقولة بالتواتر .

(المسألة الحادية والعشرون) من مضار الاعتقاد بهذه الكرامات انها حجاب
دون العلوم الكونية في نظر الدعاة . وذلك أنهم يرون الذين يأخذون بهذه العلوم
يحتقرون الدجاجة الذين يدعون هذه الكرامات ويحتقرون الذين يضمنون لهم

ويعتقدون بهم فيسبون ذلك الى العلم ويمدون من ثماره وهو شر الثمار عندهم
ويعتقون العلم ومنهم من يجعله بريد الكفر لاجل ذلك وكفى بذلك ضرراً لاسيا في
هذا الزمن الذي بنيت فيه السيادة والسلطة على العلم

(المسألة الثانية والعشرون) من مضار الاعتقاد بالكرامات على الوجه المعروف
ومشايعه العلماء للعامة على جميع مظاهرها وما يتعلق بها ولجهم بحكاياتها واحترامهم
للعلماء وأدعيائها انها نزلت منزلة العنايد الدينية والقواعد الاساسية للدين وصار غير
الراسخ في العلم يعتقد ان منكر هذه الحكايات فيها كافر وكانت نتيجة هذا ان الذين
تعلّموا على الطريقة الاوربية وغفلوا نملوا ان هذه الحكايات إما دجل وشعوذة ،
وإما كاذب ماذقة . صاروا يشكون في الدين من اصله لاعتقادهم التقليدي ان
الدين مبني عليها وما يني على الناسد فهو فاسد . وقد صرح غير واحد من علماء الاجتماع
وطبائع الملل بأن العقبة الكبرى في طريق الايمان لهذا العهد هي عقيدة ككون
الحوارق اصل الدين الاساسي . وقد تقدم في المسألة الحادية عشرة ان ذلك غير صحيح
حتى في اديان الشعوب المنحلة التي كانت تمهداً لدين الارتقاء (الاسلام) فكيف
تكون اصلاً له

(المسألة الثالثة والعشرون) لانعرف شعباً من الشعوب دخل في الاسلام بسبب
هذه الكرامات واذا كان وجد في الناس مرتابون أزال ريبهم مشاهدة الكرامات فلا
نظن انهم يبلغون عشر دشار الذين فسدت عقائدهم بسبب جعل هذه الفرائب من
الدين . واذا فرضنا التساوي فلنا ان نقول : مصلحة بمفسدة : وتبقى مفسدة أخرى ليس
بازائها مصالح وقد ذكرنا أهمها آنفاً فتكون النتيجة ان انهم هذا الاعتقاد أكبر من نفعه
(المسألة الرابعة والعشرون) ان الذي ينبغي ان يموّن عليه هو تحكيم قاعدة
« درء المفسد مقدم على جلب المصلح » وتعليم الامة عدم الثقة بهذه الحوارق وعدم
تصديق المتحايين لها والمبالاة بهم . فان كانوا من أولياء الله وأصفيائه فسيهم غناية الله
بهم وكفايتهم لهم فن كان ولياً لله فآله ولي له ومن لم يكتف بولاية الله تعالى عن
التعرض للناس فهو ولي الشيطان

من عرف الله فلم تنه معرفة الله فذاك الشقي

واذا كان هؤلاء الاصفياء مزاياء روحانية أكرمهم الله تعالى بها فالواجب كإقبال
أئمتهم أن لا يفتشوا سر الربوبية وعلى غيرهم من المسلمين أن يستقدمهم ذلك فينكر خلافه
وهنا نرجع الى مذهب جمهور أهل السنة فنقول أن الكرامة جائزة ولكن
لا يجب على أحد أن يتقصد بكرامة معينة لأحد معين. وهذا المذهب موافق لقاعدة
كتمان الكرامة. ونتيجته أن هذه الحكايات التي تثبت لأشخاص معينين كرامات
لأنها لما لا يوثق بها ولا يعول عليها والصواب أن تقاس على أمثالها عند أهل الملل
الأخرى فإن سنة الله فيهم وفينا واحدة. فإن صحت عنده رواية شيء منها بعد التحري
الذي أشرنا إليه في المقالة السابقة فليعرضه على وجوه التأويل في المقالات اللاحقة.

باب شبهات النصارى وحجج المسلمين

(دعوى صلب المسيح)

تكلمنا في الجزء الماضي عن تمويه محرر مجلة البروتستانت على بعض عوام المسلمين
في هذه المسألة. واقوى ما يخادعون به أنه لا يقل أن رجلاً مشهوراً كالسيح يشبهه
على اليهود وشرطة الرومان فلا يميزونه من غيره. وقلنا أن نذكر أن في الانجيل
عبارات كثيرة تدل على أن الاشتباه حصل بالذمل. وقد كتب اليانا من السويس كاتب
في ذلك فراينا أن نقل عبارته بنسخها وهي :

« قد اطلمت على ما جاء في النار ردأ على بشار السلام في مسألة صلب المسيح .
ولما كنت قد كتبت على المجلة المرسلة الي من قولاً كتابة في هذا الشأن ورددتها
اليه رأيت أن اطلع حضرتكم على مضمون ما كتبت فاطلك تجد فيه ما يناسب النار
وان كان ما كتبت موحزاً فلي النار الايضاح والمراجعة والتفصيل

قلت عند قوله « قال المفسرون ان الله القى شبهه الخ » : ان المفسرين قسمان
قسم يفسر من طريق الايمان على سنة المسيحية وهم الذين نقات قولهم وقسم يفسر
من طريق العلم والعقل على سنة الاسلام وقد فسرنا هذه الآية بما لا يعبد عما ورد
في انجيلكم التي تقرأونها ولا تفهمونها — ورد في الانجيل ان المسيح قال لتلاميذه
انكم ستكروني قبل ان يصيح الديك الخ (انكرت الشيء لم اعرفه) وورد أيضاً

فيه ان المسيح خرج من البستان فوجد اعداءه فقال لهم من تطلبون فقالوا نطلب المسيح فقال هو انا ذا فقالوا انما انت بستاني ولست بالمسيح. وهكذا كانوا كلما وجدوه انكروه وخاتمهم ابصارهم في رؤيته وعمي عليهم واشتبه منظره (وخيانة النظر ثابتة قطعاً) فلما اعيتهم الحيل استأجروا يهوذا الاسخريوطي بثلاثين درهما ليدلهم عليه لتمكنه منه فلا يشتبه عليهم وهذا في الانجيل ايضاً فهذه الحيرة المفضية الى استمجار دليل يدل عليه مع ملاحظة انه ربي في وسطهم وكانوا يعجبون بنصاحته وحكمته كما هو وارد في الانجيل ايضاً يدل بأجلى بيان واوضحه على انهم كانوا في شك منه وكان يشبه لهم بغيره فكلموا اجتمعوا عليه واشتبه عليهم وعمي في نظرهم وخاتمهم ابصارهم وظنوه غيره وما حصل لهم حصل للدليلهم «يهوذا» وقد ورد في الانجيل انهم حينما ساقوه للصلب كانوا يستحلفونه هل انت المسيح فكان يقول هوذا فنه يعلم انهم كانوا لم يزالوا في شكهم حتى بعد الاستمجار ووجود المرشد والدليل فلما اعياهم الامر عمدوا الى من غلب على ظنهم انه هو المسيح والمسيح في السحابة البيضاء مع موسى كما في الانجيل ايضاً ثم صلبوا ذلك الرجل الذي كانوا يستحلفونه وغلب على ظنهم انه هو المسيح فهل كل هذا كان لظهور المسيح واضحاً لهم او لأنهم كلما طلبوه شبه لهم والقى شبه غيره عليه وعمي عليهم وخاتمهم ابصارهم فعمدوا الى يهوذا واستأجروه ليدلهم عليه فا كان بأمثل منهم في ذلك وادتهم خاتمة الخداف الى اخذ من غلب على ظنهم انه هو وصلبوه وما هو منه بشيء بل المسيح ساخر منهم ضاحك عليهم يقول انا المسيح فيقولون لست هو حتى قتلوا غيره وصلبوه وهو محبوب عن انظارهم مشتهه عليهم قد شبه لهم بالبستاني مرة وبغيره اخرى وبذلك نجاة الله من كيدهم فما نالوه بسوء وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لني شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن» المبني على ارشاد يهوذا المشكوك فيه كما علمت من نص الانجيل «وما قتلوه يقيناً»

هل فهمت يا حضرة المبشر الآية وكيف كانت عبارات الانجيل حجة للاسلام
 لاعليه قافروا الانجيل وافهموها فقد وسع الله لكم على يد البروتستانت ولا تكونوا
 كالذي يحمل اسفارا اهـ

✽ أركان الدين الصحيح ✽

ضاق هذا الجزء، عن رد شبهات انتصاري على القرآن وغير ذلك مما كنا وعدنا به لطول مقالة (اتباً العظيم) أكثر مما كنا نتوقع. وتد صدر الجزء الخامس من المجلة البروتستنتية قبل صدور هذا النثار فربأنا فيها نبذة في أركان الدين الصحيح يقول فيه الكاتب الذي يقتضي إلى المسيح مانحه :

« ان المذهب الذي يجب على كل فرد ان يختاره لنفسه هو أكثر المذاهب مشابهة لروح الآلهة وأقربها لصلواتهم » إلى آخره ، وأقاله وكرر فيه لفظ (الآلهة) ثم فسر هذا المذهب بقوله « ذلك المذهب الذي ينادي أن ياتوا أجدادكم تلك منات الله . وأن ياتوا بركوا لا عنكم تلك منات الله . وأن ياتوا أحسنوا إلى من أساء إليكم تلك صفات الله — ذلك المذهب إنما هو مذهب إلهي بلا مرأه » ثم ذكر أن المذهب اذا قال لتابعيه جاهدوا في سبيل الله ودافعوا عن أنفسكم في سبيل الله يكون بريثا من الله والله بريثا منه لأن البرزة الآلهية لا تأمر بالقتال مهما كان الغرض شريفا . وأجاب عن أمر التوراة بني إسرائيل « ببلدة بعض الأمم الجاورين لهم » بأنه « كان أمرا وقتيا لازما لتوصل إلى المسيحية ديانة السلام والمحبة »

ثم ذكر اعتراض اتانس على هذا المذهب بكون محبة الأعداء وترك المدافعة عن النفس مستحيل واعترف بأن هذا صحيح بالنسبة إلى ما عرف البشر الآن وقال ان معارفهم ستزفي في المستقبل إلى فهمه

فما يخص هذا الدين الالهي (١) انه يوجد آلهة متعددة وأن اخلاقهم متفقة على محبة أعدائهم . ولا شك ان أعداءهم هم الذين لا يؤمنون بهم ولا في محبتهم الاعدم . وأخذتهم على الكفر فنتيجة ان هذا الدين دين إبادة ومبطل لنفسه ولغيره . و (٢) انه يأمر بمحبة الأعداء وترك المدافعة وذلك مستحيل بحسب ما وصات إليه ما عرف البشر إلى القرن العشرين من ظهوره ونتيجة هذا انه لم يبقه أحد حتى الآن . و (٣) ان هذا المذهب يخالف قول المسيح « وهذه هي الحياة الحقيقية ان يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحده . ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يوحنا ١٧) وقوله « لا تقتلوا اني جئت لأتني سلاما على الأرض ما جئت لأتني سلاما بل سيافا » (متى ١٠) وقوله « جئت لأتني والكنة ضد حاتمها . وأعداء الانسان اهل بيته » (متى ١٠ — ٣٤ و ٣٥) وقوله « جئت لأتني

نار على الارض» (لوقا ١٣ — ٩٤) وقوله «ان كان احد يأتي الي ولا يبض اباه وامه واسرأته
واولادهم واخوته واخواته حتى نفسه ايضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا» (لوقا ١٤ — ٢٦)
وقوله «اما اعدائي اولئك الذين لم يريدوا ان املك عنهم فتوبهم الى هنا واذبحوهم فداعي»
(لوقا ١٩ — ٢٧) وامثال ذلك . تأتي الدينين دين المسيح عليه السلام ؟؟

اِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ بِشَيْءٍ

(قتل بني اسرائيل انفسهم وبعثهم بعد موتهم)

جاءنا من حضرة المحامي انشهير صاحب الامضاء ما يأتي
راينا فيما اوردتموه بأحد اعداد المجلة في تفسير قوله تعالى (فتوبوا الى بارئكم
فاقتلوا انفسكم) الى قوله جل شأنه (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)
ان سيدنا موسى دعا من يرجع الى الرب من قومه فأجابه بعنهم فأمرهم بأن يأخذوا
السيف ويقتل بعضهم بعضاً ففعلوا وقتل منهم نحو ثلاثة آلاف — وان البعث بعد
الموت عبارة عن كثرة نسايم والبركة في احضارهم تعريضاً لهم عن قتل آبائهم (على
اننا لو اعدنا التأمل نرى ان الامر والارشاد لا قوة لا يستغنى قتل نفوس التائبين
وكذلك البعث بعد الموت لا يكون معناه زيادة النسل

وحينئذ يكون الأقرب هو ان قتل النفس معناه إمامتها عن الفساد والمعصية
بسيوف التوبة والتدم ليضعها الله بعد هذا الموت المعنوي الى عالم الصلاح والتقوى —
وان البعث هنا معناه هو الوصول الى الحقيقة بعد ذلك النلال التي ماتت عنه عواظهم
فأرجوكم ايها الصديق الفاضل إنعام انظر في ما اوضحته وارشادي الى الحقيقة
ودمتم
اسماعيل عاصم

(المبار) تقدم في تفسير الآيات ان سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى الذي عوقبوا
عليه بالصاعقة كان في واقعة مستقلة غير واقعة اخذ الجبال التي عوقبوا عليها بالقتل وقوله تعالى
«ثم بعثناكم من بعد موتكم» وارد على غير الذين تناولوا انفسهم بالتوبة فاذا اعتبر الخطاب
لمجموع الأمة فلا فصل فهي التي قتلت وهي التي صعدت وهي التي بعثت وهذا ما عليه
الاستاذ الامام في إسناد الله تعالى اعمال سابق بني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام

الى بني اسرائيل الذين كانوا في زمن الانزيل وعليه لا إشكال في إسناد «بشناكم» الى الذين ماتوا بالصاعقة او غيرها ولا بعد في تفسير هذا البعث بعد الموت بكثرة النسل لاسيما مع ملاحظة ان الخطاطين بهذا كنه هم اليهود الذين كانوا معاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم اما قتل بعضهم بعضاً في التوبة فهو المتقول في كتبهم المقدسة والذي يدّعون انه خلفاً عن سلف وبه قال جماهير المفسرين. وذهب انقاضي عبد الحيار من المعتزلة الى ان القتل هنا مجاز وما كان الله ليكلف الناس بالقتل لان التكليف لمصلحة العبد ولا مصاحبة في القتل لمن يقتل ووجه الآية توجيهاً مقبولا في اللغة واساليبها وهو نحو ما في السؤال. وذهب غيره من المفسرين الى ان القتل لم يحصل بالذبح وان كان يجوز التكليف به.

قال الآلوسي: ومن الناس من جوز ذلك الا انه استبعد وقوعه فقال «معنى ائتلاوا ذلوا» ومن ذلك قوله :

ان التي عاطيتني فشرتها قتلت قتلت فهاهما لم تقتل

ولولا ان الروايات على خلاف ذلك لقلت به تفسيراً : وتقل عن قتادة انه قرأ « فأتيلوا انفسكم » والمعنى ان انفسكم تد تورطت في عذاب الله تعالى بهذا القتل العظيم الذي تماطيموه وقد هلكت فأقبلوها بالتوبة والزام الطاعة وازيلوا آثار تلك المااضي باظهار الطاعات اه

وقال في تفسير قوله تعالى « ثم بشناكم من بعد موتكم » بعدما اورد القول المشهور : ومن الناس من قال كان هذا الموت غشياناً وهموداً لا موتاً حقيقة كما في قوله تعالى « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » ومنهم من حل الموت على الجبل مجازاً كما في قوله تعالى « او من كان ميتاً فأحييناه » وقد شاع ذلك نثراً ونظماً ومنه قوله :

اخو المسلم حي خالد بعد موته واوصاله تحت التراب رسميم

وذوالجبل ميت وهو ماش على النثرى يظن من الاحياء وهو عديم

ومعنى البعث على هذا التعليم اي ثم علمناكم بعد موتكم : اه فهاورد في السؤال معقول وجيه ولم اذكره في تفسير الآيات لاني لم اتذكر ان الاستاذ الامام اورد على انه بما كان ليغل مثل هذه الوجوه المعقولة ولم يني نيت وسبحان من لا يني

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المنهاج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فليمعنوا حسنه أو تلك الذين هداهم
الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « مناراً » كشار الطريق)

(مصر يوم الخميس ١٦ صفر سنة ١٣٢١ - ١٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٣)

استدراك

ذكرنا في هامش صفحة ١٢٣ أننا لا نذكر في أي موضع من التوراة ذكر ذلك الحكم الذي أشار إليه الأستاذ الامام في تفسير الآية ثم ذكرنا أنه في أول الفصل الحادي والثلاثين من سفر تنية الاشتراع ونصه :

« اذا وجد قتيل في الأرض اني يعطيك الرب إهلك لتملكها واتما في الحقل لا يعلم من قتله ٢ يخرج شيوخك وقضاةك ويقسمون الى المدن التي حول القتل ٣ فالمدنية القربى من القتل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرق عليها لم تحرق بالير ٤ ويحرق شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى واد داثم السيلان لم يحرق نبيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي ٥ ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه اياهم اختار الرب إهلك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خسومة وكل ضربة ٦ ويفصل جميع شيوخ تلك المدينة اقربيين من القتل أيديهم على العجلة المكسورة المنق في الوادي ٧ ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسلك هذا الدم وأعيننا لم تبصر ٨ اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يارب ولا تبجل دم بري في وسط شعبك إسرائيل. فينظر لهم الله » اه وقد ذكر معنى ذلك الأستاذ الامام في الدرس ولكن جاءت عباراته غير كافية فوضنا هذا الاستدراك

الانجيل الصحيح

(مقدمة كتاب الفيلسوف تولستوي الروسي الذي سماه « الانجيل »)

(تمهيد) : ينطق دعاة النصرانية فينا دائما : إن القرآن شهد بأن الانجيل كتاب الله المنزل على المسيح وأنه حق ناذ لم تكن هذه الاناجيل الاربعة التي في أيدينا هي كتاب المسيح فأين هو كتابه ؟ : وقد سبق لنا في المنار الجواب عن هذا السؤال وبيان أن انجيل المسيح في اعتقاد المسلمين هو مجموع المواعظ والحكم والأحكام التي جاء بها المسيح وعلمها بني إسرائيل مع تصديقه للتوراة وأن ذلك لم يحفظ كله وإنما حفظ منه شيء ونسيت أشياء كما قال تعالى في أهله « ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » وما كانوا يعترفون بهذا ولكن الله عرف نبيه الامي به فعمل الناس ما لم يكونوا يعلمون

كانت تعاليم الدين محبوسة في هذه الامة عند الرؤساء ولكن ما أحدثته البروتستانت من حرية البحث فيه وما كتبه مؤرخو أوروبا الاحرار في التاريخ العام قد أظهر لنا تفسير قول الله في الانجيل فكان ذلك من دلائل نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنه ضرب من ضروب إعجاز القرآن وآية من آياته البينات . فان التواريخ الكنسية وغير الكنسية أظهرت لنا أن أتباع المسيح في زمنه كانوا من العوام الجاهلين وأنهم مزقوا من بعده في الأرض كل ممزق وكانوا مضطهدين من اليهود والرومان جميعا حتى قضت السياسة على الملك قسطنطين بالدخول في النصرانية واتخاذ عصبية جديدة منها . فلما صار لهذه الديانة سلطة طفتت تنشئ الجامعات وتجمع الآثار الدينية فظهر عندها اناجيل كثيرة تحكم فيها

الرؤساء كما شاؤوا وأقروا منها أربعة وحكموا ببطلان ماعداها . وإن كانت هذه الأربعة الا تواريخ للمسيح فيها بعض كلامه الماثور عنه منقولاً عن آحاد لايجزم العقل بصحة روايتهم كلها ولا يكذبها كلها فالذي يمكن الوثوق به في الجملة ان فيها حظاً من كلام المسيح وبقي حظ آخر هو الذي نسوه . وليس فيها كلمة تدل على أن أحد مؤلفيها يدعي أنه جمع فأوعى كل ماقاله المسيح . بل كانت آخر جملة في الرابع منها قول يوحنا مؤلفه « وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » اهـ

وإننا نبض الطرف عن الغلو في العبارة نقول إن الأفعال الكثيرة المرادة لا بد ان تكون مصحوبة بأقوال وتعاليم تركت كتابتها كما تركت كتابة الأفعال . ولعلنا في جزء آخر نورد بعض أقوال مؤرخي أوربا في ذلك . ونقول الآن إن العقول المطلقة من أسر تقليد الكنيسة قداهتدت الى ماحكم به الاسلام في الجملة . ومن أكبر هذه العقول عقل الفيلسوف تولستوي الروسي الشهير فقد ألف كتاباً أرجع فيه الأنجيل الأربعة الى إنجيل واحد وحذف منها ما لا يوثق به من الأقوال التاريخية والخوارق الكونية وان كان بعضه صحيحاً . وإننا ننشر في المنار مقدمة كتابه هذا معربة عن الفرنسية لتكون عبرة للعقلاء وان كنا لانسلم بكل ما فيها تسليماً

ذكر في أول المقدمة ان كتابه هذا (واسمه الأنجيل) ملخص من سفر له كبير مؤلف من أربعة أقسام - أحدها في تاريخ حياته هو وارتقائه في الفكر الذي أعانته على معرفة الحق والصواب في التعاليم المسيحية كما يعتقد الآن . وثانيها في خلاصة المذهب المسيحي المعروف عند

الكنائس لخصه مما يؤثر عن الحواريين والمجامع وجمهور القيسيين وأضاف إليه شرحاً « يوضح فساد تلك التعاليم الكنائسية ». وثالثها في خلاصة الاناجيل الاربعة وجعلها إنجيلاً واحداً يحتوي على التعاليم المسيحية الصحيحة بحسب ما وصل إليه اجتهاده . ورابعها خلاصة عامة للمعنى الحقيقي الذي تدل عليه التعاليم النصرانية وللأسباب التي أوجدتها والنتائج التي تستلزمها . (قال) : وهذا الكتاب الذي أنشره الآن على رؤس الأشهاد هو خلاصة القسم الثالث : ثم قال :

« ولقد حاولت في القسم الثالث من مؤلفي الكبير الذي سبقت إليه الإشارة أن أترجم وأنشر الاناجيل الاربعة جملة جملة لأغفل منها سطوراً واحداً ولكن رأيت من الواجب أن أتمد في هذه الخلاصة حذف كل العبارات التي ترتبط بهذه الموضوعات وهي : (الحمل بالمسيح وميلاد القديس يوحنا المعمدان وسجنه وقطع رقبته وميلاد المسيح ونسبه وهروبه إلى مصر والمعجزات التي حصلت في كانا وكنزناحوم والعزائم لالخارج الجن من أجساد الناس والسير على سطح البحر ولعن شجرة التين والقيامة وكل ما يشير إلى النبوات التي جاء مصداقها في حياة المسيح)

« طوبت كشفاً عن هذه العبارات لأنها لا تحتوي على شيء مما يتعلق بالتعاليم المسيحية وإنما لها علاقة ببيان الحوادث التي حصلت قبل تصدّر المسيح للتعليم وفي اثنا عشر عاماً بعده فليس فيها فائدة في إيضاح حقيقة التعاليم التي جاء بها المسيح بل يسوغ لنا أن نقول أنها موجهة للتشوش في فهمها والارتباك في إدراكها ومهما كانت الوسيلة في ترتيب المعاني على هذه

الموضوعات فانها لا تغير تعاليم المسيح نقضاً ولا اثباتاً وانما النرض منها إقناع الذين لا يعتمدون بالودية عيسى المسيح ولذلك لم يكن فيها أنل فائدة لرجل لا تؤثر حكايات الخوارق والعجائب في إقناعه فضلاً عن كون في نفس تعاليم المسيح الدلائل الكافية على ثبوت ألوهيته

(ثم قال) : « وأقول بوجه العموم فيما يتعلق بمخالفة ترجتي في بعض المواضع للنص الرسمي المعتمد في الكنيسة ان القارىء لا ينبغي له أن ينسى أنه من الخطأ الفاحش والكذب الصراح ان يقال ان الاناجيل الاربعة هي كتب مقدسة في جميع آياتها وفي جميع مقاطع كلماتها وانها مقدسة بحيث يحرم تبديل شيء منها فلا يصح للقارىء ان ينسى ان عيسى لم يؤلف كتاباً قط كما فعل أفلاطون وفيلون ومارك أوريل وانه لم يلق تعاليمه مثل سقراط على رجال من أهل العلم والادب وانما عرضها على قوم من الجهال قد خشت طباعهم كان يصادفهم في طريقه . وانما جاء بعد مماته بزمان يقارب المئة عام رجال أدركوا مكانة كلماته فطفا ببالهم ان يدونوها بالكتابة . ولا ينبغي للقارىء ان ينسى ان مثل هذه المدونات كانت كثيرة وقد ضاع معظمها وان منها ما كان يحشوا بالخطأ والغلط وان النصارى قد استخدموا كل هذه المدونات في أول الأمر حتى اختاروا منها مع توالي الأيام ما ضرر لهم أنه أقرب للسكال والصواب وان الكنائس حينما اختارت أحسن الأنجيل بين مئات الألوف من المصنفات التي جادت بها فرائح المشتغلين بالعلم في أوائل النصرانية وقعت فيما يقوله المثل الروسي « لا يخلو القضييب من العقد » فأخذت عقداً كثير من هذه المجموع وان الغلط في الأنجيل القانونية هو بقدر الغلط في الاناجيل

المهمة لاعتبارها محلا للشك والارتياب وان هذه الأنجيل المتروكة تشتمل على أشياء جميلة قد تعادل ماتضمنته الأنجيل الرسمية « لا ينبغي للقارىء ان ينسى ان تعاليم المسيح هي المقدسة وان ذلك التقديس لا يتعدى الى عبارات مسطورة وكلمات مرقومة وان اعتبار بعض الكتب مقدسة لا يكفي في إحاطة التقديس بكل ما جاء فيها الى آخر سطر منها . فليس الآن في عالم المدنية من يجمل أعمال النقد التاريخي منذ مئة عام سوى جمهور الناس في بلادنا الروسية فانهم لا يزالون يمتدنون بهذا الرأي الساذج وهو ان أنجيل متى ومرقس وبولس قد كتبت كما هي الآن وان المؤلفين المنسوبة اليهم قد كتب كل واحد منهم ما كتبه على حدة دفعة واحدة

« لا ينبغي للقارىء ان ينسى ان هذا الرأي المبني على الجهل بالمباحث العلمية انما تعادل تيمته اليوم قول أسلافنا في القرن الماضي ان الشمس تدور حول الارض . ولا ينبغي للقارىء ان ينسى ان الأنجيل الجملة المندجة في بعضها انما هي ثمرة المباحث الطويلة ونتيجة سلسلة من أعمال الحذف والزيادة وانما أثر من آثار ما أوحاه الخيال على آلاف من الرجال وانما ليست نتيجة ما نطق به الروح القدس على لسان الأنجيليين كما يزعمون . ولا ينبغي للقارىء ان ينسى ان الأنجيل بشكها الحاضر لا تتضمن البتة شهادة الحوارين وتلامذة عيسى مباشرة وان القول بذلك من الخرافات التي لا تصبر على محك الانتقاد فضلا عن عدم بنائها على أدنى أساس سوى رغبة تنوس أرباب التقوى والورع في ان تكون كذلك . فقد توالى القرون والناس يدونون الأنجيل ويهدون موضوعاتها ، ويتوسعون في

عباراتها ، ويشرحون أقوالها ، فان أقدم النسخ التي وصلت إلينا قد تمت كتابتها في القرن الرابع للميلاد وهي مكتوبة على نسق واحد من أولها الى آخرها أي بلا فواصل ولا غير ذلك من الاشارات التي تستعمل لايضاح الكلمات وبيان الجمل ولذلك دعت الضرورة حتى بعد القرنين الرابع والخامس الى تنسيدها بطرائق متخالفة من كل الوجوه وصارت نسخ هذه الاناجيل تقارب الخمسين ألفا .

« بل يجب على القارئ ان يستحضر في ذهنه كل هاتيك الاعتبارات حتى لا يعمل على هذا الرأي السائد فيما بيننا وهو ان الاناجيل وصلت إلينا صادرة مباشرة عن الروح القدس بشكلها الحاضر ويجب عليه أيضا أن يسلم معنا بأنه ليس من المحرم علينا ان نحذف من الاناجيل العبارات التي لافائدة فيها وان نستعين ببعض معانيها على بيان معاني البعض الآخر بل ان الحرام كل الحرام والكفر كل الكفر هو عدم التجاسر على فعل ذلك وان نعتد بتدريس بعض العبارات ، وطائفة من الكلمات بحيث نرى انه لا يجوز مساسها على الاطلاق

« هذا وانني أسأل القارئ الكريم ان يتذكر أنني اذا كنت لأعتبر الاناجيل كتباً مقدسة قد نزلت علينا من السماء مباشرة بوحى من الروح القدس الذي جعلنا لنا عهداً ووصية فأنني لأذهب أيضا الى ان هذه الاناجيل ليست الا آثاراً تاريخية تدل على حالة التأليف في العلوم الدينية بل انني مصدق بما حوته من التصور الديني والتاريخي ولكنني اتصورها بطريقة أخرى ولذلك أرجو من القارئ الكريم الذي يعين نظره في ترجمتي بان لا يترك نفسه في أثناء تلاوتها تسير في

طريق الضلال من حيث الوجبة الدينية أو من حيث الوجبة التاريخية
التي أقر عليها أرباب الآداب وعنوانها في هذه الأيام فليست أذهب
الى واحدة منهما دون الاخرى فكلاهما في نظري سواء . لا جرم إنه
يستحيل علي أن أعتبر النصرانية وحيا لا يشوبه شيء أو مظهرا مجردا من
مظاهر التاريخ في هذا الوجود ولكنتي أذهب الى ان النصرانية هي
النحلة الوحيدة التي تجعل معنى لهذه الحياة ولم يدفعني اللاهوت ولا
التاريخ الى اعتناق النصرانية ولكن الاسباب التي حملتني على قبول هذا
المذهب هي ما يأتي :

(لها بقية)

أناك علي البرية

— تمة تقرظ رسالة الشيخ محمد بن حنيت —

قال المؤلف بعد ما تقدم : ومن هذا القليل بلا شبهة الاجتماع للصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم لانها جماع الخير ومفتاح البركات باجماع المسلمين :
أقول ان الصلاة على النبي والثناء له مشروع ولكن لم يقل احد من السلف
ومن ينظر الى قوله من الحلف بمشروعية الاجتماع لها وكونها شعارا دينيا بين له
وقت مخصوص وصيغ مخصوصة واجتماع مخصوص . واذا كان الشعار لا يثبت الا بشرع
كما تقدم على المسلمين ان يحاموا ذلك ولا يسلوا ويدعوا مجتمعين وفرادى ما يحاموا جعل
ذلك شعارا . ولا معنى لهذا الاجماع الذي ذكره . فالذين ينقد بهم الاجماع لم ينقل عنهم هذا
القول « انها جماع الخير ومفتاح البركات » وان اراد انهم قالوا ما هو بمشاهر قلنا ان مشاه
غير محدود معين وما ذاك الذي قالوه بمشاه ومن الذي قلوه بالاجماع ؟ . والذي يقوله كل
مسلم انها مشروعة وكل مشروع خير نافع ومفيد وبهذا التدرج كفاية
(بدع المواسم) ثم قال : ومن هذا القليل الاجتماع لقراءة وسماع نحو قصة المراج
وفضائل ليلة النصف من شعبان وليلة القدر في لياليها المشهورة لان الاولى سيرة النبي
(١٨ — التبار)

واحاديثه الصحيحة والثانية والثالثة آيات قرآنية واحاديث نبوية جاءت في فضل اللياليين وبيان معاني ذلك مما يرغب في العمل انصالح:

وتقول: الاجتماع لهذه القصص صار له كيفية مخصوصة ووقت مخصوص ويكون في المساجد ويقتضي ثققات كثيرة تؤخذ من أوقاف المسلمين بغير حق فيكثرون فيه إضاءة القناديل والشموع في المساجد والمنائر وتدار في بعض المساجد أقداح الشراب الحلو على الحاضرين وقد تكون هذه الاقداح من الذهب أو النفضة وذلك حيث يكون الامراء ومن يتبعهم من الحكام والعلماء . وبعض القصص التي تقرأ فيها تشمل على الاحاديث المكذوبة والواهيه لاسيما قصة المولد التي تدخل في كلامه بمقتضى كلمة «نحو» . ثم ان هذا الشعار المبتدع يستتبع بدعا أخرى كاجتماع أهل اللهو الباطل المصبوغ بصبغة الدين بطبولهم ومزاميرهم في المسجد يمزفون وينغنون ويصفقون ويهزأون بإسماء الله تعالى اذ يذكرونها في لهوهم هذا ويجتمع عليهم في بعض المساجد (كسجد القلعة) الفوغاء والافرنج نساء ورجالا فيكونون في نظر هؤلاء سخرية وآية على ان دين الاسلام دين المجانين والحلقي (حاشاه)

هذا بعض وصف هذه الاجتماعات التي جعلت شائرا إسلامية تقام في بيوت الله تعالى ومن يقرأ رسالة المؤلف لاينهم منها الاكون هذا الاجتماع المعروف مشروعا في الاسلام ومن القرائن ان الناس يرون العلماء يحضرون هذه الاحتفالات . نعم إنه قال في جملة أخرى : لايجوز التكلف في تغيير الصوت في الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعله الموام فيمنع : ثم قال : وكذا يمنع كل منكر وكل شيء اشتمل عليه مجاس الذكر والخير دون نفس الذكر والخير : وهذا القول يشبه ان يكون احتراما من الاتقاد فان الاجتماعات التي ذكرها معظمها بدع ومنكرات حتى صار الأقرب ان يؤمر بتكريم ذكر الله ان يكون فيها احتراما له فان هذه الاجتماعات قد تكونت هكذا من المنكرات فلا سبيل الى إجازتها وجعلها مشروعة واعتبار المنكرات عرضا لاحقا بها يخص بالانكار دونها . وهذه الآيات وتفسيرها والأحاديث وشروحها تقرأ في مجالس العلم ولايخطر في بال أحد أن يقول إنها منكرة . بل تقول ان مجالس العلم في نحو الازهر لا تخلو من منكر في الغالب ولكن ذلك هو

التكر العارض والأصل في المجلس والاجتماع إفادة العلم واستفادة

...

(بدع الجنائز) : وتد أحسن المصنف عقيب ذلك في الجزم بمحظر ما يكون في الجنائز من « رفع أصوات المشيعين للجنائزة بنحو قرآن أو ذكر أو قصيدة بردة أو يمائية » وعده ذلك من البدع المذمومة وعلل ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم تركه مع قيام المقتضي لنفعه قال « فيكون تركه سنة وقوله بدعة مذمومة » كما هو الحكم في مثله بل نقل حديثا رواه أبو داود مرفوعا وهو « لا تنبع الجنائز بصوت ولا نار » ثم ذكر أن بعض المتأخرين جوز رفع الصوت بالذكر « مخالفة لاهل الكتاب لأنهم يمشون في الجنائز ساكتين » ... رد عليه هذا القول بوجهين أحدهما اتباع النص النهائي عنه والثاني أن العلة ممنوعة فإن أهل الكتاب يرفسون أصواتهم في الجنائز لهذا العهد . ونزيد عليه أن هذه العادات سرت إلى المسلمين منهم . ثم قال مانعه : « وأما ما ينفل في زماننا أمام الجنائز من الأغاني ورفع الصوت بالبردة واليمائية على الوجه الذي يفعل في هذا الزمان والمشي بالمباخر فلا يقول بجوازه أحد » ثم بين أن عرف الناس لا يتبر في هذا الزمان كما صرح به فقهاؤهم

اقول قد أحسن في القول بمحظر هذه البدع . ومثل هذا الذي ذكره في كونه مبتدعا مذموما ما تقدم الكلام فيه من الاجتماع لقصة المراج وليلة النصف وليلة القدر وليلة المولد . وأما العرف المحكم شرعا فلا معنى لاشتراط كونه جرى في عهد الصحابة وإلحاحه بالاجماع كما قل وأما هو العرف الذي يجري في المعاملات الدينية وتواطأ الناس عليه لموافقة لمصلحتهم وهو لا يخالف نص الكتاب والسنة ولا يتناق بالأمور الدينية المحفنة

...

(لاعتبر بسكوت العلماء على التكر) وأحسن أيضا كل الاحسان في قوله بمد ابطال عرتهم فيما ذكر : « وكذا ما تمارفوه من التثني — أي بمدح السلاطين — والترضي وغير ذلك وقت الخطبة فإن كل ذلك ممنوع اتفاقا يثاب من منعه أو أمر بمنعه كما أن فعل شيء مما علم أنه بدعة مذمومة شرعا في بعض المواضع التي يكون

بها العلماء كالجامع الأزهر مع سكوتهم عليه لا يصالح دليلاً على الحل لأن الممول عليه في الأحكام الشرعية هو ما ذكرنا من الأدلة الأربعة : فلي تأمل قول هذا العالم الأزهرى أولئك العوام الذين يحتجون على النار في إنكار بدع الموالد والمساكين بأن العلماء يشاهدونها ولا ينكرونها بل يقرون الناس عليها . وهذا آخر ما اردنا كتابته في تقييد هذه الرسالة الوحيدة انتقاداً واستحساناً وذلك غاية منا بمؤلفها فإكل من كتب يالى بكلامه

(مختصر جامع بيان العلم وفضله . وما ينبغي في روايته وحمله)

كنا نسع بكتاب العلم لحافظ المغرب الامام أبي عمر يوسف بن عبد البر ونرى انقل عنه في كتب الحديث والأثر فنشئ ان نراه وتنى لو يطبع . وقد أعطانا الله ماتنى إذ أظفر الشيخ أحمد عمر الحمصاني البيروقي الأزهرى المعروف بحسن اختيار الكتب بنسخة من هذا الكتاب ووقفه لاختصارها وطبعها . وما كان اختصاره الا حذف الاسانيد والمكرره . وقد ذيله بهوامش نسر بها الفريب من الكلام ، ونوّه بعض الفوائد والحكم . وجعل في آخره فهرساً للأعلام ذكر فيه جميع أسماء الصحابة والعلماء الذين جاء ذكرهم فيه ميذاً مواضعها من الصفحات والاسطر . وقد بلغت صفحات الكتاب ٢٣٢ وهو بشكل النار وطبع بحروف كحروائه الصغيرة ولا أجد قولاً أقرظه به بعد شهرته وبعد صيت مؤلفه الا ان أتحف القراء بعض فوائده وسيكون ذلك في غير هذا الجزء . ولكنني أعجل بالنصيحة لأهل العلم الاسلامي وحميه بأن يقرأوا هذا الكتاب وفتتوه . وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيفة وهو يطلب من مؤلفه بالأزهر ومن ادارة مجلة النار ومن جميع المسكاتب الشهيرة في مصر وغيرها (اغاثة الالهان ، في مصايد الشيطان . وطريق الهجرتين ، وباب السعادتين)

كتابان جليلان للامام الحجة شمس الدين محمد بن أبي بكر الحلي المعروف بآين قيم الجوزية موضوعهما النهي عن البدع والمحرمات والكلام في الأخلاق والآداب الدينية والمواظع والرقاق والاعتصام بالكتاب والسنة . ومثل هذا الامام الحافظ هو الجدير بالتأليف في ذلك فقد كان هو وشيخه بل شيخ الاسلام وعلم الأعلام

أحمد ابن تيمية أعلم أهل الأرض بالكتاب والسنة. وعندي أنه لا يستغني أحد يطلب علم الدين عن الاطلاع على كتبهما وإن هذين الكتابين يصاحبان لأفادة العوام وإن كان لا يستغني عنهما الخواص. وقد طبع الثاني منها في هامش الأول وبلغت صفحات المجلد الذي جمعهما ٤٢٣ من القطع الكامل وهو يطلب من مطبعة ومكتبة الحلبي بمصر

(غنية المؤدين في الطرق الحديثة للتربية والتعليم)

كتاب حديث الوضع والطبع ألفه الشيخ عبد العزيز شاويش أحد مفتي نظارة المعارف العمومية. بدأ بمقدمة في تاريخ التربية وجاء فيه بفصول في علم النفس وفصول في التربية على اختلاف ضرورياتها وفصول في أساليب التعليم ونظام المدارس وفي هذه الفصول فوائد ومسائل لا تكاد توجد في كتاب عربي لأنها مقبوسة من علوم العرب — وقد تربي المؤلف في أحسن مدرسة لهم وهي مدرسة دار العلوم بمصر — ومن علوم الأفرنج — وقد تخرج في مدرسة من أحسن مدارس الإنكليز — وقد تصدنا صفحات من الكتاب فاستحسننا وضعه ، ورجونا أنه لم ينتقد فيه شيئاً يضع لذلك الوضع . أو يحول دون هذا المنفع ، وإنما هي كلمات نبت عن مواضعها . وقضايا لا تؤخذ على إطلاقها ،

أما الكلمات فبعضها من تحريف الطبع وبعضها من استعمال المدارس ككلمة تحته فإنها فارسية ، أما الخشب وقعرها تحت وهو وعاء تصان فيه الثياب وسرير من خشب أو غيره غلبت في عرش السلطان واستعملها المؤلف في اللوح الذي يكتب عليه . وإنما هو ضرب من ضرر أو تجوز أو التوسع في الكلام نحو التمديد والتأخير كقوله « كفي لهم . علم واحد » وقوله في ابتداء كلام « كانت تعلم اليهود القراءة » يريد كانت اليهود تعلم . ونحو ذلك من الجمل التي تنكر بعضها البلاغة وإن عرفها النحوي ومثلها كثير في كلام الماصرين من الكتاب والمؤلفين الذين ينفرون لهم مالا ينفرون لهم من التربية والتعليم مثل صديقنا مؤلف كتاب « غنية المؤدين »

وأما القضايا التي ينتقد إطلاقها فمثل ما حكاه في أول الكتاب عن الترية عند اليهود وعند العرب . فقد ذكر أن الترية كانت عند الأسرائيليين إلى سنة ٦٤ قبل الميلاد منزلة دينية قال « فربو الطنل وليس في قلبه شيء غير الله وحجلاه » وهذه نتيجة فيها مبالغة عظيمة ولا بد أن

يكون المؤلف قلمها عن كتاب أوربي يطري اليهود والتاريخ يدل على أنهم لم يكونوا في عصر من الأعصار آخذين بروح الدين يمثل هذه العناية، ومثل ما حكاة عن طريق التعليم عند العرب فإنه انما ذكر رأي ابن خلدون في ذلك ولم يذكر ما كان عليه العرب في نفس الامر

ومثل هذا لا ينبغي كون الكتاب لانظير له في باب وانه ينبغي للمعلمين والمربين الاستعانة به والاستفادة منه. وباليات اهل الازهر يقرأونه ويطلعون على ما كتبه واحد كان منهم ثم قلم بعد علومهم فلم تعلموا. وقد قال بعض افاضل المشتغلين بتعليم فن التربية والتعليم في تقرير هذا الكتاب كلمة ينبغي ان تكون فصل الخطاب وهي : انني كنت اذا اردت لقاء الدرس في هذا الفن لاجد ما اقول الا بعد بحث واستقصاء ، وجهد وعناء ، فلما طبع هذا الكتاب نظرت فيه فاصبت في كل فصل من فصوله ما ينبغي ان يلقى في الدرس الذي يحث ذلك النصل في مسائله مع زيادات لا يستغنى عنها ، ولا بداهة علم منها :. والكتاب يطلب من مكتبة المؤيد ومكتبة الشعب بمصر (المتنحل - للامام أبي منصور الشعالي)

الشعالي من أئمة اللغة والأدب المعروفين وله الكتب الثمانية فيها ومنها هذا الكتاب الذي أودعه مفردات ومقاطيع من مختار الشعر في ضروب الكلام وشجونه بما يحسن لإبراده في الرسائل والنصول الأدبية والأخلاقية والاجتماعية. ولقد كان سرراً مضمراً في خاطر الدهر حتى وقعت نسخة منه لشيخ أحد أبي علي أمين مكتبة البلدية في الاسكندرية وهو من أهل العلم والأدب وعشاق فنون فأذاعه بما حرص على نشرها للطبع بعد عناء في تصحيحها وتعليق شرح وجيز عليها جعله كالنظر ازل على مطارف بعض الصحائف .

(المتنحل . في تراجم شعراء المتنحل) كتاب لطيف لشارح المتنحل وطابعه رتب فيه أسماء الشعراء الذين ألف المتنحل من مختار كلامهم على حروف المعجم وذكر سيرهم مختصرة مفيدة فكانت صفحات الكتابين معاً ٣٩٠ والكتاب طلبة المتأدين وقد طبع على ورق جيد وضبط ما يستحق الضبط من كنه بالشكل وثمن النسخة منه ٢٠ قرشاً صحيحاً وأجره البريد قرشان وهو يطلب من طابعه ومن ادارة مجلة المنار بمصر واتنا ذكر نموذجاً منه ونبدأ باب الامثال والحكم والآداب

(قال امرؤ القيس بن حجر الكندي)

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيقة الرجل
لقد طوّفت في الآفاق حتى رضيت من النعمة بالأياب
فأنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يضل بك مثل مغلب
وجرح اللسان كجرح اليد
(وقال طرفه بن العبد)

صكفي واعظاً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتفتدي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالقرين يقتدي
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشر يعتب أهله وقام جناة الشر للشر فاقعد
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ياراقد الليل مسرور بأوله إن الحوادث قديطر فن أسحارا
كلهم أروغ من ثعاب ما أشبه الليلة بالبارحة
لنا يوم ولكروان يوم تطير البائسات ولا تطير
وأعلم علماً ليس بالذن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
(وقال الأفوه الأودي واسمه صلاة بن عمرو)

تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت وإن تولت فبالأشرار تنقاد
واليت لا يبتغي إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكين بلنوا الأمر الذي كادوا (١)
(وقال محمد بن منذر)

يا حياً من حاله كيف لا يخطئ في تأمرة بالصواب
(وقال أبو نواس)

كفى حزناً أن الجواد مقتر عليه ولا معروف عند بخيل
وأوبة مشتاق بغير دراهم إلى قومه من أعظم الحدنان

(١) المتار — كاد الأمر حاول طلبه

(وقال محمود الوراق)

وإذا غلا شيءٌ عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
ولم أر بعد الدين خيراً من النفي ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر
(وقال علي بن الحبحم)

وعاقبة الصبر الجليل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار لإنزالك عن الحرّ نعمة ولكن عاراً أن يزول التجميل
(وقال أبو تمام)

ومن لم يسلم لنوائب أصبحت خلّقه طراً عليه نوائب
وقال أبو الطيب المتنبي

أهم شيءٍ واليالي كأنما تطاردني عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قلّ المساعد
إنا لني زمن ترك الصبح به من أكثر الناس إحسان وإجمال
(وقال آخر)

فيأنفس صبراً أما عفة الفتي إذا عفّ عن لذاته وهو قادر
دع الوطن المألوف رابك أهله وعدّ عن الأهل الذين تكاثر
فأهلك من أصفى وعيشك ما صفا وإن زحمت دار وقلت عشائر
وكيف ينال الجدد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفر وافر
وهل تحجب الشمس لثيرة ضوءها ويستر نور البدر والبدر زاهر
(وقال آخر)

وكنت إذا خاصمت خصماً كيت على الوجه حتى خاصمتني الدرام
فلما تنازعنا الخصومة غابت عليّ وقالوا قم فانك ظالم
ولما التقينا لجلجت في حديثها ومن آية الشرّ الحديث المملج
ان الأمير هو الذي يضحي أميراً بعد عزله
ان زال سلطان الولا ية فهو في سلطان فضله
شعار الفتى ذم الزمان الذي أتى ومن شأنه مدح الزمان الذي مضى

(مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر)

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أنصدي زيدان منشيء مجلة الهلال الشهيرة وهو خاص بترجم رجال العلم والأدب والشعر ومنهم كتاب الجرائد وطريقة المؤلف في التأليف وذوقه في تحرير التاريخ مما لا يحتاج إلى تنويه ولا يكاد يوجد قارئاً بالعربية الا ويحب ان يطلع فيه على ترجمة فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الافغاني وغيره من رجال العلم والأدب كالكثور قائدك والسيد أحمد دخان وبطرس البستاني والشيخ أحمد أنصدي فارس وكمال بك نامق ومحمود باشا الفلكي وأمثالهم .
نعم قد اتقد عليه أنه ذكر بعض الادباء الذين لا يعدون من رجال النهضة والذين يوجد لهم نفاذ وأمثال كثيرون . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً
(ديوان الراجحي)

لم ينس القراء اننا نترنا مقدمة هذا الديوان في الجزء الأول وقد تم طبع الديوان مذيلاً بشرح وجيز لشقيق انطاغم محمد كامل أنصدي الراجحي . ومن أراد ان يعرف مكانة هذا الديوان في دواوين الشعر والأدب فلينظر ما قرنه به فرسان هذا الميدان كمحمود باندا سامي البارودي والشيخ عبد المحسن البغدادي وحافظ أنصدي ابراهيم وغيرهم وإننا ننشر تقريرنا هذا الاخير لاحتصاره قال:

تدق قرأنا نظيمكم قفراًنا	حكمة ككهة وشمرأ قنيا
وتلونا تيركم فشهدنا	كاتباً بارع البراع سراً
خاطر يسبق الميون الى انقلا	ب يعطوي منازل البرق طبا
ودمان كأنها الروح في اله	يف تمز النفوس هنز الحما
من بنات المحار يصبو اليها	تايج كسرى وتشهيا التريا
ليه يارانهي أحسنت حق	لاأرى محسناً بجنبك شيا
أنت واقه ككاتب بدوي	ان عددناك شاعراً بدويا

ولا غرو فهذا الشاعر في بدايته قد فاق كثيراً من شيوخ الشعراء في نهايتهم
تتمنى لو يقبل الناس على ديوانه تنشيطاً للأدب واهله

(ورقة الآس) هي القصة الرابعة عشرة من قصص (مسامرات الشعب) الشهيرة

كتبها احمد بك شوقي شاعر الامير وقد قرأتها فألفتها احسن ما قرأت من هذه القصص عبارة واسلوباً وتأثيراً حتى كدت اقول انها هي القصة الأولى والاخيرة من هذه المسامرات. وقد صدر بعدها قصة مصارع الشهوات وقصة الفتاة اليابانية وهي الاخيرة ومؤلفها حسن افندي رياض وقد نظرت في التي قبلها فلم اجدوا مثلها وربما كان ختامها ماسكاً - جرائد ومجلات جديدة -

(المغرب) جريدة سياسية اقتصادية علمية ادبية تصدر في مدينة الجزائر باللغة العربية مرتين في الاسبوع صاحب امتيازها موسيو بير فونطانا وقيمة الاشتراك فيها عشرة فرنكات في الجزائر و١٥ في غيرها وهي على قبح ورقها وسوء طبعا نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم بعض احوال العالم وشؤون الاجتماع فتعني لها دوام الاعتدال والقصد والرواج في تلك البلاد (الافكار) جريدة وطنية اخبارية حجة اسبوعية انشأها في سان بابلو بالبرازيل الدكتور سعيد ابو جره صاحب كتابي (حياتنا التاسلية) و (وقاية الشبان) وقيمة الاشتراك فيها ٢٠٠ قرش برازيلي في البرازيل وعشرون فرنكا في سائر الممالك وهي جريدة ترحى فائدتها فحسى ان يتحقق الرجاء (النضلة) مجلة ادبية تصدر في مصر آخر كل شهر شمسي لمنشئها سليم افندي العظم وقيمة الاشتراك فيها اربعون قرشا في القطر المصري وثلاثة عشر فرنكا في غيره وثلاثون قرشا لرجال الدين وطلاب العلم. وقد صدر منها جزآن ثانيهما في شهر ابريل (حب العلوم) مجلة علمية دينية تاريخية انتقادية تصدر برفق مرتين في كل شهر لمنشئها الشيخ عبد الفتاح جاب. الله (هكذا) وقيمة الاشتراك فيها خمسة عشر قرشا ولطيلة الأزهر واساتذة المدارس عشرة قروش وقد انشئت في اول المحرم من هذه السنة (الصيحة) جريدة اسبوعية تصدر في طنطا صاحبها محمود افندي الشاذلي وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش (جنبه مصري)

(القاهرة) جريدة تصدر في مصر لصاحبها بشير افندي يوسف قيمة الاشتراك فيها ثلاثون قرشا وهي تصدر في الشهر مرتين (انيسية) جريدة اسبوعية تصدر في مصر لصاحبها يوسف افندي كساب وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ قرشا في القطر المصري و٢٥ فرنكا في سائر الاقطار

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْأَكْبَرِ

— شرف العرب وفضاهم على الامم —

صدر الجزء الصادر في هذا الشهر من المقتطف بمقالة في عمران العراق أورد الكاتب فيها ماخص بمقالة لجريدة اتيسس في شريعة حموربي (وضبطه «هورابي») جاء فيها ان هذا الملك الشارع العظيم الذي يرى العلماء في أوروبا ان معظم التوراة مستمدة من شريعته هو من أسرة عربية الأصل قال «فالعرب هم الذين وضعوا تلك الشريعة» فحسب العرب نفرا وشرفا أن أقدم شريعة عرفت في الأرض الى هذا العهد هي منهم وآخر شريعة وجدت في الأرض فكانت خاتمة الشرائع الالهية جاءت على أيديهم فن يناخرهم في الأرض وهم ساسة الأمم ومهذبوها في القديم والحديث أولئك آباي خفي بناتهم اذا جمعتا يا جبرير الجامع

نم انهم قد هضموا أنفسهم منذ قرون فهضمت حقوقهم الأمم حتى صار يخط المتطاولون على موائد العلم والكتابة بدمهم والقول بأنهم لا استعداد فيهم للسياسة ولا للحضارة فصدق عليهم قول شاعرهم «ومن لم يكرم نفسه لا يكرم» ولا طريق لتكريم النفس إلا العلم والتهذيب فأما التهذيب فأهل البداوة منهم ارسخ الناس عرفا في اصول الفضائل وهي الشجاعة والشهامة والاروة والتجدة والسخاء والوفاء والصفة. وأهل الحضارة منهم اتوى الناس استعدادا له. وأما العلم فأله الذكاء والعقل والعرب اذكي الناس اثقة واكبرهم حلوما ولكن العلم في كل زمانا طريقا فلا بد للعرب كثيرهم من التوصل الى العلم الديني من الطريق الذي سار عليه الافرنج قبلهم فسادوا واعتزوا وأما علم الدين فهو منهم على طرف التهام. فإذا عقل سراتهم هذا فلا يمدد ن وسيلة لاشراع هذا الطريق. وبالله التوفيق

— البيوت - المحبة الزوجية —

قال تعالى «هو الذي خلقكم من ناس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن

اليها ، وقال « ولرجال عليون درجة » وهي السيادة فالرجل والمرأة زوجان من نفس واحدة سمادتهما في سكن كل منهما الى الآخر وثقاؤهما في نفور أحدهما من الآخر . هذا السكن فطري في البشر والحيوان وان شئت قلت في الاكوان ولكن البشر أعطوا علما واختياراً في التصرف بالنظرة فتارة يكون تصرفهم جارياً على سننها ونظامها فيرتبها ، وتارة يكون منحرفاً عنه فيفسدها ويدلها ، فكل ما رآه من الشقاء في البيوت فسيبه فساد التربية وسوء الاختيار . وقد يصحب هذا الفساد شيء من العلم فيموهه ، وقد يكون مع الجهل فيشوّهه ، وقد يتهي الجهل الى قاب الطباع ، وتفسير الاوضاع ،

الرجل يسكن الى الاثني سكن فطرياً لأنها أثنى وهي تسكن اليه لانه رجل . وللرجولية صفات تتبعها أعمال كلما قويت في الرجل كان جديراً بزيادة ميل المرأة اليه وللأنوثة صفات تتبعها أعمال كلما قويت في المرأة كانت خليقة بزيادة ميل الرجل اليها . فصنات الرجولية الشجاعة والتجدة والسيادة ومن أعمالها الحماية والمداومة والكنافة ونحو ذلك وصنات الانوثة اللطف والرفقة والحياء والدماثة ومن أعمالها التربية والخدمة كترية الاطفال وتمريض المرضى ، ولذلك قلنا في مقالة عدناها لبيان مضار تربية النساء الاستقلالية ان هذه التربية تقرب المرأة من صفات الرجولية فتفسد فطرتها وتضعف وسطتها بين الاطفال والرجل في نقل الطفل بالتدرج من طفولته وإعداده للرجولية وبذلك يقل ميل الرجل وسكونه اليها لان الرجل لا يسكن هذا النوع من السكن الا الى الاثني من حيث هي أثنى تمتاز بصفات مخصوصة تمثل الانوثة بما يفصلها عن الرجولية

سكون كل من المصنفين الى الآخر طبيعي لا يزول ولكن الصفات الطبيعية المذكورة تزيد قوة وتحمظه يرسوخها وتفسده أو تعضمه بضعفها . وقد صارت الخثوة والزينة من عادة الشبان في المدن التي لا تربية فيها كعصر فصار النساء يأتين الى ذلك في الرجال ولو بصرت المرأة التي تحب شاباً محتشاً متورثاً (كثير الزينة والطيب) شاباً شهم الحنان شجاع القلب مفرد الصدر ضخم الصدر الكفين سبط الزندين لنفضته علي حينها الخثت تفضيلاً . « هذا وما فكيف لو » ولو تربت تربية

صحيحة لظهور هذا الميل فيها أقوى فقد جاء في المقطف المنيد مانسه :

- ما تستحسنه المرأة في الرجل -

ه أنني هذا الموضوع على كثيرات من نخبة الكتابات الانكليزيات فكتب سارة بيلي تقول: ان المرأة تعجب بشجاعة الرجل واستقلاله وتود أن يكون زوجها متساهلاً عليها ولقد كان ذلك شأنها منذ العصور النافرة وان كان العمران الحاضر قد ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق لكن الاعجاب بقوة الرجل لا يزال يدين المرأة ولذلك تراها تعجب بالجنود لانهم يمثلون اتقوة البدنية وبخدمة الدين لان لهم سلطة أدبية ودينية

وكتبت لياس داندن: ان المرأة ضعيفة فتعجب بقوة الرجل سواء كانت جسدية أو عقلية أو أدبية وهي تطلب رجلاً يسود عليها فإذا وجدته خضعت له وتذغرس هذا الملق في فطرتها ولذلك تصف الرجال بما ينقصها وتبدهم ولا يبع النساء بالوجه الجليل ولا يثرن منه اذا لم يكن جليلاً لان ليس فيهن ذوق خاص بالجمال كما في الرجل وقد خضعت الطليعة الرجل بحب الجمال وخضعت المرأة بالجمال لكي يكون جذاباً له اليها وكذلك خص الرجال بالقوة فصارت قوتهم جذاباً للنساء اليهم وهن يمجبن بالشجاعة والقوة والصبر على المكاره هذه هي الصفات التي تود المرأة ان يكون زوجها متصاناً بها وهي لاتساعها اذا قد هذه المزايا ولكنها تساعها اذا فقد غيرها

وكتبت ادلين سرجنت: ان القوة الجسدية تجذب المرأة واتقوة العقلية تسحرها واتقوة الروحية تسلط عليها وسبب ذلك واضح وهو ضعف المرأة ثلاثي يستولي على قلبها مثل الاعتقاد بان زوجها قوي الارادة أو قوي الذراع

وكتبت سارة دودني: ان المرأة تعجب بقوة الرجل ولظرة واحدة الى رجل قوي تسيناً مئة وجه جميل وخضاب فصيح الا اذا كانت ثنائياً عيون لاتبصره وأقول بالاختصار ان الشيء الذي تعجب به أكثر من غيره هو القوة والعظمة مع الميل الى الحلم وكتبت ماري كنور ليتن: انه اذا كان في رجل دليل على أنه يفعل ثمل الحيايرة حينما تدعو الحال الى ذلك فهو الذي تعجب به المرأة أكثر من غيره وتفضله على غيره وامن امرأة تعجب بحيان أو تحبه وليس لجمال المنظر شأن كبير في عيون النساء

وكتبت من المصائب بنكس: ان الشجاعة والحلم أسمى مناقب الرجال في عيون النساء وكل امرأة تحب ان يكون زوجها سيداً عليها
وكتبت السيدة ميد: ان المرأة تتبع الرجل اذا كان قوياً وتعبده اذا كان مع قوته كريم الاخلاق

وكتبت من اهل هدك: ان بكرم الاخلاق خير الصفات التي يتصف بها الرجل والكتابات خمس عشرة من أشهر كاتبات الانكليز وقد كدن يتفنن كاهن على ان المرأة تفضل الشجاعة على غيرها من أوصاف الرجال « اه

...

وقد سر القراء بما كتب المقتطف وكتب الينا صاحب الامضاء ما يأتي :
حضرة الامة الفضال منشي التار الزاهر

طلعت في الاخبار العالمية من مقتطف شهر مايو الجاري سؤالاً وجهه أحد علماء الانكليز لجماعة النساء عن ما تستحسنه المرأة في الرجل فأجيب عن هذا السؤال خمس عشرة كاتبة من فضليات نساهن وتد كدن ان يتفنن على ان المرأة تفضل الشجاعة والقوة على غيرها من أوصاف الرجل وقد ذهب بعضهم الى ذكر أوصاف لا تخلو من حقيقة وهو بحث يحق للانكليزيات ان يفترحن به إذ طابق ما جاء في كتابنا الحكيم حكاية عن موسى وابني شيب عليهما السلام في سورة القصص وقالت إحداها يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين» ذلك بعد ان سألهما موسى عليه السلام عند الماء عن سبب ذود غنمهما «قال ما خطبكما قالتا لانه في حق يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما» برفضه الصخرة عن فوهة البئر بذراعيه القويتين دون انتظار مجي الرعاء وهذا مما يدل على ما كان عليه موسى عليه السلام من القوة والشجاعة ولذلك أعميت احداها به وارادته زوجها لها على فقره وعدم معرفتها حاله ونسبه وهذا مما يثبت لنا ان قرآنا الحكيم لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها من امر هذا الكون العظيم من اخلاق وعادات بني الانسان وما تجري عليه سنن جميع المخلوقات فسبحان الله البلي العظيم

ومن موجبات الاسف انه يوجد بين ايدينا هذا الكتاب الكريم شاهداً لجميع المطالبين ونهين الدارين في ملو عنه وعن محكم آياته وغيرنا بحث ويتب عن الحقائق

حتى يجدها ولو اشتغلنا بما في كتابنا لوجدنا فيه من الفوائد الجليلة المتافع ما به رفع شأننا دنيا واخرى وما كان لاحد ان يسبقنا في مضمار العلوم والمعارف مادامنا عاكفين عليه ولكن هو انكسل والتقليد الأعبي قد ألقيا على بصائرنا غشاوة كثيفة لا يزيلها الا الخوض على التعليم الصحيح دون التناث الى ما في المجلدات المضخمة بل العمل بمقتضى الحال ومجارة الامم الراقية بمقول افرادها فاذا نحن جاريانهم في مباحثهم ومطالبهم وبين ايدينا هذا المرشد الصادق فلا شك اننا نصبح على درجة عالية لا يصلها الا من اتبعنا وعمل بمقتضى شريعتنا والسلام

(حين العقاد)

(الاحتفال بمدرسة الشوربيجي في كفر الزيات)

احتفل في يوم الجمعة الماضي بافتتاح مدرسة مصطفى بك الشوربيجي التي انشأها في كفر الزيات احتفالاً حضره الجلم الففيز من وجهاء العاصمة في مقدمتهم مفتي الديار المصرية وبعض العلماء وعدلي باشا يمكن محافظ مصر وبعض الاعيان ومن أصحاب الجرائد صاحب المؤيد وصاحب الوطن وصاحب الجوائب المصرية وصاحب الراشد المصري وبعض وجهاء الاسكندرية وططا وغيرها من مدن القطر. وقد سبق لنا ذكر الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة في شعبان الماضي وقد تم بناؤها في نحو ستة اشهر لما للمفتي حياه الله تعالى من الهمة العالية والعناية الصحيحة في هذا العمل العظيم بدئ الاحتفال بتلاوة آيات شريفة من سورة الفتح وبانشاد التلميذات والتلامذة بعض الاناشيد والخطب في فضل العلم والتعلم ومنهم حفيد وحفيدة لاصحاب المدرسة غزراً يجدهما وحق لهما الفخر به

ثم بعد ذلك دعى كاتب هذه السطور الى الخطابة فقامت وقلت بعد البسملة والحمدلة والتسليمة ما خلاسته

كنت حضرت الاحتفال بتأسيس هذه المدرسة ودعيت الى الخطابة فقلت كلمة شكر وكلمة ترغيب وقد دعيت الآن لقول كلمة أخرى الا اني اراني في موقعي هذا غيري في موقعي الأول اراني في حاجة الى الاعتذار وما كنت معتذراً. اعتذر عن ذنب

التقصير قبل ملاسته فاني اتوتمه لأنه يتنازعني الآن شعور ان ما-كا على نفسي امرها - شعور السرور والانتهاج بجماع الكلام العربي النضيج من التلميذات على حين اننا نرى العجائز لا يصححن قراءة الفاتحة . هذا الشعور تد ابكاني من حيث كان ينبغي ان يضحكني سروراً ولكن الجو الذي نميش فيه مملوء بالمبقيات فالجليل المام وفساد الاخلاق وانفقر وتقطع الصلات الاجتماعية كل ذلك يبكي ولكن تكسرت الاتصال على اتصال جفت العيون بعد ما كانت تبكي وصارت لا تجود بالدمع الا في موقف السرور . والشعور الثاني هو ان في هذا المجلس روحا عالية تفيض العلم والعرفان في هذه البلاد وأنا ممن يستمد منها لذلك اخجل ان اعرض شيئاً من العلم في مجلس تحضره هذه الروح النبالية .

اعرد الى ذكر الشعور الأول فأقول انه منبعث عن روح البر والخير التي انشأت هذه المدرسة لاقادة العلم وهي روح مصطفى بك الشوريجي ازركية . قد كنت قلت في كلتي الأولى ان إنشاء المدارس افضل من إنشاء المساجد من حيث ان المصلي في المسجد اذا كان جاهلاً تكون عبادته ذسدة وذئب ذئب يستحق العتاب وفي المدارس يزاج الجهل وتصح اعمال الدين واعمال الدنيا . واذا كان العلم افضل الاشياء فالمساعدة عليه مساعدة على افضل الاعمال وصاحبها يستحق انخل الثناء والشكر فيجب ان نشكر لهذا الرجل الجليل عمله والله تعالى يشكره ويجزيه عليه افضل الجزاء

ثم انتقلت الى حث الأغنياء على انشاء المدارس ونشر العلم قلت : لا ادري اي فضل واي فائدة للمال اذا كان صاحبه لا ينفق من فضل ماله في هذا السبيل وهي افضل السبل . ثم بينت فساد رأي من يجمع المال لأجل اللذات الحسية وتلت : لا ارى مثلاً ان يجمع المال ليكنزه في الصناديق اطهر مما ضربه الامام الفزالي للبرابي الذي يجعل المال مقصوداً لذاته في العمل والكسب إذ قال انه مثله مثل من يجبس القاضي العادل الذي يفصل في الخصومات وينصف المظلوم من الظالم ويترك الناس فوضى يتاهبون ويتواثبون . وان الذي يقدر على نشر العلم ثم يقصر فيه اجدر بهذا المثل فان اهل التعدي ومرتكبي الجرائم انما يجترحون السيئات باغواء الجول وفساد التربية فان المربي العالم بما لغيره عليه من الحقوق لا يسرق ولا يعتدي فثم جميع

الجرائم التي تقع في البلاد على عاتق الأغنياء بل عليهم تبعه جميع ما نحن فيه من التأخر في العلم والكسب والشؤون الاجتماعية

وإذا كانوا يجمعون المال لأجل الشرف وارتفاع المكانة فقد زال ذلك الزمان الذي كان يمدفه التوسع في الاتفاقيات على احتمالات الأفراح والمآتم والموالد من الشرف وصارت هذه الاتفاقيات متقدمة ومنظورة بعين السخط من العقلاء والفضلاء وأما الاتفاق في طريق العلم فقد كان ولا يزال هو الشرف الأعلى وصاحبه هو المحمود عند الله وعند الناس بل هو أفضل الناس إذا قام بمقوق المال مع سائر الحقوق وهو الذي يسمى النبي الشاكر

يؤوم قوم ان الزهد الذي يستجبه الدين عبارة عن اختيار الفقر وتفضيله والرغبة عن الكسب وهو تؤوم باطل فان النبي صلى الله عليه وسلم فضل الاخ المكتسب على الاخ المتقطع للعبادة . أزيد على هذا ان الحديث الذي استدلل به بعض العلماء على ان التقير الصابر أفضل من النبي الشاكر قد استدلل به نفسه آخرون على أن النبي الشاكر أفضل . الحديث هو أن بعض الفقراء شكوا للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سبق الأغنياء لهم بالخير والاجر لانهم يصلون ويصومون مثلهم ويتصدقون بفضول أموالهم فأمرهم بالذكر والتسبيح والتحميد فرضوا ثم عادوا وقالوا إنهم يفعلون ذلك فقال « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والمتبادر أن الإشارة إلى المال الذي ينفق في سبيل الله . وسبيل الله هو كل ما فيه فائدة ومنفعة للناس . وإنما الزهد المحبوب هو ان لا يكون الانسان عبدا للمال وهو زهد النفس

هذا هو النبي الذي يجمع للانسان بين خيري الدنيا والآخرة . ويظن بعض الناس أن عمل الخير لأجل الشرف والمحمدة مذموم في نظر الدين ولا ثواب لصاحبه عند الله تعالى بل هو مؤاخذ كما يؤخذ من كتب الصوفية . إن هذا الظن غير صحيح وما كان الله ليؤاخذ الانسان على شيء أودعه في فطرته وجعله سائقا له إلى كماله وهو حب المحمدة الحقة وإنما المذموم عند الله تعالى وعند الناس هو حب المحمدة الباطلة والتناء الكاذب . ما توعد الله الذين يجيئون أن يحمدا بما فعلوا وإنما توعد الذين « يجيئون أن يحمدا بما لم يفعلوا » . كيف يكره الله تعالى هؤلاء الذين « التباء بالخفي

ورفعة الذكر وقد امتن بذلك على أفضل العاملين وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى في خطاب خاتم النبيين «ورفضنا لك ذكرك» وقال تعالى في كل من إبراهيم وموسى وهرون وغيرهم من الأنبياء «وتركنا عليه في الآخرين» أي تركنا عليه التناء الحسن

حب المحمدة الحقبة لإينافي كون العمل الصالح لوجه الله تعالى بل هو معنى من معانيه . إننا لن نبغ نفع الله فتغفه ولن نبغ ضرره فضره كما ورد وإنما كلفنا بعمل الخير لأجلنا لأجله . فابتغاء وجه الله في العمل هو إرادة المنفعة الباقية فان لكل شيء في هذه الدنيا وجهين — وجهها الى الحظوظ الجزئية الفانية ووجهها الى المنافع الكلية الباقية وهذا هو وجه الله تعالى والذي يرضيه ويثيب عليه . والتناء عليه حق «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

إذا عرف الناس للعامل المحسن فضله ، وشكروا له عمله . يكون ذلك باعثاً لهم الى المبراة والمسابقة في ميادين الأعمال الثابتة . وان تقدم الأمم وارتقاءها على قدر مبارات أفرادها في الأعمال الثابتة ومسابقة في ميادينها . وإذا كان الملوك والأمراء هم الذين يحتفلون بما يكون من أفراد رعائهم ويقدمون المحسنين قدامهم فلا تسلب عن مبلغ تأثير ذلك في تقدم الأمة وارتقاءها . أذكر ان السلطان ملكشاه السلاجوقي قد احتفل بمالم نبغ في عصره لا أذكر اسمه الآن وكان من عاداتهم ان يقودوا في موكب الاحتفال الخيل المسومة أمام المحتفل به وعليها الميار الموقفة . وكان من غناية السلطان ان مشى في الموكب مشياً ووضع على عاتقه وظهره ميسرة من الميار التي توضع على الخيل فلامه وزيره نظام الملك في نفسه على هذه المبالغة في التواضع وسأله عن السر في ذلك فقال له سأحييك عن هذا السؤال بمد بضع سنين فلم تمر السنين المئنة الا وقد نبغ في تلك البلاد عدد عظيم من العلماء الأعلام فقال السلطان للوزير هذا هو جواب سؤالك

قلت : وأجدر أمراء المسلمين بالناية بأمر العلم في هذا العصر أمير هذه البلاد فانه أعرفهم بقيمة العلم لأنه قد تربى في المدارس العالية وأخذ من العلوم حظاً لا نعرف أمراً مسلماً يساهم فيه . فإذا هو أظهر رضاه واعتباطه بمثله هذا العمل الجليل فلا

نلتك ان نرى الأغنياء والوجهاء يتبارون في مثله : (قلت هذا وأمامي مندوب من الأمير يحمل الوسام العثماني من الدرجة الثالثة لمصطفى بك الشوريجي كما يأتي)

ثم بعد ختم الكلام بالحث والترغيب دعي الى الخطابة ابراهيم بك الهلباوي فقام واعتذر بمثل ما اعتذرت به وزاد عنراً ثالثاً وهو أنه لم يكن يتوقع الخطابة ثم قال إنه يوافق الخطيب الأول في قوله إلا أنه لا يرى حوله إلا مايسر من الاقبال على العلم وافتتاح المدارس وذكر حال البلاد قبل ثلاثين سنة وما كانت عليه من الرغبة عن العلم والتعليم لاسباب تعليم البنات وقال إن الأهالي كانوا يعتقدون ان تعليم العلوم اذا لم يكن مضموما بلسان الدين فانه ليس محموداً وإن حال العلماء كان يقوي هذا الاعتقاد فيهم وإن من تحول الحال أن صرنا نرى كبار العلماء تؤسس المدارس وتخصر احتفالها وإن أكثرهم يرسلون أولادهم الى المدارس لاسباب الطرايش والسراويل الضيقة كسائر أبناء العصر الجديد . وخص بالذكر مفتي الديار المصرية ركن العلم الركين ورئيس الجمعية الخيرية الاسلامية التي تدير عدة مدارس منتظمة لتعليم أولاد الفقراء . وذكر مدارس جمعية المساعي المشكورة وما كان من الصعوبة في تأسيسها . وكذلك مدارس جمعية العروة الوثقى . واستطرد من ذكر الجمعيات الى النساء على صاحب الاحتفال مصطفى بك الشوريجي وقال انه صار فينا الفرد يعمل عمل الجمعية بهذا الرجل الناضل الذي وجه عنايته الى تأسيس المدارس المتعددة

ثم قام بعده جندي اقندي ابراهيم صاحب جريدة الوطن الفراء خطيباً وقال في فاشحة كلامه ان الخطيبين السابقين اعتذرا بما اعتذرا به عن التقصير الذي تقتضيه مهابة روح انعلم الحاضرة وإنه أجدر بالاعتذار لولا أن جرأ اعتقاده بحلم العلماء وإغضائهم ثم قال ان الخطيبين تكلموا في فضل العلم والحث عليه وأنه اختار ان يحمل معظم كلامه في مكارم الأخلاق فان العلم لا يفيد بدون مكارم الاخلاق شيئاً وأغضب في ذلك ماشاً وأثنى على المحتفل بما هو أهله

ثم رغب مدير الاحتفال الى الاستاذ الامام بأن يشنف الآذان بدرر كلمة ويحيي العقول بعقود الجوهر من حكمه ، فقام واقفاً ولما وقف اضطرب الجمع

وظفوا يقتربون حتى كادوا يكونون عليه لبدا . ولما تكلم امتدت الاعناق ، وشخصت الأبصار ، وأصاحت الأذان ، وخشمت الأصوات ، وأمر العازفون بالموسيقى بالكف عن عزفهم . ولكن الأستاذ كان لسوء الحظ قد عرض له شبه بحة منته من رفع الصوت والاسترسال في الكلام حتى ترك لها الدرس في الجامع الأزهر فلم يطل القول كما كان يجب هو ويجب ائناس وساوى في الاعتذار الخطباء الذين اعتذروا بمباهته وإجلاله عن الاسترسال في القول والاجادة في الخطابة

اعتذر بما ذكر وقال ان هذا المذر كاد يئمه حضور الاحتفال بالمرّة كما منعه الاجابة الى حضور الاحتفال التأسيسي ولكنه تحمل المشقة للترغيب والتشيط في إنشاء بيوت العلم ورؤية هذا الرجل الموفق للخير المسوق انه بوازع الفطرة السليمة (قال) : انني من زمن بعيد كنت أشتي ان أرى الخير الفطري البسيط في الانسان وما كنت أنظر به . رأيت كثيراً من الاخيار ولكنني كنت أرى الخير فيهم مركباً من الاستعداد الطبيعي والتأديب الصناعي لا بسيطاً ساذجاً حتى اذا رأيت اليوم هذا الرجل مصطفى الشورجي رأيت جمال الفطرة الانسانية في بساطتها وسذاجتها . رأيت هذا الرجل مسوقاً الى عمل الخير بناتق حب الخير لا يبتغي به حداً ولا شكراً إلا وجه الله ومرضاته وانني أراه مدفوعاً الى مثل هذا الاحتفال ، ولولا ذلك لم يكن يخطر له ببال ، على انني موافق على مقال الخطيب الأول في حب الحمدة الحقة ولكن هذه مرتبة أخرى لا تكاد توجد الا في الفطرة السليمة

رزق هذا الرجل مالا فاهتدى الى إتقانه في أفضل وجوهه ووضع في أشرف مواضعه وليس هذا بالأمر الصغير فقد قال علماء الاقتصاد ان الدراية والعناية التي يحتاج اليها في انفاق المال تزيدان عما يحتاج اليه في جمعه عشرة اضعاف . قلما يحسن انفاق المال من لم يعلم هذا العلم في المدارس العالية . ولكننا نرى أكثر الذين تقلبوا في المدارس وتوسعوا في درس علم الاقتصاد السياسي من أهل بلادنا هم أشد الناس إسرافاً في المال وتبذيراً له وقلما يضعون منه شيئاً في موضعه ونرى هذا الرجل المامي البحث الذي تربى في القبطان والمزارع لاني المدارس فلم يسمع بهذا العلم قد وفق الى عمل العلماء الراسخين فيه ثم قام يعلم المتعلمين بحاله كيف يتفقون ، ويعلم غير المتعلمين بما

ينشئ لهم من المدارس كيف يعملون .

ثم قال : أما العلم وفضله والترغيب في نشره فقد تكلم فيه الخطباء وأنا موافق لهم فيما قالوا ولا خلاف بينهم في الواقع فإن الأول تأسف لتأخرنا في العلم بالنسبة إلى ما نحن في أشد الحاجة إليه واعتبار أن ماعدنا لا يقع أدنى موقع من حاجتنا . والثاني أظهر السرور والاستبشار من حالتنا العلمية بالنسبة إلى ما كنا فيه ولا شك أنه يوجد فينا حركة محمد الله عاليا (أي أن الخطيب الأول نظر إلى الحال مع المستقبل والخطيب الثاني نظر إلى الحال مع الماضي وهذا هو الواقع منا حقيقة) وأما الثالث فقد تكلم عن مكارم الاخلاق وكون العلم لا يفيد بدونها شيئا . ولا شك أن مكارم الاخلاق من لوازم العلم الصحيح الذي مدحه الخطباء ، ويمدحه جميع العقلاء . فأنهم يعنون بالعلم ما كان ملكة في النفس . والملكة من مادة الملك فمتاعها أن يكون العلم مالكا للنفس مصرفا لها في شؤونها . ولا معنى لمكارم الأخلاق إلا أن تكون إرادة الإنسان تابعة للعلم الصحيح بوجوده المصالح والمنافع . فالعلم ومكارم الاخلاق متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر . ومن أطلق العلم على غير هذا المعنى الذي قلته وقال إنه لا تأثير له في الأعمال ولا في النفس فهو متجاوز أي منتقل عن الحقيقة إلى تقيضها وإن شئت قلت أنه كاذب ولم يفهم معنى العلم . ثم ذكر الأستاذ أن الجبابر الحديوي قد أرسل مندوبا من قبله لحضور هذا الاحتفال عناية بصاحبه وإن عنيته بمثل هذا الأمر لها من التأثير في الناس ما يساوي عناية أمة كاملة به (قال) وسيكون كلامه هو خاتمة الكلام . وعند ذلك نهض المندوب وقام الناس وذكر أن مولاه أرسله ليحضر هذا الاحتفال ويبلغ صاحبه مصطفى بك الشوريحي أنه سرور ومقبوط بهذه الخدمة الجليلة للبلاد ويقلده الوسام اللبناني من الدرجة الثالثة وكان الوسام في يده ومصطفى بك الشوريحي واقف فأعطاه إياه فأخذه ووضع في حبيه . ولو قلده إياه قليلا لكان أجمل وأكمل . والمزية في هذا الوسام من وجه واحد وهو أن الأمير أرسله مع مندوب من قبله حضر الاحتفال باسمه فكان كما قال الناس بمثابة حضور الأمير بنفسه ولولا ذلك لما كان له كبير شأن فإن الرتب والوسامات في مصر صارت أكثر ابتداء منها في الاستانة . ثم ختم الاحتفال

بقراءة آيات من الكتاب العزيز وكان ذلك قبيل الظهر ثم نصبت بعده الموائد فتعدى
الجموع وانصرفوا حامدين شاكرين.

(الاصلاح الشرعي في السودان المصري)

يتمنى الاصلاح في السودان كتمني البرء في السقم ومن فضل الله تعالى على
هذه البلاد ان كان الشيخ محمد شاككر هو قاضي القضاة فيها وحسبك انه موضع
إعجاب اللورد كرومر فن دونه من رجال السياسة والادارة والقضاء الانكليز الذين
قلما يشهدون لشرقي في هذا الزمن . ولا شك عندي ان رضاء اللورد كرومر
وحاكم السودان العام من هذا الرجل وثناءها عليه والعتابة باجابه اقتراحاته وتنفيد
مشروعاته ولو بالتدريج من دلائل حسن النية في عمران السودان وإقامة الشرع
الاسلامي فيه إقامة لانظير لها في بلاد إسلامية في عصرنا هذا
ذكرنا في الجزء الثاني ان الحكومة السودانية قررت إنشاء مدرسة قضائية
لتخريج القضاة الشرعيين وما ذلك الا مشروع من مشروعات قاضي القضاة . ثم إننا
علمنا مما وصل إلينا من أنباء قراراته التي رفعها الى الحكومة آراء سديدة في
إصلاح المحاكم بجميع فروعها وأعمالها الادارية والشرعية والمالية . ولم يكتف بهذا
حتى اقترح على الحكومة نشر العلم الاسلامي وعمارته للمساجد واقامة الشعائر الدينية .
وقال ان البلاد السودانية الآن في حاجة الى بناء خمسين مسجداً وان للحكومة ان
تستعين على بناها بديوان الاوقاف العمومية في مصر . واقترح تعيين رواتب لاعلماء
الذين قتلوا من الفتنة السودانية وإعانة تلامذتهم المستقلين بطلب العلوم الدينية لتفخ
في الأمة روح الميل الى العلوم الحقيقية وليكون من هؤلاء التلامذة طائفة تصاح في
المستقبل للوعظ والارشاد وتعليم العامة وقال في بيان فوائد ذلك مامعناه :

ان من يتبع الحوادث المشؤمة الماضية وينسدها الى عللها وأسبابها الحقيقية يعلم
ان مثارها الاكبر خلط التعاليم الدينية بالتليس على العامة والشعوذة والدجل وإيهام
البطالة بذلك ان أولئك الدجالين المحتالين أولياء الله وان اتباعهم واجب وطاعتهم
مفروضة . فلي الحكومة ان تستأصل جرائم هذه الخرافات بالتعلم الاسلامي

الصحيح الذي يطهر القول منها تطهيرا :

ومن الاصلاح الذي سبقت اليه محاكم السودان وزوجو ان تلحقها فيه محاكم مصر الطلاق على النائب والمصر فقد كانت المحكمة الكبرى ثثرت في سائر المحاكم منشورا تأذنها فيه بالحكم في ذلك على مذهب الامام مالك (رضي الله عنه) وقد جاء في تقرير لقاضي القضاة بيان فائدة هذا الحكم وهو إقناذ النساء الضعيفات اللاتي يتركن أزواجهن بلا نفقة ولا عائل حتى يلجأن الى خدمة دينية أو تكفئ الناس أو ماهو شر من ذلك وهو انكسب بأعراضهن . وفيه ان القضاة قد طلقوا على الفاتين والمصريين في مئتي قضية أو أكثر ولكن بعضهم لجبهه وغاوته لم يخرج في الامر كما يجب فطلقوا في وقائع يعرف فيها مكان الزوج ويسهل على الحكومة إخباره (إعلانه) بالمحاكمة . وذكر ان مثل هذا الخطأ كثير في كل فروع القضايا لجهل القضاة ووعد بأن سيتبع المنشور الاول بمنشور آخر يعلم القضاة فيه الغرض من هذا الطلاق ليسهل عليهم الوقوف عند حدود الحق فيه

وقال في مقدمة التقرير الذي قدمه الى الحاكم العام وطلب فيه تعميم المحاكم ممانته : إنني أوجه نظر سعادتكم أولا الى أن القضاء عند الأمم الحية لا يد من موارد الكسب كغيره من مصالح الحكومة التي يقصد أن يكون ريعها أكثر مما ينفق فيها وإنما هو من المصالح الكالية الضرورية لأنه عبارة عن إقامة العدل في الأمة ولولا اعتبارات خاصة لما ساغ لحكومة ان تضرب على إقامة العدل في الرعية ضريبة تحت ستار الرسوم القضائية . فوظيفة الحاكم الحقيقية هي إقامة العدل وفصل الخصومات لاجباية الاموال وتحصيل الضرائب . ثم قال : وانه ليسرني ان سعادتكم أول من نظر الى القضاء بين الرعاية والنفاية ولازال اكرر بمزيد السرور تلك الكلمة التي سمعتها من سعادتكم وهي : « ان الدين الاسلامي غير مقام في البلاد بسبب قلة الدوائر القضائية » ثم اقترح تعميم المحاكم . وربما عدنا الى الكلام في ذلك بعد حين

تقرير النار

كتب الينا نحن الملك سيد مدي خان ناظم مدرسة العلوم في عيكده وأحد أركان النهضة الاسلامية في الهند كتابا ذكر فيه النار بما يقتضيه الحب وتنظره عين الرضى فقال مانصه : « قرانا ختمه النار للسنة الخامسة بفرحة وامتنان لا مزيد عليها . وقد سرنا

ما علمنا من أن المنار الإسلامي قد ازداد شهرة وقبولا في جميع أنحاء الكرة الأرضية، وصار موضع ثقة العلماء والنضلاء في البلاد العجمية والعربية . ولا غرو ، فأننا قطع قطعاً أن مجلتكم هي المجلة الوحيدة التي تخدم الأمة المحمدية والديانة الإسلامية بجد ونشاط ، وعزم وثبات ، وعقل وتدبر ، وأن مقالاتها الطائفة الرائدة البالغة حد الإعجاز ما كتب مثلها على ما نعلم عربي ولا عجمي . ولا يستطيع كاتب هندي أن يصف المجلة حق وصفها مهما أوتي من النصيحة وحسن البيان . ففأية ما يتناول : جزأكم الله خير الجزاء ، ومن قال ذلك فقد أبلغ بالثناء ، وبلغ غاية الثناء .

« لاشك أن المنار في هذه السنة قد نما نمواً عجمياً وانتشر انتشاراً غربياً في البلاد المصرية ، غير أن شهرته وانتشاره في البلاد الهندية لا يقل عن شهرته وانتشاره في مصر . فإن مئات من مقالاته الحكمية والإسلامية نقلناها في لفتنا الهندية ونشرناها في جريدتنا الأسبوعية (على كده أنسيثوت كرت) ثم تناقلتها الجرائد الإسلامية فقرأها الوف من قرائنا وقراء سائر الجرائد . وحازت رضى العلماء والنضلاء في المدارس والجامع والمساجد . ومن غريب الاتفاق أن مترجم مقالاتكم لجريدتنا هو أيضاً سمي حظه تكلم اسمه رشيد أحمد الانصاري وهو من محرري جريدتنا ومن مشاهير الكتاب والمترجمين المحيدين في الهند .

« يسرنا أن الحرية التي حلت في ربوع مصر بواسطة الاحتلال لاشك أنكم نعرفون قيمتها . وتقديرونها حق قدرها ، لاتصاركم على المباحث الدينية الإسلامية والمقالات العلمية والتفاضل الأخلاقية . واجتباكم المسائل السياسية . وأتينا نحزم جزماً أن هذه الخطوة التي رستموها للمنار هي أسلم له وأضمن للوصول إلى الفرض المقصود وأوفق وأفيد للمسلمين من الخطوة التي سار عليها بعض كتاب الجرائد المصرية . الإسلام يأمرنا بالمسألة والمجاملة وحسن القصد مهما كانت الظروف والأحوال . فلا ينبغي لمسلم أن يكون عليه سلطان « اغفرت الوطنية الكاذبة » وينبذ بها أوامر دينه ومصالح أمته وملكه وراء ظهره ، وفق المسلمين لمسايح ورضى . »

(تذييل) لم نأشعر في هذا الجزء شيئاً من الكرامات وشبهات المسيحيين لأنه صدر مع اقباله

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الآيات

المعراج

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الآيات

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر - الخميس ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٢١ - ٢٨ مايو (أيار) سنة ١٩٠٣)

١٠٠ باب العقائد من الأُمالي الدينية (*) ٥-

١ الدرس ٣٧ في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام

(المسألة ١٠٣) حكمة ظهور الاسلام في العرب : نذكر هنا كلمة من مقالة (إعادة مجد الاسلام) التي كتبناها في الجزء الرابع من المجلد الثالث وهي : « كان العالم الانساني قبل ظهور الاسلام في ضمرة من الشقاء والتعاسة وظلمات من الفتن وفساد الأخلاق وتداعي أركان المدينة السابقة وصدع بنيانها فأراد الحي القيوم ان يحيي هذا النوع حياة طيبة وقيم بناء مدينته على أساس من الحكمة ليثبت ويبقى الى ما شاء الله تعالى ويبلغ به الانسان كماله المستمد هوله في أصل الفطرة القويمة فأظهر له جل ثناؤه الاسلام في الأمة العربية فجماسته وطافت به العالم المستعد لقبوله بما سبق له من المدنية فما كان الا كلمح البصر أو هو أقرب ، حتى عم نوره المشرق والمغرب ، ودخل الانسان في طور جديد وأقام أركان مدينته على أسس جديدة ثابتة لا تتزعزع ولا تتزلزل مادامت الارض أرضا والسماء سماء . وكيف تتزلزل نواميس الفطرة أو تزول سنن الخليفة وقد أخبر مبدعها الحكيم الخبير بأنها محفوظة من التبديل والتحويل »

« لماذا اختار الله الأمة العربية لهذا الاصلاح على سائر الامم ؟

اختارها وهو أعلم لأسباب ووجوه

(٠) نشر الدرس السادس والثلاثون في الكراسة ٤٢ من المجلد الخامس (ص

٣٣٩) وشغلتنا بعد ذلك بمقالات الاسلام والنصرانية وأم القرى مع التفسير عن تابع مقالات العقائد . وكان ذلك الدرس في نبوة خاتم النبيين والحاجة الى عمومها والاستعداد العام لها ووعدنا فيه ببيان حكمة كونه من العرب وبيان ارتقاء الدين من كلام الامام وهذا الثاني قد ذكرناه في غير الأُمالي فلا نعيد

« (أحدها) أنها كانت وسطا بين الأمم التي سبقت لها المدينة والبلاد التي أقيم فيها من قبل بناء الحضارة وهي بلاد مصر وسوريا والجزيرة والعراق وفارس حيث كان التمدن الكلداني والاشوري والبابلي والفارسي والفينيقي والمصري واليوناني والروماني فيسهل عليها عليها بذلك ان ترمي بذور المدنية في الارض القابلة وتلقي مبادئ الإصلاح في النفوس المستعدة

(ثانيها) أنها كانت - ولا مدينة لها سابقة (معروفة) - اشد استعدادا من تلك الأمم التي سبقت لها المدنية لمبدأ الإصلاح الاسلامي الجديد ووضع اساسه الاول وهو استقلال الارادة واستقلال الفكر والرأي لانه لم يكن لها رؤساء في الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد فنفي إرادتها في إرادتهم ، وتلاشي آراء افرادها في آرائهم ، فلا يرجع اليهم أحد قولا ، ولا يملك لنفسه من دونهم ضرا ولا نفعا ، وأما تلك الأمم فقد كان المرؤسون فيها ذائنين في رؤساء الدين والدنيا حتى لم تبق لهم إرادة ولا فكر ولا رأي الا ما ينفذ إرادة الرؤساء ويمثل أفكارهم وآراءهم (ومن هنا تفهم حكمة ظهور الاسلام بمظهر السيادة وعناية خلقائه بالفتح والاستيلاء وهي ازالة ذلك السلطان الغاشم والاستبداد القاهر ليكون الناس أحرارا فيما يعتقدون ولهم بعد ذلك الخيار في الاسلام وعدمه إذ « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وزال المانع من طريق الادراك والفهم)

« (ثالثها) أن رقة الوجدان وقوة الفهم والادراك كانتا بالفتن فيها درجة السكالم بمجرد سلامة القطرة . وأمة هذا شأنها تكون أقبل الأمم

لدين الفطرة الذي جاء يخاطب العقل والوجدان معاً ويمحو من الكون أثر التقليد الاعمى ويطمس رسومه ، وتكون أسرع انفعالاً بالماثرات ، وأشد تمسكاً بالمعتقدات ،

« (رابعها) أنه كان عندها من عزة النفس وشدة البأس وكمال الشجاعة والحرية الشخصية وما يتبع هذا من الفضائل ما يحملها على حفظ ماتمته حقا والاستماتة في المدافعة عنه على حين أدات نفوس الامم الاخرى وذهب بارادتها متواتر عليها من الظلم والاضطهاد أحقاباً طويلة حتى سهل عليها مشايعة الظالمين على خذل الحق وتأيد الباطل كما هو واقع في غير أهل البادية من المسلمين لهذا العهد . وهذا الوجه يقرب في المعنى من الوجه الثاني

« (خامسها) أنه لم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شيء يستندون فيه على وحي سماوي وعلى سلف من الانبياء أو الحكماء والريانيين فيدافع ما جاء به الاسلام أو يزاحمه . وإنما كان عندهم الشرك في العبادة الذي يسهل إبطاله بالبرهان ، على وجه يقبله العقل وينفع له الوجدان ، اذا وجد استقلال الفكر والرأي وكذلك كان » اهـ

ونزيد الآن سبباً سادساً هو السبب الاظهر ، والوجه الانور ، ونذكره على النسق السابق فنقول

(سادسها) كون العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ولم تمارس الاحكام السياسية والمدنية والقضائية . ويان هذا من وجبين - أحدهما ما فهم من الاسباب السابقة وهو وجوب كون الاصلاح الجديد الذي احتاجته الامم كلها غير مشوب بشيء من أمشاج الاديان والمدنيات

السابقة لازمة لك الاديان قد انطمست وجوهها وتلك المدينيات قد انقلبت الى ترف مفسد وبهيمية محضة . فلو ظهر الاصلاح في أهلها لصددهم عنه ما هم فيه ولضاع الزمن الطويل في مكافحة الجديد للقديم وكانت الاقوام قد تقيدت بما هي فيه حتى لا طريق لخروجها منه الا قارعة من دونهم تحمل بهم فتزلزل ما هم فيه زلزالا .

كانت تلك الامم تقيم بناء مدينتها على اركان الدين والعلم والسياسة المنتظمة وأحكامها وهذه هي أركان السعادة البشرية في هذه الحياة ولكنها اساءت استعمالها فلحقها هجير الشقاوة فكانت من تلك الاركان في ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللب ، بل كان كل ما حل بها من الشقاء هو من دخان ذلك الظل الذي ذهب بكل نور ، والاديان كانت قد انقلبت وثنية تضل العقول ، وتذل النفوس ، والعلوم كانت وسائل الترف ، وذرائع السرف ، والاحكام كانت سوط البغي والتو ، وسيف القهر والعلو ، فكانت جميع آلات الرقي ، آلات للتدلي والهوي ،

وكانت العرب في ايمان ذلك خلوا من كل ذلك ولكنها كانت على جهلها وفساد أخلاقها ترتقي في بداوتها ارتقاء فطريا ، وتستعد لقبول الهداية استعدادا طبعيا ، حتى اذا جاءها العلم والاصلاح كانت كما قيل :

أثاني هو اها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتكنا

(الوجه الثاني) وهو اوجه الوجوه وأظهر الاسباب والمكتم ظهور الآية الكبرى والحجة العظمى - ظهور العلم الأعلى ، والتعليم الاجلي ، على يد أمي نشأ في الاميين ، وتربى بين الجاهلين ، ولونشأ في أمة من تلك الامم لقليل انه عالم فتح العلوم وهذبها ، وحرر الشرائع وشذبها ،

وحكيم نظر في تاريخ البشر ، فاستخرج منها الحكم والعبر ، «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتب المطالعون»

(م ١٠٤) حال النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته: لم يكتب الكاتبون في هذا المقام مثلاً كتبه في رسالته الاستاذ الامام ذلك أنه بين ما كانت عليه الامم قبل البعثة من الفساد والشرور ثم قال :

«أقل يمكن من رحمة الله بأولئك الاقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه رسالته . ويمنحه عنايته، ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغم ، التي أخذت رؤس جميع الامم ؟ نعم كان ذلك والله الامر من قبل ومن بعد

» في الليلة الثانية عشرة من ربيع الاول عام القيل (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام) ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم القرشي بمكة . ولد يتيماً توفي والده قبل ان يولد ولم يترك له من المال الا خمسة جمال وبعض نماج (١) وجارية ويروى أقل من ذلك وفي السنة السادسة من عمره فقد والدته أيضاً فاحتضنه جده عبد المطلب وبعد سنتين من كفالته توفي جده فكفله من بعده عمه أبو طالب وكان شهياً كريماً غير أنه كان من الفقر بحيث لا يملك كفاف أهله . وكان صلى الله عليه وسلم من بني عمه وصبية قومه كاحدم على مابه من يتم فقد فيه الابوين معا وفقر لم يسلم منه الكافل والمكفول ولم يتم على تربية مهذب ، ولم يعن بثقيقه مؤدب ، بين اتراب من نبت الجاهلية ، وعشراء من حلفاء الوثنية ، وأولياء من عبدة الاوهام، وأقرباء من حفدة

(١) قيل خمس وقيل تسع .

الاصنام ، غير انه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا وفضيلة وأدبا حتى عرف بين أهل مكة وهو في ريعان شبابه بالأمين . أدب الهوي لم تبحر العادة بأن تزين به تقوس الايتام من الفقراء خصوصا مع فقر التوأم . فاكتمل صلى الله عليه وسلم كاملا والقوم ناقصون ، وفيما والناس منحطون ، موحدوا وهم وثنيون ، سلماء وهم شاغبون ، (١) صحيح الاعتقاد وهم واهبون ، مطبوعا على الخير وهم به جاهلون ، وعن سبيله عادلون ،

« من السنن المعروفة ان يتيم فقيرا أميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من أول نشأته الى زمن كهولته ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخاطبه لاسيما ان كان من ذوي قرابته وأهل عصبته ، ولا كتاب يرشده ، ولا أستاذ ينبهه ، ولا عضد اذا عزم يؤيده . فلو جرى الامر فيه على جاري السنن لنشأ على عقائدهم . وأخذ بمذاهبهم الى أن يبلغ مبلغ الرجال ، ويكون للسكر والنظر مجال ، فيرجع الى مخالفتهم ، اذا قام له الدليل على خلاف ضلالتهم ، كما فعل القليل ممن كانوا على عهد (٢) ولكن الامر لم يجر على سنته بل بذقت اليه الوثنية من مبداء عمره ، فعاجته طهارة العقيدة ، كما بادره حسن الخليفة ، وما جاء في الكتاب من قوله « ووجدك ضالا فهدى » لا يفهم منه انه كان على وثنية قبل الاهتداء الى التوحيد أو على غير السبيل التويم ، بل الخلق العظيم ، حاش لله ان ذلك لهو الافك الممين . وانما هي الحيرة فلم بقلوب أهل الاخلاص ، فيما يرجون للناس من الخلاص ، وطلب السبيل

(١) استشهد له بقصة اختلاف القبائل ايهم يضع الحجر الاسود في موضعه يوم بناء الكعبة وكادوا يقتلون لولا ان أصاح بينهم بما أَرْضاهم جميعا (٢) كامية ابن أبي الصلت وعمر بن لقيط .

الى ما هدوا اليه من انقاذ الهالكين، وارشاد الضالين ، وقد هدى الله نبيه الى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته ،

« وجد شيئا من المال يسد حاجته - وقد كان له في الاستزادة منه ما يرفه معيشته - بما عمل لخديجة رضي الله عنها في تجارتها وبما اختارته بعد ذلك زوجها وكان فيما يجتنيه من ثمرة عمله غناء له وعون على بلوغه ما كان عليه اعظم قومه . لكن لم ترقه الدنيا ولم تفره زخارفها ، ولم يسلك ما كان يسلكه مثله في الوصول الى ما ترغبه الانفس من نعيمها ، بل كلما تقدم به السن زادت فيه الرغبة عما كان عليه الناس كافة ونما فيه حب الانفراد والانقطاع الى الفكر والمراقبة والتحنن بمناجاة الله تعالى والتوسل اليه في طلب المخرج من هذه الاعظم في تخليص قومه ونجاة العالم من الشر الذي تولاه ، الى أن اقتنع له الحجاب عن عالم كان يحته اليه الالهام الالهي ، وتجلي عليه النور القدسي ، وهبط عليه الوحي من المقام العالي ، في تفصيل ليس هذا موضعه

« لم يكن من أباؤه ملك فيطالب بما ساءب من ما كره وكانت تتوس قومه في انصراف تام عن طاب مناصب الساطان ، وفي قناعة بما وجدوه من شرف النسبة الى المسكان ، دلّ عليهما ما فدل جده عبد المطالب عند زحف ابرهة الحبشي على ديارهم . جاء الحبشي لينتقم من العرب بهدم معبدهم العام ، ويأتيهم الحرام ، ومنتجع حبيبيهم . وسوى العلية من آلهم ، ومنتهى حجة القرشيين في مفاخرتهم لبني قومهم ، وتقدم بعض جنده فاستاق عددا من الابل فيها لعبد المطالب مشتاً بغير وخرج عبد المطالب

في بعض قریش لمقابلة الملك فاستدناه وسأله حاجته فقال: هي أن ترد اليّ مثني بغير أصبتها لي : فلامه الملك على المطالب الحقير ، وقت الخطب الخطير ، فأجابه : أنا رب الابل أما البيت فله رب يحميه : هذا غاية ما ينتهي اليه الاستسلام وعبد المطالب في مكانه من الرئاسة على قریش فأين من تلك المكانة محمد صلى الله عليه وسلم في حاله من الفقر ومقامه في الوسط من طبقات أهله حتى ينتجع ملكا أو يطلب سلطانا ؛ لا مال لاجاء لاجند لأعوان لاسليقة في الشعر لابراعة في الكتاب ، لاشهرة في الخطاب ، لاشي كان عنده مما يكسب المكانة في نفوس العامة ، أو يرقى به الى مقام ما بين الخاصة ،

« ما هذا الذي رفع نفسه فوق النفوس ، ما الذي أعلّى رأسه على الرؤس ، ما الذي سباهمهته على الهمم ، حتى انتدب لارشاد الامم . وكفالتهم كشف النعم بل وإحياء الرمم ؟ ؟ ما كان ذلك الا ما ألقى الله في روعه من حاجة العالم الى مقوم لما زاغ من عقائدهم ، ومصلح لما فسد من أخلاقهم وعوائدهم ، ما كان ذلك الا وجدانه ربح العناية الالهية ينصره في عمله ، ويمده في الانتهاء الى أمله ، قبل بلوغ أجله ، ما هو الا الوحي الالهي يسمى نوره بين يديه فيضي له السبيل ، ويكفيه مؤنة الدليل ، ما هو الا الوعد السماوي ، فام لديه مقام القائد والجندي ، أرايت كيف نهض وحيدا فريدا يدعو الناس كافة الى التوحيد ، والاعتقاد بالعلي المجيد والكل ما بين وثنية ومفرقة ودهرية وزندقة .

« نادى في الوثنيين بترك أوثانهم ونبد معبوداتهم وفي المشبهين بالمنتمسين في الخلط بين اللاهوت الاقدس وبين الجسائيات بالتطهر من

تشبيههم وفي الثانوية بانفراد اله واحد بالتصرف في الاكوان ورد كل شيء في الوجود اليه * اهاب بالطيعين ليمدوا بصائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة فينتورا سر الوجود الذي قامت به * صاح بذوي الزعامة ليهبطوا الى مصاف العامة في الاستكانة الى سلطان معبود واحد هو فاطر السموات والارض والقباض على ارواحهم في هياكل أجسادهم * تناول المتحلين منهم لمرتبة التوسط بين المباد وبين ربهم الاعلى فيبين لهم بالدليل وكشف لهم بنور الوحي أن نسبة اكبرهم الى الله كنسبة اصغر المعتقدين بهم وطالبهم بالتزول عما انتجلوه لا تقسمهم من المكائات الربانية ، الى أدنى سلم من العبودية ، والاشترك مع كل ذي نفس انسانية في الاستعانة برب واحد يستوي جميع الخلق في النسبة اليه لا يتفاوتون الا فيما فضل به بمضهم على بعض من علم أو فضيلة * وخز بوعظه عبيد المادات وأسراء التقليد ليمتقوا ارواحهم مما استعبدوا له ، ويحلوا أغلالهم التي أخذت بأيديهم عن العمل ، وقطعهم دون الامل * مال على قراء الكتب السماوية والقائمين على ما اودعته من الشرائع الالهية فبكت الواقفين عند حروفها بنباوتهم . وشدد النكير على المخرفين لها الصارفين لالفاظها الى غير ما قصد من وحيها اتباعا لشعواتهم . ودعاهم الى فهمها ، والتحقق بسر علمها ، حتى يكونوا على نور من ربهم * ولقت كل انسان الى ما اودع فيه من المواهب الالهية ودعا الناس اجمعين ذكورا واناثا عامة وسادات الى عرفان انفسهم وانهم من نوع خصه الله بالمقل وميزه بالسكر وشرفه بهما وبحرية الارادة فيما يرشده اليه عقله وفكره وأن الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الاكوان وساطعهم على فهمها والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد الا الاعتدال

والوقوف عند حدود الشريعة العادلة والفضيلة الكاملة. وأقدرهم بذلك على أن يصلوا الى معرفة خالقهم بمقولهم وأفكارهم بدون واسطة أحد الا من خصهم الله بوحيه. وقد وكل اليهم معرفتهم بالدليل كما كان الشأن في معرفتهم لمبدع الكائنات أجمع. والحاجة الى أولئك المصطفين انما هي في معرفة الصفات التي أذن الله أن تعلم منه وليست في الاعتقاد بوجوده. وقرر أن لاسطان لاحد من البشر على آخر منه الا مارسسته الشريعة وفرضه العدل ثم الانسان بعد ذلك يذهب بارادته الى ماسخرت له بمقتضى القطرة * دعا الانسان الى معرفة أنه جسم وروح وأنه بذلك من عالمين متخالفين وان كانا ممتزجين وأنه مطالب بخدمتهما جميعا وإضاء كل منهما ماقدرت له الحكمة الالوية من الحق * دعا الناس كانه الى الاستعداد في هذه الحياة لاسيلاقون في الحياة الاخرى وبين لهم أن خير زاد يتزوده العامل هو الاخلاص لله في العبادة والاخلاص للعباد في العدل والنصيحة والارشاد



«قام بهذه الدعوة العظمى وحده ولا حول له ولا قوة - كل هذا كان منه والناس أحباء ما ألفوا وإن كان خسران الدنيا وحرمان الآخرة. أعداء ما جهلوا وان كان رغد العيش وعز السيادة ومنتهى السعادة. كل هذا والقوم حواليه أعداء أنفسهم وعبيد شهواتهم لا يفقهون دعوته. ولا يعقلون رسالته. عقدت أهذاب بصائر العامة منهم بأهواء الخاصة. وحجبت عقول الخاصة بفرور العزة عن النظر في دعوى فقير امي مثله لا يرون فيه ما يرفعه الى نصيحتهم والتطاول الى مقاماتهم الرفيعة باللوم والتعنيف

ولكنه في فقره وضعفه كان يقارعهم بالحجة ويناضلهم بالدليل
ويأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزجر وينبهم للعبر ويحوطهم مع ذلك
بالموعظة الحسنة كأنما هو سلطان قاهر في حكمه عادل في أمره ونهيه
أواب حكيم في تربية ابنائه شديد الحرص على مصالحهم رؤف بهم في
شدته رحيم في سلطته

« ماهذه القوة في ذلك الضعف ؟ ماهذا السلطان في مغنة العجز ؟
ماهذا العلم في تلك الامية ؟ ماهذا الرشاد في غمرات الجاهلية ؟ إن هو
إلا خطاب الجبروت الاعلى . قارعة القدرة العظمى . نداء العناية العليا . ذلك
خطاب الله القادر على كل شيء الذي وسع كل شيء رحمة وعلما * ذلك
نداء أمر الله الصادع يقرع الآذان ويشق الحجب ويمزق الغلاف وينفذ
الى القلوب على لسان من اختاره لينطق به واختصه به وهو أضعف
نومه ليقين من هذا الاختصاص برهانا عليه بعيدا عن الظنة برثا من
التهمة لآتيانه على غير المعتاد بين خلقه

« أي برهان على النبوة أعظم من هذا ؟ أمي قام يدعو الكاتين
الى فهم ما يكتبون وما يقرؤون بعيد عن مدارس العلم . ساح بالعلماء
ليمحصوا ما كانوا يعلمون في ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد العرفاء *
ناشي بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء * غريب في أقرب
الشوب الى سذاجة الطبيعة وإبدها عن فهم نظام الخليفة . والنظر في
سننه البديعة . أخذ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة . ويخطط للمادة طرقا
لن يهلك سالكها . ولن يخلص تاركها .

« ماهذا الخطاب المضم ؟ ما ذلك الدليل الملجم ؟ أقول » ماهذا

بشرا ان هذا الاملك كريم» ؛ لالا أقول ذلك ولكن أقول كما أمره الله أن يصف نفسه : إن هو إلا بشر مثلكم يوحى اليه : نبي صدق الانبياء ولكن لم يأت في الاقتناع برسائه بما يلهي الابصار أو يحير الحواس أو يدهش المشاعر ولكن طالب كل قوة بالعمل فيما أعدت له واختص العقل بالخطاب ، وحاكم اليه الخطأ والصواب ، وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغة وصحة الدليل مبلغ الحجة وآية الحق الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » اهـ

الكرامات والحوارق

قصة المقالة العاشرة

(المسألة الخامسة والعشرون) ذكر الشيخ الاكبر في فتوحاته أن الكرامة على قسمين كرامة حسية كالشي على الماء وكرامة معنوية وهي اتوفيق لسكالمحافظة على حدود الشريعة ظاهراً وباطناً وما ينشأ عن ذلك من العلوم والمعارف الالهية . وذكر ان الاكابر لا يحفلون بالكرامات الحسية وأن اعظم كرامة عندهم العلم بالله تعالى والدار الآخرة وما تستحقه الدار الدنيا وما خلقت له ولاي شيء وضمت حتى يكون الانسان من امره على بصيرة من حيث كان فلا يجهل من نفسه ولا من حركاته شيئاً . بل قال : إن الكرامة ليست الا العلم اما المعنوية نظاهر ان العلم بمبداها وغورها واما الحسية فانه يشترط ان تكون بمرئف الهى وهوعين العلم : وتقول ان هذه الكرامة المعنوية لا ينكرها احد وكلها نفع وليس فيها ضرر ولا خداع فان العلم نور لاظلمة فيه . والولى الحمدي لا يلبق به التعويل على غير هذه الكرامة فان آية نبيه الكبرى معنوية والكرامة قس من نور المعجزة كما يقولون (المسألة السادسة والعشرون) ذكر الشيخ الاكبر في فتوحاته ايضاً أن الحوارق التي تحصل على ايدي الصالحين تدىكون فيها مكر خفي واستدراج . وشروط اصحة كونها كرامة اكرم الله بها العبد لامكراً به ولا استدراج له ان

تكون ناتجة عن استقامة أو متبجة لاستقامة وان تكون بتعريف الهى . هذا ما اشترطه شيخ الصوفية الأكبر وهو مخالف لما فى كتب علماء الظاهر من كون الكرامة هي الامر الحارق للعادة الذي يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح . ولو اعتبر بهذا وما قبله الذين يتدون المصادقات الغريبة كرامات وان ظهرت على أيدي المستورين او الفاسقين لكفوا من غلوهم .

(المسألة السابعة والمشرعون) ان الكرامة فى عرف العامة هي الفصل الذي يميز طائفة من اناس يسمونهم الاولياء . والولي فى اللغة الناصر والمتولي للأمر وقد نهى الله المؤمنين ان يتخذوا من دونه أولياء وقال « الله وليّ الذين آمنوا » وأولياء الله هم أنصار دينه والمميز لهم كمال الابلاغ المعبر عنه بالقوى فكل مؤمن تقي وليّ وليس عمل الفرائب ولا صدور الحوارق دليلا على التقوى ولا على الولاية . قال تعالى « ألا إن أولياء الله لآخوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون » وفى الباب السادس والثمانين بعد المئة من الفتوحات المكية ان تارك الكرامات هو المتحقق باتخاذ الحق وكيلًا له امتثالا لقوله تعالى « فاتخذوه وكيلًا »

(المسألة الثامنة والمشرعون) يستدل العامة على ثبوت وقوع الكرامات للأولياء بقوله تعالى « لهم ما يشاؤون عند ربهم » وهي جراءة على محرف القرآن فاشية فيهم وإنما الآية فى أهل الجنة فى الجنة وقد اختزلوا منها هذه الجملة فكان استدلالهم بها على ان الاولياء يعطيه الله فى الدنيا ما يشاؤون من الحوارق كاستدلال بعض المتلاعين على تحريم الصلاة بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة » وترك القيد وهو قوله « وأنتم سكارى » . واكثر الذين رأيناهم يستدلون على الكرامة بما ذكر جاهلون بما عدا تلك الكلمة من الآية ولهذا نكتبها لهم بتمامها وهي « ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير » ثم قال بعدها « ذلك الذى يشر الله عباده » الخ فانت تراها بشارة للمؤمنين العاملين بما سيكون لهم من الجزاء فى الآخرة فهي كقوله تعالى بعد ذكر الجنة ودخول المتقين فيها « لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد » فإين ذلك من حديث الحوارق فى الدنيا ؟

(المسألة التاسعة والشرون) ان الاعتقاد بالكرامة ليس من اصول الايمان .
 التي يكلف المؤمن باعتقادها كما تقدم وإنما ذكروها في كتب الدين لما تقدم من
 الاستدلال على وقوعها بالكتاب في قصة أم موسى وأم عيسى عليهما السلام . وقد
 علم من المقالة الرابعة أن قصارى ما يدل عليه الكتاب هو الإلهام الصحيح للاولى
 وتمثل الملك الروح للثانية ومكالتها وذلك من مقدمات نبوة ولديهما كجبل مريم
 بنسخ الروح فيها . فقل هذا لا يقاس عليه لانه آية لم تأت على قياس لان زمن النبوة
 قد انقطع فلم يبق الاتحكيم العلم في مسألة الحوارق فما اثبتته فهو الثابت وما فاه
 فهو المتني وما توقف فيه فالوقف حتم الى ان يتجلى فيه شيء .

(المسألة الثلاثون) لنا ان نجعل الدين مبنياً للعلم في البحث عن الحوارق التي
 تحقق وقوعها وذلك ان الدين علمنا ان وراء العالم المحسوس عالماً غيبياً لا تستقل
 الحواس بادراكه . ومن حكم الدين في الاخبار بهذا توجيه همة الانسان الى شيء
 أرقى من هذه المحسوسات التي تشاركه فيها البهائم والحشرات حتى لا يقف باستعداد
 غير المحدود عند هذه الحدود القرية . وإن للعالم الغيبي اتصالاً بعالم الشهادة المحسوس
 ومنه أرواحنا التي بهانجها ونذكر

وهذه المسألة تنفعنا في تحليل كثير من الوقائع التي تسمى حوارق وهي حوارق
 عادات حقيقة ولكنها ليست حوارق لسان الالهية فإذا لم تظهر لها سنة حسية جلية ، فان
 لها سنة معنوية خفية ، وهذه التعليلات والتأويلات الآتية من قبيل تحليل عاماء المادة
 كثيرا من الظواهر الطبيعية بالآثار الذي يسندون اليه الآثار ، وان لم تدركه الابصار ،
 بل هي أظهر منها . وأما نجعل هذه المسألة آخر المسائل التي نجعل بها مبحث الحوارق
 والكرامات . فلم من هذا انه ليس في الدين دليل على وقوع الحوارق لغير الأنبياء
 إلا في وقائع متصلة بهمسم ومتعلقة بظهورهم وان الممول عليه فيها وراء ذلك هو العلم
 والاحتبار . وسترى أنواع الحوارق في المقالات التالية وحكم العلم والاحتبار فيها

(المقالة الحادية عشرة في أنواع الكرامات وضروب التأويل)

مارأيت أحداً توسع في الكلام على الكرامات كالتاج السبكي في الطبقات الكبرى ولذلك جعلنا كلامنا في المقالات الأولى معه . وقد تكلم في أنواع الكرامات وقال : إن بعض المتأخرين عدد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة وهي أكثر من ذلك وأنا أذكر ما عندي فيها : ثم ذكر خمسة وعشرين نوعاً لا تخلو من تكرار وتداخل ثم قال : وأظن أن أنواع كراماتهم تبلغ المئة : وقد زدت عليه في خاتمة كتاب (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والاحدية) أنواعاً مشهورة عنهم . وإننا نورد هذه الأنواع المشهورة ونحرر القول فيها . ونشير إلى وجوه التأويل التي نعتريها . فقول :

(النوع الاول احياء الموتى)

ذكر السبكي في حكايات في إحياء نحو دابة ودجاجة وحنظل وطفل صغير وقع من سطح فسات ثم قال : لا يثبت عندي أن ولياً حي له ميت مات من أزمان كثيرة بعد ماصار عظاماً رمياً ثم عاش بعدما حي زماناً كثيراً . هذا القدر لم يلفظ ولا أعتقد . وقع لاحد من الأولياء ولا شك في وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام فقل هذا يكون معجزة ولا تنتهي إليه الكرامة فيجوز أن يحى نبي قبل احتتام النبوة بإحياء أم اقتضت قبله بدهور ثم إذا عاشوا استمروا في قيد الحياة أزماناً . ولا اعتقد الآن أن ولياً يحى نبياً الشافعي وأباً خيفة حياة يقيان . مهنازنا طويلاً كما عمرا قبل الوفاة ولا زماناً قصيراً يخالطان فيه الأحياء كما خالطاهم قبل الوفاة : أه كلامه

أقول إذا كان يترف بأن الشيخ عبد القادر الحلي أحيا الدجاجة بعد أن كانها مطبوخة فلماذا يستكر على مثله إحياء الشافعي وإبي خيفة وبماذا يفرق بين الأحياءين ؟ إن كان الكلام في الجواز وعدمه فهو حكم عقلي لا يختلف باختلاف الأشخاص وإن كان الكلام في الوقوع فهو يتوقف على المشاهدة أو السماع من المعصوم أو النقل بالتواتر الصحيح عن أحدهما ولا شيء من ذلك ثابت إلا ما حكى الله تعالى من قول عيسى عليه السلام « وأحيي الموتى بإذن الله » ولم يقل أنه أحيا ميتاً أو

أمواتاً مضى على موتهم الزمن من الطويل حتى صاروا ربما بآلية ثم عاشوا بين الناس وحدثهم بما كان من أمرهم بعد الموت . ولو قل هذا لما بقي أحد الا وآمن به . ولستأ نريد ان عدم النص والتصريح بأنه أحياء الموتى بالنعلم يقتضي أنه لم يقع منه إحياء حقيقي بالفعل أو ان المراد بالموتى موتى الجهل والسكر والبلاحياء الهداية الى الايمان والحق كما قال المأولون وانما يزيد أن السبكي لا يجد نصاً يؤيد به دعواه وأنه متحكم وان كان مصيباً في قوله وفقاً للقشيري: ان الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة: ويظهر ان الميزان الذي يزن به هذه الاحكام هو عظمة الأشخاص أو الاستفاف في نفسه فلما كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم الناس قدراً أعطاهم إحياء العظام الريميم وكون من يحبونه يعيش الزمن الطويل وأعطى الاولياء اذ كانوا دونهم إحياء الطيور والاطفال !! كان للتصاري غرام ينقل الآيات والخوارق والامر الغريب اذا اشتهر بين الناس لا ينسى وان كان سنده واهياً أو موضوعاً ولم ينقل القوم عن المسيح أنه أحيى العظام الريميم بل روى لوقا في آخر الفصل الثامن من إنجيله أن ابنة رئيس المجمع ماتت وأن المسيح قال « لا تبكوا لم تمت لكنها نائمة ٥٣ فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت ٥٤ فخرج الجميع خارجاً وأمسك بيدها ونادى قائلاً : يا صبية قومي : فرجعت روحها وقامت في الحال » اه وروى يوحنا في الفصل الحادي عشر من إنجيله قصة إحياء (لمازر) أخي مريم ومرثا وكان المسيح يحبه ويحبهما وكان مريضاً فأخبر المسيح تلاميذه بأنه نام وأنه يريد إيقاظه ويعني أنه مات فجاء معهم من اورشليم الى قرية بيت عينا حيث كان لمازر واحتاء وكان قد مات ووضع في مغارة منذ أربعة أيام فجاءها وأمر برفع الحجر ورفع هو عينه الى فوق وقال : ايها الأب اشكره لأنك سمعت لي وانا علمت انك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا اجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك ارسلتني : ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لمازر هب خارجاً فخرج الميت الحي

هذا مارووه وهو على انقطاع استنده ليس في شيء مما قال السبكي اما حكاية البنت فيجتمل أنها كانت في نوم حقيقي كما هو ظاهر قوله . واما الحكاية الثانية فأننا معشر المؤمنين نسلم بها اذا صح نقلها بالتواتر وان كان ملاحدة العبري .

قالوا فيها باحتمال المواطنة بين المسيح ولما زرع على ما كان (نعوذ بالله من كفرهم)
وباحتمال أن يكون ذلك من قيل الثوم الطويل فقد ثبت أن من الناس من ينام
عدة أسابيع أو عدة أشهر ثم يستيقظ بسبب أو بدون سبب ، ولولا ما ثبت في
القرآن من نبوة المسيح وتأييد الله تعالى له بإحياء الموتى لكان التأويل متعينا فليس
عندنا ثقل متواتر يعتد به

هذا وإننا خرجنا عن الموضوع بإدخال المعجزة في البحث . والذي نقوله في
هذا النوع من حيث عدة في الكرامات إنه لم يثبت والأصل عدمه . وإن ما
ما أورده السبكي من الحكايات ينطبق على القاعدة التي قررناها في طبقته وهي
عدم جواز إظهار الكرامة إلا لأمر عظيم يضطر إليها حتى إنه استحلت تطبيق
ما أورده من الكرامات الماثورة عليها . وكان ينبغي له أن يطبقها على قاعدته
الأخرى وهي عدم بلوغ الكرامة مبلغ المعجزة فيقول إن إحياء الموتى لا يكون
من الكرامات . ولا عبرة بتلك القصص والحكايات .

هذا وإن المشهودين في أوروبا وغيرها يخجلون للناس أنهم يذبجون الإنسان فينبون
رأسه عن جسده ثم يحونونه . ويطمع أنباء بأن يرتقي العلم بالناس إلى مستوى يهتدون
فيه إلى إعادة الحياة إن تفارقه بعد زمن قريب . ومنهم طائفة من الروحيين تشغل
بالبحث عن طريق مناجاة أرواح الموتى . ولا يبعد إن يحجى يوم يظهر لهم فيه أن ما روي
من إحياء سيدنا عيسى للبنات ولما زرع . وإحياء سيدنا محمد لابن جابر . قد كان بسنة إلهية
خفية . وهو إمداد الأرواح القوية العلوية للأرواح الضعيفة السفلية . حتى تعود
بإذن الله إلى التصرف بالجسد ، إذا لم يطل على مفارقه الأمد . وقد سبق الإلماع إلى
أن آيات الأنبياء عليهم السلام إذا كانت جارية على سنن الهيروغليفية يكون ذلك أليق
بكمال الله عز وجل بما إذا كانت يحض القدرة لما فيه من اتفاق القدرة مع النظام
والحكمة وذلك كحل في القدرة لا تقص فيها

(النوع الثاني تكليم الموتى ورؤية الارواح)

قال السبتي هو أكثر من النوع الذي قبله وروي مثله عن أبي سعيد الخراز رضي الله تعالى عنه ثم عن الشيخ عبدالقادر رضي الله تعالى عنه وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الامام واللدولست اسميه :

ونقلت في كتاب (الحكمة الشرعية) عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي ما حكاه عن نفسه في الفتوحات المكية (باب ٣١١) وهذا نصه : « ولقد كنت اتقطعت في القبور مدة منفرداً بنفسي فبلغني أن شيخاً يوسف بن يخلف السكرمي قال : ان فلاناً - وسهائي - ترك مجالسة الاحياء وراح يجالس الموتى : فبعثت اليه وقلت : لو جئتني لرأيت من اجالس : فعلى الضحى واقبل اليّ وحده مامعه احد فطلب علي فوجدني بين القبور قاعدا مطرقاً وأنا اتكلم على من حضرني من الارواح فجلس الى جانبي بادب قليلا قليلا فظفرت اليه فرائده قد تغير لونه وضاق نفسه وكان لا يقدر يرفع راسه من الثقل الذي نزل عليه وأنا انظر اليه وابسم فلا يقدر ان يتبسم لما هو فيه من الكرب فلما فرغت من الكلام وصدر الوارد خفف عن الشيخ واستراح ورد وجهه اليّ قبل بين عيني فقلت له : يا استاذ من يجالس الموتى انا او انت ؟ قال : لا والله بل انا اجالس الموتى والله لو تمادى عليّ الحال فطست : وانصرف وتركني فكان يقول : من اراد ان يستزل عن الناس فليستزل مثل فلان : » اهـ

وأقول الآن ان مثل هذه الحكاية منقول عن الصوفية بكثرة وهو من خوارق العبادات المألوفة المعروفة ولكنه ليس خارجا عن السنن الالهية ، ولا خارجا لتواميس الكونية . ولا علاقة له بالامور الدينية ، وإنما الروح الانساني مستعدي أصل الفطرة لادراك عالمه ولكنه يشغل عنه بعالم الجسد الذي يكون كل شغله به من أول النشأة وهذا الاستعداد يكون قويا في بعض الناس فاذا اهتدى من يكون قويا فيه الى استعماله يزداد قوة حتى يتمكن من رؤية الارواح المجردة اي التي تفارق الاجساد ويقوى على خطابها وللأفرغ في هذه السنين عناية بهذا الامر واشتغال به كبير ، وروى عنهم في استحضار الارواح ومكاملة الموتى أضعاف ماروى عن الصوفية من الوقائع ولكنهم مع ذلك لم يملفوا فيه مبلغ الصوفية فيما اظن ولا يبعد ان يسبقوهم

في يوم من الأيام لان جد هؤلاء الأفرنج ومنابرتهم على الأعمال التي يهتدون إلى طريقها من القراءة يمكن

هذا ما يقال في التأويل لمن صحت عنده الروايات عن الأولين والآخرين . ومن الناس من يقول أن كل ما يروى في هذا المقام غير حقيقي وإنما هو من ضروب الشعوذة والسمياء يخيلون فيه للناس مالا حقيقة له في الواقع . وقد ذكر الصوفية أن بعض هذه المشاهد الروحية يكون في عالم الخيال . وبضها يكون في عالم المثال وقد اطلنا هذا المبحث في كتاب (الحكمة الشرعية) فكتبنا فيه ٣٥ صفحة ، ومنه : قال حجة الاسلام الغزالي (رحمه الله تعالى) في كتابه المتقذ من الضلالة في التاء على الصوفية « حتى أنهم في يقظهم يشاهدون للملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويتقربون منهم فوائد » . وفي المواهب اللدنية للقسطلائي أن الغزالي قال في تفسير حديث « من رأي في المنام فقد رأي حقا » وحديث « من رأي في المنام فسيراني في اليقظة » : ليس معنى قوله « فقد رأي » أنه رأى جسمي وبدني وإنما المراد أنه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه . وكذلك قوله « فسيراني في اليقظة » ليس المراد أنه يرى جسمي وبدني (قال) والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثاله على التحقيق : فلم بهذا أن الغزالي يريد برؤية الأرواح رؤية مثل متخيلة لها . ولكنه قال في المتقذ بعد ما تقدم : ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق الثناطق :

وذكر الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر جماعة كانوا يرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة منهم الشيخ قاسم المغربي ، ونقل عن الشيخ قاسم المذكور أنه قال : وأكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى إلى رؤية البصر (قال) وليست رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كروية بضنا مضنا وإنما هي جسمية خيالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقة إلا من به من باشره : اه فهم أن الإنسان لا يزال يفكر في الميت الذي توجه إليه نفسه

وتعمل في إخطاره على قلبه حتى يتخيل أنه يراه وأنه معه لأنه يغيب عن عالم الحس ويستغرق في عالم الخيال

وذكر الشرنائي في ميزانه عن شيخه علي الخواص أن الائمة المجتهدين كانوا يرون النبي صلى الله عليه وسلم بقطة ويسألونه عن الاحكام المشككة . ولو كانت هذه الرؤية حقيقة مطردتلاختلفوا اذ لا يمكن ان يجيبهم بأجوبة مختلفة في المسألة الواحدة ولما توقعوا في بعض المسائل ، فان صح قوله فهي الجمعية الخيالية وهي لا تزيد الانسان على ما في نفسه . على انه لم ينقل عن أحد منهم انه ادعى ذلك .

وفي الذهب الابرز (ص ٤٤ و ٤٥ من النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٢٩٢) ان ابن المبارك سأل الشيخ عبد العزيز الدباغ عن استحضر صورة النبي صلى الله عليه وسلم في ذهن المؤمن هل هي من عالم الروح أو من عالم المثال أو من عالم الخيال قال : « فاجاب رضي الله عنه بان ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله فن توجه بفكره اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقعت صورته في ذهنه فان كان ممن يعلم صورته الكريمة لكونه صحابيا أو من العلماء الذين غنوا بالبحث عنها ثم حصلوها فانها تقع في فكره على ما هي عليه في الخارج . وان كان من غير هذين فانه يستحضره في صورة آدمي في غاية الكمال في خلقه وخلقه فقد توافق الصورة التي في فكره ما في الخارج وقد تخالفه والحاضر في الفكر هو صورة ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم لا صورة روحه عليه الصلاة والسلام فان الذي شاهده الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأخبر عنه العلماء هو الذات لا الروح الشريفة ولا يجوز الفكر الا فيما يعلمه الشخص ويعرفه . فقولكم : هل هو من عالم الروح ؟ ان أردتم به الاستحضار فهو من عالم الروح اي من روح المتفكر وان أردتم به الحاضر أي فهل الحاضر في أفكنا روحه صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقد سبق أنه ليس إليها . وأما المحادثة والمسكلة اذا حصلت لهذا المتفكر فان كانت ذاته طاهرة ومحبة روحه ولم تحجب عنه أسرارها وكانت معه كالتخيل مع خليفه فالمحادثة معصومة وهي حق وان كانت الذات على العكس فالامر على العكس والله الموفق » اه وما ذكره أخيرا من الحكم في المحادثة والمسكلة فيه غموض ولا أقول هنا كما قلت في (الحكمة

الشرعية): أن فيه وقفة ظاهرة:

ثم قال ابن المبارك إنه ذكر شيخه رجلاً من الصالحين كان يذكر الله مع جماعة من أصحابه فما كان من أحدهم إلا أن تبدل لونه وتغير حاله ويدل جلسته قليل له : لم فعلت هذا ؟ فقال «واعلموا أن فيكم رسول الله » (قال) فقلت للشيخ هل هذه المشاهدة التي وقعت لهذا الرجل مشاهدة فتح أو مشاهدة فكر ؟ فقال : مشاهدة فكر لا مشاهدة فتح ومشاهدة الفكر وإن كانت دون مشاهدة الفتح إلا أنها لا تقع إلا لأهل الإيمان الخالص والمحبة انصافية والنية الصادقة . وبالجملة فهي لا تقع إلا لمن كمل تعلقه بالله صلى الله عليه وسلم . وكل واحد تقع له هذه المشاهدة فيظن أنها مشاهدة فتح وإنما هي مشاهدة فكر . وهذا القسم الذي وقع له هذه المشاهدة وهو غير مفتوح عليه إذا قيس مع عامة المؤمنين كانوا بالنسبة إليه كالعدم ويكون إيمانهم بالنسبة إليه كلاً شئ والله أعلم :

قال ابن المبارك : وما يؤيد هذه المشاهدة الفكرية وإنما تقع لغير المفتوح عليه كونها تقع لمن كملت محبته في شخص وإن كان غير النبي صلى الله عليه وسلم . ولقد أخبرني بعض الحزارين أنه مات له ولد كان يحبه كثيراً وأنه لم يزل شخصه في فكره حتى إن عقله وجوارحه كلها معه فكان هذا دأبه ليلاً ونهاراً إلى أن خرج ذات يوم إلى باب الفتوح أحد أبواب (قانس) حرسها الله تعالى لشراء الفم على عادة الحزارين فبال فكره في أمر ولده الميت فبينما هو يحول فكره إذ رآه عياناً وهو قدم إليه حتى وقف إلى جنبه . قال فكلمته وقلت له : يا ولدي خذ هذه الشاة لشاة اشتريتها حتى أشتري أخرى : وقد حصلت غيبة قليلة عن حبي فلما سمعني من كان قريباً أنكم مع الولد قالوا : مع من تنكمم أنت ؟ فلما كلوني رجعت إلى حبي وغاب الولد عن بصري فلا يدري ما حصل في باطني من الوجد عليه إلا الله تبارك وتعالى : أه

وقلت بعد إيراد هذا في (الحكمة الشرعية) : وظاهر أن هذا الرجل قد انطبعت صورة ولده في خياله واشتغاله به وضم شأن المحسوس الذي هو أخذ به بالنسبة إليه غاب عن حبه وتلاشى تحت قوة سلطان خياله فتمثلت له صورة ولده المعبودة في خياله بشراً سوياً فحده وهو به يراه حقيقة فغاطبه بما خاطبه به حتى إذا

تنبه بتنبه آخر لم ير شيئاً . وهذه الرؤية من قيل الأحلام المتأمية . وقد رأيت امرأة مخبولة تخاطب الأموات وتخبر عن حالهم عند ما يمرون في خيالها : هذا فلان يقول كذا هذا فلان يقول كذا : وكثيراً ما تكون الفية عن الحس للشاق باستحواذ الخيالات والأوهام عليهم حتى ان أحدهم لفرط شغفه واشتغال فكره بمشوقه يمثله له خياله فيتوهم أنه موجود أمامه حقيقة فيقابل به بما يليق به من الآداب . ويرفع الى أعقاب جنابه ماشاء من العتاب، وفي ذلك قال قائمهم :

يمثلك الشوق الشديد لتاظري فأطرق إجلالا كأنك حاضر

ومنه الحكاية عن عاشقة تقول :

فليس نوما خفض رأسي إنما . أسجد للطف الذي قد سأم . فاني استزنته توها
فزارني ورق لي ترحا . لما رأى في الحفن فعل السهد

وقال لي بالله ما أضناكي . قد كلت عنك نظر الادراك . نامي بحفني فاقصدي مناكي
كيتريه أنت أوراكي . فليس لي بغيرذا من جهد

ومثل هذا في كلامهم كثير وفيه يقال : الجنون قنون . وكل حزب بما لديهم فرحون .

(النتيجة)

ان ما نقل عن كثير من عباد المسلمين والنصارى وغيرهم من رؤية الأنبياء والأولياء والرؤساء الروحانيين صحيح فان حال الأشخاص في الرائيين والناقبين في بعض الوقائع ليس فيها شائبة الكذب . ولكن هذا ليس من الحوارق الحقيقية ولا تلك المشاهدات دليل على ان صاحبها على الحق . وإنما هو تأثير الحب والشغف وكثرة الفكر والتخيل في الشيء مع تأثير الوجدان به يضيف الخواس . ويقوي الوسواس ، فيغيب صاحبه عن حاله ، ويحضر مع خياله . ومن الناس من كان يستعين على إثارة رواكد الخيال بما يضيف الخواس والعقل من المخدرات كالخيشة المروقة فقد كان أول من استعمالها الباطنية والمتصوفة ولذلك كانت تسمى خيشة النقاء . كان شيوخهم يشغلون فكر المريد ببعض الاموات المتقدمين أو بلجنة مثلاً ولونه شيئاً من الخيشة فتخدر حواسه فيتجسم ما في خياله من الصورة التي كان وجهه الشيخ اليها قتمثل له في صورة بديعة . وما كان المريدون يسمون بأن لما تناولوه من الخيشة تأثيراً فيما رأوه وإنما كانوا

يعتقدون أنه تصرف روح الشيخ في عوالم الملكوت وإدناه بعض ما فيها من عالم الملك وأنت ترى أن هذا الذي قلناه في تفسير رؤية الأرواح ومكالمتها مأخوذ من كلام كبار الصوفية ولم نفتحره افتحاراً . واني اعترف بأن ما قاله الشيخ عبد العزيز الدباغ فيه هو كرامة من كراماته المعنوية فإنه كان رجلاً أميناً وفتح الله عليه بالعارف العالية وأكرمه بحل كثير من المشكلات الفلسفية كهذه المسألة والمشكلات الدينية أيضاً على أنني لاسلم بكل ما نقل عنه ولأقول أنه معصوم أو محفوظ من الخطأ . وما قاله في إيمان من يرى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رؤية فكرية خيالية لا ينافي ما قلناه آنفاً من كون هذه المشاهدات لا تدل على حقيقة اعتقاد صاحبها . فصاحب الإيمان الصحيح في الأصل تجمل إيمانه وإيمانا وجدانياً فيكون أقوى من إيمان غيره . وكذلك صاحب الاعتقاد الباطل فهمي تقوي في نفس صاحبها ما هو فيها حقاً كان أو باطلاً كما فعلت بإيمان الذين تمثل لهم السيدة مريم عليها السلام وهم يعتقدون أنها أم الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - ثبت بهذا أن هذا النوع ليس من الخوارق في شيء .

ورأيت أن كلام الصوفية الذي حلّ الأشكال يشير أو يصرح بأن وراء هذه المشاهدات الخيالية والمكالمات الوهمية شيئاً آخر أعلى منه وهو إدراك الأرواح إدراكاً صحيحاً والاستفادة منها استفادة حقيقية لم يكن يعلمها المرء من قبل . وهذا شيء لا يمكن أن يعرفه إلا من ذاقه وهو جائز وإن لنا من الثقة بصدق بعض المخبرين به أكثر مما لاهل هذا العصر من الثقة باهل أوربا إذ يصدقونهم بكل شيء غريب يقطعون بثبوته وإن لم يعرف دليلهم هؤلاء المصدقون

وإذا ثبت هذا النوع لبعض الأولياء والأصفاء لاستعداد فيهم قواه استعماله وسمي كرامة لهم فلا ينبغي أن نتقدم أنه جاء مخالفاً للسنن الإلهية في الخلق ولا أن تصدق أحداً من الناس بخصوصه يدعيه لأنه مما لا يمكن إثباته لتغير من ذاقه ومن ادعى ما لا يمكن إثباته فهو أحق أو محذور لا يسأل به . وهذا الذي قررناه حجاب دون اغترار العامة ببعض الدجالين وهو غرضنا الأول من كل ما كتبناه في الخوارق والكرامات

في ٩ ص ١٦٤ « كلام » والصواب « كلام الله » وفي ٩ ص ١٦٧ (رؤساء) والصواب « عن رؤساء » قليصحيح

✖ القسم العمومي ✖

(اليهود والماسونية . وحدث الوطنية)

(اليهود) : لا يوجد شعب في الدنيا كشعب إسرائيل في تمسكه بالرابطة الملية . والعصية الجنسية . فهم يحبون ويحاولون ان يحولوا جميع منافع الشعوب الذين يعيشون معهم اليهم . ولولا أنهم يعتقدون ان دينهم خص بهم لا يجب عليهم الدعوة اليه حاولوا إرجاع جميع الأديان انه بالهامة التي يحاولون بها تحويل قوى الشعوب ككاهنها الى منفعة بني إسرائيل . وكل هذا - لولا غلو فيه - من الفضائل التي يحمدها صاحبها عليها . ولكن القلوف في حب الذات كانه صير فيه كلامها من الأمور الضارة بصاحبها . لهذا نرى هذا الشعب مضطهدا من جميع الشعوب والامم لا يتبع له صدر الاصدر المسلمين . ألم تر ان الذين تطردهم الاممات وتخرجهم من أرضها لا يجدون في الغالب مآجداً الا بلاد الدولة العلية حتى بلاد فلسطين التي يطمعون ان يستولوا بها ويحدثوا فيها ملكا جديدا

(الماسونية) : جمعية سياسية سرية تكونت في أوروبا - خلافا لما يزعمون من قدمها - لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والامراء ورؤساء الدين من البابوات والقسيسين الذين كانوا متضافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها منترعة من الكتاب المشترك الذي يسمى الكتاب المقدس وأندوها الى بنات الهيكل المقدس هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى . وقد قامت هذه الجمعية بعملها على احسن وجه ولم يمد لها الآن عمل في تلك البلاد . واذا كان منشؤها والمنشأة لهم من غير المسلمين كان فيها أمور متعددة تخالف الاسلام وكان الداخل فيها عرضة لخلفه دينه الا ان يكون غائب متعكفا

ثم ان الافرنج عند ما تغفلوا في الشرق ورأوا مزاج البادية الاسلامية لا يقبل مشاركاله في حكمه فهو يحش افعال جميع المسلمين لتبسطها كل من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على إضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم ويهودها فادخلوا طائفة

منهم وبقي أكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزغة من نزغات الكفر أو وسيلة اليه . لا ان الشعب المصري سريع الاتقياد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون في هذه الجمعية من اهلهم . على ان اهلها يتصلون من الاديان ويدعون عدم التعرض لها بحال ولا هاجر السيد جمال الدين حكيم الثرق وموقفه الى هذه البلاد رأى من استبداد اسماعيل باشا الحديو الاسبق ما يزيد على ما كان في أوروبا من الاستبداد ورأى ان الجمعية الماسونية تجرّ هذه البلاد الى أوروبا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهي كالحويط التي يربط بها المشعوذ القماثيل التي يلعب بها وراء الستار فيحسب الصيان أنها هي التي تلعب بنفسها وكذلك كانت مصر العلوية في أيدي الاوربيين . فاراد السيد رحمه الله أن يربي فيها رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجههم الى استخدام الماسونية في تعليم تلامذته مالا يمكن التصريح به الا في جمية سرية فدخل في الماسونية ودخل معه تلامذته التابفون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس محفلهم ولكنه كان غاليا في مضادة الانكليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يتقدم من طمعهم في مصر وقد صرح به كتابة فقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ولم يكن للماسونية عمل في مصر لمصر الا في تلك المدة . ثم ان الماسونية صارت في مصر آلة لبعض زعمائها في جلب المنافع ثم كثر فيها القوغاء حتى قل احترامها وانطلقت الاسنة بالطن فيها وليس هذا مما يعتنا الآن

(حدث الوطنية) : شاب يعرف قراء النار أنه يلفظ بالوطنية على غير هدى وان له جريدة انشأها لتعظيم شخصه باسم الوطنية والانتقام لشخصه بكل اسم . بمقت كل من ليس مصري الاصل لاجل مصر وبمقت من المصريين الاصلاء من ليس مسلما لاجل المسلمين وبمقت كل صالح المسلمين لاجل شخصه فهو لنفسه علة الملل ، في كل قول له وعمل . واليك هذا الشاهد المادل

مفتي الديار المصرية مصري الموطن ويشغل في مصر أكبر الوظائف الدينية ويرأس جمعية خيرية ليس لها ثانية لخدمة مسلمي مصر وهو في علوم الدين والدنيا وفي كبر العقل وقوة الارادة مفخر المسلمين ومفرعهم يرجعون اليه في الدفاع عن

دينهم وفي قضاء حوائجهم ويرون أكبر خدمة قام بها للإسلام تفسير القرآن الشريف على طريقة روحية عمرانية تظهر أن القرآن الحكيم ينبوع السعادة الدينية والمدنية في كل عصر ولكن هذا الرجل خلق من طينة الجد فهو لا يقيم وزناً للأحداث المتفجئة فيزله منزلة الدم لا يحترمهم ولا يحقرهم . وحدث الوطنية يجب أن يدهن له كل عظيم فهو لا يجب منفي الديار المصرية . وكان ينبغي أن يامله بالمثل لا يعظمه ولا يتناول ويتسلق ويتعالى لقمص حقه . فإذا لم يستلج صبراً فليتناظر له هفوة يتيسر له التليس بها على العامة بأنها قنصر بالوطن الذي يدعى حبه . أو الاسلام الذي يتألف حزبه . ولكن من اثناس من يبلغ من نفسه مبلغاً لا يصل أحد إليه الا بجدلان من الله!!!

انظر الفرص التي ينتهز منها حدث الوطنية ... كان مفتي الاسلام في جماعة من « كبار الوطن العزيز » قد ركبوا مركبة مما اعدته الحكومة للمدعوين لحضور احتفال خزان اسوان فحاول احد الخدمة من الافرنج إزاحهم منها ليركب فيها نساء من قومه فانتهره المفتي فماد خائباً . ولما علم بذلك زعيم الوطنية بزعمه بادر الى ارسال رسالة برقية الى جريدته جبل غنواتها (اهانة للمفتي) وحكى القصة على غير وجهها فهذه هي « الوطنية الحققة » التي يتفجج بها . يفخر بان خادما اجنيا اهان اكبر رجال « الوطن المحبوب » وما اهانهم ولكنه يفخر بما يفخر ويفتخر

وان تعجب فأعجب مما قصصناه من فرصة هذا الوطني التي اغتتمها لخدمة لوطن مانقصه الآن من فرصة هذا المسلم التي اغتتمها لخدمة الاسلام . بل لتأييد بعض ماسون اليهود في الاحتجاج على تفسير القرآن

ان نبذة التفسير التي نشرناها في الجزء الثاني من منار هذه السنة هي مأخوذة من الدرس الذي ألقاه المفتي في ٦ ذي القعدة سنة ١٣١٧ اي منذ ثلاث سنين وشهور وقد نقلتها عنا جريدة الرائد المباني التي قامت تندد في هذه السنة ببيئات اليهود حتى انهم حاكموا صاحبها وحكم عليه بشدة علم بها ان الحكومة اتصرت لهم وما كانوا مهضومين ولا مظلومين . توم بعضهم ان مفتي الديار المصرية صاحب النفوذ في الدين والادبي كتب الآن يساعد تلك الجريدة بقلمه المؤثر فوجلا ووجوا ولجأوا الى جمعيتهم الماسونية وكتبوا بقلم الطينس والعجلة احتجاجاً باسم الماسونية على مفتي الديار المصرية الذي يفسر القرآن العزيز في الازهر باسم الله الرحمن الرحيم وطلبوا إيقافه عند

حده . وارسلوا نسخا من احتجاجهم الى امير البلاد والى اللورد كرومر والى رئيس
النظار والى جميع الجرائد اليومية فلم يحفل احد باحتجاج هذا المحفل الارييس الماسونية العام
في هذه الديار (عطو قتلوا) ادريس بك راغب فانه كتب محتجاً على الاحتجاج مبداه محفل انه
خالف قانون الجمعية

ولكن حدث الوطنية نشر صورة الاحتجاج في جريدته وقام ينتصر لاعتزله بعض
يهود الماسون على مفتي الاسلام من حيث هو مفسر للقرآن وسوّل اليه غروره ان ذلك انتقام
من المفتي فما كان الا زيادة في إجلاله وتعظيمه — حضر رئيس ذلك المحفل الماسوني من
الاسكندرية مخصوصاً لزيارة المفتي في الأزهر والاعتذار له ثم كتب هذا الرئيس رسالة
نشرها في الجرائد المشهورة في ذلك اثني فيها بما اثني . وزاره في الأزهر ايضاً الرئيس الاعظم
للمحافل الافريقية ادريس بك راغب . وكتب بعض ادباء اليهود في الجرائد يبين خطأ
الاحتجاج ونشره واثني على المفتي بما اثني . وكتب الجرائد المعبرة مقالات في ذلك باقلام كتابها
واقلام غيرهم من الفضلاء سفهوا فيها منشور الاحتجاج والجريدة التي نشرته وفي مقدمة
هذه الجرائد المؤيد والاهرام والمقطم واليراميد . ولولا ان كان جميع الكاتين متفقين على
الاعتذار عن المحتجين بسوء الفهم والاعتراف بان مفتي الديار المصرية لهذا العهد هوروج
الوافاق والوئام . وداعية الاتحاد والائتنام . وانه لا يرضيه ان يهضم حق فرد من الافراد ولا
طائفة من الطوائف لان الشريعة التي هو احداً منها تضمت بالعدل والمساواة حق كل خلائها
الراشدون يساوون احد اليهود با كبر كبرائهم — لولا هذا لأحدث ذلك المنشور ثورة
فكرية قلمية على اليهود سيئة المغبة وكان ثم ذلك على من كتب المنشور بسوء الفهم .
ومن نشره بسوء القصد -

« ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى » واي شيء أسوأ ممن ارضى نفسه واغضب اليهود
الذين اتهمهم بما كاد يوقعهم فيه من الفتنة واغضب المسلمين لانه اتهم لليهود عليهم في أمر
ديني محض واغضب الله تعالى لانه اتهم لافراد من اليهود على كتابه العزيز واراد ان
يساعدهم على إيقاف من بينه للناس عند حده وما هو الا منه من بيان للناس ونقض ميثاق الله
الذي اخذه على العلماء « ليعتبه للناس ولا يكتمونه »

وهنا نكتة لطيفة وهي ان اليهود قد كتبوا ما كتبوا مفتزين بالحرية التي في
مصر الآن كما صرحوا بذلك في منشورهم وحدث الوطنية يتبجح دائماً بدم هذه
الحرية لان منبها الاحتلال الانكليزي فهل كانت هذه الحرية جديرة بالقت والدم من

حيث رفعت أفعال الظلم عن كاهل الامة المصرية وصارت جديرة بالرضى والمدح من حيث يراد بهامتع تفسير القرآن من الجامع الازهر ؟ كلا ان تلك الحرية ما كانت مذمومة عنده من جهة الأحكام الا لانه لم يندران يكون فيها حاكما مادارت بمدوحة عند الاستعانة بها على منع كتاب الله "الا لأن مفسره لا يدهن له ولا يستبره زعيا للوطن قنبت بهذا ان حدث الوطنية لا يخدم الاشخصه مباشرة واسم الوطنية والاسلام . إنما يذكر ان اذا صلحا للاستخدام ،

فلم بما تقدم انه لم يكن من مصلحة اليهود ان يطرقوا هذا الباب دعوى تحامل المسلمين عليهم وكرهتهم لهم - ثلاثا يفتح فيمجزوا عن اغلاقه هم والحرية التي استجدوا بها وهي المون عليهم مالم يخالف أحد القانون في اعتدائه ، المسلمون اقرب الناس الى مساكنهم بما يرشد اليه الاسلام والتاريخ شاهد عدل في الماضي والحاضر ولكن أهل هذه البلاد يؤثر فيهم القول والوهم فاذا صدقوا ان مفتي الاسلام قد يرى قلمه لليل منهم يتقدون انهم خطر كبير على المسلمين او المصريين . ومن يقدر على إزالة اعتقاد العامة بعد رسوخه ؟ قدر بعض الاحداث على تحريك أضعان المصريين على السوريين بكلمات هذوا بها فكان من أثرها ان الالوف من الناس يتقدون ان السوري بلاء على مصر على ان السوريين موافقون لهم في اللغة والجنسية المانية ومنهم من هم على دينهم وليس لهم امتياز ينقل عليهم كامتياز الاجانب ثم انهم أدل الشعوب التي هاجرت الى هذه البلاد كسبا فاليهود والارمن واليونان وجميع الشعوب الاوربية تفوقهم ثروة ومن هؤلاء من افسدوا البلاد بالخمور والتهجور ولا ترى مع هذا جريدة مصرية تذكر أحدا منهم بما تذكر به السوريين مما لا يرضي . والسوريون هم الذين خدموا العلم والادب خدمة لم يدركهم بها المصريون الى الآن . نعم ان فيهم بعض السفهاء وفاسدي الآداب والجنسية . وأي شعب ليس فيه الصاغ والطالح والمصلح والمفسد ؟ فاذا كان اولئك الاحداث قد أثروا هذا التأثير بعمونة الاستعداد للشر فبالك بهذا الامام الكبير . كان من حظ اليهود انهم طرقتوا الباب فلم يفتح لأن المفتي وجميع من يتصل به من حملة الافلام لا يحبون فتحه ولو فتح لما اغت عن اليهود الماسونية شيئا ، اما كون الماسونية خرجت في هذه المسئلة عن حدها فلا نزاع فيه بعد ما علمنا من احتجاج استاذها الاعظم على كاتب المنشور . وكل خطي قد رجع عن خطباء الاحداث الوطنية فلم انه هو الذي كان سي القصد دون اليهود وغيرهم .

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

الملك

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيسمعوا حسنه أو تلك الذين عداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و«مناراً» كنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢١ — ١٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣)

باب العقائد من الامالي الدينية

(الدرس ٣٧ — آية الله الكبرى — القرآن)

نبدأ هذا البحث الجليل بمكتبة القاضي عياض في الشفاء من وجوه الإعجاز وبعد ذلك نذكر ماهو أقوى منها أو أوضح قال رحمه الله تعالى :
(فصل في إعجاز القرآن)

اعلم وقتنا الله وإني أن كتاب الله العزيز متلو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتخصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه —

١٠٥ (اولها) حسن تأليفه وإتمام كله وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم . وأوتوا من ذرية اللسان ما لم يؤت إنسان . ومن فصل الخطاب . ما يفيد الألباب . جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة . وفيهم عزيزة وقوة . يأتون منه على البديهة بالعجب . ويدلون به الى كل سبب . فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب . ويرتجزون به بين الطعن والنضرب . ويعدحون ويقدحون . ويتوصلون ويتوصلون . ويرفعون ويضعون . فيأتون من ذلك بالسر الخلال . ويطوقون من أوصافهم أجل من سبط المال . فيخدعون الألباب . ويذللون الضعاب . ويذهبون الاحن . ويرجعون الدمن . ويحجرون الحيان . ويسيطون يد الجعد البنان . ويصيرون اثنان كمالا . ويتكون اثنين خاملا . منهم البدوي ذو الانف الجزل . والقول الفصل . والكلام النخم . والطبع الجوهري . والمنزع القوي . ومنهم الحضري ذو البلاغة البارة . والانفاذ الناصعة . والكلمات الجامعة . والطبع السهل . والتعريف في القول . القليل الكثفة . الكثير الرونق . الرقيق

الحاشية ، وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة . والقوة الدامغة ، والقدح الفائق ، والمبعج التامع ، لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم ، والبلاغة ملك قيادهم . قد جوا قوتها ، واستسيطوا عيونها . ودخلوا من كل باب من أبوابها ، وعلموا صرحا بلوغ اسبابها ، فقالوا في الخطير والمهين . وتقتنوا في الفت والسعين ، وتناولوا في القل والكثر ، وتساجلوا في النظم والنثر . فاراعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » . احكمت آياته ، وفصلت كتابه ، وبهرت بلاغته القول ، وظهرت فصاحته على كل مقول . وتضافر إعجازه وإعجازة . وتظاهرت حقيقته ومجازة . وتبارت في الحسن مطالبه ومقاطعه . وحوث كل اليسان جوامعهم ويدائمه . واعتدل مع إعجازه حسن نظمه . وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا . وأشهر في الخطابة رجالا ، وأكثر في السجع والشعر سجالا ، وأوسع في الفريب والمنة مقالا ، بانهم التي بها يتحاورون ، ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صارخا بهم في كل حين ، ومقرع عليهم بضمها وعشرين عاماً على رسول الله « حين » ، أم يقولون افتراء قاتل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطلعتم من دون الله ان كنتم صادقين » « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » الى قوله « ولن تفعلوا » « و قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ، الآية (١) » « و قل فأتوا بمثل مفرجات » وذلك ان المفترى أسهل . ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب . واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ، ولهذا قيل : فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد ، وللاول على الثاني فضل بينهما شأو بعيد :

« فلنزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد تقريع ، ويوبخهم غاية التوبيخ ، ويسفه أحوالهم ، ويحيط اعلامهم ، ويشقت نظامهم ، ويذم آلهتهم وأبائهم . ويستبج أرواحهم وديورهم وأموالهم (٢) » وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته ، محجمون عن ممانئته ، ويخادعون

(١) تنبأ « لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٢) أي فضل ذلك بهم بعد ما فعلوا أشد منه به . ومن تبعه من القتل والثني والتبجيل حتى انه لم يبدأهم بمدون وانما كان مدافعاً حتى أطفره الله تعالى

أنفسهم بالتشبيب بالتكذيب ، والاغراء بالانتراء وقولهم : ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستعر . وانك انتراء وأساطير الاولين : والمباهة والرضى بالدينثة كقولهم : قلوبنا غاف : و (١) في أكنة عما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب : ولا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون : والادعاء مع المعجز بقولهم : لو نشاء لئنلنا مثل هذا : وقد قال لهم الله « ولن تغلبوا » فاضلوا ولا قدروا . ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كسيلمه كشف عواره لجميعهم ، وسليم الله ألقوه من فصيح كلامهم ، والا فلي يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نطافصاحتهم ، ولا جنس بلاغتهم . بل ولوا عنه مدبرين وأتو مذعنين من بين مهتد وبين مقتون . ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية قال : والله ان له لخلوة . وان عليه لطلاوة . وان أسفله لمغندق ، وان اعلاه لثمر . ما يقول هذا بشر : وذكر أبو عبيد ان أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر » فوجد وقال : سجدت لفصاحته : وسمع آخر رجلا يقرأ « فلما استيسوا منه خالصوا نحيًا » فقال : أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام : وحكى ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو يقام على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها . وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما نزل على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله « ومن يطع الله ورسوله ويخني الله ويثقه » الآية . وحكى الاصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها : قالتك الله ما أفصحك ! فقالت : أو بعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى « وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه » الآية (٣) فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وشارتين :

« فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من المتقولين . وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه أتى به معلوم ضرورية .

(١) أي « وقالوا قلوبنا في أكنة » الخ (٢) تتمها « فاذا خفت عليه فألقه في البر » ولا تخاف ولا تحزن فينا رادوه اليك وجعلوه من المرابين .

وكونه صلى الله عليه وسلم متحدّياً به معلوم ضرورة . وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة . وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة لهماين بالفصاحة ووجوه البلاغة . وسبيل من ليس في أهلها علم ذلك بعجز المتكبرين من أهلها عند معارضته واعتراف المفتزين باعجاز بلاغته وأنت اذا تأملت قوله تعالى « ولكفى التّعاص حيوة » وقوله « ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » وقوله « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وقوله « وقيل يا أرض ابعي ماءك وباساء أقامي » الآية وقوله « فكلّا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه جنساً » الآية وأشبابها من الآي بل أكثر القرآن حققت ماينة في التّشبيز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلماتها وان تحت كل لفظة منها جلال كثيرة وفصولاً حجة وعلوماً وازخر ملكت الدواوين من بعض المستنيد منها . وكثرت المقالات في المستبطنات عنها

« ثم هو في سرد القصص الطوال وإخبار القرون السوائف التي يضمّن في عادة النقصاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان ، آية لتأمله من ربّ السكاد بهذه بعض والتّمام سرده وتناصف وجوهه كقصّة يوسف على طولها . ثم اذا ترددت تضعه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردها حتى تسكاد كل واحدة تسم في البيان صاحبها . وتناصف في الحسن وجه مقابله ، ولا نفور لتفوّس في ترديدها . ولا ممادة امادها .

فصل

م ١٠٦ (الوجه الثاني من اعجازه) صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المتخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليها ووقفت مقاطع آيها وانتهت فواصل كلماته اليه . ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مثاله شيء ، منه . بل حارت فيه عقولهم ، وتدهلت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم . من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر . ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد ابن المغيرة قرأ عليه القرآن رقى فجاءه أبو جهل منكراً عليه قل : والله ما منكم أحد أعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا : وفي خبره الآخر حين

جمع قريشاً عند حضور الموسم وقال : ان وفود العرب ترد فأجمعو فيه رأياً لا يكذب بعضكم بعضاً : فقالوا « نقول كاهن » قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمنته ولا سجمه ، قالوا « مجنون » قال وما هو بمجنون ولا بمجنقه ولا وسوسته ، قالوا فنقول « شاعر » قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه وما هو بشاعر ، قالوا فنقول « ساحر » قال وما هو بساحر ولا فتنه ولا عقد ، قالوا فاقول ؛ قال وما أنتم بقائلين في هذا شيئاً الا وأنا أعرف أنه باطل وإن أقرب القول « انه ساحر » فانه سحر يفرقه بين المرء وابنته (١) والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته : ففرقوا وجلسوا على السبيل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد « ذرني ومن خلقت وحيداً » الآيات

« وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن : يا قومي قد علمتم اني لم أترك شيئاً الا وقد علمته وقرأته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالسكينة : وقال النضر بن الحرث نخوة . وفي حديث إسلام أبي ذر « وودف أخاه أنيساً فقال : والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض انني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى أبي ذر فخبّر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول اناس : قال يقولون شاعر . كاهن ، ساحر ، لقد سمعت قول السكينة فما هو بقوله ولم توضع على أثره الشعر فلم يلتزم على لسان احد بعدي (٢) انه شعر وانه لصادق واتهم لكاذبون »

« والاعجاز في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الاعجاز وبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها . مبين لفصاحتها وكلامها . والى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين . وذهب بعض المتقدمين بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تلمذ الاسماع ، وتفر منه القلوب ، والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً . ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه

(١) في نسخة « وايه » (٢) لعل الصواب (يدعي)

«وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول : انه ما جمع في قوة جزائه ونساعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وانه من باب الحوارق الممتعة عن إقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلت المصا وتسييح الحصا : وذهب الشيخ أبو الحسن الى أنه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فتمهم الله هذا وعجزهم عنه . وقال به جماعة من اصحابه . وعلى الطريقين فمعجز العرب عنه ثابت . واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدر البشر وتحديهم بأن يأثروا بمتله قاطع ، وهو أبلغ في التعجيز ، واخرى بالتقريع ، والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم ، وهو ابر آية . واقع دلالة ، وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمثال . بل صبروا على الجلاء والقتل . وتجرعوا كأسات الصغار والنذل . وكانوا من شموخ الاقب وإيالة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً . ولا يرضونه الا اضطراراً ، والا فالعارضة لو كانت من قدرهم . والشغل بها أهون عليهم . واسرع بالتحج وقطع العذر والحام الخصم لديهم . وهم ممن لهم قدرة على الكلام . وقدوة في المعرفة بجميع الانام . وما منهم الا من جهد جهده ، واستغفد ما عنده . في اخفا ظموره . وإطفاء نوره . فاجلوا في ذلك خيثة من بنات شفافهم ، ولا أتوا بنظفة من معين مياهم . مع طول الامد وكثرة العدد . وتظاهر الوالد وما ولد . بل أبلسوا فما نبسوا . ومنعوا فاقطعوا ، فهذان النوعان من إعجازه

فصل

م ١٠٧ (الوجه الثالث من الاعجاز) ما نطوى عليه من الاخبار المغييات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » وقوله تعالى « وهم من بعد غلبهم سيقلبون » وقوله « ليظهره على الدين كله » وقوله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض » الآية وقوله « اذا جاء نصر الله والفتح » الى آخرها . فكان جميع هذا كما قال فطلب الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخاف المؤمنين في الارض

ويمكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق الى أقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم « زويت لي الارض فأريت مشارقها ومغاربها وسيلنج ملك امتي مازوي لي لي منها » وقوله « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فكان كذلك . لا يكاد يعد من سمى في تقييره وتبديل محكمه من المصحف والمطلة لاسيا انقراطمة فاجموا كيدهم وحولهم وقوتهم الى اليوم نيفاً على خمس مئة عام فاقدروا على إطفاء شيء من نوره . ولا تقيير كلمة من كلامه ، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه ، والحمد لله . ومنه قوله « سيزم الجع ويولون الدبر » وقوله « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » الآية وقوله « هو الذي أرسل رسوله بالهدى » الآية « لن يضركم الاذى وان يقاتلوكم » الآية فكان كل ذلك . وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالمهم وكذبهم في حلفهم وتقريرهم بذلك كقوله « ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول » . وقوله « يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك » الآية . وقوله « من الذين هادوا سماعون للكذب » الآية وقوله « من الذين جادوا يحرفون الكلم عن مواضعه — الى قوله — في الدين » وقد قال مبدئاً ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر « واذ يمدكم الله إحدى الطائفتين انما لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم » ومنه قوله تعالى « إنا كفيناك المستهزئين » ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أحسبه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزؤون قراءاً بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهل كوا . وقوله « والله يعصمك من الناس » فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل

١٠٨٨ (الوجه الرابع) ما نبأ به من أخبار القرون السالفة . والأتم البائدة . والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه . ويأتي به على نفسه ، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه ، وان مثله لم ينله بتعليم ، وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا اشتغل بمدرسة ولا ثقافة ، ولم يغب عنهم ، ولا جهل حاله أحد منهم ، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه صلى الله

عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يلو عليهم منه ذكرا . كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف وأخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها . ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها : بل اذعنوا لذلك فن موفق آمن بما سبق له من خير : ومن شقي معاند حاسد . ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم : وتقريرهم بما انطوت عليه مصاحفهم : وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتغنيهم إياد عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم : ومستودعات سيرهم : وإعلامه لم يكتبوه شرئ لهم : ومضمنات كتبهم : مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم إرجم وما حرم إسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الأنساء ومن خفيات صفات احل لهم فحرمت عليهم بفهمهم : وقوله ذلك « مثابهم في التوراة برذائهم في الإنجيل » وغير ذلك من أمودهم التي نزل فيها القرآن فأجابهم وعرضهم بما أوصي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك لو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته : وصدق مقامه : واعترف بعباده وحسده إياد : كأهل نجران وابن سوريا وأبني اخطب وغيرهم . ومن باهت في ذلك بعض المباحثة : ودعي ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة : دعي الى إقامة حجة : وكشف دعوته : فقيل له « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين — الى قوله — الظالمون » فترجع ووج : ودعا الى احضار ممكن غير مجتمع : فن معترف بما جحد : ومتوابع يلقي على فضيحه من كتابه يده : ولم يؤثر انه واحدا منهم اظهر بخلاف قوله من كتبه : ولا ابدى صحيحا ولا سقيا من صحفه : قال الله تعالى « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير » الآية (التار) بقي لقول القاضي في شفاة بقية تذكر في الدرس الثاني

❦ باب شبهات النصارى وحجج المسلمين ❦

(طعنهم في القرآن العزيز)

قل للذين يرون الجدوع في عيونهم ويعيون الكحل (بالتحريك) في عيون
اناس : اذا كان كتاب دينكم لم يكتب في عهد نبيكم واذا كان الذين كتبوا تاريخه
من بعده بأزمنة مختلفة يروون عنه روايات مختلفة لاسند لها بالمرء واذا كانت بحامكم
قد تحكمت بذلك المكتوب بأهوائها وأهواء الرؤساء السياسيين فحذفت ما شئت
وشاؤا أو أبت ما شئت وشاؤا أو فتحت ما شئت وشاؤا أو أتم قبولن ذلك وتمدونه أصلا للدين
فبالكم لا تنجلون من الكلام في كتاب لم يوجد في العالم الى اليوم كتاب مثله قل
عن صاحبه بالتواتر الصحيح حفظا وكتابة ورواية ودراية وأداء وهو اقرآن العزيز الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

نرى العالم الشهير والفيلسوف الكبير يؤلف كتابا في عاصمة من عواصم أوروبا
فقطيع منه مئات الألوف من النسخ ويثق اناس بانساده الى صاحبه وإنما يكون صاحبه
أعطاه الى صاحب مطبعة أو ملتزم طبع في خلوته فأخذه وطبعه فيكون رواية واحد
عن المؤلف . وقد كان الصحابة لا يقبلون رواية الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم
في شيء من القرآن وان كان في نواحيهم علما وعدالة وحفظا ودراية . وبعد هذا
كلمة تتكلمون في قل القرآن وجمعه ولا تنجلون من أنفسكم ولا من اناس . ولا تعلمون
ان هذا يزيد المؤمنين إيمانا بكتابتهم وبحق كتابكم وهذه هي النصيحة السكبري .
نشرت مجلة البروتستنت المصرية في الجزء الرابع من المجلد الثالث نبذة في الطعن
بالقرآن قلتم عن كتابهم فقال ان لشيخ إبراهيم اليازجي يدا في تصحيحه أو تأليفه
أو ترجمته والزائدة فيه وهو عندهم أقوى طعن في الاسلام على ما فيه من الكذب والخفاة
والتحريف . وإنما نستقصي شبهاته ونبين بطلانها قال الكاتب :

« زعم أهل السنة والجماعة متابعة كتبهم أن القرآن كلام الله نفسه لفظا ومعنى
وأنه معجز في النصاحة والبلاغة الآن ذلك باطل ولنا على بطلانه أدلة متعددة ثم طفق يسرد
تلك الأدلة واتانذرها ونحجب عنها بالاختصار اكتفاء بما نكتبه في دروس الامالي .
وقد بدأ بالظن في طريقة كتابه وجمعه نذكر أمور تأتي عليها واحد أو احدى أقواله

(الشبهة الاولى على جمع القرآن وحفظه)

اعلم أولا ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يلقي ما ينزل عليه من الوحي الى المؤمنين فيحفظه الجمل الغفير من الرجال والنساء وأمر بكتابه فيكتبه الكاتبون . وقد حفظ القرآن كله جماعة من الصحابة وقرأوه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا أنهم لم يجمعوه في مصحف واحد الا على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وذلك ان عمر رضي الله تعالى عنه أشار على أبي بكر بجمعه في مصحف يأخذ عنه الناس لما خشي ان يستحرق القتل بالقراء في قتال الردة فيقل عدد من يلقي الناس القرآن فجمعوا ما كان كتبه الكاتبون وهم يعرفونه لثلايق شيء من الغلط باستقلال فرد أو أفراد منهم بأملائه . وكانوا يعرفون ما يوجد عند كل واحد من أولئك الكاتبين حتى الآية والآيتين من السورة . يقولون ان آية كذا عند فلان فاطلبوها منه فيطلبونها وان كانوا حافظين لها زيادة في الثبوت ومنعاً لما عساه يحدث بعد من إيراد منافق آية أو سورة فيها زيادة أو نقص يشكك به الناس . ومع هذا كله كانوا يطلبون من يأتي بشيء منه بالشهود يشهدون أنه كتبه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقد ورد في كل هذا الذي ذكرناه روايات مسندة ربما نذكرها معزوة الى مخرجها بعد . اذا علمت هذا فاسمع مقالته ذلك الكاتب النصراني في الاستدلال على طسه بجمع القرآن وحفظه

(الدليل الاول) حديث « رحم الله فلانا لقد أذكرك في كذا وكذا آية كنت اسقطهن » وروى « أنس بن » عزاه الى الشفاء وهو فيه غير مسند ولا مخرج . والذي أعرفه أن هذا الاسقاط أو النسيان كان في الصلاة وربما تعدد وهو أنه كان يقرأ سورة فلا يتجها فيسأله بعض الصحابة عن ذلك فيقول نحوه . وقد يكون الاسقاط عمداً إذ ليس بواجب على من بدأ بسورة في الصلاة أو غير الصلاة أن يتجها . فاذا ترك من السورة آية أو آيات عمداً للاختصار أو لاختبار حفظ السامعين أو نسياناً مثل هذه الحكمة أو لما يمرض للبشر عادة فاي حرج في ذلك وتلك الآيات قد بلغت وحفظت في الصدور والسطور ؟ وأي دليل في ذلك على ترك شيء من القرآن الذي بلغه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحفظه عنه الجماهير في الصدور والمصاحف ؟

نعم ان نسيان التبليغ غير جائز على الانبياء عليهم السلام ولكن مثل هذا النسيان الذي يمرض احيانا لما هو محفوظ ومقرر لا يخل بالتبليغ . وقد اطال القاضي في الشفاء القول في تقرير عصمة الانبياء من النسيان في التبليغ وفي حفظ القرآن وعدم ضياع كلمة او حرف منه ولكن طلاب الباطل يعمون عن الحق ويأخذون بأقل شبهة على تقرير باطلهم

(الدليل الثاني) قال « وكذلك ثبت ان الصحابة حذفوا من القرآن كل ما رأوا المصلحة في حذفه » وعزا هذا الى مقدمة الشاطبية والشاطبية قصيدة في القراءات ليس فيها شيء من هذا البهتان . ومن علم ان افسق المسلمين لا يتجرأ على حذف حرف من القرآن لاعتقاده ان متعمد ذلك يخرج من الدين ، ويعد من شرار الكافرين . يتيسر له ان يعرف مكان هذه الفرية

روى مسدد عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال « اي ساء تظلني واي ارض قلني اذا قلت في كتاب الله مالا اسمع » وروى نحوه السبكي عنه وروي مثل ذلك عن علي « كرم الله وجهه . ونحن نعلم من التاريخ انه لم يعرف في الناس اشد ايمانا من الصحابة لاسيما السابقين الاولين فهؤلاء اصحاب موسى لم تكن عنهم مشاهدة آياته عن الميل الى الوثنية . وإعناؤه في قبول الشريعة السماوية ، حتى اتهم اتخذوا المجل بأيديهم وعبدوه وهو حي يناجي الله تعالى . وهؤلاء اصحاب عيسى عليه السلام تشهد عليهم انجيلهم بانهم خانوه في وقت الضيق حتى انه طرد اكبرهم واغفلهم وساء شيطانا . واما اصحاب محمد عليه السلام فقد عرضوا انفسهم للقتل ورضوا بالثني والذل ، ولم يزحزحهم ذلك شيئا عنه . فكيف يصدق مع هذا قول كافر بدينهم يحكي في آخر الزمان ويدعي انهم حذفوا ما شاؤا من القرآن ولا يثبته له ولا يبرهان !!!

ولقد لمع ان الذي ذكره بأن يفترى هذه الفرية هو ما رواه انكثيرون من ان الصحابة قد تحاموا ان يكتبوا في المصاحف ما ليس قرأنا كأسماء السور وكلمة (آمين) في آخر الفاتحة وكلمة « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم » في اولها وكالتفسير المأثور عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . روى ابن ابي شيبة عن عامر الشعبي

قال كتب رجل مصحفاً وكتب عند كل آية تفسيرها فدعا به عمر فقرضه بالمقراضين :
وانما فعلوا هذا خشية ان يشبه بعض التفسير بالقرآن على بعض الناس . وقد كان
هذا التشديد سبباً في قلة ما روي صحيحاً من التفسير . فهذا معنى حذفهم ما رأوا
المصلحة في حذفه من القرآن إن صح ان احداً عبر بمثل هذا التعبير . وقد نقل الكاتب
عن عبد المسيح السكندري ان علياً (عليه السلام) حذف من القرآن آية التهمة وكان
يضرب من يقرأها وان عائشة (رضي الله عنها) كانت تشنع عليه به وقالت : إنه بدل
القرآن وحرفه . وأن منه ما كان يرويه أبي بن كعب وهو قوله « اللهم اننا نسئلك
ونستغفرك » الخ الور : ونقول ان عبد المسيح لم يقن الاكذوبة الاولى ولم يقدر
على تمويهها كما موه غيرها من الباطل فان اُتباع علي وآل بيته (الشيعة) هم الذين
يقولون بلتمه دون سائر المسلمين ولو كان علي هو المشدد في منعها وعائشة هي المثبتة لها
لما كانوا الا بعد الناس عنها . وان الآية التي يستدلون بها على التمه هي قوله تعالى « فما استمتعتم
به من فآتوهن اجورهن فريضة » وهي لم تحذف ولكن يروى ان ابياً كان يزيد فيها « الى
اجل مسمى » ولم يثبت هذا بالثواتر فمد من قيل التفسير وهو مثبت في كتب التفسير
والحديث لم يسقط ولو تواتر لأثبت في المصحف وكان نصاً في المسألة . ولما صيغة
الفتوت التي أولها « اللهم اننا نسئلك » فقد روي عن أبيه أنه كان يعدها قرآناً وكان
هذا جاهل من قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لها في الصلاة . ولكن سائر الصحابة
علموا منه عليه السلام انها ليست بقرآن وهي لم تسقط ولم تحذف بل هي موجودة
يحفظها الصبيان ويقرأها في الصلاة الملايين من الناس

(الدليل الثالث) قال « ان كثيراً من آيات القرآن لم يكن لها من قيد سوى
تحفظ الصحابة لها وكان بعضهم قد قتلوا في منازي محمد وحروب خلفائه « لاواين
وذهب معهم ما كانوا يحفظونه من قبل ان يوعز ابو بكر ان زيد بن ثابت يجمعه
فلذلك لم يستطع زيد ان يجمع سوى ما كان يحفظه الاحياء » ونقول ان هذه دعوى
باطلة اقامها مقام الدليل على دعوى اخرى وهي مهاجمة نفسها ككثرتها من كلام
الصبيان فان خلفاء محمد عليه الصلاة والسلام هم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والاول
منهم هو الذي جمع في نون خلافته القرآن في مصحف واحد وكان مكتوباً كله

في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومحفوظا لكثيرين ممن قتلوا في يوم البجامة وعن كانوا في المدينة وفي غيرها من البلاد ولم يخرجوا الى تلك الحرب . روى ابن أبي شيبة عن محمد بن كعب القرظي قال : جمع القرآن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر من الانصار - معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب : وروى ابن سعد ويقوب ابن سفيان والطبراني والحاكم عن الشعبي مرسل أن من جمعه من الانصار أيضا زيد بن ثابت وسعيد ابن عبيد وأبو زيد : واكثر هؤلاء قد طشوا بعده وبسد جمع أبي بكر وكتابة عثمان زمنا طويلا . وقد وجه عمر ثلاثة منهم الى بلاد الشام يعلمون الناس القرآن كما سنفضله بعده . وروى هؤلاء أيضا ان جمع بن جارية كان قد أخذها الاسوريتين أو ثلاثا . وإنما يمتون بالجمع بالكتابة وأما الحفظ فأهله كثير جدا . وإنما قالوا ان أبا بكر جمعه يمتون بين اللوحين وقد كان جمع من ذكرنا من الانصار ومن لم نذكر من المهاجرين في محف منشرة . وقد روى ابن الانباري في المصاحف من عدة طرق ان الذين قتلوا من قراء القرآن يوم البجامة أربع مائة رجل . فهل يجد النصارى عندهم رواية عن واحد فقط حفظ إنجيل المسيح كما أو أكثره أو ما هو دون ذلك ؟ ؟

(الدليل الرابع) قاله أماما كان مكتوبا منه على العظام وغيرها فانه كان مكتوبا بلا نظام ولا ضبط وقد ضاع بعضها وهذا ما حدا العلماء الى الزعم بأن فيه آيات قد نسخت حرفا لاحكاما وهو من غريب المزاعم . ونقول ان هذه دعوى مقترأة أيضا وقد علم كذبها مما تقدم . وباليات شمري هل اطاع هذا النصارى على تلك العظام وغيرها فأرأها بغير نظام ؟ وهل كان عددا في أيدي كتاب الوحي في زمنه ثم عدما في زمن أبي بكر فوجدتها قد نقصت ؟ وهل يفقه ان ضياع بعضها لا يضر مع تعدد السكاكين والحافظين الا اذا ثبت ان سورة أو آية بخصوصها قد أضاعها كل من كتبها ومن حفظها ؟ وأنى ثبت هذا ؟؟ روي بأسانيد صحيحة ان المكتوب وافق المحفوظ ولم يفتقدوا منه شيئا الا آية آخر التوبة وجدوها مكتوبة عند واحد فقط على انها كانت محفوظة ومقرؤة في الصلاة . وأما النسخ الذي قاله فقد أنكره قوم ومن أثبتهم لم يعلل بما ذكر

(الدليل الخامس) قال « وإما قام الحجاج بنصرة بني أمية لم يبق مصحفاً الا جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة كانت قد نزلت فيهم وزاد فيه أشياء ليست منه وكتب

سنة مصاحف جديدة بتأليف مآلاراده ووجه بها الى مصر والشام ومكة والمدينة والبصرة والكوفة وهي القرآن المتداول اليوم ، ثم زعم انه ألتف سائر المصاحف نزلاً الى بني أمية حتى لا يبقى في القرآن ما يسوءهم ، ونقول اننا نتخذ مثل هذا الكذب فرصة لتعليم الناس ما كان من غناية هذه الامة بحفظ كتابها ولولا ذلك لكان من اللغو انكلام مع من لا يستحي من الكذب . ان الحجاج لم يكن حاكماً عاماً له سلطان على جميع البلاد الاسلامية فيحاول جمع القرآن منها وتبديله على حين يعتقد أهلها ان التصرف بحرف واحد منه كفر صريح . ولو فرضنا انه كان حاكماً عاماً فهل كان يستطيع ان يجمع المصاحف التي لا عدد لها ولا يمكن ان يعرف مواضعها ؟ ولو فرضنا انه قدر فهل يقدر على محو من الصدور كما يحو من السطور ؟ لتدحض القرآن الالوف وانتشروا في الارض قبل ملك بين أمية فلماذا لم يوجد الى اليوم حافظ يخالف حافظاً في هذا المصحف المروي بالتواتر من كل وجه كما قدما . حفظه أولئك الالوف بياض الايمان واليقين ورغبة في الاجر الذي كتب الله تعالى لحفظه القرآن وحملته كما ورد في الاحديث الصحيحة . ثم ان الخلفاء كانوا فوق هذا يرغبون الناس في الحفظ . روى أبو عبيد عن -عبد بن إبراهيم ان عمر كتب الى بعض عماله ان أعط الناس على تعلم القرآن . فكتب اليه : انك كتبت ان أعط الناس على تعلم القرآن فتعلمه من ليست له رغبة الا رغبة الجند : فكتب اليه ان أعط الناس على المودة والصحابة.. وروى انبهقي عن علي قال : من ولد في الاسلام فقرأ القرآن فله في بيت المال في كل سنة مئتا دينار ان أخذها في الدنيا والأخذها في الآخرة : وروى أيضاً عن سالم بن أبي الجعد ان علياً فرض ان قرأ القرآن ألفين الفين : أرايت هذا الترغيب في الاجر الدنيوي فوق الاجر عند الله تعالى هل يبقى معه أحد لا يحفظ القرآن الا القليل النادر : وكتب عمر الى عماله في بعض البلاد يسأله عن عدد من يحفظ القرآن عنده فأجابهم ثلثمائة . وقد نسيت اسم البلد . وأرايتي لم أنس العدد . فاذا كان انفاً لا يتصور ان يقع مع هذه الناية التي أشرنا اليها تحريف أو تصحيف أو نقص أو زيادة فبأي كتاب أو بأي شيء يمكن ان يثق . ومثل هذه الغاية لم تنفق ولن تنفق . (الدليل الخامس) أو الفرية الخامسة — وهي كالثانية — قوله : ان الخلفاء تصرفون فيها

دعوه كتاب الله تصرف الممالك في ملكه، وذكروا في الهامش ان ابن عباس أنكر كون الممويين من القرآن . ثم ختم لقوله بدم القرآن ذما شعريا بأنه مبتور لان نظام له ولا تأنيف ولا معنى يتسق : فاما دعواه في الخلفاء فلا أرى الا ان النصارى واليهود والمجوس والذين أشركوا يسخرون منها . وأما زعمه ان ابن عباس أنكر كون الممويين منه فهو كذب وإفحام وي هذا عن ابن مسعود وحده ولكن الجمل الفقير من الصحابة ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرآنا فعدم رواية ابن مسعود لها لا ينافي التواتر عن غيره كما رواد أحمد والبخاري ومسلم وأتسائي وابن حبان . وأما مقاله في التظلم والتأنيف فانا بعد الثقة بأن سيكون سخريه لكل من شم رائحة البلاغة العربية نحيّل القارئ على ما تقدم نقله عن القاضي عياض وتمثل بقول شاعرنا الحكيم

إذا وصف العائى بالبخل مادر وعير قساً بالذهاة باقل

وقال السهى للشمس أنت خفية وقال الدجى للصبح لولك حائل

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويافئس جدى ان دهره هازل

(للكلام بقية)

(أيّ الفريقين المتعصب المسلمون أم النصارى)

نشرت إحدى الجرائد السورية التي تصدر في نيويورك ، مقالة في اخلاق (الالبان)

وعوائدهم جاء فيها ما نصه :

« ومن أشد متاعس البائسان وجود الأرناؤوط من النصارى والمسلمين في أرض واحدة تجمع بينهم لغة واحدة ووطن واحد ونسب يرجع الى أصل واحد وهم مع ذلك منقسمون على بعضهم بعضا متطرفون في التعصب الديني . وأولئك المتعصبون من المسلمين هم نصارى من الاصل اقبلوا عن النصرانية ودخلوا في دين محمد ففعلوا عنهم بذلك الانتقال رداء لابن المسيحي وقصصوا بقبص القساوة التركية . وذلك لان الديانة التي اعتنقوها حديثا هي ديانة قامت بالسيف مبنية على أساس الجهاد ولا نبوت لها الا بالقوة القاهرة . ومن الغريب أننا نرى أشد المسلمين تعصبا وقساوة هم المتحدرون من سلالة نصرانية فإن أشد الاكراد ضراوة ومهجية وتعصبا بين إخوانهم

الأكراد الفاتحين على حدود بلاد المجمع هم الاولى متحذروا من نسل نصارى الارمن وأضرى مسلمي بلغار المقيمين في جبال رودوب هم المتحذرون من نسل النصارى وكذلك نرى ان مسلمي القراوليين والسرب وأهل البشناق من المتسلسلين من عيال نصرانية أشد مسلمي تلك البلاد تعصبا وشرًا « اه بحروفه

(المنار) من عجائب تأثير التقليد أنه يحمل نتيجة الدليل الموجبة سالبة والسالبة موجبة ويجمع لصاحبه بين التقيضين فيستدل على إقبال الليل بطلوع الشمس وعلى إقبال النهار بظروها . شاع بين الناس ان دين الاسلام قام بالسيف وهي قضية بدئية البطلان فان الداعي الى هذا الدين قام يدعوا اليه وحده ولا سيف معه ولو كان معه سيف لكان من المحال ان يظلب به سيوف العالمين الذين جاء لدعوتهم الى دينه ثم انه بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته هاجر مستخفيا من بلده وليس معه الا رجل واحد وذلك لانه كان على خطر من قومه ولولا حفظ الله وعناية لقتلوه هو وتلك الفئة القليلة التي آمنت به وهربت من مكة مهاجرة الى الحبشة لنبذة أرواحها . ثم انه لما صار له في مهاجرة أتباع يتيسر لهم المداومة كانوا يدافعون المشركين ولم يتدوا عليهم في قتال قط اتباعا لقوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمدوا ان الله لا يحب المتدين » ولا سعة في هذا الرد لتطويل في شيء سبق القول فيه ونرجو ان نوضحه بعد آثم الايضاح وانما نقول ان الناس قد بعضهم بعضا في تلك القضية الكاذبة حتى المسلمين كما قد بعضهم بعضا في ان الدين المسيحي انتشر بالدعوة مع ان التاريخ يشهد انه لم ينتشر لاسيا في أوروبا الا بالقوة القاهرة . كان من تأثير هذا التقليد ان تشهد القسوة وشدة التعصب في النصارى اضعاف ماهي في المسلمين حتى ان الجنس الواحد يوجد فيه المريق في الاسلام والحديث المهد به فيكون اثاني أشد تعصبا من الاول ويلاحظ هذا أهل البحث والدكاء ويثبتونه بالكتابة ثم يترنون به القول بأن شدة التعصب قد لا يست نفوس هؤلاء الداخين في الاسلام بتأثير الاسلام وكونه دين قسوة وجهاد !!! ألم يكن الاقرب الى الانصاف ان يقال ان هؤلاء المرتقين الى الاسلام عن النصرانية قد حملوا ما كان عندهم من شدة التعصب في دينهم القديم الى دينهم الجديد وبذلك امتازوا في التعصب على الاصلاء فيه الذين ورنوا

—✻— —✻—

سؤال للمسيحين أرجو
هل الثالث في المولى قديم
وليس على الحدوث بقرّ قوم
أموسى كان يحول أم يمين
وينس بجمله أحد مقرا
فقولوا قومه نقصوا وزادوا
وأما كون موسى قد دعاهم
وإن الحق بذهب كل ظن

ارجو قبل كل شيء من المسيحيين عموماً وأحسن ذوي العقول انسانية ولا تفكر
الراقية خصوصاً أن يجابوا بما يرضي الله فؤادهم وترتاح إليه ضمائرهم ويسكن إليه
خاطرهم وهذه سوء التفاهة التي تجعل من أسئحة السؤال شرح كاذباً وهم

هل تثبت في ذات الله سبحانه مع الاقوام حادث أو قديم فان كان حادثاً لم
يغير في ذات الله وهو محض خالق وان كان قديماً فمن انعمه ان الله رسل قبل
النبي عليه السلام رسلاً نوابه (كما تسمون) انما رسل في خصوصه شخص من انبياء موسى
عليه السلام لوجود بقية من انبياءه ولا خلاف في نسخ بقاء موسى وقرين من انبيائه
وانه مكمل لمطلب فقط وهو سابقا قومه على انفسهم فيكون ساقط في ذاته
على ذلك قديم في اجزائه بل هو ثابت في ذاته مع الاقوام في نفسه
فثبت بقوله هل عذر هي في موسى في ذاته ثابت في ذاته في ذاته في ذاته
وكما ثبت في ذاته في ذاته في ذاته في ذاته في ذاته في ذاته في ذاته في ذاته

وكتبها ولا داعي لاعتقاد محبها بل يجب ان تكون الثقة في الموثوق به وهو القرآن المجيد . واذا بالاول وان دعوة موسى ~~هكانت~~ لتوحيد قنا هل كان موسى يحجل مايجب اعتقاده في مولاة الذي أرسله واضطفاه من بني اسرائيل المصطفين على العالمين أو كان يكذب على قومه فيدعوهم الى ان الله واحد فقط وهو يعلم انه ثلاثة في واحد أو واحد في ثلاثة أقيام أو كان يستعمل التورية في أساس الرسالة لدمعرفة الله أصل كل دين وأساس كل رسالة وشريعة مساوية . سيقولون : انه كان يعلم انه واحد في ثلاثة (أي يعلم التثليث) ولكن لم يؤمر بتبليغه لان الشرائع تأتي على قدر العقول : ولكن نقول لهؤلاء ان اليهود في تاريخ البشر هو ميلهم الى الوثنية واثمدد وهؤلاء قدماء المصريين ووارثهم اليونانيون وبعدهم الرومانيون الذين بنيت دولتهم باقتراض دولة اليونان كان تعدد الآلهة فيها وقبائلها آخذاً حده . ولعل سر التثليث جاء من هنا - فلو أتى موسى قومه ودعاهم على قدر العقول لكان الالهي به ان يدعوهم الى التثليث وقفل تعدد الآلهة نوعاً ما خصوصاً وقد كان ظهوره في مدة مجد المصريين وتمدد الآلهة عندهم أشهر من ان يذكر فيها قول لا يؤوله عاقل . وان قالوا : ان قضية التثليث غير معقولة فيجب الايمان بها اتباعاً للوحى : نقول فلم لم يدع اليها موسى والانبياء وهي لا يشترط فيها العقل ولا الاستعداد . والنتيجة ان التثليث ليس بمحدث ولا قديم وكل ما كان كذلك فهو باطل فالتثليث باطل لأنه لو كان حدثاً لازم التغير في ذات الله وهو باطل فالتثليث ليس بمحدث ولو كان قديماً لقال به موسى عليه السلام والانبياء ولكنهم لم يقولوا فهو ليس بقديم . ولا يعقل ان موسى عليه السلام كان جاهلاً أو كاذباً أو موريا في أصل الدعوة والمقول انه لم يكن تثليث ثبت ما تقدم من فيه سن . ان

الأنجيل الصحيح

(التبذة الثانية من مقدمة كتاب الانجيل لفيلسوف تولستوي)
قال : « لما قضيت الخمسين من عمري سألت نفسي وسألت الحكماء الذي عرفتهم عن كوني الخالص وعن معنى حياتي . فكان الجواب انني عبارة عن ذرات اجتمعت بعضها وان حياتي خلو من المعنى بل انها رديئة . فداخاني اليأس من هذا الجواب وكاد يحملي على الانتحار ولكنني ذكرت حالتي في عهد الطفولة حيناً كان الايمان

راسخاً في قايي وكان الحياة معنى عندي ثم نظرت فرأيت جمهور اناس حولي راضين بالايمان ولم يعطهم المال فيجرهم الى الفساد فلذلك يعيشون عيشة حقيقية مملوءة بالمعاني . فكان بمدد ذلك كله أنني بدأت ارتاب في الجواب الذي اوجت به الي حكمتي وحكمة امشالي وعاودت انظر ككرة اخرى عساني ادرك الجواب الذي يجب به النصرانية اولئك القوم الذين كنت اراهم عائشين عيشة حقيقية

فطفقت حينئذ ادرس النصرانية كما كنت اراها في حياة الناس وشرعت في مقابلة هذه النصرانية الممول بها ، على الاصول المتبعة عنها . وهذه الاصول اتانا هي الانجيل وقد وجدت فيها هذا المعنى الذي يسمح للناس ان يعيشوا عيشة حقيقية . ولكنني رأيت فيها آلت اليه النصرانية في هذه الايام كما يرى الناظر في التيبوع . رابت ماء صافيا مشوباً بالاكرار والاحوال وهذه الشوائب هي التي حالت بيني وبين رؤية صفاء هذا الماء الى الآن . رابت حينئذ انني خلطت بين سمو العقيدة النصرانية وبين العقيدة العبرانية والعقيدة الكنسية وان كنتا هاتين العقيدتين اجنبتان عنها بل مخالفتان لها . فشعرت بما يجده الرجل الذي يعلونه كيسا من التراب ولكنه يمد الكد والكدح والتمب والنصب يعترفه على بضع لآلئ تملو قيمتها الوصف والتقدير فمثل هذا الانسان لا يرى انه قد اذنب في فحوره من التراب وكذلك الذين جمعوا تلك اللآلئ مع بقية ما حواه الكيس وحفظوه بما فيه من ثمين ومبتذل ليسوا ايضا بمذنبين بل يستحقون الاحلال في محل الاكرام والاحلال . ثم هو يتسائل بعد ذلك عما يجب عليه فعله بهذه الدراري الغالية التي وجدها مختلطة بالاحوال والرمال . وهذا امر عري موقف حرج . ولقد لبثت فيه الى ان ادركت في احد الايام ان هذه الاحجار الكريمة لم تكن دائما مختلطة بما يشوبها من الاكدار وأنه يتسنى تخليصها منها وتمييزها عنها

لم يكن لي علم بما هي الثور وكان يحظر بيالي ان هذه الحياة ليس فيها أدنى حقيقة على الإطلاق ولكنني لما ادركت ان الثور وحده هو حياة اناس طفت ابحت عن مطالع الثور وقد عثرت عليها في الانجيل بالرغم عما ادخلته الكنائس فيها من شوائب التوفيق والتطويق فلما وصلت الى هذه المشرق التي ينبعث عنها الثور انهرت

من شدة ضيائها ثم وجدت فيها بعد ذلك الجواب السديد عن المسائل التي كانت تخالج
فؤادي . يتعلق بمعنى حياتي وحياة سائر الناس وقد أُنيت هذا الجواب مطاباً من
كل الوجوه للجواب الذي نأثته الأمم الأخرى بل هو في نظري يزيد عليه زيادة عظيمة
ولقد كنت أبحث عن ماهية الحياة وعن حل مسألتها لأعن مسألة لاهوتية أو تاريخية
ولذلك لم يكن ينبغي العلم بالوهية المسيح من عددها ولا معرفة الجهة التي ينبعث منها
الروح القدس كما أنه لم يكن ينبغي العلم بالذي كتب الانجيل ولا بوقت تسطيرها ولا
بما إذا كانت هذه الاسطورة أو تلك الامثولة صادرة عن المسيح نفسه أم لا . وإنما
الامر المهم عندي هو ذلك انور الذي أرسل شعاعه على الناس منذ ألف وثمان مئة
عام والذي استغنت به ولا أزال استغني به أيضاً . أما الاسم الذي يابق بمطلع هذا
النور والعناصر التي يآلف منها وموجده فكل هذه أمور لم يكن لها نصيب من
عنايتي على الاطلاق

ثم أخذت أنظر الى هذا النور وأراقب وأدرس كل ما يستغني به فكنت كلما
تقدمت في هذا السبيل تضح لي زيادة الفرق المتعاطم على التوالي بين الحق والكذب
وفي مبادئ عملي كان الشك لا يزال عالقا بنفسي وكنت أحاول قنونا من التأويلات
السناعية ولكنني كلما واليت البحث كانت الحقيقة تراءى لي في ثوبها الناصع الجليل
وكان مثلي حينئذ كمن يجمع قطع التمثال المتكسر فانه في أول الامر يشكك
وسائل نفسه هل هذه القطعة مما يجب وضعه في الساق أو في الذراع ولكنه متى
تسنى له إعادة الساق تامة كاملة يتحقق ان تلك القطعة ليست من الساق في شيء ومتى
وجد في الذراع قصا تنطبق عليه تلك القطعة تمام الانطباق فانه لا يتردد لحظة واحدة
في تعيين المكان الذي كان مخصصاً في أول الامر لهذه القطعة من التمثال . فكنت
كلما تقدمت في عملي يزداد هذا الشعور تمسكنا في نفسي . وإذا لم يكن الجنون تد
استولى على عقلي فلا شك ان القارئ يجد في نفسه أيضاً مثل هذا الوجدان حينما
يقرأ ترجوي السكيرة للانجيل فان كل نظرية من نظرياتي مشفوعة بالدليل اللاهوتي
وبمقارنته انصوص المختلفة بعضها وبانطباقها تمام الانطباق على الفكرة الاساسية التي
بني عليها تعليم المسيح

وربما ساخ لي الوقوف عند هذا الحد واحتتام المقدمة بمأوردته الى الآن اذا كانت الانجيل من الكتب التي عثر عليها الباحثون حديثا او كانت التعاليم المسيحية لم تصادفها على الدوام منذ الف وثمان مئة عام سلسلة متوالية من الاباطيل في التأويل . ولكي يفهم الناس في هذه الايام حقيقة دين المسيح كما كان يدركها هو نفسه أرى من الواجب التنبه على الاسباب الجوهرية التي أوجبت تلك التأويلات الفاسدة وتلك التصورات الكاذبة التي جرت بها على أثرها . ان السبب الاصلي لهذه التأويلات الباطلة التي يصعب علينا معها اليوم الشور على حقيقة دين المسيح هو ان هذا الدين قد اختلط بمفالات وطقوس الفارسيانيين وبما جاء في العهد القديم من الآراء والمذاهب وكان ذلك منذ أيام بولس الذي لم يدرك قط حقيقة دين المسيح (١) والذي لم يخطر على باله أيضاً بصيغتها التي عرفها الناس بها من بعده على مقتضى انجيل متى فقد جرت العادة على اعتبار بولس كرسل الوثنيين وكارسل القائم بالاحتجاج (البروتستانت) ولقد كان كذلك في الواقع ونفس الامر ولكن فيما يتعلق بالصنع الخارجية فقط كالحناز وغيره . بل هو الذي أدخل في النصرانية تعاليم اليهود وسنهم بضه العهد القديم الى العهد الجديد وقد كانت هذه التعاليم المشوبة بسنن اليهود السبب الاساسي في تشويه العقيدة المسيحية وتأويلها على غير وجه الحق

فمن عصر بولس كان ابتداء ذلك التلمود المسيحي الذي هو اليوم عبارة عن تعاليم الكنيسة ومن ذلك الوقت أصبح دين المسيح لا يتسبر واحداً وكاملاً وإلهياً بل مجرد حلقة من حلقات سلسلة الوحي العظيمة التي تبتدى من يوم الخلق وتمتد حتى تصل الى الكنيسة في أيامنا هذه

وبني على هذا التأويل الباطل تسمية المسيح بالاله ولكن الاعتراف بألوهية المسيح لا يلزم (كما يظهر) على تعليق أدنى أهمية على كلفته الالهية أكثر من اهتمامه بكلمات التوراة والمزامير وأعمال الرسل ورسائلهم والرؤيا بل بقرارات المجامع وكتابات الآباء (٢)

(١) المثار : هذا هو ما كنا نعتقد وصريحنا به مرارا وقد سبق ان سينا

الديانة النصرانية المعروفة بالديانة البولسية . ولا غرو فالذين يطلبون الحق كثيراً ما تلاقى افكارهم وما آفة الحق الاتقليد (٢) فكذا جاءت هذه الجملة في الترجمة فلتخطر

وهذا التأويل الباطل لا يسوغ مع تصور العقيدة المسيحية إلا إذا كانت موافقة لكل ما جاء به الوحي قبل المسيح وبعده بحيث يكون الفرض من هذا التأويل هو التوفيق بقدر الامكان بين كتب مختلفة يناقض بعضها بعضاً مثل التوراة والزماير والاناجيل والرسائل والاعمال وسائر الكتب المعتمدة مقدسة

ومن البديهي أنه إذا كان المبدأ بهذه الصفة لا يجوز لانسان ان يطمع في إدراك تعاليم المسيح كما ينبغي . وهذا المبدأ الفاسد هو الذي أوجب تعدد الآراء واختلافها الكثير في حقيقة معنى الاناجيل . اذ لا يخفى أنه يمكن حدوث عدد غير محدود من أمثال هذه التأويلات التي لا يقصد منها البحث عن الحقيقة بل توفيق التقيضين اللذين لا يتفقان وهما العهد القديم والعهد الجديد . وفي الحقيقة ان هذه التفسيرات لا تدخل تحت حصر ولأجل اظهار هذه التفسيرات في مظهر يشابه الحقيقة اضطر أصحابها الى الالتجاء الى وسائل خارجية مثل الحوارات وزول الروح القدس عليهم ونحو ذلك

وقد اجتهد كل واحد منهم ولا يزال يجتهد في التوفيق على ما يراه ثم ترى كلا منهم يدعي بان توفيقه هو آخر وحي صادر عن الروح القدس . مثال ذلك ما جاء في رسائل بولس وفي قرارات المجامع التي تتبدى بهذه العبارة (قد واقفنا ووافق الروح القدس) ومثال ذلك أيضاً الأوامر الصادرة عن الباباوات وعن المجامع المقدسة للارثوذكسين وتعاليم الاروسيين والبولسين وكل هؤلاء المفسرين الكاذبين في دعوى بيان فكر المسيح . فكلهم يلتجئون الى هذه الرسائل الشاذة المستكبرة لتأييد صحة ما يذهبون اليه من التوفيق فهم يجزمون بان هذا التوفيق ليس من نتائج أفكارهم الشخصية وإنما هو شهادة صادرة عن الروح القدس مباشرة

ولسنا نحاول البحث والتقيب في هذه البيانات المتنوعة التي يزعم أصحاب كل واحدة منها أنها هي الحق دون سواها ولكننا نقول باننا نرى مع ذلك أنها كلها تتبدى بتقديس الكتب الكثيرة التي تضمنها العهد القديم والعهد الجديد وأنها توجب بنفسها على نفسها حدوث عقبة لا تزول في فهم الدين المسيحي الحقيقي ويترتب على ذلك حتماً تعدد الشيع المتناقضة تعددا لا يدخل تحت حصر ولكن هذا التعدد الذي لا يتأهى إنما نشأ عن التزام القوم بالتوفيق بين عدد

عظيم من آثار الوحي المتعدد فإن تفسير مذهب الشخص الواحد الذي يعتبرونه كاله لا يمكن أن يستوجب اختلاف التحل والشيع مطلقا إذ لا يصح القول بتفسير التعليم الذي جاء به إله قد نزل على الأرض ويكون هذا التفسير بطرق مختلفة فإذا كان الله نزل على الأرض لأظهار الحق للناس فأقل ما كان يصنمه أنه يبين لهم هذا الحق بطريقة يفهمها الجميع بلا التباس ولا اشتباه فإذا لم يكن قد صنع هذا فذلك دليل على أنه لم يكن إلها . وإذا كانت الحقائق الربانية هي بحيث لم يقدر الإله نفسه على إبرازها في صورة يدركها الناس فن الطبعي أن الناس لا يتمكنون أيضاً من الوصول إلى هذا الفرض ومن جهة أخرى نقول إذا كان المسيح ليس هو الله وإنما هو من عظماء الرجال ونوابغهم فإن تعليمه لا يترتب عليه أيضاً كثرة الشيع المتناقضة لأن مذهب الرجل العظيم لا يكون عظيماً إلا لكونه أوضح بصفة صريحة واضحة مقالة غيره بطريقة مبهمة بعيدة عن الإدراك . وكل ما كان غير مفهوم في خطاب الرجل العظيم لا يمكن أن يكون عظيماً فإن مذهب الرجل العظيم ينبغي أن يجمع الناس كلهم على حقيقة واحدة يشتركون فيها على السواء وإنما التأويل الذي يزعم صاحبه أنه صادر عن وحي من الروح القدس وإن فيه الحق وحده هو الذي يثير البغضاء في النفوس ويوجب اختلاف الشيع والمذاهب . ولا عبرة بما يقوله أصحاب بعض المذاهب من أنهم لا يحكمون بالضلال على من يخالفهم وأنهم لا يودون لهم السوء وليس في أنفسهم حفيظة عليهم فإن ذلك مما لا يمكن أن يكون له نصيب من الحقيقة فنذ عهد أريوس لم يوجد مذهب واحد ولده غير الرغبة في ممارسة المذهب الذي يتناقضه وأقصى درجات التورور والجنون أن يقال بأن هذه العقيدة هي صادرة عن الوحي ومقتبسة من الروح القدس . ومن منتهى التورور أن يقول الإنسان بأن ما يصدر عنه من الآراء إنما هو من قول الله نفسه على لسانه . ولا أرى أكذب من ذلك الذي يجيب مثل هذا الإنسان بقوله : « كلا إن الله لم يتكلم بلسانك بل بلساني وأنه يقول ما يتناقض ما نسبته إليه على خط مستقيم » . وهذه لعمري طريقة المجامع كلها والكنائس بلا استثناء والشيع على اختلاف مقالاتها وآرائها وهذا هو الذي أوجب ويوجب التورور في العالم باسم الدين . هذا هو العيب الخارجي العظيم والشيع كلها تألم من عيب آخر داخلي . ينبغي أن تكون

لها صبغة واضحة مضمونة معينة

وهذا العيب يتولد من قيام هذه الشيع باثبات تأويلاتها الفاسدة والقول بأنها منتهى ما جاء به الوحي عن الروح القدس وهي مع ذلك لا تمنى بيان جوهر هذا الوحي ولا منها بطريقة صريحة حاسمة لكل جدال مع أنها تدعي بأنها تلقته عن الروح القدس وأنها متممة لهذا الروح وهي تسمى هذه التأويلات بالدين المسيحي فالؤمنون الذين يسمون بصدور الوحي عن الروح القدس أنما يسمون في الحقيقة ونفس الامر بثلاث جهات للوحي ومثلهم في ذلك مثل المسلمين قائم يعتقدون بالوحي الى موسى وعيسى ومحمد. والمؤمنون من المسيحيين يعتقدون بالوحي الى موسى والمسيح والروح القدس. ولكن الديانة الإسلامية تقول بان محمداً هو آخر الانبياء وأنه وحده قد فسر بطريقة نهائية الوحي الذي جاء به موسى وعيسى وقد توجهما بإضافة الوحي الذي تلقاه. أما حالة الكنائس المسيحية فهي على قبيض ذلك بالمرّة قائما بدلا من ان تسمى دينها باسم الوحي الاخير الصادر لها أعني دين الروح القدس قائما بقول وتؤكد بان دينها هو دين المسيح وأنه مبني على تعليم المسيح بحيث أنها في الحقيقة ونفس الامر تقدم لنا تعاليمها الخاصة بها وتزعم أنها تؤيدها باسم المسيح وبشهادته

(لمتابعة)

٥٠ باب الاستناد على المنار

(الباب وقرّة العين)

يرى بعض الفضلاء أن من حقوق قراء المنار علينا اذا نحن نشرنا شيئاً من كلام غيرنا ان نتقدم ما نراه فيه متقدماً في اللفظ أو القوي سواء كان ذلك مرسلًا أو أنما أو منقولاً من الكتب أو الجرائد والمجلات. ولم نر أحداً التزم مثل هذا ونظن ان أكثر الناس لا يقول به الا في موضوع يقصد صاحب المجلة الى إثباته فيجيب في الكلام المنقول ما يفي به فينبغي له حينئذ ان يخرج رأيه ولكن لا يجب عليه ان يصل كل ما ينشره لغيره بمقال يتقدمه فيه مطلقاً اذ هو وجدما يصح ان يتقدم

ومما اتقدم علينا بالنسبة سكوننا على ما جاء في ذلك المكتوب المنشور في الجزء الثاني من ذكر الباب وقرّة العين في البابين الذين يمدو أحدهم بأنف. قال المبتدئ ان الباب رجل مبتدع دجال

لم يأت بشيء يرثه الى مصاف اثنا عشرين وأما قرّة العين فهي بغيري أباحت نفسها للناس وقتلهم بمجالها وقد عاقبتها الحكومة الايرانية بأن ربطتها في أذنان الخيل فعدت بها حتى مزقتها كل ممزقة

ونحن نوافق المتقدم ونظن ان عذر الكاتب عدم الوقوف على كل ما يبرهن أمثاله فان هذا إيراني وذلك مغربي يسمع أن الباب أنشأ مذهباً به فيه خلق كثير وان قرّة العين كانت من دعاة مذهب وكانت عالمة خطية مؤثرة وهذا هو ما كنا نسمعه قبل الاختبار وتمام الاطلاع . ولا أقول ان الكاتب يتبجح بصحة مذهب الباب بل أنا اعتقد أنه لا يشك في بطلانه . ومن قدر على إنشاء مذهب باطل يتبعه فيه ناس كثيرون فهو نابغ في استمداده النظري ولكنه وجه استمداده الى الباطل ولو وجهه الى الحق لنفع نقما عظيماً لان قوة استمداده تؤيد بقوة الحق

ونريد هنا ما كنا قلناه من قبل وهو ان البابية أو البهائية لم يأتوا بمذهب جديد في الاسلام وإنما أخذوا ديناً جديداً كالنصرانية سواء وان أتباعهم ليسوا من الكثرة كما يدعون : وإنما هم قوم يوهمون ويوهون .

(الطلاق على الفائب والمصر في السودان)

حضرة الأستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامي اطاعت في المنار الاخير على مدحك خطة قاضي قضاء السودان وما أدخله من الاصلاح في المحاكم الشرعية وغيرها فكنت أشاركم في الشكر له حتى انتهت الى عبارة استوقفت نظري فكنت محناً لشرحها منكم بأجلى بيان وهي قولكم « ومن الاصلاح الذي سبقت اليه محاكم السودان ونرجوان تلعفها فيه محاكم مصر انطلاقاً على الفائب والمصر فقد كانت المحكمة الكبرى نشرت في سائر المحاكم منشوراً تأذنها فيه بالحكم في ذلك على مذهب الامام مالك » ولقد أردت فهم هذه الجملة على وجه الوضوح فلم أتمكن وذلك لان قاضي قضاء السودان مأذون من قاضي مصر النائب عن الامام في الحكم على مذهب فيؤحيث ملزم بأن يحكم وأمر بالحكم على مذهب الامام وأيضاً كثير من هؤلاء المتضادين هو خفي المذهب فيكون مضطراً لان يحكم

على غير مذهبه ومن المقرر في الفقه انه اذا قضى القاضي بغير مذهب الامام وقد اشترط عليه ان يحكم به يكون حكمه لاغيا وهو معزولا من منصبه وكذلك اذا حكم غير المجتهد بغير مذهب يكون أيضا حكمه لاغيا . فكيف يكون حكم هؤلاء القضاة وهم مأذونون من قاضي مصر النائب عن الامام وفيهم من هو حنفي المذهب وليسوا بمجتهدين ؟ ؟ الرجاء توضيح هذه المسألة ليكون حكم الفضل وعظيم الاجر

كتبه احمد علي ضيف بالازهر

(التار) ان مقاله الفقهاء من اشتراط كون القاضي الذي ينفذ حكمه منصوبا من قبل الامام أو السلطان ليس أمراً تصدياً فرضه الله تعالى علينا في كتابه أو على لسان رسوله ليعبده به وإنما هو أمر لابد منه لاجل وحدة الاحكام وتنفيذها والسلطان أو الامام عندهم هو من ينفذ الاحكام الشرعية فاذا كان عاجزا عن ذلك بالاعمال فهو ليس بسلطان ولا إمام . وأتم تعلمون ان السلطان الذي نصب قاضي القضاة في مصر لا يقدر على تنفيذ الاحكام الشرعية في السودان بالاعمال وأتم تعلمون الذي يقدر على ذلك . وإنما للسلطان العثماني حق الحكم في السودان بالبيعة المهرية والانكاز قد احتلوا مصر باذنه لمنع النتن التي كانت فيها فلا يصح لهم ان يتغلبوا على جزء من أملاكها باسم النتن لان يدهم على البلاد بد امانة . وهذه مسألة سياسية تتبعها رسوم مروفة فاذا لم تقل ان الاحكام في السودان كلاحكام في الهند قل انها تشبه الاحكام في الجزائر أو تونس التي تعتبرها الدولة العلية من بلادها الى الآن أو في كريد الحق انه ليس للمسلمين الآن امام قادر على تنفيذ الاحكام الشرعية في بلادهم كلها حتى البلاد التي ليس فيها أعلام أجنبية فهذه مصر تحكم محاكمها الشرعية بمض الاحكام فلا تنفذ والحديث وقاضي مصر نائبا السلطان صاحب السيادة (الاسمية الرسمية) على مصر يعلمان ذلك . ولجل هذا نرى بعض المعتدين بصحة قول الحنفية انه يشترط في صلاة الجمعة ان تكون في بلاد تنفذ فيها الاحكام الشرعية لا يصلون الجمعة في بلاد مصر ولكنهم يصلون الظهر . وكان الواجب على كل المعتدين بهذا المذهب ان يسعوا في تنفيذ الاحكام الشرعية في مصر كحكم قاضي (أبي كبير) وغيره بالحق زوجات الداخلين في الاسلام من القبط بلزواجهم وان لا يصلوا الجمعة حتى يتم لهم ذلك

نرى السائل قد اضطرنا الى ذكر أمور يحياها الاكثرون ، ويستكرها
المغرورون ، وانما ذكرناها لذكره أين هو وأين السودان من السلطان . وانما
ترجع بعد هذا الى الحجة البيضاء الناصحة وهي ان جميع أئمة المسلمين قد اشترطوا
ان يكون القاضي مجتهدا يحكم بما يرى فيه المصلحة ولم يقل بجواز كونه مقلدا الا
بعض المقلدين الذين لا يمتد باقوالهم ونذكر هنا ما كتبناه في مقدمة طبع (تقرير مفتي
الديار المصرية في اصلاح المحاكم الشرعية) وهو

(الامر الثالث) ان تؤلف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في أحكام المالمات
الشرعية ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر لاسيا الاحكام التي هي من خصائص
المحاكم الشرعية يكون سهل العبارة لاختلاف فيه كما عملت الدولة العلية في مجلة الاحكام
العديلة . ولا يكون هذا الكتاب واقفا بالغرض واقبالا للمصالح الا اذا أخذت الاحكام
من جميع المذاهب الاسلامية العتبرة ليكون اختلافهم رحمة للأمة . ولا يلزم من
هذا التلقيق الذي يقول الجمهور بطلانه كما لا يخفى . وقد أشير في صفحتي ٣٨ و ٤٠
من التقرير الى عدم التقيد بالمذهب الحنفي وتوهم بعض الناس ان هذا يمس حقوق
مولانا الخليفة وان الاحكام بغير مذهب الحنفية لا تصح ولا تنفذ لهذا ونجيب عنه بامور
(١) جاء في كتاب الاحكام السلطانية مانصه : فلو شرط المولي وهو حنفي أو
شافعي على من ولاء القضاء ان لا يحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على
ضربين أحدهما ان يشترط ذلك عموما في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان
موافقا لمذهب المولي أو مخالفا له وأما محبة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها وأخرجه
مخرج الامر أو مخرج النهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه
الله علي وجه الامر أو لا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة
والشرط فاسداً سواء تضمن أمراً أو نهياً ويجوز ان يحكم بما أداه اليه اجتهاده سواء
وافق شرطه أو خالفه ويكون اشتراط المولي لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط مالا
يجوز ولا يكون قدحا ان جهل لكن لا يصح مع الجهل ان يكون موليا لا والياً فان
اخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على ان لا تحكم فيه
الا بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط

فاسد وقال أهل العراق تصح الولاية ويطل الشرط « أم المراد منه »
 (٢) لا يعدل عن مذهب الحنفية إلا في الأحكام التي لا تنطبق على مصلحة الناس
 في هذا العصر إذا حكم فيها بمذهبهم وهذه حالة ضرورة أو حاجة تنزل منزلة الضرورة
 وبهذا الاعتبار تكون من مذهبهم لأن الحكم الذي تمس إليه الحاجة أو يضطر إليه
 يصير متفقاً عليه « أم المراد هنا ومنه يعلم الجواب والاجتهاد يجوز أعلى الراجح

— ❖ — ❖ — ❖ —

باب الاسئلة والاجوبة

(الاجتهاد والتقليد)

(س ١) . غ . بالأزهر : طالعت في مجلتكم النمر (٤ م) بحث الوحدة
 الاسلامية والاجتهاد والتقليد والرجوع الى بساطة الدين الأولى بأخذ الأحكام
 الدينية من الكتاب والسنة للذين من تمسك بهما نجاً ومن حاد عنها هلك . وقد
 عثرت على كتاب كشف الغمعة للشيخ الشيرازي فإذا هو كتاب في الحديث مرتب
 كترتيب كتب الفقه ذكر فيه أدلة الأئمة كلهم ولا يعصب لمذهب من المذاهب وإذا
 تعارض حديثان صحيحان من جهة التخييف والتشديد حمل أحدهما على الترخصة
 والآخر على العزيمة ولا يحكم بنسخ حديث إلا بحديث آخر مصرح بنسخ الأول
 كقوله عليه الصلاة والسلام « كنت نبيكم عن الأتباع في الأسقية فانتبهوا في كل
 وعاء ولا تشربوا مسكراً » فهل أحاديث هذا الكتاب صحيحة فعمد عليه في العمل؟
 وإذا عرض لنا حكم لم نجده فيه ولا في غيره من كتب السنة الصحيحة كالكتاب
 السنة ومسايد الأئمة الأربعة فهل يجوز لنا أن تأخذ هذا الحكم من مذهب أي
 إمام غلب على طائفة قوله أم يجب علينا أن نجهدنا لأخذ ذلك الحكم أفيدوا توجروا؟

(ج) هذا الكتاب أحسن ما كتب الشيرازي والحافظ فيه قليل جداً وليست
 أحاديثه كلها صحيحة ولا حسنة بل فيها ما لا يصح الاستدلال به . وأحسن منه في هذا
 الباب كتاب (نيل الأوطار . شرح منتقى الأخبار) فإن مؤلفه إمام الشوكاني يخرج
 أحاديث المتن ويأتي بما قاله أهل الجرح والتعديل في أسانيدها وبإسقاط الأئمة منها
 فهو أفضل كتاب يهدي إلى فهم السنة السنية في أحكام المباديات والمعاملات . أما

ما يمرض للإنسان من المسائل التي لا ذكر لها في الكتاب والمعروف من السنة فالواجب عدم البحث عنها عملاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » وإنما يتأتى هذا في أحكام العبادات خاصة التي تمت على عهد صلى الله عليه وآله وسلم وأُنزل الله تعالى في ذلك قوله « اليوم أكملت لكم دينكم » فالعبادات لا اجتهد فيها ولا استنباط إلا الاجتهاد في التمييز الصحيح وغيره من الأخبار وفي تحصيل ملكة العربية لفهم ذلك. والاجتهاد الحقيقي إنما يكون في الأحكام الدنيوية التي يتنازع فيها الناس ولا تنازع في عبادة الله تعالى. وعندنا من يعرف الحق في هذه باقتداره على الاستنباط يعمل به ومن لم يعرفه أو عرفه وكان له خصم لا يقبل حكمه فالواجب عليه رده إلى أولي الأمر قال تعالى « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلهم يُستبطلون منهم ». وأما السؤال عن الأخذ بقول من يفتاب على الظن صحة قوله ففيه أن غلبة الظن لا تأتي إلا من الإطلاع على الدليل والوقوف على وجه ترجيحه على مخالفه إن كان هناك خلاف وهذا لا نزاع فيه وصاحبه لا يسمى مقلداً

مآثم عاشوراء (٢) ر . ع . بمصر : كنا توقع منكم أن تكتبوا في شهر المحرم شيئاً في انتقاد ما يفعله إخواننا الشيعة من المنكرات في عاشوراء كضرب رؤسهم بالسلاح حتى تسيل منها الدماء على وجوههم وثيابهم وما يتبع ذلك مما هو مشاهد . وليس المنار خاصاً بأهل السنة حتى تنتقدوا كل المنكرات الفاشية فيهم وقرتكو إخوانهم من أهل الشيعة وإنما هو منار عام فإن كنتم تجمدون لهم وجهاً يسوغ ما يفعلون فتفضلوا بإعلامنا به .

(ج) لقد صدق السائل في حكمه بأن المنار عام وقد جاء به ورود هذا السؤال كتاب من بعض الفضلاء في تبرزيق قول فيه أن الأمة الإسلامية أخرج إلى مثل هذا « المنار » منها إلى سائر المعارف وأنه ينبغي أن يكتب فيه ما يرشد أهل إيران والهند ولا يصح أن يكون خطابه مع أهل مصر خاصة . وتقول إن مباحث المنار كلها عامة إلا ما يتعلق ببعض المسائل الجزئية وأحوال المسلمين فيها متشابهة فالعبرة فيها عامة . وما معنا أن نتكلم في شؤون البلاد الإسلامية البعيدة إلا قلة الوقوف على تفصيلها

وتأثيرها وزد على ذلك قلة القراء في البلاد الأيرانية على ان قليلهم لا يقال له قليل لأنهم من كبار العلماء والامراء أنحاب النفوذ الروحي والاجتماعي . أما ما يفعلونه في عاشوراء من ضرب أنفسهم وجرحها بالسوف فهو منكسر تشمر منه الجلود ويحمل المسلمون في نظر الاجانب كالوحوش أو المجانين على أنه لافائدة فيه مطلقاً . نعم كان يتصور ان يغيب لو كان لأولئك الذين قاتلوا آل البيت عليهم السلام عصبية موجودة وشوكة نافذة وهم على ظلمهم وهضمهم لأن مثل هذه الاعمال تحيي في النفوس شعور العداوة والانتقام وتوطئها على سفك دماء أولئك الاعداء ولكن أولئك الظالمين قد خضعت شوكتهم ، وذهب سلطتهم ، بل محي اسمهم من لوح الوجود حتى لا تكاد ترى من يتدب اليهم . فكان ينبغي الاكتفاء في عاشوراء بل ما كنا ارثانيه في المولد النبوي والمولد الحسيني وهوان يخضب الخطباء في سيرة صاحب المولد وما كان عليه من الخلق العظيم وما وقفه الله تعالى له من العمل النافع مع توحيه النفوس للتأسي والافتداء به . فاذ كنا لنا في حاجة الى الانتقام ، واذ كنا قد دقنا نمرقا جناية سل الحسام ، واذ كنا مهددين في كل أرض لان ديننا الاسلام ، واذ كنا - كما نعلم - على خطر لا ينجي منه الا الاتحاد والائتام ، واذ كان هذا الاتحاد متعذراً من جهة وحدة السلطة والاحكام ، أفلا يجب علينا أن نلتصق من جهة الوحدة الدينية في العقائد المتفق عليها ، والاخلاق التي لاخلاف فيها ، والأخوة التي دعانا القرآن اليها ؛ أفلا ينبغي ان نتخذ هذه المواسم مذكرات بأفضل ما كان من سابقنا ، وأنفع ما كان من أئمتنا ، ونجتهد في ان نجعل شعورنا واحداً حتى يصدق علينا قول نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » : رواه الشيخان عن النعمان ابن بشير وفي رواية عنه لم « المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله »

حبس النساء بالجوع والعري : (سن ٣) ج ١ . ع . بالازهر : يذكر بعض الناس

حديثاً أوله « أجمعوا المرأة » ويظهر انه غير صحيح وان استشهد به بعض من كتب في النساء فالرجو بيان ذلك :

(ج) جاء في آخر كتاب الكناح من كتاب (الآلئ المصنوعة ، في الأحاديث الموضوعة) للحافظ السيوطي ما نصه

(ابن عدي) حدثنا محمد بن داود بن دينار حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سعدان ابن عبيدة حدثنا عبيد الله بن عبد الله الصنكي عن انس مرفوعاً «أحيوا النساء جوعاً غير مضر وأعروهن عراً غير مبرح لأنهن إذا سمن واكتسبن فليس شيء أحب إليهن من الخروج وإن هن أصابهن طرف من الري والجوع فليس شيء أحب إليهن من البيوت وليس شيء خيراً لمن من البيوت» لا يصح . الشكي عنده من أكبر قال ابن عدي : وسعدان مجهول وشيخنا محمد بن داود يكتب : وقال الشوكاني في فوائده : لأصل له وكذا أعروا النساء يلزم من الحال «لأصل له . وكذا» استمينا على النساء بالري » :

أقول ومثل هذه الأحاديث المفتراة حديث «لا تسكنوهن الترف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المنزلة وسورة التور» رواه الخطيب عن عائشة مرفوعاً وفي أسناده محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث . وقد أخرجه الحاكم من غير طريقه وقال : أنه صحيح الإسناد : - وما أسرع الحاكم في الحكم بالتصحيح - وتعبه الحافظ ابن حجر في أطرافه فقال : ان في أسناد الحاكم عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك :

الاعتداء بالخالف وطهارة الكلب (س ٥) السيد محمد طه في بربر : ما قولكم دام فضلكم في رجل شافني المذهب أقدي بإمام مالكي توشاً بماء دون الفلطين وانغ فيه كلب فهل هذه القدوة صحيحة ؟ وما حكم هذا الماء المتجسس ضم الكلب ؟ (ج) ان المسائل الاجتهادية يندر فيها كل مجتهد بما يراه ولا يجوز ان يكون اختلاف الرأي سبباً في التفريق بين المسلمين فان كنت تصور ان الامام الشافعي يحرّم الاعتداء بشيخه الامام مالك فحرّم أنت الاعتداء بمن يتبع مالكا اتباعاً لشافعي . ومعاذ الله أن يظن مسلم ذلك في الأئمة بعد قول الله تعالى «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً آسست منهم في شيء» نعم ان الفقهاء في هذه المسألة قولين مصححين أحدهما الذي قلنا والثاني ان القدوة غير صحيحة ورجحه بعض المتأخرين ساعهم الله تعالى والحق

ماقتله . وأما الماء الذي ولغ فيه كلب فقد ذهب الشافعي الى نجاسته ما ورد من الامر بغسل الاتاء وتزيبه وغيره بقول بان الامر بالنسل سبع مرات مع التزيب . ليس لأجل اننجاسة اذ المقصود من غسل اننجاسة ازالها وليس للولوغ تأثير تتوقف ازالته على التزيب والتزيب ومال بعضهم الى ان الامر تعبدى وذهب بعض الصوفية الى ان له سببا معنويا وهو ان شراب سؤره يقي القلب . ولا يبعد ان يكون السبب هو اتقوني من داء السكب القتال : ومهما كان السبب فلا يجب على المسلم أكثر مما ورد في الحديث لانه اذا لم يظهر السبب يكون الامر تعبديا لا يقاس عليه وان ظهر السبب وقفنا عنده لاتعمده

أجرة التعدية (س ٥) ومنه : اذا كان الحاكم مستوليا على البحر أو النهر واذن للناس بالعبور على المراكب ونحوها من ناحية الى أخرى وجعل على أصحاب المراكب ضريبة فهل يجوز للمسلم ان يتخذ له مركبا يعبّر الناس عليه واليهام بالاجرة ؟ (ج) نعم .

باب الاخبار من القسم العمومي

(مأثرة المنشاوي)

أحمد باشا المنشاوي من أكبر المصريين روعة ووجاهة وقد وجه في هذه الايام نفسه الى التبرع وحبس الاراضي على معاهد العلم فأوقف على مدرسة محمد علي الصناعية مئتي فدان واشترط أن تسلم اليها بعد إنشائها بالفضل . وأوقف ثمانين فدانا على طلاب العلم في الجامع الأحدي بخطا وتبرع بالقسم السنلي من دار له فسيحة في طنطا لمدرسة لجمعية الخيرية الاسلامية فيها . ويقال انه عازم على إنشاء مدرسة للبنات في القسم العلوي . ويأجذا لو أنفذ هذا وعهد بإدارتها الى الجمعية الخيرية . بل يتحدثون عنه بما هو أعظم من هذا - يتحدثون عنه بأنه عازم على إنشاء مدرسة كنية وهذا هو العمل العظيم الذي نحم به في الابل وتنامد في الثمار ورى ان سعادة هذا القطر متوقفة عليه وان الأمة الاسلامية بمجموعها لم تستعد في مصر لاقيام به تمام الاستعداد . فاذ وفق الله هذا الماثرى الكبير لانتاذه فلنا ان نسميه محيي مصر وعظيمها وواجب الفصل الأكبر عليها

فبشر عادي الذين يستمعون القول
فيؤمنون حسنه أولئك الذين هدامهم
الله وأولئك هم أولو الآلايب

المسحاة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي جبا كبراً وما
يذكر إلا أولو الآلايب

(قال عليه الصلاة والسلام : أنزل لاسلام موسى وه ناراً كمنار الطريق)

(مصر - السبت غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢١ - ٢٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب العقائد من الاملية الدينية ﴾

(الدرس ٣٩ آية الله الكبرى - القرآن)

فصل (*)

(م ١٠٩) « هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ، ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه أي وردت بتمجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فافعلوا ولا تدروا على ذلك كقوله لليهود « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة » الآية قال أبو اسحاق الزجاج : في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال « قمنوا الموت » وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً فلم يتمنوه واحد منهم : وعن النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لا يقول رجل منهم إلا غص بريقه » يعني يموت مكانه . فصرّهم الله عن تمنيه وجزّتهم لظهور صدق رسوله وصحة ما وحي إليه إذ لم يتمنوه أحد منهم وكاثروا على تكذيبه أحرص لو قدروا ~~بأن~~ يكون الله فضل ما يريد . فظهرت بذلك معجزته ، وبانت حجته ، قال أبو محمد الأصمعي : من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه يتبع عليه ، ولا يحجب إليه ، وهذا موجود ، شاهد لمن أراد أن يتمنعه منهم : وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة بجران وأبوا الإسلام فانزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله « فن حاجك فيه » الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء الجزية وذلك أن (الماقب) عظيمهم قال لهم : قد علمتم أنه نبي وأنه ملاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم : ومثله قوله « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا » إلى قوله « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان (١) وهذه الآية أدخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التمجيز ما في التي قبلها

فصل

(م ١١٠) « ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعزيبهم عند تلاوته لقوة حله وإنافة خطره ، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستقلون

(١) تمة كلام الفاضل عياض في الشفا (١) لعل الاصل : فكان كما قال :

سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكرهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «إن القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم» وأما المؤمن فلا تزال روعته به . وهيته إياه مع تلاوته تولى انجذاباً وتكسبه هشاشة ليل قلبه اليه وتصديقه به . قال تعالى «تقشع» منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » الآية ويدل على ان هذا النبي خاص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصراني أنه مرّ بداري فوقف يبكي ف قيل له : ثمّ بكيت ؟ قال : للشجا والنظم : وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده ففهم من أسلم لما الاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر . فحكي في الصحيح عن جابر بن مطعم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المنبر بالطور فلما بلغ هذه الآية «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » الى قوله «المصيطرون » كاد قلبي انه يطير للاسلام : وفي رواية وذلك أول ما وقع للاسلام في قلبي . وعن عتبة بن ربيعة أنه كمل النبي صلى الله عليه وسلم فيها جاء به من خلاف قومه فلا عليهم حم فصلت الى قوله «صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » فأهلك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره فاعتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذرو لهم وقال : والله لقد كلني بكلام والله ماسمت أذناي بمثله قط فسادريت ما أقول له : وقد حكي عن غير واحد من راءم ما راضته أنه اعتزته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المنفع طاب ذلك وراجه وشرع فيه فربص يقرأ «وقيل يأرض اباهي ماله » فرجع فحما ماعمل وقال : أشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر : وكان من أنصح أهل وقته . وكان يحيى بن حكم الغزال بائع الاندلس في زمنه فحكي أنه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثاله ، وينسج بزعمه على مثاله ، (قال) فاعتزته خشية ورقة ، حملته على التوبة والانابة ،

فصل

(م ١١١) « ومن وجود إعجازه المدودة كونه آية باقية لانسم ما ثبت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقال « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » الآية . وسائر معجزات الانبياء قد انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها . والقرآن العزيز الباهرة آياته ، الظاهرة معجزاته . على ما كان عليه اليوم مدة خمس مئة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله الى وقتنا هذا حجة قاهرة ، ومعارضته محتمة : والاعصار كلها طافحة بأهل اليان . حملة علم اللسان . وأئمة البلاغة . وفرسان الكلام وجهها بذرة البراعة ، والمأمحد فيهم كثير . والمعادى لشرع عديد . فسا منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته . ولا ألف كلين في مناقضته . ولا قدر فيه على مطعن صحيح : ولا قدح المتكف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح : بل المأثور عن كل من رام ذلك الاثاؤه في المعجز يديه : وانكوص على عقبيه .

فصل

(م ١١٢) « وقد عدد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يملأه ، وسامعه لا يعجزه ، بل الاكباب على تلاوته يزيد حلاوة ، وترديده يوجب له حجة ، لا يزال غضا طريا ، وغيره من الكلام ولو بالغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع التردد ، ويعادى اذا أعيد ، وكتابتنا يستلذ به في الحلوات ، ويؤنس بتلاوته في الأزمات . وسواء من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحنون تنشيطهم على قرائتها . ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخفق على كثرة الرد ، ولا تنفخي عبره ، ولا تنفى عجائبه . هو الفصل ، ليس بالهزل . ولا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ به الاهواء ، ولا تنتبس به الالسة ، هو الذي لم تنته الحن حين سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجيا يهدي الى الرشده .

(م ١١٣) « ومنها جملة علوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ، ولا القيام بها ، ولا يحيط بها أحد من علماء الامم . ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم ، فجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتهذيب على طرق الجمع

لقلية، والرد على فرق الأمم ببراہین قوية، وأدلة بيّنة سهلة الالفاظ . موجزة المقاصد .
 رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدرُوا عليها ، كقوله تعالى « أو ليس
 الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » و« قل يحيا الذي أنشأها
 أول مرة » و« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » — الى ما حواه من علوم السير ،
 وأنباء الامم ، والمواعظ والحكم . وأخبار الدار الآخرة ، وعحسن الآداب والشيم .
 قال الله جلّ اسمه « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . وزلنا عليك الكتاب تبينا
 لكل شيء . « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل » . « وقال صلى الله عليه
 وسلم : « إن الله أنزل القرآن أمراً وذاجراً وسنة خالية ومثلاً مضروباً فيه نبأكم
 وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم . وحكم ما بينكم . لا يخافه طول الرد ، ولا تنفي
 عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل . من قال به صدق . ومن حكم به عدل ، ومن خضع
 به فليج ، ومن قسم به أقسط . ومن عمل به أجر . ومن تمسك به هدى الى صراط
 مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بشيء نصمه الله . هو
 الذكر الحكيم . والتور المين . والصرط المستقيم . وجبل الله التين . والشفاء اثنا فعه
 عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه . لا يموج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعب . ولا
 تنفي عجائبه . ولا يخلق على كثرة الرد » ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه « ولا
 يختلف ولا يتشأن » (١) فيه نبأ الاولين والآخرين « وفي الحديث قال الله تعالى
 ل محمد صلى الله عليه وسلم « إني منزل عليك توراة حديثة تنفتح بها أعينا عميا ، وآذانا
 صما ، وقلوبا غلفا ، فيها يتابع العلم ، وفهم الحكمة . وربيع القلوب . » وعن كعب
 عليكم بالقرآن فإنه فهم القول . ونور الحكمة . : وقال تعالى « إن هذا القرآن
 يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » وقال « هذيان للناس وهدى »
 الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كله أضاعاف سائر الكتب قبله التي ألفاظها
 على الضعف منه مرات .

(م ١١٤) ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه

(١) التار : تشأنوا بتاغصوا ولا يظهر هنا والذي أعرفه في الرواية (يتشأن)

من تشأن الجلد اذا ليس وتشنع أي انه يبقى على جدته وبهاة وورقه دائماً

وإعجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعدته ووعدته . فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف مما من كلام واحد وسورة منفردة .

(م ١١٥) «ومنها أن جملة في حيز المنظوم الذي لم يمد ولم يكن في حيز التشویر لأن المنظوم أسهل على النفوس . وأوعى للقلوب . وأسمح في الآذان . وأحلى على الأفهام . فالتاس إلى أمل : والاهواء إليه أسرع :

(م ١١٦) «ومنها تيسيره تعالى حفظه لتعلمية . وقريبه على متحفظيه . قال الله تعالى «ولقد يسرنا القرآن للذكر» وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجاه على مرور السنين عليهم . والقرآن ميسر حفظه للعلماء في أقرب مدة (١)

(م ١١٧) «ومنها ما كتبه بعض أجزاءه بمضاو حسن ائتلاف أنواعه وائتاف أقسامها . وحسن التخاص من قصة إلى أخرى . والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه . وإتمام السورة الواحدة إلى أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعد وإثبات نبوة وتوحيد وتقريب وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلال يتخلل فصوله . والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ، ولانت جزائره ، وقلد رونقه . وتقلقت ألفاظه . فتأمل أول (ص) وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بأهلاک القرون من قباهم وما ذكر من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم . وتعميمهم بما أتى به . والخبر عن اجتماع ملامهم على الكفر . وما ظهر من الحسد في كلامهم . وتعميمهم وتوهمهم . ووعدهم بخزي الدنيا والآخرة ، وتكذيب الأمم قباهم . وإهلاك الله لهم . ووعد هؤلاء مثل معاصيهم . وتصيير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم . وتساية بكل ما تقدم ذكره . ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام . وأحسن نظام . ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرناه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة لم نذكرها إذا كثرتها داخل في باب بلاغته . فلانحب أن يمد قنأ منفرد في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة . وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يمد في خواصه وفضائله لإعجازه . وحقيقة الإعجاز الوجود الأربعة التي ذكرنا فليستجد عليها وما بعد ما من خواص القرآن وعجائبه التي لا تقضي والله ولي التوفيق » اه كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى

(١) الإعجاز في إلهام المسلمين حفظه حتى حفظ به الدين وهذا لم يمد في العالمين

❦ باب شبهات النصارى وحجج المسلمين ❦

(الشبهة الثانية على القرآن زعمهم التعارض في كلامه)

استشهد ذلك الكاتب على سخافته هذه بأمر تأني عليها واحدة واحدة ونين الصواب كما فعلنا في الشبهة الأولى

(الشاهد الاول) زعم ان وجود الآيات المتشابهات فيه ينافي كونه ميّنا . وهذا دليل على أنه لم يفهم معنى المتشابهات ولا معنى البيان . فهذا المسيح عليه السلام يزعم المتقد أنه إله وقد كان الكثير من كلامه مع تلاميذه وهم الراسخون في دينه غير مفهوم لهم فهل يرى هذا دليلا على عجز مقام الالوهية عن البيان . أم يستدل بالشيء في مكان ويترك الاستدلال به في مكان . ؟ ولم يقل عن الراسخين من الصحابة شيئا من الاشتباه في القرآن كما يقل النصارى عن تلاميذ المسيح (رضي الله عن الجميع) . المتشابهات في القرآن آيات تشابرت وجود دلالتها على معانيها القريبة والبعيدة حتى ليسقى لصحاب الزينغ تأويلها بالباطل وصرّفها إلى غير الصواب . وهذا أمر لا مندوحة عنه لانه ضروري في ذاته وذلك ان أهم مبني ، به الوحي هو العلم بالله تعالى وبالعالم الغيب لترفع بذلك مدارك العقول وتعلو هم النفوس . ومن المعلوم ان اناس وضعوا ألفاظ اللغات لما يعرفون من المعاني في هذا العالم فيتمين على من يريد أخبارهم بشيء مما لا يعرفون ان يستعير بعض الألفاظ الموضوعة لما يعرفون وينصب القرائن لمنع الاشتباه . ولا شك ان أنفاه اناس تختلف في فهم القرائن وان الذي يريد الفتنة يسهل عليه ان يتبع ما تشابه من القول لأن له معنى يدل على ما وضع له في الأصل ومعنى آخر تتنوله بالسكناية أو الاستعارة وغيرها من ضروب التجوز وهو المراد فيحمله على غير المراد ويضل به الناس . فذا أطلق النبي على الله تعالى لفظ الأب في مقام بيان الرحمة والعناية حمله أهل الزينغ على الأبوة الحقيقية وقالوا انه أبوه الذي ولده ويعترفون من يفتنهم عن القرائن العقلية التي تحيل الابوة الحقيقية على الله تعالى والقرائن القولية التي تضاق لفظ الأب على غير النبي كقول المسيح عليه السلام ان صبح القل - : « اني ذاهب إلى أبي وأركم » : وكذلك يقال في لفظ الابن اذا أطلقه النبي على نفسه يحمله أهل الزينغ على البنوة الحقيقية مع قيام القرائن العقلية

والانظية على إحقاقه كسابقه. ومن ذلك إحقاقه على صانعي السلام ، فيما يقولونه عن المسيح عليه السلام ،

وإذا أرادوا المقترضان يعرف الفرق بين بيان القرآن وبيان الانجيل وبين أتباعهما فلينظر الى أثر التشابهات في الأمتين يجد أن قومه (النصارى) كلهم قد اتبعوا ما تشابهوا مع حفظوا من كتابهم ابتناء الفتنة وابتناء تأويله . وأن المسلمين قد اتبعوا المحكم وردوا التشابه الى مجموع ما بين العقل والقلل الأفرقا منهم لإقام له وزن كالباطنية والمجسمة (الشاهد الثاني) زعم أن قوله تعالى في سورة الاعراف « أن الله لا يأمر بالفحشاء » وقوله عز وجل في سورة الأنعام « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها فاقولون » يناقضان قوله جلّ شأنه « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفقا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » قال : لأنه أثبت فيها الأمر بالفسق وهو أمر بالفحشاء ، وإهلاك أهل قرية لأن مترفقا فسقوا فيها كما أمروا ظلم :

لأقول أن صاحب هذا القول سيئ الفهم الى هذه الدرجة ولكنني أرجح أنه متعمد للتحريف فإن من له أدنى شمة من فهم اللغة والعقل لا يستجيز أن يعتمد الى قول سيد في عبده : إني أمرت عبدي فخرج عن طاعتي فعاقبته : فيفسره بأنه أمره بالخروج عن طاعته فخرج فعاقبه على الامتثال . الفسوق في اللغة الخروج عن الشيء . يقال فسقت الرطبة عن قشرها وفسقت الفأرة عن جحرها : والفسوق عن أمر الله هو الخروج عنه وعدم امتثاله . أما حذف معمول « أمرنا » فهو ما تقتضيه البلاغة هنا لأن المقام مقام بيان جزاء فسوق عن أمر الله تعالى أيا كان لا بيان ضروب التكليفات الشرعية ، وما يأمر الله تعالى به مرفوع بالأجمال . ولا يخطر على بال عاقل أن يتدبر أحد هذا المعمول بتقيض ما تقتضيه الضرورة فيقول أن الله قال إنه أمر هؤلاء الناس ولم يقل بماذا أمرهم ونقول نحن أنه أمرهم بالفسوق !! هذا غير معقول في نفسه ثم إن العبارة تنافيها بذاتها فإن الفسوق يقتضي أن يكون هناك شيء يفسق عنه فإذا كان الأمر متعلقاً بالفسوق نفسه يكون أمراً بلا شيء . مثاله أن تقول لرجل : أمرتك بأن تخرج : ولم يكن في شيء يخرج عنه حين أمرته لاجسي كيت ولا معنوي كمثل . فإن قيل : إن الأمر في الآية ينصرف الى الفسوق عما هم فيه مما يخص بهم في الجملة :

قول ان ما كانوا فيه هو الترف فيكون معنى قوله في الآية ففسقوا فيها انهم خرجوا من الترف ورجعوا الى الفصد . وهذا يقضي ما دل عليه الآية بانبداهة وهو ان الاستمرار على الترف بعد الأمر بما جرت عادة الله تعالى ان يزل وحيه به من الأمر بالقصد والاعتدال ، في الاخلاق والاعمال ، هو الذي يكون سبب التدمير ، وينتهي بالأمم الى شر مصير .

هذا الذي قلناه متبادر اذا تعميل لأي عامي في لقته يتيسر له ان يفهمه بلا توقف وليس هو من المتشابهات التي تنتهي بها الفتنة بالتأويل والتحريف . ولآيات وراء هذا معان عالية ، وفيها معارف سامية ، هي أرفع من أن يدركها ذلك الطرف الحسير ، أو يتناول اليها ذلك النهم القصير ، فكأن آية الانعام وآية الاسراء تهديان الى أنفع سنن الله في نظام نوع الانسان ونواميس الاجتماع البشري - تدل آية الانعام على أن الأمم لا تهلك بمجرد التلبس بظلم تكون عليه مادام أهلها غافلين عما يجب عليهم الاخذ به من ضده لا ينزهرهم به منذر ولا يدعوهم الى الحق داع . فاذا جاء التذير وقذف بمحتمل على باطلهم وبمهلكهم على ظلمهم يدمنه فاذا هوزاهق واذا بالامة في عداد الهالكين . وفي آية أخرى « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » والمراد بالشرك الظلم كما روي من حديث ابن مسعود مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم والترمذي في تفسير قوله تعالى في سورة الانعام « الذين آمنوا ولم يلبسوا لإيمانهم بظلم » يعني ان الأمم لا تهلك وان كانت مشركة بالله تعالى مادامت مصلحة في أعمالها وأحكامها . ويتطابق هذا قوله تعالى « واذا أردنا ان نهلك قرية » الآية . فهذه الآيات تعلمنا ان سعادة الأمم وأشقائها في هذه الحياة إنما هو نتيجة سيرتها في أعمالها لان السعادة هبة إلهية على مالا يعلم سره ، والشقاوة نعمة إلهية على ملجهل أمره . وتعلمنا أيضاً ان الباطل إنما يطول أمدّه وتبطل نتيجته في الإهلاك اذا لم يكن هناك حق يصادمه . ومن هنا أخذنا الاستاذ الامام كلمته الحكيمة : إنما جاء الباطل في غفلة الحق عنه : ومن هنا فهم السر في استيلاء الأفرنج على الأمم الشرقية وهو أنهم مصلحون في أعمالهم . وقد أوضحنا هذه المسائل من قبل في مقالات متعددة وحسبنا هذا في الرد على شبهة الحرثين (الشاهد الثالث) زعم ان قوله تعالى في فرعون « فأغرقناه ومن معه جميعاً »

يناقض قوله عز وجل فيه «قال يوم تحيك يدك لتكون ان خلفك آية» وقد شنع هنا على المسلمين أنهم أولوا الآية وهو يزعم أنه نجا ببدنه وروحه وإن كانت الآية ناطقة بأن بدنه هو الذي يغجو. ومحل الشبهة عنده في نطق «تحيك» فإن ظهور الجثة بعد الموت بالفرق لا يسمى تحية وفاته أن هذا التمييز للتمييز على حد «فبشرهم بمذاب أليم» ومن تتبع ضروب التجوز في كلام البلاء وحاول حلها على الحقيقة - وهي لا تصح عليها - يمكنه ان يموت بأن أكثر الكلام البليغ كذب. على أن الذي يغجو من الفرق يطلق عليه اسم الفريق فلو فرضنا أن الله تعالى نجى فرعون من الفرق الذي أُلِمَّ به وقومه لما كان قوله «أغر قنانه» مناقضاً لقوله «تحيك» فقد يفرق إنساناً وإنساناً ويريه خطر الهلاك ثم ينتاشه ويغيه ولكن هذا ليس مراداً هنا

الحكمة في ظهور بدن فرعون موسى بعد الفرق ظاهرة فإنه استعبد الناس وادعى الألوهية بما موه على الجاهلين بحجره. ولو لم يظهر بدنه لادعى المفرورون فيه ما يدعي عبدة الحاكم المبيدي الى اليوم من أنه قد عرج الى عالم أعلى. وارتقى الى مقام أسمى. فهذا هو معنى قوله تعالى «قال يوم تحيك يدك لتكون ان خلفك آية» ولو نجا بروحه وبدنه لما كان في ذلك آية على انتقام الله منه ~~بأن~~ بكفره بنيه وإبذائه لقومه

(للكلام بقية)

الكرامات والحوارق

(المقالة الثالثة عشرة في أنواع الحوارق وضروب التأويل)

(النوع الثالث انغلاق البحر وجفافه والمشي على الماء)

قال السبكي : وكل ذلك كثير وقد اتفق مثله لشيخ الاسلام وسيد المتأخرين تقي الدين بن دقيق العيد : وأقول ياليت لنا من هذا الكثير الذي يدعيه وأتمة واحدة منقولة بالتواتر الصحيح المستوفي الشروط التي يذكرها السبكي في جمع الجوامع الذي ألفه لكه الافهام لا نتراعى أحكامه في مثل هذا المقام وفي خاتمة الفتاوى لابن حجر الهيتمي قال : في الرسالة عن بعضهم كنا في مركب فأت رجل منا فأخذنا في جهازه فلما أردنا ان نلقيه في البحر جف فخرنا له قبراً ودفناه فارتفع الماء والمركب وسرنا :

وكل ما في الباب حكايات عن مثل هذا البعض المجهول وأصحاب المركب المجهولين ، ولو حكنا فيها أصول المسامحة نمددناها من الموضوعات أو الواهيات ، وإن رويت على أنها من المعجزات ، لاقتطاع أساسها ، وجهالة روايتها ، وأضف إلى ذلك هنا شبهة الهوى ، ومخالفة شروطهم في الصكرامة . فقد علمت ما قاله السبكي من اشتراط الضرورة والحفاء وأين هما مما نحن فيه . ثم إن قبول هذه الحكايات يليق بأهل دين لا يند لهم في أصوله ولا في فروعه وإنما هي الثقة العمياء بأن روح القدس حل في رؤسائهم وقديسهم فعملوا العجائب ووجب قبول كل ما يؤثر عنهم وإن تناقضت قضاياءه ، واستحال مغزاه ،

إذا ثبت انغلاق البحر ثبوتاً قطعياً فلا شك أنه يكون من الحواري التي يعمد تأويلها وتعليقها ، وأما المشي على الماء فيحتمل التليس والتأويل بحسب الأشخاص والمواقع والأزمنة ففي بعض البلاد يحمد الهراشدة البرد مدة ثم يسيل ويقال إن الأفرنج اخترعوا أحذية يمشون بها على الماء . بل الذي يؤول عليه حقيقة في تليل المشي على الماء إذا فرضنا أنه ثبت ثبوتاً قطعياً لا يحتمل التأويل هو غابة الروحانية التي يخنف معها الجسد خفة بحية على نحو ما يحكونه عن المشتغلين باستحضار الأرواح في أوروبا فإن لهم في ذلك حكايات تقرب من بعض حكايات الصوفية . على أن هؤلاء إنما يوجهون نفوسهم إلى الأرواح يكلمونها ويرونها ولم يفتوا بأن يكونوا هم روحانيين كما يفعل الصوفية في رياضاتهم . ثم إن من الناس من لا يصدق ما ينقل عن هؤلاء وعن أولئك ومن الناس من يصدق لأن تشابه الحوادث وتصور العامة لها يقربها من العقل . وما ينبغي إثبات ما ينقل ولا نفيه وإنما ينبغي إلتناع من يصدق ثبته بالثاقين . أو من يشاهد شيئاً من أعمال الحاضرين . بأن ذلك غير خارج عن سنن الله تعالى في الخلق وأنه ليس من الحواري الحقيقية وإنما هو من الحواري الإضافية أي التي تعد حواري بالإضافة إلى من لا يعرف طريقها كالأعمال الصناعية التي لا يعرفها إلا بعض الناس . أرايت إذا تعلم بعض الناس التخاطب (بتلغراف ماركوني) الذي يكون التخاطب به بدون واسطة الأسلاك وذهبوا إلى بلد أو مملكة وجعلوا يتخاطبون به على البعد الشاسع ألا يعد ذلك الناس منهم أكبر الحواري ؟

وتذكروا ان الواسطة الذي يحضر الروح يخفف وزنه مدة حضور الروح الى نصف ما كان ومن كان بهذه الخفة يثني على الماء بسهولة . وسيأتي ان بعضهم كان يطير في الهواء وتقل مثل هذا أيضاً عن بعض الفلاسفة . وسنوسع القول في الامور لروحية في موضع آخر

﴿ النوع الرابع انقلاب الاعيان ﴾

قال السبكي : حكى ان الشيخ عيسى الحنار البجلي أرسل اليه شخص مسهرتاً لإنه ين يمتلئ خراً فصب أحدهما في الآخر وقال « بسم الله كلوا » فاذا هو سمن لم ير مثل لونه وريحه (قال) وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكايات :

أقول لا يوجد نوع من الأنواع يأتي فيه التليس والشعوذة مثل هذا النوع ولذلك ترى أكثر أعمال المشعوذين منه وهو على ضربين أحدهما الحقة والمهارة في إخفاء شيء وإحضار غيره . وثانيهما الاستمانة بالأعمال الكبائية . فن غرائبهم في الضرب الأول أن أحدهم يأخذ ماء من البحر في كوب ويمطيه آخر فيشربه فاذا هو شراب سكري . والحيلة فيه ان يكون تحت لبط المشعوذ أو الدجال (مدعي الولاية) إناء من الجلد أو الكاوتشك له أنبوبة دقيقة تصل الى يده فاذا غمس الكوب في البحر يوهم الراي انه ملاء ماء وما ملاء إلا مسو فرغ فيه الشراب من الأنبوبة باخف . وقد أخبرني بعض الناس أن رجلاً من المتقدمين تناول كوباً من زيت البترول وسقاه فاذا هو ماء فيه سخونة وما جاءت السخونة الا من حرارة لبطه حيث كان الماء

ومن الضرب الثاني ان بعض الدجالية الفساق الذين يخذعون الناس باتحال الكرامات أخذ أمام بعض العامة كوباً زجاجياً فيه شيء من الخمر فوضعه على فيه فاذا هو في أعينهم لبن أبيض . والحيلة فيه ان الخمر التي كانت فيه هي من النوع الذي يسمونه (عرق الزبيب) ولونها كالماء حتى اذا مزجت بالماء ابيضت وصار لونها كلون اللبن المزوج وقد كان الماء في الدجال فجاء في الكأس بلطف . ولو أردنا ان نملأ المنار بمثل هذه الوقائع التي تسترب قبل كشف الستار عن وجه التليس فيها لفعلنا . فقل أمثالها اذا صبح سنده فهناك ما يمتنع من التصديق بتمتة لاحتبال دخول الفس والتليس فيه على القائلين . وأنت ترى ان هذا النوع كان من أبواب التنسق والدجل . والشعوذة والحيل .

﴿ النوع الخامس إزواء الارض أو طيها ﴾

قال السبكي : حكوا ان بعض الاولياء كان في جامع طرسوس فاشتاق الى زيارة الحرم فأدخل رأسه في حبيبه ثم أخرجه وهو في الحرم (قال) والقدر المشترك من الحكايات في هذا النوع بالغ مبلغ التواتر ولا ينكره الامباءت :

أقول ان السبكي تحمس هنا فرجع الى كتابه (جمع الجوامع) وتقلد حججه في الاستدلال فرعا ان الحكايات في إزواء الارض متواترة تواترا معنويا أي ان كثرتها تدل على أن لها أسلاوا وان كانت كل حكاية منها لم تثبت بمصوصبها . واستعمل ما فيه . واعلم أنهم لا يقصدون بإزواء الارض وطيا ان أطرافها تجتمع وتطوى كالثوب وانما ينون بذلك قطع المسافة في زمن قصير وهو مجاز صحيح واستعمله الشعراء وغيرهم قال :

وكنت اذا ماجئت ليلي أزورها أرى الارض تطوى لي ويدنو بيدها

وما ذكره السبكي من حكاية ولي جامع طرسوس ليس من هذا النوع وانما تلك زيارة خيالية أو روحانية لانه لم يكن فيها مسير وانما قبع ذلك الولي في مكانه كالقنذ فرأى نفسه في الحرم . كما يرى ذلك في الحلم ، فإذا كان مثل صاحب جمع الجوامع قد اشتبه عليه الامر فقد في هذا النوع ما ليس منه فكيف تنق بسائر اثنا عشرين هذه الحكايات وهم في المادة التالية من جهة العوام . واذا لم تكن الوقائع صحيحة بلارة فكيف يتألف من غير الصحيح دليل صحيح فنقول ان في مجموع الحكايات تواترا معنويا ؟

ثم إن في أنباء قطع المسافات البعيدة في الزمن القريب مواضع للتليس والإيهام فان الحكايات في ذلك تؤثر عن السامعين المتجردين وأكثر هؤلاء خفاف سراع أهون سيرهم الوحيد فإذا مر أحدهم بمكان ثم رؤي في مكان آخر لا يكتفي الزمن بل يلوغ بإياه في السير المعتاد يتناقل الناس هذا ويمدونه كرامة ويثابرون فيه ويقولون وينتشر الخبر لشراهم الناس بتدلى مثله . وعلى هذا النحو تكثر هذه الاخبار حتى يدعي مثل انتاج السبكي أنها كرامة متواترة تواترا معنويا ، ويدعي من لا يفهم مثله معنى التواتر أنها متواترة تواترا حقيقيا ، وينسى هؤلاء أنه يوجد في البوادي من يسابق عتاق الخيل وعشار النياق فيسبقها . والناس يعلمون ان هذا النوع من الماويل التي هدمت الدين فان

كثير آمن الدجالين الذين يدعون الولاية يتركون الصلاة ويؤمنون أنهم لا يصلون الا في حرم مكة فيصدقهم الجاهلون المخدوعون

هذه إشارة الى طريق التأويل والتليس التي تقل معها الثقة بالنقل . وأما التعليل بعقد الاختبار الصحيح والثقة التامة بأن انسانا انتقل بحجسه من قطر الى آخر في زمن قصير لا يكفي بلوغه إياده وان كان أسرع من العناق السبق : والحياد القرح ، فهو ان يقال ان ذلك المتقل من الروحانيين الذين تحمل أرواحهم أبدانهم قمر بها مر النسيم وذلك داخل في السن الروحية . وربما تكون في يوم من الأيام مشهورة جليلة . فيمذر من كان في غير هذه الاوقات . ينظمها في سمط الحوارق والكرامات ، ويظهر فضل الدين ان علم الناس بأن الروح والنفس : لها وجود مستقل وسنن غير سنن الحس .

الإنجيل الصحيح

(البذة الثالثة من مقدمة كتاب الأنجيل للفيلسوف تولستوي)

على هذا المنوال جرت تلك الديانات الصادرة عن الروح القدس وكل واحدة منها تؤكد لنا ان ختام الوحي ونسخ الديانات السابقة بطريقة حاسمة قاطعة مما تقضي بهما كتابة الرسول بولس أو قرارات بعض الجامع أو أوامر الباباوات أو الإلهام الشخصي لبعض الناس ولكنها تحاول بلا طائل الاستناد في آخر الأمر على الوحي الهابط على آباء الكنيسة أو على (الكاتشرزم) الذي ألفه لوثير أو فيلاريوس وتأني أن تعنون نحتها باسم أولئك المشيدين لدعائهم وتعاند في القول بان المسيح هو الذي أوحى اليهم بهذا التعاليم وتصر على ذلك اصراراً لو صدقناها فيه لذهبا معها : الى ان المسيح نفسه هو الذي أوحى الى أصحابها بأنه اقتدى بني الانسان بعد سقوطهم بسبب خطيئة آدم وان الله يتألف من ثلاثة أشخاص وان الروح القدس هبط على الحواريين وان المسيح باليد (في تناول الاسرار) نقله الى القسيسين وان قدس الارواح سبع مرات مما لا بد منه للحياة المسيحية وغير ذلك . وهم يحملوننا على الظن بان هذه الامور كلها من تعاليم المسيح . على اننا اذا بحثنا في تعاليم المسيح لأوجد فيها أقل إشارة

إليها ولا إلى بعضها . لاجرم أن الكنائس التي تقول بهذه الاشياء ينبغي لها أن تجهز
بأنها من تعاليم الروح القدس وليست من تعليم المسيح فانما المسيحيون هم الذين
يعتبرون الوحي الأخير الذي جاء به المسيح كما هو وارد في الأجيل طبقا لما قاله
المسيح: ان يكون لكم أساذغيري (١)

وبما ظن بعض الناس ان هذه المسألة ليست بذات بال وانها من الامور التي لا تستحق
البحث فيها ولكن مما لامرأ فيه ان القوم قد أهملوا النظر اليها بين الاعتبار إلى
تومنا هذا، وبدلا من بذل نهاية المجهود في ترقية تعليم المسيح من شوائب علاقته الصناعية
بالمهد القديم التي لا ترى ما يزكها، ويؤيدها، وتصفيه من تلك الاضافات التي ألصقتها
به الاهواء باسم الروح القدس، لا يزال القوم حتى يومنا هذا يوجهون همهم كلها إلى
تقوية هذه الروابط التي لأصل لها . ومن غرائب المشاهدات أننا نرى الاتفاق سائداً
في هذه المسألة بين الحصريين المتعاندين وأعني بهما المتحزبين للكنائس وأرباب الافكار
الحرّة من أصحاب الخارج

فاما أحزاب الكنائس الذين يقولون بأن المسيح هو ثاني شخص في الثالث
فلا يريدون أن يفهموا تعليمه إلا تطبيقه على الوحي الموضوع على لسان ثالث الثلاثة
(أي الروح القدس الذي نطق بلسان الرساء) كما هو وارد بالمهد القديم وفي أوامر
المجامع وقرارات آباء الكنيسة . وتراهم يتادون ويشرون بأمر هي متبني الحماقة
ويؤكدون مع ذلك بأنها من دين المسيح . وأما الآخرون أي أولئك الذين يتمتعون
من اعتبار المسيح إلها فهم أيضاً يدركون عقيدته لا كما أتى هو نفسه بها ولكن على
الوجه الذي صورها فيه بولس وغيره من المفسرين. فأولئك العلماء مع اعتبارهم المسيح
فردا من أفراد البشر لا إلهاً يحرمونه من الحق الطبيعي الذي لكل واحد من
الناس ألا وهو أن يكون مسؤولاً عن أقواله فقط وغير مؤاخذ بما يقوله عنه غيره .

وحينما حاولوا إيضاح تعليم المسيح نسبوا إليه أفكاراً لم تخطر قط على باله وهو في قيد

النار : الخطاب خاص بتلاميذه الذين تنقل الكنائس عنهم ان تلقوا تعاليم آخر

من البروج القدس ولهم ان يردوا على الفلاسوف بأن الروح القدس ليس غيره لأنه
على اصطلاحهم عنه لأن كل واحد من الاقائيم الثلاثة عين الآخرين

الحياة . فان القائمين بهذا المذهب وفي مقدمتهم رنان المحبوب عند الجمهور لم يروا وجها لإجهاذ أنفسهم في التمييز بين ما قال به المسيح وبين مانسبه اليه مفسرو كلامه زورا وبهتانا ولم يد زياتهم على الكنائس في الاهتمام بالتمعق في فهم تعليم المسيح الصحيح انساقوا الى البحث في حوادث حياته وفي الحوادث التاريخية التي وقعت في عصره لمعرفة أسباب تفوزه وشيوع أفكاره

على ان هذا البحث هو كما يظهر آخر خطأ يجوز للمؤرخين ارتكابه فان المسألة لتي كان عليهم السعي في حلها هي ما يأتي :

منذ ثمانى عشرة مئة من السنين كان رجل فقير يعيش في بعض الجهات وكان يصدر عنه بعض الأقوال فاضطهده الناس وشتقوه ثم لسه العالم كله كما نسي آلافاً من الحوادث الماثلة لأمره فلم يذكره أحد من المالمين ولكن يظهر ان بعضهم بقيت في ذاكرته كلات هذا الانسان فاعدها على مسمع من ثمان قتالك وما زالت آخذة في الشيوع والانتشار حتى ان ألوف الألوف من الناس سواء فيهم القتلاء والمجانين والمالمون والجاهلون اعتقدوا اعتقاداً مطلقاً بأنه هو الله وحده (١) وهذا من غرائب مظاهر الكون فكيف يكون تفسير ذلك ؟

قالت الكنائس ان هذا الرجل أي المسيح هو الله حقيقة والامر واضح في هذه الحال لا يحتاج الى بيان . ولكنه اذا لم يكن هذا الانسان هو الله فكيف نفسر اعتبار الناس له إلهاً دون سواء ؟

أما علماء المذاهب التاريخية فقد عنوا عناية بالغة بجمع الخصائص المتعلقة بحياة ذلك الانسان (وهم في الحقيقة لم يجمعوا منها ولا واحدة سوى ما وجدوه في

(١) النار : ان الناس لم يقولوا هو الله لاجل الكلمات التي يقولونها عنه فقد نقل أحسن منها عن سليمان ولم يقولوا إنه إله ومهم من لم يقل إنه نبي . وإنما ذلك بولس وأمثاله قالوا هذا القول وادعوا ان روح القدس يملئ عليهم والحوارق تؤيدهم فصدقهم الناس لاستحواذ الوثنية عليهم وشاع ذلك . والفيلسوف ينكر عليهم إملاء روح القدس ويجهد خوارقهم ولكن إعجابه بكلمات المسيح عليه السلام ، أنه أكبر سببهم فوقع في الاوهام .

الانجيل وفي تاريخ (فلافيوس يوسيفوس) ولم يتفعلوا الى انهم لو توصلا الى الوقوف على هذه الخصائص كلها، ووقفوا الى اعادة حياة المسيح تامة باصر تفاصيلها بحيث عرفوا مأكله في يوم كذا ويوم كذا وعرفوا في أي منزل أمضى تلك الليلة - لكان هذا السؤال الجوهري يبق قائما ولا جواب عليه وهو : لماذا كان ليسي لاغيره هذا التأثير في الناس أجمعين ؟ (١) الجواب المطلوب لا يأتي من العلم بالطريقة التي ولد بها عيسى أو كانت تربيته على مقتضاها أو غير ذلك ولا يستنبط من العلم بالحوادث التي وقعت في رومية في ذلك العصر وكانت داعية الامم الى الاعتقاد بالخرافات والاضاليل ونحو ذلك . وانما ينال الجواب بالبحث في أمر واحد وهو معرفة التعليم الذي جاء به المسيح علما مؤكدا يقينا ومعرفة كنه هذا التعليم الذي حمل كثيرا من الناس على جعل الرجل فوق سائر الناس واعتباره إلها منذ ثمانتي عشرة مئة من الاعوام الباحث الذي يريد حل هذه المعضلة يجب عليه قبل كل شيء ان يجتهد في إدراك تعليم المسيح وأعني به تعليمه الصحيح دون تلك التفسيرات الغامضة الشاذة التي ذهب اليها بعض الناس . وهو أمر أهمله الباحثون الى الآن . فان علماء التاريخ من أهل النصرانية فرحون بما ذهبوا اليه من أن المسيح ليس هو الله ولذلك تراهم لايتكفون بسردون الدلائل على انه لم يكن فيه شيء من الالهية ولكن لايتفكرون في أمر بسيط لايصح ان يغيب عن الازهان . وهو ان الاحتجاج على كون المسيح واحدا من الناس مجردا من كل صفات الالهية يزيد المسألة غموضا وبعباء عن الافهام. (٢) مثال ذلك صاحبنا رنان أو الموسيو (هافيت) فقد لاحظ بسذاجة لطيفة ان المسيح

(١) المنار : إنه لم يكن للمسيح تأثير في الناس أجمعين كما زعم وان المعتقدين

يوذا أكثر من المعتقدين بالمسيح على الوجه المعروف عند النصارى

(٢) قضى الله ان تكون السخافة حليقة لكل من يتكلم في الدين من غير

طريق الاسلام . وان ارتقى بعلمه الى درجة الفلاسفة العظيم . فهذه المسألة محلولة بمثل قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي » فالمسيح بشر كسائر الناس الا أنه امتاز بأن الله تعالى أوحى اليه، والوحي لا يرتقي بالوحي اليه الى مقام الالهة ولا يعطيه

شعبة منها على أنها ليست متشعبة بل هي الوحدة الحقيقية

لم يكن فيه قط شيء (مسيحي) أما الموسيو سوري فقد أظهر ما ليس فوقه شيء من الابتهاج والارتياح حينما ذهب الى أن المسيح «كان رجلا بشير ثقيف وأنه كان من ذوي العقول الساذجة»

ليس الأمر الجوهري هو إثبات عدم ألوهية المسيح ولا أن تعاليمه ليس إلهيا ولا إيراد الدلائل على أن المسيح لم يكن كاثوليكا وإنما هو فهم عناصر هذا التعليم الذي ظهر للناس في أسنى المظاهر وأجلاها وأعلاها وأغلاها حتى قالوا ولا يزالون يقولون بأن الرجل الذي قال به إنما هو الله . هذا هو الأمر الذي حاولت البحث فيه والذي نجحت في الوصول اليه والوقوف عليه وذلك بالنسبة الى شخصي على الأقل . وهو ما أريد ابلاغه إلى إخواني

يخيل اليّ أن القارئ لهذا الكتاب إنما هو فرد من ذلك المجتمع العظيم الذي يتألف منه فريق المتدينين الذين تهذبوا ودرجوا على الاعتقاد بقول إحدى الكنائس ومنعوا أنفسهم على الدوام من الجهر بالانفصال عنها مع ثابت لهم من مناقضة تلك العقائد لما أرشدتهم اليه عقولهم . وأوحت به ضمائرهم . سواء كان ذلك مبنيًا على صباغة باقية من الحب والاحترام لتلك التعاليم المسيحية أو لاعتبارهم التعمرانية كلها خرافة فهم لا يرتبطون بها الا في الظاهر . اذا كانت هذه حلة القارئ فني أرجو أن يعمل بالمثل السائر «ألقى بالحلمة في النار إذ صارت مباءة لاقمل» ولكنني أرجو من باب أولى أن يتفكر أن الذي نهر منه طبعه وسمعه وظهر له بظواهر الخرافات ليس هو التعليم الصادر عن المسيح وأنه من الغلظ . مؤاخذه المسيح بالحقائق التي علقها الناس بسعد على تعاليمه . وغرضي الوحيد إنما هو تحديد تعاليم المسيح في شكله الخاص به كما وصل إلينا أي بواسطة الأقوال والأفعال التي باننا بطريق التواتر أنها أقوال المسيح وأعماله (١) . ومن كان من القراء من انصف الذي سبق لي وصفه فإن

« ١ » ما نزل: أن أقوال الفيلسوف السابقة في هذه المقدمة تنفي هذا التواتر فإنه قال أن أقوال المسيح لم تنل في عهده برمتها بالكتابة ولا بالحفظ وإنما كان يحفظ بعضها الواحد فليقله الى ثلث ثم يشتر بعد زمن . وإنما تحقق التواتر بنقل العدد الكثير عن المسيح نفسه وقتل مثاهم عنهم طبقة بعد طبقة بلا انقطاع

كتابي يريه ان التعمرانية ليست مزيجاً من الامور العالية والامور المتبذلة وانها ليست من الخرافات بل انها عبارة عن التعليم بما وراء الطبيعة الذي توصلت اليه الانسانية الى الآن بطريقة أخلاقية تهذيبية وطيدة الاركان ، ثابتة البنيان ، صافية من الشوائب . مكملة من كل جانب ، وانها التعليم الذي تركز عليه بغير ادراك جميع مظاهر الانسانية العالية في السياسة والعلم والشعر والفلسفة

أما اذا كان القارئ من تلك الفرقة القليلة التي لا تزال في كل يوم آخذة في الاضمحلال وأعني بها أولئك المتدينين الذين مالبثوا مرتبطين بتعاليم الكنيسة وقبلون الدين لراحتهم الداخلية لا لغرض خارجي فاني أرجو هذا القارئ ان يسأل نفسه عن أعز الامرين لديه : أراحته أم الحقيقة . فان احتار الراحة سأله ان يفضل هذا الكتاب وأما اذا جنح الى الحقيقة فاني أسأله ان يتبرع بتعاليم المسيح المبسوط في هذا الكتاب يناقض كل ما عليه اياه الناس وانه يلزاه هذا التعاليم في موقف السلم بإزاء التعمرانية . فليس عليه بعد ذلك ان تكون العقيدة المشروحة في هذا الكتاب توافق عقيدته أو تخالفها بل ان يعلم أيهما أكثر انطباقاً على عقله وقابله . أعقيدة كنيسته أم عقيدة المسيح المحضة ؟ وعليه بعد ذلك ان يختار لنفسه أحد الامرين - الرضى بقبول العقيدة الجديدة أو البقاء على عقيدة كنيسته

وأما اذا كان القارئ من أولئك الذين يذهبون الى احترام عقيدة إحدى الكنائس والتسليم بها في الظاهر لالصحة هذه العقيدة ولكن بالنظر الى اعتبار المنافع التي يجودونها فيها فهذا القارئ يجب عليه ان يقول لنفسه بأنه ليس من التهمين « بكسر الهاء » بل من التهمين « بفتحها » مهما كان عدد الذين يمثّلونه في الرأي ومهما كانت سطوتهم ومهما كانت يتحان الملوك معهم ، وشهادات الاكابر منهم مصدقة لما بين أيديهم . وليس يكون ذلك القارئ من الذي تقع عليهم التهمة ألعلمي بل أمام المسيح . وينبغي لهذا القارئ ان يقول لنفسه انه ان يطالب « بفتح اللام » بأي برهان مما يمكنه الاتيان به من الدلائل فقد جابه بها السابقون عليه بزمان طويل وانه لو اتى بألف حجة على برأته لما كان الا في موقف يضطره الى تركية نفسه

فيم انه يبقى عليه ان يزكي نفسه أولاً من وصمة الكفر والتدنيس اللذين ارتكبه

بمجل عقيدة المسيح الذي هو الله (تعالى الله عن هذا الزعم) كعقيدة اسدراس والمجامع وثاوفيلكتس وافراغه كل قواه العقلية لتبديل كلمات الله حتى يجعلها موافقة لكلمات البشر. ثم يجب عليه أن يزكي نفسه ثانيا من «التجديف» الذي ارتكبه بمجل كل ما في قلبه من الحرافات على «حساب» المسيح الذي هو الله (سبحان الله). ثم يبقى عليه في آخر الامر أن يزكي نفسه أيضا من الحياة التي ارتكها بإخفائه عن الناس دين الله الذي جاء الى الدنيا ليأتي لنا بالخلص والسلام، وبدسه دين الروح القدس بدل هذا الدين وحرمانه ألوف الألوف من الناس من الخلاص الذي جاء به المسيح لأجل الناس وبليجاده الخلاف في الشيع والمقاتلات وبحكم بعضها على بعض وغير ذلك من ألوف الشناعات التي يسترها بالاسم المقدس اسم المسيح

لذلك أقول ليس للقراء الذين من هذا الفريق الا ان يختاروا احد أمرين - إما ان يتوبوا بخضوع وخشوع توبة نصوحا ويرجعوا عن أكاذيبهم. وإما ان يضطهدوا ذلك الذي جاء ليأتي عليهم التهمة بما كسبوه من السيئات التي لايزالون نبيها في وقوعها اذا لم يبدلوا عن أكاذيبهم فليس لهم سوى أمر واحد هو اضطهادي أنا وهذا هو ما أظنره بنشر كتابي هذا. وأني لا أظنره بفرح عظيم لا يخالجه سوى مكنون الخوف من ضمني لأنني فرد من بني الانسان. اه

(المار) لقد أظهرت لنا هذه المقدمة قوة كاتبها في أعلى درجاتها كما أظهرت لنا ضعفه في أسفل دركه. أما قوته فهي أنه أدرك بذهنه الوقاد، وعقله المطلق من أسر التقليد والاستعداد، أن إنجيل المسيح لم يقل قلا ههنا ولم يحفظ كله وأن الاهواء تلاعبت أيضا بتفسير ما قل، فأفدت ما بقي فيه من ذم الإصلاح والحق وأن أشد الناس عينا في تعليم المسيح بولس زعيم التصرانية - الخ ماقرات في المقدمة

وأما ضعفه فهو أنه نظر في سن الكبر وطور الزهد والياس الى تلك المواضع التي قارع بها المسيح مترفي اليهود ومتطعيمهم وتأمل في غلواتصارى في المسيح وادعاء الألوهية له بإغراء بولس ومن دخل فيه من الوثنيين فرأى في المواضع قوة الهية (وهي قوة الوحي) ورأى الناس قتلوا بالمسيح فاستدل بذلك على أنه هو الله تعالى الله عن ذلك هذا وقد وقع في ص ٨ ص ٢٢٩ لفظ الفارسيانيين وصوابه «الفريسيين» وفي ص ٢١ ص ٢٢٩ جملة «لا يلزم» (كما يظهر) على تليق، وصوابها «لا يلزمه» (كما يظهر) تليق.

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(س ١) صخرة بيت المقدس - السيد احمد منصور الباز بطوخ القراموس:
 ما رأي سيادتكم في الصخرة الموجودة بيت المقدس هل هي مرفوعة في الهواء كما يزعم بعضهم وهل وفيها كان معجزة لتبي ؟ نرجوكم إظهار الحقيقة ورفع الالبس
 (ج) اننا قد زرنا المسجد الأقصى ورأينا الصخرة وعرفنا منشأ الشبهة في أقاويل
 الناس فيها على انها ليست مرفوعة في الهواء . ذلك ان الداخل في الحرم يرى في
 محضه الفسيح بناء مرتفعا يصمد اليه بالسلايم ووسطه هذا البناء الواسع مرصوف بالبلاط
 وفيه قباب أعظمها وأكبرها وأكثرها زخرفا قبة الصخرة وبالقرب منها قبة يسمنونها
 قبة المعراج يقولون ان النبي صلى تعالى عليه وآله وسلم عرج منها . والصخرة موضوعة
 في قبتها وقد جعلت سقنا المغارة صناعية تحميها باب ينزل اليه بسلم قصير . فهم يقولون
 ان الصخرة كانت في الهواء حيث هي الآن وان اناس بنوا تحتها هذا البناء ووصلوه
 بها . وشبهتهم ان الصخرة مرتفعة عن أرض الحرم التي هي الآن ساحة الحرم الاصلي
 الذي تحت الارض . وقامهم أن رفع الصخرة من أرض الحرم الذي في الارض أو
 سطحه الذي هو محض المسجد لهذا المهد متيسر للانسان ويوجد له نظائر في مباني
 القابرين والحاضرين

(س ٢) حجارة الوقد بجوار الكليم - ومنه: هل في الحجارة التي بجوار سيدنا موسى
 معجزة له اذ تكون وقودا في تلك الارض واذا قلت منها تكون كسائر الحجارة لا تشتعل ؟
 (ج) انه لا يوجد في الدنيا حجارة تشتعل فتكون وقودا الا بسبب طبعي ولا
 معنى لهذه المعجزة الآن واناس متهمون جميعا بنقل الفرائب فيجب التحري اتمام
 فيما يقولون منها فن نحري علم ومن لم يحرمهم ،

(س ٣) شهورش قاضي الجن - السيد حسن السبلجي بمصر : يزعمون أنه كان لاجن
 قاض يقال له شهورش وأنه كان يتلقى العلوم بالأزهر وكان يحضر دروس لشيوخ
 الباجوري ويسأله عن بعض المسائل التي تشكل عليه على مرأى من الناس وسمعه .
 وقد حضرت مناظرة في ذلك بين فريقين منكر ومصدق فأبى المصدق ان يرجع الا
 بقوى دينية وهي ما ننتظره من المتأخرين :

« ج » ان الجن من العوالم النبية واسمهم يدل على خفتهم واستارهم وقد قال الله في ابلّيس وهو من الجن : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » وقد نقل عن الامام الشافعي تشديد عظيم على من يدعي رؤيتهم حتى قيل انه أفتى بكفره هذه الآية . وقد اختلف ائمة عن الصحابة في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم فروي عن ابن مسعود انه رأىهم وروي عن ابن عباس أنه لم يرههم وأنه لو رآهم لما قال الله تعالى « قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن » وقال بعض العلماء ان ابن عباس قال بما يدل عليه القرآن وابن مسعود قال بما ثبت عنده ولا مناقاة بينهما . وأدعى بعضهم ان رؤيتهم تكون كرامة للأولياء وسيأتي البحث فيه في موضعه من مقالات الخوارق والكرامات ولكن لم يقل أحد من المسلمين ولا من غيرهم ان الجن يظهرون ويأتون العلماء على مرأى من الناس ومسمع . وان لاتاس من الحكايات عن الجن في كل قطر وكل شعب ما يكاد يصل بهم الى حد الجنون . والله يعلم انهم يكاذبون (س ٥) الدليل على وجود الجن - بكير بن سباه الجيزاتي : هل يوجد دليل عقلي على وجود الجن ؟

(ج) ن وجود أي شيء من الموجودات لا يعرف بالأدلة العقلية وإنما يعرف بالحواس أو بالخبر الصادق فاننا نفتقد بوجود كثير من الحيوانات والنباتات والمعادن ولم نرها . أما العقل فانه يدلتنا مع الاختبار بأن في هذا الكون موجودات كثيرة لا نعرفها وترون في أصغر الكتب الطبيعية كالنقش في الحجر للدكتور فاندريك أن في هذا الكون عوالم لا نعرفها لانها لا تدرك بحواسنا هذه ولو خلق لنا حواس غيرها لأدركنا ما لا ندركه الآن . الجن عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام فوجب التصديق بذلك . وإننا نرى الاعتقاد بوجودهم فاشياً في جميع الأمم والشعوب الهمجية والمدنية الوثنية والموحدة والملحدة . وإننا نعد من نوع الجن هذه الاحياء الصغيرة التي لا ترى الا بالتطارات المكبرة فاللفظ اللغوي (جن) يتناولها وفي الحديث القائل بأن الطاعون من وخز الجن ما يدل على ذلك والله أعلم

(س ٤) الإيمان بخاتم النبيين - عبد الحميد اقصي نجيب بنبأ الزقازيق : هل يكون إيمان المسلم صحيحاً اذا اعتقد ان رحمة الله تعالى لاتسع من لا يؤمن بنبوة محمد

صلى الله عليه وسلم مات على ذلك وقد قال تعالى « إن الله لا يفتقر أن يشرك به ويفتقر مادون ذلك لمن يشاء (وقال) ورحمتي وسعت كل شيء »

(ج) ان رحمة الله تعالى وسعت كل شيء حتى المشركين فانهم انما يمشون برحمته ويتمنون بفضله ومن رحمته بالعالمين أن أرسل اليهم خاتم النبيين يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ولا توجد طريقة لتزكية الروح وتركها تركية تستوجب بها الرحمة الخاصة في الآخرة الا شريعته ومثلته ولذلك قال عز وجل بعد بيان أن رحمة وسعت كل شيء « فمسا كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونهم مكتوبيا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، الآية . فن بقلته دعوة هذا النبي الكريم على وجهها وأعرض عنها فلا يستدبإيمانه . ولكن اذا بقلته على غير وجهها أو نظر باخلاص وبحث فلم يظهر له صدقها فهو مذکور وتقدم بسط هذا المعنى في التار غير مرة

(س ٤) ترجمة القرآن - رضاه الدين اقدسي قاضي القضاة وعضو الجمعية الشرعية في أوقا (الروسية) : نشكر لكم بما لا مزيد عليه ما كتبتم في التار جوابا عن سؤالي في مسألة حدوث العالم قانا طالعناه مع الأحاب والعلماء الكرام بزيد الشوق وعجينا من سعة اطلاعكم وتجركم في الفنون ثم اتي أعرض على حضرتكم سؤالا آخر وهو . هل يجوز ترجمة القرآن الشريف الى اللغات الأعجمية كالفارسية والتركية وغيرهما ؟ ونسمع ان بعض علماء الهند نقله الى لغة الاوردو فهل ذلك صحيح وما حكم الشريعة في ذلك ؟ زجو من حضرتكم الجواب في أحد أعداد التار لتكون الفائدة عامة لنا ولغيرنا :

(ج) ان هذا القرآن عربي « ولو أنزلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي » ومن مقاصد الاسلام العالية جمع البشر على دين واحد ولغة واحدة لتكامل وحدتهم . وتحقق أخوتهم . وقد يننا هذه الحكمة من قبل ولا سبيل اليها الا بتجيم بقائه عربيا . وان بقاءه عربيا داخل في معنى حفظ الله له . فترجته غير جائزة وغير متيسرة فانه معجز في بلاغته وتأديته للمعاني ولن يستطيع ان يترجمه الا من يصل الى درجة الاعجاز في اللغة التي يحاول نقله اليها ويكون مع هذا في فهم

الاساليب العربية منقطع القرن ، وفي فهم الاسلام ومعرفة حقائقه آية في البالين ، كلا اني موقن بأن ترجمة القرآن مستحيلة وانه لا يوجد في البشر من يستطيع ان يثقله الى لغة أخرى بحيث يفهم قارئ الترجمة كل ما يمكن أن يفهم من القرآن العربي المين . وان من أكبر الجرائم والجناية على الدين ان يحاول المسلمون هذا الامر فيكون عند التركي قرآن تركي وعند الفارسي قرآن فارسي وهم جرا . وقد عثر بعض العلماء فقال بجواز القراءة بالفارسية لمن عجز عن العربية ولكن طبيعة الاسلام لفظت هذا القول وتركته كالشيء القفا ولم يعمل به أحد من المسلمين مع احترام قائله لأنه لم يكن سيئ القصد . ولو أخذ الناس بهذا القول لما انتشرت اللغة العربية في الاقطار الاسلامية ولصدم الاسلام صدمة أرجعت الى جزيرة العرب وخبسته فيها

أقول هذا على تقدير ان المراد من السؤال ترجمة القرآن وحسبان الترجمة قرآنا باعتبار أن العبرة بالمعاني كما قال بعض العلماء والاكتفاء بذلك . وأما اذا ترجم شي من القرآن بقصد جعله وسيلة للدعوة الى الاسلام فلا بأس بذلك لاسيما اذا كان من تراد دعوتهم كالانجيل الذين يعثون عن أصول الاديان ولا يكتفون بمرض آراء علمائها عليهم لانهم يستقدون ان علماء كل دين تصرفوا فيه باجتهادهم أو بأهوائهم . ومن يترجم القرآن بضمه أو كنه لهذا الغرض فعليه أن يبين في مقدمة الترجمة أنه نقل الى لغة كذا ما فهمه هو من القرآن ان كان يعتمد على فهمه أو ما فهمه فلان المفسر ويذكر من اعتمد على تفسيره . واذا اعتمد على غير واحد من المفسرين فليذكر أسماهم واذا أشار في هامش الترجمة الى عزو كل قول الى قائله فذلك أفضل وأكمل

وحسب المسلمين من الأعجميين قصيرا في حق القرآن ان فسروه بلغاتهم وكان الواجب عليهم ان يجهدوا في تعميم اللغة العربية ويفهموا بالعابرة العربية التي أنزل بها . ولولا الصدمات السياسية التي صدمت الاسلام لظل أهل فارس ومن يجاورهم الى هذا الزمن ينطقون بالعربية كما كانوا في القرون الأولى للإسلام بل لكانت بلاد الهند والافغان والترك وحجز عظيم من بلاد الصين كبلاد سوريا ومصر لهذا العهد ولعل كان في ذلك للإسلام سياج من الوحدة لا يخرق . واذا لم يسع الصالحون في تلك البلاد وأمتائها بتعميم اللغة العربية ففهم بمصلحين ولا عاملين للإسلام ، ولعلموا

ان اعتصامهم بالجنسية القوية لا يمتنع من ابتلاع أوربا لهم في يوم من الأيام ،
أما رجة أحد علماء المهد القرآن بلسان الأوردو فلم نسمع به ونرجو من قراء
النار في المهد إعلامنا بالحقيقة

القسم العمومي

نظام الحب والبغض

- (رسالة في علم النفس وفلسفة الاخلاق للعالم العامل ع . ز)
- (تمهيد) (١) ان للشروع أسباباً معظمها تلج من أوهام باطلة . فيجب إحياء
الحقائق وإزهاق الأوهام .
- (٢) ان للأوهام أسباباً معظمها ناشئ من الجهل — البسيط والمركب — يفرض
تنوير الأذهان بقدر العلم وان كان قليلا .
- (٣) ان للجهل أسباباً معظمها أت من قلة القراءة والكتابة الضحيين . فيلزم
النهي في تكثير القراء الذين يفتقون مايكتب — كتابة صحيحة — والكتاب الذين
يعرفون كيف يكتبون .
- (٤) ان لقلة القراءة والكتابة — الضحيين — أسباباً معظمها صادر عن رداءة
أصول التعليم . فيتحتم الدلالة على الاصول الثافعة وتوذياد الناس عليها .
- (٥) ان لرداءة أصول التعلم أسباباً جلها من التقليد الأعمى وإهمال الفكر .
فلا بد من الجمع والتامع بالتفكر .
- (٦) ان للتقليد الأعمى أسباباً أكثرها ناجم عن احتلال شئون النفوس في حبا وبغضا
فيتين وصف علاجات تشفي من هذا الاحتلال ولو قليلا .
- هذه الفرائض المشروحة لا يشك في وجوبها طائل ولكن من هم المكلفون بها؟
أيم بإعلاماء النفس مكلفون بهذه الفرائض . ومذ كلفت نفسي ان تتشرف بالدخول
في زمركم طفتك أطالع صفحات كتاب الوجود بين البصرة وأقيد النتائج في دفتر
الذاكرة . فهذا ماشجني اليوم على أن أشارككم في أعمالكم . ومن أجل هذه
المشاركة حررت فصولا لتأدية بعض هذه الفرائض أكثرت فيها من التوضيح

وأقلت الفضول وتوخيت أسهل العبارات وأجل الإشارات ورأيت فيها فهم الصغير (من حيث القراءة لامن حيث السن) والكبير . ووهم الجليل والحقير ، وعدلت عن قيل زيد وعيد واستمسكت بما أرسل الله لأبصارنا وبصائرنا من الأمثال .
واليكم يا قراء النار الزاهر أقدم هديتي هذه (نظام الحب والبض) بمساعدة منثته العلامة المرشد أعلى الله مناره ، وأيده بنائته ،

قطبان في الانان عليهما تدور أحوال نفسه هما الحب والبض . فهل يمكن إدخالهما تحت أحكام نظام ؟ (الجواب)

في هاتين القوتين المتنافرتين تكلم الانبياء والمرسلون . والحكماء المتبعون ، والعلماء المعلمون ، والشعراء الواصفون ، والادباء المحاضرون ، وبهاتقارب الناس وتباعدا ، وتحاربوا وتحاربوا ، واجتمعوا وتفرقوا ، وتعاونوا وتحاذلوا ، ومن أجلهما طغوا واعتدلوا ، وأنصفوا وجاروا ،

تكلم الناس كلهم في الحب والبض ولكن اختلفت الاصطلاحات ، وتوعدت المقاصد ، واختلفت المشارب ، فتمدت الاسماء ، وكثرت الكلمات ، وتوفرت المعارضات والمجادلات ،

فكلام الناس فيها الدائر على ما يجب ان يحب وما يجب ان يبغض يلوح ويصرح بأنه من الممكن إدخال هذين المؤثرين تحت حكم « نظام »

وعلى هذا نكون نحن سالمين من الخطأ في تسميتنا عن علم النفس واخلافتها بنظام الحب والبض . بل نكون قد أصبنا عبارة هي أوضح من اخواتها في الدلالة على هذا العلم النفيس المفيد .

هذا - أي امكان دخول الحب والبض تحت نظام - رأي طوائف العالم على اختلافهم ، به تشهد الاديان والمقول ، وله تؤيد المشاهدة والتجربة . ولآخرين قليلين رأي آخر هو عدم الامكان

وسيري الذين يخالفون بياناً شافياً في هذا المقال . وسيدكر فيه الواقفون .

« ماهو الحب وما هو البض »

ان حياة الانسان (كسائر الحيوانات) نظاماً عرف به وجوده ولم يعرف متبداً وجوده . وقد عرف ان هذا النظام شبيه بنظام ملكية كثيرة الاجزاء بعض أفرادها مهم جداً خلوهامنه يوجب خلافاً كبيراً فيها . وبعضها من قبيل الخدم والأعوان لا يوجب خلوهامنه خلافاً يذكر . وقد احتاج الناس من قديم الزمان لأجل التعريف بمعرفاتهم الى تسمية الاشياء باسماء يتواضعون عليها . فاما التي يشيع عرفها بين الناس فتصير أسماءها من قبيل مفردات اللغة التي يتكلمون بها بمعنى ان استعمالها العام معناها المشهور يحمل معناها اللغوي المشهور عاماً . وأما التي لا يشيع عرفها إلا بين العلماء منهم قصيراً أسماءها من قبيل مفردات العلوم انني تداولونها . بمعنى ان استعمالها الخاص يحمل معناها المقصود عند العلماء خاصاً . مثاله (١) كلمة «المبتدا» معناها العام « الأول » ومعناها الخاص عند علماء النحو الكلمة المستند اليها حكم من الاحكام . ومثاله (٢) كلمة « المجاز » معناها العام « المرص » ومعناها الخاص عند علماء البيان المدلول في كلمة عن معناها الأصلي والأجزاء التي يتكون منها نظام الحياة قد سمي كل منها باسم وجرى على كل منها الاستعمال العام أما مجموع ما به نظام الحياة فسماه تقدماء من أهل لغتنا « النفس » لكن هذه الكلمة لدلائلها عن مدلول عظيم شأنه قد اتخذها العلماء لمعنى غير الذي يفهمه منها العامة من الناس . ومن ثمة كانت جديرة ان نقول انها « كلمة علمية » بمعنى ان لها معنى خاصاً عند العلماء بمجواصها وأحوالها .

« والحب والبض » من هذا القليل . أي انهما في اعتبار العامة كلمتان من جملة ماهو مشهور للناس من مفردات لغتهم . وفي اعتبار العلماء — علماء النفس — هما كلمتان مدلولاهما تحت البض والبحث يتسألون فيما بينهم عن تعريفهما .

على انه يجب ان نصرح بأن العلماء من حيث الجملة كثيراً ما يرفعون المبروفات ويوضحون الواضحات . وكثيراً ما ينتج من كثرة كلماتهم واصطلاحاتهم في توضيح الواضحات إبهامات يشغلون بها اذهان القارئ على غير جدوى . هذه حقيقة يجب ان لا تغفل عنها . وان لا تنقل ذكرها . وهي تفرض علينا ان لا نقلدهم في كل أبحاثهم وان لا نشاركهم في الكلمات التي ابتدعوها في أكثر النواضع لاني لا أحب توسيع مسافة انترق بينهم وبين العامة .

ولكن لهذا الأمر مستثنيات هي التي تفتح لحسن الظن بياتهم باباً كبيراً . وهذان الحرفان اللذان نحن بصدهما من مستثيات هذا الأمر . فكلاً نحب ونبض ولكن في الحقيقة ما كل واحدنا يعرف ماهو الحب وماهو البض . ومن ثم اختلفت تعاريفهما أيضاً بلسان العلم

والتعريف الموافق هو ان الحب اعتقاد خير واجع أو مناسب للنفس المحبة من الجهة المحبوبة (•) والبض ضده فهو اعتقاد شر إلى آخر التعريف . وبهذا التعريف يمكننا بغاية السهولة ان نعرف العلة ونجيب عن هذا السؤال : « لما ذا نحب ونبض » وهذا التعريف الحقيقي هو الذي سهل لنا الحكم بأن دخولهما تحت حكم « نظام » ممكن لأن هذا الاعتقاد قد يكون صواباً وقد يكون خطأ شأن كل اعتقاد . فكما أمكن بواسطة العلم ارجاع كثير من الناس عن خطأهم في أشياء كثيرة يمكن ارجاع معتقد الخير والملائمة أو الشر والمباينة في جهة من الجهات عن ذلك الاعتقاد فيما المرء يجب اذا هو يفيض . واذا سلمنا التسلسل أحياناً لا نقول بالتعذر . وسيوضح هذا أمثلة كثيرة .

حب الذات

وعلى حسب التعريف السابق لأحب وضده . وعلى حسب التعاليل المتقدم (لما ذا نحب - لما ذا نبض) يظهر ان الانسان لا يجب غيره إلا لأجل ذاته فهو بهذا الحب لم يخرج عن حب ذاته إلا بحسب الصورة فقط . فهل هذا صحيح ؟ وما الدليل عليه ؟ وهل محبة الذات أمر نافع أم أمر ضار ؟

نعم ان الانسان لا يجب غيره إلا لأجل ذاته . وهذه الحقيقة دقيقة جداً يدركها بعض بالبداية ولا يدركها البض إلا بالإيضاح . ونحن نجمل الكلام ونذكر رموس المباحث التي تملق بأذيالها . وكثرها قضية قضية موجزن : (١) الانسان يجب ذاته (٢) حب الذات في أصله طبعي نافع . « ٣ » ذات غيرنا كذاتنا فلا بد من حد

(•) المثار : ادراك النفس قيمان فكر ووجدان والاعتقاد من الاول والحب من الثاني وكذلك البض فالحب شعور وجداني بأمر يلائم النفس لا مخر لها في نظرها والخير هو النافع واللايدى والنفع يعرف بالفكر والاذة تعرف بالوجدان فوجدان الحب مدلول لأحد هاتوكليهما

في الحقوق لنا ولنغيرنا ، فحب الذات له حدود . (٤) اذا تجاوزنا الحدود في حب الذات صار ضاراً . (٥) اذا لم نحب غيرنا لا قدر ان نقف عند الحدود (٦) اذا لم نحب ذاتنا ، لا قدر ان نحب غيرنا . (٧) بنض الذات مرض . (٨) قد يكون هذا المرض نافعاً اذا سلمت به النفوس من الشرور . (٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة . « الكلام بقية »

اَنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي

كتابة القرآن بالحروف الانكليزية

كتب بعض المسلمين في الترنسفال الى جريدة في مصر ثلاثة أسئلة لتمرضها على بعض علماء الازهر فرضتها على الشيخ محمد بحيث فأجاب عنها ونشرت الجريدة أجوبته . أحد الاسئلة عن التزوج بأخت الرضية وجوابه معروف وهو انه لا يحرم على الرجل الامن رضىت هي وإياه من امرأة وأما أخت الرضية فلا تحرم ، والسؤال الثاني يتعلق بالاعتداء بالخالف وبيننا الراجح فيه عندنا في آخر الجزء الماضي وأن في المسألة قولين مصححين ولكن الشيخ ذكر ان الاصح خلاف ما رجحناه وهو المذكور في كتب الفقه وهم أسرى تلك الكتب .

وأما السؤال المهم فهو ما جنتاه عنواناً لهذه البتة وقد أجاب عنه الشيخ بجواب نقله عن تلك الجريدة مع السؤال ثم نين رأينا فيه وهو :

«سؤال - ما قولكم علماء الاسلام ومصايح الظلام أدام الله وجودكم هل يجوز كتابة القرآن الكريم بالحروف الانكليزية والافرنسية مع ان الحروف الانكليزية ناقصة عن الحروف العربية ومعلوم ان القرآن الكريم أنزل على لسان قريش فالانكليزي مثلاً اذا أراد ان يكتب مصر بالانكليزية قراً «مصر» أو أحد تكتب «أمهد» ويكتب «شيك» بمعنى شيخ لاسياً واخواننا المسلمون في مصر يعرفون اللغة الانكليزية وغيرها والبعض من المسلمين في جنوبي أفريقيا في جدال عتيق منهم من يجوز ومنهم من يقول غير جائز . أفيدونا ولكم الاجر والثواب من الله تعالى

« جواب - اعلم ان القرآن هو النظم أي اللفظ الدال على المعنى لانه الموصوف بالانزال والاعجاز وغير ذلك من الاوصاف التي لا تكون الا للفظ . وأما المعنى وحده فليس بقرآن حقيقة . وقيل ان القرآن حقيقة هو المعنى ويطلق على اللفظ مجازاً . والحق هو الاول وعليه فلا يجوز قراءة القرآن بغير العربية لقادر عليها وتجاوز القراءة والكتابة بغير العربية للمعجز عنها بشرط ان لا يحتل اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصري يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . وفي النهاية والدرية ان أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسي ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتب فكانوا يقرأون ما كتب في الصلاة حتى لانت أنفسهم . وقد عرض ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه . وفي (الشفعة القدسية في أحكام قراءة القرآن وكتابته بالفارسية) ما يؤخذ منه حرمة كتابة القرآن بالفارسية الا ان يكتب بالعربية ويكتب تفسير كل حرف وترجمته ، ويحرم منه لغير الطاهر اتافاقاً . وفي كتب المالكية ان ما كتب بغير العربية ليس بقرآن بل بغير تفسير آله . وفي الاتقان للسيوطي عن الزركشي انه لم يركب ان يقرأه لعلما مذهب في كتابة القرآن بالقلم الاعجمي وانه يحتمل الجواز لانه قد يحسنه من يقرأه بالعربية والا قرب الشئ كما تحرم قراءته بغير العربية ولقولهم لقلم أحد اللسانين والعرب لا تعرف قلماً غير العربي وقد قال تعالى « بلسان عربي مبين »

« قلنا نحن من ذلك ان انتصوص عند الحنفية جواز القراءة والكتابة بغير العربية للمعجز عنها بالشروط المار ذكرها وان الاحوط ان يكتب بالعربية ثم يكتب تفسير كل حرف وترجمته بغيرها كالانكليزية اهـ

(المار) : عندما سألتان إحداها ترجمة القرآن الى لغة أعجمية أي التعبير عن معانيه بالفاظ أعجمية يفهما الانعجمي دون العربي وهذه هي التي سألتنا عنها الفاضل الروسي ونشرنا السؤال والجواب في هذا الجزء . والثانية كتابة القرآن العربي بحروف غير عربية وهذه هي التي يسأل عنها السائل الترنسغالي . وقد رأى القراء أن جواب الحبيب عنها مضطرب والتقول التي نقلها مضطربة لذلك رأينا أن ننقله ونحرر القول في المسألة تحريراً

المقصود من الكتابة أداء الكلام بالقراءة فإذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها لا تفني غناء الحروف العربية لنقصها كحروف اللغة الانكليزية فلا شك أنه يتبع كتابة القرآن بها لما فيها من تحريف كله ومن رضي بتغيير كلام القرآن اختياراً فهو كافر. وإذا كان الأعجمي الداخِل في الاسلام لا يستقيم لسانه بلفظ محمد فينطق بها (مهمد) ولفظ خاتم النبيين فيقول (كاتم النبيين) فالواجب ان يحبد بجرين لسانه حتى يستقيم وإذا كتبنا له أمثال هذه الكلمات بحروف لفته فقرأها كما ذكر فلن يستقيم لسانه طول عمره . ولو أجاز المسلمون هذا للرومان والفرس والقبط والبربر والافرنج وغيرهم من الشعوب التي دخلت في الاسلام لعملة العجز لكان لنا اليوم أنواع من القرآن كثيرة ولكان كل شعب من المسلمين لا يفهم قرآن الشعب الآخر

وإذا كانت الحروف الأعجمية التي يراد كتابة القرآن بها مما تأدى بها القراءة على وجهها من غير تحريف ولا تبديل كحروف اللغة الفارسية مثلاً في المسألة تفصيل والذي قطع به أن الكتابة بخطها لا تكون إخلالاً بأصل الدين ولا تلاعباً به وإن هو خالف الخط العربي فالفرق بين الخط العربي المعروف والخط الكوفي أبعد من الفرق بين الخطين العربي والفارسي ونرى علماء المذاهب متفقين على هذه الخطوط كلها ولكنهم يعدونها عربية. وإذا قيل إنها مختلفة اختلافاً لا يكفي لتعلم أحدها أن يقرأ الآخر كالكوفي والفارسي: قول: قصارى ما يدل عليه ذلك أن كل خط جائز بشرطه ولكن عندما ما يدل على أنه ينبغي الاتفاق على خط واحد. فهم المسلمون هذا من روح الاسلام فكانوا متحدين في كل عصر على كتابة القرآن بخط واحد يتبع فيه رسم المصحف الإمام لا يتعدى إلا إلى زيادة في التحسين والإيقان. ذلك من آيات حفظ الله وهو عندي واجب فإن القرآن هو الصلة العامة بين المسلمين . والعروة الوثقى التي يمسك بها جميع المؤمنين . ومن التفريط فيه أن يعد المسلم القارئ على مصر قدما من الصين فلا يستطيع القراءة في مصاحفها وكذا يقال في سائر الشعوب . وتصريح كبير من الأئمة بأن خط المصحف توقيفي وأنه لا يجوز التصرف فيه يؤيد مذهبنا .

ولفائل ان يقول : ان في هذا الرأي تنسيقاً على نشر القرآن . وتوزيعه .

الدعوة الى الاسلام ، وإنما نرى النصارى قد ترجوا أن أحيلهم الى كل لغة ، وكتبوها بكل قلم ، حتى إنهم ترجوا بعضها بلغة البرابرة . فما بال المسلمين يضيقون ، وغيرهم يتوسعون ، ؟ ولنا ان نقول في الجواب : إننا جاوزنا ترجمة القرآن لأجل الدعوة عند الحاجة الى ذلك . ولا شك ان الترجمة تكتب باللغة التي هي بها . ولكن المسلم الذي يقرأ القرآن بالعربية لا يحتاج الى كتابته بحروف أعجمية الا في حالة واحدة وهي تسهيل تعليم العربية على أهل اللسان الأعجمي الذين يدخلون في الاسلام وهم قارئون كاتبون بحروف ليست من جنس الحروف العربية

وإذا وجد للاسلام دعاة يعملون بمجد ونظام كالدعاة من النصارى فلم ان يعملوا بقواعد الضرورات ككونها تبيح المحظورات وكونها تقسدر بتدريها . فإذا رأوا أنه لا ذريعة الى نشر القرآن واللغة العربية الا بكتابة الكلام العربي بحروف لغة القوم الذين يدعونهم الى الاسلام ويدخلونهم فيه فليكتبوه به ماداموا في حاجة اليه ثم ليجهدوا في تعليم من يحسن إسلامهم الخط العربي بعد ذلك ليقروا رابطتهم بسائر المسلمين وكما يعتبر هذا القائل بترجمة القوم لكتبهم فليعتبر بحرص الأمم الحية منهم على لغاتهم وخطوطهم . اللغة الانكليزية أكثر اللغات شذوذاً في كلها وخطها ونرى أهلها يحاولون ان يجعلوها لغة جميع العالمين وهم يبدلون في ذلك العناية المنظمة والاموال الكثيرة فما لنا لا نعتبر بهذا ؟؟

وفي جواب الشيخ محمد بن محمد بن مباحث ليس من غرضنا الإحفاء فيها ونكتفي بأن نقول إن ما يصح ان ينظر فيه من قوله هو ما ذكره عن السلف فأمر سلمان أن أريد به انه كتب لهم ترجمة الفاتحة بلغة الفرس فكيف يكون ذلك وسيلة للين ألسنتهم . وهم لم يترخوا الا بلغتهم . وإن أريد به أنه كتبها بالخط انقارسي فالخط الفارسي قريب من العربي ولا دخل له أيضاً بآين الألسنة . والصواب أن الأثر غير صحيح . وأما الحسن البصري الذي ذكره فما هو الحسن التابعي المشهور وكنهه أنه أحد الفرسي الخفية ولا حجة في قوله فكيف يحتج بعمله . على ان فيه ما في الذي قبله وهو أن القسرة بالفارسية لا بآين بها اللسان للعربية إلا ان يقال كان يقرأ الترجمة حتى تمرن لسانه على العربية باستماعها وممارسة نكلام فيها

باب التقرّيب

(كتاب البؤساء)

هو أشهر ما كتبه شاعر فرنسا الحكيم . وأدبها العظيم . « فيكتور هيغو » وهو هو الكتاب الذي رفع به ذكره ، وعلا في عالم المدنية قدره ، حتى صارت فرنسا تفاخر به العالمين ، وتحتفل لشيخوته ولوفاته احتفالات لا يهدئ منها الملوك والسلاطين ، وقد نقلت جميع الأمم الحية هذا الكتاب الى لغاتها وهمّ به بعض المشتغلين بالتعريب فما أطاقوه وكأنهم هابوا بلاغته في لغته لانه في الذورة العليا مما كتب بالفرنسية حتى أقدم عليها محمد حافظ اقندي ابراهيم المشهور برسوخ المرق في العربية وآدابها وطول الباع في التيسيح والتحرير ، والاجادة في المنظوم والمنثور ، فشرع فيه وسلخ في تعريب الجزء الاول منه اثني عشر شهراً - كما قال في المقدمة - وهو نحو ١٥٠ صفحة . وقد قدّم الكتاب الى الاستاذ الامام . وحكيم الاسلام ، فشكر له الاستاذ ذلك بكتاب بليغ نستفي بنشره عن الكلام في مكانة التعريب من البلاغة : ومحلّه من الفائدة . ونبدأ بما كتبه حافظ اقندي في أول النسخة المطبوعة وهو :

الى الاستاذ الامام

انك موثّل اليأس ، ومرجع اليأس . وهذا الكتاب أيّدك الله قد ألمّ بعيش البائسين .
وحياة اليائسين - وضعه صاحبه تذكرة لولاء الامور وسواء كتاب البؤساء وجعله يتألف هذه الكلمة الجامعة وتلك الحكمة البالغة (الرحمة فوق العدل)

وقد غيت بتعريبه لما بين عيشي وعيش أولئك البؤساء من صلة النسب . ونصرفت فيه بعض التصرف ، واختصرت بعض الاختصار . ورأيت أن أرفعه الى مقامك الاسنى .
ورأيك الاعلى ، لا جمع في ذلك بين خلال ثلاث - وألها التيمن باسمك والتشرف بالاتهام اليك - وثانيها ارتياح النفس وسرور اليراع . يرفع ذلك الكتاب الى الرجل الذي يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام - وثالثها امتداد الصلة بين الحكمة الغربية والحكمة الشرقية باهداء ما وضعه حكيم المغرب الى حكيم المشرق

فليتقدم سيدي الى تائه بقوله والله المسؤول أن يحفظه للمدنيا والدين . وان يساعداني

على اتمام تعريبه لتقارئين . اهـ

فأجابه الأستاذ الإمام : بهذا التعريف وهو :

لو كان بي ان أشكرك لظن بالفت في تحسنته. أو أحمدك لرأي لك فينا ابدعت في تزيينه، لكان تقلمي مطمع ان يدنو من الوفاء بما يوجب حقتك. ويجري في الشكر الى الغاية مما يطلبه فضلك. لكنتك لم تقف بعرفك عندنا. بل عمت به من حولنا، وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لفتنا

زففت الى أهل اللغة العربية، عذراء من بنات الحكمة الغربية. سحرت قومها، وملكت فيهم يومها . ولا تزال تنبه منهم خامداً. وترز فيهم جامداً. بل لانتك تحيي من قلوبهم مآلماته القسوة. وتقوم من نفوسهم ماعوزت فيه الاسوة. حكمة أفاضها الله على رجل منهم فهدى الى التقاطها رجلاً منا فجردها من ثوبها الغريب، وكساها حلة من نسج الاديب. وجلاها للتأطر. وحلاها لاطالب. بعد ما أصلح من خلقها. وزان من معارفها. حتى ظهرت محبة الى القلوب. شيقة الى مؤانسة البصائر، تهش للفهم وتبش لاطلف الذوق. وتسابق الفكر الى مواطن العلم. فلا يكاد يلحظها الوهم الا وهي من انفس في مكان الالهام

حاول قوم من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك فوق العجز بأغلبهم عند مبدأ الطريق ووصل منهم فريق الى مايجب من مقصده. ولكنه لم يسن بأن يصيد الى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ويرد اليها ما سلبه المعتدون عليها من مائة التأليف وحسن الصياغة وارتفاع البيان فيها الى أعلى مراتبه. أما أنت فقد وفيت من ذلك ما لا غاية لمريده. ولا مطمع لطالب أن يبلغ حده. ولو كنت ممن يقول بالتأسيخ لذهبت الى أن روح ابن المقفع كانت من طيات الارواح فظهرت لك اليوم في صورة أبدع. ومعنى أنفع. وأملك قد سنت بطريقك في التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك. ويحماها الزمان الى أبناء ما يستقبل منه. فتكون قد أحسنت الى الابناء. كما أجملت في الجمع مع الآباء. وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعد من المعجمة سوى ما هو في الاسماء. الاماكن والاشخاص. لاسماء الماعاني والاجناس. ومثلي من يعرف قدر الاحسان اذا عم. ويعلي مكان المعروف اذا شمل. ويتمثل في رأيه بقول الحكيم العربي:

ولو لي حيث الخلد فرداً
لما أحيت بالخلد أفراداً
فلا هضات عي ولا بارضي
سحائب ليس تنتظم البلاد

فأعجز قلبي عن الشكر لك وما أحقك بأن ترضى من الوفاء بالوفاء
تقول أن الذي وصل سيبك سر صاحب الكتاب ووقف بك على دقائق من
معاني اشتراكك معه في البؤس. ونزولك منزله من سوء الحال. وربما كان فيما تقول
شيء من الحقيقة. فإن كان البؤس قد هبط على صاحبه تلك الحكمة. ثم كان سبباً في
امتيازك من بين المترفين بتلك النعمة. سألت الله أن يزيد وفرك من هذا البؤس حتى
يتم الكتاب على نحو ما ابتدأ وإن يجعلك في بؤسك أغنى من أهل الثراء في نعيمهم
والسلام (محمد عبده)

وقد طبع الكتاب بمطبعة التمدن على نفقة صاحب السعادة أحمد حشمت باشا
مدير الدفعية وهي أرحمة لا يعرفها أهل العربية في أنفسهم إلا ما كان أيام سلطتهم
ونحن النسخة من الكتاب عشرة قروش أميريه وأجرة انبريد قرش واحد وهو
يطلب من إدارة المؤيد ومن مطبعة التمدن بمهر فبحث أهل العلم والادب على اقتنائه
ولقد هم بنشر نموذج منه

(إعانة سكة الحديد الحجازية)

تذكر أننا ذاكرنا صاحب الدولة مختار باشا انفازي في مسألة إعانة هذه السكة
عند مابداً أو بجمعها فقال كان من رأيي أن يفرض على كل مسلم مبلغ قليل في كل سنة
من سني العمل فيكون ذلك مع الموارد الأخرى المخصصة لتفتات السكة ربما ثابتاً
مقدراً ويمكن معه تقدير الأعمال ولا يتلى على أحد من الناس. وكنت استحسنيت
هذا الرأي وقد ظهر لنا الآن أن مولانا السلطان لم يكن غافلاً عنه ولكنه أطلق عنان
الإعانة أولاً ليظهر كرم المسلمين في أول نشأة العمل ثم رجع إلى هذا الآن فأصدر
أمره بتعيين مبالغ أقله خمسة قروش على كل مسلم - وأي مسلم يصبر عليه دفع خمسة
قروش في السنة؟ ويسرنا أن مسلمي مصر قد اندفعوا إلى تأليف اللجان وجمع
الإعانات ونرجو أن يسبقوا غيرهم في هذا المضمار، وإن كره لهم ذلك «أنحاب
السعادة» النظار، فإن كراهتهم لأثر لها في جلب منفعة ولا دفع مضرة «ورضوان
من الله أكبر» وليعلموا أنهم أكثر مسلمي الأرض رخاء وهاهنا وسعة إلا أن يكون
في الصين من يفضلهم في ذلك من حيث لا ندري. ثم أنهم قد ذاقوا مرارة صدمهم
من بيت الله وإقامة العقبات في وجوه مريدي الحج إليه ولا يدرون ما هو غنما لهم
في المستقبل فليبادروا إلى تسهيل سبل بيت الله وأجرهم على الله وهو لا يضع أجر المحسنين

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أوامره أولئك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الألباب

الملحمة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً
بذكر أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى وماناراً كمنار الطريق)

(مصر - الاحد ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢١ - ١٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣)

﴿الكرامات والخوارق﴾

(المقالة الرابعة عشرة في أنواع الخوارق وضروب التأويل والتعليل)

﴿النوع السادس كلام الجمادات والحيوانات﴾

قال السبكي : ولا شك فيه وفي كثرة ومنه ما حكى أن ابراهيم ابن آدم جلس في طريق المقدس تحت شجرة رمان فقالت له « ياأبا اسحق أكرم في بأن تأكل مني شيئاً » قالت ذلك ثلاثاً وكانت شجرة قصيرة ورمانها حامضاً فأكل منها رمانة فطالت وحلأ رمانها وحملت في العام مرتين وسميت رمانة التمايدن . وقال الشبي : عقدت ان لا أكل الا من حلال فكنت أدور في البراري فرأيت شجرة تين فمدت يدي لأكل منها فتادتني الشجرة « أحفظ عليك عقدك ولا تأكل مني فاني ليهودي » فكففت يدي : هذه حكايات السبكي التي بنى عليها في الشك في هذا النوع وان لم تتفق مع أصله وشروطه ولم ترو بطرق صحيحة وأسانيده معروفة . واذا صح ان ابن آدم والشبي قد قالا ما نقل عنهما في ذلك فلا تقرب أنهما كانا يعينان القول بإسنان لحال فحمله بعض الناقبين على لسان المقالحبا في الإغراب او غلوا في تعظيم الصالحين على ان من الصوفية من يقول بأن صفة الحياة سارية في جميع المخلوقات حتى الاحجار والمعادن ويموتون قوله تعالى « وان من شيء الا يسبح بحمده » على ظاهره فيقولون

انه تسبيح حقيقي قولي لالسان حال ودلالة أثر على مؤثر . والقضية ممكنة في ذاتها ولا يبعد ان يكون لكل صنف من المخلوقات حياة تليق به بل هذا هو التلحق بالإبداع الالهي وانتظام العالم ولكن البعيد ان يكون الجماد واثبات ، عالين بسائر الشئون وناطقين بجميع اللغات . فبذلك ان هذا باسائه . ويفصحان لذلك عن بعض شأنه ، وأبعد من هذا البعيد ان لا يكون ذلك الكلام المزعوم سنة عامة بأن يكون خروجاً عن السنن الالهية لتحقيق لابن آدم شهوته . ولأشلي عزيمته ، ومثل هذه الحارقة مما نقل عن عباد التصاري (كاسيريدون المعجاني) وحكاياتهم فيها شبيهة بحكاياتنا وكل حزب بما لديهم فرحون

التنوع السالغ إبراء العلل

أشار السبكي في الكلام على هذا النوع الى حكاية الرجل الذي لقيه السري السقطي ببعض الجبال يرى الزمنى والعميان والمرضى ، والى ماروي عن الشيخ عبد القادر الجيلاني من انه قال لصبي مقعد مفلوج أعمى مجذوم : قم باذن الله : فقام ممافى لاعادة به . أقول وقد ذكر الشيخ علي القاري هذه الحكاية مفصلة في كتابه (ترهة الحاطر الفاتر . في مناقب السيد عبد القادر) وأوردتها في كتاب (الحكمة الشرعية) وقيت من بعدها بحكاية أخرى لصاحب هذا الكتاب . وامثال هذه الحكايات كثير عن الصالحين جدا ولا شك عندي في ان الكثير منها صحيح لاشبهه فيه . ويقل مثله أيضاً عن رجل الدين المتقدمين من التصاري والوثنيين وقد وقع على يدي شيء من ذلك في بعض الأمراض العادية ، وليس في ذلك شذوذ عن السنن الطبيعية ،

ان الوهم يفعل في شفاء الأمراض العصبية ما لا يفعل العلاج ، ولا يوجد آثار للوهم أقوى من اعتقاد المتقدمين بالسلطة الروحانية والقوى القلبية يؤتاها بعض رجال الدين . ويكفي في توثيق عرى هذا الاعتقاد في المستعدين له ما ينقل اليهم بلسان زيد وعمر . وهند ودعد . من الحكايات الغريبة ، والوقائع العجيبة ، واذ ارأى أحدهم بعينه واقعة منها أو بعض واقعة أو شبهة على واقعة كأن يرى فلانا الذي كان مريضاً قد شفي بعد رقية رقي بها . أو تممة علت عليه . فهناك الجزم بأن كون الشيخ فلان يشفي المرض بالسر . ويرى انما بالبركة . من القضايا اليقينية الاولى ، لا يتسرب اليه الشك . ولا يحوّم حوله الريب . وان من ينكره فهو مريض بالاعتقاد ، أو من أهل الجحود والالحاد .

عرف هذا الأطباء والعقلاء فاستعانوا بالإيهام على معالجة الأمراض العصبية فنجحوا نجاحا عظيما وهم يفتنون في تصوير الوهم بالصور المناسبة لحال المرضى في اعتقاداتهم بل يخفون لهم اعتقادات يبعث الاشخاص أو يبعث الادوية وباللون في تعظيم شأنها حتى يشغلوا خيال المريض بها ثم يساطونها على مرضه . وانك لترى حكيمًا من الحكماء يدعو الى منزله دجلا من الدجاجلة الذين يدعون التصرف في الجان والساطة على العفاريث الذين يمسون الاناسي — يدعو له ليعالج بإيهاماته الدجالية امرأه عنده مصابة بمرض عصبي مما يسميه الأطباء (الهستيريا) بعد أن يعجز عنها الأطباء . ويخيب فيها كل دواء . فتشفي برؤية زيه وزنه ، وشتم بخوره وسباع رقيقته . ويعترف له ذلك الحكيم بأنه يفعل بكلماته وعزائمه . مالا يفعل الطبيب بأدوية ومراحمه . أقول ان هذا الحكيم يعتقد بحقيقة هذه الحرافات ، ويدعي بأن ذلك الدجال من أهل الحوارق والكرامات ، أم تقول أنه ساط الوهم على الوهم ، كما يدفع في الجدل الرأي الفاسد بالدليل الفاسد ، وانه يرى المريض في عصبه كالمرض في عقله . ذلك يتأثر بأوهام الدجل . وهذا يقتنع بمغالطات الجدل ؟

الامراض العصبية التي تقع فيها الاوهام ضروب مختلفة منها بعض فنون الجنون ومنها مقدماته . ومن المصايين بها من يعتقد بالشيطان يخاط روح الانسان ويعتقد بأن لبعض الناس ساطانا على الشياطين بطريقة صناعية كلبدعة الذميمة التي يسمونها (الزار) : وهي منبع المآثم والاوزار ، أو بطريقة روحانية كبركات الشيوخ وورقهم وعزائمهم . ونجد الذين ينتحلون هذا الامر بسلوك كل من الطريقتين يعيشون في مثل هذه البلاد بأكل أموال الناس بالباطل فكثيرا ما يوهمون من يرونه مستعدا لهذه الامراض من النساء والرجال بأنه مصاب بها وما هو بمصاب فيؤثر قولهم في نفسه فيمرض ويحكمهم في نفسه يعالجونها كيف شاؤا . بل يحكمهم في حاله وشرفه أحيانا وكثيرا ما يزيدون اللهاء إعضالا بحمقهم وسوء سلوكهم

جاءني جريدة المؤيد وأنا أكتب في هذا النوع فراءيت في رسالة الاسكندرية منها كلاما في انتشار وباء الزار في تلك المدينة وفعله في النفوس والأعراض ما لم يفعل الطاعون في الاجسام . وفي الاموال والعروض ما لم يفعل القمار والدمام . وقد رأيت ان أنقل ما كتب الكاتب بنصه فقرأه تحت عنوان بدعة الزار

﴿ مضار بدعة الزار ﴾

وأصدرت محافظة شرفنا في الاسبوع الماضي أمراً الى أقسام المدينة بمراقبة النسوة المشتغلات بالزار لان جمعياتهن كثرت برواج خزعبلاتهن فألحقن بربات البيوت أضراراً أدبية ومادية لا يحسن التفاوضي عنها وعهدت المحافظة أمر تجسس هذه المحرمات الى مشايخ الحارات فلما أنها تستفيد من دقة مراقبتهم وتضرب بواسطة نفوذهم على أيدي أولئك النساء الشريرات

فأما نحن فنقول ان أوامر نظارة الداخلية الصادرة من عشرينين وسيف والمصدق عليها من مجلس علماء الازهر الشريف وإفتاءه بتحريم استعمال بدعة الزار الشنيعة لم تكن في حاجة الى أوامر جديدة وهمة حديثة ليقال معها ان حكومتنا اليوم التفتت الى ضرر لثلافيه ونظرت الى محرم فلاحتته بعدلها بل يجب أن تصرح بأنها أغضت زمناً عن واجب مقدس ثم تنهت الى نظام موضوع من أجله فهبت الآن لتلافي الشر ووقاية هاته الميالات وثروتها وآدابها من نتائج الكثرة التي منها الاملاق والجنون والطلاق والمروق عن جادة الاستقامة والنفاد وغير ذلك من الاضرار الظاهرة التي لا تحتاج الى استطلاع وفلسفة

وأما الاملاق والجنون فيمكن أن نشير اليهما بمحادثة امرأة أشفقت على ابنتها المصابة بمرض عصبي (هستيريا) فاجأت الى الزار فصارت تبذل لمن مطالبهن الكثير من ذهب وطعام وغم ودجاج حتى احتاجت الى المال فباعته كلها الوحيد الذي يستظلون به ويأجأون اليه وكانت النتيجة جنون الفتاة وموت أمها غماً وقهراً لان ألباب الزار وأوهامه من شأنها أن تثير العواطف وتنبه الاعصاب الى ما كمن من الداء فيظهر بشدة حينئذ ويصبح على التوالي ملكة لا يرضيها غير هذه الاعمال الخيالية النفسانية فبدلاً من تسكين لامجها يزداد شراً على شر ويكون من نتائج الجنون وكفى بالنقر مذهباً للرشاد ومضيقاً للمقول

وكم من زوج طلق عرسه لتبذيرها وبذها طاعته في سبيل هذا الزار الذي استحکم فصار عادة بين النساء وموضع افتخار بمضهن وقليل من العقل والروية يكتفي لتبذال رجل زوجته ان واثت معاندته والعمل على اساءته وهي لا تدري انه البر الرؤف

بها في منها عن الانغماس في حماة هذه الاوضاع بل تظن به الشح والوسواس والكفر
والسكرانة الى غير ذلك من الطنون السخينة التي تزرعها نساء الزار في رموس
لبسيطات من هؤلاء الامهات والفتيات فيفذين على راحتين ومستقباهن قضاء مبرما
بالتفرقة والحراب وكفى بهذه النتائج الحزنة داعياً الى التفات الحكومة ومطاردتها
للمشتغلات بهذه الدنيا والزايا

وأما المروق عن جادة الاستقامة والعفاف فهذا كثير فان لقورمانات الزار فتونا
وحيا ينثر منها ابليس ويستعبد بسلبها منون بالله فوق قدرته لوأبناها في هذه
العجالة وقليلها يكفي للإشارة الى سوء الحال وشر المال

وحكي ان امرأة تعشقها سفيهة فتنال للوصول اليها كثيراً حتى لجأ الى زار
الزار فلدى دورهن مع المرأة حتى أثرت عليها بأنها مدموسة بروح شريرة مما يبرن
عنه (بأن عليها شيخ) وعند ما ملكنها بهذه الحزينة قلن لها ان شيخك يحب شابا
صفته كذا وكذا الخ الخ . ولا سبيل لسكون هذا القادر الا باجتماعها وما زلن بها
حتى رضيت بالشاب فكان من اجتهادهما ما كان من سكون لواعج انفس بطرد حركة
الشيخين . . . وكثيراً ما يجمع النسوة الثمريرات مديرات الزار الرجال بالنساء
ويعمدن سبل الدنيا والمواقف على أشكال وضروب لا يلقى بينها وبذلك تفوض
أسس المحبة الزوجية فتكون المواقب أشد وخلة على الذرية التي لم تحن ما جاء
الابوان من جهلها وتساهلها

والفلية من رسالي هذه انما أريد افهام الحكومة ان تكليفها مشايخ الحارات بمراقبة
المشتغلات بالزار ومنازل طلابهن ومريدين لاخير فيه ولا فائدة لانها تقبح لمؤلا
المشايخ المراقبين باب رزق وسبع فانهم يسمون الآن باحثين منقذين على من يحجى الى
الزار وأيامه ليستيدوا أمانة الصمت والتواضي وهو ربح حسن بفضل الارباب المائدة
عليهم من الخافر والضمانات وغيرها . . . وبذلك يزيد الزارات اثاراً وضراً ما به نصه
(النار) ان مارآه الكاتب في مشايخ الحارات صحيح فانهم قوم لا خلق لهم . واذا
كان وجهه الناس والذين يظن فيهم العقل والأدب والدين يتخذون للنساء المتحلات
لبدعة الزار الضارة ويستقدون فيها فماذا عسى ينتظر من مشايخ الحارات وأكثرتهم

من التحوت والقوغا الذين يشترتون بالآداب والأعراض ثمنا قليلا ولو جلت
الحكومة لمن يدها على ذلك جملا ولو قليلا لما خفي عليها شيء وتيسر لها أن تستصل
هذه البدعة الفاضلة استصلا

ومن الحجاب أن الرجال يسمعون بآذانهم ويقرعون بألسنتهم ويشاهدون
بأعينهم مفسد الزار وقتك بالأموال والأعراض وإفساد الأخلاق والمعاقد وهم مع
ذلك يسمحون لساكنهم بعمله وبحضوره فأني شرف وأي نخوة بقي عندهؤلاء الرجال
السفهاء الاحلام المتي الإرادة ؟ والله لو صالح الرجال لما فسد النساء والله ما أفسد
النساء الا لرجال فلن الله من لا غيرة له ، ولن الله من لا خيرة له ، ولن الله من لا شرف له ،

لكل قوم نصيب من الوهم يليق بمحلم واعتقادهم وقد ألما الى بعض شأن
الذين يعتقدون بالارواح الخيرة والشريرة وأما الماديون والروحيون الذين يعتقدون
ان الارواح أمور غيبية لاساطانها الا في أبدانها التي تحيا بها وأن لجميع الامراض
أدوية يعرفها من يعرفها ويحبها من يحبها (كما ورد في الحديث) فان لوهم منافذ
أخرى الى نفوس المصابين بالامراض العصبية منهم كاعتقاد دبراعة الأطباء واكتشافهم
واختراعاتهم ، وبأخبار الذين شفا بمعالجتهم ، وان كثيرا من أطباء أوروبا وأمريكا
يعالجون امثال هؤلاء المرضى بالادوية الوهمية . حكي ان امرأة منهم أعزل داؤها ،
وعز شفاؤها ، فجاء بعض الأطباء الذين كانوا يعالجونها وقال : ان كل تلك الادوية التي
كانت تدوى بها من المسكنات وانه لم يبق الا علاج سام خطر هو الشافي قطعا ولكن
لا يمكنني ان أعطيها منه الا بشروط منها أن لا تزيد عن المقدار الذي أعينه نقطة من
السائل ولا مقدار ذرة من الجامد ومنها ان تأخذه في المواقيت المعينة لا تتقدم دقيقة
ولا تأخر دقيقة ومنها أن نكتب كتابا ونسجلها في المحكمة بأنه لانية عتي ولا مطالبة
اذا هي ماتت مسمومة لأنني لا آمن من مخالفتها في المواقيت او المقادير : وقد تردد
أهل المريضة في قبول الشروط ولكنها هي قبلت بها لان المرض كان منها التام
والراحة فما زالت تلج عليهم حتى قبلوا وكان شفاؤها في ذلك الدواء ، ولم يكن الا
الدقيق والسكر والماء .

عرف الناس تأثير قوة الاعتقاد الوهمي فضرّبوا لها المثل «لو اعتقد أحدكم بحجر لفعمه، ويظن بعض العامة أن هذا حديث لأنه مؤد للمعنى العام بعبارة وجيزة وبذلك امتازت الاحاديث النبوية.

ثم إن الجهل بأمور الدين والدنيا معاً فسرّه لأهل هذا العصر بغير معناه وإن شئت قلت بتقيضه فهم يزعمون أن فيما يستقد - وإن حجراً - تدعاً حقيقياً ثابتاً له لا ينفك عنه ، فهم يمسحون ببعض الأحجار ، ويطلقون ببعض الأشجار ، ويتركون بماء بعض الآبار ، ويستقدون أن فيها خواص تشفي الأمراض ، وتقضي الحوائج والأغراض ، ثم إنهم يلصقون ذلك بالدين ورجالته ، ويعدونه من دلائل صدق وآية ، وينفل أهل كل ملة عن مشاركة أهل المال الأخرى لهم فيما يدعون ، واستدلّاهم بمثل ما يستدلون ،

كتبنا غير مرة في مقاصد الاعتقاد بهذه الجادات والأشجار كمعمود الرخام في المسجد الحسيني وباب المتولي وشجرة الحنفي ونعل الكلثني وغير ذلك ، ولم ينس قراء النار بل أهل مصر كلهم ما كان منذ ستين ونيف في المسجد الحسيني من الجليلة والضوضاء في آخر الدرس الذي كنا نلقيه هناك إذ نهينا الناس عن التمسح بالعمود الذي يسمونه عمود السيد استشفاء به وطلباً للبركات منه فاحتج علينا بعضهم بالمثل الذي جعله الجهل حديثاً نبوياً ولما ينالهم معنى المثل وكونه غير حديث وأنه لو كان حديثاً وكان معناه زعموا لكان حجة على تضع عبادة الأصنام قبل ذلك الجماهير وكان في الصفوف البعيدة من حاضري الدرس من لم يسمع القول فطفقوا يتساءلون: ماذا قال في الحديث ماذا قال في الحديث : فاجاب بعض الذين وعوا القول بالصواب ودس بعض المرجفين أقوالاً كانت منار اللفظ والضوضاء كقولهم أنه أنكر حديث رسول الله (بمعنى كذبه) وقولهم أنه قال إن سيدنا الحسين صنم لا يضر ولا ينفع وأمثال ذلك

أليست هذه الفتن والبدع والعقائد الفاسدة المفسدة للعقول والأرواح ناشئة كلها عن الاعتقاد بهذا النوع من الحواري الوهمية التي دخلت في الدين من تلك الأقاويل التي أثبت بها مثل التاج السبكي من غير ينة ولا بيان ، ولا حجة ولا برهان ، إلا زعم فلان ودعوى فلان ؟ ، إلى

هذا وجه من وجوه تحليل ما نقل في هذا النوع وهو مقول مقبول وعليه أكثر العقلاء . وبقى وجه آخر يقول به بعض الناس في بعض الوقائع — ونسب بالناس أهل العلم والبحث — وهو تأثير النفس في النفس ويبر عنه الصوفية بتأثير الهمة ويثبتونه لغير المسلمين حتى الوثنيين وهو ثابت عند حكماء اليونان والعرب وغيرهم وحكي ابن خلدون وقائع منه .

معمود عند جميع الناس رؤية أشخاص يرفعون قنطارا (مصريا) عن الارض وقل من رأى بعينه أشخاصا يرفعون عدة قناطير فاذا قيل لهؤلاء ان يقصر روسيا السابق كان يأخذ كرتين من الحديد كل منهما عدة قناطير ويقذفهما في الجو واحدة بعد أخرى ثم يتلقى كل واحدة بيد قاذفا لإياها في الجو ويمد ذلك المرة بعد المرة زمنا طويلا — ينكر أكثر المعروفين بالمقل والروية هذه الرواية لان في الناس المولع بانكار الغرائب التي لا يسهل مثلها كما ان منهم المولع بنقل الغرائب التي لا يسهل لها نظير . ويهد جميع الناس ان يروا حزينا قثوثر فيهم حاله حتى يمتنعوا وربما بكى فأبكى ويهد قليل من الناس من تأثير بعض الوعاظ ما توجل له القلوب وتذرف منه السيون ويحمل كثيرا من الناس على الرجوع عن حال الى حال ، وعلى الخروج من المقار والمال ، وليس هذا تأثير الكلام خاصة وإنما العمدة فيه على تأثير النفس . وقد كان بعض الوعاظ الصالحين يعظ فيتوب قوم ويكفي ناس ويموت آخرون فليل له ان فلانا أفصح منك في التذكير لسانا ، وأوضح بيانا ، فبال كلامه لا يؤثر ، ولا يستيب ولا يستعبر ، فقال : ليست الناشئة الكلبي كالناشئة المستأجرة : يريد ان التأثير بالحال ، لا بزخرف المقال ، — واذا قلت لهؤلاء الناس ان في الناس أفرادا لهم قوة نفسية ، وهمة روحانية ، اذا وجهوها الى نفس أخرى فاتها تؤثر فيها التأثير الذي يريدونه متى صح التوجه ينتفضون رؤوسهم وينكر أكثر أهل البحث والروية هذه الرواية . واذا دام أهل العلم في انقرب على مجهم في الامور الروحية فان هذه المسألة ثبتت عندهم بالتجربة التامة . وكما يكون هذا التأثير في شفاء المرضى يكون في إحداث الامراض ولبعض الناس في كل أمة استعداد قوي له اذا استعملوه زاد قوة وتأثيراً



﴿ شبهات النصارى وحجج المسلمين ﴾ (تمة الكلام في شبهة الثانية على القرآن)

(الشاهد الرابع) زعم المعارض أن ما في سورة المؤمن من أن موسى أرسل إلى فرعون وهامان وقارون يدل على أن قارون من قوم فرعون فهو مناقض لقوله تعالى في سورة القصص « أن قارون كان من قوم موسى فبني عليهم »

وتقول في الجواب أن كون قارون من قوم موسى مجمع عليه عند المسلمين سلفهم وخلفهم كما قال ابن عطية وقالوا أنه من ذوي القربى لموسى عليه السلام ولكنهم اختلفوا في جهة القرابة فنقل عن ابن عباس وغيره أنه كان ابن خاله وقيل غير ذلك مما لا يمتنا ولم يفهم أحدهم العرب ولا بمن بعدهم من أهل اللغة ما فهم هذا النصرائي في آخر الزمان قال تعالى في سورة القصص أن رجلاً اسمه قارون كان من قوم موسى وكان طاعياً بعلاً بالله فبني على قومه بني إسرائيل فأئذروه عاقبة النبي ونصحوا له بأن يتبعي بالله الدار الآخرة إلى ما يتبع به من الدنيا فلم يقبل وكل هذا يدل على أنه كان كافراً طاعياً جاحداً من قوم سبق لهم إيمان وكتاب. وقال في سورة المؤمن أنه أرسل موسى إلى فرعون وهامان وقارون فذهب بعض المفسرين إلى أن قارون هذا كان مصرياً وكان قائداً لجند فرعون وذهب بعض إلى أنه قارون الإسرائيلي ولكنه ذكره مع فرعون ووزيره هامان لأنه كان رئيساً باغياً منهما وهؤلاء الرؤساء العظيمة البغاة هم الذين يحولون بين الرسل والامم وإنما أرسل الله تعالى موسى لمداية بني إسرائيل كما علم من النص ومن الواقع. ولما كان بنو إسرائيل مستعبدين مقهورين لفرعون وكبار أعوانه كهامان وقارون ابتداء موسى بدعوة هؤلاء بأمر الله تعالى حتى أراهم آياته وكانت العاقبة إخراج بني إسرائيل من مصر وإيمانهم الشريعة

لأدليل بل لأشبهه على التناقض في قول من القولين أي مانع يمنع أن يكون هناك قارونان في زمن واحد أو زمنين مختلفين فإن قارون قوم موسى ذكر ولم يذكر في قصته أن موسى نصحه له أو دعاه إلى شيء بل جاء فيها أن قومه هم الذين نصحوه له « إذ قال له قومه لا تفرح » إلى آخر الآيات فيجوز بل يقرب أنه كان بعد موسى . ثم أي مانع يمنع أن يتخذ فرعون لنفسه رجلاً إسرائيلياً باغياً فسق عن تقاليد قومه وصار

لا يهيه الابيع مصالحهم بما ينفخ شخصه ويجعله عوناً له على الاسرائيليين ويحكمه فيهم لانه أعلم بدخائليهم. وأدري بمقتاتهم . أليس من المهود في كل زمان أن يستعين الذين يحكمون أقواماً غير قومهم بأفراد من أولئك الاقوام يبيعون مصالح قومهم للحكام الاجانب بالمال والجاد لا شخاصهم فلماذا يستنكر ان يصطنع فرعون لنفسه طاغية من الاسرائيليين يكون واسطة بينه وبينهم فيما يريد من ضروب الاستبداد والاستعباد ؟ ثم اذا فرضنا انه لم يكن عاملاً لفرعون ولا صديقه له وإنما كان غنى بني اسرائيل وأقوالهم ساطناً وأنقذهم شوكة كائناً عليه سورة القصاص أقليس هذا مسوغاً لأن يذكر مع فرعون وهامان وقد استن بسنهما. وجرى على طريقتهما ؟ بلى ولكن الذي يتامس التناقض في القرآن ، لا يظفر الا بمثل هذا الخذلان ،

(الشاهد الخامس) زعم ان قوله تعالى في موسى : « ناما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم » يناقض قوله تعالى « اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن أنذقيه في الثابوت فأنذقيه في اليم » فان هذا القذف لم يكن الا هرباً من أن يقتله قوم فرعون فدل ذلك على أنهم كانوا يقتلون الاطفال قبل بعثته .

وقول في الجواب أولاً ان هذه الآية لم تعال بهذا التعليل وإنما ذكرت غايتها المقصودة منها بالنص وهي قوله تعالى « يأخذه عدو لي وعدو له » أي ان الغاية من قذفه في اليم أن يأخذه فرعون ويربیه فيكون من أمره بعد ذلك ما يكون . وثانياً ان الامر بقتل الابناء أولاً لا ينافي إعادة ثانياً لاجل التأكيد والتشديد عند وجود المقتضي .

ومثال هذا حاضر بين أيدينا - فطار الحكومة المصرية كانوا هموا جميع المستخدمين في الحكومة أن يجمعوا ما لا لا عانة سكة الحديد الحجازية أو يساعدوا الحجاجين وكان ذلك من عدة سنين ثم أعادوا هذا التمهيد الآن بمناسبة توجه الناس الى الاعانة بعد أمر السلطان بمطالبة المسلمين كافة بائانة اختيارية أقالها خمسة قروش على الشخص وأ كثرها غير محدود . وقد ذكرت الجرايد هذا وذلك فهل يقل ان التمهيد الثاني يناقض التمهيد الاول ؟ كذلك كان فرعون قد أمر القوابل بأن يقتل أبناء بني اسرائيل ليقبل نسلهم فلما ظهر موسى ودعا له أتباعه وإلى إرسال بني اسرائيل معه أكد الامر الاول وأعاده أو أمر بما هو أشد منه وهو ان يقتل الابناء جوراً . هذا الامر . وانق لذلك لا تناقض له فان لتناقض أن تكون إحدى القضيتين موجبة والاخرى سالبة كقول يوحنا في الفصل الخامس من انجيله حكاية عن المسيح عليه السلام « ٣١ ان كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقاً » مع قوله في الفصل الثامن

« ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » أرأيت أيها القارئ المصنف لو كان يوجد في القرآن أمثال هذا التناقض ماذا كان يقول ويكتب هؤلاء المجاحدون الذين يسمون الحكاية عن الأمر بمعنى الأمر تناقضاً ويسمون اختلاف القضيتين في الإيجاب والسلب توافقاً يدل على الألوهية ؟؟

(الشاهد السادس) زعم المعتز ان قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والناصري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقوله عز وجل « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » متناقضان لقوله تعالى « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فان قبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وقوله عز شأنه « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تبارك اسمه « وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان اتهموا فقلاعدوا لا على الظالمين »

ونقول في الجواب ان المعتز يعترض بعض المذر أن لم يفهم هذه الآيات حتى توهم أنها متناقضة وإن كانوا يقولون ان الذي كتبها أو صححها هو أعلم النصارى بالمرية (الشيعة يبراهيم اليازجي) فان هؤلاء ينظرون في كتاب الله ليعترضوا لا يفهموا ولو اتفقوا لفهم لفهموا على ان منهم من يفهم ويكره نفسه ويماري الناس فيقول غير ما يعتد .

معنى الآيات ظاهر وان كان للمفسرين في فهم بعضها وجوهان فأما الآية الاولى فنحنها ان كل أمة من الامم المؤمنة بالوحي والانبياء لا تكون آمنة ناجية بمجرد ايمانها الى دين النبي الذي بعث فيها ولكن ائنا حين منها هم الذين يصح ايمانهم بالله وباليوم الآخر ويكون على وجه الحق ويعملون الصالحات . وهذا حكم لا يمارض كون الدين اختياراً لا إكراه فيه ولا الزام ولا يمارض الاذن بمحاربة المعتدين من الكافرين والمنافقين ولا البغاة من المؤمنين فان الله تعالى أمر بقتال الطائفة الباغية حتى نفي الى أمر الله وأما الآية الثانية فنحنها ان الدين يقوم بالدعوة والدعوة تؤيد بالحجة وبيان الرشد في الايمان من النبي في الكفر

وأما الآية الثالثة فنحنها ان الاسلام هو دين الانبياء الذي كان عليه ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولا يقبل الله تعالى ديناً غيره في الآخرة ولم يكن معنى من الاسلام الذي دعي اليه الناس في القرآن ما سيكون عليه الطوائف الذين يسمون أنفسهم مسلمين كيفما كانت عقائدهم وتقاليدهم حتى المجسمة والباطنية والتصيرية وانما معناه الدين الذي روحه اسلام الوجه (القلب) الى الله تعالى والاخلاص له في العبادة والطاعة كما قال « فقلت أسلمت وجهي لله ومن

اتبعني » وقال « ملء أبيكم إبراهيم هوسا كم المسلمين من قبل » وقال « وصحى بها إبراهيم بنيه ويقول يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا و أنتم مسلمون » فعمل من هذه الآيات وأما لها ان المراد بالاسلام دين الانبياء من ابراهيم الى محمد عليهم السلام . ولقد كان الانبياء من قبل إبراهيم على دينه ولكن ابراهيم أقدم الانبياء الذين لم يمت ذكرهم ولم يقطع التوحيد من ذريته . وهذا المعنى مطابق لآية الاولى مطابقة تامة

وأما الآية الرابعة الآمرة بمجاهد الكفار والمتنافقين فليس فيها كلمة تومي الى ان الجهاد لاجل الاكرام على الدين كيف والمتنافقون كانوا يتلبس بالدين في الظاهر وكان النبي يسامهم معاملة المسلمين حتى ان المفسرين قالوا ان الجهاد لا يصح هنا الا اذا كان بمعنى الحاجة بالبرهان فان الجهاد في اللغة ليس بمعنى القتال وانما هو بذلك الجهد في مقاومة شيء ولذلك أمرنا بمجاهد أنفسنا في بذل الجهد في مقاومة شهواتنا . وضح ان يكون الامر بمجاهد الكافرين والمتنافقين معا بمعنى مقاتلتهم اذا كانت الآية تنزل في مثل غزوة الاحزاب التي اتحد فيها طوائف المشركين مع اليهود والمتنافقين من الفريقين على استئصال المسلمين وفيها حدد الله المتنافسين بقوله « لئن لم ينته المتنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغربنك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا »

فمن ان القتال شرع في الاسلام لمقاومة المعتدين وتأمين المؤمنين الذين كانوا يفتنون عن دينهم في أنفسهم وأهلهم ويدل على كونه مأذونا فيه للضرورة والآيات الواردة فيه . أول هذه الآيات نزول الآية بالسيف وهي قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون (بفتح انا) بأنهم ظلموا (بضم الظاء) وإن الله على نصرهم لقدير » الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوات وآتوا الزكاة وأمروا بالعرف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » ولا تنس قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

وأما الآية الخامسة وهي قوله تعالى « وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » فهي مطابقة لهذه الآيات والمعنى الذي قلناه في حكمة الإذن بالقتال أي قاتلوا هؤلاء المعتدين عليكم لانكم مؤمنون والذين يفتنونكم عن دينكم يردوكم الى دينهم ان

استطاعوا حتى تزول هذه الفتنة والاعتداء لاجل الدين ويكون الدين خالصاً لله لا يكره عليه أحد ولا يفتن عنه أحد أي ليتني الاكراه بالالزام به والارجاع عنه وتكون الدعوة اليه أمانة لتظهر الحجة . هذا هو معنى الآيات لا يقبل تأويلاً وهي ملثمة يؤيد بعضها بعضاً

(الشاهد الثامن) زعم المعتز أن قوله تعالى « كذبت عن المسيح » والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » مناقض لقوله « وما قتلوه وما صلبوه » - إلى قوله « بل رفعه الله إليه » والجواب أن الله تعالى ذكر في آية أخرى أن الرفع يكون بعد الموت وهي قوله « يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ » ففي القتل والصلب لا يستلزم نفي الموت بل جرى عرف اللغة على أن لا يمر بلوفاة والموت عن القتل والصلب بل ممن يموت حتف أنفه . وبهذا وما قبله تبين أن شواهد المعتز على تعارض القرآن وتناقضه فظاهرة البطلان ويعد أن يكون مثل ذلك أثواف (الانكليزي) والمدحج (الشامي) والناقل (القبطي البروتستنتي) معتقدين بها وإنما هم سيثوا التصديقون أن يشككوا عامة المسلمين في دينهم ليجذبوهم بحبال الاوهام الدنيوية الى ذلك الذين الذي يضم الشاكيين والملاحدين ، ويؤلف منهم عصية لمقاومة المسلمين ،

القسم العمومي

﴿ نظام الحب والبغض - تابع ويتبع ﴾

(١) الإنسان يحب ذاته - قضية يؤيدها الحس وبها تتصل كل اعماله وكل محباته ومن محبة لذاته تحمله الآثام العظيمة والآلام الشديدة في العاجل لأمله ان تبقى ذاته وتنال خيراً في الآجل . وهذا أعظم الأمثلة لمحبة الانسان ذاته .

(٢) حب الذات في أصله طبيعي ونافع - هذه المحبة تخافق مع الانسان من قبل ان يعرف نفسه وغيره ، ومن قبل ان يعرف اثنافع والضار ، والدليل على ذلك انه منذ يبدأ ان يعرف النافع والضار من طريق الحس يبدأ ان يحب مرضعته قبل سواها . وهل يقتدر أحدان يملأ محبة الطفل ارضعته بشئ غير طبيعي ؟ وهل ذلك الشئ الطبيعي أمر غير محبة الإنسان ذاته بحسب الحيلة؟ ولا ريب في ان هذا

الشيء الطبيعي نافع لازم . أما كونه لازماً فقد يدلنا عليه كونه طبيعياً لأنه من الجرب عند قراء سنن الوجود أن الشيء متى كان وجوده لازماً من اللوازم العامة كان طبيعياً وأما كونه نافعاً فلأنه الأساس الأعظم في حفظ الشخص وبقاء النوع . وستأتون على تفصيل هذا الأجل مرات كثيرة . ومن الجرب المحقق أن محبة المرء ذاته تنمو فيه على التدريج منذ طفولته إلى أن تكمل رجولته . ونفعها ينمو على هذا الوجه وأعظم آثارها شيان طبيعيان متضادان تنشأ عنهما آثار متضادة أيضاً . هما شهوة تجذب ، وغضب يدفع .

(٣) ذات غيرنا كذاتنا ، فلا بد من حد في الحقوق لنا ولغيرنا ، فحب الذات له حدود - قل أن نجد قضية مستغنية في ذاتها عن قيود وشروط فقولنا « محبة الذات ناعمة » قضية لا تسلم من الجرح إلا إذا ساعدناها بشرط وقيدناها بقيد . وهذا الشرط مشروح بكلمة « ذات غيرنا كذاتنا » وتوضيحه أننا إذا لم نضع لذاتنا حداً لا يضع غيرنا لذاته حداً . فما نطلبه لذاتنا يطلبه غيرنا لذاته . ويظهر من هذا أن محبة الذات لا تكون ناعمة إلا إذا كانت تابعة لنظام وواقعة عند حد . ويتبع ذلك ما ترى :

(٤) إذا تجاوزنا الحدود في حب الذات صار ضاراً . كيف لا وجميع مانسبها ضروراً إنما منشأها مجاوزة الحدود في محبة الذات لأنه لا معنى للشر إلا الاعتداء على الحقوق . وهل هذا الاعتداء شيء غير مجاوزة الحدود ؟ ولا فرق بين أن تكون أنت المعتدي على غيرك لأجل ذاتك . وأن تكون يعتدي عليك غيرك لأجل ذاته . فالأول شر لأنك لا تسلم فيه من جزاء ما وقد يكون الجزاء طبيعياً كجزاء الشر . والثاني شر لأنك فقدت حرك لأجل شره غيرك فيه .

الصناعة بديهة كاملة اتقنها حكيم عايم قد جعل لكل شيء سنة ، ناموساً ، طبيعة خاصة . نظاماً (قل ماشئت أن تقول وسم ما أردت أن تسمي ، لانتاقش باحثاً في لفظ يؤدي إلى معنى يؤديه لفظك أو قريباً منه) مزيج مابتدئته النفس بما تنفر منه ، وعلمها السبل في الوصول إلى المبتغى ، وجعل للسبل حدوداً عن يمين وشمال . فمن تعدى الحدود . فإنه المقصود . وربما وقع في المكروه ، ومن لم يتعدها فاز ونجا ، وتم له الرضى . « تلك حدود الله فلا تمدهاوا ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

(٥) إذا لم نجب غيرنا لا نقدر أن نقف عند الحدود . - إذا كان لكل داء دواء فلا علاج لداء الشرور إلا محبة الناس محبة تابعة لنظام . وهذا العلاج لا يتخلف نفعه

أي أنه متى استعمل ينفع . فحين نستطيع ان نقول ان هذا العلاج يستأصل الداء لمن استعمله ولكن لاستطيع ان نقول إنه يعم استعماله وتستأصل الشرور كلها . وليس هذا مستحيلا عقلا ولكن التجربة تجعلنا لانطمع فيه على انسا اذا لم نرج ان تستأصل الشرور نرجو ان نحف ونجتهد في ان نعلم الناس حجة الناس . كذلك كان الناس من قبل فهدى العلم بعضاً ببعض ، كما أضل الجهل بعضاً ببعض ، ولا يزال العلم يجاهد الجهل الى ان يصره الملك القدوس السلام ، على أيدي رجاله الاعلام .

٦٥ « اذا لم نحب ذاتنا لاتقدر ان نحب غيرنا — من لطف العناية الأزلية ان كان استعمال هذا العلاج سهلا اذ ثبت في الفطرة ان من لوازم حبة الذات حبة الغير . فلا جناح علينا أن كان حب غيرنا لأجل ذاتنا لأن هذا هو العلاج في حبة الغير وهذا الثاني هو العلاج في تخفيف داء الشرور . ولكن الجناح علينا اذا لم تتبع نظاما في حبة الذات وحبة الغير . وهالك الشر .

٦٧ « بغض الذات مرض . — يظهر مما تقدم ان الحبة الذات نفعين أحدهما يرجع الى الذات والآخر يرجع الى الغير . وينتج ان لبغض الذات ضررين أحدهما للذات والآخر للغير . واذا ثبت هذا فلا شك في ان بغض الذات مرض مشوه للفطرة السليمة . وشائن لصاحبه يؤديه الى نوع ردي من أنواع الرذائل وأثم كبير من الآثام التي يناقش عليها المجتمع .

بغض ذاته بالطبع بغض غيره ، وتكثر حيرته ، يعترض على الصانع الحكيم في صنفه ، وعلى الانسان العليم في علمه ، عاطل معطل ، طائش مطيش ، غر مغرر ، محبول محبل ، نائم على الأحيا ، متأقف من الحياة ، جان على الاجتماع ، قليل الرغبة ، قليل الرهبة ، قليل الحياء ، قليل المروءة ، قليل التيرة : عديم الهمة . عديم النشاط ، عديم الفلاح ، عديم السعادة . . وان شئت ان تعرف ببغض ذاتهم فأولئك هم مخالفو الفطرة التي فطرت عليها النفوس ، وأذعنت لحكمها العقول . أقول هذا ولا أزيدكم شرحا لتفدحوا زبد ذكائكم ، وتعلموا من أشرنا اليهم بصفاتهم متى رأيتوها في انسان . وزيدوا عليهم طوائف المستعبدن

هذا وقد نسأل ويقال لنا: اذا نرى بعض الحكماء قد يوصون ببغض الذات .

ويأمرسون بمناذرة المشروعة وإثارة الآلام ؟ فالجواب :

(٨) قد يكون هذا المرض نافعا إذا سلمت به النفوس من الشرور - كما اذا كان امرؤ لا يملك ان يتزوج ويريد ان يستعمل قوة باهه في غير ما خاف لأجله كوطء بهيمة أو دبر أو استمناء بيد أو تسلط على عرض فيه حق الغير - يؤمر في هذه الحالات ان يجوع نفسه لتضعف قوة باهه فإن فمرت تجويع نفسه يفيض ذاته وسميت هذه البغض التعمد لحكمة مرضاً قلنا ان هذا المرض لمثل هذه النفس نافع * وربما صحت الأجساد بالملل * وان سميت هذا التجويع حية أو علاجاً فلا اشكال ، وكما اذا كان يكثر القنود الكثيرة لا يتاجر بها ولا ينفق منها على نفسه يؤمر ان ينفقها على غيره ولو اقتصر لان حاله قبل الاتفاق على غيره هي عين حال الفقراء فالفقر بعد الاتفاق قد تسلم به نفسه من شر عظيم مؤلف من الجهل وبغض الغير وهو كثر تلك الحجارة التي لا معنى لها الا المبادلة وتسهيل معاملات الناس . وكما اذا كان كثير الاعتداء على النفوس يقتلها ويؤذيها يؤمر بالتوبة وتسليم النفس للقصاص . وهل من معنى لتسليم النفس للقصاص غير بغض الذات ؟ وليس يرتاب أحد بأن من كان كثير الاعتداء على النفوس اذا مرض يفيض الذات الى درجة يسلم بها نفسه للقصاص كان مرضه نافعا له ولغيره . وأمثلة هذا كثيرة قيسوا على ما ذكرت ما يظهر لكم .

(تنبيه مهم) اذا قلنا : ان الله أحب الينا من أنفسنا : يجب علينا ان نفهم معنى هذا الكلام حتى نكون على يقنة وصدق مما نقول والا كان كلاما يراد به تركية النفس بمجرد إيراد حروفه . وسيأتي نحو من تفسير هذا الكلام أو تفسيره ولكن أحببت ههنا ان أبادر الى كلمة واحدة من تفسيره قد تنفي الاذكياء . وما هذه المبادرة لا لان هذه الكلمة من علائق الصد : ان معنى محبة الله اتباع الحدود ودورعية حقوق الغير وبذل وسع النفس في هذا الشأن وكل فروعه . وليس من بغض الذات تجريرها بالصبر في هذه السبيل الحيدة البالغة بها أسنى المقامات وأسمى السعادات . بل هو من محبتها فاذا أحببت معلمك أكثر من محبتك لنفسك لا تكون أبغضت ذاتك بل أحببتها حباً جملاً تحب كل ما يرقبها ويصاح شأنها حباً شديداً .

(٩) متى كان الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت اليمينادة . - هذه المسألة

كنتيجة لما تقدم وكفاية لما يأتي لأن كل علوم الناس وأعمالهم وأقوالهم، مقصود بها تحصيل السعادة التي هي فائدة هذه الحياة عند الفاتنين بوجود السعادة، وعلم النفس في انفرادها واجتماعها هو السلم الوحيد الذي يهدي الخائر في هذه المهام. وعندنا ان السعادة موجودة ممكن تحصيلها ومن السعادة اعتقاد وجودها وهذا المبحث المهم يحتاج فضل بيان أما ههنا فاكنتي بتقرير هذه القاعدة لتحفظ في الذهن وتكونه النفس الى شرحها وهي : « متى كُن الحب والبغض ناشئين عن فكر سليم كانت السعادة » لان سعادة النفس في أحوال ثلاث - تصورها وطلبها وفوزها - فتي كان التصور صافيا سليما قويا التذنت النفس وانبعثت للطلب ومتى كان الطلب مشروعاً نظامياً التذنت النفس وأشرقت على الفوز فان فازت فذاك هو وان لم تفز فسادتها انها لم تقصر في الطلب على ان الطلب في نفسه لذيد وفي الاكثر فيد فائدة ما مما يتبعه النفس اذا جدت وثبتت.

وقل من جد في أمره يحاوله ولازم الصبر الآفاق بالظفر

هذا والفكر السليم هو الذي يميز بين الخير والشر والافهم والضرر. (ع. ز.)



﴿ تحريم الخنزير ونجاسة الكلب ﴾

حضرة الاستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أتيت بهذه المقالة راجيا ثمرها في مجلتكم الفراء حتى تتبين للناس الحكمة في اعتبار الشريعة الاسلامية أن الكلب نجس وفي تحريمها لحم الخنزير معتمدا فيما أقول على المباحث العلمية الطبية الحديثة التي أثبتتها التجارب الحسية حتى لا يبقى عند أحد ريب في صحة ما أتت به هذه الشريعة الفراء والعمل بموجبها أحكم من أن تضع حكما عبثا وأجل من أن تسن قانونا لافائدة للناس فيه ومهما خفي سببه في بادئ الامر فلا بد أن تحيل فائدة عاجلا أو آجلا فأقول:

لتحريم لحم الخنزير أسباب كثيرة أجلاها ثلاثة قبل ان أتكلم على هذا السبب الاول يجب أن أقدم مقدمة في علم الديدان حتى لا يصير على أحد فهم ما أقول .

(الاول ومقدمته) قد يوجد في أمعاء الانسان عدة أنواع من الديدان قل ان يخلو منها أحد

ومضار هذه الديدان متفاوتة فمنها مضر وعظيم ومنها مضر وحقيق ومن هذه الأنواع ما يسمى بالديدان الشريطية . أذكر منها الدودة الوحيدة بتفصيل يسير لأن لها صلة بموضوعنا وأشير إلى غيرها فيما بعد . تسمى هذه الدودة (تينيا سوليم) وهي كلمة يونانية ومعناها الشريط الوحيد سماها الواضع بهذا الاسم لظنه أنه لا يوجد منها في الأمعاء إلا واحدة فقط وهذا خطأ فقد يوجد منها أحياناً اثنان أو ثلاثة وطولها يختلف من ٧ أقدام إلى عشرة وهي مقسمة إلى عدة أقسام تبلغ ٨٥٠ وفي الأقسام الخائية توجد أعضاء التناسل فتجد أن كل قسم منها فيه أعضاء الذكر والأنثى فإذا تمت هذه الأعضاء وظيفتها وتكونت البويضات في داخل الرحم انمحت الأعضاء إلا الرحم فتبقى البويضات محفوظة فيه فإذا سقطت هذه الأقسام المشتملة على البويضات من دبر الإنسان وقت التحلي كما يحصل كثيراً أن كان مصاباً بها ووصلت هذه البويضات إلى معدة الخنزير أثناء تقدمه القاذورات وأكلها ذاب تشربها بواسطة العصير المعدي وخرجت الأجنة فتتقب النشاء المخاطي للمعدة وتصل إلى أوعية الدم الذي يحمالها إلى المضلات وغيرها وهناك تنتقل إلى طور جديد تصل به إلى تمام نموها وهذا الطور هو أن تكون هذه الأجنة حويصلات صغيرة واحدة أو أكثر حجم الحصى في داخل اللحم وبعد ذلك يبرز في داخل هذه الحويصلات هياكل عظيمة الشكل كل هنة منها رأس لدودة جديدة فإذا أكل الإنسان هذا اللحم خرجت هذه الرؤوس من حويصلاتها وعلقت بالأنشاء المخاطي للأمعاء وكونت كل واحدة دودة طويلة ثامة الدم وتسبب من وجودها في الأمعاء أعراض كثيرة فيحصل للمصاب بها منصف أو أسهال أو قيء وربما صار نفسه كربه الرائحة ويصاب بالإقيها (فقد شهوة الطعام) أو انهم الشديد وقد يصاب بالآلام في رأسه أو دووار أو إغماء ويشعر بضعف عام في جسمه وتضطرب أفكاره وأحياناً تتأهب نوبت صرعية وتشنجات عصبية قوية. وليس هذا كل الضرر الذي ينشأ عن هذه الدودة بل هناك خطر آخر عظيم وذلك أن بعض الأقسام قد يتألف وهو في الأمعاء فيجرح البويضات مع البراز فإذا أصابت ملابس أو يده أو غير ذلك ووصلت إلى معدته أتناأكله أذاب العصير المعدي تشورها وخرجت الأجنة وتطورت بذلك الطور الذي ذكرناه في الخنزير فتكون الحويصلات المذكورة سابقاً في أعضائه. وكثيراً ما تصيب عنه قتلها

أو بعض أجزاء مخه فتفسدها وتبطل عملها فيحصل له شلل في بعض أعضائه أو غير ذلك مما يتسبب عن إصابات جوهر المخ وقد تصيب أعضاء أخرى تعمل فيها ماعملته في العين والمخ ويصير الانسان منبعا لعدوى غيره فاذا صانح آخر وانتقلت اليه البويضة تعمل فيه ما عملته في الاول . وكثيرا ما يتحلى أهل الارياض وغيرهم في اللزارع أو في مياه الشرب فتقتل بسبب ذلك الحويصلات الى أناس كثيرين ولولا الحنزير لما أصاب الانسان شيء من ذلك فانها لا توجد في حيوان يؤكل سوى الحنزير وقد توجد في الكلب أيضا والقرود

واعلم أنه لا توجد دودة تم طور الحويصلات في الانسان سوى هذه وأخرى نذكرها فيما بعد وحويصلات هذه الدودة تقاوم الحرارة في درجة ٦٠ ستجرباد نحو نصف ساعة على الأقل اذ كانت توجد في داخل لحم الحنزير وهو موصل ردي للحرارة فاذا غلي الماء الذي حوله أثناء الطبخ حتى صارت درجته ١٠٠ فلا تصير درجة مافي داخل اللحم ٦٠ أو ٧٠ الا بعد زمن ثم ترتفع شيئا فشيئا حتى تصير ١٠٠ ولهذا تجد أن كثيرا من الاروبيين هابون بها وذلك لصعوبة قتلها بالحرارة وكما ازداد الافضاج للثقة بقتلها عبر هضم اللحم لتجمد المواد الزلالية

هذا ولما كان احتيار أخف الضررين هو الواجب عند الاحتياج الى ارتكاب أحدهما ولا يتخلو لحم من مضار وجب ان نختار ما هو أخف أذى . قلت ذلك لان الحيوانات الاخرى المأكولة كالضأن أو غيره لا تتخلو من ديدان أخرى شريطة كالتساقطة من ذلك دودة (تنبيا ساجيتا) التي توجد حويصلاتها في البهايم التي تؤكل ولكن هناك فرقا بين هذه وتلك لأن الحويصلات في هذه اذا وصلت الى معدة الانسان وتكون منها الدودة التامة وفيها البويضات فلا يمكن اذا ازدرد الانسان البويضات ثانيا ان تكون طور الحويصلات فيه مطلقا . لأنه لا يمتل ذلك الادودة الحنزير وبذلك يكون الانسان مطمئنا على عينه وعلى مخه وغير ذلك من الاعضاء الرئيسة ولا يكون منبعا لعدوى غيره وذلك لأن هذه البويضات يلزم لها حيوان آخر غير الانسان حتى تم طور الحويصلات فيه وبعد ذلك تنتقل منه الى الانسان فتكون في امانه الدودة التامة البالغة النمو وفي الحقيقة ان أعظم الاخطار هو تكون الحويصلات في أعضاء الانسان الرئيسة وأما

في الامعاء فربما لا ينشأ عنه شيء مضر به وإذا حصل بعض الاعراض التي ذكرت كالتقيؤ والاسهال والصداع فإزالة الدودة بكثير من الادوية سهل جداً ولكن ازالها وهي في طور الحويصلات من الدمخ وغيره عبر بل مستحيل، وبإلت هذا هو ضرر الخنزير الوحيد بل هناك مضار أخرى فاسمع القراء البآية

(الثاني) كثير أماًياً كل الخنزير الفيران الميتة التي كثيرا ما تكون عضلاتها محلاً لأجنة دودة تسمى (تريكتنا اسبارالس) أي الشجرة الحلزونية لأنها دقيقة جداً وملتوية على شكل حلزوني فإذا وصل هذا اللحم الى معدة الخنزير هضم وخرجت الاجنة من غلفها فتكبر وبعد ذلك تزواج ذكورها وإناثها فتلد ديداناً صغيرة كثيرة وهذه تقب أغشية الامعاء الحاطية وتصل الى عضلات الخنزير فإذا أكلها انسان ولم يكن قد عرضها بالطبخ لحرارة كافية لا يماتها تمت في أمعائه الى ان تلد أجنة كثيرة تنفذ الى عضلات الانسان وخصوصاً عضلات التنفس وكذلك القلب وحينئذ يصاب بمرض شديد ترفع حرارته ويكثر اسهال وقئ وتلبه جميع عضلاته فلا يقدر على تحريكها وبصبر لها، ولما فلا يمكنه ان يمضغ أكله فيمتنع عنه ويصب عليه أن يتنفس لانهاب عضلاته ولا يقوى على تحريك عينيه وبعد ذلك يحصل له ارتشاح في جميع جسمه فيرم وتسرع حركات نبضه وحركات تنفسه بطيئة جداً حتى يموت، وهذه الاعراض لا يمكن علاجها، مطلقاً إذ لا يمكن إزالة هذه الديدان من عضلاته بعد تحنصنها فيها، وهذا المرض كثيراً ما يحصل في البلاد الاوروبية بسبب أكل هذا اللحم المشنوم ولا يتسبب عن أكل لحم سواء كانضاًن وغيره لأنها لا تأكل الفيران الميتة الا اذا ألت في غذائها أو وقع فيه بالاتفاق وأكلته بالتبع له حينئذ تصاب بما يصاب به الخنزير ولكن هذا نادر جداً والتادر لاحكم له بخلاف الخنزير فإن جبه للفيران الميتة يوقمه في ذلك مزاراً عديدة ولعل هذا السبب أيضاً هو أحد الحكم في تحريم لحوم الحيوانات التي تأكل اللحم لأنها عرضة للإصابة بهذا المرض كثيراً

(الثالث) لحم الخنزير هو أعسر اللحوم هضماً باتفاق وذلك لان أليافه المضطية محاطة بخلايا شحمية عديدة أكثر من الحيوانات الأخرى المباح أكلها وهذه الأنسجة الدهنية تحول دون العصير المدي فلا تسهل عليه هضم المواد الزلالية للعضلات فتب المعدة وعسر الهضم ويحس الانسان بنقل في بطنه ويضطرب القلب فان ذرع الأكل التي ولا تهيجت الأمعاء وانطلق البطن بالاسهال فن لم يتعود أكله تص منه

كثيراً ومن تموده وكان قويّ المعدة كان الاولى له صرف قوتها في الاغذية الحيدة النافعة وان لم يكن قويّ المعدة ناله من شر هذا اللحم ما يستحق والحلاصة ان من ابتعد عن أكله أمن من الاصابة بالدودة الوحيدة أو حويصلاتها ولم يكون سبباً في عدوى غيره وسلم من الاصابة بمرض دودة الشعر الحلزونية الذي ربما فاق الحمى التيفودية قاته من اصابه لا يرحى شفاؤه ولا بد من موته وحفظ مدته من التلب وعسر الهضم وأسباب التقيّ والاسهال وضعف تغذية الجسم الى غير ذلك من المضار التي سبقت شرحها . أما اللحوم الاخرى فانها أسهل هضمًا ولا يتسبب عنه عادة مرض الشعر الحلزونية ولا حويصلاتها في أعضائه الرئيسة بل تنافسه دودة شريطية فعلاجها سهل ولا تحدث أعراضاً مهمة . فعلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين يجب ان نقول : لا تأكلوا لحم الخنزير قاته رجس وكلوا غيره مما أبيض شرعاً :

الدين الاسلامي لم يأت لاصلاح الروح فقط بل لاصلاح الروح والجسم معاً فاني بما يغضنا في دنيانا وآخرتنا وأنفسنا وأبداننا ولم يترك ضاراً لاحدنا الا وبه عليه تصريحاً أو إجمالاً على حسب شيوعه وعده بين الناس فلو ترك التكلم في الماء كولات ونحوها لما كان مرشداً للأنام في جميع أحوالهم الضرورية فلو لم يحرم لحم الخنزير مثلاً لمضى زمن طويل حتى يهتدي الناس الى ضرره ولو اهتدى اليه بعض الامم لما اهتمت اليه الامم الاخرى كالسودان والحبشة مثلاً ولو علم ضرره بعض الامم لما علمه فيها الا الخاصة فقط وبعضهم الزمن الطويل حتى تعلمه العامة ولو علمته العامة لما قويت على ترك ما اعتادته وعهدت اللفة فيه بخلاف الامر الديني فان كل الامم المؤمنة به تخضع له في أقرب وقت تخضع له العامة كما تحترمه الخاصة ويعمل في نفوس الجميع ما لا يعمل قول الخطباء ولا نصيح الصحاء ولذلك تجدان شرب الخمر في أوروبا شائع بين سائر الطبقات وكل يعلم ضرره ومع ذلك لا يمتنعون عنه لاقول خطيب ولا يقول عالم فكلم خطيب الخطباء ونصحت العلماء ولكن أين من يسمع . فلو لم يكن للدين التأثير الاقوى في أهل الشرق لفاقوا أهل الغرب في الشرب وسبقوهم في تربية الخنزير وأكله ولولا أنهم أخذوا يقلدونهم الآن لما وجدت بينهم شارب خمر ولا آكل خنزير الا نادراً ولم اسمع بمرض مما ينشأ عنهما فيهم . فأي انسان يمكنه الآن ان يترضى على الدين وقول ماله يتكلم في الماء كولات والمشروب وقاته انه لم يأت الا للاصلاح السام في كل ما يمكن اصلاحه فلم يتكلم في القوائد فقط بل في الممارات أيضاً وكما أمر باصلاح القلب وطهارته أمر بحفظ

صححة الجسم ونظامته فأنتم به من دين جمع فأوعى وأحكم به من صراط سوي مستقيم
يتي علينا أن نتكلم في نجاسة الكلب : لا نقول أن السبب في ذلك هو أنه عرضة
للإصابة بداء الكلب فإن هذا الداء لا يصاب به الكلب وحده بل قد تصاب به الهرّة
والبقرة والحصان وغيرها ومتى أصيب الكلب به عرفه الناس وقتلوه فإنه متى أصيب
به شئ سريماً عن الحركة وسهل قتله ومجرد لمسه في هذه الحالة لا يهدي بل لابد
من العض ودخول لعابه في جلد الإنسان فلماذا يستبر الكلب نجساً في جميع أحواله
ولا تعتبر البقرة والحصان كذلك ؟ السبب في ذلك ما يأتي : في أمعاء أكثر الكلاب
دودة شريطية صغيرة جداً طولها ٤ مليمترات تسمى (تينيا أيكينوكوكس) فإذا
راث انكلب خرجت البويضات بكثرة في الروث فيلصق كثير منها بالشعر الذي بالقرب
من دبره فإذا أراد الكلب أن ينظف نفسه بلسانه كما هي عادته تلوث لسانه وفه بها
وانتشرت في بقية شعره بواسطة لسانه أو غيره وهذا ما يحصل في كل نوبة وبشكراره
يصير جميع سطح جسمه ملوثاً بهذه البويضات كما شوهد ذلك بالظنارات المكبرة

فإذا ولغ الكلب في إياه أو شرب ماء أو قبله إنسان كما يفعل الأفرنج أو لمس جسده
بيده أو بلباسه عقلت بعض هذه البويضات بتلك الأشياء وسهل وصولها إلى فمه أثناء
أكله أو شربه فتصل إلى معدته وتخرج منها الاجنة فتقرب جدر المعدة وتصل إلى
أوعية الدم فتصل إلى أعضاء الجسم الرئيسة وغيرها وهناك تتم طور الحويصلات ولكن
هذه الحويصلات كبيرة فتسمى هنا أكياساً وهي تصيب الكبد كثيراً وأحياناً تصيب
الأعضاء الأخرى كالمنخ والقلب والرئة ووجود هذه الأكياس يحدث أعراضاً عديدة
فأصيب منها الكبد قد يولد استسقاء زقياً بضغطها على الوريد الباب أو يرقاناً وقد يتقيح
النائل الذي في قلب الكيس ويولد خراجاً في الكبد وربما انتفخ هذا الخراج في تجويف
البريتون فينشأ عنه التهاب بريتوني حاد فيموت الشخص بسببه وإذا انتفخ في تجويف
البلوري تسبب عنه التهاب مع انسكاب إلى غير ذلك من المضار وإذا حصل هذا الكيس
في المنخ نشأ عنه صداع شديد وقي متوال وقد قد شعور وأحاسيس وتنجات وشلل بعض
الأعضاء على حسب موضعه من المنخ وإذا أصاب القلب ربما كان سبباً في تمزقه فيموت
الشخص في الحال

كل ما قلناه ليس تخيلات شعرية ولا بصورات وهمية بل هي أشياء شاهدها أطباء
أوروبا في بلادهم وعلموا سببها بالجنس والمشاهدة ونصحوا الناس بالابتعاد عن

الكلب ولكن أين من يسمع ولا أمر دينيا يمتد عندهم فيهاهم؟ هذا ولما كان تمييز الكلب المصنوب بهذه الدودة من غيره عسير جدا لانه يحتاج الى زمن ومحت دقيق بالنظر المكبر الذي لا يعرف استعماله الا قليل من الناس كان اعتبار الشارع إيادى نجسا هو عين الحكمة والصواب فتباعد الناس عنه وتأمّن من شره فالحمد لله الذي جعل ديننا هاديا لنا في جميع أمورنا وأيده ويؤيده كل يوم بالبراهين الحسية حتى يتضح للناس ان الدين عند الله الاسلام ويظهر تأويل قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) م . ت . ص

أحد طلبة الطب بمصر

أنا علي بن بريّة

باب التقريظ

ميزان الافكار

كتاب في مهمات القوانين المنطقية وضعه أحمد اخندي الهادي القصودي أحد علماء قرآن (روسيا) بأسلوب جديد في اللغة العربية ، وترتيب وتبويب لم يعهدا في كتبها المنطقية ، وادخل فيه فوائد ومسائل ليست من هذا الفن ولكنها تصل بنسبه ، وتبلي بسببه ، وترغب فيه الباحثين ، وتزيد نشاط المشتغلين ، فقد أصبح المنطق في العلوم العربية ، شيئا بالأعضاء الآثرية ، تقرأ مسائله ، وتعمل في العمل تعاريفه ودلائله ، لان العلوم المعقاة التي وضع لها ، قد انطوى بسائلها وتفاصيلها ، بدأ المؤلف كتابه بتحديد عنوانه (علم الروح وعلم المنطق) وبين بعده فائدة المنطق وكونه فطريا في الانسان ووجه الحاجة الى تسميته وذكر أشهر علماء القدماء من اليونان والعرب والمتأخرين من الافرنج ، ثم تكلم في مقدمة الكتاب عن الوجود والعدم والواجب والممتنع والممكن والجوهر والعرض ومقولات الاعراض والناصر والمواليد والحواس الضاهرة والباطنة والعلم ومحصيله بالتفكير والاستدلال ثم انتقل الى الدلالات وبحث الانفاظ ثم الى سائر المباحث وجاء فيها بضرر وبمن التقسيم والبحث غير معهودة الا في كتب الافرنج فالكاتب جامع بين المنطق القديم والمنطق الحديث

وقد طبع المؤلف كتابه وجهه ذكرى لمرور عشرين سنة على خدمة اسماعيل

بك النصفري محرر جريدة ترجمان في بلدة (بانجه سراي) الروسية. فثني على المؤلف ونهني رصيقنا الكامل إسمايل بك بلسان القنار (كما هتاه بلسان البرق) على خدمته للمسلمين بجريدته ومطبوعاته وبما وفق له من إنشاء المدارس حتى كان ركن النهضة الإسلامية، في بلاد القريم بل في البلاد الروسية، ونسأل الله تعالى أن يكثر في المسلمين من أمثاله

﴿ القصائد الهاشميات ﴾

الكيميت بن يزيد الاسدي الكوفي أحد الشعراء والادباء الاولين ولد سنة ٦٠ ومات سنة ست وعشرين ومئة وأحسن شعره القصائد الهاشميات التي سارت بها الركبان وقد عني في هذه الايام الشيخ محمد شاكر الحياط التالبي أحد مجاوري الازهر المجدين بطبعها بعد ما صححها على أمام أهل الادب في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشقيطي . ومن سوء الحظ ان عانت المطبعة في ذلك التصحيح فأفسدت فيه ماشاء ولكنه عاد فأصلح بعض غلط الطبع بالقلم فجزاه الله خير الجزاء . أما الذي طبعه على نفقته فهو الشيخ محمد توفيق الحياط التالبي أحد المجاورين المجتهدين فنشكر للطابع والمصحح عنايتهما بهذا اثر النافع واليتيم ما يعيدان طبعه مصححاً ونحت طلاب آداب العربية على حفظ هذه القصائد أو كثرة قراءتها

﴿ هناك وهنا ﴾

كان أحمد حافظ اقدسي عوض كتب في جريدة المؤيد بضع مقالات عنونها (هناك وهنا) شرح فيها « تاريخ استيلاء » انكلترا على الهند وسياستها فيها وعلاقة مسلمي الهند ونهضتهم الاخيرة بالطوائف الاخرى ، ومن ذلك الكلام في الجماعات وفي التجارة وفي الثقافات الحربية والتعليم . وقد طبع هذه المقالات على حدة بمطبعة الشعب فبلغت ٧٦ صفحة من القطع الصغير وهي جديرة بالمداومة

﴿ القول السديد . في حرب الدولة العلية مع اليونان ﴾

كتاب جديد ألفه على بك شاكر نجل المرحوم محمد شاكر باشا الفريق الطوبجي صفحاته زهاء مئتين وهو مزين برسوم القواد والمواقع الحربية ولم نوفق لمطالعة شيء منه ولكننا نظن ان الروح التي تجول فيه هي تعظيم شأن الدولة العلية وتوجيه القلوب الى حبها لأننا نرى المؤلف مغرماً بدولته لا محلاً دائماً بحاسنها ومدح مولانا السلطان

عبد الحميد أيد الله دولته ووقفه لخدمة الاسلام . وغن الكتاب ٣٠ قرشاً صحيحاً
 الا للجنود فثمنه لهم ٢٠ قرشاً وهو يطلب من مطبعة الموسوعات بمصر
 هذا ما كنا كتبناه لجزء مضى ولم يتيسر نشره الا في هذا الجزء ثم رأينا في بعض
 الجرائد ان المؤلف حمل الثمن ٢٠ قرشاً لجميع الناس ووعده بمجمله إغاثة لسكة الحديد
 الحجازية فصار يطلب لذاته والإغاثة معا وكفى بذلك ترغياً

(الف لمة و ليلة) أتمت مطبعة الهلال الجزء الثالث من هذا الكتاب مزينا
 كسابقه بالصور والرسوم ، منزها عن الفحش والمجون ، وصفحاته ٢١٦ وثمنه ١٠
 قروش وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر
 (كتاب الخدمة المدرسية في تسهيل قواعد العربية) ألف هذا الكتاب جرجس
 افندي الحوي المقدسي (ب . ع) مدرس اللغة العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس
 الشام وطبع هناك وقد سلك فيه مسلك السهولة وأكثر فيه من الامثلة فصلى ان
 يلتفت اليه نظار المدارس ويختاروه للتعليم في مدارسهم اذا رأوه امثل من الكتب
 التي فيها وأسهل

(ارنيان الفكرة من جهة الكلر) كتيب وضعه احمد افندي رفعت في الفيوم
 أيام وباء الهیضة من العام الماضي وطبعه بعد ذلك . وغبارة الكتاب أقرب الى العامة
 واتنا لم نقرأه ولكننا نذكر المسائل التي يبحث فيها بعبارة لعل أحداً يريد ان يعرف
 رأيه فيها وليعذرنا القراء في حكمنا على عبارته قال: قد جئت بالبحث والايضاح عن السبعة
 أوجه التي يهم كل إنسان الوقوف على حقيقتها وهي

١ - أولاً - هل يوجد كلرا حقيقة كما يقولون البعض بالاثبات والبعض بالنفي . ثانياً -
 هل ينفع فيها العلاج واستشارة الأطباء لتدارك الشفاء ام لا . ثالثاً - هل الاحتياطات
 الصحية في ذلك مما يجب مراعاته والأخذ به ام طرحه ظهرياً . رابعاً - هل مسألة
 الاصابة بالمدوى صحيح أم غير صحيح . خامساً - هل سير رجال الصحة في عمل الاحتياطات
 موافق للشرع الشريف أو مخالف له . سادساً - هل ما يشاع من وجود من يقصدون
 تعمد وضع أشياء مسممة للناس في الاطعمة والمياه حق أم باطل لأصل له . سابعاً -
 هل أصدق بقولي ان الكلرا الثانية الآتي بيانها هي أشد وطأ وأعاباً فعلاً على الناس
 أم لا ، اه بحررته وصفحات الكتيب ٢٢ ويطلب من أكثر المكتبات الشهيرة

(مسامرات الشعب) صدرت القصة السابعة عشرة واسمها (اليقيم) ومؤلفها حافظ اقندي عوض وقد كان طبها الطبعة الاولى من نحو خمس سنين وقرأناها فحمدنا التأثير، واتقدما التخصير في التحرير، وصدرت القصة الثامنة عشرة واسمها (شهداء الآباء) ومؤلفها مصطفى اقندي ابراهيم وهي تمثل سوء عاقبة ما عليه أولاد الاغنياء في مصر من فساد الاخلاق واتباع الشهوات. وقلنا ان نذكر من قبل قصة (الفتاة اليابانية) وهي قصة موضوعها مفيد قرأناه بارتياح ووددنا لو يطالعها تلامذة اندارس المصرية على ان يميزوا بين التعليم الحلي وتعليم المحاكاة التقليدية، ومؤلفها حسن اقندي رياض وهي القصة السادسة عشرة من المسامرات

باب الاحتفال بالانبياء

﴿الجمعية الخيرية الاسلامية - الاحتفال بمدرستها في القاهرة﴾

احتفلت الجمعية الخيرية الاسلامية في يوم الاربعاء الاسبق بمدرستها في القاهرة احتفالاً رأسه مفتي الديار المصرية وحضره كبار العلماء والوجهاء وفي مقدمتهم شيخ الازهر ومدير الاوقاف. وقد كان الاحتفال على نحو الاحتفالات السابقة حسناً ونظاماً وموضع إعجاب بما امتاز به تلامذة الجمعية على سائر المتعلمين من أمانهم وهو أنهم لا يحفظون شيئاً بدون فهم ولذلك كان رئيس الجمعية والاحتفال يناقش التلامذة في كل ما يسألون عنه فيحسنون الجواب. ولما أراد الرئيس توزيع الجائزة التي باسم المرحوم علي باشا مبارك ذكر من خدمته للمعارف ثلاثة أمور عظيمة أحدها تعميم المدارس في المديرية وثانيها ابطال الضرب من المدارس وكان الضرب فيها مفروضاً رسمياً فالتأديب فيها كان بالكرايج، كتأديب المذنبين والمجرمين في شريعة محمد علي باشا وقوانينه. وقد قال الاستاذ الرئيس في هذا المقام كلمة جليلة وهي :

ان علي باشا مبارك أبطل بمنع ضرب التلامذة التربية بالإهانة والقسوة وجعل التعليم مقروناً بكرامة النفس وهي قوام التربية فان المراقبة على الذنب بالإهانة والقسوة لا تؤدب النفس لأنها تخفي الاخلاق الذميمة ولكنها لا تمحوها بل تريد اوتقويتها فتكون

كاملة حتى اذا تسنى لها الظهور تظهر في أفصح الصور . وأما الذي يمحو الاخلاق
الذميمة فهو الافاع يقبحها وضررها وحسن المعاملة وتكرم النفس حتى تتكرم عن
الشوائب وتألف من كل ما ينافي الشرف

وأما الامر الثالث فهو إنشاء مدرسة دار العلوم التي تسمى الآن مدرسة المعلمين
اناصرية (قال) ان تلامذة هذه المدرسة يؤخذون من طلاب العلم في الأزهر
فيضمون الى العلوم الازهرية جملة صالحة من العلوم الكونية التي تقرأ في المدارس .
وقد تخرج في هذه المدرسة كثيرون خدموا المعارف في مصر خدمة نافعة فهم معلمو
العربية في جميع مدارس الحكومة وبعض المدارس الأخرى ومنهم المشتغلون في
المعارف بالتفتيش في المدارس والكتاتيب وهم محافظون على زعيم المصري زي أهل
العلم الديني ولهذه المحافظة تأثير عظيم في التربية والتعايم

وبعد ذلك وزعت المكافأة السنوية التي يتبرع بها الشيخ عبد الرحيم الدرر داش
لثلاثين من تلامذة مدرسة الجمعية في القاهرة وهي ألف قرش . ثم انقض القوم
بخدم الاختفاله داعين للمدرسة بزيادة التناجح والجمعية يبلغ البكال
الحسن المصري العظيم - منشاوي باشا

ذكرنا في جزء معنى ان صاحب السعادة احمد باشا المنشاوي الشهير تبرع بمئة
فدان من أطبائه لمدرسة الصنائع التي تنشأ جمعية العمرة الوتي في الاسكندرية .
وقد كتب رئيس الاكتاب لإعانة المدرسة صاحب الدولة بمطفي رياض باشا
كتاب شكر الى هذا المحسن العظيم وأرسلت الجمعية طائفة من أعضاها الى داره في
القرشية يشكرون له بأنفسهم هذا الاحسان . ولما كان الشكر مدعاة المزيد هزته
أريحية الكرم تبرع بوقف ثلاث مئة فدان على هذه الجمعية الخيرية فكتب اليه رياض
باشا كتاب شكر آخر ترغياً في الاحسان وإسعاداً على الترغيب فيه وهو :

سعادتلو اقدم أحمد منشاوي باشا حضر تلري
سلام وثناء عليك يا من عرفت كيف تصرف الأموال وكيف تخدم لاوطان وكيف
تقدم البلاد . اني كثيراً ما تمني الخير كثيراً ما حبيت فيه كثيراً ما ناديت الامه
المصرية الى جمع الاموال لتأسيس المدارس العلمية والصناعية وبمدان أو شك اليأس ان يستوني

عليّ رأيك أيها الشهم الكريم وقتت مئة فدان على مدرسة محمد علي الصناعية . فمكك هذا جدد في الآمال وحيث في الأمة المصرية باجمعها لوجود مثلك وجعاني اعتقد بأن اغنياء الأمة سيقفون بك في هذا العمل الجليل الذي فت به لنا . فمكك على الاغنياء نحو وطنهم وكتبتم لسعادتك من آيات الشكر ما تستحقه من الله والأمة . ثم جاني كتاب من سمادتك يثنني بأنك أيها البار بوطنك وقتت ثلاث مئة فدان على جمعية العروة الوثقى فالحق يقال ان حبك لبلادك وكرم نفسك وسخاء يدك ادهشني إعجاباً بهتك العالية وحسن عاطفتك لاخير نحو أمك لانني لم أر مصرياً جاد بما جدت به وتستشرك الاحياء المستقبلية على فضلك هذا كما تشكرتك الأمة بأسرها . وأهل بزيارتك التي وعدت بها في خطابك . فسال الله ان يمد في أجلك لحيه بلادك وتكون قدوة حسنة لغيرك والسلام عليك أيها المفضل (رياض)

في ٣ ربيع آخر سنة ١٣٢١

حقق علينا ان نعرف الآن بأن أحمد باشا المنشاوي هو أول غني فمكك المصريون بكرهه الحميد وإحسانه النافع بل هو مفخر لجميع المسلمين الذين صار أغنياء بهم في هذه القرون يخلون بالدرهم في طريق المعارف وما دون المعارف من الخير ويذلون القناطير المقطرة في الاسراف والخيلة والتبع بالشهوات التي تفسد الاخلاق والآداب وتضف الأمة بذهاب ثروتها والإدلاء بها الى الاجانب . واننا ننتظر من محسنتنا العظيم فمكة من هذه التفاحات لاخت جمعية العروة الوثقى وشقيقتها الكبرى وهي الجمعية الخيرية الإسلامية ولعله يحبها لها إنشاء المدرسة الكلية التي لا تحقق أميتها إلا بكرهه وجوده ومما لهج به الجرائد في هذه الايام ان حسنتنا العظيم تبرع بألني ليرة عثمانية إعانة لسكة الحديد الحجازية وبمئس مئة ليرة أخرى باسم مريته فجزا الله أفضل الجزاء بمئس بكرهه

﴿ جمعية القضاة الإسلامية ﴾

ألف نفر من ذوي القير والمالية في الفيوم جمعية سموها بهذا الاسم وفرضوا على كل داخل فيها خمسة قروش في الشهر على ان يشترطوا بما يجتمع في كل شهر نسخا من المنار وبعض مؤلفات الاستاذ الامام ويرزعوها على الناس . وهؤلاء انتم الكرام محمد رمزي و ابراهيم أبو عيشة وأحمد نصار وحسن ناصر وعبد الجواد حسن و ابراهيم الصعدي فحياتهم الله ونظامهم

﴿ قراء الصحف المنتشرة ﴾

يقرا هذه الصحف التي تسمى المجلات والجرائد جميع أصناف الناس في جميع البلاد فاصحاب الصحف الرائجة المشهورات أجدر الناس بمعرفة حال الناس في المعاملة ومطالاة ووفاء . وقد علمنا بالاختبار أن لكل صنف خلقا ولأهل كل قطر خلقا فسامو بلاد روسيا أحسن خلق الله وفاء أكثرهم يرسل مع طلب الاشتراك أوراقا مالية بقيمتها وأوراقا مطبوعا عليها عنوانه ثم يرسلون القيمة في أول كل سنة ومن أرجأ الإرسال عن أول السنة فلا يرجئه الا قليلا ويلهم أهل جزيرة العرب . واسوأهم معاملة وأكثرهم مطالا وإهمالا مسلمو الهند وياهم أهل الجزائر فإن كثيرا من المشتريين في هذين القطرين ليقرا المجلة أو الجريدة عدة سنين ولا يخطر بباله أن يرسل إلى صاحبها شيئا . ومن العجيب أن السلاسل العربية في كل بلاد يتبوءونها يحافظون على أكثر أخلاق العرب الفاضلة فتجار العرب في الهند وجاوه وستافورهم الذين يرسلون قيم الاشتراك من غير مطالبة ولا تذكير ، وأهل المغرب الأقصى كأهل الجزائر الا أفرادا في مدينة فاس يشبهون مسلمي روسيا في الوفاء . والحق أنه ليس لنا أن نحكم على أهل تلك البلاد لأن القراء فيهم قليلون وأصنافهم في النسل مجبول . وأما أهل تونس فهم وسط أكثرهم اذا طوبل يدفع واذا سكت عنه يسكت وقليل منهم يرسل وان لم يطالب ولا أعرف احدا منهم الى اليوم طوبل فطبل حتى لا يرجونه الا ان الوكيل طلب منع النار عن نفر قليل لأن الحق لا يخرج منهم الا نكدا وأظن انهم دفعوا وليس عندهم شيء وسيتبين هذا بعد قليل ، لان المحصل لا يزال يشتغل بالتحصيل ، فان قيل ان علي بن زين الذي كان وكيلا للنار قد جمع طائفة من الاشتراكات وثمن كتب أرسلتموها إليه بطلبه كتفريز مفتي الديار المصرية وكتاب الدروس الحكيمة وما طلكم في ذلك عدة سنين : نقول اننا لا تزال نرجوه وقد كان بعض الناس يكتب البنا يحذرنا منه فلم نحفل بذلك والذي نتحققه انه ما طبل ولا نقول انه لازمة له ولأمانة الا اذا كتب اليه الوكيل الذي كلفناه بحسابه ومطالبته : انه لا يدفع مختاراً : أو تقاضاه في الحكمة . هذا وان الوكيل هناك يشكو من غناه التحصيل ولعل ذلك لكرم نفسه وعدم احتيازه الناس في حرصهم على المال هذا إيعا إلى ما كان من احتيارنا فلما أردنا ان نعال ذلك بتأثير الحكومات

بأن نقول ان الامة التي تظلمها حكومتها تنعم الظلم والامه التي تحكم بالعدل تجري على العدل - خائنا التعليل وان كان له وجه وجهه إذ يصعب علينا ان نقبل حكومة روسيا على حكومة الهند ، والصواب ان حسن المعاملة تابع لحسن الخلق والاخلاق آثار الوراثة والتربية في النفس اذا رسخت وانطبعت . ولا شك ان الامم المحكومة تؤثر كيفية الحكم في أخلاقها ، ولكن أخلاق الامم تنطبع في الزمن الطويل ولا تغير الا في الزمن الطويل ولذلك لا يصح الحكم على أخلاق الامة بحال حكومتها الحاضرة الحادثة فان الذين فضل الاستبداد والاستبدال في نفوسهم عدة قرون لا يتطهرون من تلك الآثار الخبيثة في عشرات من السنين لاسيما اذا انتقلوا من عبودية ذل الى حرية مجون وخلاعة . ومسلمو روسيا لم يكونوا أذلاء ولا مجاننا من قبل حكمها وهي لم تظلمهم الا بالتضييق على المعارف زمانا ثم أعطتهم حرية ما في التعليم والتربية فهم يجتهدون فيها ويجهدون على بصيرة يفضلون فيها سائر المسلمين . وأهل الهند كانوا أذلاء بالاستبداد ثم كانت لهم حرية فاسقة مع تضييق في أمور المعارف ثم صارت لهم حرية تامة لم تؤثر فيهم تأثيرها القصر الزمن وأما أهل المغرب الاقصى فهم على بداوتهم في ظلمات من الفوضى والجهل لا يبصرون ولا يبصرون ولذلك قلنا ان الحكم عليهم غير صحيح . ونظن ان الاخلاق في الجزائر لم تنسد بلارة وانما هناك خير منها في تونس لأن الجزائريين أبعد من اتونسيين عن الخلاعة والترف وقد كانوا من قبل حكم فرنسا أقرب في حضرمهم الى البداوة ولم يؤثر حكمها في أخلاقهم الا قوة الاعتصام برابطة الدين والجنس لأنها أزالته منهم السلطة الاسلامية ولا يستطيع افساد المسلمين الا الحكم الطغاة من المسلمين اذ لا يقل الحديد الحديد ، والبلاد العثمانية نزلت عليها آفة الحجاب فلا كلام فيها بقي الكلام على بلاد مصر . كانت هذه البلاد ولا تزال أم العجائب وفيها من الماطلين والحاشنين والمهاضين للحقوق مالا يوجد في غيرها كما ان فيها من الفضلاء وأهل الكرم والوفاء نقرأ بعز وجود أمثالهم في سواها . في هذه البلاد رأينا من الفروق بين الاصناف ، كما يرى الرايون بين الاشخاص ، وأظن ان غير العالم المختبر يحسب ان أحسن الناس وفاة . وأسألهم قضاء . علماء الدين أو قضاء الشرع أو القضاء عامة لانهم هم الذين يعملون لاقامة العدل وأداء الحقوق الى أهلها وهم أعلم الناس بأثار التي في الحقوق

ومضراته لانها بمثابة كل يوم أمام أعينهم في أقبس سوزها وأشكالمها ليس هذا الحسبان
بصحيح ولعل انقارى لا يتوقع ان أقول ان أحسن الناس وقاموا طهرهم ذمته لهندسون .
ولعل السبب في ذلك تأثير العلوم الرياضية في نفوسهم كما تؤثر في عقولهم قاتها هي العلوم
التي ليس فيها أوهام ولا ظنون فاسدة ولا خرافات ولا مسائل تؤخذ بالتقليد الاعشى .

أما المثل فهو على أشده في أهل البطالة ثم في كتاب الدواوين وغيرها لأن أكثرهم
لاهم له من حياته الا أن يكون له رزق مضمون يجمع به وان كان قليلا أعني أنهم
لاهمهم الامور العامة وليس لهم مقاصد طالية وإنما يذكرون لفظ الله أو الوطن
حكاية للالفاظ التي تكثر في الجرائد ومن يشترك في الجرائد منهم قلما يشترك تشبها بالوجهاء
والرؤساء . هذا كلامنا في الأكثرين ومنهم أفراد من أرباب البيوت التي لها سلف
في حسن الاخلاق أو التي لها قرب من سداجة الفلاحين الفطرية التي لم يبلغ عليها
طوفان فساد مايسمونه (الثمدن) قالوا لك يشتركون ليستفيدوا وليكونوا عوناً للصحيفة
التي يستقنون فهمها وقيل ما هم

ومن العجيب ان يكثر المثل والي وهم حقوق العلم والادب في رجال القضاء
وأعوانهم من رجال (النيابة) فان في قضاة الاستئناف الذين يرون أنفسهم فوق جميع
رجال الحكومة عدلا وعدالة وعفة واستقامة يدافعون بحصل الجريدة من شهر الى
شهر حتى تقصر هذه الشهور ستين فبايالك بمن دونهم ؟

أما أهل العلم الديني ومنهم قضاة الشرع ومعلمو المدارس فهم أحرص على المال وأضن به من جميع
الناس الا أنهم قلما يشتركون في الجرائد ولكن يطلبها الوجهاء منهم على ان تكون هدية
ومن أراد الاشتراك من غير الوجهاء فانه يجتهد في أن يتقن من قيمة الاشتراك المعينة
شيئا لنفسه فادونه ويبيع في ذلك إلحاحا ثم آتم بعد ذلك لا يتزهدون عن المثل والتسويق
ولكنهم قلما يستحلون أكل قيمة الاشتراك وبعضها بالمارة كما يفعل بعض كتاب الدواوين
وبعض التجار والفلاحين والعمد

هؤلاء الصديقيون الجرائد ويكرهون المجلات - يحبون الجرائد انما يتوقعون من مدحها
لإيهاهم ودفعها عنهم فيما يهتمون به ولذلك يدفعون لها الاشتراك ويزيدونها عطاء ومساعدة .
ويكرهون المجلات لانهم لا يتوقعون منها ذلك ولا يفهمونها وليس عندهم روح حب
العلم والادب وقد اعتاد أكثرهم على الظلم وهم الحقوق حتى ان الاستاذ الامام يضرب

المثل في الدرس بلادتهم. وليس هذا الحكم عاما فاني أعرف نفراً منهم يحبون العلم والادب منهم المتعلم في المدارس النظامية ومنهم من له حسب عريق وأخلاق موروثة. وإنما قلت ماقلت في العمدة عن سماع لاعن اختيار فان المشتركين منهم في النار قليلون واني شاكر لهم لاشاك منهم ولا استثني الى اثنين لأذكرها بالاسم ولا بالوسم لأن هذا ليس من شأن النار ولذلك تجرأ على هضم حقه

ومن الناس من يحتال على قراءة الصحف المنشرة بالاستدباب لخدمتها بالمكانة أو الدعوة اليها وتكثير سواد قرائها وقد عايننا من هؤلاء المحتالين ماعاق غيرنا ولم يبق لاحد يعرف النار مطمع في مكاتبته لأن مائدته لا تقبل المتطفلين ولكنتنا نتلقى في كل حين كتابا عن يصفون أنفسهم بالغيرة على العلم والدين، والرغبة في إسعاد الكتاب والمنشئين، وبعد إطرأنا وإطراء أنفسهم يطلبون أن يكونوا وكلاء. وقد أجبنا طلب كثير منهم بارسال المجلة اليهم وحشهم على نشرها فلم يصدق أحد منهم وإنما كانوا ينادعوننا في أول الأمر بطلب المجلة لواحد أو اثنين ويشهدون لمن يطلبون له بالأمانة والاستقامة ويعدون بأخذ قيمة الاشتراك منه في أثناء السنة تتمر السنة ولا يفي أحدهم بوعده ومن يدري أأخذ من المشترك أم لا. وقد كان لنا من أرجى هؤلاء العاضدين للادب بالوكالة ان جانا مشتركا في أول العهد بوكالته (في السنة الماضية) ثم ان ذلك المشترك كتب الينا بأنه لم يرض ان يكون عوناً للمجلة بالاشتراك فقط وإنما هو مستعد لنشرها وطلب وصولات لأجل التحصيل ممن يدعوهم الى الاشتراك فكتبنا اليه بأننا نتنظر قبل كل شيء قيمة اشتراكه هو ثم عابه ان ينيه من يدعوهم الى الاشتراك بارسال القيمة حوالة على البريد فسكت ولم يجر جوابا حتى اذا انتهت السنة كتبنا اليه نطلبه فلم يرسل الينا مالا، ولم يرجع الينا قولا، فرجعنا الى الوكيل الذي أمر بارسال المجلة اليه فكتب اليه طالبه قاعدي ان المجلة ترسل اليه أنه وكيل لها لأنه مشترك فيها!! ثم طلبها لمشارك جديد... فكتبنا اليه: إنك كنت وكلاء على مشترك واحد فلما صار هو وكلاء صرنا وكلاء على لاشي. وأنت الآن تطلب المجلة لآخر ونحشى ان يصير في آخر السنة وكلاء فيكون لنا ثلاثة وكلاء على لاشي ثم تجد هذا في كل عام... وما يدرينا أننا اذا أطعنا هذا الوكيل يصير خبره الى جميع المشتركين فيختارون ان يكونوا وكلاء. يتحكم كل منهم بارسال المجلة الى من شاء. !!!

﴿ نحن واليازمي ﴾

الشيخ، ابراهيم اليازجي في الطبقة الاولى من أدباء نصارى بلاد الشام وقد اشتهر
بالغاية والبحث في اللغة العربية وانتقاد ما يكتب بها وان قومه ليجلون قدره، ولكنا
كنا نراهم على نفرهم به يشكون من محبه وصلاحه، وأيامون من غروره وتفجعه،
ويقولون ان هذه الخلل حالت دون ارتفاعه بعلومه وانتفاع الناس به، وانهما تحمله على
أن يهمل العلماء والفضلاء الذين لا يدانيهم في علمهم (كنششي المقتطف) لما قد يقع في كلامهم
أحياناً من كلمة دخيلة او عامية، أو عبارة تخالف بعض قواعد العربية، على ان كلامه
لا يسلم من مثل ذلك ولكنه لانصرافه بكل همته الى التفتيح يقل في كلامه الفاظ
والشذوذ، وللقوم شغل بالعلوم يأخذ من همهم حظاً هو أشرف ما تصرف اليه المهم،
ومما سمعناه عنه في بلاد الشام وفي هذه البلاد ان غروره بنفسه في فهم اللغة جرأه
على الطعن في القرآن العظيم الذي خضعت له أعناق البلغاء، وسجدت له جباه النصحاء،
أيام كانت البلاغة في أوج سلطانها، والنصاحة في ريمان شبابها، فكان لهذا الرجل
في خياله صورة منترعة من سيرته المسموعة غير جيلة لذلك لم توجه النفس الى طلب
معرفة لأننا من قوم يفضلون الاخلاق الكريمة على العلوم العقلية والكونية، به الفنون
القوية. ثم ان كلامنا يشتغل بالصحافة ولكن ليس بيننا وبينه مبادلة فلا نحن نطلع
على مجلته ولا هو يطلع على مجلتنا الا أن يكون ذلك مصادفة واتفاقاً

ثم كان في العام الماضي ان جمعية الكتاب المصرية ضمتنا في بعض جلساتها فأرأينا صوراً أجمل
من تلك الصورة الخيالية رأينا لطافة ودماً وأدباً كدنا نكذب به كل ما سمعنا ما لا يرضى لولا
ان هذا اللقاء لا يصح ان يسمى اختباراً يحكم به على الاخلاق. على أن اعتقادنا فيه حسن
ورجحنا ان في قول الناس فيه بالغة حتى اتفق لنا ما كشف الستار من حيث لا نختبئ

رأى القراء أننا حين شرعنا في رد شبهات النصارى على القرآن قلنا ان المجلة
البروستيتية نقلت هذه الشبهات من كتاب لهم « يقال ان للشيخ ابراهيم اليازجي بدا
في تصحيحه أو تأليفه أو الزيادة فيه وهو عندهم أقوى طعن في القرآن » معتقدين
صدق الذين قالوا لنا ذلك لئلا يصاحب تلك المجلة وغيره ان آخر سهم في كنانهم طائش
وان ما رتضاء أعلمهم باللغة وعده طعناً في القرآن ليس بأمثل مما يهذي به اجهلهم فورد دليل

على سوء قصده والا فلي جهله ، ولكنني حفظت ليازمي حق ذلك الاجتماع القليل فأوردت الرواية بصيغة المجهول التي تشعر بالشك (يقال) ثم اني لم أكن راضيا عن نفسي تمام الرضى بما نشرته وأنا أشبه بال مضطر مني بالمختار لأن مداقمة المشايخين الذين يطمنون في الدين من الفروض الاسلامية الكفائية اذا لم يقيم بها أحد يكون جميع المسلمين العارفين عاصين لله تعالى . وقد لقيت بعد أيام من صدور المنار صاحباً لي ولاشيخ ابراهيم فأخبرني بأنه استاء مما كتبت وأنكر ما نسب اليه . فقلت له ان أحب شيء الي ان أجد سنداً لآعلان رايته وحسي في ذلك ما نقلت انت عنه وانني سأبرئه في أول جزء يصدر من المنار . فقال لا تعجل حتى ترى . ما يكتب فان الذي أطلعه على المنار أغراء بالرد عليه والاغلاظ له ثم جاشي صاحب آخر بما كتبه فاذا هو قد أعاد لي تلك الصورة التي صورها الناقلون الاولون

أكبر الرصيف أمر تلك الكلمة (بال: ...) إكبار أحتي . مثلها لقارئ كلامه بصورة جبل عظيم يريد ان يقض على العالم فتقض معه الماقل والصياصي . وتنب لموله التواصي . وعدها من د القوضى القلمية في هذا القطر واقطاع كل عقال فيه حتى أصبح كل شيء مباحاً وصار الكتاب اذا عجز في صدره خاطر متخرس (كذا) أو مر بسجته قول مرجف لا يلبث ان ينشره بغير تثبت ولا فحص يشوش به الافكار ويجعله مصدراً للقليل والقال . كأنه يرى ان ما كتبه أصحاب الجرائد الاسبوعية في الأئمة الاعلام . وفي كبار الامراء والحكام ، لا يذكر في جانب تلك الكلمة في مقامه ولا فصل به الحرية الى حال القوضى القلمية وكأنه يتوهم أن أبناء الملتين الكبيرتين (الاسلامية واثصرانية) ينتظرون مباح اسمه ونقل كلمة عنه حتى اذا ما قيل ان الشيخ ابراهيم قال كذا تضطرب الافكار ، وتغيث الصدور ، وتستمر نيران الجدال ، وتكون كلمته موضوع القيل والقال . ولكن الكلمة قد قيلت ولم يحفل بها أحد . وأما المنار فلما رد عليه كما رد من قبل على ما كتبه ذلك القطبي الذي لا يعرف اسمه الا مكتوباً على غلاف تلك الحجة فلا هو من العلماء ولا من الكتاب ولكن من المشايخين الذين ينشرون بمنهات المشككين ،

وقال بعد نقل الكلمة انه وقف قلب الطرف في هذا الكلام ويقتل آياها . وأحلامه الماضية ليتذكر عهد اشتغاله بالتناقشات الدينية . ثم استدل من الكلمة على شدة حرصنا على الصافي التهمة به وعلى أنه . مأخوذ بها إما من جهة التأليف أو من ناحية التصحيح أو من جانب الزيادة . ثم قال اننا بنينا هذا الحرص وهذا الحكم بالأخذ على شهادة

«يقال» وهي شهادة ما أنزل الله بها من سلطان. وكتب ماشاء أدبه من العطن والمجوه ولمعري ان استباط هذه المعاني كلها من كلمة «يقال» ثم ادعا أنها هي نفسها: انما جعلت شاهدا على المستبطات ثم الاعتراف بأنها شهادة لا تدل على شيء من ذلك كل ذلك يناسب فهم ذلك المنتقد على القرآن الذي عمد الى الآيات المتناسبة للوارد في تأييد حقيقة واحدة فجعلها متعارضة متناقضة. سبحان الله! اننا لم نكتب عنك يا علامة اللغة الا تلك الكلمة «يقال...» فاذا كانت لا تدل على ثبوت شيء فمن أين استبطلت كل هذه المعاني؟ لعلك استبطلتها من الطريقة التي فسرت بها القرآن بهواك، فسبحان من أعطاك، أو من التمرن على مجادلة الجزويت، فله أنت والله ما أوتيت،

ثم قال اننا كنا نستطيع ان نستثبت ذلك من مشافهة وانه كان يستمد الى الساعة التي علم فيها بالكلمة اننا من أصدقائه—وان لم تثبت مع التعصب صداقة—وان ذلك كان يكفيها إعانة النفس في الاستخبار والاستطلاع أو كد الخيلة في الحدس والتكهن (كذا) مأشبه هذه الأقوال بذلك في الحطال والسلطة. أياظن الرصيف اللغوي ان تلك الكلمة «يقال...» لم تأت الا من إعانة النفس في سؤال الكثير من الناس: هل كان ليازمي يد في كتاب كذا أم لا؟ أو من كد الخيلة في التكهن؟ ان هذا الغن من أعجب وحى الغرور. وأعجب منه أن يظن رجل مثله شاخ في احتبار الناس أن فلانا صديقه وهو لم يجتبره في شيء وإنما رآه مرتين أو ثلاثا ولم يتحدث معه الا بمض دقائق. أما قوله بأنه كان ينبغي لنا الاستنبات منه فهو صواب ولكنه محض بفروء إذ كفنا ان نجيشه وهو يعلم أننا لانعلم في أي ناحية من مصر يقيم وان أوقنا لاتسمع الا بزيارة جميع أصدقائنا الذين يزورونا فعلا عن إضاعة الأوقات في الدؤال عن غيرهم. ولعمري الحق انه لو خطر في بالنا ذلك عند الكتابة لكتبنا اليه وان كان الوقت قصيرا أو انه لو كتب بعد ذلك رقعة يري بها نفسه لبادرنا الى تبرمه ولكن هذا اللغيط الذي استولى عليه حتى كتب ما كتب بما كنا نجبه عنه يدل على ان ما قبل عنه صحيح وإن بالغ في تزويه نفسه عن المناقشة في الايمان فان الانسان لا يتألم مثل هذا الا اذا كان ما قبل فيه حقاً

أما الصداقة فتؤكد له القول بأنه قلما يوجد في بلاد سوريا ومصر من له أصدقاء يخاص لهم ويخاصون له مثلنا. وان أصدقائنا من فضلا التصاري يرفون حرصنا الحقيقي على الوفاق بين الملل وان مدافعتنا ما يقتريه أو يموته القسيسون والمبشرون وأعدائهم على الاسلام، بما يمتحننا على الدعوة الى الوفاق والوئام،

فمن عادى الذين يستمرون للقول
فنبذنا حسنه أولئك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الآلآب

المسحاة

١٣١٥

بوتني الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الآلآب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للسلام صوى ومنازاة كثر الطريق)

(مصر - الاخذرة جمادى الاولى سنة ١٣٢١ - ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٣)

الحوارق والكرامات

المقالة الخامسة عشرة في أنواع الحوارق وضروب التمليل والتأويل

(التبويم المفاطيسي - بقية بحث ابراه العالم)

قلنا ان من وجوه التمليل في ابراه الملل تأثير النفس الذي يعبر عنه الصوفية
بتأثير الهمة وقد كان هذا فاشيا فيهم لانهم كانوا يعرفون تربية الهمة النفسية أي تربية
الارادة والعزيمة، وقلنا إنهم لم يكونوا يقصرون هذا على أنفسهم بل كانوا يعترفون
بوقوعه للوثنيين كالهناد وغيرهم وأما سرى هذا الى المسلمين من الهناد . ونقول الآن
ان هذا التأثير قد ظهر في هذا العصر - عصر الصناعات والعلوم الطبيعية - بشكل
صناعي يعبرون عنه بالتبويم المفاطيسي الذي شاع ذكره واشتهر أمره وكثرت فيه
الدعاوي ومن أغربها ان التوبم اذا سأل التوبم عن شيء من الامور النبوية التي لم يسبق
له بها علم يحبه عنه لأن روحه بقيتها عن الحس تطلع على ما وراءه . ومنه ان التوبم
اذا قال للتوبم إنك قد برئت من علك وشفت من مرضك - وهو مريض -
فانه يبرأ حالاً واذا قال له ان الجو يتأهب البارد حالاً ويقفف وان كان الحر
شديداً وكذلك اذا قال له ان الحر شديد في إمان البارد القارس فانه يسرع اليه العرق
كما يجحد من الحر .

ومن العلماء من ينكر هذه الدعاوي ويمد متحليها من المشوذين . والمحققون
من الاطباء والطبيين يقولون ان الذي ثبت بهذا التبويم شيء واحد وهو تأثير النفس

في النفس وحكم الارادة القوية على الارادة الضعيفة وهذا هو الذي كان مرفقاً عند القدماء من الصوفية وغيرهم على ما علمت من الجزء الماضي . وقد جاءنا بعد صدوره العدد ٢٢ من جريدة (الافكار) التي يصدرها في سان باولو البرازيل (أمريكا الجنوبية) الدكتور سعيد أبو جرة فرأينا فيه مقالة في ذلك رأينا ان تنشرها هنا لما نعلم من تشوف أكثر القراء الى الوقوف على آراء العلماء المحققين في هذه المسألة قال بعد العنوان: انصه :

« كانت امامنا مجلة نيويورك الطبية عدد ١٨ نيسان الماضي وبها مقالة بدعية عن التويم المنطاطبي تتضمن أحدث الآراء وادق الممانى عن مسألة هامة شغلت عقول العلماء والاطباء مدة طويلة والأورد علينا سؤال من صديق عزيز علينا يسألنا ابداء رأينا في استعمال التويم طبياً فى احدى الحالات المرضية فآخترنا اذ ذاك تلخيص هذه المقالة حياً بافادة القراء وهي خطاب لاشهر طبيب أمركاني الدكتور هاورد » الفاه امام عمدة مدرسة الاطباء والجراحين في مدينة بلتي مور . وهاك نقواء مع بعض التصرف والاقتصاد :

« أيها السادة . كثر الدجالون القائلون الآن باستعمال التويم المنطاطبي في كل الامراض تقريباً وكثر الناس الذين لسوء الحظ يصدقون بأقوالهم المزخرفة وبراهينهم السطحية السفسطية حتى صار صبيان الازقة عندنا يقولون «المنطاطيس الحيواني والمهستيريا والمنطاطيس» وهلم جرا . واننا لسوء الحظ نقول ان بعض هؤلاء الدجالين هم أطباء قانونيون مثلاً . ولكنهم يستعملون هذا السلاح الحاد بدون معرفة وبلا تمييز حتى صرت أود من كل قاضي ان نخفي المعرفة عن التويم فاني أرى اضرارها أكثر من منافها في يدي هؤلاء المشعوذين والسحرة

« واني لأخفي عليكم رأي شاركو شيخ الاطباء الحاليين في كل العالم من هذا القليل اغني قوله لي في وسط مكتبه وعلى مسمع من عشرات من أطباء الارض يقصدون باريس سنويا للاستفادة من شاركو ذلك البحر الزاخر قال لي ان التويم والمهستيريا فرعان لادل واحد . أي ان المريض المهستير يقبل التويم والذي يقبل التويم يكون مهستيراً أو ضعيف العقل ولارادة والعكس بالعكس . وهذا هو عين الواقع أيها الرصفاء.

وعلى هذا قد صادق الذكارة برنهان وايول في أوروباوانا في أمركا بعد احصاآت عديدة حسية في المستشفيات هنا وفي مكتي الخاص أيضاً . ولما كان هذا الخطاب لاجل الحقائق لالاجل تقديم الاراء فاني اتقل بفتة الى التجارب الحسية امامكم لاقناعكم بصحة قول شاركو وقولي . انظروا هذه الدجاجة على الطاولة امامي هاني الآن أنومها (فتومها فدت ساقها وذبات جفنها ونامت مغنطاعياً حالاً) باشارة صغيرة . وعلى الطرف الآخر انظروا هذه الحمامة . هاقدا نامت أيضاً . والآن تقديمي بامس ... (ونادى سيدة كهلة عزباء مصابة بمرض تططب عنده) فترون أيها السادة الرسفاء ان كلمة صغيرة الى مس... تجملها تحت تسام ارادتي ... نامي . أقول لك أنت الآن نائمة . لاتشعري . لاتنظري . لاتسمعي ... فها قد نامت هذه السيدة مثل الدجاجة والحمامة حالاً . ولكنكم اذا أتيتم بشاركو وكل ألبا الارض وعلماءها فانهم لابقدرن ان ينوموني . (ضحك واستحسان)

وهذا يأتي بنا طبعاً الى هذا السؤال المهم وهو : من هم الناس الذين ينامون وما هي ماهية التسويم ؟ فمن الاول أجب ان الناس الذين ينامون هم كل الذين يشكون من ضعف مافي مراكز العقل والارادة . وهؤلاء كثار العدد خلاف ماتصورون . وعلى ما أظن انهم ٣٠ بالمائة في العالم المتمدن واكثر من نصف الناس في غيره . ولكن أنواع التسويم وهيتها مختلفة . فاني اذا نومت زيدا قلت له لاتشعر بالالم فانه لايشعر وانذ ذاك فاقدر ان اعمل عملية جراحية صغيرة عليه وهو كأنه تحت البنج . ولكنني اذا فعلت ذلك مع عمرو لا أنجح بل أنجح اذا قلت مثلاً لك لاتسمع أو لاتبصر أو لاتبرد مع ان الماء الناتج يسقط على بطنه العاري . أما عن الثاني أي ماهية التسويم فأقول بالاختصار انها غير معروفة تماماً . سوى ان المختنون هو حكم ارادة قوية على ارادة ضعيفة بمظهر كبير . وعلى هذا القياس نقدر ان نقول ان من يستولي على عقول الناس وأمالهم وأفكارهم ليس سوى منوم وما تناس الذين يقادون له الا مصابون بنوع من أنواع الضعف العقلي (أو الدماغى) حتى أصبحوا عرضة لان ينوموا بالتسويم المنطاعيدي ولو بمظهر بسيط وبهيئة دارجة عادية فلما يعاق عليها الناس كبراهية . ولهذا السبب لاتعجبوا اذا قالت لكم ان نصف العالم عرضة للتسويم المنطاعيدي بأحد

أنواعه هذا إذا لم أقل نصف المتمدنين (استغراب وهمس في الحضور)
 واستعماله طيباً : أما إذا ردا استعماله الماحي فضيحة لئلا يفيداً للغاية في يد منوم شريف
 عفيف عالم . ومضرة للغاية أيضاً في يد المحتال محب المال الدجال الساحر الفاسم الكافر .
 ورأي شاركو في استعمال التبويم هو : - يحسن (أي لا يجب) بنا ان نستهله في
 أمرين فقط وهما (١) عند وجوب تحقيق أو تشخيص أمراض الدماغ والمصّب للتمييز
 بين الامراض العقلية منها وبين أمراض مادة الدماغ ذاتها أي للتمييز بين الامراض
 الوظيفية والامراض الآلية . مثلاً إذا جن زيد فيجب علينا تحقيق سبب الجنون هل
 هو ناتج عن خلل في إحدى وظائف الدماغ أم عن مرض أصاب الدماغ ذاته كزيف
 أو احتقان أو ضغط عظم حجمه مكسورة وهلم جرا . و (٢) عند تخفيف الآلام ومعالجة
 الارق أو قلة النوم التي تضك الجسم وتسبب له الضعف الشديد والتعرض للجنون بأحد
 أنواعه . وعلى هذا فاستعملوه في آلام الحصى الروماتيزمية (داه المفاصل الحاد) . في الارق
 المستديم . في الامراض العصبية التي تأتي بالآلم الشديد ليل . في بعض أنواع الفالج وما شيه
 من الحالات . أما في الهستيريا وهو المرض الذي يكثر به احتيال الدجالين فاستعملوه نادراً وبمحذر
 تام . أي أنه يحسن بنا ان نستهله في الهستيريا إذا كانت المهسترة أو المهستر متألماً جداً من
 ارتجاف الاعضاء أو قاصصها أو انكماشها أو شللها أو التوقف عن عمل وظائفها الطبيعية
 كحبس البول أو الامتناع عن الاكل والشرب والنوم وما شاكل ذلك من الموارض
 التي إذا دامت مع الليل تؤذيه وتأتي له بامراض ثانوية مضنكة . ولا بأس من استعماله
 في حالات السكر إذا كان السكران عرضة لان يضر ذاته أو غيره وكذلك في حالات المانيا
 (نوع من الجنون) الحادة أو الملائخولية التي تجعل المصاب عرضة للاحتجار . وفي كل هذه الظروف
 فليكن استعماله بمحذر تام . وباعتدال لحد الامساك . انتهى باختصار وتصرف . اهـ

(المنار) نكتفي بهذا البحث في هذا الجزء . ونعود في الاجزاء الآتية الى الكلام
 في بقية أنواع الخوارق وتعليقها المقول ان شاء الله تعالى . وقد قلنا عبارة الافكار
 بحروفها وفيها من التقد في اللغة والاسلوب ما يعذرنا القراء على عدم التمرس له



﴿ شبهات النصارى وحجج المسلمين ﴾

(البينة الثالثة في رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد التاسع على تناقض القرآن بزعمهم) قوله تعالى في سورة الانعام « وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا اَيْنَ شِرْكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ » ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَسُبُّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا شُرَكِيْنَ * انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشُرُونَ » مع قوله تعالى في سورة النساء « يَوْمَئِذٍ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصَوِّرُ الرُّسُلَ أَوْ سَوًى بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا » والجواب عنه من وجهين أحدهما أن لفظ (يوم) له إطلاقان لإطلاق بمعنى مدة بياض النهار أو مجموع ليل ونهار وإطلاق بمعنى الوقت مطلقاً وإذا أضيف إلى حادثة وقت أو قدر وقوعها في المستقبل يراد به الإطلاق الثاني ومنه أيام الرب المشهورة لا يريدون باليوم منها بياض نهار ولا مجموع نهار وليل وإنما يريدون الوقت وإن كان ساعة واحدة أو أياماً طويلة بحسب الإطلاق الأول. ومنه أيضاً ما عبر عنه في القرآن الكريم بكلمة يومئذ أو يوم يكون كذا كقوله « ويوم نحشرهم جميعاً » وقوله « يومئذ يود الذين كفروا » الخ ونحوها كثير جداً لاسيما في سياق الكلام على الآخرة التي ليس فيها أيام تتعاقب مع الليالي ففنى «يوم» في كل آية وقت يحده الفعل الذي تعلق هو به في الآية أو المضاف إليه كيوم الحسرة إذا تمهد هذا فاعلم أن الآيتين اللتين زعم النصارى تناقضهما تدعيان بأمرين يكونان في يومين أي وقتين مختلفين أحدهما حشر المشركين وسؤالهم عن الشرك وقد أخبر أنهم يومئذ ينكرون كما في آية الانعام وثانيهما إتيان الله بعد ذلك الإنكار بالشهداء يشهدون عليهم وفي ذلك الوقت (أو اليوم) يضطرون إلى الاعتراف فيترفون ولا يكتمون كما في آية النساء. وقد حذف المعرض الآية التي قبل قوله تعالى « يومئذ يود الذين كفروا » الخ وهي التي تدل على أن عدم الكتمان إنما يكون بعد شهادة الشهداء وهي قوله عز وجل « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » ومجموع الآيات يمثل لنا محاكمة في الحساب الآخروي ينكر فيها الجميع جريته أولاً

ثم يضطر الى الاعتراف بعد شهادة الشهداء وإقامة البينة كما يعهد في الدنيا والحكمة في هذا ردع العصاة واذارهم عاقبة الفضيحة في تلك المحاكاة التي لا يظلم فيها أحد. فالآيات متوافقة مطابقة وما أعلن ان ذلك « العلامة القوي » الذي حرّر الاعتراض بجمل ذلك وإنما هو مكابر ومشاغب

هذا هو الوجه الأول في الجواب وأما الوجه الثاني فهو ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن الواو في قوله « ولا يكتمون الله حديثاً » أو الحال وليست أو المصنف قد دلّ على عدم الكتمان ومعنى الآية حيث أن أولئك الكافرين العاصين تأخذهم الرهبة ويحيط بهم الوحل فلا يجترأون على الكذب على الله تعالى وإنكار ما كان منهم بل يودون ان يكونوا تراباً تقسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً يعلمون انه يحيط به وأنه لا يهرب عن علمه، كما يقول: « أودّ أن أقتل ولا أغشك: أي انني استحب الموت وأفضله على غشك » وهذا التفسير تكون هذه الآية بمعنى الأولى وهو لا يابأه النظم ولا ينبذه الاعراب ولا ترفضه البلاغة والنصاحة وما هو بتأويل، ولا انحراف عن السبيل، ولو شاء الحبيب ان يكثّر من الوجوه لفعل فانه يشترط في تحقق التناقض الاتحاد في الموضوع والمحمول والزمان والمكان، الى آخر ما يسمونه الوحدات الثمان، فكما ان الجواب الاول أبان عدم التناقض لعدم الاتفاق في الزمان (والجواب الثاني نفي الخلاف بالمرّة) فلنا ان نحيب جواباً ثالثاً باختلاف الموضوع فنقول ان التناقض غير متحقق لاختلاف القضيتين في الموضوع فان إحداها تحكي عن المشركين والآخرى عن الذين كفروا وعصوا الرسول وتشمل للموحدين الذين لم يشركوا ولكن كان كفرهم برفض الايمان بالنبى عليه الصلاة والسلام كما تشمل الذين آمنوا برسالته، ولكن عصوه في هدايته، وهذه آيات القرآن تصف اليهود بالكفردون الشرك. ثم اننا ان نحيب جواباً رابعاً بمنع التناقض لاختلاف المكان فاليوم القيامة مواقف كما ورد فيحتمل ان ينكر المشركون والكافرون جميعاً في بعضها ويترفوا في بعض آخر والجواب الاول هو العمدة ويليه في القوة الثاني

(الشاهد المباشر) قوله تعالى في سورة فصلت « قُلْ أَمَّا أَنْتُمْ فَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ (الى قوله) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا

وَبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءَ الْمَسَائِلِ ثُمَّ آتَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ «زعم المعارض أن هذا الكلام يفيد أمرين أحدهما أنه خلق الأرض والسماوات في ثمانية أيام والآخر أنه خلق السما بعد الأرض لاقبها لكن الأول يتقوض في بيضة مراضع من القرآن بما معناه أنه خلقهما وما بينهما في ستة أيام لافي ثمانية والثاني منقوض بقوله في سورة النازعات «أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءَ بَنَاهَا رَاحَ سَمَكُهَا قَسْوَاهَا ، وَأَنْتُمْ أَشَدُّ لَينًا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا». وتقول في الجواب عن الأمر الأول إن من السمع الشائع عند العرب أن يقال مثلاً سرت من القاهرة الى طنطا في يومين وإلى الإسكندرية في أربعة أيام ويراد في يومين آخرين كأننا مع ما قبلها أربعة أيام ولذلك لم يتوقف أحد من الصحابة في فهم الآية ولم يفسروهم كابن عباس وغيره ان هذه الآية تحتاج الى بيان وإنما اختلف في إعرابها وإعراب أمثالها الحاجة فقدّر بعضهم مضافاً محذوفاً للقرينة فقال المعنى «في ستة أربعة أيام» كما قدروا في مثل «وَأَسَّسَ الْقُرْيَةَ» كلمة (أهل) أي أسَّس أهل القرية وذهب الزمخشري الى أن الجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف يفيد ان العمل أو السفر كان في أربعة أيام على طريق التذكير ولما كان المعارض مطالماً على هذا ومقتضياً بحسنه في قلبه لم ير سبيلاً لصرف الوجه عنه الاشم قائله بتسميه ذلك تأولاً من عبث الولدان وقد زين له انفسه ان يقول انه لو صح هذا لازم منه ان يقول بعد ذلك عن السموات فضاضهن سبع سموات في ستة أيام لا في يومين كما قال «واحتج على ذلك بزعمه فقال ان موضع التذكير في الكلام لأوله وقد تجاهل أن الآية التي تنطق بنجاح الأرض قد تمت وجمعت التذكير في آخرها وأن الكلام في خلق السموات جاء في آية أخرى ابتدأت بهم التي تستعمل في التراخي في الزمن أو في رتبة العمل ونوعه بصرف الخبر عن رتبته كقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منكم زواجياً» وهكذا شأن أهل الفتنة واليهب والتعصب القديم

وأما الامر الثاني فقد أخذہ المعتبر من اختلاف المفسرين في خلق السموات والارض
 أيهما سبق لاختلاف فهمه في الآيتين . وله بعض المذر - وهو ينظر بعين السخط
 والتقد - اذا آنس شيئا خلافاً أو شبهة خلاف فتشبت بها وصرف ذهنه عن الجمع بينهما
 بما جمع به المفسرون . واني أقول ان جميع المفسرين قد قصروا في تفسير أمثال هذه الآيات
 التي تتكلم في أمور المبدأ والمعاد وغير ذلك من الامور الغيبية ولهم العذر فان هذه
 الامور لم تذكر في الكتب المنزلة لشرح حقائقها وبيان كنهها بالتفصيل ولا لبيان
 تاريخها وإنما يذكر الخالق والتكوين للاستدلال على قدرة الله وعلمه وحكمته وتوجيه
 الانظار الى الاعتبار بما في المخلوقات والمكونات من العلوم والحكم ووجوه المنافع .
 وقد أجاز بعض علماء اللاهوت من النصارى أن يجيء في الكتب المقدسة من العبر
 والاندلائل الصحيحة ما يفي على اعتقاد لامم المخاطبة بها وان خالف الحقيقة لأن شرح
 الحقائق الكونية ليس من موضوع الدين وإنما موضوعه الهداية الى الايمان بالله واليوم
 الآخر والعمل الصالح وإنما أجازوه لانه كثير في كتبهم

ومن عجائب القرآن وضروب إعجازه انه يصوغ الحقائق في قوالب العبر فترى
 العبرة بادية يستفيد منها الموام والخواص والحقائق كاملة فيها يستخرج منها أصحاب
 الفرائح والفهوم ما ينتهي اليه استعدادهم في كل زمن بحسب ارقاء العقول وتقدم
 العلوم فيه . كان الناس يتلون فيه آيات التكوين منذ ثلاثة عشر قرناً فيهدون بدلالتها
 ويضلون بهرماً ولا يرون فيها شيئاً غنائماً للحقائق الكونية التي كشفها العلم . ثم
 ارتقى العلم الكوني في آخر هذه المدة وقرأه أشتبا في أمور الخلق والتكوين تؤيد
 القرآن من حيث لا يباينون . قالوا ان السموات والارض قد خلقتا من مادة تشبه
 الضباب سماها بعضهم سديم كانت مادة واحدة فاقطرت أو انفتقت فكان منها أجسام
 كرية الشكل افضل منها كرات أخرى . وتسبقنا الاشارة الى ذلك في القرآن بمثل
 قوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان » وقوله « أَوَلَمْ يَرَأَيْنِ كَوْنَهُمَا أَنْ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَتَفْتَنَهُمَا » وقوله « نَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ »
 وقالوا ان هذه الارض لم تخلق هكذا ابتداءً وإنما خلقت أطواراً فكانت نارياً
 ثم مائعة ثم اليابسة ليس فيها نبات ولا حيوان ثم صار فيها الحيوان والنبات وما حدثت

هذه الاطوار الا بالتدريج الطويل كل طور في زمن يليق به . وهذا التفصيل الذي قالوه يفسر الاجمال في قوله عز وجل « قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين » والمعنى ان اصل التكوين تم في زمنين (ولا تنس ما تقدم شرحه من استعمال كلمة يوم في مطلق الزمان) ولا يأتي ذلك ان تكون في أحدها كرة نارية وفي الثاني مائة . ثم قال انه بارك فيها وقدر فيها الاقوات حتى صارت صالحة للسكنى وارتفاق الاحياء في يومين تمت اربعة ايام وذلك صريح أو كالصريح في طور الالبسة التي ظهرت في السماء وطور الاحياء التي ظهرت في الالبسة . ثم انتقل بعد هذا البيان الى ذكر خلق السماء فذكر انها كانت دخانا وأنه خلقها في يومين أي في زمنين كل منهما تم فيه طور خاص فكان خلق السماء وتكوينها كخلق الارض . ولم يخبرنا بما قدر فيها بعد ذلك ولا بعدد الازمنة التي تدل على عدد الاطوار لان العبرة والاستدلال للمقصودين من ذكر التكوين لا يتيان الا فيها للانسان فيه علم ما وان لنا علما بوجود السموات والارض فذكر لنا خلقهما وعلما بما في الارض من الاقوات والخيرات فذكر لنا خلق ذلك

فانت ترى انه لا يراى بالايام التي خلقت فيها السموات والارض ازمان متعاقبة بينهما ولا غير متعاقبة ولا غير ابداءها الاشارة الى الاطوار ومن شأن الاطوار ان تتعاقب في كل شيء بحسبه « وَخَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا » فلو فرضنا ان الزمنين اللذين خلقت فيهما الارض هما الزمانان اللذان خلقت فيهما السماء بينهما كما أن الطورين متحدان للزمن من ذلك شيء يعترض به على التفسير اذ ليس المراد بيان التقديم والتأخير . ومن هنا تعلم ان قوله بعد ذكر خلق الارض « ثم استوى الى السماء » لم يقصده الترتيب في الزمن بل الترتيب في الذكر كما أنه قال اننا سقنا لكم هذه الآية من آيات قدرتنا وحكمتنا اننا نسوق لكم آية أخرى . واستعمال (ثم) في الترتيب الذي كثر في القرآن وفي كلام العرب والمولدين

وأما قوله تعالى بعد ذكر خلق السماء في سورة النازعات « والارض بعد ذلك دحاها » فلا يدل على أن خلق الارض كان بعد خلق السماء ولا قبله إذ ليس معنى الدحا الخلق والتكوين وإنما معناه تمهيدها للسكنى في نهاية الطور الرابع ولذلك وصل كلمة (دحاها) بتفسيرها فقال « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِيَأْتِيَاكُمْ » ولأنه لا يشك ان هذا كله كان بعد خلق السماء وجود الدليل والتأريخ الذي عبر عنه بقوله « وَاغْطِشْ

ليها وأخرج ضحاهما ، فظهر أنه لا تناقض ولا تنافي ولا تخالف بين آيات (فصلت) وآية النزاعات . ونموجوداً أخرى ذكرها المفسرون تنطبق على اللغة وانما ذكرنا ما هو الراجح عندنا بحسب ما وصل اليه علمنا وفوق كل ذي علم عليم

القسم العمومي

نظام الحب والبغض - تابع ويتبع

ما هو الخير والشر ؟

هاتان الكلمتان (الخير والشر) وما رادفهما يرد ذكرهما كثيراً في العلم الباحث عن أحوال النفس ومعاملاتها بل عليهما مدار هذا العلم في أوامره ونواهيه لأن الإنسان في محبة طالب خير وفي بغضه هارب من شر . وهذا هو ديدن الإنسان مدة حياته . وكل واحد يعتقد في الجهة التي يطلبها الخير لنفسه وفي الجهة التي يهرب منها الشر (اللهم المبغضي ذواتهم) وكل واحد ينسبط للخير ويتقيض من الشر . ولكن هل كل واحد يعرف ما هو الخير وما هو الشر وهل كل من اعتقد في جهة من الجهتين الخير أو الشر مصيب ؟ لو كان كل واحد طرفاً بهما لكان كل واحد مصيباً في طلبه وهرم ولو كان كل واحد مصيباً لتضاد الشر وتبارك الخير .

هذه القضايا مسلمة وبناء عليها نسأل ويقال لنا : من ذا الذي يتولى الناس تعريف هاتين الكلمتين ؟ فنقول هم الباحثون في أحوال النفس . فنسأل مرة أخرى ويقال لنا : من هم أولئك الباحثون ؟ هل هم إلا أناس آمناتنا ؟ وفي هذا السؤال رائحة الإيهام والاستكاف فيجب أن يكون في الجواب رائحة الرفق والأناة فنقول : الباحثون في علم انفس أناس آمنات غيرهم من حيث الصور الجديدة وكذلك الباحثون في كل علم . ولكن لكل امرئ في هذه الحياة عمل تنق له فيه اجادة لاتتفق لغيره سيما ان كان ذلك الغير ليس من أرباب ذلك العمل . مثاله الشاعر هو رجل وأنت يا أيها الفلاح ورجل فلم أنت عاجز عما يعلمه ويعمله هو ؟ أليس لأنك لم تعان الشر ؟ (بلى) واني أبشرك بأنه هو عاجز أيضاً عما تعلمه وتعمله أنت لانه لم يعان ما عانيت . كذلك قولوا في السائق هو عاجز عما يعلمه ويعمله الخياط . والثماني عاجز عما يعلمه الاول .

وكذلك قولوا في أبواب العلوم والصنائع كلها . ويومئذ لا يصعب عليكم ان تتقوا ان الذى يمانيه . لئلا النفس من التفكير والتذكر واختيار الاحوال وتجربة الايام ، وربما لا يتفق لغيرهم ان يمانوه ، فاذا كانوا أمثالهم من جهة صورة الجسد لا يلزم ان يكونوا أمثالهم من جهة صورة الفكر . ولهم مركب ان ابن خلدون والفناني لا يحصى مشاهيرهما في الحلقة ولكن مشاهيرهما ومقاربيهما في صنعتيهما يعدون على الأصابع وربما لا يمانون عدد أصابع الكفين .

فاذا علم السائل هذا وسهل عليه ان يعرف له غناء النفس (في نفعها واجتماعها) الخير والشر فليصغ الى ما اقتبسناه منهم بفكر خالص من انهم والتقليد وليأمله بعقله المستفاد لبقوله المستعار .

« الخير هو استعمال الانسان ما خلق الله من القوى والاستعدادات في خلقته لاجله استعمالا مشروعاً (أى تابعا لشرع) يراعى فيه حق الغير » والشر ضد أى عدم الاستعمال مطلقاً أو الاستعمال في غير ما خلقت لأجلها والاستعمال الذى ليس بتابع لشرع . هذا التعريف واف جامع لكن التعاريف في الحقيقة لا يستغنى بها الناس عن الشروح والايضاحات والأمثلة (اللهم الا أذكر الاذكاء) فكانها أمة تسطر لتكون قاعدة وأصولاً للشروح ولتحفظ عبارتها الجامعة بهد ان يحيط الناس خيراً بمشتملها من الايضاحات والأمثلة .

ان الله جل ثناؤه قد خلق في الانسان قوى واستعدادات بعضها فسيها مبشرة المحسوسات وبعضها فسيها ملاحظة للمعقولات فكل ما يستعمل فيه الانسان قواه ويناله يلتذ به وكل ما يتذ به الانسان خير الا لذة تؤدي الى ألب أو شدة يقصّب فيها حق الغير . وكل ما يمنع الانسان عن استعمال القوى فهو شر .

(مثال أول) أنت اذا أكلت فغناه (١) أنك تمكث من ان تأكل وهو دليل عدم مرضك وعدم حرمانك من حصول العالم . و (٢) أنك استعملت القوة المخلوقة لك لأجل الأكل لحكمة حياتك وهو دليل عقلك لذلك لو لم تستعملها لم تحي . ودليل أنك وافقت الفطرة التى فطرك الله عليها . و (٣) أنك تلذت في أكلك وهو دليل سلامة حواسك . وكل هذه الاشياء لاشك في كونها خيراً . أما اذا أكلت ففرق

ان شبع منك سوف تألم إما عاجلاً وإما آجلاً . وقد عطلت في هذا الأكل القوة التي تستطيع بها ان تأكل . وتقلت لذلك فيما بعد . وخالفت الأدب . وكل هذه شر . وكذلك اذا تعديت في أكلك على حق الغير كأن غصبت الذي أكلته من غيرك فإن هذا يؤدي الى ان يشاجرك عليه وقد يقوى عليك بقوته أو القوة المؤلفة لحفظ الحقوق (قوة الحكومات) . واذا قوى عليك فقد ينصب . بك ما تحتاج اليه وقد يعدل فيك أعمالاً تنمك عن الالتذاذ بالأكل . وكذلك اذا استعملت القوة في غير ما خلقت لاجله كما اذا أكلت سماً أو تراباً . أو لم تستعملها ألبة كـ بعض الذين يعملون ذلك ويجوعون أياماً كثيرة عمداً . فكل هذه المذكورات شر .

(مثال ثان) وأنت اذا واقعت فناء (١) انك تمكنت من الوقاع ولم ينمك مانع . و (٢) انك استعملت القوة المخلوقة فيك لاجل الوقاع لحكمة بقاء النوع . و (٣) انك واقعت الفطرة . و (٤) انك أحيت غيرك و (٥) انك تلذذت . وكل هذه المذكورات دليل سلامة حواسك وسلامة فطرتك وسلامة عقلك ودليل أنك من الموانع الفعيرة كالوانع الذاتية . وكلها خير اذا كان وقاعك ناجماً لنظام . أما اذا أفرطت في الوقاع افراطاً يعطل القوة أو استعملت القوة في غير ما خلقت لاجله كأن واقعت بنية أو دبرا أو أهملت الوقاع المشروع من غير مانع . فإن هذه الاشياء عين الشر .

(مثال ثالث) وأنت اذا اكتسبت فناء (١) انك حصت ما تنقي به الحر والبرد و (٢) انه أحبك الغير اذ عمل لك ما تلبس وأحييت الغير اذ سترت عن عينه ما ربما يكره ان يراه و (٣) انك أحيت ذاتك اذ وقيتها أو زيتتها . وكل هذه خير . أما اذا لبست ما لا عدل فيه كلبس ما لا يلائم عملك كدياج . وأنت تعمل في العلين أو قتب غليظ وأنت حاكم أو يرار وتلبس شيء يابق بالاثاث دون الرجل وكالترين بشي يحتاجه الناس للمبادلة أشد الاحتياج . أو أبضت ذاتك فلم تلبس اوبست ما يلائم عملك أو لبست ما لا يلائم الزمان كلبس أخف الثياب في أشد الأيام برداً وبالعكس . فكل هذه وما أشبهها من الاشياء التي لا عدل فيها شر .

(مثال رابع) وأنت اذا أويت الى ميت وبث في أمان فناء (١) انك نلت حاجة لا يملو فيها عليك الملوك الا بالزخرف . و (٢) انك نلت من فوائد اشتراكك مع الهيئة

الجمعة لأنك ما وجدت هذا الميت الا بفضل اجتماعهم ولا وجدت هذا الأمان الا بفضل التكافل المشروط طبعاً ووضعاً وشرعاً ولولا ما ذكرنا لما كان ميتك أفضل من جحر الوحش ولا كنت بأمن من حمام بين صقور، ولا آس من حي بين موتى القبور، فقدّر هذا الخير بنظرك لتعلم فضل غيرك على ذلك وتعلم ان لذلك فضلاً على غيرك به استوجبت فضله عليك . وتعلم من هذا ان الأمر تكافؤ وتكافل . لا تطول وتفضل . وان الفضل كله لله وحده . وان الخيرات لا تعدو ناطقة عين ولكنتا غافلون نجلب الشر على أنفسنا بأنفسنا حينئذنا الى جهالات سبقت ونحن لها متوارثون الى ان يأذن الله بتقسيمها رويداً رويداً .

أما اذا استوحشت نفسك وتشبهت بالوحوش في مساكنها ومعاشها فمنا انك أهملت الاستعداد الذي فيك وخالفت الفطرة واجتعت ذلك فلا شك بأن هذه الحالة من الشر .

(مثال خامس) وأنت اذا تفكرت في خواص المحسوسات ومحاسن المقولات فأننت يومئذ ألخير العظيم يوم يتج تفكرك علماً وعلمك عملاً وعملك فضلاً وعمياً وشرافاً لنوع عظيم . بريك قولوا لنا اذا استتبنا من هذا النوع أولي الالباب من الانبياء وذوي الافكار من الحكماء والمخترعين والمعلمين فآية مزينة تبقى في الباقين وأي شرف لهم ؟ أولئك هم ، فأتج أبواب الخير ومصادر الشرف الاعلى لهذا النوع . أما من أساء استعمال التفكير كأن تفكر بالمدون وأساليبه فهو الشرير العظيم . ومثله أقرئ منه من أهل الفكر لأنه يصعب علينا ان نفرق بين عامل بالشر وحامل عليه لانه فكر وبين واقع في الشر ومحول عليه لانه لم يفكر . نسأل الله السلامة لأفكارنا من ان نهملها ومن ان نعملها في باطل ومن ان نصيبا بالتقاييد .

هذا ويرى القارئ اننا تساهلنا أو سهلنا العبارة وتنازلنا بالتفصيل الى أمور ليس ادراكها بالصعب فربما ظن اننا نكتب كتاباً لقرائه المبتدئين . وهذا الظن قد ينشأ من أمرين الاول الاسلوب الذي التزمناه لزيادة التوضيح وعدلنا به عن سرد الكلام والثاني استصغار هذه الأمور التي مثلنا بها . ولما كان الواقع يكبر هذه الأمور التي سبكتنا نضار حقائقها بقالب سهل المأخذ وجب ان نزيدها ثباتاً ونزيد الخير والشر تعريفاً :

ان الانسان هذا المخلوق العظيم ، صاحب العقل الكبير ، صاحب الرأي والتدبير ، صاحب السلطان على مخلوقات الارض ، والاشراف على مصنوعات السماء ، صاحب التقدير والاجتماع ، صاحب الابداع والاختراع ، صاحب المطلق المفيد ، والعزم الشديد ، صاحب الصورة التامة ، والروح العالية ، صاحب المآثر والآثار ، كاشف الخواص والاسرار ، هذا السائد بالمكر الممتاز به لم يخرج في كل منايه التي عهدناها وغيرها مما يعجز القلم عن تصويرها تصويراً شريعانياً أو حقيقياً عن كونه حيواناً محتاجاً كالحيوانات الى طعام وشراب وماوى مسوقاً من طيعة خلقته الى الوقاع ومعالجة ألم الباء . فهب اننا سمينا قطب هذا الوجود ، وضوء السر من كل موجود ، وهب اننا رفعا علومه فوق الشمس مقاماً وضياء . وأحللنا فضائله فوق الصور درجة واستقصاء ، ونوهنا بمنزله عند خالقه ، وعظمنا الاعتبار للطبيعي من خلاقه ، أفقتطيع ان نقول انه مقدس عن المظلم والمأوى والمكبح ، بعد ما حقيرناه دهوراً دهارير ، وبلواناه فدا وفي العير والتفير . هل علمنا منه غير كونه هلوفا ، اذا مسه الخير مما يقذوه ويكسوه كان ، نوعا ، ولذا مسه الشر من جوع وعرى كان جزوا ، هل عهدنا به الا القتال من طمع أفراده وجهم الاستئثار ؟

هذا هو الانسان الذي يرمون ماضيه وما اثم عن حاضره بفتاين . هذا هو المخلوق الذي فطره خالقه محابا ويسر له ما يحتاج اليه وخلق فيه سائناً يسوقه نحوه وجاذباً يجذبه ودافئاً يدفع ما يرى استثناء عنه . أفنسى هذا التركيب الذى ركه الصانع شراً . أم عمل المخلوق بحسب التركيب . أم تيسر الحاجة التي لا بد منها . أم اللذة الطيبة في نيل هذه الحاجة ؟ واذا لم تكن هذه شراً فهل بقي الا الخير ؟

سيقول قائلون ان هذا الاحتياج لا يدفعه الانسان عن نفسه بتحصيل الحاجة الا بكد وبكسر وقصرى الامر في حصول الحاجة انها تسكن ألمنا تقدم الحصول فهب اننا سمينا تلك الامور خيراً أفليس الشر قبلها وبداها .

هذا كلام له وجه ظاهر ولكن هننا اعتقاد ان في حياة الانسان احدها ان الانسان يستفيد منها والآخر انه لا يستفيد فان كان السائل ممن يستقدون استفادة الانسان من الحياة فجوابنا له ان الالم السابق الذى يسكنه نيل الحاجة وتعبه بهذا اليل اللذة ليس

شراً بل هو لتعرف به اللذة ويشعر بها ولو كانت دائمة أحسن بنا المرء وهذا كسبق
 العدم على الوجود والجهل على العلم والضعف في الطفولة على القوة في الرجولة ونظائر
 ما ذكرنا . على أنه إذا سمينا تلك الآلام وما يتبعها من لزوم النكد والنصب والمجاهدة
 شروراً فلا ضير فيها إذا كانت الخيرات تدفعها وتزورها ويدلنا على ذلك استعذاب الحياة
 مع كل المرات التي تصادف في سبيلها وما ذلك إلا لأن الخيرات لا يطول احتياجها كالشمس
 إذا حجبت الدجى واستأنف النهار يشرق بضائها . وإن كان السائل ممن لا يقولون باستنادة
 الإنسان من الحياة فجوابنا له : إذا كانت الحياة من أصلها حملاً ثقيلاً والأحوال فيها
 متضادة ومتعاقبة يعقب الضد فيها الضد فهما صادقنا الضد الذي نرتاح به زماناً من
 الأزمان كان جديراً بنا أن نفضله على ضده الذي يتعبنا . وهذا هو معنى الخير والشر
 اللذان هما ضدان . على أنك يا منكر الاستفادة من الحياة يشم منك رائحة اتباع الخيلات
 الفاسدة ويتفرس فيك أنك مبغض أو متبغض ذاتك . ويتوقع بك كل شرفد عني . نكت .
 إن هذا الإنسان البديع خلقه لم يحلقه الخالق عبثاً وأنه خالق لأمر عظيم . وأنه
 سائر إلى كمال بديع . وأنه شاء أو أبي يحيا في هذه الدار محباً للحياة . ويكف فيها غير مال
 من الكد . وإن الصانع خالق له مافي الأرض جميعاً . وقسم بين أفراده الأعمال . وخص كل
 عامل بما يناسب عمله من طعام ولباس وميت . وأعان كل عامل على عمله . وعلمه ما لم يعلم . واتحفه
 بهذا الفكر العجيب . الذي به امتيازه العالي . فاقسم الإنسان بمحب جده وفكره بين
 جهتين تتماور عليه فيهما الخيرات والشرور التي جعلها الصانع بمتعة بعضها . وجعل للجسد
 من الخيرات لذات المطاعم والمشارب والمناكح والمساكن . وللنفس من الخيرات لذات الادراك
 للأزمنة البعيدة والاختراعات العجيبة . والتأثيرات المعنوية الغريبة . وجعل الخيرات متبسرة .
 ولكن تجاوز الحدود الذي يوفر الشرور . وتجاوز الحدود أكثر ما ينشأ من قلة التفكير
 وعدم العلم بنظام الحب والبغض أي بأحوال النفوس في أفرادها واجتماعها . ومن أحب
 ذاته حق المحبة هيأت أن يظلمها . ومن أراد أن لا يظلم نفسه فليحارب من لا يظلمون
 غيرهم وليحارب من يظلمون . فلاحناح علينا أن نبيع الحياة وهي أغلى ثمن في جهاد
 الذين يظلمون غيرهم لعلنا نحيا لانظلم ولا نظلم . أو يحيا أبناءنا من يدنا على هذه السكالة . لعلنا
 نحيا عاقلين أن ذوات غيرنا كذاتنا فأخدمنا لئلا ندع لهم . اللهم . لعلنا نحيا متعاونين فحقن كتماناً

أخوة. سواء بالحياة والممات. سواء بالحاجة للاكل والشرب واشتياح. سواء بالتكلم والتفكر. الذين يميزان عن العجماءات. سواء بالفرح والام اذا فرنا أو بخينا. سواء بالخوف والرجاء. في يومنا وغدنا.

ونحن سواء بالتفكر والفنا بتحصيل ما نحتاج في كل معمل
تري أعجزنا ان نعلم بعضنا لنعلم من عدواننا والتقليل
تري أعجزنا ان نعلم رذائلنا ونهجر أوهاماً ومسا باجل
اللهم الهمننا رشدنا وأعنا في استنار الحيرات الموهوبة لادكارنا إنك مفوض الخبر.
وأنت المستغني وحدك عن الغير. - ثم بقية - (ع ز)

أنا عليم الغيب

نموذج من دلائل الإعجاز (*)

تمتاز كتب الامام عبد الله الجرجاني واضع فنون البلاغة (رحمه الله تعالى) على سائر الكتب التي ألقت من بعده بعدة مزايها منها أن عبارتها بليغة، وأسلوبها رشيقة، ومنها تصوير المعاني شخوصاً تامة سوية، حتى كأن العقولات ملموسة مرئية، ومنها كثرة إبراد الشواهد والامثلة على الوجه الذي اختاره الأريبون ومقلدوهم في كتب التعليم لهذا العهد. واتنا نريد هنا نموذجاً من كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني وذلك من حيث اتيننا في الطبع بمطبعنا (الكراسة والملازمة ٤٤). بين رحمه الله في فصول متعددة فساد رأي الذين ذهبوا الى أن الفصاحة والبلاغة صفة للفظ دون التظم والاسلوب باعتبار تصوير المعنى ثم ختم ذلك بفصل في الموازنة بين المذهين فقال :

فصل

قد بلغنا في مداواة الناس من دائهم وعلاج الفساد الذي عرض في أرائهم كل مبلغ، وانتهينا الى كل غاية، وأخذنا بهم عن المجاهل التي

(*) ان هذا النموذج نموذج للطبع أيضاً فالكتاب يطبع بهذه الحروف

كانوا يتسففون فيها الى السنن اللاحب ، وتقلنام عن الآجن المارق
الى النير الذي يشفي غليل الشارب ، ولم ندع لباطلهم عرقا ينبض الا
كويناه ، ولا للخلاف لسانا ينطق الا آخر سناه ، ولم ترك غطاء كان
على بصر ذي عقل الا حصرناه ، فيا أيها السامع لما قلناه ، والناظر فيما
كتبناه ، والمتصفح لما دوناه ، ان كنت سمعت سماع صادق الرغبة
في أن تكون في أمرك على بصيرة ، ونظرت نظرا قام العناية في أن
يورد ويصدر عن معرفة ، وتصفحت تصفح من اذا مارس باباً من العلم
لم يقنعه الا أن يكون على ذروة السنام ، ويضرب بالملي من السهام ، فقد
هديت لصالتك ، وفتح لك الطريق الى بيتك ، وهي لك الاداة التي
التي بها تباع ، وأوتيت الآلة التي معها تعمل ، فخذ لنفسك بالتي هي املاً
ليديك ، وأعود بالخط عليك ، ووازن بين حالك الآن ، وقد تنبتت من
من رقتك ، وأفقت من غفلتك ، وصرت تعلم - اذا أنت خضت في أمر
اللفظ والنظم - معنى ما تذكر ، وتعلم كيف تورد وتصدر ، وبينها (١)
وأنت من أمرها في عمياء ، وخابط خبط عشواء ، قصارك أن تكرر ألقاها
لا تعرف لشيء منها تفسيراً ، وضروب كلام للبلاء ان سلت عن اغراضهم
فيها لم تستطع لها تبيناً ، فانك تراك تطيل التمجيد من غفلتك ، وتكثر
الاعتذار الى عقلك ، من الذي كنت عليه طول مدتاك ، ونسأل الله
تعالى أن يجعل كل مانأته ، وقصده ونتيجته ، لوجه خالص ، والى رضا
عز وجل مؤدياً ، ولثوابه مقتضياً ، ولزلفى عنده موجباً - بمنه وفضله ورحمته
(ثم عقد فصلاً لكشف شبه الذين جعلوا الفصاحة والبلاغة للالفاظ فقال :)

(١) قوله « وبينها » عطف على قوله « بين حالك الآن »

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انه لما كان القلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يسري في العروق ، ويفسد مزاج البدن ، ووجب ان يتوخى داءيا فيهم ما يتوخاه الطبيب في الناقه من تعهده بما يزيد في منته ، وبقية على صحته ، ويؤمنه النكس في علته ، وقد علمنا ان أصل الفساد وسبب الآفة هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني ان يختلف عليها الصور ، ونحدث فيها خواص ومزايا من يمد أن لا تكون ، فانك ترى الشاعر قد عمد الى معنى مبتذل فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق اذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شتت وغيرهما من أصناف الخلق . فان جملهم بذلك من حالها هو الذي أغوام واستهوام ، وورطهم فيما تورطوا فيه من الجهالات ، وادأهم الى التعلق بالجهالات ، وذلك انهم لما جهلوا شأن الصورة وضعوا لاقسامهم أساسا وبناوا على قاعدة ، فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ ولا ثالث وانه اذا كان كذلك وجب اذا كان لاحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر ثم كان الغرض من احدهما هو الغرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وأن لا يكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك زعموا يؤدي الى التناقض وان يكون معناها متغايرا وغير متغاير مما . ولما أفرأ هذا في قوسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة الى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا في الاوصاف التي أتبموها نسبتهم الفضيلة الى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه : الى سائر ما ذكرناه قبل فيعلموا انهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة وهم يمنون نطق اللسان وأجراس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ

وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي حدثت فيه ويسنون
الذي عنده الجاحظ حيث قال : وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني
مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والمجبي والحضري والبدوي وإنما
الشعر صياغة (١) وضرب من التصوير : وما يعمونه اذا قالوا : انه يأخذ
الحديث فيشغفه ويقرطه ، ويأخذ المعنى خرزة فيرده جوهرة ، وعباءة
فيجعلها ديباجة ، ويأخذ عاطلاً فيرده حالياً ، : وليس كون هذا مرادهم
بحيث كان ينبغي أن يخفى هذا الخفاء ويشبهه هذا الاشتباه ولكن اذا
تعاطى الشيء غير أهله ، وتولى الامر غير البصير به ، أعرض الداء ، واشتد
البلاء ، ولولم يكن من الدليل على أنهم لم يمتثلوا للنقطة الضمنية وهم يريدونه
نفسه وعلى الحقيقة الا واحد وهو وصفهم له بأنه يزين المعنى وانه حتي
له لكان فيه الكفاية . وذلك ان اللفاظ أدلة على المعاني وليس للدليل ألا
أن يعلمك الشيء على ما يكون عليه تماماً أن يصير الشيء بالدليل على صفة لم
يكن عليها فما لا يقوم في عقل ، ولا يتصور في وهم ،

(ثم ذكر الاخذ بالسرة وبين ان الفاضل يكون بالاسلوب لا بالالفاظ ثم أورد الامثلة فقال)
ثم ان أردت مثالا في ذلك فاز من أحسن شيء فيه ما صنع أبو تمام في بيت
أبي نَحْلَةَ وذلك ان أبا نَحْلَةَ قال في مسleme بن عبد الملك :

أسلم اني يا ابن كل خليفة وياجل الدنيا ويا واحد الارض
شكرتك ان الشكر جبل من التقي وما كل من أوليته صالحا يقضي
وأنت بتي ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر أنبه من بعض (٢)
فعد أبو تمام الى هذا البيت الاخير فقال :

(١) اي كلامنا الآن في أهم الخ مبتدأ وخبر (٢) وفي رواية ونوهت لي باسمي

لقد زدت أوصاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضي من الأرض مجيلاً (١)
ولكن أباد صادفتي جسامها أغرّ فأوقت بي أغر مجيلاً
وفي كتاب الشعر والشعراء للدرزباني فصل في هذا المعنى حسن قال :
ومن الامثال القديمة قولهم «حرّاً أخاف على جانبي كجأة لا قرّاً» يضرب
مثلاً للذي يخاف من شيء فيسلم منه ويصيبه غيره مما لم يحتسبه فأخذ هذا
المعنى بعض الشعراء فقال : (٢)

وحذرت من أمر فرّ بجاني لم ينكبي ولقيت مالم أحذر
وقال لبيد :

أخشى على أربد الختوف ولا أُرهب نوماً السماك والاسد (٣)
قال وأخذ البحتري فأحسن وطني اقتداراً على البارة واتساعاً في المعنى فقال :
لو انني أوفي التجارب حقها فما أرت لرجوت ما أخشاه
وشبه بهذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب (٤) أيضاً أنشد (٥)
لأبراهيم بن المهدي :

يا من لقلب صيغ من صخرة في جسد من لؤلؤه رطب
جرحت خديه بلحظي فإبرحت حتى اقتص من قلبي
ثم قال : قال علي بن هارون أخذ أحمد بن أبي قيس معنى ولغظاً فقال : (٦)

(١) الاوضح جمع وضع وهو اليأس (٢) وقيل في هذا المعنى

رأى الشيء مما يتقى فنهابه ومالا نرى مما يتق الله أكثر

(٣) أربد هو أخو لبيد قتله الصاعقة بدعاء النبي (ص) وكان مع عامر بن الطقيّل يريدان

قتله عليه الصلاة والسلام (٤) يريد كتاب المرزباني (٥) أي المرزباني (٦) قد أكثر

الشعراء تمجاذب هذا المعنى وحسن بعضهم بالانقباس فقال

إلى الله أشكو عشق ظلي منههف رمائي ومالي من يديه خلاص

أدमित باللحظات وجنته فاقصص ناظره من القلب
قال: ولكنه بقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به: ففي هذا دليل لمن
عقل أنهم لا ينعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ ولكن صورة وصنعه وخصوصية
تحدث في المعنى وشيئا طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع فإنه على
كل حال لم يقل في البحري أنه أحسن فطنى اقتدارا على العبارة من أجل
حروف * لو انني أوفي التجارب حقها * وكذلك لم يصف ابن أبي من بقاء
العبارة من أجل حروف * أدमित باللحظات وجنته *

(ثم عقد فصلا للموازنة بين نظم المعنى المتحد، في اللفظ المتعدد، فقال)
وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشعاعين
فيه قد قال في معنى واحد وهو ينقسم قسمين قسم أنت ترى أحدا الشعاعين
فيه قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق
وتعجب، وقسم أنت ترى كل واحد من الشعاعين قد صنع في المعنى
وصور. وأبنا بالقسم الأول الذي يكون المعنى في أحد البيتين مثلا وفي
الآخر مصورا مصنوعا ويكون ذلك إمالان متأخرا قصر عن متقدم وإما
لأن هدي متأخر لشيء لم يهتد إليه المتقدم ومثال ذلك قول المتنبي:
يَشْأَلُ اللَّيَالِي سَهْرَتُ مَنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبْتَ يَرَقْدُهَا
مع قول البحري:

لَيْلٌ يُصَادِفُنِي وَمُرَدَّةٌ أَحْسَا ضِدَّيْنِ أَسْهَرُهُ لَهَا وَتَنَامُهُ

جرحت بعيني خده وهو جارح بعينه قلبي والجروح قصاص
وأوردته في مورد الاحتجاج إحدى الحان فقالت

أَلْخَاظًا تَجْرَحُكُمْ فِي الْحَسَا وَلَمْ تَحْكَمْ بِجُرْحِنَا فِي الْخُدُودِ
جرح بحرس فأجعلوا ذابذا فما الذي أوجب جرح الصدود

وقول البحري :

وَأَوَّ مَلَكْتُ رَمَاعًا ظَلَّ يَجْدُبُنِي قَوْدَاكَ كَانَ نَدَى كَفَيْكَ مِنْ عَقْلِي (١)

مع قول المتنبي :

وَقَيْدَتْ نَفْسِي فِي ذُرَاكَ مُحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا

وقول المتنبي :

إِذَا أَعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوَاةِ أَعْتَلَّتِ الْأَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا أَبَاسُ وَالْكَرْمُ الْمَحْضُ

مع قول البحري :

ظَلَّلْنَا نَعُودَ الْجُودِ مِنْ وَعْكَكَ الَّذِي وَجَدَتْ وَقُلْنَا أَعْتَلَّ عِصْمُومِنْ الْمَجْدِ

وقول المتنبي :

يُعْطِيكَ مُبْتَدَأًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُتَدِيرًا كُنْ قَدْ أَجْرَمَا

مع قول أبي تمام :

أَخْرُ عَزَمَاتٍ فَعَلُهُ فَعَلُ مُحْسِنٍ إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُدْرُهُ عُدْرُ مُذْنِبٍ

وقول المتنبي :

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَرْهَبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِخْتَ حَرْبَ فَيَا نَكَ نَزِيلُ (٢)

مع قول البحري

مَنْحِي عَنْ عِزِّهِ فِي الْجُودِ لَوْ وَهَبَ أَشْهُمُ بَابُ يَوْمِ تَقِيهِ الْبَيْضُ مَا نَدَمَ (٣)

وقول المتنبي :

وَأَنْدَى يَشْهَدُ الْوُغَى سَاكِنُ الْقَهْ بَ كَأَنَّ أَتَمَّ شَلٍ فِيهِ ذِمَامُ

(١) أراد من الرماع الغزم على الرجوع الى أهله (٢) لقيخت الحرب هاجت بعد

سكون ويقال لقيخت العداوة بمناء (٣) ظاهرا انه يريد بالبيض النساء الحسنات وإن تحيل هبة

الشاعر في ذلك اليوم لأبعد شوط وأخر غاية يتهي إليها خيال الشاعر

بابا لاون الثالث عشر

بابا لاون الثالث عشر - ترجمته

في يوم الاثنين الماضي (٢٠ يوليو) توفي عظيم النصرانية ورئيس الطائفة الكبرى فيها بابا رومانية عن ثلاث وتسعين سنة قضى جلها في خدمة مذهب الكاثوليكي منها خمس وعشرون سنة أو ربع قرن في منصب البابوية وقد كان لياسته من التأخير في عالم النصرانية والمدينة مالم يكن في حسابان أحدهم العالمين وكاتب هذه السطور يعتقد أنه كان أعقل رجال أوروبا وأعلام كبا في السياسة. وأتينا نذكر من ترجمته ما فيه العبرة للمسلمين كما يليق بمجلة إسلامية مثل المثار فلا تقل أبها المسلم مالهذه المجلة الإسلامية، ولزعماء النصرانية،

الكاثوليك أكثر فرق التعارض عددا واعتقادهم في البابا كاعتقاد أكثر المسلمين في الخليفة أو أمير المؤمنين من حيث الرتبة الدينية والدينية والمجلة وكاعتقاد بعض الفرق الإسلامية في وجوب عصمة الامام الحق ثم أنه ينتخب من طائفة مخصوصة ولا يأخذ هذا المنصب بالوراثة وتلك سنة الاسلام في انتخاب الامام من طائفة مخصوصة. قال ياقوت في معجمه « والبابا رئيس الفرنج هو عندهم نائب المسيح كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع ما يتعلق بالدين في جميعهم » وقال الشريف الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق : « وفي مدينة رومة قصر الملك المسمى البابية وليس فوق البابية فوق في القدر والملوك دونه ويقومونه مقام الباري جل وعز — الى ان قال — وحكمه نافذ ماض على جميع ملوك الروم ولا يقدر أحد منهم يرد عليه » وقال أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان عن أهل ييزة : « وليس لهم ملك واتما مرجعهم الى الباب خليفة التعارى » وقال عن رومية : « وهي مدينة مشهورة ومقر خليفة التعارى المسمى بالباب » وقد تكلم ابن خلدون عن هذه الرئاسة وصاحبها بإيضاح تام ولهذا كله قال بعض علماء أوروبا وبابا البابوية أو النصرانية مقتبسة من الاسلام

جلس لاون الثالث عشر على كرسي هذا الخلافة (سنة ١٧٢٨م) وأوروبا تقضيها

وعلموها وصنائعها ومدنيتهما معادية للكاتوليك أشد من معاداتها للإسلام لأنها تمتد
ان الكاتوليك والبابوية من الامراض الباطنية التي أصابت الوطن في القلب والصعيد
والرئين فهي تفتأ تفك به حتى تبيده فالكثلك خطر في الباطن تحارب خوفاً وحذراً
من شرها وأما الاسلام فهو عدو على البعد يحارب طمعا في أرضه ودياره . ولكن البابا
لاون الثالث عشر حول سياسته ودهائه ذلك العداء الى ولاء ، وذلك الاستخفاف
والاحتقار، الى اجلل واعتبار ، والفضل في ذلك لحسن الانتخاب والاختيار، اذ لو كان
هذا المنصب ورثا لما ارتقى اليه مثل هذا الرجل

ولد ليون الثالث عشر (وكان اسمه قبل البابوية بيتي) في ٢ مارث سنة ١٨١٠م في بلدة
كارينثو من ايطاليا وتعلم التعليم الابتدائي في مدرسة للجزويت ببلدة فيتر بوجارومية
سنة ١٨٢٤ وأتم دروسه بمدرسة الجزويت فيها ثم بمدرسة رومية الجامعة وعني أولاً بالعلوم
الطبيعية والكيمياء حتى نبغ فيها ثم اشتغل بأدب اللغة اللاتينية حتى عد من الكتاب البغاه
والشعراء المجيدين ثم درس علوم الفلسفة واللاهوت فأفقهها ومنح لقب دكتور في
الفلسفة . ثم وجه غايته الى علم الحقوق فبرع حتى أخذ الشهادة العاليه فيه من مدرسة
رومية الجامعة

وفي سنة ١٨٣٧ عين قساً ونائباً عن البابا في بعض البلاد وفي سنة ١٨٤٣ عين رئيساً
لاساقفة دمياط ثم وكيلاً للبابا في بروكسل عاصمة بلجيكا فاقام في تلك البلاد ثلاث سنين
منحه ملكها في آخرها وسام (ليوبولد) من الدرجة الأولى وهو من أعلى الوسامات
عنده . وفي سنة ١٨٤٦ عين رئيساً لاساقفة برونز . وقد لبث في منصب الاسقفية ٣٢ سنة كان
فيها حسن السلوك يستيب للصوم والبغاة المعتدين حتى خلت منهم السجون التي كانت
ممتلئة بهم قبل عهده . وفي سنة ١٨٧٧ صار كردينا ومديراً في الفاتيكان والكنيسة
الرومانية . وفي سنة ١٨٧٨ توفي البابا بيوس التاسع فانتخب خلفاه . وقد ذكرنا هذه
النبة الوحيدة في تعليمه وتقلبه في الاعمال الدينية لأجل المقابلة بين تربية رؤسائهم
ورؤسائنا حتى لا يعجب أحد من تقدمهم وتأخرنا

إذا سأل المسلم عن كيفية تربية رئيس أمته العالم من أمير و سلطان أو ولي عهدهما
أو الرئيس الخاص كشيخ الاسلام في الاستانة وشيخ الأزهر في مصر وسأل ماذا

تعلم هؤلاء من العلوم التي لا بد منها للأمة التي يرأسونها وماهي الأعمال والانتساب التي تطلبوا فيها فظهر استعدادهم لخدمة الأمة فرشحوا لها بسببها ، فإذا يكون جواب هذا السائل ؟ لعل الاكثرين يجيبونه بأن الواجب علينا ان قبل رياستهم من غير سؤال عن استعدادهم وعن علومهم وأعمالهم ومن تحدث بشيء من ذلك فهو عدو للأمة والدين ، وفترة لجميع المسلمين ، وذلك أن الأمة في طور النصف لا يرضيها الا ان يمدح منها كل شيء وذلك أنها تنزع بفقد مقومات المادة بالعمل فتحب أن تتخادع نفسها بالمدح كما يتكبر الوضع ويتنزع ل يظهر في مظهر الكبراء

فقد الكاثوليك السلطة الدنيوية سلبها الملك من البابا الذي كان يفيضها عليهم ولولا
نفس لهم في أي يوم من الأيام إرجاعها لوجود في الفاتيكان رجلا يدبرونها أحسن مماديرها
ملك إيطاليا وحكومتها في جميع أصولها الادارية والمالية والقضائية والعسكرية لأن
رجال الدين عسدهم يتعاملون كل شيء . أرايتك هؤلاء الذين يـحـمون رجال الدين
في الاسلام اذا قيل لهم - وهم يتكون من خروج الاحكام عن الشرع الا مايسمونه
الامور الشخصية ومحاكمها على خطر - تعالوا فادبروا أعمال الحكمة الكنسية من
إدارية ومالية وحربية وقضائية وسياسية (خارجية) وغير ذلك أيحدون في الأزهر
من يحسن عملا من هذه الاعمال كما يجد الكاثوليك في الفاتيكان ؟ أتى وهم الى اليوم
يتنازعون بينهم هل علم قويم البلدان يقطع على الخالب طريق الدين أم لا ؟ الجمهور
على أنه يقطع وأنه ينبغي ان لا يقرأ في الأزهر . وهل الحساب المالي والمهندسة العملية
يفسدان العقل حتى يضاف استداده لنفوس العلوم الدينية أم لا ؟ الجمهور على أنه يفسد العقل
وينبغي أن لا يدرس في الأزهر كما صرح بذلك الشيخ (تاج بن منصور) والشيخ
محمد راضي البجراوي من كبار المدرسين هناك في مقالاتهما المنشورة في المؤيدة ثم أتى
يحدثون في الأزهر من يحسن عملا ما ولبس فيه من بعد العمل الا القضاء الشرعي
وهؤلاء القضاة اسرارجون منه تبكي من سيرة أكثرهم السماء والارض وتستيت المدالة
بلسان المظلومين المظلومين بأن يتنذها الله منهم ويرون أنهم يقتبون في كل عام مرة
أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون .

واتم كان رجال الكاثوليك في يوم مضي مثل رجال الازهر يمدون كل علوم

المران حجاباً دون الدين حتى كأن الدين آلة الحراب والدمار وكان أكثر عائلته على رأي رجال الدين كما هو الشأن عندنا حتى اليوم . ولكنهم لم ياثبوا ان علموا على ان بقاء الدين محال ما لم يجعل علوم العمران نصيرته فكفوا على المعلوم حتى برعوا في جميع فنونها فدارسهم جامعة تفوق غيرها نظماً وإيجكاً وعلماؤهم من القسيسين وغير القسيسين مستعدون لكل عمل يرتقي فيه العمران . ففى يهود قوتنا الى هذا وهم أحق به من كل أحد أنت يارب المسئول بتوفيق الغلاء لاسي واليك وحدك المشتكى قلنا ان لاون الثالث عشر قد ولي البابوية والاختصار محدقة بها من كل جانب فقد كان فى عهد سلفه بيوس التاسع ما كان من الثورات والانقلاب حتى نشر على عهده فى باريس (إعلان) فى تحريض بلاد ايطاليا على انشاء جمهورية إيطالية لا يكون فيها بابا ولا دين بالمرء . وأصابت البلاد سنة فذهب الجماهير الى ان اغل والقحط من شؤم السلطة البابوية . وقد أشاع المرجفون على عهده بأن النمسا تمضد ، وإمرة سبرية على خلع البابا وإقامة حكومة عسكرية فى البلاد البابوية كلها فاضطربت رومية وكثر فيها المهرج ومحجزت الحكومة عن ضبط النظام اذا كانت المدينة غاصة بمجاهدين المسلحين من الاهابن ثم فتح مجلس الشورى فطلب لإمطة الاعمال الادارية بالعوام (يطلق انظ العوام فى مقابل لفظ الاكبروس فى اصطلاحهم) وحرية المطابع وطرد اليسوعيين (الجزويت) وإعتاق اليهود وكان الشعب التائر يؤيد طلب المجلس ثم عم الهياج بلاد ايطاليا من شمالها الى جنوبها وكان على أشده فى رومية وتوقع الناس سقوط الدولة البابوية من الارض وقل احترام البابا فى البلاد الاجنبية حتى ما كان يحجد نصيرا ونقول بالاختصار انه لم يستقر للسلطة البابوية قرار من بعد ثورة فرنسا سنة ١٨٤٨ بل كانت الفتن تتفاقم يوما بعد يوم وقد أظهر البابا بيوس التاسع من جهة الإصلاح واردة الخير للشعب الامزيد عليه ولم يتشم ذلك من قوت الحزب الجمهوري شيئاً . ولقد بلغ من الاستهانة بالبابا ان كتب الى امبراطور النمسا يلتمس اخراج عساكره من ايطاليا فكان كتابه سخرية فى فينا بعد أن كان لامرء لأمرة ولا معقب لحكمه . وحدث فى هذه السنة من لاحداث مازعزع الكرسي البابوي من الشعب الذي كان يقول ان هذا الكرسي هو كرسي بطرس الرسول نائب المسيح . وهن ذلك اتفاق

الشعب والحرس المدني والعساكر المنظمة والجيش الروماني على محاصرة الكورنال وقتل أمين أسرار البابا وإكراهه بعد ذلك على قبول وزارة إصلاحية وجمعه كالاخير في قصره . تاركا الاحكام الدينية والمدنية جميعا حتى اضطر الى الفرار متكرراً بيئته قسيس الى غايانا . ثم اشتملت نيران الفتن والثورات في جميع البلاد اثابته له كما أشرفنا له أنفأ حتى خسر سلطته في تلك البلاد . وسنذكر نبذة من سلوكه لاون الثالث عشر في مقاومة الاخطار ، وصرف التيار ، وما في ذلك من المظة والاعتبار ،

﴿ الخديو وجمعية المسلمين في لوندرة ﴾

زار عزيز مصر في هذا الصيف عاصمة الانكليز بصفة غير رسمية فاتي من حفاوة ملك الانكليز وكبار أسرته ورجال حكومته ما كان فوق الحسبان . وقد زار سمود في تلك الماصمة وفد من جمعية الاتحاد الاسلامي يهاترئيسه السيد علي البجرامي الهندي الشهير فخطب خطبة بلسان الوفود رحب فيها بالزير وذكر مقصد الجمعية وسعيها في ترقية المسلمين واثنيهم واثنيهم ووصف الامير بتأييد السلم واتخذوا بالازهر وذكروا مسامحة من عود الحركة العلمية اليه بعد سكونها ، فاجابه الامير بأنه قد سره ان تكون هذه الجمعية جامعة لافراد من طوائف المسلمين المتفرقة على الاتحاد وقال كلمة كبيرة وهي : ان الاسلام دين اشترى اكيه بأمر بالسواوة بين الغني والفقير ، والكبير والصغير ، ثم ذكر استيائه من قلة عدد المجاورين الهنديين في الازهر وأنه يرجو ان يزيدوا في مستقبل الايام . ثم ذكر الحج والحجاج وقال انه يحب ان يسهل الحج على مسامي كل الاقطار لانه من أركان الدين ، فاذا أهمل المسلمون فريضته حلت بهم الارزاء لاهمال دين قوم يستقدمه ٣٠ مليون من الناس ،

وعندنا ان اجتماع أمراء نابر جال هذه الجميات مفيد جدا للمسلمين . وعسى ان يستمر بكلمة الامير بعض الاحداث من رعيته الذين يكتبون ويخطبون للتفريق بين المسلمين باسم الوطنية ويسمون المسلم السوري في مصر دخيلا . واما اقبال الهند وغيرهم على الازهر فهو موقوف على ترقية التسامح فيه وذلك بيد الامير وقته الله تعالى . والا فانا لا نؤمن ان ينفر المصريون منه بعد حين الا فارقا من العسكرية ، أو عاجزا عن الكسب فيتمخذه له تكيه ،

﴿ لاثم مليم ﴾

تألم عما كتبناه عن قراء الصحف رجل هضم حقوق النثر ستين أو ثلاثاً كان يعد ويمطّل ثم صرح بأنه لا يجوز أخذ قيمة الاشتراك منه لأنه كاتب وأديب ولم يعرف عن غيره أن تعريف الأديب أو خاصته هضم حقوق خدمة العلم والدين والآداب. تألم فكان طول ليلة يحسوكوؤوس للداء ، ويسدد النسا سهام الملام ، ويحترق سبّاره بالأديباء ، على اتباع سنة صاحب الفواء ، في معاداة الذين يسميهم الدخلاء ، بأن ينفروا عن النثر وصاحبه لأنه ذكر المصريين في مقال يذكر فيه معاملة الأمم وأصناف الناس لقراء الصحف فضل فيه بعض البلاد على بعض وبعض الاصناف على بعض . وقال إن هذا يعد شتما للمصريين .

ونعید بهذه المناسبة ما كتبنا كتبه من قبل وهو أن أكثر المشتركين في النثر من أهل الفضل والدين والكثيرون منهم يدفعون قيمة الاشتراك من غير مطالبة حتى أنه لا يكاد توجد جريدة أو مجلة منتشرة مثل النثر ليس لها وكلاء الأفي بلدين أو ثلاثة بلاد . ولم نكتب ما كتبناه تألمنا منهم ولكن عظة وذكري وإنا نحن المتصورون اقتصرنا السنة ولا نطالب الواحد منهم بشيء . ثم إن فهم من يطل ولكن لا يكاد يوجدهم من هضم الأسماء حفظ نحن منهم في شك وعسى أن يصالح الله حالهم

﴿ جريدة المناظر - إبطالها ﴾

سبق إن نوهنا بهذه الجريدة التي يصدرها في سان بلولو (البرازيل) نوم أقدى لبكي السوري وسبق أن اقتصرنا بنهضة السوريين المهاجرين إلى أمريكا في الآداب لأجلها فأنكنا معجيين بحرية هذه الجريدة وإضافها وشدة غير منشأ على قومه وجهه لحينه ولوطه وحسن اختياره فيما يكتب وتوخيه التفع فيه . ومن دلائل طفولية الثوب الشرقية - حاشا اليابان - أن يضطر صاحب هذه الجريدة انقاسة إلى إبطالها بعد جهاد بضع سنين . أقول الحق ولا أستحي من رصفاني النضلاء: أنه إذا صح الاستدلال بفحوى الكلام ولحنه على قصد التكمم وغرضه فإن صاحب المناظر في مقدمة المتخلصين في قصدهم الذين يقدمون قنع قومهم حتى على مصلحة أنفسهم . ويظهر أن أكثر قراء العربية هناك يجهلون أقدار أهل الاخلاص وأصحاب الوجدان

الشريف ولا هم لهم من الجرائد الا ان يثلثوا بمدح أنفسهم أو ذم أعدائهم كتب . حب المناظر نشرة يودع بها الصحافة . ووزعها على قراء جريدته . قال في أولها « غدا تنضب دمة وتذرف دمة - تنضب دمة هذا القلم ، وتذرف دمة هذا الكاتب ، غدا يودع صاحبان بعضهما بعضا لا يرجوان اللقاء حيث اجتمعا على مكتب الصحافة » وأقول ان كل ذى شعور بقيمة أهل الوجدان الشريف يشارك هذا الكاتب في ذرف الدموع ولكن ما أقل الذين يشعرون

وقال انه دخل باب الصحافة لثلاثة أغراض - مقاومة فساد الأمة حيث الكلمة حرة ، وترقية المهاجرين السوريين ، وتمكين علاقتهم بوطنهم لئلا يتعلمهم الأمة التي هاجروا اليها . وأنا أعتقد أنه صادق في دعواه وأحترم أغراضه وأحترمه على البعد لا شئ أعتقد أنه يريد تنقي الناس ولكن أكثر جالتنا كالأطفال يحبون من يسمى في لغتهم ، لامن يسمى في منفتهم ، ولقد كان يجمل كل كلام جليل نافع للناس وان لم يكونوا ممن أنشأ لهم جريدته . ومن آية هذا أنه كان يقل عن ائثار مثل « باحث جمعة أم القرى ومقالات (الاسلام والتصيرية مع العلم والمدنية) » ثم انه نشر ردًا لبعض الكتّاب على الثانية فيه شئ من التحامل ولكن لا أقول انه هو كان متعاملا

وقال في - بسبب إبطال الصحيفة انه كان يعلم ان من يكتب تلك الاغراض لا يكون موضوعا للاقبال ولكنه لم يكن يحسب أنه سهل ويقاوم حتى يصجز عن الثقة بتأييدها لانه يقصر في مدح الذين يحبونون بغير جنديتهم (السورية) وفي ذكر حركات المشتركين؟ وتعليقهم في البلاد . وقد اتى ما لم يكن في الحسبان

وبالجملة ان إبطال هذه الجريدة خسارة على السوريين لا عوض عنها فحسب ان يوجد من أجل النيرة والتعبدة من يسمى في إعادتها ، من حيث يجدون في مساعدتها ،

(كتاب دلائل الإعجاز)

نشرنا نموذجاً من هذا الكتاب الجليل في البلاغة بالحروف والهوامش التي لطبعه فيها ومنه يرى القراء ان المطبعة قد استكملت أنواع الحروف حتى الشكل وصارت مستعدة لطبع الكتب وغيرها . اما الاشتراك في الكتاب فهو ١٥ على كبره وحسن ورقه وطبعه - ويكون ثمنه بمقتضى المطبع عشرين قرشاً

﴿ كريمة جمع إعانة سكة حديد الحجاز ﴾

أخبرنا شاهد عدل أن أحد مختاري القرى في سوريا جمع من كل رجل من قرينته وريلا للإعانة ولكنه لم يدفع مجامعهم لأنهم ثلثه فإذا كان المتصرف يأخذ ثلث الباقي أيضا ويرسل إلى الولاية ثلثه وكان الوالي يفعل هكذا فيما يرسله إلى الولاية فإن الذي يبقى الاستانة نحو الخمس حتى كثر المال غنيمة لا يصل إلى بيت المال منه الا خمسة . والسبب في وقوع هذه الحياجة من مثل ذلك المختار الذي لازمة له ولا أمانة هو عدم نشر كل ما يدفعه الناس هناك في الجرائد وعدم طبع وصولات سلسلة الاعداد بحاسب بها الجامعون للإعانة . فمضى أن تتجه الحكومة اللبنانية في جميع الولايات لتلافي ذلك وأن تأمر بإصدار صحف تابعة للجرائد الرسمية في كل ولاية يبين فيها كل ما يدفعه الناس وترسل كل صحيفة إلى الجهة التي ذكر أسماء أهلها فيها . وأن لا يجمع شيء من الإعانة التي يأمر بها السلطان أخيراً الا بوصولات محتومة سلسلة الاعداد

هذا وقد كثر الذين يجتمعون للإعانة في هذه البلاد ومنهم من لا يوفق بأمانته فيجب على كل أحد ان يحتاط فيما يتبرع به فلا يضعه الا في يد أمين كادارة المؤيد في مصر واللجنة الكبرى التي يرأسها أحمد باشا المنشاوي في القرية

السبع والخمسين

وَالْبَقَايَا وَالْعَجَائِلُ

﴿ عود الى سرد الاحاديث الموضوعة ﴾

مناب الصديق : - (١) حديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا بكرة ألا أبشرك ؟ قال : بلى فدأه أبي وأمي : قال « ان الله عز وجل يجلي الخلائق يوم القيامة عامة ويجلي لك خاصة » رواه الخطيب عن انس مرفوعا وقال لأصل له وضعه محمد بن عبد بن عامر وله طرق منها أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر « أعطاك الله الرضوان الأكبر » فقال بعض القوم يا رسول الله وما الرضوان الأكبر ؟ قال « يجلي الله في الآخرة لعباده المؤمنين عامة ويجلي لأبي بكر خاصة » رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعا وفي إسناد محمد بن خالد

الحتلي وهو كذاب . ولا يترك ذكر الحاكم له في مستدركه فكم في المستدرك من الاحاديث الموضوعة والواحدة

(٢) حديث ان ابا بكر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إني كنت مك في الصف الاول فكبرت وكبرت فاستفتح بالحمد فقرأتها فوسوس الى شيء من الطهور فخرجت الى باب المسجد فاذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : وراك : فالتفت فاذا أنا بتدس من ذهب مملوء ماء أبيض من التاج وأعذب من الشهد وألين من الزبد عليه مندبل أخضر مكتوب عليه : لا إله الا الله ، الصديق أبو بكر : فأخذت المندبل فوضته على مكبي وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ورددت المندبل على القدس ولحقتك وأنت في ربيع الزكاة الاولى فتعدت صلاتي معك يا رسول الله : قال النبي صلى الله عليه وسلم : أبشر يا أبا بكر الذي وضأت للصلاة جبريل والذي مندلك ميكائيل والذي مسك ركبتي حتى لحقت للصلاة إسرئيل ، هو موضوع ومحمد بن زياد المذكور في اسناده كذاب وقد روى نحو هذا لمي بن أبي طالب وفيه ذكر المتطل والمندبل والكل كذب موضوع

وتقول ياليت عزرائيل اتقم من واضع هذا الحديث لانه لم يجعل له حظاً في هذه الخدمة فأخذ روحه الخبيثة قبل ان تمسك أكاذيبه الى الناس . وان الممارس للسنة الفقية في الدين يعرف فيه الكذب وان لم يطلع على ثقلنا عن الحديثين في وضعه وكذب مخترعه ولكن جهلة العامة يقتنون به وينظمونه في تلك الكرامات والحواري (٣) حديث ان الله لما خلق الارواح اختار روح أبي بكر الصديق من بين الارواح فجعل ترابها من الجنة وماءها من الحيوان وجعل له قصرأ في الجنة من درة بيضاء الخ رواه الخطيب عن عائشة مرفوعا وقال لا يثبت وقداهم به هرون بن أحمد الملاف للمروفي بالقطان . وقد جزم الذهبي في ترجمته من الميزان بان هذا باطل . وفيه مناه أحاديث ترك ذكرها فانتس عليه

(٤) حديث ان يهوديا قال لأبي بكر : والذي يمسي موسى وكله تكليما إني أحبك : فلم يرفع أبو بكر له رأساً نهائيا به فهبط جبريل وقال : يا محمد ان النبي الأعلى يترك السلام ويقول لك قل لليهودي الذي قال لأبي بكر : إني أحبك : ان الله قد أحاد عنه في التار خلتين - لا توضع الانكال في عنقه ولا الاغلال في عنقه لجه أبا بكر ، الخ

رواه ابن عدي عن أنس مرفوعاً وهو موضوع في إسناده وضاعن .

(٥) حديث «ان الله جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه فاسمعوا له فقلعوا وأطيعوه ترشدوا» رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعاً وهو موضوع للاحتجاج به على الشيعة بل كل هذه الأحاديث قد وضعت لئلا هذا الترض فقد كانت سوق الرواية رائجة في أيام الفتن والخلاف فوضع الكذابون من كل قوم من الأحاديث ماشاءوا ينصرون بها مذهبهم فإكان أشأم تلك المذاهب على الاسلام !!!

(٦) حديث «ما أتاني صلى الله عليه وآله وسلم مع جبريل اذ مر أبو بكر فقال « هذا أبو بكر » قال « أترفه يا جبريل » قال « نعم إنه لي السماء أشهر منه في الأرض وإن الملائكة لتسميه حلیم قريش وأنه وزيرك في حياتك وخليفتك بعد موتك » رواه ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً وفي إسناده اسماعيل ابن محمد بن يوسف كذاب . وذكر له صاحب (الآلآي المصنوعة ، في الاحاديث الموضوعة) طرساً أخرى فيها ضاع . وقال الذهبي : إسناده مظلم : وتقمه ابن حجر في لسان الميزان بأن رجاله معروفون بالثقة وليس فيهم من ينظر في حاله الا الملقى بن الوليد وقد ذكره ابن حبان في الثقات . قال في الفوائد المجموعة مستدكا على ابن حجر : بل في إسناده اسمعيل بن محمد وهو كذاب وقد قال الحاكم أنه يروي الموضوعات . فلينظر القارئ كيف يشتبه في مثل هذا الحديث الحافظ ابن حجر وينسب اسمعيل الذي حكم عليه بالوضع الحاكم على تساهله ووقوعه في رواية الموضوعات بحسن ظنه

اليوت - منكراتها وعاداتها

تهنك النساء : تقبذع نساء المسلمين في مصر كل يوم زياً جديداً من أزياء الخلاعة والتهتك فلم يكتفين عند الخروج بإظهار بعض الرأس ومعظم الوجه وصفحتي النقي والتحررتي جعلن في هذه الايام أكملهن قصيرة واسعة فهن يمشين في الاسواق وسواعهن بارزة من وراء معاصهن المطوقة بالاسورة فلم يبق من الزينة شيء الا وقد أبدينه حتى وقعن في مخالفة نص القرآن الذي لاخلاف فيه وهن مع هذا كله مبدودات من أهل الحجاب . فأي أهل البيرة ؟ أي أهل الصيانة ؟ أي الذين ملأوا أرض مصر صراخاً وعويلاً أن قال قاسم بك أمين ينبغي أن نربي المرأة ونعلمها ثم نأذن لها بعد ذلك بأن تميظ

هذا التدبيل عن أنفها لتستشقي الهواء التي ثم لتستر مع ذلك رأسها ونحرها وصفحتي عنقها وسائر بدنها ؟ أليس ما قاله أهون بشرطه وبغير شرط مما عليه نساء أولئك الصائحين اثنا عشر الذين يشكرون الكلام ، ولا يشكرون المواقف العملية التي يشاهدونها في كل آن ؟

﴿الخدم في البيوت﴾

يعلم كل مقيم في مصر أن الناس يبيعون للخدم من الرجال الخلوّة بالنساء في جميع الحالات فالخدم يساعدن سيدته في المطبخ حاضرة عن رأسها وذراعها ، كاشفة عن صدرها وساقها ، ومنهن من تلبس في حال غسل الثياب الاثلاقي المنزقة فيدو منها ما لم يكن يدو . ويسعدن معها الى السطح يساعدنها على نشر الثياب وهي في مثل ما ذكرنا من ثياب البذلة ويدخلن معها في بيت الدواجن لا طعامها وربما أغلق الباب عليها ، فلا يطير الحمام أو يفر الأرنب . ورب البيت يعرف كل هذا ولا يبالي به ولا يتأثم منه وإن كان في خادمه من الشباب والفتاة ما ليس فيه ! وليس هذا للتكرم كما تدعو اليه ضرورة الميشة بل لاجابة اليه ولو كان محتاجا اليه لكانت الواثق التي تمنع منه أولى بالترجيح من الحاجة التي تدعو اليه لأن درء المفساد مقدم على جلب المصالح في نظر الشرع والعقل معاً

واننا نتعجب من أمر هؤلاء الرجال الذين نبهوا الشرع آدابهم وأحكامهم وحرعوا ثمرة العقل من البصيرة والاحتياط كيف أفندت عليهم عادات البلد السوءى وجدان الفجرة . فسمحوا لهؤلاء الخدم الذين هم أضل سبيلا من الأنعام بحديث طيقهم وسوء تربيتهم . ان يمازجوا نساءهم في الخلوات والحلوات ، والذين لم يسمح بهذا لاطفالهم في جميع الحالات ، اذ أمر تعالى بأن يتأذنوا في بعض الاوقات . يأبها الذين آثروا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يأتوا الحلم منكم ثلاث مرات . من قبل صلوة الفجر وحين تضيئون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة النساء ثلاث عورات لكم ، فإذا كان اقله لا يسمح لأولادكم ان يروا النساء في الاوقات التي هي مظنة التساهل في السر لثلا يتشم في ذهن الولد من رؤية المورات ما يشتغل به خياله . وسوء في الآداب حاله ، فكيف تسمحون لهؤلاء الرجال الأشرار ، بما لا يسمح به الشرع لاطفال الصغار !!

﴿ الفقيون في البيوت ﴾

يطاق أهل هذه البلاد على حائط ألفاظ القرآن لفظ (نقي) ويجمونه على (نقها) وان كانوا في السالب لا يكادون يفقهون حديثاً وما ذكرناه في العنوان من الجمع هو أولى من جهتي اللفظ والمعنى معاً . ومن المادات الضاربة في هذه البلاد - وأن ضفت بصيغة الدين - أن أكثر البيوت بين لها فقيون يجيئونها في ساعة من ليل أو نهار فيقرمون شيئاً من القرآن حيث يكون النساء وينصرفون . وانهم يلحون بالنساء كثيراً والحلوة عمره بإجتماع المالكين سواء كان الرجل والمرأة بصغيرين أو أعميين أو أحدهما أعمى فقط . وقد سمنا من أهل التقد والبصرة حكايات كثيرة في مقاصد هذه الحلوات بل حديثاً غير واحد من أهل التقد بأن من هؤلاء الفقيين من يتوسل بكلام رب العالمين ، الى الصلة بين المشوقات والماتقين ، فكان هؤلاء الميامن يكاتبون صنف المبصرين الذين يقرودونهم بعمل من جنس عملهم فكل صنف يساعد الآخر على مالا وصول اليه بدونه ، ويقوده في المسالك التي يحتاج فيها الى قيادته .

وليت شعري ماذا يريد الذي يبين فقياً أعمى قرأ لامرأته في بيته مالا فقهمه ولا تفقه ؟ أريد تقوية دينها بقرأة ذلك المأجور ؟ كيف وهو لم يلقها عقيدة الماسمين . ولم ير ضها بشيء من أخلاق الدين ، ولم يتلمها الصلاة بالقول ، ولم ير نهها على آدابها بالعمل ، ولم يذكرها يوماً من الايام بالدار الآخرة ، ولم يحدثها في ليلة من الليالي بالحساب والعقاب ، فأني قائدة لها في سماع نعمات ذلك الرجل المأجور الذي ينطق بما لا يسمع الادعاء وتداء ؟ نعم ان هؤلاء الفقيين لا كسب لهم وان أكثرهم يستحق لاصدقة فمن تصدق عليهم فلا يجعل صدقته أجراً لهم عن التثني بكتاب الله في بيته والوقوف على عورات اهله وان أمن قننتهم فكيف به إذا لم يأمنها

فان قيل : ان الماسمين يحسنون الظن بحملة القرآن وأنت تحملهم على إساءة الظن بهم : أقول : روى أحمد وأبو داود والترمذي (ورواه) والنسائي وابن حبان من حديث أم سلمة قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة فأقبل ابن أم مكتوم حتى دخل عليه وذلك بعد ان أمر بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجبا منه » قلنا : يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال « أعميان وان

أنها ألسما تبصرانه» وقد علل المحققون النبي بأن الأعمى قليل العناية بالستر . فإذا كان هذا قول النبي لازواجه اللواتي أذهب الله عنهن الرجس وطهرهن تطهيراً في شأن ابن أم مكتوم الذي عاتب الله النبي في الأعراض عنه لدعوة سادات قريش وقال في شأنه «وإيمان جالك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهي» فإذا هؤلاء أنهم في عيمان . صر دار الفسق في هذا الزمن الذي فشا فيه الفجور وفار التنور : «فأفوق الله أيها المسلمون . وطهروا بيوتكم واستنوا بذلك على تربية أولادكم ، والاهلكم وأهلكم بلادكم ، وأقبح من خلوة الفقيين بالنساء في البيوت ، خلوتهم بهن في (أحواش) القبور ، فإن هذه الخلوة أتم من تلك لأن البيوت لا تخلو في الغالب من الأولاد والخدم فالخلوة الصحيحة فيها متعسرة على أن في الخلوة من المفسد مائتها . وإن الشافع لجميع ما يكون في المقابر من البدع والمتكررات استجباب زيارة القبور أو الأذن فيها لأجل الاعتبار بالموت ، فاستباح لأجل هذا الاستجباب من المحرمات ما يستباح ويمد كله قربة إلى الله تعالى وإن كان كله فساداً لأنني من المبرقة والعظة فيه . هذا وإن الأحاديث الصحيحة تدبر على أن الأذن بزيارة القبور بعد النبي عنه خاص بالرجال ولقد لمن صلى الله عليه وسلم زائرات القبور . هذا ما نصح به لأخواننا المسلمين ، وإن ساء ذلك «الكاتب الأدب» سيما للمصريين ، فإن النبي عن المكفر فيضة «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين»

«طلب الزواج بلسان الصحف»

رأيت في بعض الجلات والجرائد عادة جديدة تقلد المصريون فيها الأرويين وهي طلب الزواج بلسان الصحف ، يكتب الفتى شيئاً في ترجمة نفسه ويورد معاشه ثم يذكر الصفات والتموت والحالات التي يحبها فيمن يريد الزوج بها ثم رأينا أكثرهم يطلب أن ترسل إليهم صورتها الشمسية (الفوتوغرافية) وطلب بعضهم أن يأذن له أبواها أو غيرها من أوليائها برؤيتها في حضرتهم وهذا طلب شرعي ولا بأس به إذا كان أهل الفتاة راضين من أخلاق من يطلب إليهم وواقعين بأنه يمنعه أذنه أن يذكر ذلك إذا لم يتم الاتفاق على الزواج . وأما طلاب الصور فلا ذلك أنهم من الثابتة المترنجة الذين لا يخطر في بالهم أدب الدين ولا أحكامه ولو تفكر وفي ذلك لماحوا أن تصوير الفتيات يتوقف على روزهن للمصور سافرات حاسرات كما هي العادة . ولا يوهمن أن أحد يطلب صورة امرأة ملفوفة في ملائحتها متبرقة لا يظهر منها إلا الخدق سبجان مقلب القلوب والأبصار قد صار شأن النسل بين يشترطون فيمن يريدون الزواج بها أن تكون ممن تبرز أمام المصورين ، وكانوا ينفرون على النساء من الأهل والأقربين ،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
 فينبغون أحسنه أولئك الذين هداهم
 الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

يقول الحكمة من بناء ومن ثوبت
 الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
 يذكر إلا أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و«منار» كشار الطريق)

(مصر - الاثنين ١٦ جادى الاولى سنة ١٣٢٦ - ١٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٣)

الكرامات والحوارق

(المقالة السادسة عشرة فى أنواع الحوارق وضروب التمليل والتأويل)

(النوع الثامن طاعة الحيوانات والجمادات)

استشهد السبكي للاول بحكاية الاسد مع أبى حميد ابن أبى الخير الميهي ومع
 ابراهيم الخواص من قبله ولثاني بحكاية الشيخ عز الدين بن عبد السلام مع الفرنج .

(٤٧ - التار)

فأما حكاية الاسد فلا أعرفها وأما حكاية الرمح فهي كما في ترجمة الشيخ غز الدين (رحمه الله تعالى) من طبقات السبكي ان النرنج وصلوا الى المنصورة في المراكب واستظهروا على المسلمين فنادى الشيخ بأعلى صوته : يارمح خذيم : عدة مرار فمادت الرمح على مراكب النرنج وكسرتها وكان القبح وغرق أكثر النرنج وصرخ من بين المساحين صارخ : الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا سخر الله تعالى له الرمح

أخذ السبكي من هاتين الحكايتين ان الحيوانات والجمادات تطيع الاولياء وتمثل أمرهم وأتباع الطاعة عمل بارادة واختيار يقصد به امتثال أمر المطاع فهو يبي هذا على قول بعض الصوفية ان للجمادات حياة وإدراكا ولولا ذلك لسمى ما كان من الرمح تسخيرا من الله تعالى كما قال ذلك الصارخ . وتسخير الله الرمح لا يستلزم ان يكون بقدرة لاحكمة معها ولا نظام بل ذلك محال على الحكيم العليم وانما يكون ذلك بتوفيق الله تعالى بين أسباب هبوب الرمح وأسباب خروج النرنج كأن يكون اخرجوا في وقت حبهته أو قارنته حرارة شديدة في هذا الاقليم فاشتدت حرارة الهواء فصعد الى الحار منه بتمده وخفته الى الجوف فتحرك الهواء لأجل الموازنة فكان عاصفة أغرقت الملك بمن فيها من النرنج . ووافق ذلك قول الشيخ تلك الكلمة فصد الحادث كرامة له لأن الله أهله ذلك القول في ذلك الوقت . يعلم كثيرون من القراء ان البارجة (فيكتوريا) أعظم بوارج الاسطول الانكليزي في البحر المتوسط قد غرقت عند دخول الاسطول ميناء طرابلس الشام منذ بضع سنين أو أكثر . وقد اتفق عند ذلك أن رجلا من الظرفاء في طرابلس كان مع جماعة في منزله التل من تلك المدينة يتفرج على الاسطول فقال اذا تصرفتم لكم بهذا الاسطول فأغرقت بعض بوارجه أشهدون لي بالولاية والكرامة ؟ قالوا كيف لا وأنت أهل للتصريف ؟ فقال ما معناه انه تصرف ولم يرض الا قليل من الوقت حتى رأوا كأن الاسطول قد نقص بارجة فشكوا في ذلك حتى علموه اليقين . ولو كان ذلك الرجل وسخ الثياب كثير الهذر والدعوى بهيئت يعتقد القامة فيه الولاية والبركة لسارت الركبان بأن غرق البارجة كان كرامة له وأما طاعة الحيوانات فالحكايات فيها كثيرة عند جميع الامم لما يقع من الحوادث

التي بعدها المتقدون بولاية شخص كرامة له ولو وقت يسير لغيره ممن لا يرونها أصلاً للكرامة لما عدوها الاصادفة لا تمتدى حدود المتاد فان الحيوانات لا تعرف لحركاتها في انبائها وادبارها وهجومها على الشيء وانصرافها عنه أسباب مطردة . وقد وقع لكثير من جوارب الآفاق ان يصادفوا السباع في بعض الفياقي مقبلة عليهم ثم لا تلبث ان تنصرف عنهم بغير سبب يعرف . وعدم العلم بالسبب لا يبنى وجود السبب فربما تذكر السبع في الساعة التي انصرف فيها شيئاً حمله على الانصراف عن كان يقصده كان شم رائحة أو سمع صوتاً من الجهة التي فيها أنسابه تخاف عليها عدوان عاد . وقد اتفق لفصيلة من العساكر المصرية في السودان ان سارت في ليلة مقمرة فاعترضهم الاسد في الطريق فذعروا وحاروا لا يدرون ما يصنعون ولكن الاسد لم يلبث أن زار وعدا كالهم وسموا في أنسا ذلك عواء كثيراً فلم بعضهم بما سبق له من الاختبار أن عرجلة من الضباع هجمت على لبوة ذلك الاسد من شدة الخوف فتمسك بذلك الاسد فذهب لشعرتها

قد علم مما ذكرناه في المسائل ان الحكايات التي يتناقلها الناس لآفة بها فيها الإفك المدين ومنها جبل ماهو متاد ليس خارقاً للمادة ومنها ما يضاف الى غير سببه ويعمل بغير علته . ولو شئت لذكرنا من هذا النوع حكايات كهذه الحكايات أسندها غير المسدين الى من يقتدون لهم الكرامة وعمل العجائب . واذا جاءنا السبكي أو غيره بحكاية منقولة بالتواتر لا تحتمل التأويل فأننا نجزم بأنها خارقة وما كان ينبغي لثله في العلم ان يقول ان هبوب الريح وإغراقها للمراكب من خوارق العادات وما زال الناس في كل زمان يشاهدون مثل ذلك بأعينهم في جميع البحار والانهار التي تجري فيها السفن . وكلمة الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى لا تجعل المتاد خارقاً للمادة . فان قال : ان الكرامة لا يشترط أن تكون خارقة للمادة ومخالفة للسنن الكونية وان توفيق الله تعالى بين حوادث الطبيعة ومصلحة المؤمنين عند دعه بعض الصالحين أو بشارته يصح أن يسمى كرامة لذلك البد الصالح : فلا منازع له في قوله . ولا معارض له في حكمه . لأن التسليم بهذا لا يفسد عقول العامة فيحول دون الاعتقاد بحكمة الله والطراد سنه . ولا يفرحهم بالاشخاص فيطلبوا الشيء بغير سببه ومن غير معدنه . وما نريد بالبحث

في الحوارق الا المدافعة عن هذا الاعتقاد والحرس على إزالة هذا القرور

﴿ النوعان التاسع والعاشر طي الزمان ونشره ﴾

قال السبكي : وفي تقرير هذين القسمين عسر على الافهام ، وتبليغه لاهله أولى
بدين الايمان ، والحكايات فيها كثيرة :

أقول يريدون بطي الزمان ان تعضي الايام الكثيرة على المرء ولا يشعر بمرورها
فيمر الشهر عليه كأنه يوم أو بعض يوم . ويؤمنون بنشر الزمان ان تكون الساعة
الواحدة كالستين الطويلة . ومن الحكايات التي استبحيا السبكي من سردها ان بعضهم
أحدث وهو في المسجد الجامع يوم الجمعة والامام يخطب فوضع بعضهم عليه عباءته
وقال اذهب فتوضأ فذهب الى مكانة فتوضأ ثم عاد والامام يخطب وبنهم من رأى
نفسه في مثل هذه الحالة في بلاد فكث فيها عدة سنين وتزوج ورزق بأولاد ثم عاد
فرأى الناس في مجالسهم الذي فارقههم فيه . وهم يزعمون ان مثل هذا واقع حقيقة لا تخيلا
ولذلك قال ان في تقريره عسر آ . وأي الحوارق قرر فكانت قرية من الفهم ، سهلة
القبول في نظر العقل ، ؟ وبأليته قرر ما عنده ، ولم يذكره دين الايمان ، فيما لم يرد
في كتاب ولا سنة ، وما أرى عنده الا التسليم والتقليد ،

وبأليته شرعي ما هي الفائدة اللازمة التي يشترطها السبكي لاطهار الكرامة في هذين
التوعين . على ان هذا شيء لا يظهر لأنه لا يقع وإنما ادعى ادعاء بلاينة ولا برهان ،
فكيف جازلهم ادعاؤه وأمر الكرامة مبني — كما قال — على الكتبان ،

قالوا وأكثروا فإذا كان العقل والدين يقضيان بأن لا يصدق المرء بكل ما يسمع
وان عليه ان يثبت في الاخبار التي تسند الى الحس ويستشهد فيها الناس فكيف يسلم
المائل بما هو غريب عن العقل والمادة ولا حجة على قول مدعيه الا نفس دعواه
فقوله هو الدليل وهو المدلول . رأى الدجالون ان الناس يسمعون لمدعي الولاية
بالظاهر بالصالح كل ما يقول فطغفوا يدعون كل ما يحيطر ببالم وقد كان العلماء يفتنون
أقوالهم فصاروا في مقدمة الحاضمين لهم المسلمين بكل ما يقولون . فان كان في
أهل الصدق من قال بطي الزمان ونشر الزمان فلا نفضه يعني به ان ذلك قد وقع
حقيقة في عالم الحس وانما يفتنون به والله أعلم — ما يكون لهم من الاحوال

التي يسيرون فيها عن الحس ويطيرون في جو الخيال ، ويجولون في عالم المثال ، فيكونون أبقاطا وكأنهم في منام ، فأما طي الزمان فنية تامة وأما نشره فروهي وأحلام ، وقد يسمى القوم التصوّر تطوّرًا ، والاحوال النفسية ، عوالم غيبية ، وإذا صح أن الارواح تجرد قبل الموت كما يقولون ، وتكون في عالم وسط بين عالم الملك وعالم الملكوت ، فمن الحماقة ان يحدث الناس كافة بشي يفوق إدراكهم ، ويطلع على افهامهم وليس فيه من الفائدة الا انه فتة لهم ، ولو لم يدخلوه في الدين لكانت الفتة أهون بل لكان فيه فائدة للخواص لأنهم يجتهدون في كشف حقيقة هذا الامر فان كانت هناك عوالم حقيقية ، طريقها الرياضة الروحية ، يسلكون اليها طريقها ، ويدخلون عليها من بابها ، ولكمهم الآن يقولون ان هذا من خوارق المعاديات ، وانه لا يكون الا بالخصائص والغايات ، وهذا السبكي أحد علماء الاصول يقول فوق ذلك انه يملو الافهام ، وان التسليم به أولى في دين الإيمان وشريعة الاسلام ، والعامة من ورائه تستخذي لمعنى هذه الكرامات ، وتنظم تمثيلهم في سلك المباديات ، وتطلب منهم ما لا يطلب الا من الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ،

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

(النرد والشرنخ ونحوهما)

(س ١) النرد — الشيخ أحمد محمد الاناني بطوخ القراموس : ماهو النرد وتاريخه ومخترعه وما سبب اختراعه وما حكم الشارع فيه وما حكمه ذلك . واذ كان الشارع حرمه فهل قال أحد من الأئمة الاربعة أو غيرهم بحله اذا خلا عن الرهن ؟ وكذا نرجو الاجابة على هذا النحو على الشرنخ والضمة والكثينة وهي أوراق مزوقة بالصور وما هي القاعدة الفاصلة بين الحل والحزمة وما حكمها :

(ج) النرد هو ما يسمونه اليوم (الطاولة) وهذا ينفي عن وصفه ووصف انتم به على أننا رأيناه ولكن لا نعرف كيفية اللعب به وهو من وضع الفرس ويقول صاحب القاموس المحيط وغيره ان واضعه أردشير بن بابك أحد ملوكهم قال : ولهذا يقال له النردشير : وأردشير هذا هو مؤسس الدولة الساسانية في الفرس التي هي الطبقة الرابعة من

ملوكهم وذلك في سنة ٢٢٦ م وقبل موته توج ابنه سابور وولاه واختار هو العزلة ومات من سنته وهي ٢٤٠ م ويظن أنه اخترع الزرد في تلك العزلة للتمهي به وان سكان مشغولا بالعبادة في بيوت الثيران فانه هو الذي أرجع في تلك المدة مذهب زرادشت المجوسي الى الفرس . وفي شرح القاموس ان سبب تسمية أردشير هو ان شير اسم الاسد وقد نقل ان الاسد شمه وهو طفل ولم يأكله . وقال الماوردي : قيل انه وضعه على البروج الاثني عشر والكواكب السبعة لان بيوته اثنا عشر كالبروج وقطعه من جانبي القصر سبع كالنواكب السبعة فمدل به الى تدير الكواكب والبروج : وقال اليعاقبي في شرح المصايح : يقال أول من وضعه سابور بن أردشير ثاني ملوك الساسان ولأجله يقال له الزردشير وشبه رفته بالارض وقسمها أربعة أقسام تشبها بالفصول الأربعة :

أما حكم الشارع في الزرد بخصوصه فالخضر فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي موسى مرفوعا « من لعب بالزرد فقد عصى الله ورسوله » ومن حديث بريدة « من لعب بالزرد شير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه » وأما الحكمة في ذلك فهي أنه كالأزلام يقول فيه على ترك الأسباب والاعتقاد على الخط والبخت فهو عبث يخشى ضره ولا يرجي منه نفع . قال النووي في شرح مسلم عند الكلام على الحديث وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالزرد . وقال أبو اسحق المروزي يكره ولا يحرم . قيل وسبب تحريمه ان وضعه على هيئة الفلك بصورة شمس وقر وتأثيرات مختلفة تحدث عند اقترانات أوضاعه يدل بذلك على أن أنقضية الامور كلها مقدرة بقضاء الله ليس للكسب فيها مدخل ولهذا ينتظر اللاعب ما يقضي له به . وقد اختلف فقهاء الشافعية في درجة حظره فذهب الاكثرون الى أنه من الكبائر ترد الشهادة بالمرة الواحدة منه وقيل هو من الصفات وقال بعضهم بكراهته لقول الشافعي في المختصر : وأكره اللاعب بالزرد للخنير : وردوه بأنه كثيرا ما يقول مثل هذا في المحرمات واختالف النقل عن الام . ونقل الموفق الحنبلي في منتهى الاجماع على تحريم اللعب به وكان الذين قالوا بالكراهة لم يتدوا بهذا النقل وعندي ان تحقق الاجماع في غير الامور العملية المتواترة كهيئة

الصلاة وعددها عيزر . ولكن اقل ما في قل الموفق أنه لم يقل أحد من الائمة المشهورين بحه

الشرطي - وأما الشرطي فهو معروف . والمشهور في كتب التاريخ والادب ان واضعه أحد حكماء الهند القدماء ويزعم بعض الافرنج ان اليونانيين هم الذين وضعوه في أثناء حرب ترواده الشهيرة . وأما سبب وضعه فقد قالوا فيه ان الحكيم صيحه ابن داهر الهندي رأى ان ملك زمانه فنى مستمد للخير والمعدل في الرعية ولكن بطاثة قد حيوا اليه اللهو واللعب والترف والحقبة وصرفوه في حظوظهم وأهوائهم ورأى ان الملوك يقتل عليهم سماع التصح الصريح فأحسن الحيلة في ايصال التصيحة الى الملك في صورة اللب باختراع الشرطي الذي مبناه على ان بقاء الملك بقاء الرعية وانه في قلب ليس بشيء وهو بهم كل شيء . ولما اخترعه وعلم به الملك استقدمه ليعلمه اللب به فكان يلاعبه ويشرح له في ضروب اللب ما يمثل له حاله وما يتوقع من أخطارها ففهم التصيحة وعمل بها فغنت الحال .

وقال انه أراد ان يكافئه فقال له تمن علي واقترح فأقترح ان يوضع في بيت من بيوت الشرطي حبة قح واحدة وتضاعف في البيت الذي بعده ثم تستمر المضاعفة بأن تضاعف في كل بيت ما قبله الى آخر البيوت وعددها ٦٤ ويسمى مجموع ذلك فاحتر الملك هذا المطلب ثم علم ان خزائمه لا تفي به . وقدعنى بعضهم بضبط العدد الحاصل من هذه المضاعفة قال ابن السمان التميمي ان جلته ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف - ست مرات - وأربع مئة وسبعة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف - خمس مرات - وسبع مئة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف - أربع مرات - وثلاثة وسبعون ألف ألف ألف - ثلاث مرات - وسبع مئة وتسعون ألف ألف - مرتين - وخمس مئة وواحد وخمسون ألف وست مئة وخمس عشرة . وقد ر بعضهم ان هذا العدد يبلغ ١٦٣٨٤٠٠٠ مدينة في كل مدينة ١٠٢٤ يتنا في كل بيت

١٧٤٧٦ ميكالا من القمح كل ٣٢٧٦٨ حبة

أما حكمه فقد اختلف فيه الفقهاء والاصكثرون على أنه غير محرم أباحه قوم بشرط ان لا يدخل فيه القمار وان لا يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويعني ان

الاكتثار من اللعب به وبغيره يسقط المروءة ولا يرضاه المائل لنفسه فهو مكروه كراهة شديدة . وقد رووا في تحريمه أحاديث لا يصح منها شيء بل هي الى الوضع أقرب منها الى الضعف ، ومنها حديث : مامون من لعب بالشرطي : رواه الديلمي عن أنس ورواه غيره بزيادة : والناسظر اليها كآكل لحم الخنزير : وروى من حديث وثابة : ان الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة لا ينظر فيها الى صاحب الشاة : يعني الشرطي . ورواه الخرائطي بالنظر آخر ، وروى البيهقي وابن عساكر عن عمار بن أبي عمار ان علياً عليه السلام مرّ بقوم يلعبون بالشرطي فوثب عليهم فقال « أما والله لغير هذا خلقتهم ولولا ان تكون سنة لضربت بها وجوهكم » وروى الثاني عنه أنه قال لا تلثم على أهل النردشير والشرطي . وروايته ضعيفة . وقد روى ابن أبي شيبة وعبد بن حيد - كلام من شيوخ البخاري - وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن النذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن علي كرم الله وجهه أنه مرّ بقوم يلعبون بالشرطي فقال « ما هذه التماثيل التي أنتم لها با كفون لأنتم أحدكم جراحى يطفئ خنير له من أن يمسيها » وفي الزواجر أن ابن عمر (رضي الله عنهما) سئل عن الشرطي فقال « هي شر من الميسر » . وقال الإمام مالك هي كالنرد وروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه ولي مالا ليقيم فوجدها في تركة والده اليتم فاحرقها ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز احراقها . وقال النووي في فتاويه : الشرطي حرام عند أكثر العلماء وكذا عندنا ان فوت به صلاة عن وقتها أو لعب به على عوض فان اتنى ذلك كرمه عند الشافعي وحرم عند غيره : قال ابن حجر في الزواجر : فان قلت ما الفرق ههنا بين النرد والشرطي ؟ قلت فرق أئمتنا بأن التعويل في النرد على ما يخرج منه السكبان فهو كالأزلام وفي الشرطي على الفكر والتأمل وأنه ينفع في تدبير الحرب وقد أحييت ان أحتم الكلام في النرد والشرطي بما جاء في كتاب الصادح والباغم فيهما للموافقة ، من الفكاهة والحكمة . قال في سياق حكاية

ثم بدا لي فرأيت رجلاً شيخاً ينادي صاحباً مكتهلاً
قد أكل الخصاص والجذال وأعلن الشجار والقتال
واقترعوا وصكروا فلما خره تدعو الى الناد والمشاخره

فكان قول الشيخ قومي المند
 لهم علوم وحلوم وفطن
 لو لم يكن من فضلهم إذ يختبر
 الا الذي أبدوه في الشرخ
 جدد عظيم لثبوه هزلا
 فيه اشارات الى مواعظ
 قد رسموها للهدي مثالا
 ينون ان العيش في التدبير
 والمرء للاضال مستطيع
 وذلك المدل بلا خلاف
 قال له الكهل وقومي الفرس
 لهم سياسات وتدبير حسن
 وملكهم معتد بالحكمة
 لانبيد الاصنام والاولياء
 والعيش بالرزق وبالتدبير
 وقد وضنا الرد للمثال
 وما قصدنا بالقصص العبا
 وانما سمي لبا حيله
 وانما يشقه الرجال
 ولو دروا ان المراد الادب
 فالحق قد تعلمه قيل
 وانما أخفيت المصالح
 ودامت بظاهر الاذات
 كتلما رصحت الالحان
 بظنها الجاهل لها وللب
 الحكماء العلماء الذين
 وحكمة بالغة إذ تمتحن
 فضل الرجال منصف ويتر
 لتاس من علم سديد التهج
 يصير الرأي الافين جزلا
 نافعة لكل واع حافظ
 ان الحكم يضرب الامثالا
 وليس بالقسمة والتقدير
 محكم يحفظ أو يضع
 لو وفق الرجال للانصاف
 الحكما ما بذاك لبس
 كالشرع عدلا في القروض والسفن
 كأنهم قد أبدوا بالمصم
 ولا نرى الظلم ولا العدوانا
 وليس بالرأي ولا التدبير
 لو قطعت بصائر الرجال
 حاشا لنا لكن قصدا الادبا
 نخفي به ما فيه من فضيله
 لانه لعب حكما يقال
 بوضعه وضحه ما لموا
 بأباء الا فر قليل
 ووما قول الشفيق التامع
 كم راحة تكمن في اذنة
 ووضعت للحكمة اليبان
 ولو درى بوضعها ما ذلطلب

من راحة الروح وبسط النفس وهزها لطبعا بالانس
لم يستمع قط الفناء ونضر عنه لان الحق ما فيه وطر
قال له الهندي هذي حجتى سلكت فيها جثته محجتي
شطر نجنا مثل هذا وضما أول فن في المعلوم احقرنا
وفضله باد بغير مين ما أوضح الصبح لذي عيين
وان برهاني فيه ظاهر والحق لا يدغمه المكابر

أما الضمنة فهي لبة حديثة فيما أظن وأما الكتشينة فهي نوع من الباب بالورق الذي سماه
الفقهاء الكتشفة وكلاما يعلم من القاعدة التي نذكرها لتكون فصل الخطاب وهي

﴿ قاعدة في حكم الملاهي ﴾

ان العلة في تحريم كل حرام هي المضرة في الدين او النفس أو العقل أو العرض
أو المال فسا لاضرر فيه لايحرم وماورد في الرد فسيه الاول أنه شبه بالازلام التي كانوا
يلقونها في الجمالية لمعرفة الخير والشر فان المول في الرد على البخت الذي يخرج الكعبان
(بأخذ كل لاعب كمين يسمونها الآن الزهر) كما ان المول في الازلام على البخت
الذي يخرج القداح . وقد حرم الاستقسام بالازلام لما فيها من التفرير بالقل وبناء
الامور على الوهم وإهمال الفكر والنظر ونهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الرد
لما فيه من معنى الازلام ومن التذكير بها . وأحب لكل مسلم ان يجتنبه وان انتفت
العلة عنده بأن كان لا يمتد بالبخت ولا يني حكما الا على سبب صحيح ، احتراماً
لنهي الصريح .

وأما الشطرنج فقد قالوا انه لم يكن مرفوعاً على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك من دلائل وضع ماورديه مرفوعاً وأما الآثار فقوى ومنها الضعيف
فن لم يجتنبها فاجبكم قاعدة دفع الضرر في كل لعب . وقد قال بعض أئمة الشافعية
ان اللعب الذي فيه حساب وفكر يباح وما لا حساب فيه ولا فكر فهو مكروه أي ان
لم يضر والا فهو حرام . أقول ومن اللعب ما يفيد رياضة البدن وتحريك الدم فيه وينبغي ان
يكون محموداً محبوباً لا مذموماً ولا مكروهاً ، وأي حرج - ليت شعري - على من أنهاك
بذنه او عقله التعب من شطرنج فاول ترويح نفسه أو ترويض جسمه ببعض الالباب التي تنفعه

ولا تضرب غيره ولا تخن بمرؤته ؟ أقول ان ترك مثل هذه الرياضات يضر أجسادنا فإذا ظن
ضرر تركها كان الترك مكروها وإذا تحقق الضرر كان الترك حراما . وإذا لم يكن في الفعل
ولا في الترك ضرر فالفعل مباح مالم يخلف بالمرؤة كاتكباب أهل الهيئة ورجال العلم والاحكام
على الحب في بيوت اللهو (القهاوي) فان ذلك مكروه شرعا وعقلا بلا نزاع والله أعلم
وأحكم وأبهر المرجع والمصير

(س) علم الهيئة والقرآن — ومنه : كيف ينطبق علم الهيئة الجديدم ان هناك عوالم شمسية
لا يمحى عددها سوى خالقها غير عالمنا الشمسي وانها مختلفة بالخلوقات على قوله تعالى
« وسخر لكم فاني السموات وما في الارض جبرما منه » وان نينا صلى الله عليه وسلم مرسل
لكافة الخلق وانه سيد الوجود على الاطلاق ؟

(ج) السموات هي الاجرام السامية فوقا وهي كثيرة جدا فنها سبعة كواكب
تأبته لكسنا وهي نبتون وأورانوس وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد
وهذه الكواكب سائرة ولها أقمار تتبعها كقمر الارض ومنها شمس لها عوالم تأبته
لها لانعرف حقيقة أسرها ولكننا نعرف ان جميع هذه السموات التي فوقا مسخرة
بقدرته الله تعالى لنا نتفتح بنورها الذي هو من أسباب الحياة في الارض ونهتدي بها في
ظلمات البر والبحر كما قال في آية أخرى مينة للاجمال في الآية الواردة في السؤال
وهو الذي سخر لكم العجوم تهتدوا بها في ظلمات البر والبحر « ويصح ان يكون من
وجوه التسخير وضروب الاتقاع ارتباط بعضها ببعض بالسنة الالهية التي يهرون عنها
بالجاذبية العامة اذ لولا بقاء هذه الجاذبية لاسطلم بعض هذه الاجرام بعض وخرب
العالم كله كإلانه لولا الثور الثبت منها لما عاش حيوان ولا نبات في الأرض . فهي
مسخرة لنا بهذه الاعتبار

وأما بقية نينا لجميع الخلق في جميع العوالم فلا دليل علمي في عقل ولا نقل اما العقل فلا
معنى عنده لكونه مرسل يقوم يسكنون في كوكب آخر وهو في كوكب الارض وهو
الوجه في السؤال واما النزل فقوله تعالى « وما أرسلناك الا كافة الناس بشيرا ونذيرا »
اما ذكر الملائين في قوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فإياه من أرسل اليهم
للجمع بين الآيتين ولما عهد في تفسير مثل هذا التفسير كقوله تعالى « ان الله اصطفى آدم

ونوجا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، وأما كونه سيد الوجود فهذا القالب لم يرد في كتاب ولا سنة وإنما ورد في كلام بعض المتأخرين ولكن ورد في الحديث الصحيح «أن سيد ولد آدم» قال الشيخ محي الدين بن عربي، فهو لا هذا الحديث لما تضمنه على غيره من الأنبياء فإن هذا التفاضل لا يعرف إلا بالنسب الصريح عن المصوم لأنه لا ذوق لنا في مقامات الأنبياء . وهو يرد ما قاله بعض المتكلمين من تفضيل خمسة على الجميع وجعل الفضيلة بين خمسة على ترتيب الذكر في هذا البيت :

محمد ابراهيم موسى كليمه فيسبى شوحهم أولو العزم قاعلم

ويمد هذا مجازفة وتحكما . وقد سبق لنا الاستدلال في افتار على تفضيله عليه السلام بأدلة مقولة والحق الذي لا مرية فيه أن سيد الوجود على الإطلاق هو الله تعالى وحده . ومن غرور الانسان أن يفضل جنسه على جميع خلق الله على جهله بهم والله تعالى يقول في بني آدم «وفضلائهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» وإن هذه الأرض التي يسكنها الانسان إذا نسبت إلى ملك الله الواسع كانت كذرة من جيل أو نقطة من بحر بل كانت أقل من ذلك «وما يملح جنود ربك الا هو» والله أعلم واحكم، والسكوت عما لا يملح المرء أسلم.

(س ٣) السعدية والرقاعية - الشيخ قاسم محمد غدير بأسبوط : ما قولكم دام فضلكم فيما قطعله طاشا السعدية والرقاعية من ضرب بعضهم بعضا بالسيوف والانساء عاليا من غير أن يصيبهم ضرر هل هذا كرامة لشيخهم أم لا وإن كان الثاني فإوجه عدم الضرر (ج) إن هذه الاضروب من اللهب يترنون على أو يوجدى أو يامن الولدان والبنات الحسان بن يفوقهم في ذلك والذكي القطن لا يخفى عليه من أمرهم شيء إذا هو تأمل . رأيت بصفي رحلين رفاعين قابضين على سيف من طرفيه خيلت أن فوضعه بطنه على السيف مكشوقا يوم هم الناس أن تله كله على السيف وهو في الواقع معتمد بيديه على الرجلين بحيث يتمكن من إلقاء الثقل على السيف بقدر الحاجة . ولو كان هذا اللهب من الكرامات لكان كرامة لفاعليه لاشيوخهم وتلك العسا من هذه العصية

(س ٤) دخول القرن - ومنه : قرأت في المؤيد المؤرخ في ٢٦ ربيع الاول لمكاتبه الاسكندر في أنه علم أن شخصا من ذرية سيدي عبد السلام الاسمر بالقرب جامع بمربوط واستعلم فلم يظلم فدخل فرأى هناك فيه لحم يشوي فأكله فما هذا ؟

(ج) سترون الجواب في مقالات الكرامات والحواري واعلموا ان رواية الجرائد ليس فيها شروط العدالة التي يستبرها المحدثون في الرواة الذين قيدوا ايهم الظن فكيف نتمد عليها فيما يطلب فيه اليقين كالذي نحن فيه
(س) قرأة الفاتحة - ومنه ما حكم قرأة الفاتحة في الاتفاق على امراهي بمنزلة العين ام لا وما جزاء من لم يعمل بما قرئت الفاتحة لاجله ؟

(ج) حجت عادة الناس في هذه البلاد وفي بلاد غيرها بان يقرأ المتماقدان على شيء الفاتحة بمد يراهم الاتفاق يحملونها علامة على اتمام العقود والوفاء بها ولا بان يكون ما اتفقا عليه خيرا ويتم بخير وليس لقرأة الفاتحة حكم خاص في هذا المقام ولا أعرف له أصلا في الدين ولكن التماقد على شيء يجب الوفاء به ان لم يمنع من ذلك مانع شرعي «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»

أَنَا عَلَى الْمَرْبِ

﴿نموذج من دلائل الإعجاز﴾

(تابع لما في الجزء الماضي من الموازنة)

مع قول البحتري :

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ أَجَاشُ جَاشٍ مُسَالِمٍ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيَّ زِيٌّ مُحَارِبٍ
وقول أبي تمام :

الصُّبْحُ مَشْهُورٌ بِبَيِّنٍ دَلِيلٍ مِنْ خَيْرِهِ أَبْتِغَيْتُ وَلَا أَعْلَمُ
مع قول المتنبي :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَهَامِ شَيْءٌ إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
وقول أبي تمام :

وَفِي شَرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلٌ صِدْقٍ لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ
مع قول المتنبي :

أَفْعَالُهُ نَسَبَ لَوْ لَمْ يُمْسَلْ مَعَهَا جَدِّي لَخَصِيبُ عَرْنَا لِرَقِّ بَانُصُنْ

وقول البحرني:

وَأَحَبُّ آفَاقِ آلِلَادِ إِلَى قَتَّى أَرْضُ يَتَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ

مع قول المتنبي:

وَكُلُّ أَمْرِي هُوَ يُولِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْغَيْرَ مُكَيِّبٌ

وقول المتنبي:

يَقْرُ لَهُ بِالْمُفْضَلِ مَنْ لَا يُوَدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنْجِمُ

مع قول البحرني:

لَا أَدْعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ حِدَاهُ

وقول خالد الكاتب:

رَقَدَتْ وَلَمْ تَرْتِ لِلْسَّاهِرِ وَلَيْلُ الْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ

مع قول بشار:

لَخَذَيْتُكَ مِنْ كَفِّكَ فِي كُلِّ آيَلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصَّبَاحِ وَسَادُ

تَبَيُّتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَقَادَهُ وَابْسَ اللَّيْلُ الْعَاشَةِ بَيْنَ نَقَادُ

وقول أبي تمام:

تَوَى بِالْمَشْرِقَيْنِ لَهُمْ ضَجَاجٌ أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ الْأَنْغَرَيْنِ (١)

وقول البحرني:

تَنَادَرُ أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِمًا أَطَاعَ أَمَّا أَمَاصُونَ فِي بَلَدِ الْأَرْبِ (٢)

مع قول مسلم:

(١) الضجج بالفتح والضم كالضجيج وهو رياح الفزع مما يخاف منه (٢) تنادر

الناس أنذر بعضهم بعضا وخوفه الشيء

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَذَى دِيَارِهِمْ أَلْقَى إِلَيْكَ الْآتَايَ بِالْمَقَالِيدِ
وقول محمد بن بشير:

أَفْرُغْ لِحَاجَتِنَا مَا دُمْتَ مَشْغُولًا فَلَوْ فَرَحْتَ لَكُنْتَ أَلَدَّ هَرَمَبْدُولًا
مع قول أبي علي البصير:

قُلْ لِيَعِيدَ أَسْمَدُ اللَّهِ جَدَّهُ لَقَدْ رَثَ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْعَبْلُ
فَلَا تَسْتَذِرُ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْآبَالُ مَا أَهْلَ الشُّغْلُ
وقول البحري:

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَنَعُ وَصَلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بَدَاَتْ لَنَا لَمْ تَبْدُلْ
مع قول ابن الرومي:

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنِّي عُلِقْتُ مَمْنُوعًا مَمْنُوعًا

وقول أبي تمام:

لَئِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ نَفِي سُرِّ الْقَضَاءِ لِي أَلْعَدُّ

مع قول البحري:

إِذَا مُحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي قُلِّي كَيْفَ أَعْتَدُّ

وقول أبي تمام: • قَدْ يُقَدِّمُ الْعَبْرُ مِنْ دُعْرٍ عَلَى الْأَسَدِ •

مع قول البحري:

فَجَاءَ مَعِيَ الْعَبْرُ قَادَتُهُ حَيْرَةٌ إِلَى أَهْرِتِ الشَّدَقِينَ تَدْمَى أَعْلَافُهُ (١)

وقول معن بن أوس:

إِذَا أَفْصَرَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ يُقْبَلُ

مع قول العباس بن الأحنف:

تَقُلُّ أَلْجَالِ الرَّوَاسِي مِنْ أَمَّا كَنِهَا
وَقَوْلُ أُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِمَرْيَةٍ إِنْ أَصَبَتْهُ
مَعَ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفَرَا وَهِيَ إِنْ شُهُرَتْ
مَا زِلْتُ مُتَقَطِّراً أُعْجِبُهُ عَنَّا
وَقَوْلِ جَرِيرٍ :

بَعَثَنَ أَمْهَوَى ثُمَّ أَرَدَيْنِ قُلُوبَنَا
مَعَ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

إِذَا امْتَحَنَ أَلْدُنْيَا لَيْبٌ تَكْشِفَتْ
وَقَوْلِ كَثِيرٍ :

أَيُّنَا وَقَلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ (٤)
مَعَ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

تَقُلُّ فَوَادِكُ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ أَمْهَوَى
وَقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِيِّ :

وَعِنْدَ مَنْ آيَوْمَ الْوَقَاةِ لِصَاحِبٍ
مَعَ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

(١) في رواية نفس بدل قلب وتنصرف بدل ينصرف (٢) أي لمن يسأله مبتدئاً والاحسن جعل
مؤثفاً اسم مفعول صفة لفقار . كتبه الأستاذ الامام «٣» عتاي . مترسفة تأتي بلا سبب
«٤» يريد بالحاجية نزة «٥» يريد أن شيئا وأوفى الوري أخوان في القدر إذ لا وفاق عند
أحد ومن استغماية .

قَلَّا تَحْسَبًا هَذَا لَهَا أَلَدُرُّ وَحَدَهَا سَحِيَّةٌ نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ
وقول البحري :

وَلَمْ أَرْنِي رَنْقَ الصَّرَى لِي مَوْرِدًا فَعَاوَلْتُ وَرْدًا لِنَيْلٍ عِنْدَ احْتِفَالِهِ (١)
مع قول المتنبي :

قَوَاصِدُ كَأَفْوَرٍ قَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَّ الْمَوَاقِبَا
وقول المتنبي :

كَأَنَّمَا يُؤَلِّدُ التَّدَى مَعَهُمْ لَا صِفَرَ عَازِرٌ وَلَا هَرَمٌ
مع قول البحري :

هَرَمٌ هَوْنٌ فِي الْإِضْغَالِ يُؤْتِنُ التَّدَى لِنَاشِئِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتِنُ الْعَمْرُ
وقول البحري :

فَلَا تُفْلِزِينَ بِالسَّيْفِ كُلُّ غَلَاثِهِ لِيَمْضِيَ فَإِنَّ الْكَفَّ لَا أَسِيفَ يُقَطِّعُ
مع قول المتنبي :

إِذَا أَلْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ قَسَيْفُكَ فِي كَهْفٍ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا
وقول البحري :

سَامُوكَ مِنْ حَصَدٍ فَأَفْضَلَ مِنْهُمْ غَيْرُ الْجَوَادِ وَجَادَ غَيْرُ الْفُضْلِ
قَبْدَلَتْ فِينَا مَا بَدَلَتْ سَمَاحَةً وَتَكَرَّمَا وَبَدَلَتْ مَا لَمْ تَبْدُلْ (٢)

مع قول أبي تمام :

أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ أَلْتَدَى بَعْدَ مَا عَمَتْ مَهَائِمُهُ أَلْمُنَى وَمَحَتْ لَوَاحِيَهُ (٣)

١- الصري اسم نهر (٢) أراد أنهم من الجسد اخذوا يسامونه في العطاء فيذلوا ولا جود عندهم فكان يذله يذلين بذل النهاجة الصادر، نه مباشرة وبذل هؤلاء البخلاء الذي صدر عنهم بسببه كتبه الاستاذ الامام (٣) محت لواحه بمعنى عفت مهائمه أي بليت طرقه الواضحة وواحد اللواحي لاجب

فَتِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرِ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُهُ
وقول المتنبي:

يَبْضَاهُ طُطِيعٌ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتَيْهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا
مع قول البحري:

تَبْدُو بِطَلْفَةٍ مُطِيعٌ حَتَّى إِذَا شُئِلَ الْخَلِي تَنَتَّ بِصِدْقَةِ مُوسَى (١)
وقول المتنبي:

إِذَا كَارُ مِثْلِكَ تَرَكْ إِذَا كَارِي لَهُ إِذَا لَا تُرِيدُ لِيَا أُرِيدُ مُتَرَجِمَا
مع قول أبي تمام:

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ قَاضِيَتُهُ بِرُكِّ الْقَاضِي
وقول أبي تمام:

فَنَمِيتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خَدِرِهَا فَكَأَنَّهُمَا تُحْجَبُ
مع قول نيس بن الخطيم:

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا مِ الْخَالِقِ الْأَثْكَبَا سُدْفُ
وقول المتنبي:

رَأَيْتُ بِأَسْهَمٍ رِيْشَهَا الْهَذَّ بَشُقُّ الْقُلُوبِ قَبْلَ الْجُلُودِ
مع قول كثير:

رَمْتَنِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَجْزُ ظَوَاهِرُ جِلْدِي وَهُوَ فِي قَمَائِرِ جَارِحِ (٢)
وقول بعض شعراء الجاهلية ويعزى الى ليبيد:

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدَا لِيُصْنِنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاهُ
مع قول أبي المتاهية:

(١) الصفة المروية من الصدق وهو الإعراض عن الشيء (٢) وفي نسخة يصب بدل يجر

أَسْرَعَ فِي تَقْصِصِ أَمْرِهِ تَمَامُهُ تُدْبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامُهُ
وقوله: أَفَلَيْ زِيَارَتِكَ الْحَبِيبِ بِتَكُونُ كَالثُّوبِ اسْتَجْدَةٍ
إِنَّ الصَّدِيقَ يُلِيهِ أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهُ

مع قول أبي تمام :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَأَشْتَرِبُ تَجَدِّدِ
وقول الخريجي :

زَادَ مَرُوفَتَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرٌ
تَتَنَاسَأُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

مع قول المتنبي :

تَنْظُنُّ مِنْ قَدَمِكَ أَعْتَدَ أَدَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا
وقول البحري :

أَلَمْ تَرَ لِلذَّوَابِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْأَفْضُولِ
مع قول المتنبي :

أَفْضَلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لَذَا الزَّمَنِ يَخْلُونِ الْهَمَّ أَخْلَاهُمْ مِنْ الْفِطَنِ
وقول المتنبي :

تَذَلُّلُ لَهَا وَأَخْضَعُ عَلَى الْقُرْبِ وَالذُّوَى فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ
مع قول بعض المحدثين :

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا لِلَّذِي تَعْوَى مُطِيعًا
لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى تَلْزِمَ النَّفْسَ الْخُضُوعًا

وقول مضرس بن ربيعي :

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَائِلِ الَّذِي أَنَا عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٍ لَمْ أَفْجِعْ

وَلَا تَنِي بِأَمَوَّلِي الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي
مَعَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

أَمَّا تَغْلَطُ الْآيَامُ فِي بَأْسٍ أَرَى
وَقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

مَظْلُومَةٌ أَلْقَدَتْ فِي تَشْيِيبِهِ غَضَنًا
مَعَ قَوْلِهِ :

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالَمَا
بَخَسْنَاكَ حَفَظًا أَنْتَ أَبْعَى وَأَجْمَلُ
وَنَظْمٌ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَّيْلِ فِي الْوُغَى
لَأَنَّكَ أَحْيَى لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ

ذَكَرَ مَا أَنْتَ تَرَى فِيهِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَيْنَيْنِ صِنْعَةً وَتَصْوِيرًا
وَأَسْتَاذِيَّةً عَلَى الْجُمْلَةِ فَمِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مِنَ النَّادِرِ قَوْلُ لَبِيدَ :

وَأَكْذَبُ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا
مَعَ قَوْلِ نَافِعِ بْنِ لَقِيْطَ :

وَإِذَا صَدَقَتِ النَّفْسُ لَمْ تَتْرُكْ لَهَا
وَأَمَلًا وَيَأْمَلُ مَا أَشْتَهَى الْمَكْدُوبُ

وَقَوْلِ رَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ أَتَيْ بِهِ الْحِجَابُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ
قَطْرِ قَبْتَلَهُمْ وَمَنْ عَلَيْهِ لَيْدٌ كَانَتْ عِنْدَهُ وَعَادَ إِلَى قَطْرِ فَقَالَ لَهُ قَطْرِي
عَاوِدُ قِتَالِ عَدُوِّ اللَّهِ الْحِجَابُ فَأَبَى وَقَالَ :

أَأَقَاتِلُ الْحِجَابَ عَنْ سُلْطَانِهِ
يَدِي تُقَرُّ بِأَنْهَا مَوْلَاتُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ
فِي الصَّفِّ وَأَحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ
وَتَحَدَّثْتُ الْأَقْوَامَ أَنَّ صَنَائِمًا
غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ فَنَخَلَاتُهُ (١)

مع قول أبي تمام :

أَسْرَبُ هُجْرَ الْقَوْلِ مِنْ لَوْ هَجَوْتُهُ
إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوثُهُ عِنْدِي (١)

وقول النابغة :

إِذَا مَا غَدَا بِالْحَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ
جَوَانِحُ قَدْ أَيقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ
عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
إِذَا مَا لَتَى الصَّمَانُ أَوَّلُ غَالِبِ (٢)

مع قول أبي نواس :

وإذا مجَّ ألقنا علقاً
ورأى الموتُ في صوره
راح في نبيي مُفاضته
أسدٌ يدمى شباظفره (٣)
يتأبى لطيرُ غدوته
ثقة بالشبع من جزره (٤)
المقصود البيت الأخير (له بقية)

(تقرىظ المطبوعات الحديثة) *

﴿كيمياء السعادة﴾

رسالة في علم النفس والاخلاق أو التصوف لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي طبع في مطبعة النار عن نسخة خطية قديمة وصححها بالمقابلة على نسخة خطية أخرى بدار الكتب المصرية ملزم طبعها الشيخ ابراهيم اسماعيل خالمر احد المجاورين في لآزهر وجعل ثمن النسخة الواحدة من الورق الجيد قرشا صحيحا ومن ورق متوسط نصف قرش وكفى بمنزولها الى حجة الاسلام ترغيبا فيها وهي تطلب من ملزم طبعها ومن ادارة مجلة النار بمصر وأجرة البريد ما يان

(١) الكلام استفهام انكاري حذف بن «أسربل» همزة الاستفهام (٢) الرواية للجمعان بدل (الصقان) (٣) المفاضة الدرع الواسعة (٤) يتأبى — يتجرى ويترقب والضمير في جزره لا لطير وجزر الطير وجزر السباع هو اللحم الذي تأكله

(كتاب القول المصوغ . فيما لأصل له أو بأصله موضوع)

ألف الحفاظ والمحدثون كتباً كثيرة في الأحاديث الموضوعة التي عزيت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذباً عمداً أو جهلاً محضاً حتى إن المقلد لكل من تقدم إيظن أنهم لم يدعوا لمناخر مقالاً ، ولم يتركوا له في التأليف مجالاً ، ولكن من يتوجه إلى الأغادة بإخلاص قاب بفتح الله عليه ما يفيد به . فهذه الكتب المؤلفة في الموضوعات لا تنكاد تجد لها قارئاً واحداً في الألف من طلاب العلم . ونظن أن كتاب « القول المصوغ » الذي طبع في هذه الأيام سيكون حظاً عند أهل هذا الزمن أكبر من حظ تلك الكتب لأن مؤلفه هدى بإخلاص ، فجمع فيه كثيراً من الأحاديث الموضوعة التي تدور على ألسنة الناس وفي بعض الكتب ورتبها على حروف المعجم فكانت كتاباً يزيد صفحاً ، عن اثثة

مؤلف الكتاب الشيخ محمد أبو المحاسن القافقجي الطرابلسي أحد شيوخنا في الحديث . وكفى بذكر القافقجي تعريفاً فإنه قد اشتهر بصلاحه في هذه البلاد وغيرها ومريده ومبدون بالآلوف رحمه الله تعالى رحمة واسعة . وقد طبع الكتاب على نفقة الحاج عبد الله المطار من مريدي المؤلف وصححه الشيخ محمد كمال الدين القافقجي الأزهرى نجل المؤلف وطبع في آخره رسالة الحفاظ الصائفي في الموضوعات . فحدث جميع القراء على مطالعته كيلا يفتروا بما اشتهر من تلك الأحاديث المكذوبة

﴿ ديوان الكاشف ﴾

أحمد أفندي الكاشف شاعر قوي السليقة بعيد من الصنعة مشهور بما نشر له من القصائد في الجرائد وقد جمع شعره من سنة ١٣١٥ إلى سنة ١٢٢٠ وطبعه في ديوان سماه ديوان الكاشف وصدره بمقدمة في ترجمة نفسه بلغت ٣٠ صفحة وبلغ الديوان بها ١٦٠ صفحة . وقد سلك في الترجمة سبلاً الحريّة فذكر ما يمدح وما يذم وباح بأسرار الخواطر والهواجس . ويعلم منها أنه كان موكولاً إلى نفسه ، مسترشداً بوجدانه وحسه . يتلى فيستسلم لدواعي الاحزان ، ويخمس فيسلك مسالك الشجوان ، ويعشق فيسترسل في طاعة القرام ، ولم يصبر على مرارة التعاليم ، ولم يسلس قياده لنظار المدارس ، فاكتفى ببعض المبادئ ورضي من ثمرة العلم والادب بالشعر يوحيه الذوق وتنظمه السليقة . وهو دموي المزاج حادّ محب للأنفخ والعلو ويرى أن

الشعر كاف في رقي صاحبه الى ذرى المعالي وحسابه في عداد الثابطين . كتب ما كتب في مقدمته وشعر بأنه جاء فيها ما يستدّر منه فقال في آخرها إن له ثلاثة أعداء للمرض وضيق الوقت وقد انصبر . انتح الديوان بعد المقدمة بتقدمه الى الله تعالى فقال :

رب هذا شعري وهذا بياني شهدا لي بصحة الايمان
لي داع من فطرتي قبل أن أ: لو كتابا الى اليقين هداني
من يكن قام بالعقائد تقلد ما فتى استعنت بالبرهان
مسلماً عشت للإسلام ثم وأبني والامير والسلطان
أنا لو كنت ناشئاً ومقبلاً بين قوم من عابدى الاوثان
لم أجد غير دين أحمد أولى باتباع من سائر الاديان

ثم قدمه الى اثني أبيات لانتشر بالتقديم ثم الى أمير المؤمنين ثم الى مصر ثم الى قومه ثم الى الشعراء . وجعل الديوان أبواباً في مدح السلطان ومدح أمير مصر ومدح العظماء والاخوان . وفي السياسة والتاريخ ومن هذا الباب قصيدة في فتح السودان وقصيدة في ذكر الثورة المرابية . وفي التربية والتعليم وفي الاخلاق والآداب والحكم والفكاهات . وفي الوطنية . وفي الشكوى والنتاب . وفي الخصوصيات والاعراض وفي حوادث الترام وفي المراتي والتمساري وعن النسخة من الة يون عشرة قروش في بلاد مصر ١٥ قرشاً في غيرها من البلاد . نسى ان يلقى لهذا الديوان من اقبال القراء ما قر به عين الناظم

﴿ فتح الأندلس ﴾

« قصة تاريخية غرامية هي الحلقة السابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تتضمن تاريخ اسبانيا قبل الفتح الاسلامي ووصف أحوالها الادارية والسياسية والتدبيرية وعلاقة بعضها ببعض وبسط عادات القوط والرومان هناك والفرق بين طبقات الناس وقدم طارق بن زياد لفتحها والسبب الذي دعاه الى ذلك - الى مقتل رودريك ملك القوط في واقعة وادي لينة سنة ٩٣ هـ ، هذا ملخص به الرواية . ولها جرحي اقدي زيدان وهي كقالب . رغب الينا المؤلف في قراءة القصة قبل تزييلها حبا في التمدد الذي لا يجب الا الواثق بحسن عمله الرابع في تكميله قراءتها بلذة عظيمة وشهدنا له بحسن تصنيف

القصاص فان الفاري لايتبي من فصل من قصوها الى بشوق يالج به ويحفزه الى قراءة مايمده حتى يتبي بالفصل الاخير

ونتقد عليه ان المقصود من القصة بيان تاريخ الاسلام كدوابقها وليس فيها من الا ذكر الفتح بنافه لايجاز . وانتقد غيرنا من نبه المسلمين على هذه القصاص انها تصور للقارى ان انتصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا بسبب ماكان ألم بالامم التي فتحوا بلادها كالرومانيين والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق واختلاف المذاهب الدينية وتفرق الكلمة . ويرى هؤلاء المنتقدون ان هذا غلط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله تعالى بهم حمل المؤلف عليهما التعصب الديني . ونحن نذكر عليهم هذا الرأي كتابة كما أنكرناه قولاً فان ما ذكره من فساد دين الامم وأخلاقها وتفرق كلمتها هو السبب الاول في قهر أولئك الشراذم من المسلمين لذلك الامم القوية العظيمة السلطان بل لولا ذلك الفساد العام لما أرسل الله تعالى ذلك المصالح العام كافة لتأس بشير أو نذيراً (صلى الله عليه وسلم) وأيده بنياته فجمع له كلمة الامة العربية التي لا يعرف لها التاريخ اجتماعاً قاذبها وأدب بها على بداوتها أتم العلوم والمدنية ، على ان المؤلف نوه بشجاعة العرب ونضاهم وعدلهم ولم ينقصهم منه شيئاً . أما عبارة القصة فقد كنت أتوقع أن تكون خيراً مما سبقها فاذا هي كغيرها في السلاسة ولكن فيها كلمات وعبارات عامية لم أر مثلاً في كتابتها بل لارصيف فجزمت بأنه متعمد ليسهل فهم كتابته على القوام ، وعندى ان سلاسة عبارته كافية في الوصول الى هذا المرام ، وصحة العبارة لا تحول بين المتقى والانهمام

﴿ فتاة غسان ﴾

قصة تاريخية غرامية أخرى لجرجي اقدسي زيدان أيضاً كتب على ظهرها بدم ذكر اسمها « تخرج حل الاسلام من أول ظهوره الى فتوح العراق والشام مع بسط عوائد الربيعي آخر جاهليتهم وأول اسلامهم ووصف أخلاقهم وازيادتهم وسائر أحوالهم » أهدانا المؤلف نسخة من الجزء الاول منها طبع ثانية قبل اهداء (فتح الاندلس) فلم ننظر فيه لأن وقتنا قصير وعملنا كثير فلما طالعنا هذه لإجابة لطالب المودة ساقنا اللذة الى مطالعة الأخرى فكانت اللذة فيها لا تقل عن اللذة في أختها ، وعبارتها أسلم

من عبارتها ، وفائدتها في التاريخ الاسلامي أكبر من فائدتها ، وان كانت لم تشرح حال الاسرهم كما قال شرحا ، ولم تبسط عوائد العرب وأخلاقهم وسائر أحوالهم بسطا ، فانه ذكر جملة صالحة من ذلك كان يجملها السواد الأعظم من القراء لأن أكثرهم من العوام وان تعلم الكثيرون منهم في المدارس الابتدائية فان مدارس مصر لاحظ لها من تاريخ الاسلام . ولذلك كنت أناظر جماعة من أهل العلم يدعون ان قراءة هذه القصص ضارة وأدعي أنا أنها نافعة

يحتاج هؤلاء بأن في هذه القصص أغلاطا تاريخية حتى في الامور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله ان أمير العرب على فتح العراق هو « سعد بن مالك » وهو مغرب وكان يدعى سعد بن أبي وقاص وان كان اسم أبيه مالكا . ويدعون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه الى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فن الاول قوله ان أبا سفيان حيا هرقل بقوله « أيت الامن » وهم يشكرون ذلك محتجين بأنها تحمية الخيريين للملوك دون المضرين وله ان يحتاج هو باطلاق بعض علماء الفقه والتاريخ أنها تحمية الملوك في الجاهلية ومن الثاني نص كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل فانه نقلها عن الاغاثي هكذا « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى أسلم تلم يؤتلك الله أجره مرتين وان توليت فان اثم الاكابر عليك » والرواية الصحيحة في البخاري وغيره « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله (وفي رواية رسول الله) الى الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تلم يؤتلك الله أجره مرتين فان توليت فأتيتك عليك اثم الاريسيين (وفي رواية الاكارين - لا الاكابر - وكلاهما بمعنى الفلاحين يريد رعيته أهل الحرث) وأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء يتنا وينكم ان لانريد الا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » هذا هو نص الكتاب ولا شك ان المؤلف قصر في اعتماده على كتاب أدبي دون كتب الحديث وكتب السيرة في أهم شيء من موضوع قصته

وذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقل عن الواقدي

وهي ان لفظ (محمد) في السطر الاعلى ولفظ (رسول) في السطر الاوسط وانفط الحيلة (الله) في السطر الادنى والمشهور المبكى والواقدي يروي الموضوعات وقصته في فتوح الشام مخلوعة بالكذب وهذه المسألة أهون من غيرها

أما ما ذكره مؤلف القصة عن أبي سفيان من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبوسفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وإنما جمع المؤلف أقوالا من الكتب وأنما مع بعض آرائه وأسندها الى أبي سفيان لأنهم يستجيزون ذلك في القصص لأن الصبر عندهم بالمسائل لا بالرواية - وإن سعى أهل الرية هذه القصص روايات كذبا ومينا - والمعروف في الصحيح ان أباسفيان لم يتجاوز أجوبة أسئلة هرقل .

ومن المسائل الباطلة التي حكها المؤلف عن أبي سفيان مسألة الفرائق . رأما في الطبري فظفها في سلك الحكاية وقال ان أباسفيان قال ان محمداً ذكر آلهتهم (أي ينجيز) فيما نزل عليه ثم رجع عن ذلك (وأبدل هذه الفقرة بفترة تزيدنا نفرة منه فقال « ان تلك إنما ألقاها الشيطان على لسانه » ثم ذكر آلهتنا بكل سوء فقال « إنما أسماء سميتوها اتم وأبأؤكم » الى غير ذلك مما زادنا نفورا وبدا) . هذه العبارة بين الملايين منقولة من القصة بحرف وفيها وهي توهم ان جملة ان تلك الخ مصرية عن النبي عليه السلام وذلك غير صحيح وفيها تحريف الآية الكريمة « ان هي الا أسماء سميتوها » الخ والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في النقل والاعتماد على المعنى الذين يفهمونه ويحسبون هذا التساهل هينا حتى في الامور الدينية وهو عند المسلمين عظيم . وقد نشرنا في المجلد الثالث من اثار مقالة طويقة للاستاذ الامام يند فيها مسألة الفرائق ويبين بطلانها . وللمؤلف المسيحي العنفر في تصديق مسألة ذكرها بعض علماء المسلمين وسكت عليها فلم يكذبها . وهذه القصة وضمت بمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تكن معروفة في عهده لمؤمن ولا لمشرك

(بشارة بحيرا الراهب بالنبي صلى الله عليه وسلم وشبهتهم فيه)

ومما أسنده المؤلف الى أبي سفيان قوله ان أباطالب كان يصطحب محمداً في أسفاره فينزل الديور (كذا) ويحالي الرخبان والعلماء وذكر هنا ان بحيرا الراهب أنباء بأمر كثيرة من مستقبل حياته وأوصى عنه ان يتي به ويخاف عليه اليهود .

وقوله ان محمدا كان ' اذا عاد من سفره يقضي معظم ساعته في الكعبة يتحدث الناس ويمجد لهم ويطرحهم ويسجدون لذلك وقوة برهانه (قال) فقد كان على منبره في ذي القعدة واسع الاطلاع بما اكتسبه من محاسبة عمه ومخالطة الناس في أسفاره مع انه أعمى لا يقرأ في القراءة : ونقول ان هذا غير صحيح فانه ما كان معروفا بالفصاحة ولا بسعة الاطلاع ولا كان يجادل الناس ولم يقل بالمجادلة جهلاء المسلمين الذين أرادوا ان يعظموه بأكثر مما عظمه الله تعالى به فوضوا أحاديث واخترعوا حكايات جاءت بتقويض المطلوب منها قولهم عنه « أنا أفصح من نطق بالصاد » قال المحدثون انه لأصل له وقال شيخنا الفاوقجي في (اللؤلؤ الرصوع) : والعجب من الجلال المحلي ذكره في شرح جمع الجوامع من غير تنبيه وكذا ذكرها الأصاري في شرح المقدمة الجزرية :

أما قصة بحيرا الراهب فقد ذكرها أصحاب السير في البشارات بالتي صلى الله عليه وآله وسلم ونظموها في سمط الخوارق التي رووا أنها كانت محتفة بها ولكن التصاري نظموها في سلك آخر فزعموا ان بحيرا كان معلما للتي صلى الله عليه وآله وسلم وعظموا من شأنه ووسموا دائرة رواية المسلمين في شأنه فأخذ صاحبنا جرجي اقدسي زيدان خلاصة مما قرأه وسمعه من الفريقين وأودعها قصته هذه (قناة غسان) ونومها في غير هاوئنا معتد بما لي من حسن الظن فيه أنه كتب ما يستفده وان كان مخطئا فيه أوهمت عبارته للماضية ان أبا طالب كان يسافر بابن أخيه قبل النبوة كثيرا فيزل الأديار ويجالس الرهبان والطلماة ... والصواب انه لم يسافر مع عمه الا مرة واحدة وكان ابن تسع وكان سبب خروجه معه تعلقه به ووجه اياه لما كان يسامله به من الكرامة والاحسان وفي هذه المرة رآه الراهب بحيرا وبشر به ولم يره بعدها . وقد سافر مرة ثانية الى الشام في غير الخديجة مع غلامها ميسرة وكان ابن ٢٥ سنة على الأرجح وفي هذه المرة رآه نسطورا الراهب ورأى من علامات النبوة ما أنطقه بأنه هو الذي بشر به المسيح وغيره من الانبياء ولم ير بحيرا في هذه المرة

وقد ذكر المؤلف رأيه في بحيرا في الفصل الثامن من القصة وملخصه (١) ان اسم بحيرا يوحنا عزرا ذلك الى الكندي أي الى ذلك الكتاب الطاعن في الاسلام المنسوب الى رجل على عهد المأمون اسمه اسحق الكندي والكتاب لبعض

أما آخرين لاشك عندي في ذلك . وفي السيرة الحلية وغيرها ان اسمه جرجيس وقيل سرجيس . و (٢) ان سلمان الفارسي كان تلميذا له نقل ذلك عن الدائرة ولم يعرف في ترجمة سلمان عند المحدثين . و (٣) انه كان على مذهب آريوس . و (٤) انه كان عالما بالفلك والنجوم والطوالع وسائر علوم تلك الايام و (٥) انه كان حسن القراصة ولكنهم كانوا يعتقدون انه ساحر . و (٦) انه سافر في آخر عهده الى مكان مجهول في جزيرة العرب ثم علم ان اليهود قتلوه غيلة . و (٧) ان المظنون في سبب ذهابه الى بلاد العرب قصد الحجاز لحادثة جرت معه .

ثم ذكر المؤلف في بيان هذه الحادثة قصة عن لسان راهب كان تلميذا لبحيرا وملخصها ان القوافل القادمة من بلاد العرب كانت تقف عند دير بحيرا بالقرب من مدينة بصرى وكان بحيرا يخرج اليهم ويطلعهم عبادة الله تعالى اذا كانوا وعشرين وانه كان يعتقد ان الله ظهر له في الرؤيا وانبأ بان سيكون واسطة لهداية بني اسماعيل ثم رأى في رؤيا اخرى ان فتى جيل ينتظر شهما مولده ببرج الثور والزهرة مع قران المشتري وزحل سيدي ببناء جلده بني اسماعيل الى معرفة الله وان به يقوى امرهم ويشدد أزرهم وتجتمع كلمهم فيذلون أبناء عمهم بني اسحق ويتسلطون عليهم مدة كما اشار اليه دانيال في نبوته وانه يخرج من العرب اثنتا عشرة دولة .

ثم ذكر المؤلف بلسان الراهب ان قافلة جاءتهم من قرينش فشاهد بحيرا فيهم غلاما جيلا علم انه هو الذي بشر به في المنام وأوصى به عمه أن يحذر عليه اليهود (قال) : ثم كانوا كما مروا بنا أقاموا عندنا كالمادة :

أقول في هذه الحكاية أغلاط يبنى عليها أحكام قاسدة وهو لم يروها عن أحد وإنما استنبطها من قريحته ليصور فيها ما كان يعتقد في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه اقتبس آراء من ذلك الراهب في التوحيد وغير التوحيد وطفق يستعدك تحقيق بما بشره به وكان يختلف اليه للاستفادة منه ثم ان الراهب بعد ذلك رحل اليه . وحاصل القول ان دين الاسلام بني على معارف ذلك الراهب وبشارته . ويظهر ان المؤلف رجح عن هذا الرأي الذي يؤخذ من كلامه في بحيرا وصار يعتقد أن النبي عليه السلام لم يكن متعننا ولا متكلفا بل كان يعتقد في نفسه انه مرسى من الله تعالى .

وفهم هذا الرجوع مما كتبه بعد ذلك في الجزء الاول من تاريخ تمدن الاسلام . أما الاغلاط المهمة التي جاءت في حكاية المخترعة فأحدها قوله ان كان يعلم العرب الذين كانوا ينزلون بجوار الدير والصواب انه ما كان يخرج اليهم ولا يكلمهم قال في السيرة الحلبية « وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الى الغمامة قد أنظلت الشجرة وتمهرت - أي مالت - أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها . . . ثم أرسل اليهم قد صنعت لكم طعاما باسم قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرکم . فقال له رجل منهم - لم أقف على اسم هذا الرجل - : يا بحيرا ان لك اليوم شأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فإشأناك اليوم ؟ فقال صدقت - القصص وفيها ان النبي لم يحضر معهم أولافسألهم عن تخاف لانه لم ير الغمامة على أحد منهم فقالوا له ما تخاف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك الاغلام وهو أحدث القوم سنا : فطلبه فجاء والغمامة فوقه . فلما كل القوم وتفرقوا قام اليه بحيرا « فقال له : أسألك باللات والعزى الا ما أخبرني عما أسألك عنه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبض شيئا قط بنصفهما : فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرني عما أسألك عنه : فقال له : سألني عما بدالك : فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ويخبره فيوافق ما عنده من صفته أي صفة التي المبعوث آخر الزمان » وذكر أنه أوصى به عمره وليس في رواية من الروايات أنه علمهم في تلك الدعوة أو غيرها شيئا أو دعاهم الى توحيد أو غيره

فإنها خبر الرؤيا والنظر في الجرم وقد علمت ان سبب البشارة في الرواية الماثورة هو ما رآه من السموات والآيات ، وما كان يحفظ من البشارات ، فالرؤيا الثمانية دعوى اخزاعية ، وبناء البشارة على معرفته بالتجسيم حكاية خرافية ، فان قالوا انهم لا يسلمون بما في الرواية الاسلامية من نظايل السحابة والشجرة قول سواء علينا أردنهم هذا وحده أم رددتهم الرواية من أصلها وإرجعونا من ذكر بحيرا الذي عظمتم أمره وهو واحد

من أولف كانوا يتقدمون بأن نينا بيت من آل اسماعيل ، كاثرت التوراة والأنجيل ،
ثالثا قوله : وأقام الركب عندنا مدة : ورابعا قوله : ثم كانوا اكلمبروا بنا أقاموا
عندنا كالعادة : وكلاهما غير صحيح كما علمت
وجلة القول أنه لا توجد شبهة ما على أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى
بحيرا غير تلك المرة ولا توجد شبهة ما على أنه استفادته علما يذكر ، أو حكما يؤثر ،
وما ذا عسى يستفيد ابن نفع من مجلس جلسه الى عالم وكيف يصدق عاقل ان ذلك
الغلام يحزن هذه العلوم زمنا يزيد على ثلاثين سنة ثم يفيضها على الناس بحكمة باهرة
وسياسة عالية . وكيف يحجز الراهب مفيض العلوم عن هداية رجل واحد كالراهب
الذي يحكي عنه في النصبة وقد رد ذلك الغلام المستفيض على هداية الشعوب والقبائل وقلب نظام
العالم ببطء بهر من الشرك والوثنية والظلم والتهتك في الشهوات ! ! ! ان في ذلك آيات .
وانما أطنبت في قصة بحيرا اطنا بما كان يتسع له تقرير قصة لانني كنت أسمع من
رهبان هذا الزمان وبعض عوام النصارى كلاما كثيرا في دعوى تعليمه النبي صلى الله
عليه وآله وسلم وما كنت أظن ان خواصهم يحفلون بذلك حتى رأيت في هذه القصص
ما رأيت . ولا أزال اعتقد ان رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان ليس له قصد شي بمحمده
على كتابة مالا يستقد وأقول انه لا يجوز لمسلم ان يثق بغير العلماء الراسخين من أهل
الدين في نقل الامور الدينية اذ لا يعرف الصحيح المتمد عليه غيرهم

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْإِسْلَامِ

﴿الحسن العظيم منشأوي باشا - أبو الوطن لا الاسكندرية وحدها﴾
زار صاحب السعادة والفضل أحمد باشا المنشأوي مدارس العروة الوثقى الحبرية
في الاسكندرية فلقاه أعضاء الجمعية الكرام بما يليق بمقامه في فضله واحسانه وكانوا
قد أمروا بأن زين المدارس حفاوة به فابتدأ بزيارة مدرسة عباس الاول للذكور
وهناك قدموا له كتابا مصفحا بالذهب فسكروى شكر على احسانه وعند اختتام
الاجتماع وتلاوة الجليل والانشاد وعد التلافة بانه أوقف حياته لتربيتهم ثم زار

مدرسة اسماعيل الاول البنات ثم مدرسة كوم الشقافه ومدرسة عباس الثاني ومدرسة توفيق الاول والمكتب الباسي ثم مدرسة عباس الاول للبنات فمدرسة ابراهيم الاول وكانت كل مدرسة تقدم له ذكرى تليق بها

وقد هزته الارجحية لما شاهده من حال هذه المدارس والمكاتب وحال التلامذة والتلميذات الذين كانوا يتدققون بزيارته بشرا وشكرا فأمر بأن تكون كسوة تلامذة المكاتب على نفقته ووعد بأن سيوقف أليانا يخص رتبها بتجهيز بنات الفقراء المتعلمات في هذه المدارس عند زواجهن . وذكرت مدرسة جمعية المعلمين (الشياطين) في الكرك فوجد بمساعدتها ثم أمر بصرف راتب شهر لكل واحد من معلمي هذه المدارس تنشر خبر هذه الزيارة وان كنا نفضل ذكر زيارات الملوك والأمراء الحكام للمعاهد العامة والخاصة لأن شأن الاسعاد على العلم لا يعلوه عندنا شأن وأما لتفتخر بهذا المحسن العظيم الذي طوق الاسكندرية بفضل واحسانه حتى قال بعض الادباء : يجب ان نكتبه بأبي الاسكندرية: ونحن نوقع ان يطوق فضله القطر كله بمساعدة الجمعية الخيرية الاسلامية العامة كاطوق الاسكندرية بمساعدة جمعية العروة الوثقى الخاصة فيكون أبا الوطن كله لا أبا الاسكندرية وحدها دام الله توفيقه. وألم سارا غنيا شائنا أن يسلكوا طريقته،
 * (مدرسة المعلمين الالهامية) *

وفق الله تعالى صاحبة الدولة والدة الحجاب الحديوي فألهمها بأن تنشئ مدرسة لتعريب معلمي المدارس الابتدائية وتجهيزها تذكرا لوالدها (الإلهامي باشا) وقد وضع جدول الدروس واتخذ للمدرسة مكان موقت وستبنى لها دار فسيحة في الحلبية على نفقة المنشئة أتابها الله تعالى . وقد عين طابدين اقدي خير الله ناظر ألهذه المدرسة أما العلوم التي قرأ في المدرسة فهي تجويد القرآن الكريم وتفسيره والتجويد والصرف والبلاغة والانشاء قولاً وكتابة والفقه والتوحيد والحساب والهندسة وتقويم البلدان والحط وتقبل المدرسة ثلاثين طالبا مجانا بشروط هي معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم والصحة وكون السن لا تزيد على ١٢ ولا تنقص عن ١٨ سنة الصل المقصود جليل ولكنه لا يتم بالدار الفسيحة والثقة الواسعة من سكر من الإمارة وإنما يتم بانتقاء المعلمين النضلاء الأكفأ الذين يمسنون الترهيب أولا والتعلم

تانيا فاذا لم يكن المعلوم مرين فلا فائدة لهم ولا جدوى . وفقى الله ناظر هذه المدرسة لا بقاء الرجال ، كما وفقى منشئها الكريمة لبذل المال ،
 * (وفاء قراء الصحف ومطالهم) *

كتبنا مقالة أخلاقية في وفاء قراء الصحف المنشرة ومطالهم بالنسبة الى البلاد . والى الاصناف بيتا الحكم فيها على اختبارنا الخاص فأخذ المنتعف الاغر خلاصتها وقال انها ذكوة بحثا مثل بحثنا للفيلسوف سبنسر الشهير ظهر له منه ان خدمة الدين أقل وفاء بالحق من غيرهم . ثم ذكر احصاء لاصناف المشتركين في المقطع والمقطع من حيث الوفاء والمطل كانت نتيجة موافقة لنتيجتنا . ظهر من احصاء المقطع ان أصحاب الاملاك يتأخر عندهم سبعة في المئة من حقوق الجرائد والمجلات ويتأخر عند العلماء ٩ في المئة وعند التجار ١٥ في المئة وعند المحامين ٢٥ في المئة وعند القضاء ٣٠ في المئة وعند الموظفين ٤٠ ، وصفا في المئة . قال الكاتب :

« وهذه النتيجة تنطبق على نتيجة صاحب النار الا من حيث العلماء ولعل سبب ذلك أننا جمعنا معهم المعلمين . أما موظفو الحكومة فأكثروا من المستخدمين الصادر لان الوفاة الكبار . ومن المريب أن يدخل حضرات القضاء والمحامين في باب المعامل ولو لم تكن النتيجة التي وصلنا اليها نحن مطابقة للنتيجة التي وصل اليها صاحب النار لفتنا حسنا خطأ »

أما ما ذكره في علة اختلاف الحسابين في العلماء فهو صحيح لان المعلمين في المدارس يقل فيهم الماسطون وقد قلنا هذا فلا خلاف . أما المحامون فقد نسينا ان نذكرهم في تلك المقالة وهم أحد وفاء بن اتقاة وان كنا نسمع اتقاة يتبرمون منهم . ونحن لانشكو الا من المحامين الشرعيين فان أكثرهم يعملون وأما المحامون في المحاكم الاهلية فكلهم يؤدون حق انثار ويقل فيهم من يخرج منه الحق نكدا

ومن محجب ما وقع لنا مع اتقاة الاهليين ان أحدهم اجتمع عنده اشراك ثلاث سنين فطلب منا ان نعطيه ثلاث عهودات من انثار ينهار عليه وصولا بما يطالب منه من غير ان يدفع قرشا واحدا واحتج بأنه يتنصه بعض الاحزاء . فباحرمانه يتناقض عند مثله .

(تليه) ضاق هذا الجزء عن شبهات انصارى وتمة ترجمة البابا

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
نذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ودهناراً كنار الطريق)

(مصر — الاثنين غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢١ — ٢٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٣)

الكرامات والخوارق

(المقالة السابعة عشره في أنواع الخوارق وضروب التعليل والتأويل)

النوع الحادي عشر استجابة الدعاء

قال السبكي : وهو كثير جدا وشاهدناه من جماعة : أقول هذه مسألة من أكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين المذاهب الاسلامية ويذكرونها في العوائد والمشهور أن أهل السنة يقولون بنفع الدعاء والمعتزلة ينكرونه . قال الاثاني في الجوهرة :
وعندنا ان الدعاء ينفع كما من القرآن وعدا يسمع

وقد تقدم في مقالات الكرامات الاولى ان جمهور أهل السنة يقولون بجواز وقوع الكرامة والخوارق والمعتزلة ينكرون ذلك . وقد عدّ السبكي وغيره استجابة الدعاء من الكرامات والخوارق ويلزم من ذلك أن يكون الخلاف في الدعاء فرع الخلاف في الكرامات ولكنك تراهم يخصونه بالذكر ويمدونه مسألة مستقلة ويرون الخلاف فيه أقوى ويشنعون فيه على المعتزلة مالا يشنعونه في مسألة الكرامات . ولقد اتعرض المعتزلة وذهبت كتبهم ولكن المسائل التي اختلفوا فيها مع الاشعرية لازال الكثير منها حيا يقول فيه بقولهم كثير من الناس فيحمد الله ان جعل أئمة الفريقين أرقى عقلا ودينا من ان يكفر بعضهم بعضا فلو كفر أبو الحسن الاشعري وكبار أصحابه منكري نفع الدعاء وجواز الكرامات أو وقوعها لرأيت المسلمين اليوم في شقاق شر من ذلك الشقاق

ولامتنع أهل العلم والدين من الصلاة على موقى أكثر المتعلمين من أبناء هذا العصر . على أن الباحثين في هذه المسائل لا يسلّمون من تكفير غلاة التقليدين ولكنه تكفير باللسان لا يمدو الشتم ولا يتجاوز الشائعين ، وإذامات المرحي بالكفر صلوا عليه ودفعوه بين المسلمين ، ثم لأنه شتم قلما يقع من المتعلمين على المذاهب والعالمين بما يؤثر عن العلماء من الخلاف

الحق أقول ان الخلاف في إلهاء أقوى من الخلاف في الكرامات فإن مسألة الكرامات ليست من أصول الدين ولا من فروعه ولا يوجد في الكتاب والسنة دليل على طلب حصولها ولا على مطالبة الناس بالإيمان بها . وأما الدعاء فهو مطلوب باختلاف والآيات والأحاديث الصحيحة التي يذكر فيها كثيرة جداً . ويمجني جعلهم محل الخلاف في نفع الدعاء لافي استجابة خاصة وأنه لم يقل أحد من أئمة المسلمين بأن الدعاء يستجاب حتماً ولا أن الأصل أو الأكثر أنه يستجاب ولكنهم قالوا ان الدعاء ينفع سواء أستجب أم لم يستجب وهذا القول حق كما سنينه . ولو كانوا يرون ان الدعاء يستجاب من كل داع تحققت فيه الشروط التي ذكروها لما كان لديهم استجابة الدعاء من الكرامات والحوارق .

وردت آيات في الدعاء ولكن يراد بها في الأكثر العبادات ومن غير الأكثر مجرد الطلب كقوله تعالى حكاية عن بنت شيب « ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقت لنا » وأقرب الآيات الى ما نحن فيه من دعاء الله تعالى وطلب الحاجة منه توقفاً للاستجابة بقضائها قوله تعالى « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » وقريب منها قوله عز وجل « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » ولكن ورد في الصحيح تفسير الدعاء في الأولى بالعبادة . روى أحمد وأبو بكر ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه والحاكم وغيرهم من حديث الثعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » وفُسر الاستجابة على هذا بقبول العبادة . ومن العلماء من فسر الدعاء في الآية بطلب الحاجات والاستجابة بقضائها . وفُسر الآية الثانية بمثل ما فُسر به الأولى من الوجهين . وقد علم ان الآيتين

ليستا نصا في موضع الخلاف فيحتاج هما على المنزلة ومن على رأيهم من أدل هذا
العصر ولهذا يكفروا! من قال بأن الدعاء لا تأثير له في قضاء الحاجات وانما عدوه
مخالفا لسنة لما ورد في الدعاء من الاحاديث الصحيحة

ورد في الصحيح ان لكل نبي دعوة مستجابة وقد قال العلماء ان المراد انها
مستجابة قطعا وما عداها من دعوات الانبياء فهو محتمل للاجابة ولعدها أي ان
الحديث لا يفهم منه ان الله لا يستجيب لآتي الا دعوة واحدة . وورد الامر بالدعاء
وعدم الاستعجال بالاستجابة . وترى العلماء متفقين على ان الاستجابة تكون باحدى
ثلاث وردت في الحديث - إما أن تعجل له دعوته وإما أن تدخر له في الآخرة
وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها . وللحديث طرق بعضها ضعيف وبعضها قد صحح
الحاكم اسناده ولم يروه من أصحاب الصحاح والسنن الا الترمذي وقال : حسن
صحيح غريب : والسبكي يجعل الاولى من الثلاث - ان أعطيها الداعي - كرامة وتكريفا
للكرامة لا بآياه ولكن بإياه قول من يجعل الكرامة من الخوارق التي تأتي على خلاف
السنن الالهية في الحقائق . ونحن لانك في ان كثيرين من الداعين قد استجيب دعاؤهم
بأن سخر الله لهم من الاسباب ما لم يكن في أيديهم تسخيرهم ولم يكن يخطر لهم على
بال كيف يجابون وقد وقع لنا مثل ذلك وحمدنا الله عليه ولكننا لا نقول لانه
جاء موافقا لسنن الله تعالى في الاسباب والمسببات على ما فيه من العناية الخفية والتوفيق الالهي
وقد اشترطوا في الدعاء شروطا منها ان لا يدعو بمحال عتلا ولا شرعا ولا عادة
واذا كان الدعاء بالمحال في العادة ممنوعا وغير جدير بالاجابة لأنه من اساءة الأدب مع
الله تعالى كأن الداعي يقول اللهم ابطال حكمتك في نظام خليقتك وبدل سننك في
خلقك لاجلي - فكيف يتحقق في الدعاء أمر خرق العادة ؟ هذا تناف بين أقوالهم

وعندي أن الدعاء على قسمين اضطرابي واختياري فاما الاضطرابي فهو
الالتجاء الى القوة الثبوتية عند تقطع الاسباب بالانسان وسد منافذ الرجاء بالسمي .
وكل مؤمن بقوة غيبية يرى نفسه ملتجئة اليها عند اشتداد البأس ، والخطر المشرف
بها على اليأس : فيدعو صاحب اقوة العليا ويستعين به وعند ذلك تفتح في وجهه

أبواب الرجاء ، وتنزل عليه السكينة بعد الاضطراب ، وهذه فائدة كبرى للدعاء تتلوهها فوائد أظهرها أن اليأس يتطرح عن السبي فإذا اشتد به الضيق فرمى بيمينه نفسه استخاراً يده ولذلك يكثر الاستخار في قوم لا يؤمنون ، فالرجاء الذي يحده الانتجاع بالدعاء يغطي المضطر قوة جديدة ويهديه الى طرق جديدة يسلكها في إعادة السبي حتى ينجو من الخطر : أو يبلغ بهض الوطر ، ويقول الاستاذ الامام : قلما وله قلب المؤمن الى الله تعالى ذاعياً مخلصاً في حال اضطرابية كهذه الا وأجاب الله دعاء : « وهذا الفرغ من الدعاء هو ميزان الأيمان وميلر التوحيد الخالص فان الله تعالى جعل أعمال الانسان في الاسباب والاسباب في المؤمن الكامل يذكر الله عند كل سبب ويرد ايمانا بزيادة العلم بالاسباب ثلثاً فيها من الحكمة والنظام العجيب ، والفالولون تحجبهم الاسباب عن رؤية حكمة واضعها وان كانوا مؤمنين حتى تكون الشدائد هي التي تذكرهم بمقاطع من الاسباب التي يرفونها فيرجعوا الى من يده ملكوت كل شيء وواضح كل سبب فيدعوه باخلاص » فإذا ركعوا في الملك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون « وفي آية أخرى « وإذا غشهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور » وانما كان الدعاء في حالة الاضطراب معياراً للإيمان لأن من يتقيد بقوة غيبة وراء الاسباب لغير الله تعالى فهو ياجأ اليها في تلك الحالة بطبعه ويتعلق لسانه بدعاء صاحبها وندائه . ولا توجد أمانة على الشرك أظهر من هذه الامارة وان استهان بها الذين يدعون في الشدائد فلانا وفلانا ويستعينون بهم من صميم أثبتهم ويولون اليهم لا يلاحظون أنهم وسطاء بين الله تعالى وبينهم يقرّبونهم اليه زاني كما يزعم أهل التأويل لان القلب في مثل تلك الحالة لا يسمع شيئاً فمن يدعو فلانا من المصدقين في وقت الشدة لا يخطر في باله غيره ولا يدعوه الا وهو يعتقد أنه هو الذي يفرج كربته فهو موحد له من دون الله تعالى . واذا وسع قلبه قوتين احدهما « وثرة في الاخرى فلهما على العمل فعمل فهو مشرك شركاً ظاهراً لاخفياً .

واذ كان - ليت شعري - هؤلاء الوسطاء المزعمون أسباباً خفية كما يدعي بعض المأولين وجوزنا ان يلبأ اليهم في وقت الضيق ففي أي وقت نوجب على المؤمن ان

يلجأ الى الله تعالى وحده دون سواء ؟ ألا يوجد عند هؤلاء الذين يتمتع دينهم بالتوحيد الخالص حال يجب على المبدآن يتوجه فيها الى الله تعالى وحده لايكون في قلبه سواء من عيده الضمفاء « وخلق الانسان ضعيفا » ؟ لاله الا الله وحده لأشريك له ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

فلمنما شرحناه أن هذا الدعاء أثر من آثار الإيمان بقوة وراة الطبيعة فمن كان يعتقد أن مع صاحبها من يحمله على الفعل أو الترك فهو الشرك ، وهذا الأمر الذي ذكرناه هو روح العبادة وأكبر مظاهرها لانه الأمر الطبيعي للإيمان ولذلك فسر الدعاء في القرآن بالعبادة في جميع للموضوعات الدينية وورد في الحديث « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي وتقدم حديث « الدعاء هو العبادة » فكل من يدعى وينادي عنه شدة الحاجة وتسر الأسباب التوسلية فهو معبود لمن ناداه ودعاه له وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »

وأما القسم الثاني من الدعاء وهو الاختياري فانه من الاعمال التي تزيد في الإيمان وتعمده وتدعمه ككثير المبادات المطلوبة في الدين وليس أثرا طبعيا له ولولا ذلك لما كان للتكليف به معنى . اذا قال البند : اللهم وسع علي في الرزق : يتذكر ان سعيه في طلب الرزق من أسياه التي هداه الله تعالى اليها بالحواس والعقل يتوقف على حفظ قواه وعلى توفيق الله بين سعيه وبين الاحوال والامور الخارجية التي يتوقف عليها النجاح فيزداد إيمانه بهذا الذكر ويزداد نشاطه باعتقاده ان الله يمينه ماراعى سنته في خلقته وأثنى اليون من أبوابها . واذا قال : اللهم اغفر لي : يتذكر انه عرضة للهنوات والخطايا وان النفران الالهي له طريق ومنها الكتاب العزيز يمثل قوله « واني لنفاز لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » فان لم يتذكر الآية فانه يتذكر مضاهها الا اذا كان جاهلا بالدين مكثفيا منه بما يسمعه ممن يعيش بينهم من الجاهلين ، واذا تذكر ان الدين علم البشر ان للذنوب والخطايا آثارا سيئة في النفس وأن غفرها ومحوها انما يكون بالرجوع عن الذنب وعمل طاعة من جنسه تؤثر في النفس ضد أثره فانه يكون قسريا من العمل الصالح قال تعالى « ان الحسنات يذهبن السيئات » وقال عليه الصلاة والسلام « واتبع السيئة الحسنة تحمها »

أقول هذا تمهيدا لبيان أن هذا النوع من الدعاء هو أحد خصال الإيمان .
والإيمان كما ورد في الأحاديث الصحيحة قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان
فهذا الدعاء لا يكون صحيحا إلا إذا وافق اللسان فيه القلب والعمل . أعني أن يطلب المؤمن
الرزق في الدنيا والمغفرة في الآخرة ونحوهما بتوجه القلب والقيام بالعمل الذي جملة
الله وسيلة للرزق وسببا في المغفرة . ويستلزم هذا ما قالوه من عدم جواز طلب المحال
أو المحرم شرعا لأن الأول ليس له وسيلة تتوجه النفس إليها وتطلب بالعمل منها
والثاني لا يطلب من الله تعالى وإنما يطلب بالعمل في حال النفقة عن الله عز وجل .
ومن طلب من الله تعالى شيئا بالتوجه النفسي الصحيح وصدق الزمية وإعمال
الفكر مع الجهد في السعي من الطرق التي سبها الله تعالى والأسباب التي ربط بها
الأمسيات وكان دعاؤه باللسان مترجما عن إيمانه بأن المسخر الأسباب والموفق بينها
هو الله تعالى فإن الله تعالى يستجيب دعاءه ويسهل له الأسباب ويمسحه التوفيق

هذا هو الدعاء المطلوب شرعا وقائده في تهذيب النفس وتسديد الفكر وتقوية
الزمية ظاهرة بالبداية ، والوصول به إلى المقاصد التي يطلبها الداعي نابعة بالتجربة
وقربية من المبعول . وما أنظن المنزلة يذكر ذلك وإنما أنكروا فيما أرى فائدة
الدعاء اتقولي البحث والمحققون من أهل السنة يوافقونهم على هذا لاسيما الصوفية علماء
النفس والأخلاق . قالت رابعة العدوية رحمها الله تعالى : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير .
وقال الشيخ محيي الدين بن عربي :

يذكر الله تزداد الذنوب وتطمس البصائر والقلوب

وإنما يعني الذكر مع النفقة فانه كالاستغفار بالله تعالى . وورد هذا المعنى في الآثار
عن السلف . قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : الاستغفار بلا انقلاع قوة الكناياين :
وفي الأحياء عن بعض الحكماء : من قدم الاستغفار على التدم كان مستهزئا بالله عز وجل
وهو لا يعلم . وقال الريس بن خثيم رحمه الله تعالى : لا يقول أحدكم أستغفر الله وأتوب
إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقُل اللهم اغفر لي وتب علي : وجهة القول أن
الدعاء مخ البادة وروحها وميزان الإيمان وميعار الاخلاص وسلامة التوحيد وإن
قائده في الدنيا مشهورة وإن المحرومين منه لحرامتهم من سعادة الإيمان الخالص

مرضة للاختار ، اذا استولت عليهم الموم والاكدار ، وأن فائدته في الآخرة أعظم ، وإن استجابته اذا وجد على حقيقته التي شرحناها كثيرة يعرفها المؤمنون البصاقون ، وينكرها الملحدون والشاكون ، وإن هذه الاستجابة ليست من الخوارق الحقيقية ، ولكنهما التوفيق الإلهي والعناية الربانية ، وإذا كان أمر العناية فيها غريبا في صورته غير معهود يصح أن تسمى كرامة . وقد بسطنا هذه المبالغة فلم نتعصر البحث فيها على موضوعنا لما نعلم من اشتباه الأمر فيها على الذين يحبون أن يقتلوا الدين ويفقهوه ، ومن جهالة المقلدين الذين يسلمون بكل ما ينقل عن الميثن فإن لم يفهموه ، ونرجو أن يقبل كلامنا هذا كل مؤمن بأن لا تكون قاعلا محتارا ، وإن للتأخر حياة بعند هذه الحياة . كما نرجو أن يراجعنا من يتوقف في صحة شيء مما كتبناه أو في فهمه وفهمه والله الموفق للصواب

شبهات النصارى وحجج المسلمين

(الذلة الخامسة في رد شبهاتهم على القرآن العزيز)

(الشاهد الحادي عشر) قال المعارض ، الذي كتب مالا بمتقد : وعد في حلة هذه المناقشات ثمة وخمسة وعشرين آية مفردة في ثلاث وسبعين سورة منه تأمر بالصنع والتولي والاعراض والكف عن لم يكن مسلما وقد قضتها كلها آية السيف وهي قوله في سورة أنبوبة « فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرُمَ تَأْتَبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصِرُوهُمْ وَأَقْبِدُوا أَيْمَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ » (قال) وهذا في زعمهم كلام الله يأمرهم في ثمة وخمسة وعشرين موضعا من كتابهم بالصنع خلفهم في الدين ثم يبطل ذلك كله اعتباطا : ثم هذي بمد ذلك بما يمد شيئا لا اشتباها فمعرض عن ذلك عملا بأحدى تلك الآيات التي أشار إليها ونخص الكلام بدفع انبوبة فنقول نمود بالله من القلو في التعصب الذي يسمي ويصم ويوقع المرء في مثل الفضيحة التي وقع فيها هذا الكاتب المعارض فقد جمع آيات الفضائل العالية والآداب السامية وجسد المسلمين عليها ولم يجد سبيلا الى الاعتراض عليها الا بزعم أنها منقوضة بآية سيف والتناقض إنما يكون في القضايا الخبرية ، لا في الأوامر والتواهي التهنينية ،

ونجوها من الجبل الانشائية ، واذا قيل : انه لا يعني بالتأنيص ما هو مقرر في علم المنطق وإنما يعني به انه آية السيف التي ذكرها تنافي تلك الآداب والنضائل نقول : ان هذا زعم باطل وكان قائله شعر بضعفه وتداعيه فدعاه بأكذوبة افتراها من عنده اذ زعم ان الامر بشال المشركين كان « اعتباطا » أي ظلما لا قصاصا ولا مضافة عن حق . وأصل الاعتباط ذبح البيمة من غير علة وقالوا : اعتبط فلانا : أي قتل ظلما لا قصاصا . يزعم هذا المتعصب ان المسلمين هم الذين اعتدوا على المشركين وحاربوهم ابتداء وتسمى ان المشركين هم الذين كانوا يرمون النبي صلى عليه الصلاة والسلام بالحجارة ويلقون عليه فرت الكرش وهو يصلي وأخرجوه هو ومن آمن معه من ديارهم وأموالهم وأهلهم وكانوا يوقعون بكل من ظفروا به منهم . ثم لما كانت بينه وبينهم معاهدة الحذبية غانمهم بكل ماتامر به تلك الآيات من الحلم والتساهل وهو قوي لضعيف حتى رضي بأن يرجع اليهم من يحييه منهم مسلدا وان لا يرجعوا من يحييهم من عنده وبعد ذلك كانوا هم الغادرين الناكثين للعهد وتسمى أيضا الآية التي قبل الآيتين التي أوردتها وزعم انها عدت جميع النضائل واعتباطا وهي قوله عز وجل « إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الشَّرْكِينَ إِذْ جَاءُواكُمْ بِغُلُوبٍ لَّهُمْ حَبْلٌ مُنْقَلَبٌ يَمْسِكُكُمْ يَدَايِهِمْ يَتَرْتَمِبُونَكُمْ يَمْنُنَ اللَّهُ لِلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الشَّرْكِينَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا بِلَهْمِهِمْ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ » وقوله تعالى بعد آيات « وَإِنْ تَنَكَّرُوا إِلَيْنَا لَأَنبَأَنَّكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فِي دِينِكُمْ فَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرُهُمْ إِلَّا إِيمَانَهُمْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ يُتَرَتَّبُونَ » الآية « أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا نَسَكُوا إِلَهُاتِهِمْ وَهُمْ بِالْإِخْرَاجِ أَرْسُولٍ وَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ أُولَئِكَ قَوْمًا فَالَهُمْ حَسْرَةٌ قَدْ قَرَأُوا كُلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي تُحْيِظُ بِالْآيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَرِثَتِهَا وَعَلِمَ انَّ الْمَشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ نَكَسُوا الْبَهْدَ وَهُمْ الَّذِينَ يَدَّاءُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْهَدْوَانِ وَهُوَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ يَكْتُبُ بِلَا حِيَاءٍ وَلَا خَجَلٍ زَائِعًا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَاتِلُوهُمْ « اعتباطا »

ثم انه تناسى الآيات الأخرى التي تنهى عن الاعتداء في القتال كقوله تعالى « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ كَيْدَ الَّذِينَ لَا يُعْطُونَ الْوَعْدَ لَمُعْتَدِينَ » وقوله جل وعز وهو أول ما زل في الأذن بالجهاد دفاعا عن الحق والافتس التي تظلم

وتهان لانها تمسكت به وتركت عبادة الاصنام والاولئان وذلك قوله « اَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَظِرَ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ » الآيات وفيها من بيان حكمة هذا الاذن بمدافعة أولئك المعتدين من عباد الاصنام أنه لولا هذه المدافعة لهدمت مآبد أهل الكتاب كلهم وأنه يشترط على المؤمنين المأذون لهم بالمدافعة - اذا مكهم في الارض - أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة مواساة للفقراء ونحوهم من المستحقين ويمتنعوا المنكرات الباردة وأمسروا بالمعروف . فهل تمد هذه المدافعة لِمباد الحجابة الباغين المعتدين هدمًا للفضائل وظلمًا للعباد ويمتنع أن تكون بوحى من الله تعالى؟ وهل كانت المسوغات لموسى ويوشع وسائر أنبياء بني اسرائيل (عليهم السلام) حين حاربوا الأمم المشركة أظهر من هذه المسوغات ؟ وهل اشترط عليهم كما اشترط الاسلام ان لا يبدأوا بالعدوان ولا ينقضوا للمشرك عهدا وأن يصلحوا في الارض بمشاركة الناس في أموالهم وإزالة المنكرات من الارض ؟

جاء في الفصل العشرين من سفر تثية الاشراع (التوراة) مانعه : ١٠٥ : حين تقرب من مدينة لتحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستبد لك ١٢ وان لم تسلمك بل عمت مملك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب لملك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتقتسمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب لملك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب لملك فصيبتها لا تستبق منها نسمة تما ١٧ أليس من المار والفضيحة على من يستعد أن هذا وحى من الله تعالى ان ينكر تلك الآيات الكريمة الرحيمة التي أذنت بمدافعة المعتدين بقدر الضرورة ؟ أليس من رحمة الله تعالى بباده أن تدخ هذه الاحكام القاسية الآمرة باهلاك الأمم التي لها حق الجوار حتى لا يبق منها امرأة ولا طفل بشرية تحرم قتل النساء والاطفال ورجال الدين وكل من لا يعتدي ولا يقاتل ؟ بل ولكن تصعب هؤلاء الناس ووقاحتهم من المدهشات

علم مما ذكرناه ان الآية التي ذكرها وسماها آية السيف وزعم انها تقضت جميع انقضائ التي بنى الآيات الكثيرة اذ أمرت بقتل المشركين « اعتباراً بتقدمها آيات وتلوها آيات تبطل مازعم . وما هي الا اذن بقتال المشركين الذين نكنو العهد كما في الآيات التي قبلها وبسماها . وذلك ان المسلمين طاعدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم عهداً فكنثوا الابني ضمرة وبني كنانة فأمر الله تعالى بأن يذبذ لتاكتين عهدهم ويمهلوا أربعة أشهر الى آخر الحرم من الاشهر الحرم فان تابوا والا فقتلوا : قال اليساوي في تفسير الآية مانصه مع احتصار قليل يتعلق بالانفاظ : « فاذا أنسخ انقضى » الاشهر الحرم ، التي أيسح لتاكتين ان يسبحوا فيها فاقتلوا المشركين ، التاكتين « حيث وجدوهم » من حل وحرم « وخذوهم » وأسروهم والاخذ الاسر « وأحصروهم » واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام « واقعدوا هم كل مرصد » كل محر لئلا يتسوطوا في البلاد : اه فابن الامر بقتل جميع المشركين ظلماً وعدواناً كما زعم المعترض

وروى أصحاب الصحاح وأهل السير والتاريخ ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم طاهد قريشا عام الحديبية عهداً كاد يخالفه لاجله السامعون اساروا من الفضاضة عليهم في تساهله مع المشركين وكان أهم ما في العهد ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهده وبو بكر في عهد قريش ثم عدت بو بكر على خزاعة قتالت منها واعانتهم قريش بالسلاح حتى تظاهروا عابهم وفي ذلك يقول عمرو الخزاعي فيما أنشده يخاطب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان قريشاً أخذوك الموعدا * وقتضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لي من كداء رصدا وزعموا ان لست أدعو أحدا * وهم اذل وأقل عددا * هم يتونوا بالخطم هجدا وقتلونا ركباً وسجداً

وقد كان هذا الفدر سبياً في فوح مكة وأذنهم قبل ذلك بان لا يطوف بالبيت عريان وان يتم لكل ذي عهد عهده وأرسل أبا بكر ثم علياً الى مكة فقرأ عليهم نحو أربعين آية من مدر سورة (براءة) وفيها الآيات التي تقدم ذكرها . ثم كيف كانت ماملته للمشركين عند ما فتح مدينتهم الدخلى ؟ هل آبادهم كما أمرت التوراة التي ينتقد بها

المعتز النصارى فلم يبق منهم نسمة ثم علمهم بما أرشدته إلي الآيات الـ ١٢٥ الأسمرة بالصنح وحسن المعاملة ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطى رأيه سعد ابن عباد فبلغه أنه قل قبل أن يصلوا إلى مكة : اليوم يوم الماحمة اليوم تستحل الحرمه اليوم أذل الله قريشا : فامر بنزع الراية منه وأعطائها لابنه وقال عليه الصلاة والسلام : « اليوم يوم الرحمة اليوم أعز الله قريشا » ودخل مكة لم يمسك دما وإنما كانت ساعة قتال بين خالد بن الوليد وبين الذعر من قرش الذين حاولوا صده فقتل من جيشه أثنان ومن المشركين أربعة وعشرون . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة فاجتمع الناس فقال « يا مشرك قريش ، تعظيرون اني قاتل بكم » قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال « اذهبوا فاتم الطلقاء » أفيرى المعتز ان هذه المعاملة مناقضة للرفق والصبر والصنح عن المخالفين في الدين ؟ ان كان يرى ذلك فليصور لنا معاملة أفضل منها وأرحم

ثم اننا نعود إلى آيات الصنح والصبر وحسن المعاملة والرفق والحلم فنقول إنها وردت في ضروب من السياق مختلفة منها تساية التي صلوات الله عليه عند ما كان يضيق صدره لإعراض الناس عن الحق وعدم ادخالهم إليه . ومنها تقييح جهلهم وبين ان السكال في الإعراض عنه لافى مناباته بمنه . ومنها بيان ان الانبياء عاجزون عن هداية الناس بالفعل وان القادر على ذلك هو الله تعالى الذي وضع السنن على أساس الحكمة والنظام . ومنها بيان ان وظيفة الانبياء البيان وحسن التبليغ وان الايمان لا يكون بالاكرام وإنما يكون بالانقياع وهذا قريب مما قبله ولكنه غير . كقوله تعالى « فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » وقوله « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقوله فاصنع عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » وقوله « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقوله « وما أنت عليهم بجبار » وقد كانت هذه الآيات تقرر بآيات أخرى تشر بأن الله ينصر رسوله ويجعل العزة والغلبة لحزبه كقوله تعالى في سورة الصافات وهي مكية « ولقد سبقت كلمتنا لإبادا للراسين * انهم لم يتصورون * وان جئناهم انماليون * فتول عنهم حتى حين * وأبصرهم فسوف يبصرون * » وانك لتجد من التهديد والوعيد في السور المكية التي نزلت في

زمن الضعف مالا تجد مثله في السور المدنية التي نزلت في زمن القوة . والمعرض يوم خلاف ذلك ومأواه الاعتماد للإيهام اذ لم يبالغ به الجهل أن يعتقد بما يقول ولكن بالغ به التعصب أن يقول مالا يعتقد

أما زعمه ان المسلمين لما رأوا التناقض في هذه الآيات زعموا أنها منسوخة فباطل فان أحكامها ثابتة وكان العمل عليها لم يتقطع بالقتال الذي كان للضرورة وبمقدار الضرورة مع الرحمة والعدل ورعاية حقوق الانسان بقدر الامكان . وقد علم مما أشرنا اليه من الشواهد ان الآيات الآمرة بالصفح والتولي عن المشركين للجهلهم على العموم لم يترك العمل بها وأما ما كان متعلقا بالمداومة والمقاومة فقد كان موثقا كقول تعالى «قول» عنهم حتى حين» وقوله «فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره» نعم ان من المؤلفين من زعم أن هذه الآيات منسوخة بآية السيف وقد رد العلماء المحققون هذا القول وأنكروه كما يعلم من كتاب (الاتقان) ومن كتب التفسير

والذي يحمل المؤلفين على أمثال هذه الجحالة هو حب الاعراب وملء الصحائف فان الرجل يخطر في باله ان يؤلف كتابا في موضوع ضيق لاتسع مسائله لان تكون كتابا فيدخل فيها ما ليس منها لادنى شبهة . وقد حقق الامام انشوكاني ان الآيات المنسوخة سبع لا تزيد وكان الحافظ السيوطي عددها عشرين . ومن العلماء المحققين من ينكر النسخ في القرآن دون السنة ويحصر الآيات التي قالوا بنسخها تفسيراً بين به أحكامها . والنسخ في كتب اليهود والنصارى التي يسمون مجموعها (الكتاب المقدس) كثير جدا وقد عقد له الشيخ رحمه الله في كتاب (الظهار الحق) بابا أورد فيه الشواهد الكثيرة من تلك الكتب .

وربما يستغرب القارى إحصاء هذا المعرض النصارى لهذه الآيات ويترحم انه قرأ القرآن واستخرج منه ما تقدم . والامر ليس كما يظن وإنما استخرج هو وأمثاله جميع مطاعنهم من كتب المسلمين كالآقان والتاسخ والمنسوخ فلك ترى في الاتقان فضلا في مشكل القرآن وموهم التناقض فيه فالحصم بأخذ ما يموهم التناقض من هذه الكتب فيسميه متناقضا ليسر به قومه ويشكك المسلمين ويشفي غليل تعصبهم



أَنَّ عَلَى الْبَرِيَّةِ

﴿ نموذج من دلائل الإعجاز ﴾

(تجمة ملحق من الموازنة الشعرية)

رأيت أبا نواس ينشد قصيدته التي أولها * أيها المتتاب من غره * فحسدته
فلما بلغ الى قوله :

يتأني الطير غندوته ثقة بالشبع من جزره

قلت له : ما تركت للتأني شيئاً حيث يقول : اذا ماغدا بالجيش : اليتين -
فقال : اسكت فلئن كان سبق فأسأت الانباع : وهذا الكلام من أبي
نواس دليل بين في أن المعنى ينقل من صورة الى صورة : ذاك لانه لو
كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله : فأسأت الانباع : محالاً
لانه على كل حال لم يتبعه في اللفظ . ثم ان الامر ظاهر لمن نظر في أنه
قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر التابئة الى صورة أخرى
وذلك أن ههنا معنيين أحدهما أصل وهو علم الطير بأن المدح اذا غزا
عدواً كان الظفر له وكان هو الغالب والآخر فرع وهو طمع الطير في ان
تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى وقد عمد التأني الى الاصل الذي هو
علم الطير بأن المدح يكون الغالب فذكره صريحاً وكشف عن وجهه
واعتمد في الفرع الذي هو طمعها في لحوم القتلى وانها لذلك تحلق فوقه
على دلالة التحوى . وعكس أبو نواس القصة فذكر الفرع الذي هو طمعها
في لحوم القتلى صريحاً فقال كما ترى * ثقة بالشبع من جزره * وعول في
الاصل الذي هو علمها بأن الظفر يكون للمدح على التحوى ودلالة

الضحوى على علمها إن الظفر يكون للممدوح هي في أن قال من جزره
وهي لا تنق بأن شعبها يكون من جزر الممدوح حتى تعلم أن الظفر يكون له
أفيكون شيء أظهر من هذا في النقل عن صورة الى صورة؛ أرجع الى
النسق ومن ذلك قول أبي العتاهية :

شَيْمٌ فَتَحَتْ مِنَ الْمَلْحِ مَائِدَةً كَانَ مُسْتَعْلِقًا عَلَى الْمَدَاحِ

مع قول أبي تمام :

نَظَّمْتُ لَهُ خَرَزَ الْمَدِيحِ مَوَاهِبُ يَنْقُصُنْ فِي عَقْدِ أَلْسَانِ الْمُفْخَمِ

وقول أبي وجزة :

أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ هُنَا وَهُنَا وَكُنْتَ لَهُ كَهْجَمِ السَّيُولِ

مع قول منصور النمرى :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجَمَّعُ

وقول بشار :

الشَّيْبُ كُرَّةٌ وَكُرَّةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي أَعْجَبَ بِشَيْءٍ عَلَى الْبُغْضَاءِ مَوْدُودِ

مع قول البحتري :

تَعِيبُ الْفَانِيَّاتِ عَلَى شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أُمْتَحَ بِالْمَعِيبِ

وقول أبي تمام :

يَشْتَابُهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدُهُ وَيُسَكِّرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأَمْسُ

مع قول ابن الرومي :

إِمَامٌ يَظَلُّ الْأَمْسَ يُعْمِلُ نَحْوَهُ تَلَفَتْ مَلْهُوفٌ وَيَشْتَابُهُ الْغَدُ

لا تنظر الى انه قال : يشتاقه الند : فأعاد لفظ أبي تمام ولكن انظر الى قوله :

يعمل نحوه تلفت ملهوف : وقول أبي تمام :

لَيْتَ دُمْتُ الْأَعْدَاءُ سَوْصَبَاحَهَا فَلَيْسَ يُوَدِّي شُكْرَهَا الذُّبُّ وَالتَّسْرُ (١)

مع قول المتنبي :

وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَبِيعُ السَّبَاعِ فَأَنْتَ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ
وقول أبي تمام :

وَبُ تَائِي الْمَغَانِي رُوحَهُ أَبَدًا لَصِيقُ رُوحِي وَدَانِ آيَسَ بِالِدَانِي
مع قول المتنبي :

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُجُومٍ مَا تَلَاقَى
وقول أبي هيثم :

أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُبِيتًا كُلُّهُ مَا لَهُ إِلَّا ابْنٌ يَحْيَى حَسَنَةً
مع قول المتنبي :

أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عِثَّتِي كَأَنَّمَا بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عِذْرٌ
وقول علي بن جبلة :

وَأَرَى لِلْيَالِي مَا طَوَّتْ مِنْ قُوَّتِي رَدَّتْهُ فِي عِظَّتِي وَفِي أَهْوَائِي
مع قول ابن المعتز :

وَمَا يُنْقِصُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يَزِدُّ فِي نَهَابِهَا وَابْنَاهَا
وقول بكر بن النطاح :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كِفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادِبَهَا فَلَيْتَ لِي آلُ اللَّهِ سَائِلَةٌ
مع قول المتنبي :

إِنَّكَ مِنْ مَعَشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ نَقَدَ بِخِلْوَا
وقول البحتري :

(١) أي لا يستطيع الذب والتسر ان يقضيا حق شكرها لكثرة ما كلاً مما ذل

وَمَنْ ذَا لُومُ الْبَحْرِ إِنْ بَاتَ زَاخِرًا
يَقِضُ وَصُوبًا لَمَنْ إِنْ رَاحَ يَهْطِلُ
مع قول المتنبي :

وَمَا تَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ
وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْمَارِضِ الْهَطَلُ
وقول الكندي :

عَزُّوا وَعَزَّيْزِهِمْ مَنْ جَاوَرُوا
فَهُمُ الذَّرَى وَجَمَاجِمُ الْهَامَاتِ
إِنْ يَطْلُبُوا يَبْتَازُهُمْ يُعْطَوْنَ بِهَا
أَوْ يَطْلُبُوا لَا يُدْرِكُوا يَبْتَازَاتِ
مع قول المتنبي :

نُقِيتَ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ فَاخْذَتْهُ
وَهَنْ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ
وقول أبي تمام :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِمًا
غَدَا الْعَمُومَةُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمُ
مع قول المتنبي :

لَهُ مِنْ كَرَمِ الطَّعْمِ فِي الْحَرْبِ مُتَّصٍ
وَمَنْ عَادَةَ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ
ثم احتج المصنف بهذه الامثلة على ان البلاغة والنفصاحة انما تكون بالنظم
والاسلوب دون خفة اللفظ

﴿ باب الانتقاد على المنار ﴾

(قصة بقرة بني اسرائيل ليس فيها معجزة)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا مثنى بحجة المنار الفراء دام بقاء
بعد السلام رأيت فيما أوردتموه بالعدد الرابع من المجلة في تفسير قوله تعالى
(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويرىكم آياته لعلكم تعقلون) تفسير
الاستاذ الاكبر مولانا الشيخ محمد عبده انه لم يستحسن قول المفسرين الذين قالوا انهم
ضربوا المقتول فمادت اليه الحياة وقال ضربني أخي أو ابن أخي فلان الى آخر ما قالوه
وقال (والآية ليست انما في مجمله فكيف تفصيله والظاهر ان ذاك العمل كان وسيلة

عندهم للفصل في الدماء عند التنازع فيمن القاتل اذا وجد القاتل بين بلدين كما قدمنا ليرف الجاني من غيره فن غمس يده في الدم وقمل مارسم لذلك في التريمة يرى من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية ومعنى احياء النوق على هذا حفظ الدماء الى آخره، على هذا ما مدنى استغراب بني اسرائيل الامر بذيخ البركة كما تقدم في تفسير الاستاذ مع قوله ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء الى آخره وما الثمرة التي تجت من الضرب حتى أمر الله به وما الذي منع الجاني من ان يغمس يده في الدم حتى لا تثبت عليه الجناية؟ وقد سكت الاستاذ الامام عن تفسير قوله تعالى (ويريكم آياته) فما معناه على هذا انا واول فأرجو كآيا الاستاذ الفاضل ارشادي الى الحقيقة ودمتم
(لاسكندرية) كاتبه مصطفى محمد الاسكندراني

(التار) وجه الاستغراب ظاهر فان الامر بذيخ بقرة لاعلاقة له في بادي الرأي بالفصل في قضية قتيل تنازع فيه طائفتان حتى كادت إحداها توقع بالأخرى والظاهر ان هذه الواقعة كانت هي السبب الأول في اشتراع تلك الطريقة للفصل في الدماء للتنازع فيها مثاها وقد أشرفنا الى ذلك في تفسير الآيات . وأما الذي يمنع الجاني من وضع يده في الدم وتلاوة الدعوات فهو الايمان والاعتقاد الذي يمنع الجاني المؤمن من العيين الكاذبة فان المؤمن انما يقدم على الجريمة ناسيا أو مغلوبا بافعال النفس ثم يرجع على نفسه باللائمة ويصعب عليه ان يحلف بالله كاذبا . وقد كانت تلك الهيئة التي يأتيها بنو اسرائيل من اجتماع الشيوخ الاشراف ووضع أيديهم في الدم وتلاوة الدعوات مؤثرة جدا حتى ان الجاني ليضطرب اذا أقدم عليها منكرا للحق وربما يظهر عليه الاضطراب ولو كان شاكيا في الدين . وكثيرا ما يحتمل القضاء في كل زمان بالمؤثرات القولية والفعلية على حمل المجرمين على الاقرار بجرائمهم فيقرون

وأما تفسير « ويريكم آياته » فهو ظاهر ولا أدري أكان الاستاذ الامام سكت عنه أم ذكره ونسبه أنا أو ذهلت عنه لظهوره . السائل يعلم ان لفظ الآيات يطلق على ما يريه الله تعالى من الاحكام فتوحه ان معنى (الآيات) في هذا المقام (المعجزات) من حيث اعتماده بأن هناك معجزة ظهرت ومن المصادرة ان يلزم من لم يرد ذلك بأن يشهد بالآيات هذا التفسير . واتنا ذكره بقرن القرآن مثل هذا التعبير بآيات الاحكام

الشريعة من سورة البقرة نفسها ، قال تعالى بعد ذكر أحكام الصيام « تلك حدود الله فلا تزيوها كذلك بين الله آياته للناس لعلهم يتقون » وقال بعد بيان تحريم الخمر والميسر « كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » وقال بعد بيان أحكام النساء في الطلاق وغيره « كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون »

﴿ تحرير يوم مولد النبي عليه الصلاة والسلام ﴾

استاذنا الاجل السيد محمد رشيد رضا صاحب وعمر مجلة المنار الفراء
أفتتح كتابي هذا بالشكر الذي يجب على كل مسلم انه يقدمه لسيادتك على مالكم من
الايادي البيضاء والهمة الشاه في منافع المسلمين وتخليص الدين من شوائب المضللين فانه
ينفع بكم البلاد والعباد ويوفق الكل للعمل بما يفيكم المفيدة - أما بعد في أيها السيد جاء في العدد
الخامس من مجلد هذه السنة ضمن كلام للاستاذ الامام (نفس الله به وبعلومه) : ان النبي صلى الله
عليه وسلم ولد ليلة الاثنين ١٢ ربيع الاول عام الفيل (٢٠ ابريل سنة ٥٧١ ميلادية وقد اطلعت
على رسالة لصاحب السعادة محمود باشا التركي وضعا باللغة الفرنسية واثبت فيها ان ميلاده عليه
الصلاة والسلام ليلة الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ أيضا وأورد على ذلك
أدلة كثيرة استنتج منها ان ليلة الولادة لابد ان تكون ليلة الاثنين ٨ أو ١٠ أو ١٢ ربيع
الاول حسبما جاءت به روايات الأئمة الاعلام

وبعد الحساب الدقيق وجد ان أول الشهر المذكور وقع في ١١ ابريل سنة
٥٧١ م حيث كان الاجتماع الحقيقي للقمر وعليه لا يكون يوم اثنين بين ٨ و ١٢
منه الا يوم ٩ منه وجاء في نهاية عبارته « يتلخص من ذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم ولد ليلة الاثنين ٩ ربيع الاول عام الفيل ٢٠ ابريل م فاحرص على هذا التحقيق »
وأنا مع اعتقادي بان منار المسلمين لا يجب عليه البحث في مثل هذا الموضوع
الا بما تسمح به الظروف لكنني آنت من ان ترشد فيه الى سواء السبيل لذا جئت
بهذا راجيا الإفادة عما يلزم ان نتقده أو كيف يمكن الجمع بين القولين والسلام

(اسبوط) أحد المشتركين

(١٠ ف . ٠)

(المنار) في تعيين تاريخ مولده عليه السلام أقوال أرجحها انه ولد ليلة الاثنين لانه ان خلون

من ربيع الاول وأشهرها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه وترجيح الاول هو المعروف عند علماء الحديث والتاريخ ٩ قال في السيرة الحلية « وقيل لثمان مضت منه قال ابن دحية : وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ : وقال القطب القسطلاني : هو اختيار أكثر أهل الحديث أي كالحديدي وشيخه ابن حزم :

وظاهر أن معناه أنه ولد في اليوم التاسع من الشهر (لا فرق بين ليله ونهاره) لأن التاسع هو الذي يتلو الثمان التي خلت من الشهر. ولجهل كثير من أهل هذا العصر بأسلوب العرب في التاريخ كقولها في أول الشهر لثمان خلت ونحوه وقولها في أواخره لثمان بقين مثلاً - يظنون أن معنى « ولد لثمان خلت من الشهر » أنه ولد في الثامن منه. ومن آية ترجيح هذه الرواية موافقتها للحساب الذي قلتموه وقد جمع الأقوال كلها بعضهم فقال : ولد عام الفيل يوم الاثنين (ولا خلاف في هذين) لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وأوليتين خلتا منه أول ثمان أو لثمن خلون منه ، أقوال : (خاتمة مجمع بحار الأنوار) وهناك أقوال أخرى ذكرها أهل السير ولا عبرة بها بعد تصحيح النقل بما يوافق الحساب الدقيق الخلاف في تحديد اليوم الذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام لا يرتب عليه حكم شرعي ولا دنوي ولذلك يتساهل العلماء فيه ويحتفلون مع المحققين بتذكر المولد في الثاني عشر من الشهر وهم يعتقدون أن المولد كان في التاسع على الأرجح فيحتمل أن يكون قد كتب الأستاذ الامام ما كتب تعمدا لهذا التساهل ويحتمل أن يكون قد جرى قلمه بالمشهور سهواً. ولا محل للعجب من اشتباه القول المرجوح في هذه المسألة فإذا كان الخلاف في مولد نبينا بأيام فالغلط في مولد المسيح بعد السنين كما في كتاب (تقريب التقويم) تأليف يعقوب باشا رتين وكيل المعارف في مصر وقانتر باشا باشمهندس الدائرة السنية . وقد عرب هذا الكتاب محمد افندي كامل المدرس بالمدرسة الحربية وقرأنا في « المنتطف » الاغر قلا عنه ما يأتي :

« اذا جعلنا مبدأ جميع الأزمان الماضية من التاريخ المسيحي ١٦ يولييه سنة ٦٢٢ يوليانية نجعلنا كل إشكال فإن من المعلوم أن طريقة حساب السنين بالأبداً من ميلاد المسيح وضعت سنة ٥٢٦ بمعرفة ديونيسيوس أحد قسوس (أي قسوس) بعض الاديرة (أي الأديار) برومة وقد أخطأ في حسابه بحمله مبدأ التاريخ المسيحي متأخراً بنحو خمس سنوات لأنه بموجب حساب

أنهم المؤرخين المؤس على وثائق انقدم مثل يوسفوس ورديون كسيوس كان ميلاد المسيح في ٢٥ ديسمبر سنة ٦ قبل اناريج لمسيحي وليس ٢٥ ديسمبر سنة ١ قبل اناريج المذكور كما يظنه العوام . وهو خطأ لا يزول ، لما يترتب على تصحيحه من الارتباك المهل ، اه
(المنار) من العبري هذا التحرير ان ما يشتهر على السنة العوام لاقبمه وان واقفهم الخواص سكوتا وان اتفاق الملايين من العوام على أمر لا يصلح دليلا على جملة متواترا فان نقل التواتر لابد أن يكون في كل طبقة من الناقين حتى ينتهي في الطبقة الأولى الى الحس الذي لاشبهه فيه

الرد على شبهات النصارى - ترجمة البابا

حضرة الاستاذ الكامل

ان ما ينشره البر وتنت ضد الدين الحنيف وضد القرآن ما كان يدري به أحد من المسلمين لولا ما تنشرونه تباعا في مناركم في باب شبهات النصارى وحجج المسلمين فان كتاباتهم ومجالاتهم الدينية لا يقرأها الا هم ولم يكن لها مشتركون الا منهم ولابد ان يكون فرحهم بنشركم خزعبلاتهم ولرد عليها أكثر من سرورهم من نشرها في جرائدهم بالله وما مناسبة ذكر ترجمة البابا لاون الثالث عشر في مناركم الاخير هل قصدكم اظهار فضله وورعه ومناقبه للمسلمين الا يكفي في ذلك جرائدهم ؟ هذا كم وهذا ان الله لما فيه خير المسلمين (الاسكندرية) (عبدالله نصوحى أحد قرائكم)

(المنار) لم يكن هذا الانتقاد جديرا بالنشر لضعفه في كلتا السائلتين ولكننا نشرناه لنطمع كل قارئ للمنار بانتقاد ما يراه فيه منتقدا وثوقا ان يكون في القراء من ينتقد ما ذكر لاتفاقه مع هذا المنتقد في الرأي . أما الجواب عن الاول فن وجوه (أحدها) اننا نغير المنتقد بأن المجلة التي نرد عليها ترسل الى شيخ الجامع الازهر وطائفة من كبار شيوخه فنفهم من يردوها ومنهم من يقبلها لئلا يطالب باشتراكها وترسل الى غيرهم من المسلمين فاذا لم يرد عليها أحد قلنا نأشئها بحتجون فيما بينهم ويحتجون على عوام المسلمين الذين يحضرون مجلسهم في المكتبة الانكليزية وغيرها بأن علماء المسلمين قد عجزوا عن دفع تلك الشبه لانها أرسلت اليهم ولو كانوا قادرين على الرد عليها لفعلوا . وهذا باب من أبواب تشكيك العوام في الدين يجب علينا اغلاقه

(ثانيها) ان هذه الشبه منشورة في كتب لهم مطبوعة تباع للمسلمين وغيرهم ويطلع عليها بعض المسلمين في المجلة التي تنقل من الكنب . ومتى أظهر المخالفون الاعتراض على الاسلام فالواجب على المسلمين مدافعتهم ويان فساد شبههم فاذا لم يفعل ذلك أحديكون -بييع المسلمين العالمين بذلك عصاة فسادا . على ان هذه المطاعن في أصل الدين فهي من تكفر ولعلكم تعرفون حكم من يسكت على ذلك ويقره وهو قادر على ابطاله

(ثالثها) اتنا ننشر تلك الشبهات مع ردها بالدلائل الناصحة التي نرى قراء النار خفي من النصارى مقتنعين بأنها زالت كل شبهة وكشفت كل غمة فكيف يتوهم المنتقد مع هذا ان يفرح المنتقدون ببيان جهلهم واظهار بهتانهم ، ان هذا وهم عجيب الا نحن لم يقرأ تلك الاجوبة السديدة

(رابعها) ان كثيرين من المسلمين يطالبوننا بالرد على هذه الشبهات وكثيرا ما رد البنا لشيخ المجلة البرونستية من جهات مختلفة في البريد فعلم انه لاغرض لمرسلها الا الرد على ما فيها وحيث سئل البنا في أمر الدين يحرم على الكتمان بلاخلاف

(خامسها) ' اذا فرضنا ان ما يكتبه القوم لا يمدوهم وأنهم هم الذين يقرءونه دون سواهم فإننا نرى من الواجب أن نزيل من امام أعينهم الشبه التي تحجب عنهم محاسن الاسلام ونحماهم على سوء الاعتقاد به وتجعل لهم حجة يحتجون بها على البقاء فيهاهم فيه . فان شيوع هذه الشبهات بينهم مانعة من تحقق بلوغهم دعة الاسلام على حقيقتها وهي ان تكون الدعوة على وجه يحرك الى النظر والبحث . والدعوة الصحيحة واجبة على المسلمين والجرائد والمجلات خير وسيلة لها . ولا نرى للمسلمين جريدة ولا مجلة تنشر محاسن الاسلام وأصوله واحكامه على وجه يحرك الى النظر ولذلك جعلنا أشرف مقاصد المنار احياء هذه الفريضة الاسلامية التي يأثم المسلمون كلهم بتركها

وانني أخبر المنتقد بما كنت أحب أن أكتمه وهو أنه جاني في الاسبوع الذي كتب الي فيه كتاب من أحد المشتركين في (أنشاص الرمل) يقول فيه مرسله انه اجتمع بأحد المتصرين فسأله عن سبب تصوره فأخرج له الكتاب الذي تنقل عنه المجلة البرونستية الطعن في القرآن وقال له ان قراءة هذا الكتاب هي السبب في

ذلك لاضيق المعاش ونحوه من الاسباب التي تخرج بعض جهلة المقلدين عن دينهم أحيانا . وقد سألني من كتب اليّ بذلك ان أرشده الى كتاب يرد على ذلك الكتاب المضل ليطلع عليه ذلك المتنصر لعله يعود الى هداية . واني لأعرف أن أحدا ردت عليه فسا على السائل الا ان يطالع ذلك المتنصر على مقالات النار في الردّ لعله يتدي بما أظهرناه من جهل مؤلف الكتاب ومن تحريفه وكذبه وسوء فهمه وقصده ويقس على مرردناه ماسزده حتى يتم الرد كله وبالله التوفيق

وأما سؤاله عن سبب ترجمة الباباني النار فجوابه صريح في البتة التي كتبناها والظاهر أنه رأى الترجمة فأثكرها ولم يقرأها فترغب اليه ان يقرأها . وانا رأينا التفصلا في مصر قد سروا بهذه الترجمة سرورا عظيما وذهب بعضهم الى أنها من أنفع ما كتب في النار وقال بعضهم: وددنا لو يموت في كل يوم بابا لنسمع موعظة مثل هذه الموعظة:

وما يتذكر الا أولو الاباب

﴿ باب التريظ ﴾

(مجلة الاحكام الشرعية) أتمت هذه المجلة سنة الأولى ودخلت في الثانية وأصدرت فيها أربعة أعداد . وانا ننهي منشئها حسن بك حماده بما وفق له من النجاح في عمله وانتشار مجلته على خصوصية موضوعها وآية هذا النجاح الكبرى ان نظارة الحفانية قد اشتركت في نسخ من المجلة بمدد الحاكم الشرعي في انقطر المصري واذنت لصاحب المجلة بأخذ صور الاحكام التي تبحث في المبادي القضائية من كل محكمة مجانا والتزم هو نشر الاعلانات الادارية لهذه المحاكم مجانا . وآية أخرى أن بعض كبار رجال القضاء يكتبون في هذه المجلة انتقادات على بعض المرافعات وصور الاحكام ثم انهم يكتمون أسماءهم ولكنهم يجهرون بأفكارهم

(عروس النيل) مجلة أدبية اجتماعية عمومية أنشأها في القاهرة سليم افندي قبحين يدخل كل عدد منها في ٢٤ صفحة يتبعه ذيل اربع صفحات ينشر فيه قصة (البعث) للفيلسوف تولستوي معربة عن اللغة الروسية . وقد صدر العدد الاول في أول أغسطس مصدرا برسم المرحوم علي باشا رفاعه وتأيينه ويتلو ذلك مقدمة المجلة وبمدها نقالة

لمحمد افندي فاضل الازهري موضوعها (الاستنلال) بتلوها لنز فكاهي يتبعه نبذة في سكة حديد الحجاز ومن رأتها كلها في التعليم فبذت في مقتل النملكين (ملك المم بوزوج) وبض المفاطيع التشريعية . وقيمة الاشتراك في المجلة سبعون قرشا صحيحا في السنة (الاوقاف المصرية) مجلة جديدة أسبوعية صاحبها محمد غالب افندي فطين ويظهر ان صاحبها اكتفى باسمها في الدلالة على موضوعها فلم يكتب تحته في غلافها وصفا يشعر بذلك وقد التمسنا بيان تحديد الموضوع في مقدمتها فلم نر فيها الا فتحة كفتوح (الوقوفات) تدم الدنيا وتمدح الصبغة ثم قرأنا بعدها (معذرة لتأخير مقدمة المجلة) نذكرها بنصها لما فيها من الدلالة على مكانة المجلة في التحرير والفكر قال :

« اكتفاء بالخطبة وبناء على طلب حضرات الاصدقاء النباه من لا تسعنا مخالفتهم ، «لعلو منزلهم لدينا وهم أرقى منا فكرا ورأيا وعقلا قد أخرنا درج المقدمة في « هذا العدد لاعداد الآتي وعذر حضراتهم في ذلك ان الخطبة بحسب أفكارهم المالية ، « كادت بفضل الله تفني عن الايضاح وان المواد أصبحت دارة الجريدة كثيرة جدا ، « بحيث تكفي لاعداد مقبلة فبناء عليه نلتبس ونرجو من حضرات اقراء الكرام ، « قبول المعذرة والمساعدة وعدم الملام والموعد قريب ان شاء الله اه

ثم قرأنا عن اراء المجلة فاذا هي (مقابلة مع سعادة مدير الاوقاف) بانح صاحب المجلة فيها المدير أنه مستمد لنشر إعلانات الاوقاف مجاناً و (مقابلة مع سيدة مصرية) وقيمة الاشتراك في المجلة ٧٥ قرشا صحيحا في السنة

(الانتقام) هي القصة العشر و من مسامرات الشعب عربها احمد حافظ افندي عوض عن الانكليزية وليست بشي ءلولا انها مقدمة لقصة أخرى تنصل بها

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْإِلَهِ

الدولة العلية ومكدونية . ورأي في الاصلاح ﴿

كتبنا في الجزء الاول والجزء الثاني من هذه السنة نبذتين عن الثورة التي نجمت في بلاد مكدونية قتنا في الاولى إن المسألة عشواء والحكم فيها غامض لان أهل هذه

البلاد وغيرهم من التصارى في بلاد الدولة طامعون بالاستقلال وأوربا عون لهم ولان
غرض روسيا غير معروف وعليه المدار في هذه المسألة . وقتنا في الثانية لنا طمأننا
من جهة روسيا بعض الاطمئنان وبينا ذلك على ما كان قبل من ترك روسيا لمشوريا
بسبب الحاجة الى المال . وقتنا من تقرب انكلترا الى فرنسا وزيارة ملك الاولى
لرئيس الثانية أن يتفقا على عدم اسعاد روسيا على حرب تركيا اذا كانت تريد ذلك
وتتمدله بالثورة . وقتنا أيضا انه اذا كان اتكال بغاة مكدونية على البلقان والصرب
فلاخطر على الدولة العلية لانها قادرة على تدوير هاتين بسهولة وان هي لم تستقد من
تدوينهما شيئا لتعصب أوربا

ثم تحولات الاحوال ونظهر لنا من الوقائع ما لم تكن نحتسب . ظهر لنا ان روسيا
لاترك منشوريا وهي أول ثمرة تذكر تلك الملايين التي أنفقتها في مد خطوط الحديد
الى الشرق الاقصى ووراءها من المقاصد الاستعمارية والتجارية ماوراءها . ثم علمنا
ان توجيه عناية الروس الكبرى الى تلك البلاد ومزاحمة اليابان بلنا كب في ريو عها قد
حرك في نفوس اليابانيين الابهاء والحمية فصاروا يهيجون بمحاربتها حتى قالوا قائلهم : اننا قد
جاربنا أوربا في كل علم وكل عمل وجاربناها في القوى البرية والبحرية حتى صرنا في مقدمة
دولها العظمى وهي مع ذلك تراندونها ذهابا مع التقاليد المأضية التي تغفل الجنس
الابيض على الجنس الاصفر فلا وسيلة لاقناع أوربا بمساواة الجنسين الا بمحاربة
روسيا فاطهار شرقنا ببرهان ساطع يخطف أبصارهم المندنية لا يكون الا بهذه الحرب :
وما أرى هذه المواجهات الا من وسوسة الانكليز الذين يعتمدون عليها في اغراء
بعض الشعوب ببعض وكانت أنفع لهم من أساطيلهم التي يفاخرونها
هذا شاغل كبير لروسيا عن القصد الى حرب الدولة العثمانية فان محاربة الترك
تضطر روسيا الى توجيه جميع قواها الى الشرق الادنى وهي لاأمن حينئذ من
اليابان ولكها اذا وجهت جميع قواها الى الشرق الاقصى لمحاربة اليابان فانها لا تخاف
من الترك اعتداء ولا تخشى لانهم أسوا كما قال الشاعر العربي :

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء احسانا

كان ريك لم يخاف لخصيته سواهم من جميع الخلق لاننا
فهذا هو السبب فيما ظهر لنا من رغبة روسيا أولا وآخرها في مبادرة الدولة الى
الاصلاح وفي سكوتها عن عقاب قاتل قتلها الاول لان قاتله من الاباليين الذين
كانو نتمردين على الدولة وفي اكتفائها بعقاب قاتل قتلها الثاني ومن طونه بأشد
العقوبات ونفي والى موناستير الى طراباس الغرب وفي نصحتها للبغار بعدم مساعدة
الأتارين . ولو كانت تريد سواء لو ثبت اليه بما فتح لها من المنافذ وما أشرعت لها
الفتنة من الطرق . وقال ان بين السلطان والقصر اتفاقا سرينا نذكر موضوعه بعد

بموجب الوافدون على أخبار الثورة من سلوك البغار مع سلوك روسيا فاهما يسيران
بمتدبرين فيما يترامى لتناظرين - روسيا تسمى في إطفاء أثار والبغار تذكرها وتخصيها
وتعد البغاة في غيهم حتى ان ضباط عساكرها ينسلون من معسكرهم لادارة الثورة
ادارة عسكرية منتظمة وذلك لا يكون الا بإيماز من حكومتهم . أليس في هذا السلوك
مثار للريب ؟ أيقول ان تخرش بلغاريا الضعيفة بالاسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن
وراءها أسد أو أسودا ؟ اذا لم يكن الاسد الروسي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها
هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد ؟ الأقرب عندي أن يكون
الخوف اليوم في موضع الرجا بالامس . فانا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحنا
الغلن بالانكليز حتى توقنا ان يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها
على عدم الرضى من روسيا بمحاورة تركيا لكيلا تساعدنا فرنسا على ذلك ولم ترجع
عندنا الآن أن روسيا لا تريد حربا ولا تضر غدرا انعكس الرأي الأول وظننا السوء
بانكلترا وتوقنا انها قد اتفقت مع فرنسا على التفتخ في نار الثورة واغراء البغار بامدادها
ووعدها بالمساعدة على ضم مكدونية اليها كلها أو بعضها . وهل يتيسر لها الوفاء
بالوعد اذا لم تكن روسيا والنمسا معهما ؟ لا حاجة لنا بالبحث في الجواب ولكننا في حاجة
الى التأمل في معاملة أوروبا لنا وما يجب علينا

ان سلوك أوروبا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويتبنونها الاسلامية
سلوك عجيب وأعجب صوره وأعرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان
فقد جعلت أوروبا الدولة الباذية بالعدوان ، المغلوبة في ميدان الطعان ، هي الفائزة

بالنتيجة اذ جعلت ولي عهدا حاكما على ولاية عظيمة من بلاد الدولة للتصرة (وهي جزيرة كريت) على ان تكون هي المحافظة والحامية لتلك الولاية. وما يديرنا لعلمهم يريدون الآن صاخر ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة. وهكذا يقطعون في كل مرة عضوا من جسم الدولة يفدون به من يرونه أولى به حتى لا يبقى الا الرأس والعلب فيسهل على الروس الاتحاق على الاقطاع به.

اننا نرى دول أوربا عابثة في كل حين باستئلال الدولة في كل حادثة لهم أو امر تطاع ونامي تجتنب والدولة راضية وكل ماتجنيه من الظفر في بعض الاحيان لا يخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الاوامر أو ارجائها وكلما تم للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هدف المفرورون مع الفارين: نحن أمحاب السياسة المتلى والكلمة العليا: فاذا انتهى أجل الارجاء، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجبين. أو خادعوا أنفسهم معذرين.

يقول الاوريون: ان الذي أذل تركيا وذلها لهم هو ظلمها ان ليس على دينها من رعيها لاسيا النصارى: ولنا ان نقول ان وجدنا سامعا: اذا كانت هذه الدولة تعظم المخالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوربا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها؟ أم المقول ان يهرب الناس من ظل العدل الى هاجرة الظلم؟ واذا زعمتم أنها تعظم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تعظم المخالف الذي يجد أنصارا أقوياء يتقمون له وتدع من لا ولي له ولا نصير؟ واذا كانت أوربا تعبت باستئلال الدولة وتقات عليها في سياستها لداخلية جبا بالعدل بالظالمين فما بال هذه الرحمة لا تحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحرق القتل فيهم بأيدي النصارى لانهم يهود؟ ليس موقفنا مع أوروبا بموقف جدال وحجاج ولكن موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف يفعل

ما اذا كنا ضغفاء وعندنا جيش يشهد له الاعداء بأنه في مقدمة جيوش الامم الحربية بسالة وشجاسة وتديرا؟ يقول قوم أن ضغفنا محصور في قلة المال ونقول ان عند الدولة من الذخائر ما يساعد على كل عمل تريده وعندنا من موارد الثروة ما ان أحسنت استغلاله واستعماله كانت من أغنى الاول. ويقول آخرون ان ضغفنا

محصور في الجهل دون سواء وتقول ان الامة جاذلة ولكن عند الدولة من الرجال من لا يقصرون في من علوم الادارة والسياسة . والحوادث أن ضمانا كانه معلول لالة واحدة وهي السلطة المطلقة

صاحب السلطة المطلقة أقدر على الاصلاح اذا هو علم وأراد ولكنه قلما يريد . ولم نأمة من الامم صاحب حالها وارتفع شأنها بسرعة كالامهات البانية التي نهضت بهمة عائلها (الميكادو) على انها هي الامة الوحيدة التي ارتقت بملكها راسا ثم المارتقية انما نهضت بانفسها واصبحت حال حكمها وأوقفهم عن حدودهم .

قد ينال في السنة الاولى أركان الاصلاح التي يجب على الدولة العالية اقامتها بعد بيان أسباب الضعف ومناهي الحال من تاريخ الدولة الرسمي (تاريخ جودت باشا) ويعتذر بعض الناس عن السلطان بأن مداراة دول أوروبا في الخارج ومناهضة حزب الترك الاحرار في الداخل لم يدعاه وقتنا يصرفه في اصلاح المملكة . وتقول في الجواب أما حزب الاحرار فالصادقون من أهله تؤمن غائتهم بمجرد الشروع في الاصلاح والحقائق على انصاف الروائب علاجهم الاعراض عنهم وعدم المبالاة بهم . مهاتقوا وفعلا وما دول أوروبا فلا مفر من عدوانها واقتنائها على الدولة وعينها باستفلاها في بلادها الابالغوة . فأول عمل يجب على السلطان وجوب ان يورث هو الاسراع في اصلاح القوة البحرية وزيادة القوة البرية حتى تكون القوتان في المكانة الاولى والاستحي ان أقول انه يجب ان يكون تصده في عمله هذا الى جعل قوة الدولة في البر والبحر كقوة دولة فرنسا سواء . ولا يمكن ان تصد الى هذا العمل العظيم الا بعد السماح ببيع تلك الكنوز من ذخائر الملوك الذخيرة والجوهرية الاما كان أثرا تاريخيا يفيد بقاء العلم . فاذا أنف السلطان من بيع تلك التناطير المقطرة من أثاث الذهب وانفضت ومن الجواهر التي لاصناعة فيها يعنى بها اثاره وكان لا يجد المال لهذا الاصلاح الا ببيعها فان دولته ستفقد ما من يوم من الايام ويكون قد أدى بيمينها بوز الدولة ليعمها بذلها وهو انها (لا قدر الله تعالى)

ومن الناس من يزعم ان دول أوروبا لا يمكن السلطان والدولة من زيادة القوة وبالاغها درجة السكالم فاذا هي شعرت بأنه يقوي البحرية ويعم التعليم العسكري

في الولايات فانها لاتتمله ان تقسم بلاده وتعمل بحل عقدة المسألة الشرقية . ونحن نقول : اذا كان من الثابت عند السلطان ان أوروبا لاتمكنه من الإصلاح لانها تريدان نحتج بالخلل على تعزيز الدولة وقطيعها قطعاً يسهل عليها الإبلاعه وانها اذا حاولت تقوية دوله لاتمكن من الاستقلال ظاهراً وباطناً فان دولها تتفق حينئذ على الإيقاع بها مرة واحدة فأي مرجح للرضى بالتقطيع إرباً إرباً على الاستبسال والتعرض لاحدى الحسينين حفظ الاستقلال أو موة الإبطال ؟ ؟

يقال انه كان من رأي رجل الدولة العظيم فؤاد باشا ان تمنح الدولة العلية جميع ولاياتها النصرانية في أوروبا استقلالاً ادارياً وأنه صرح في وصيته المشهورة بأن هذه الولايات لابد ان تفصل من جسم الدولة في المستقبل فاذا أعطتها الاستقلال الاداري النوعي بإختيارها فانها تقبل مع الشكر والحمد كل ماتشرطه عليها الدولة والا فان كل ولاية منها لاتفصل الا بعد ان تسفك الدولة في سييلها دماً عزيزة وتتفق أموالا غزيرة فيكون انفصال كل منها ضعفاً على ضعف ، وقد علمت الدولة صدق هذه الفراسة باليقين ، وذاقت مرارتها بالفعل ، فما بالها تلدغ من الجحر الواحد مرتين

يجب على الدولة أن تهتم بالإصلاح اهتماماً صادقا وان تنشر لواء العدل والمساواة في الحقوق على رموس جميع رعاياها وان تبدأ بما قلناه من ترقية قوتها البحرية والبرية وتبذل في سبيل ذلك كل رخيص وغال فان علمت ان أوروبا تحول دون ذلك وانها قادرة على ان تحول وانه لا يرضيها الآن ما كان يرضيها من قبل كالمعمل بالقانون الاساسي فليس امامها الاسلوب احدى طريقتين لحفظ حياتها المستقبلية

(الطريقة الاولى) ان يجعل ولاياتها كالولايات المتحدة في أمريكا تستقل كل ولاية في ادارتها الداخلية ويكون حكمها منها ولا مجال هنا للخوض في كيفية هذا الاستقلال وشروطه فالدولة والسلطان اعلم منا به وبمساعدة البلاد المتمتعة به . نعم ان الحكم المطلق ألد وأشهى ولذلك لم نطلب من السلطان ترك هذه اللذة والتنازل عن هذه الشهوة الا اذا كان غير واثق بدوامهما

(الطريقة الثانية) ان يتفق مع روسيا - اذا رضيت - على أن تعيد اليه بمساعدة فرنسا مصر والسودان وتحالفه محالفة حرية على الاستقلال التام في الولايات التركية

والعربية وان يعطيا في مقابلة ذلك الاسانة وماشاءت من الولايات المسيحية في اوربا
وبعدا بالمساعدة المنوية على امتلاك الهند ثم بجعل القنصل في دمشق انشاءم ويتني بعد
ذلك ويجد في عمران البلاد العربية التي اهملها واخرها سلفه من السلاطين ويجعل اللغة
العربية لغة الدولة الرسمية ويجتهد في استعرا ب الترك أجمعين ويؤلف منهم ومن عرب
العراق ونجد والحجاز قوة عسكرية متظمة ويقيم الشرع . فاذا هو فعل ذلك يكون
له ملك عظيم وعز منيع ويأمن فائقة الحارحين بدعوى الخلافة . . فاذا لم ترض فرنسا
بانادة مصر عثمانية محضة فليكتب ببلاد الاناطول والاكراد والعراق وسوريا وبلاد
العرب . فاذا وقت دولته لتترك الجنسية التركية واتصّب لها وأصلحت هذه البلاد
وعززتها فان ملكها يكون بها عظيما ويتيسر لها بعد ذلك القيام بعمل عظيم
واذا بقيت الدولة علي حالها تغير مستقبلها مع أوربا ان يتركوا لها بلاد الترك
الحاصل المسلمين تحكمها باستقلال أو تحت حماية، وشرها (وقالها الله من شرها) ان
يمحي أثرها بالتدريج حتى لا يبقى لها عين ولا أثر

﴿ البابا لاون الثالث عشر - تمة ترجمته ﴾

ينافي التبذة الاولى التي نشرناها في الجزء التاسع ان الاخطار كانت محدقة بكرسي البابا
هنا ما جاس عليه لاون الثالث عشر ووعدا بالاماع الى سلوكه في مقاومتها وما كان من نجاحه
فيه فنقول : ان الدول الكاثوليكية التي يدين أكثر رعاياها بالخضوع الى البابا كفرنا
والنمسا واطاليا كانت فاعلة على هو ساعته فبال روسيا الارثوذكسية وانكلترا
والمانيا البروتستانتين لا يمكن ان اعدائه الماملات على محو، وهو طاقته من الارض
وقد كان بين أهل مذهبه ومذهبيين من الخلاف وسفك الامه ما كان ؟

سلطة البابا رسمية دولية وللدول عنده وكلاء كالسفراء عند الملوك وقد كان أول
عمله استمالة الملوك العظام والتوسل اليهم بالرفق بالكاثوليك فتجح في ذلك حتى
عاد اليه اعتباره ويتيسر لطائفته السير في طرق الترقى في كل مملكة كانوا مهدين فيها
حتى تقدموا قدما مينا . ولم تبق حكومة لم تسلمه ويسلمها الا ايطاليا التي أزال
ملكها ونزعت سلطته المدنية (أو الزمنية) واستولت على أملاكه وفرضت له ما

عظيما من المل بدل عنها فلم يقبله، ومن يبيع الملك بالمال ؟ ولكنه على استمراره على عداوة الحكومة لم يقصر في استمالة الشعب الايطالي ومن ذلك أنه بمثوفدا دينيا الى ملك الحبشة يسأله اطلاق الاسرى الذين أسره من جنديايطاليا في الحرب المعروفة.

سياسته مع الدول الكاثوليكية : قد كان من اساءة فرنسا والنمسا في معاملة بيوس التاسع والإلغاء على كرسية ماؤمأنا اليه في الجزء التاسع وقد استطاع ان يسالمهما مع حفظ حقوقه فكان بحث الكاثوليك على الخضوع للحكومة الجمهورية التي اختارتها الامة لنفسها على ان أكثر أعدادها منهم . وكذلك جامل النمسا بقدر الامكان وأحسن في تمزية جاهل النمسا والمجر جوزيف عند وفاة ولي عهده واتجاهه اليه حتى قيل أنه لم يرد الزيارة لملك ايطاليا حافه مصافحة للبابا والنمسا لرضاء . وقد كانت الصلات السياسية قطعت بين باجكا والماتيكان فأطرد رابطها حتى هارت حكومة البلاد الى وزارة كاثوليكية . وأما سياسته مع الدول غير الكاثوليكية فهي السياسة المثلى واننا نتوسع

بعض التوسع فيها فنقول

سياسته مع ألمانيا : يعرف التاريخ ما كان في ألمانيا من اضهاد الكاثوليك بعد سفك تلك الدماء في التنازع الديني بينهم وبين البروتستانت فأن المانياهدلوتر مؤسس المذهب الثاني الذي كان مبدأ كل ما كان . وقد كان البرنس بسمارك داهية السياسة يفض الكاثوليك ويناصهم فلماولي المترجم كان أول عمله العناية بمسألة المانيا واستألتها وجمع كلة الكاثوليك فيها فكتب الى جاهل الامان بتوليته . ثم رأى البرنس بسمارك اتحاد الكاثوليك وارتباطهم بالبابا ورأى نفسه محتاجا اليهم في مقاومة الاشتراكيين في مجلس النواب فلم يردا من استبدال الملاينة بالخاشنة فكتب الى البابا رقيقا أطراه فيه اطراء لم يكن يخطر بالبال وكان من اعتبار المانيا للبابا أن حكمت في الخلاف بينها وبين أسبانيا على جزائر كارولين فكان من حكمته ودهائه ان تمكن من إرضاء الفريقين معا بما حكم به

ثم انه أسلس لالمانيا حتى أطمع عاهلها بانيه في إرضائه بأن تكون دولته حامية الكاثوليك في الشرق ولهذا الطمع زاره غليوم الثاني مرتين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٣ ولكنه لم ينل منه هذه الامنية ولم يأس منها . ولولا دهاؤه لسلب فرنسا التي قاومت وقاومت الدين أشد مقاومة هذه المزية - حماية الكاثوليك - وهي أقوى آلتها السياسية في الشرق

ومنتحها لعدوتها (المانيا) ولكنه لم يجب ان يزيد الحرق اتساعا بينه وبينها
سياسة مع انكلترا : لم يكن حفظ الكاثوليكية في انكلترا مع الاصلاح بأمثل من
حفظها في المانيا فقد اضطهد الكاثوليك في تلك الجزائر وسفكت دماؤهم وسيموا خسفا
وهو ان في القرون الثلاثة السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وكذلك الثلث
الاول من القرن التاسع عشر حتى قل عددهم وانطمت رسومهم في تلك البلاد فلم
يبقى من الانكليز على مذهب الكنيسة الرومانية الا نحو ١٦٠ ألفا
أحسن ليون الثالث عشر التودد للملكة الانكليزية واختار لرياسة الكنيسة في بلادها
بعض رجاله الدهاة حتى حسنت الحال وصارت للملكة تتلقى الكرادلة الوافدين عليها
من قبله بالحفاوة العظيمة بل صاروا يتقدمون في قصرها على رئيس اساقفة (كنتبري)
رئيس الكنيسة الانكليكانية الرسمي الذي يتوج ملوك الانكليز . وأعطى الكاثوليك
حرية من الحكومة الانكليزية لم تكن تصل اليها أمانيتهم فارتقوا ارتقاء مينا وزاد
عددهم حتى صار البروتستنت يرجعون الى الكاثوليكية حتى طلب بعض قسوسهم رجوع
الكنيسة الانكليكانية الى رسوم الرومانية فقطع البابا المترجم باتحاد الكنيستين وكتب
يدعو الى ذلك ، ويقول المارفون انه لو قدر على ترك بعض الرسوم والتقاليد التي
لا يمكن أن يطبقها أهل مذهب الاصلاح بما اقتضوا من عقلها لم له ما يريد
أرايت الكاثوليك الذين كانوا في أول القرن التاسع عشر يمدون في انكلترا
بالالوف إنهم صاروا يمدون بالملايين فقد جاء في إحصاء سنة ١٨٩١ ان عدد الكاثوليك
في انكلترا نفسها مليون ونصف وفي إيرلاندة ٩٥٦ و٥٤٩ و٣ وفي سكتلندة
٣٥٦ و٠٠٠ وتبع هذا التقدم والنمو في بلاد الانكليز التقدم والنمو في مستعمراتها حتى
علم من ذلك التقويم ان عددهم في البلاد والمستعمرات يزيد على عشرة ملايين ونصف
وان لم فيها من كراسي رؤساء الاساقفة ٢٨ ومن كراسي الاساقفة ١٠٥
ونخص الهند بالذكر فتقول ان عدد الكاثوليك في الهند لم يكن يزيد في أوائل
القرن التاسع عشر على نصف مليون ولم يكن لهم الا ثلاثة اساقفة وقديتين من الاحصاء
الذي أشرنا اليه ان عددهم صار يزيد على مليونين وان لهم ٣٣ كرسي اسقفا و ٨٠٠
كاهن أديني و ٦٥٠ كاهنا هنديا و ٦٠٠ راهبة أوروبية و ٢٠٠ راهبة هندية و ٢٠٠

واهب من جمعية الاخوة (فرير) و ٧٠ مدرسة كبرى و ٢٢٠٠ مدرسة ابتدائية وتلاميذة هذه المدارس مئة ألف وان لهم مدرسة دينية خاصة (على أن جميع مدارسهم دينية) فيها ستة آلاف تلميذ يكونون كلهم دعاة للدين ورهبانا وقسيسين . وان لهم أيضا ٩٨ ملجأ لليتام فيها ٥٨٠٠ ولد . وقد زار ملك الانكليز البابا في هذه السنة . ولما مرض مرض الموت كتب اليه بخطه يسأله عن محبته كما كتب اليه عاهل المانيا بخطه

سياسته مع روسيا : الخلاف بين الكنيسة الرومانية والكنيسة الشرقية - التي يجمعها قيصر روسيا وأكثر رعيته من أتباعها - قديم كان ولم يكن في الدنيا بروستانت وقد كانت روسيا في سرور عظيم من قيام أوربا بمناهضة البابا وكنيسته ولم تقصر في اضطهاد كاثوليك بلادها . وكانت الصلات السياسية قد قطعت بين هذه الدولة وبين الفاتيكان في عهد البابا بيوس التاسع فلما جاء بعده ليون الثالث عشر كان أول شيء عمله في تلافى ما سبق أن أرسل كتابا بخط يده الى القيصر يخبره فيه بتوليته ولما كاد التهلست للقيصر وحاولوا اغتياله سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ فنجوا من كيدهم كتب اليه البابا يهتبه بذلك فكان لهذه المجاملة من التأثير ما حمل القيصر على التساهل في تعيين الاساقفة للكاثوليك في بلاده وأعيد أسقف ورسو من منفاه في سيرايا . وكتب البابا الى أساقفة بولنديا أمرهم بالخضوع لحكام بلادهم وقوانينها وبمحت العوام على ذلك وأرسل سفيرا من قبله لحضور تويج القيصر الحالي سنة ١٨٩٦

سياسته مع الدولة العلية : ان هذه الدولة تختلف مع البابا في أصل الدين لافي المذهب ولكن التساهل الذي تقضي به طبيعة الاسلام جعل الكاثوليك في بلادها أحسن حالا منهم في جميع البلاد الاوربية أيام ذلك الاضطهاد والتساكن في الدماء وقد قابل البابا السياسي هذه المعاملة الحسنة بالشكر فازدادت المودة بينه وبين السلطان العثماني . وقد أرسل السلطان مندوبا خاصا الى رومية لتهنئة إيون الثالث عشر بمنصبه وقد اجتهد السلطان أيضا بالفصل في الخلاف الذي كان من الارمن الكاثوليك والشقاق الذي كان من الكلدان الكاثوليك فكان البابا يعلن الشكر له على ذلك . ولما احتفل بعيد البابا الكهنوتي (يويلاه الفضي) سنة ١٨٨٧ أرسل السلطان عبد الحميد يهتبه بهدية نفيسة وهي خاتم من جوهرة بقيمة كبيرة الحجم ببضبة الشكل تبعت منها أشعة تمعكس

أنوارها علي الزوايا فيخال الناظر اليها انها مجموع أحجار كريمة تترائي فيها ألوان الطيف التي في قوس السحاب وكانت هذه الجوهرة من التفائس المحفوظة في خزان سلاطين آل عثمان . وقد وضع الحاتم في غلاف من الذهب الوهاج على هيئة تاج ملكي يضيء الحاتم من خلال فروجه

ولما احتفل بعيد الابا الاسقني (يوبيله الذهبي) سنة ١٧٩٢ أهداه السلطان هدية كانت عنده وعند أهل ملته أنفس من الاولى . وهي الكتابة التي يتولون ان القديس ابرقيوس أقف هيرا بوليس وتلميذ يوحنا الحبيب نقشها في أواسط القرن الثاني الميلادي على صفيحة اوصى بأن تجل فوق ضريحه .

ولو أردنا ان نذكر ماخدم به ملته وأمته في الصين واليابان والحبشة وفي سائر البلاد البلاد لخرجنا الى التطويل الذي ليس من موضوعنا ولا من غرضنا لان العبرة التي نتصدها تم لنا بالقليل الذي ينفي عن الكثير . فكيف بنا اذا حاولنا إحصاء المكاتب والمدارس ، والاديار والكنائس ، والملاجئ والمستشفيات ، والرهبان والراهبات ، والاطباء والمرضات ، والمبشرين والمريات ، والمعلمين والمعلمات ، والمتصنين والمتصرات ،

هل من الحكمة والرأي أن نجعل مايفعله القوم من خدمة دينهم ونشره وان نكتم ماينفق لنا علمه لانه مما يمدحون عليه؟ هل تقضي علينا الفيرة الدينية بأن نسمي جهلنا علما، وقصبرنا تشميرا، وضعفنا قوة، وان نسمي حذقهم بلادة، ونشاطهم كسلا، وعلمهم جهلا، وقوتهم ضعفا؟

منزلة ماخلتها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حجب

لاشي أنفع من معرفة الحقيقة والواقع ولا شيء أضر من الجهل بالحقيقة والواقع ومن آتسكه المرض حتى صار حرضا وأشرف على الهلاك ويش من روح الله لا يرضيه الا ان يقش نفسه بالمدح الكاذب ويكار حسه وعقله فينم من مناظره ما يراء محمودا . واتنا نبدي هذا القول ونبيده ثم اتنا نجد عن يطلعون عليه من يقول : ان محبنا الذي ينصح لنا هو من يمدحنا ويمدح رؤساءنا ولو بالباطل وينكر حقوق من يخالفنا ويذمهم ولو كاذبا . والملة في هذا ان هؤلاء الضعفاء لا غرض لهم من حياتهم الا اللذة .

والحق مرّ في ذائقة المبطلين ، والجبد مملول عند المازلين ،
اليكم عنا يعاشق اللذة الباطلة ، ومحبي الجهالة القاتلة ، اسنا نكتب لكم وانما
نكتب لقوم استمدوا لقبول العلم ائنافع وهو كما قال الاستاذ الامام « مايرفك من
أنت بمن مملك ، قالى هؤلاء نسوق هذه الترجمة ونقول : أين علماءكم الاعلام ،
أين الذين تلقونهم بمشايخ الاسلام ، أين الامراء الذين اتحلوا لأنفسهم الرئاسة
الدينية ، وزعموا انهم أولو الأمر الذين تجب طاعتهم على الرعية ، خبرونا ماذا تعلموا
وماذا عملوا حتى استحقوا هذه الرئاسة ، وهل كان للامة وأبي في اختيارهم لها ،
وبماذا خدموا الاسلام فيها ، هل يعرف شيخ الاسلام حدود بلاد المسلمين ، هل
وقف على شيء من أحوال شعوبهم في الدنيا والدين ، هل سعى لهم بإنشاء مدرسة
كلية أو جزئية ، هل أرسل الى بعض بلادهم بمئة دينية ، هل كشف لهم شبهة
اعتقادية ، هل حلّ لهم مشكلة سياسية ، هل كاتب العلماء في غير بلاده ، هل حاول
ان يصل ودادهم يوداده ، هل خطر بباله أن يعد طائفة من العلماء ، للقيام بمثل
هذه الاعياء ، ؟ ؟

كلان المسلمين ليس لهم جماعات دينية ولا دنيوية تنتخب لهم شيخا مستعدا لخدمة
الاسلام فتسميه « شيخ الاسلام » ويكون مطالبا من المسلمين وانما اخترع هذا
اللقب الامراء الذين استقلوا بالزعامة الدينية والدنيوية فقلّ عليهم الجمع بين شعار
رؤساء الدين وبين التمتع بالشهوات وحضور مجالس اللهو والشرب والرقص فجعلوا
هذا الشعار لبعض العلماء الرسميين الذين يأخذون شعار العلم والدين من الامير أو
السلطان فالامير يصل الى مقاصده الدينية بعبادة « شيخ الاسلام » وحبته ويتمتع هو
بما شاء بزي السياسة ، وشيخ الاسلام وسائر أصحاب المناصب الدينية من القضاء والمفتين
والمدرسين الرسميين والخطباء وأئمة المساجد يعترفون للامير بالرئاسة الدينية الكبرى بما
يمنحهم من الرتب والرواتب ، والاوزمة والمناصب ، فهاهولاً لخدمة الاسلام والمسلمين ؟
اذا أراد الحاكم الذي يولي شيخ الاسلام وغيره من المشايخ مناصبهم ويزين
صدورهم وأكتادهم وعماهم بالنسيج الفضي يتلأأ عليهم في أيام الاعياد -
ان يكلفهم بعمل ينفع الاسلام قاتهم يجتهدون في القيام به ما استطاعوا كما اجتهدوا في

خدمة هؤلاء الحكماء فيما يضر ولا ينفع وأولوا لهم ما أولوا ، حتى غيروا ما غيروا وبدلوا ما بدلوا ، وإذا لم يرد الحاكم لا يريد شيخ الاسلام فان الانسان مادام محروما من الاستقلال يكون تابعا لمن يرى بيده منفعة ومضرته . ولو كان المسلمون هم الذين ينصبون «شيخ الاسلام» كما عهد اليهم ان ينصبوا السلطان والامام ، لكان شيخ الاسلام تابعا لارادتهم ، وعاملا بمشاورتهم لمصلحتهم ، وسنكتب نبذة خاصة في كيفية انتخاب البابا ونيين فيراحكم الانتخاب عند المسامين

(الهيئة الوبائية في سوريا)

اشترت الهيئة الوبائية في سوريا حتى كادت تعمها . ظهرت أولا في ولاية الشام ثم في ولاية بيروت وأصاب بلادا من فلسطين وولاية حلب . وأنشكها في طرابلس الشام وحص أشد منه في سائر البلاد . وقد باننا أن أكثر امالي طرابلس هلموا وجزعوا وفرّ نحو ثلثهم الى لبنان قبل انتشار الوباء وأكثر الفارين من النصارى . ومن بقى في البلدة ومينائها فهم فريقان متناقضان في العلم والعمل - الفريق الاول أكثر المسلمين وهم يستقدون ان الوباء سوط سهاوي يصب على بعض الناس بدون سبب لقبول المزاج له أولوقوعه بمن يصاب به وانما يكون لحض الارادة الإلهية الخفية فلا تنفع طرق الوقاية ولا يفيد الاحتياط شيئا - هذا بلانهم من العلم وأما عملهم فهو أنهم يأكلون مايهني الاطباء عن أكله ويمتنون عن اتخاذ الادوية التي تضاد الغفوات وتقتل جهة الهيئة ونحوها المعبر عنها بالميكروبات . والفريق الثاني عقلاء المسلمين وأكثر النصارى أوكلهم وهم يستقدون أن كل شيء في هذا العالم جار على سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات وان لكل داء دواء وأن التهمة وأكل المواد التي يسرع اليها التعفن كالفاكهة والبقول التي لم يحسن إنضاجها بالطبخ من أسباب استعداد البدن لقتل الهيئة وأن النظافة والقصد في الاكل وشرب الماء بعد غليه وتبريده من الاسباب التي تحول دون فتك هذا المرض في أممنا الآكلين الشارين فهم يعملون بذلك . وقد علم بالاختبار ان الوباء انما فتك بالفريق الأول دون الثاني « فاعتبروا يا أولي الابصار »

فبشر عبادي الذين يسمعون القول
فيؤمنوا حسنة أولئك الذين هديهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يتذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ودمتاراه كثار الطريق)

(مصر — الثلاثاء ١٦ جادى الثانية سنة ١٣٢١هـ — سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٣)

— باب شبهات النصارى وحجج المسلمين —

(البذة السادسة في رد شبهاتهم على القرآن)

(الشاهد الحادي عشر) قال المترض : وبما يقضي بالعجب أن يناقض القرآن نفسه في القدر الذي هو من الايمان وركن مهم من أركان الاسلام فقال « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » أي من كل أمر قدر في تلك السنة كما عليه جمهور المفسرين . وقال أيضا « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ » وهي عندهم ليلة القدر التي تفصل فيها الأتضية ويفرق أي يقدر كل أمر يقع ذلك الإمام من حياة أو موت أو غير ذلك الى مثلها من قابل وهذا يترتب عليه أن أمور الخلق تقدر عاما عاما . لكن ذلك منقوض بقوله في سورة الحديد « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها » أي الا مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في علم الله من قبل أن تخلق وأنت تعلم أن هذا اللوح قد كتبت فيه بزعمهم كل الأمور وقدرت من قبل أن تكون ليلة القدر . وزاد ذلك ايضا فقال « وكل انسان أزنانه طائرته في عنقه » أي أزنانه عمله وما قدر له وعليه منذ ميلاده حتى لزمه لزوم الطوق للعنق . ويترتب على هذا أنه قدر على الانسان دفعة كل ما يعمل في صمره لا ما يعمل في طامه فقط وهذا تناقض بين في أركان الايمان لا يصح وقوعه في كتاب جميع ما فيه كلام الله : اه قوله بحروفه الالكلمة (أنفسكم) من الآية الكريمة بدلها بنفوسكم فكتبنا الاصل الصحيح .

وتقول في الجواب : إننا كتبنا كل ما كتبه في تقرير هذه الشبهة وحسبه ما كتبه فاضحه ودلالة على سوء القصد وتعمد التمويه ولو قلنا إنه يزعم أن بين تلك الآيات تناقضا

ولم نذكر ماقرر وشرح به ذلك انتقاض لما أفاد القول الا أنه جاهل لم يفهم تلك الآيات وهذا عار عليه أكبر وخلاف الواقع ، أما كونه خلاف الواقع فهو انه اطلع على تفسير الآيات وفهمها وأما كونه أكبر عارا فذاك أن الجهل عار عند جميع اناس من أهل ملته وغيرهم ، وان قومه يمدونه من كبار الكتاب والبلغاء فاذا ظهر لهم انه لا يفهم هذه الآيات فانهم يحقرونه وينزعون عنه لباس تلك الخصوصية فيكون عاريا من كل منزلة ، وليس في سوء القصد وسلوك سبيل المغالطة في تشكيك عوام المسلمين بدينهم الا احتقار الغلاء والنفلاء من جميع الطوائف وأهل الانصاف من قومه انصارى خاصة وأما المتصبون منهم مثله فانه ليرضيهم الطعن بالاسلام والمسلمين ، وان جاء صاحبه بالانكالمين

هذه الشبهة لانتحاج الى جواب من حيث هي شبهة على القرآن لأن محلها في زعمه ان بعض الآيات نص في أن أمور الخلق تقدر عاما فعاما وبعضها نص في أنها تقدر دفعة واحدة وليس شيء منها كما قال ، فقوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر » لا يدل على أن أمور الخلق تقدر عاما عاما كما زعم وهذا ظاهر لانتحاج الى بيان اذ ليس فيها ذكر للتقدير ولا للسنين والاعوام . وقوله جل وعز « ما أصاب من مصيبة إلا بقدر ما ليس نصا في أن أمور الخلق تقدر دفعة واحدة كما ادعى وانما تدل على أن المصائب في الآفاق وفي الأنفس معلومة قبل وقوعها لله تعالى علم الامر المحصي في الكتاب او هي مكتوبة كتابة تناسب عالم النيب وتليق به ، وليس فيها ان تلك الكتابة التي ذكرت على سبيل التمثيل أو المجاز أو الحقيقة النبية حصلت دفعة واحدة أو بالتدرج أو انها كانت في أول العالم ، أو قبل خالق الانام . ولكن العقل والنقل يدلان على أن علم الله تعالى قديم لا تدرج فيه لأن التدرج لا يكون الا في الحوادث وهو يستلزم الجهل فتعين ان يقال ان ما يقع من المصائب وغيرها معلوم لله تعالى في الأزل . فان أريد بالكتابة العلم الالهي فظاهر وان أريد أن هناك كتابة فلا شك أنها تكون للملائكة الموكلين بالأعمال الذين جعل الله بهم قوام السنن العامة والثوابيس السككية والذين يسميهم المحجوبون قوياً ونواويس طبيعية . وعند ذلك يصح أن تكون الكتابة في كل عام ولكن الآية ليست نصا في هذا فلا يمكن الاعتراض

عليها بحال. وكذلك قوله تعالى « وكل انسان أئزمناء طائره في عقه » ليس نصا في كون أعمال الانسان قدرت عليه دفعة واحدة ولا منافيا لكونها تقدر عليه في كل عام كما هو ظاهر وانما معناه أن الانسان رهين بعمله ومطوق به لا يستطيع ان يتفلسف من تبت لهاله في التأثير في نفسه فان الاعمال تطيع الملائكة وتكون الاخلاق التي هي صفات النفس فأثرها لازمة للانسان لزوم الطوق للعق . فاین هذا المعنى الظاهر مما زعمه المترض وكيف السبيل الى القول بتناقضه مع تلك الآية لو فرضنا أنها نص فيها فسرھا به ؟؟

يقى ان يقال : ان المترض بنى حكمه على قول المفسرين في ليله القدر انها الليلة المباركة الموصوفة في سورة الدخان بقوله تعالى « فيها يغرق كل امر حکيم » وقد فسر الفرق بالتقدير وقال جمهورهم بان المراد تقدير أمور العالم : وتقول في الجواب (أولا) انه قد علم مما شرحناه ان آية الحديد وآية الاسراء لا تناقضان هذا التفسير لان المطلق لا يتنافى المقيد ولا يتناقضه ولعلماء الأصول في مقابلة المطلق بالمقيد قولان أحدهما أن المطلق يجري على إطلاقه والمقيد يجري على قيده . فلو فرضنا أن معنى الآيات ما ذكرنا كان من مانع لأن يقال ان هناك تقديرا أزليا وهو ما في علم الله الأزلي وتقدير آسنويا يحدد في كل عام لحكمة من الحكم ككون الملائكة المدبرات للأعمال والشؤون تجري عليه . ولا شك ان الملائكة لا يعلمون كل ما في علم الله تعالى ولا يستطيعون ان يعلموا كل ذلك فانه تعالى يعلمهم بما تضي حكمته ان يعلموه . واذا صح هذا فيشبهه في عالم الشهادة ان الفلكي يكتب تقويميا للسنة ثم يستخرج منه في كل شهر تقويميا اغرض من الأغراض كسهولة المراجعة مثلا . ومن الناس من كتب تقويميا لألوف من السنين فاذا كتب تقاويميا أخرى للاعوام عاما عاما أو للشهور شهرا شهرا وقال قائل ان فلانا كتب تقويميا لحمة آلاف عاما ثم قال في سياق آخر انه كتب تقويميا للسنة فهل يقال ان هذين القولين متناقضان ؟ كلا إنما يقول ذلك الجاهل الذي يفهم معنى التناقض

ونافى قولي الأصوليين ان المقيد بقيد المطلق كما قالوا في الامر باعتاق القاتل رغبة مؤمنة انه يقيد أمر الحائث باليمين باعتاق رغبة لم يقيد بأنها مؤمنة . ومن امثلة ذلك ان يكتب المؤرخ أو صاحب الجريدة ان فلانا صار علما وألف كتابا فقيسا

ثم يكتب في وقت آخر : ان فلانا قد ألف كتابا في علم البيان : فيحمل هذا على ذلك ويقال انه أراد بالكتاب المطلق كتاب البيان . والامثلة في كل من القولين كثيرة ويختلف الترجيح باختلاف الوقائع والاحوال

ثم نقول (ثانيا) انه لا يصح للماقل أن يجعل رأي بعض المفسرين ولا جمهورهم حاكما على الكلام الذين يفسرونه اذا كان يرى ان الكلام لا يدل عليه ، وظاهر لكل من يعرف العربية انه لا يوجد في آية من الآيات ما يدل على التقدير السنوي لا يتطوق الآيات ولا يفهمها ولكن جرت عادة المفسرين بأن يذكروا في كل موضوع ما يتعلق به من الآراء أو الاحكام المروية عن السلف وائمة للذهاب مرفوعة أو موقوفة صحيحة أو ضحيقة كما يذكرون آراء النحاة في إعراب الآيات فن يتماق برأي أو رواية مما يوردونه في التفسير يرى آية أخرى تنافيه فيجعل هذا شاهدا على تناقض القرآن نفسه فهو كمن يتماق برأي من آراء النحاة التي يوردونها يتبع أو يجيز حكما في الاعراب لا ينطبق ذلك الحكم على آية أخرى غير التي أوردوه في إعرابها ثم يقول : إن هذه الآية مخالفة لتلك في الاعراب فهي غلط أو لحن : وما هي بمخالفة الا لرأي ذلك النحوي !

وبعد هذا كله نقول ان (القدر) في قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة القدر » معناه الشرف وهو المتبادر منه وليس معناه التقدير وقد قدم اليساوى القول الاول في تفسيره وذكر الثاني بصفة التمريض (قيل) ومعنى الشرف فيها ظاهر فإنها الليلة التي بدئ فيها نزول القرآن فهي شرف للتي عليه الصلاة والسلام ولقومه ولجميع المؤمنين كما قال تعالى في القرآن « وانه لذكر لك ولقومك » أي شرف لكم . وأي شرف أعظم من هذه الهداية الالهية المظلمة . وأما قوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر » فمناه أنهم ينزلون من أجل كل أمر من أمور الوحي لان أمور الخلق لأن سياق الكلام فيه لا في التكوين

وأما قوله تعالى « انا أنزلناه في ليلة مباركة » الى قوله - فيها يفرق كل أمر حكيم » فمناه انه أنزل القرآن في ليلة مباركة والبركة فيها ظاهرة كما ان الشرف فيها ظاهر فهي ليلة القدر خلافا لبعض المفسرين الذين قالوا انها ليلة النصف من شعبان .

وقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » معناه أنه يفصل فيها وبين كل أمر من أمور الوحي لأمور الخليفة بدليل أن سياق الكلام في أنزال القرآن وبدليل الآية التي بعدها وهي « أمرا من عندنا أنا كننا مرسلين » فين أن هذه الأمور هي التي تختص بإرسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

واعلم أنه قد ورد في تفسير هذه الآية أن الملائكة تكتب فيها الأقدار ولكن هذا ليس منصوبا في الكتاب العزيز ولا في الحديث المتواتر فيكون قطعا والاعتقاد به محتملا ولا في الأحاديث المرفوعة الصحيحة الآحادية فيكون ظنيا والاعتقاد به من الاحتياط وانما ورد عن بعض الذين اشتهروا بالتفسير من السلف ورويت عنهم في الموضوعات والأكاذيب حتى قال الإمام أحمد إنه لا يصح في التفسير شيء ، وأقوى ما روي في ذلك ما رواه عبد الرزاق وغيره عن مجاهد وعكرمة وقتادة . وقد علمت أن المقترض قد سقط بشبهة سواء صح ذلك عن هؤلاء المفسرين أم لم يصح . فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فقلبوا هناك وانقلبوا صاغرين

— باب الاسئلة والاجوبة —

(بيان القرآن وبلاغته وما يوهم غير ذلك)

(س ١) الشيخ احمد محمد الثاني بطوخ القراموس : كيف الجمع بين قوله تعالى « وما أحابك من سيئة فمن نفسك » وقوله تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »

(ج) راجعوا ما كتبه الاستاذ الامام في الجمع بين الآية الاولى وبين قوله تعالى « قل كل من عند الله » في الصفحة ١٥٧ من مجلد المنار الثالث

(س ٢) ومنه : كيف الجمع بين قوله تعالى في أوائل السور : حم : الر : ن : ق : وقوله « عربي مبن » وقوله « تلك آيات الكتاب المبين — قرآنا عربيا غير ذي عوج » الخ : (ج) أن « حم » ونظائر أسماء للسور على الراجح عند المحققين ودلالة الاسم على المسمى ينة لا عوج فيها وأتم تعلمون أن الأسماء لا تطل فلا يقال : لماذا سميت السورة للمعلومة (ن) فإن كانت سميت « لذكر الحوت فيها » والثون من أسماء الحوت فلماذا

سمي غيرها باسماء حروف مفردة ومركبة لا يعرف لها معنى غير تلك الحروف ؟ لا يقال هذا لاننا اذا جوزنا ان يقال لقليل في جميع الاسماء ولذلك قالوا : الاسماء لا تملأ : وأما الذين يقولون بان تلك الحروف اشارات لمعاني سامية تعلمو أفهام العوام ولا يعرفها الا الراسخون من العلماء الربانيين فقولهم هذا اذا صح : لا يتنافى انها أسماء للسرور والقرآن مبین وظاهر يتيسر لكل من يعرف اللغة العربية مفرداتها وأساليبها ان يفهمه ويمتدني به . ومثال هذا في المحسوسات الاهرام فان جميع المؤرخين والقارئین للتاريخ يعرفون الفرض منها ثم ان الرباضي منهم يستخرج من مساحة أضلاعها وهيئة أوضاعها مالا يعرفه غيره ممن عرف معناها والفرض منها ولم يعلم ان تلك الأطوال والروض وضعت بالمقادير المخصوصة لتدل على مقاييس البلاد في الزمن الذي بنيت فيه وغير ذلك. فكل ما يمكن استخراجه من القرآن بطريق معقول فلا ينبغي ان يتوقف في قبوله لانه لم يمتد اليه الا بعض الخواص. وأما الذي لا يقبل فهو ما كانت دلالة على معناه غير وضعية ولا عقلية كاستخراج المعاني من هذه الحروف بالعدد الذي يسمونه حساب الجمل . وهذا المعنى الذي قلناه ظاهر عند أهله في العلوم المالية المشروحة في القرآن وأعني العلوم الالهية والنبوية فان آياتها ظاهرة للعارف باللغة فهي في غاية البيان وورائها ممان أخرى يعرفها بعض الخواص وهي توافق المعاني الظاهرة وتزيد عليها بما لا يخالفها ولكنه يندق عن أفهام العامة . وهذا ضرب من ضروب اعجاز القرآن لمنا توفيق لشرحه في وقت آخر . نعم ان كون القرآن ميذا لا يمكن ان يجمع القول بالتقليد الذي يزعم أهله ان الكتاب والسنة الميثة له لم يفهمهما الا نفر مائوا ولا يمكن ان يوجد بعدهم من يفهمهما

(س ٣) ومنه : ان كثيرا من المسيحيين لهم القدر المثل في اللغة والبلاغة ومع ذلك لم يسترف باعجاز القرآن مع ما فيه من أسرار البلاغة وضروب الاحكام والحكم وبديع المعاني والبيان مما جعل عرب زمن التنزيل في دهشة منه واعتروا باعجازه ومن كفر قائما كفر عن حيد وعتاد. ومع ذلك ترى هذا المسيحي الأديب الفصيح متمسكا بالنصرانية فيقول : لا ريب ان المسيح (عليه السلام) إله وانسان وخالق ومخلوق وعابد ومعبود ورب وعبد ومخلص ومصلوب وبار ومملون (١) وآب وابن

(١) في التوراة مملون كل من يعذب على خشبة ويكرم النصاري ان المسيح قبل الميثة لاجل خلاص الناس

وروح قدس فهو ثلاثة حقيقة وواحد حقيقة : الى غير ذلك من ضروب المتناقضات فهل لذلك من سبب ؟ ثم هو ينظر الى الكتاب المقدس نظر المتعني عليه فيض الطرف عن تناقضه واختلافه وانقطاع استاده ومخالفته لصريح العقل ومقبول النقل وفساد آدابه ثم يفتح عينيه لامتداد القرآن الحكيم فيأتي بالضحك والبكي المحزن للإنسانية والفضيلة والعدل والحرية في القول والعمل فهل لذلك من سبب أيضا :

(ج) السبب في هذا وذاك ان من ذكرتم قد اتخذوا الدين جنسية ورابطة اجتماعية سياسية فهم يحافظون على العقائد والتقاليد والمبادئ الملية التي تربطهم بامة أهل ملتهم اذ لو أهملوها لانحلت جامعتهم وصاروا بغير أمة وغير ملة . ولم ينظروا في الاسلام نظر إنصاف فيفهموه من أصوله لان المسلمين الذين اتخذوا الدين جنسية أيضا قد عادوهم عداوة لم يأذن بها الاسلام فكانت هذه الماداة سببا في بحث كل فريق عن عيوب الآخر فقط لاعن حقيقة ما عنده . وأتم تعلمون ان البدع والتكررات الفاشية في المسلمين كافية لان تكون حجبا دون محاسن الاسلام حتى تحجب العاقل المتعصف ، بله المماند المتعصف ، فالعارفون بقنون البلاغة من النصارى قلما ينظرون في القرآن نظر إنصاف ومن نظر ولاح له أنه معجز فان العداوة الجنسية تمنعه من قول الحق لاسيما اذا كان يرى أن كون القرآن معجزا ببلاغته لا يدل على كونه منزلا من عند الله تعالى وجلهم أو كلام يرون ذلك . وقد وجد من أهل العلم والانصاف منهم من صرح بان القرآن قد بلغ حد الاعجاز في بلاغته كالعلم جبر أقدى ضومط استاذ البلاغة في المدرسة السككية الامر بكافية في يروت فانه قد صرح بذلك في فاتحة كتابه (الخواطر الحسان في الثماني والبيان)

هذا - وقد علمنا بالاحتبار ان أكثر المتعاصمين العقلاء من النصارى لا يعتقدون بالتثليث ولا بشي من الحرافات المروفة عند قومهم بل منهم المتطرفون الذين لا يعتقدون الا بالمحسوسات والبدييات الممقولة . ولو أن المسلمين الذين يبش معهم هؤلاء النصارى أهل نظر وجرهان ، واطلاع على علوم هذا الزمان ، لأهل تعقيد للاموات ، وتسليم بالحرافات ، وكانوا يعاملونهم بالانصاف ، ويجادلونهم بالتي هي أحسن ، لرأيت كثيرين منهم دخلوا في الاسلام ، ولرأيت من لم يدخل فيه ، يمتزج بفضل ولا يمازج . انتهى

أرى أننا أحوج إلى حسن معاملة لهم والتوسط اليهم في هذا الدعمر منا إلى ذلك الصور السابعة وإن هذا خير لنا ولهم في الدين والدنيا فعسى أن يوجد في عقلاء المسلمين كثيرون يسمون في هذه السبيل

(س ٤) محمد أفندي عمر الدمان بمصر : اختلاف المفسرون في تفسير آيات القرآن الشريف اختلافات شتى وبين كل واحد لها معنى قائما يتفق مع الآخر وأغلبهم من علماء العربية العارفين بأسرارها ودقائقها فما معنى بلاغة القرآن مع انهم معانيه حتى على الخاصة الذين هم أولى الناس بفهمه وهل بعد كلام بليغا إذا أنهم مناه على سامعيه واحتفلوا في فهم المراد منه طرائق شتى ؟ رجوا أن يفيدوا في مناركم الواضح جواب هذا السؤال بعبارة يفهم كل القراء معناها ، ولا يخفى على الخاصة منهم مفزاها ، ولكم الفضل :

(ج) تقول قبل كل شيء : إن السائل قد غلا في تقرير الخلاف في فهم الآيات حتى زعم أن الاتفاق بين المفسرين العارفين بأسرار العربية قليل والصواب أن الخلاف بين المحققين العارفين هو القليل وأن الأكثر متفق عليه ثم إن الجواب يتجلى في مسائل نذكرها بالاختصار فنقول

(١) أن الفرض من البلاغة أن يبلغ المتكلم ما يريد من نفس المخاطب وهو الفهم والتأثير وقد بلغ القرآن من نفوس من دعوا به إلى الإسلام مبلغا لم يهدم مثله لكلام آخر عربي ولا عجمي وما ذلك إلا أنهم فهموا معانيه بدلائلها وبراهينها وتأثروا بحكمه ومواعظه حتى تركوا عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم التي كانوا يفاخرون بها وأنشئوا خلقا جديدا وحتى كان للمشايخ المنادون منهم لم يروا وسيلة للتخلص من تأثيره إلا بالاعراض عن سماعه واللغو واللفظ عند تلاوته حتى لا يصل منه شيء إلى فوسهم كما حكى الله تعالى عنهم بقوله « وَقَالُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْأَفْئَاتُ فِيهِ لَمَسَّكُمْ تَغْلِبُونَ » ولم ينقل عن العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن أنهم اختلفوا في فهمه كما اختلف من بعدهم وإنما كان الراسخين في العلم كالحلفاء لاسيا رايهم وكالمبادلة فهم أعلى من فهم سائر الناس كما فهم ابن عباس من سورة الشعراء أن النبي عليه الصلاة والسلام قد دنا أجله وإن قوله تعالى « فسيح محمد ربك واستغفره » نبي له وأقره النبي على ذلك . ولا يثبت أن سائر الصحابة قد فهموا معنى السورة كما فهمها ابن عباس وهي

على بلاغتها وهذا الفهم الجديد من ابن عباس مزيد في البلاغة ودليل على ان لها مراتب متفاوتة ولا يمكن ان يكون الناس المتفاوتون في فهم كل شئ والعلم به يتفقون في فهم القرآن والعلم به وهو أعلى كلام وأجمعه للمعارف العالية الالهية والنفسية والشرعية (راجع جواب السؤال الثاني)

(٢) ان علماء اللغة والبلاغة قد اختلفوا في فهم كل كلام بليغ غير القرآن كالعلاقات السبع وغيرها مما يؤثر عن الباء في الجاهلية والاسلام فلو كان اختلاف الافهام في الكلام ينافي بلاغته لما كان لنا ان نول ان في الكلام بليغا الا بعض الجمل البديعية من العامة الجهلاء كقولهم : أكلت رغيفا وشربت كوزا من الماء : وقد يختلفون في فهم ما عدا البديهي من كلام العامي كما يختلفون في فهم البديهي من كلام العالم بحمله على الكناية أو المجاز . واذا قرأت القرآن على عامي يعرف العربية ولو ممزوجة باللحن والدخيل وأشدته قصيدة من شعر امرئ القيس أبلغ شعرا العرب لرأته فهم من القرآن ما لم يفهم من القصيدة وكان للقرآن في نفسه الأثر الذي ليس للقصيدة ما يدانيه ، ومن هنا تعلم ان بيان القرآن عجيب ، وان لكل من يعرف العربية منه نصيب ، ولكن تأخذ الاذهان منه على قدر القرائح والفهم

(٢) ان أكثر ما نهى من الخلاف في التفسير سببه ان المختلئين لم يحاولوا فهم القرآن بذاته وإنما حاولوا تطبيقه على مذاهبهم في النحو والبلاغة والكلام والفقه حتى كأن مذاهبهم هي الاصل الثابت ولا بد من تطبيق القرآن عليه ولو حاولوا فهمه بذاته وأعدوا له مزاولة أساليب اللغة ومعرفة معناها والاطلاع على السنة من غير تقييد بمذهب مخصوص لأن القرآن فوق المذاهب والآراء لكن خسلانهم أقل ووقاقتهم أكثر ولكان رجوع أحد المختلفين الى الوفاق بعد النظر في دليل الآخر قريبا ، فالتقليد في الدين وفي قوانين اللغة هو منشأ البلاء الاكظم في الخلاف . وله أسباب أخرى مفصلة في كتاب (الانصاف ، في أسباب الخسلاف) وهو كتاب نفيس يطلب من ادارة المنار وثمة ٣ قروش وأجرة البريد نصف قرش

فلم مما قلناه ان الخلاف دون مقال السائل وانه لا ينافي البلاغة قل أو أكثر . ولو كان الخلاف في الكلام هل هو صحيح أو غير صحيح وهل هو بليغ أو غير بليغ وكان

كل ذي قول يورد الأدلة على تأييد رأيه لكان للجاهل ان يشك في بلاغته لانه علم ان أهل الشأن اختلفوا فيها وهو غير قادر على الترجيح . والامر في القرآن على غير ذلك فقد أجمع بلغاء العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن على اعجازه وكذلك العلماء بالعربية الذين أخذوها بالصناعة فلم يبق للجاهل عذر بعد العلم بان هذه مسألة لا نزاع فيها عند العارفين بهذا الشأن والله أعلم

باب التبرؤ من التبعية

مضار تربية النساء الاستقلالية

كتبنا من قبل في بيان مضار استقلال النساء بتريتين كترية الرجال وإقناعهم بأنهم مساويات لهم من كل وجه فان هذا أمر مخالف لسنن الفطرة التي بناها دين الفطرة في كتابه السماوي فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » أي ان المساواة بين الزوجين واجبة في الحقوق مع حفظ حق سيادة المنزل للرجل . وقد أوردنا الشواهد والأمثلة عن أهل أوروبا لاسيما نساء الانكليز على وجوب جعل المرأة تحت سيادة الرجل وعلى كون التربية عندهم صارت تعارض ذلك . وقد رأينا عنهم شاهدا جديدا في هذه الايام وهي ان النساء الكاتبات الفاضلات اللواتي تربين وتعلمن في هذا العصر طفقن يكتبن في الجرائد منتقدات شاكيات من تربية بناتهن تربية جعلت همهن محصورا في الزينة والولوع بصرف الاوقات في التزهات حتى صار يقل عليهن مساعدة أمهاتهن في تدبير المنزل . وقد نقل المقطع نبذة من ذلك الى العربية عنوانها (حرب سجال) نوردناها هنا تأييدا لقولنا وهي

« في انكلترا الآن حرب أقلام نار عجاجها على صفحات الجرائد الانكليزية بين الامهات وبناتهن ورب قلم احد من السنان وامضى من الحسام . وقد كانت الامهات البادئات بالعداء فان أما منهن رأت من بناتها قصيرا في قضاء الواجبات المنزلية المفروضة عليهن وميلا الى عصيان كل أمر تصدره اليهن فهالها طفياتهن وتهاملهن وضاعت ذرعا هن كبح جماحهن فاستقامت بالجرائد وبشت برسالة الى احدي الجرائد المشهورة

بامضاء « أم خاتبة الامل » وهذا نصها بعد الديباجة
 « أريد أن أعلم آراء قراء جريدتك في هذه المسألة . فان لي ثلاث بنات عمر
 الصغرى منهن ١٧ والسكبرى ٢١ وقد تعلمن في مدارس معروفة وأمكن دروسهن
 ولزمن البيت . وزوجي متقصد منصبا حسنا فلا حاجة بهن الى احتراف حرفه يرتزقن
 منها ، ولكن أمني بهن خاب لما يبدين من الميل الى الحرية والاستقلال فبدلا من
 ان يساعدني ويتفكرن في تراهن لايتفكرن في غير أنفسهن وملأذهن كالالعاب
 الرياضية وغيرها مما هو خارج عن دائرة الاشغال المنزلية ويكرهن البقاء في المنزل ايام
 استقبال الزائرين ورد الزيارات ممي قاتلات ان ذلك من قليل اضاعه الوقت وهن
 يسخرن باذواقهن ويبددنها اذواقا قديمة ليست حسب الاذواق الحديثة ولا يلزن
 يتعلمن الموسيقى الى الآن فيقضين نصف النهار في التمرن عليها
 « هذا واني لست أريد ممارستهن في كل شيء ولكني أريد أن أعلم ان كانت بنات
 الناس كذلك وعلم استحسنه فيهن استمهالهن ثلاث زقاقية وعبارات الفلو والمبالغة في
 حديثهن . فقل نواقفي سائر الامهات على ان هذه هي (مودعة) هذا الزمان
 وكان هذه الرسالة جرات الامهات على ما لم يجترئن عليه قبلها فبعثت بالرسائل تباعا
 الى ادارة الجريدة يشكون أمورا كثيرة يأتيها بناتهن مما يشكرن عليهن . فذكر بمضا
 للتفككة قالت احداهن :

« اني وافق على كل مقالته صاحبة الرسالة المضادة بامضاء « الام الخاتبة الامل »
 فاننا كنينا في « الهوى سوى » وان للبنات حرية زائدة هذه الايام في العمل والكلام
 فاذا قاطعتن انتمسن لانفسهن برد جوابات فيها ما فيها من الصلف والوقاحة . وهذا
 اختبار أم أخرى خلب أملها . وقالت غيرها :

« اخشى ان ما نشر به (الأم الخاتبة الامل) يكون مطابقا لشعور الامهات في جميع
 العالم وهو دليل على انحطاط الشعور القديم من نحو العائلة وانتشار « المودة » الجديدة
 وهذا آفة على التهذيب القديم الذي كان أمهاتنا يمتدقن بقوة تأثيره فينا » وقالت أخرى :
 اتى أشارك الام الخاتبة الامل في ما تراء وتشعر به وأقول ان تمرد البنات شر متفاقم
 تشمر الامهات بضرره الشديد . فان الامهات حاولن تربية بناتهن على مثل ما رين

عليه أيام كانت الحشمة الحقيقية ناتجة عن رقة الشعور واحترام الآخرين . ولكن تلك الافكار امست قديمة مبتذلة الآن فبات البنات لا يحترمن امهاتهن ولا يمحضن لمن . بل يغلن ما يردن غير مكترئات لآراء والديهن ، فها هي نتيجة ذلك ياترى . وكيف تربى أولئك البنات أولادهن متى تزوجن ؟

هذا مثال الرسائل التي أرسلها الامهات يعترضن فيها على سلوك بناتهن وواقفهن أخ أرسل رسالة بامضاء « أخ مشعشع » قال فيها : ان هذا العصر هو ما يسمونه عصر « التقدم » و « تساوى الجنسين » وغير ذلك من الاسماء فكانت نتيجته « المرأة الجديدة » التي نراها الآن هيوبها الكثيرة :

وما كادت هذه الرسائل تنشر حتى استشاطت البنات حقنًا وارسلن الرسائل تنزى الى الجريدة المذكورة جوابا على شكاوى الامهات ونصرهن بعض الآباء والامهات كما سيأتى . وهالك أجوبة بعض البنات قالت احداهن بامضاء « ابنة مضطربة » « أنا ابنة مدركة سن الرشد وأحوالى على ما وصفت « الام الخائبة الامل » في رسالتها ولا شيء يسرني مثل مساعدة والدي على تدير المنزل وتخليصها من همومه الكثيرة ولكنها لا تعتمد علي في عمل من أقل الاعمال لانها تعتقد ان لأحديهن عملا الا اذا كانت يدها فيه وهي تراقب عمله . وعليه عدلت عن الاهتمام بتخليصها من عناء الاشغال والاعمال المنزلية لاني وجدت الاهتمام يضيع سدى . فكيف تؤمل الامهات ان تثق بناتهن بهن مادم لا يثقن ببناتهن وهل يستغرب من البنات الاهتمام بما هو خارج البيت اذا كنا لا يمحجن فيه من يهتم بهن ويمطف عليهن ؟

وكتبت بنت كتابا طويلا بالاصالة عن نفسها والنيابة عن اخواتها قالت فيه ما ملخصه : « ان معظم بنات هذه الايام يقضين عدة سنوات في المدارس يلعبن فيها ألعابا مختلفة لترويض أجسادهن ومتى خرجن منها ودخلن البيت ينتظر أمهاتنا منا ان نكون رفيقاتهن وان لانعمل عملا سوى الاهتمام بشؤون المنزل فشتان ما بين جلوسنا في غرفة الاستقبال لنسمع انتحاب أمهاتنا وزائراتهن من فساد أمر البنات في هذا الزمان وحديثهن الدائم عن الخدمة والحلادامات وبين التزهر على ضفة النهر أو لعب الألعاب الرياضية «ولسنا نقصد أن نكون محبات لأنفسنا ونقضي العمر بالمتعة بنعيم هذه الحياة فقط بل

اتنا ندخل البوت مشتاقات الى مساعدة امهاتنا مستعدات لعم الاعمال والاشغال البيتية
ولسكتنا نريد ان نقوم بالواجب علينا على الطريقة التي نحبها ونهواها . فكل يوم نرى
شيئا جديدا نحب اقتباسه وادخله الى منزلنا ولكن أمهاتنا يعارضنا بدلا من أن يوافقنا
على أذواتنا قائلات ان الحجب لا يعجبنا واننا لا نستحسن شيئا في البيت بل نحمد عينا
في كل شيء ونرى منازل الآخرين احسن من منازلنا . مثال ذلك ان أكثر البنات . ولغات
بترتيب الازهار التي توضع على مائدة الطعام وفي غرف الاستقبال فيرتبها وينظمنها
على أذواقهن ولكن أمهاتهن يقتضين فرصة غيابهن ويقمن بين تلك الازهار الجميلة
المتناسقة ازهاراً ذات ألوان لا توافق الذوق السليم فيضيق قلب البنات سدى

«وأكثرنا ينتظر بسرور مجيء اليوم الذي نصبح فيه ربات منازل مستقلة فنكثر
همونا ومشاغلتنا ونأتي دورنا لزيارات وردنا فلماذا هذه العجلة الآن »

أما الامهات اللواتي انتصرن لبناتهن فهن أم كتبت كتاباً بامضاء (أم مسرورة
شكورة) قالت فيه : لما قرأت كتاب «الأم الحائبة الامل» حزنت عليها قد صرحت بي
سنواتهم وشقاء من شراسة زوجي ولكن بقيت كنت تمزيقي وقوتي على احتمال مصيبي
وقد عرض كثيرون من الاصدقاء والاقارب ان يأخذوا معهم في أسفارهم لئلا نرهم ومشاهدة
هذا العالم وهموني بحب الذات لاني لا أسمع لها بالابتعاد عني ولكنني اؤكدهم انني لم
اجبرها على عمل شيء بل تركتها تفعل ما تشاء»

ومنهن أم كتبت رسالة بامضاء (أمراضية) قالت فيها : «ان لي اربع بنات لا يتأخرن
عن مساعدتي حينما اشاء ولكنني لا اطلب منهن الشيء الكثير لان للشباب مطالب لا يصح
الاعضاء عنها فبعض الامهات يطالبن من بناتهن امورا كثيرة وقليما يحظر ببالهن ان الالعاب
والملاهي لازمة لهن وعندي انه يكفي البنات ان يشتغلن بجميع الازهار وتنسيقها وترتيبها
ونفض أثاث البيت من الغبار الا اذا اضطرت الحال الى اكثر من ذلك»

أما الالاب الذي انتصر للبنات فقد عدل في حكمه ولم يجر فاعترف باهمال البنات وتطرفهن
ولكنه نسب ذلك الى اهمال الامهات حيث قال : لو عرفت الام الحائبة الامل كيف تعلم بناتها
عمل الواجب عليهن لما احتاجت الى كتابة رسالتها فان البنات يرين هذه الايام ربية
مطلقة من كل قيد ويعطين كل ما تشتهيه نفوسهن . فينكر الوالدون أنفسهم حبايهم

ولكن لا يفهم معنى انكار النفس فيشين وقد تعودن طلب كل شيء بالامر والتهي
 كأن لمن حشا شعرا فيه بدلا من ان يطلبته طابهن للمعروف . فاي حق لفتاة - ١٧
 سنة في الاعتراض على شيء . من الاشياء انما يجب عليها ان تفعل ما يطلب منها واما الالام فانها
 رأى الوالدون اقل ضرر منها لم يصعب عليهم منع أولادهم من لعبها بالامتناع عن أعطائهم
 الدراهم لشترى لوازمها ويحسن بهم ان يهدوا تلك الالام الى ذوي السلوك الحسن
 من أولادهم ويمودوهم ان يحصلوا عليها بتبهم بدلا من ان يأخذوها كأنها
 حق طبيعي من حقوقهم : « اه المراد وبقي في المقطع قول بعض الشعراء اهلئها

(المثار) يجب أن تربي البنت لتكون زوجة ، ويجب أن تكون زوجة لتكون أما . وهي
 لا تكون زوجة الا اذا أراد الرجل ، ومن مصلحة الرجل ان تكون زوجته أما ، ولا
 تصالح ان تكون أما الا اذا تربت على الاعمال المنزلية وتربية الاطفال . والمدرسة الطيبة
 التي تربيها وتعلمها أعمال الامهات هي بنت أبيها الذي تدير أعمالها ، قالت البنت اني
 ترى الحرية والاستقلال يبيعان لماترك البيت وصرف الاوقات في الملاهي والمتزهات
 ومخالفة والدتها في ما أمرها به بلسان المقال أو بلسان الحال من القيام بالامور المنزلية
 هي كالتمليذ الذي يستطيع ان يترك المدرسة اذا شاء ، وتعلم فيها ما شاء وبعض ناظرها واساتذتها
 متى شاء . فن يقول ان هذا التلميذ يفلح في اتباع هواه فليقل ان تلك البنت تفلح في اتباع هواها
 غلط الافرنج في محاولة جعل النساء كالرجال في تمام الاستقلال ومغبة غلط الامم لا تظهر
 الا بعد زمن طويل وهما وقد نجحت نواحيه في قلة النسل وفي اهل النساء والبنات البيوت اهلها
 يفسد شأنها وفي كثرة طلب الطلاق وفي قلة الزوج والاستغناء عنه بانفسق . ومن أعجب أنواع
 هذا الظهور شكوى الامهات ، من البنات ، مع شدة جبنهن لمن وعنايتهن برعايتهن وراحتهن
 ومع مبالغتهن في اظهار محاسنهن واخفاء مساويهن . ولا بد ان تحمل هذه المضرات القوم على
 تدارك الامر والاجتهاد في جعل البنت تحت سيطرة امها وأبيها في البيت ليكون ذلك مقدمة
 لسيطرة زوجها عليها من غير ان يتحمل ذلك عليها

اماما قرأت من مدح بعد الامهات لبناتهن فهو موافق لانتقاد الشاكيات من
 الحرية وتمام الاستقلال . هكذا تظهر الحوادث بعد تجارب القرون ان تهذيب القرآن
 وتعليمه فوق كل تهذيب وتعليم ، وما ذلك الا لانه تنزيل من لدن حكيم عليم .

أَنَارُ الْعَرَبِيَّةِ

❦ نموذج من دلائل الإعجاز ❦

قال المصنف في سياق إثبات ان البلاغة والفصاحة لتنظم لا للكلم المفردة مانعه:
وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله وإدلالهم به - أبو حية النُمَيْرِي:
ان القصائد قد علمن بأنني صَنَعُ اللسان بهن لا أُنْطَل (١)
واذا ابتدأت عروض نسج ريش جعلت تدل لما أريد وتسهل (٢)
حتى تطاوعني ولو يرتاضها غيري لحاول صعبة لا تقبل
﴿تيم بن مقبل﴾

اذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها قاتلا بعدي أظب وأشعرا
وأكثر بيتا سائرا ضربت له حزون جبال الشعر حتى تيسرا
أغر غريبا يمسح الناس وجهه كما تمسح الايدي الاغر المشعرا
﴿عدي بن الرقاع﴾

وقصيدة قدبت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف في كموب قناته حتى يقيم ثقافه متادها (٣)
﴿كعب بن زهير﴾

فن للقوافي شأنها من يحو كها اذا ما توى كعب وفوز جـ رول (٤)

(١) قال ابن مرق شعر غيره تحله واتحله (٢) البروض التافة التي لم ترض. وعروض الشعر معروف. والريض بتشديد الاء المكسورة الدابة أول مراض وهي صعبة يستوي فيه المذكر والمؤنث (٣) المثقف بكر الثقاف المشددة. مقوم الرماح والثقاف بالكسر آله الحشمية التي يثقف بها والمنا دلائل المتحني. والسناد في البيت الاول عيب الثقافية قبل الروي (٤) شأنها عابرا وتوى هلك وفوز مات وجـ رول لقب الخطيئة الشاعر المعجبا. وجملة شأنها من يحو كها دماء

يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل مايشمل

﴿بشار﴾

عميت جنينا والذكاء من المي بجنت عجيب الظن للعلم موثلا
وغاص ضياء الدين للعلم رافداً لقلب اذا ماضيع الناس حصلا
وشعر كنود الروض لاهت يئنه بقول اذا ما أحزن الشعر اسهلا (١)

﴿وله﴾

زور ملوك عليه أهبة يغرف من شعره ومن خطبه (٢)
لله مراح في جوانحه من لؤلؤ لا ينال عن طلبه
يخرج من فيه للندي كما يخرج ضوء السراج من لهبه (٣)

﴿أبو شريح المصير﴾

فان أهلك فقد أبيت بعدي قوافي تعجب التمثيلينا
لذيذات المقاطع محكمات لو ان الشعر يلبس لارتدينا

﴿الفرزدق﴾

بلغن الشمس حين تكون شرقا ومسقط قرنهما من حيث غابا
بكل ثنية وبكل ثمر غرائهن تنسب انتسابا (٤)

(١) أحزن صار في الحزن وهو بالفتح ضد السهل واسهل ضد احزن (٢) الزور الزائر يستوى فيه للذكر والمؤنث والمفرد وغيره لانه مصدر في الاصل (٣) الندي كالنادي مجلس القوم للحديث نهارا (٤) الثنية واحدة التايا وهي الانسان الاربع . وطريق العقبة . والثر الفم والاسنان في ثنائها . وكل فرجة في جبل أو بطن واد وطريق مسلك ثمر . يقول ان قوافيه طافت الحافقين فلبث مطلع الشمس ومعربها ولم تدع طريقا في عقبة أو جبل الاسلكته ، ولا واديا الا بهلته ، فاي مكان اشرف عليه ، رأيتها فيه تنسب اليه ، أو يقول ان كل ثم ينشدها ، وكل ثمر يزين بالمثل بها ، ويريد من الثمر الفم

﴿ ابن ميادة ﴾

نجفنا ينابيع الكلام وبحره فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر الا شعر قيس وخندف وشعر سوامم كلغة وتلمح
وقال عقيل بن هشام القتيبي يرد عليه:

ألا بلغ الرماح نقض مقالة بها خطل الرماح أو كان يمزح
لقد خرق الحلي اليمانيون قبلهم بحور الكلام تستقى وهي طفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فالسابقين الفضل لا يتجدونه وليس لمسبقو عليهم تبجح

﴿ أبو تمام ﴾

كشفت قناع الشعر عن حروجه وطيرته عن وكره وهو واقع
بئر يراها من يراها بسمعه ويدنو اليها ذو الحجي وهو شاسع
يود ودادا أن أعضاء جسمه اذا أنشدت شوقا اليها مسامع

* (وله) *

حذاء تملأ كل أذن حكمة وبلاغة وتندر كل وريد
كالدر والمرجان ألف نظمه بالشذر في عنق الفتاة الرود
كشقيقة البرد المنم وشيه في أرض مهرة أو بلاد تزيد
يعطي بها البشري الكريم ويرتدي بردائها في المحفل المشهود
بشري الفسي أبي البنات تتابعت بشراؤه بالقارس المولود

﴿ وله ﴾

جاءتك من نظم اللسان قلادة سمطان فيها اللؤلؤ المكنون

أحذا كما صنع الضمير يمدده جنر إذا فاضب الكلام معين (١)
أخذ لفظ الصنع من قول أبي حية بأنني * صنع اللسان بين لا أنتحل *
ونقله إلى الضمير وقد جعل حسان أيضا اللسان صنعا وذلك في قوله :
أهذى لهم مدحا قلب مؤازره فيما أحب لسان حائك صنع

ولا يبي تمام

إليك أرحنا عازب الشعر بمد ما تمهل في روض المعاتي العجائب
غرائب لاقت في فنائك أنساها من المجد فهي الآن غير غرائب
ولو كان يفنى الشعر افتاء ما قرت حياضك منه في السنين الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحاب منه أعقت بسحاب

﴿ البحتري ﴾

ألست الموالي فيك نظم فصائد هي الأنجم اتادت مع الليل انجما
ثناء كان الروض منه منورا ضحى وكان الوشي منه منما

﴿ وله ﴾

أحسن أبا حسن بالشعر أذ جعلت عليك أنجبه بالمدح تنتشر
فقد أتتك التوافي غب فائدة كما تفتح غب الواهب الزهر

﴿ وله ﴾

إليك التوافي نازعات قواصد يُسر ضاحي وشيما وشيما (٢)
ومشرقة في النظم ثر يزنها بهاء وحسنا أنها لك تنظم (٣)

﴿ وله ﴾

(١) أحذا كما أعطاكها والجفر البئر (٢) يسير يجعل كوشي السرا هو ضرب من الخال

(٣) وفي نسخة يزيد هابل يزنها

بمنقوشة نقش الدنانير ينتقى لها اللفظ مختاراً كما ينتقى التبر

﴿وله﴾

أيذهب هذا الدهر لم ير موضعي ولم يدر ما مقدار حلي ولا عقدي
ويكسد مثلي وهو تاجر سؤدد يبيع ثمينات المكارم والمجد
سواثر شعر جامع يدّ العلى تملقن من قبلي وأتمن من بعدي
يقدر فيها صانع متعمل لاحكامها تقدير داود في السرد

﴿وله﴾

لله يسهر في مديحك ليله متمللا وتنام دون ثوابه
يقظان ينتحل الكلام كأنه جيش لديه يريدان ياق به
فأثى به كالسيف رفرق صيقل ما بين قائم سنخه وذبابه (١)
ومن نادر وصفه للبلاغة قوله:

في نظام من البلاغة ماشك م أمرو أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يجز لقاه عوده على المستعيد
حجج مخرس الالة بالقفا ظفرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول وليد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعميد
وركن اللفظ القريب فادرك ن به غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحلال الصفة راذا رحن في الخطوط السود

(١) سنخ السيف بالكسر طرف سيلانه والسيلان بالكسر ما يدخل منه في القراب

وذبابه حده الذي يضرب به

بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

— الاحتفال بتذكار عيد الجلوس السلطاني —

في يوم الثلاثاء الماضي زينت حديقة الأزبكية احتفالاً بتذكار جلوس مولانا السلطان عبد الحميد خان على عرش السطنة العثمانية (أيدها الله تعالى) وكان رئيس لجنة الاحتفال أحد باشا المنشاوي. وقد أذاعت الجرائد بأن المسال الذي يجمع لأجل الاحتفال يتفق منه على الزينة ويصرف ما بقي منه إلى إعانة سكة الحجاز قافل الناس على البذل وعلى شراء ووق الدخول في الحديقة وتبرع أسكندر اقدي فرح صاحب جوقة التمثيل العربي بأن يمثل في الحديقة رواية صلاح الدين مجانا وتبرع كذلك الحاج حسن التوفي الذي تولى إقامة معالم الزينة بنصف الأجرة. لهذا ولقلة التناية بالزينة يرجى ان يكون ما بقي من المال لإعانة السكة عظيمًا جداً فإن الجمعية الخيرية الإسلامية تنفق أضعاف ما أنفقت اللجنة على زينتها ويبقى لها من الرخ زيادة عن ألف ومئتين من الجنيئات في كل عام

— الأستاذ الامام في أوروبا —

يسافر أكثر أمراء المصريين وكبار الموظفين منهم كل عام إلى أوروبا بمصطافين فيقضون أشهر الصيف هناك في لاهو ولشبوتنغ بالذات وخيرهم من يسافر لفرض محيى كترويض جسمه بالاستحمام في الحمامات المعدنية وصمود الحبال أو لاختبار بفيده في صناعته التي بها قوام منافسه الشخصية ولم نسمع عن أحد منهم أنه سافر لاختبار حال التربية والتعليم في تلك البلاد التي أجمع علماءها وعقلاؤها على أنهم ماسدوا الأمم بالأب التربية والتعليم — والاستفادة من ذلك لتكميل نفسه والاستعانة على نفع قومه الا الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فإنه قد سافر من قبل غير مرة لتعلم أفصح لغات القوم (الفرنسية) قلمها وأحسنها ووقف بها على أهم معارفهم التي تعينه على ترقية أمته . وقد ولي وجهه في هذه السنة شطر المدارس الكلية التي يتخرج فيها كبار الرجال ليعتبر شؤونها حتى إذا حقق الله تعالى له رجاءه بإيجاد مدرسة جامعة في هذه البلاد يكون على بصيرة في كيفية تأسيسها ونظامها كما يرشد إليه قوله تعالى «أفلم يسبروا في

الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، وكما قال الشاعر :

قد سلك الطريق ثم عادا ليخبر القوم بما استفادا

وقد سبق له رؤية المدارس الفرنسية العالية وكان في بعض اسفاره قد أخذ إذا من ناظر معارف فرنسا بأن يزور أي معهد من معاهد العلم في أي وقت شاء . ولما كانت التربية ونظام التعليم في البلاد الانكليزية مضامين عند علماء هذا الشأن من الفرنسيين على مثلها في سائر الممالك الاوربية سافر في هذه السنة لزياره أعظم مدارس هذه الدولة العظيمة وأعظمها كلية اكسفورد وكلية كبريدج

وقد ذكرت جرائد لوندرة هذه الزيارة وما كان من احتفال رجال العلم في اللندستين واجلالها للاستاذ واثنت الجرائد عليه بما هو أهله من العلم الواسع والعقل الكبير والهمة العالية وذكرت غير ذلك من قلبه في البلاد كزيارته للقياسوف بسنسر أعظم فلاسفة اوربا الاجتماعيين وتزوله ضيفا كريما على المستر ويفرديلت في قصر (كرايت بارك) . وقالت ان المستر كوكرزل قد سحج فضيلة في زيارة مدرسة اكسفورد وأن الاستاذ بويل المؤلف الشهير كان دليله لانه من معلمي التاريخ في تلك المدرسة وقالت انه لما زار مدرسة كبريدج خرج لاستقباله في الحطة طائفة من اساتذتها وان المستر ادوارد براون قد دعاه فيها الى طعام الغداء ودعا لاجله طائفة من الاساتذة وبعض المستشرقين وكبار المستخدمين وأنه تناول طعام المشاء في قاعة المدرسة الكبرى . وذكرت تفصيل الزيارة بما لاحاجة الى يانه هنا وقد تلخصته الجرائد اليومية المصرية وذكرت ثناء الجرائد الانكليزية على معارف الاستاذ الواسعة

وقد كتب الدكتور ادوارد براون استاذ اللتين العربية والفارسية في كلية كبريدج رسالة الى جريدة المؤيد ذكر فيها خبر الزيارة ونحو التفصيل الذي جاء في الجرائد الانكليزية ومما جاء في رسالته قوله كما في العدد ٤٠٤٣ من المؤيد :

«ولقد كان كل من في المدرسة فرحا مسرورا بزيارة هذا الرجل العالم العظيم . وأعجب بعلمه وفضله وسمو آرائه جميع العلماء والعظماء ونحووا لوقام بينهم منا طويلا . وفي اعتقادي ان فضيلة المفتي قد شرف الشرق وعلماءه في هذه الديار » اهـ

فالحمد لله الذي جعل فينا من ينتخز به أمام كبار رجال العلم في أوربا الذين يرون الشرق وأهله في ظلمات من الجهل لا يبهرون

وقد ذكرت الجرائد الانكليزية ان الماني سافر من انكلترا قاصدا فرنسا ليسافر منها الى تونس والجزائر . وهذا ما كنا علمناه من هنا قبل سفره . وقد كان لازما على ان ينهي الى بلاد اسبانيا (الاندلس) حيث كانت تلك الدولة العربية التي افاضت العلوم على أوربا فانتم منها التمسب فاقناها عن آخرها ولا ندري هل بقي من زمن اجازته ما يكفي لذلك أم يعود من تونس الى بلاده التي ظمئت له ارفه ؟ كان الله له وايداه بروحه حيث كان ، ومدق اجله حتى يرتقي بهذه الامة الى أعلى مافي عالم الامكان .

﴿ مكانة القسطنطينية بمكانها ﴾

لهذه المدينة بموقعها ومكانها امتياز على سائر بقاع الارض وهي أنها ملجأ وحسن بحري طبيعي لا نظير له في بحار الدنيا فطبيعة المكان توجب على صاحبه ان يكون صاحب قوة بحرية لاتساويها قوة كما توجب طبيعة الارض الحصبة على صاحبها ان يكون غنيا بزراعتها وصاحب الارض المدنية ان يكون غنيا بتجارته . فاذا أهمل صاحب الارض الحصبة زراعتها واشتغل عنها بشي آخر فان شرمة العمران تقضي بنزعها منه وقاضي الزمان ينفذ حكمها عند حلول الاجل الموافق له . وكذلك كل من قصر في استعمال ما وهبه له طبيعة الوجود

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته كذلك من لا يسوس الملك ينزعه لهذا قلنا في المقالة التي كتبناها في الجزء الحادي عشر إنه يجب على الدولة العلية أن تكون في مقدمة الدول البحرية بان تكون أساطيلها كاساطيل فرنسا وقتنا هذا إذ عجزت عن ذلك قلنا لافئدة لها من هذا الحصن قلتر كه طوعا بفائدة ثلاث تركه صرناها بدونها . واذا هي وفقت لذلك ولو بمدح من شرعها الذي يجب ان يكون عاجلا فانها بذلك تحفظ مجدها بل تيمد ما فقدت منه حتى تكون في مقدمة دول الارض (ان شاء الله) لان أساطيل كاساطيل فرنسا لها حصن عظيم كبحر مرمره يسهل ان يكون صاحبها ملك البرين (بري اوربا وآسيا) والبحرين (الابيض والاسود) ويصعب على من له قوة كقوة في البحر ان يناوئه فان صاحب الحصن البحري العظيم يلجأ عند الضيق بأساطيله الى حصنها حتى يأخذ أهبتيه يخرج مهاجما ومن لا حصن له لا ملجأ له فهو إما مغلوب وإما غير غالب

— موسيو روا الكاتب العام للدولة التونسية —

جاءنا من تونس أن قد صدر الامر بتثبيت موسيو روا في منصبه السامي بعد ما أشيع بان سينقل من تونس وقد سرت النابتة التونسية وجميع عقلاء المساجين من تثبيت بل كتب

البنان جميع التوسين قدسروا بذلك ولا غرو فان هذا الرجل قد خص بمنزلة عظيمة وهي القدرة على الجمع بين مصلحة أمته الحامية وبين رضاء الامة المحمية فهو على صدقة في خدمة فرنسا يخدم تونس وأهلها الخدمة التي ترضيهم عنه وعن قومه وتؤلف بين القلوب . ولو ان عند فرنسا كثيرا من مثله في الجزائر لأعلنت بحكمتهم المسألة التي يحثون دائما عن طريقة مرضية لحلها وهي كيف يكون كل فريق راضيا من الآخر مرضيا عنده . وقد بينا في مقالة سابقة أنه لا طريقة لذلك الا حسن المعاملة والجمع بين المصالحين وقد باننا ان موسيو روى يملك هذا الملك الحميد فني به تونس وفرنسا جميعا

البابية في بلاد فارس

جاء في بعض الجرائد الاوربية ان المسلمين في بلاد فارس قد احتوا على طائفة البابية وطفقوا يفتكون بهم ويسفكون دماءهم لاجل الخلاف الديني بينهم . وشبهت جريدة التيمس الانكليزية هذا التصب بقمصب الروسين على اليهود وذكرت من وصف البابية أنهم يقربون في عقائدهم من الاوربيين وشنت على الحكومة الايرانية لتقصيرها في حمايتهم وتقول ان قياس التيمس البابية على اليهود قياس غير صحيح فان اليهود أنحباب دين قديم تعترف به جميع الامم ولكن التصاري والمسلمين يقولون ان المسيح ومحمد عليهما السلام لسنا بهما أحكامهم وأقرابها فيجب عليهم الاخذ بأخريها داية جاء بها الوحي . وأما البابية فأنهم قوم ارتدوا عن الاسلام وأحدثوا لأنفسهم ديناً وضعيا مؤلفاً من أمشاج الوثنية والمدنية وهم يستخفون به ويظهرون في مظاهر اتفاق ليتمكنوا من تشكيك أهل كل دين في دينهم ولا يزال دينهم سرّاً ولذلك يتمكنون من مخادعة أهل كل دين ولا تمنعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم . ولقد علمنا من شاين غوين في مصر ان هذا طائفة أنهم لا يطلعون أحداً على كتبهم الاساسية كاليان للباب والكتاب المسمى بالكتاب الاقدس للبهاء حتى الداخل فيهم جديداً

وكيف تطالب حكومة إيران بأن تطاق الحرية تقوم بثيرون شغب الاهالي بادعائهم الاسلام في الظاهر ودعوة اناس للاعتقاد بالوهمية البهائية وعبادته في الباطن . اذا كانت الحرية الدينية في نظر التيمس محودة فهل تكرر التيمس ان بعض أفراد الحرية في بعض البلاد تأتي بأعظم المضرات . بماذا نتج انك ترا على عدم إطلاق الحرية في بلاد زنجبار ؟ أليست حجتها أضنف من حجة إيران في عدم إطلاق الحرية لهذه الطائفة التي تشكك العوام في عقائدهم وتبرأ منهم وتخرج أضفانهم بحيث يخشى ان تقع البلاد في الفتن والثورات

الداخلية ؟ بل ولكن التمس لم تقل مناقت حبا في الحرية وانما أرادت تنبيه حكومتها الى ان لها بابا مقنونا يسهل عليها ان تدخل منه الى ما عساها تحب الدخول فيه
اذا كان للخبر حقيقة فلا أرى الا ان منشأه للمشغبة بين دعاة الدين الجديد وعوام المسلمين كأن يقول البابي للمسلم ان ربك الهاء دفين عكا فيحتمي عليه ويقول كلا بل ربي الله الحي الذي لا يموت ولا يدفن وتنتهي المكالمة بالملاكمة فينتصر قوم هذا لهذا وطائفة ذلك له فكيف ترضى الحكومة بهذا ؟ وكيف تحاول جريئة التمس ان تطلب الفارسي المتدين باخلاق الانكليزي أو الفرنسي الذي لا يبالي بالدين ؟

ومن هنا علمنا ان فرقا آخر بين اليهود والبابية وهو ان اليهود لا يرضون لتفنيدين آخر ولا لدعوة الى دينهم بخلاف البابية فانهم يسيرون على الناس دينهم وليس من مصلحة الحكومة ان تبيح لهم ذلك من جهة السياسة فكيف والدين يوجب عليها منعهم من تشكيك عوام المسلمين في الاسلام . وقد علمنا بعد كتابة ما مر ان سبب الفتنة ان بعض البابية سب النبي عليه السلام علنا فأنقوا العلماء بقتله وهاج الناس ولجأ هو الى قتل روسا فتمنع من الناس ولكن الحكومة طلبته فسلمه القتل وشنق وكان ذلك مبدء الفتنة

أما زعم بعض المبرأين الاوربيين ان دينهم منتشر وان أتباعه صاروا يمدون بالملايين فهو من الكذب الذي ينقل عن البابية أنفسهم قاتا رأينا أحد دعاةهم في مصر يزعم ان منهم ملايين في إيران وملايين في الهند وقد سألتنا بعض الإبرانيين والمسيحيين عن ذلك فأنكروه وقالوا انهم في الهند يزعمون ان أتباعهم في مصر يمدون بالآلاف . وانما لم تر ولم نسمع ان أحدا من أهل مصر اتبعتهم وانما رأينا شايين من شذاذ الآفاق يمدحانهم ويهيجان بعض هذائهم ولكنهما ينكران الدخول في دينهم فهما من منافقيهم . لهذا الكذب نرى بعض الناس في شك من عددهم ومن كيفية نشأتهم فيايت أحد القراء الواقفين على تاريخهم من أهل إيران أو غيرهم يكتب لنا مجملا في تاريخهم من غير تخرج ولا ترجيح كما هو شأن المؤرخ النصف .

وانما نود ان نكتب مقالات مفصلة في بيان بطلان هذه الديانة ولكننا لا تقدم على ذلك الا بعد مطالعة كتابيها اللذين اشرنا اليهما آنفا اذ لا يصح ان نبني الحكم على ما سمعنا منهم لانهم في كل يوم يغيرون ويدلون قبايل أحد القراء في الهند وإيران بمن علينا يهذب الكتابين

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيسمعوا أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوى ودمناً كشار الطريق)

(مصر - الثلاثاء غرة وجب سنة ١٣٢١ - ٢٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٣)

الكرامات والحوارق

(المقالة الثامنة عشرة في انواع الحوارق وضروب التأويل والتعليل)

النوع الثاني عشر امساك اللسان عن الكلام وانطلاقه

لم يذكر السبكي أمثلة لهذا النوع ولو ذكر شيئاً منها لوضح الحق من خلاله
أشد من وضوحه بالبحث فيه من غير ذكر للوقائع التي سماها كرامات وحوارق
عادات. والظاهر أنه يعني بامساك اللسان وانطلاقه أن بعض الناس يحضر مجلس الرجل
الصالح فيريد الكلام فيحصر وتأخذ الحجة لسانه لما يروى من الهيبة والاجلال
ثم يزول ذلك بالانس أو البساطة. وهذا أمر يقع كل يوم من المعتدين مع الصالحين
ومن المرؤسين مع الرؤساء ومن أفراد الرعايا المهضومين مع الامراء . وما يقع منه

بين رجال الاديان ومن يعتقد رياستهم الروحانية من المقلدين كثير في كل أمة وملة ولكن كل فريق يمد هذا مزية له وكرامة من كراماته يجعل حال الآخر اذا العارف بأحوال الملل وشئون الناس لا يشتر ولا يستسلم للتصاري وأهلها فالآفة الكبرى هي الجهل والجهل سياج الدجالين ولذلك تراهم في كل ملة يبادون العلم وينهون عنه وزعمون أنه حجاب دون الدين ؛ ومفسد لمقائد المؤمنين ، ويصدفهم في ذلك الجاهلون ، ويتعصبون لهم على الذين يعلمون والذين يتعلمون.

❦ النوع الثالث عشر جذب القلوب النافرة ❦

لم يذكر السبكي لهذا مثالا أيضا وهو نحو الذي سبقه وأضعف منه فإن كثيرا من أهل الشهرة مانالوا شهرتهم الا يجذب القلوب وذلك أن في كل صنف من الناس من له هذه الخاصية فهم من يجتلب القلوب بمهابة ، ومنهم من يسحر الألباب ببلاغته ، ومنهم من يستحوذ على النفوس بقوة روحه وتوجيه ارادته ، ومنهم من يخدع بعض البسطاء بزيه وشارته ، وقد رأيت بمعنى كثيرا من الناس ناقلين على رجل من أهل الفضل مشكرين عليه نافرين منه مسيئين الاعتقاد به وقد حضروا مجلسه واحدا بعد واحد وما منهم الا وقد انجذب قلبه اليه وامتلا بهية وإعظاما له وصار من المتصين له اللاهجين بالتاء عليه . والسبب في ذلك ان التفور الأول كان لسوء ظن أحده سمع كلام الحاسدين ولما شاهدوا الرجل رأوه بالضد مما كانوا سمعوا وأفاضلا كثيرا وعلموا واسعا وأمارات تنطق بحسن القصد وإخلاص القلب من حيث كانوا يتوهمون خلاف ذلك فتحولت قلوبهم مرة واحدة . فهل قول ان هذا من باب الحوارق ونظمه في سلك الكرامات والسبب فيه معروف والملة ظاهرة ؟

حسب الماقل دليلا على قلة الناس بمسألة الكرامات ان يري العالم الاصولي منهم (كالناج السبكي) يمد ميل القلب الى شخص بمد النفرة منه كرامة له ، كأن الفتنة قد سحرت النفوس وأفسدت العقول وأعمت الابصار وأصمت السامع وساوت بين العالم والجاهل والذكي والتبي في عدم التميز بين المعتاد وخارق المادة والغفلة عن الوقائع المشابهة الماثلة في مثل هذا الامر التي تقع لمن يستقدون كرامتهم ومن يعتقدون كفرهم أو ابتداعهم . وفي طبقات السبكي كثير من هذه الوقائع يحكيها هو والمؤرخون

عن زعماء الفتن، ودعاة البدع، ومؤسسي المذاهب الباطلة، والطرق المعوجة الملتوية، وما رأيت في التاريخ أشد جذبا للنفوس، وتلاعبا بالقول من رجال طوائف الباطنية فقد كانوا يفعلون بالالباب ما لا تفعل الحرة، ويؤثرون في النفوس ما لا يؤثر عن فعل السحر، فان قال قائل: ان جذب أئمة الكفر وزعماء البدع قلوب بعض أتباعهم أو بعض الضعفاء للمستعدين لقبول ضلالهم هو من باب الاستدراج والاملاء ليستسلوا في غيهم حتى يأخذهم الله تعالى بالانتقام في الدنيا أو ببلوت الذي يسوقهم الى الانتقام في الآخرة. وأما أولياء الله تعالى فانهم يجذبون القلوب الى الحق ويؤثرون فيها تأثير الخير النافع وهذا كان جذبهم من الكرامة دون جذب غيرهم

ونقول في الجواب اننا نسلم بان ما ذكرتم يصح ان يعد كرامة اذا سلمت معنا بان الكرامة ليست من الحوارق الحقيقية وانما هي من الخصائص الشريفة النافعة فان أسرا يقل سببه وتعرف علته ووقع من جميع أصناف الناس ومن أهل كل ملة ودين لا يصح لمعاقل ان يحيطه من حوارق العادات التي تأتي على غير النظام المهود والسنن المطردة. ولكم بعد ذلك ان تأولوا ما يقع من ذلك للصالحين من أهل الملل الاخرى فانه يوجد في كل أمة الصالح والطالح كالا ينفى على النصف الخير

وانما نحثم الكلام في هذين النوعين - المهابة التي تمنع الكلام وجذب القلوب - بشي من العبرة بما كان لرؤساء الباطنية من الاحترام الروحي في نفوس أتباعهم ولم يصل الصوفية الصادقون الى مثل ذلك. قال المؤرخون: ان الحسن بن الصباح زعيم الاسماعيلية قد استهوى قلوب أتباعه واستحوذ على نفوسهم حتى كانوا يعطونه في السر والجهر ولو بما يذهب بأرواحهم. ولقد كان من أمره لما أرسل السلطان يطلب منه الطاعة ان دعا قرا من أتباعه وقال لاحدهم اقتل نفسك ففعل بدون توقف ولا تردد وقال لآخر: ارم بنفسك من هذا الحصن: فرمى بنفسه ومات. ثم التفت الى رسول السلطان وقال له: قل لمولائك هكذا يعطيني سبعون الفا من الرطيا الامناء: فن كان هذا شأنه وهذه منزله في نفوس أتباعه فكيف تكون مهابة في نفس من يحضر مجلسه وكيف يكون انجذاب القلوب المستعدة بفضله أو المستعدة لقبول عقيدته اليه ونحوهما عليه ؟؟

الصوفية الذين ينقل عنهم جذب القلوب والتسلط على نفوس المجالسين بالهيبة والوقار كانت سيرتهم على مقربة من سيرة زعماء الباطنية بل هم فرقة منهم وتأثيرهم من نوع تأثيرهم فالؤرخ لا يكاد يفصل بين هذا وهذا الا بالانتهاء للمذاهب المعينة كالاسماعيلية وغيرهم وأما كلامهم في الدين وتفسيرهم للقرآن والحديث فانه متشابه لانهم يقولون فيه أقوالا تنكرها اللغة وأساليبها وتأباه سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وحجة الفريقين فيها واحدة وهي الاطلاع على الحقائق الخفية، والوقوف اسرار الدين الروحانية، وقد سلم الناس لهم بذلك تسليما لاسيما بعد موت العلم بحمل الناس على التقليد وحظر الاخذ بالدليل عليهم فمن لا دليل له يسلم لكل من يعظم الناس أمره . وما رأيت في أمر الدين يسرى صنفهم صنف علماء الدين أعجب من تسليمهم لهؤلاء الباطنية الذين يدعون الولاية كل ما يقولونه وان لموافق تقاليدهم فهم يسلمون لهم القول المخالف بغير دليل ويحجرون على غيرهم المخالفة بالدليل . وانت تعلم ان مبنى علومهم كلها على الكشف وسباني الكلام عليه مفصلا في النوع الرابع عشر ولذلك جعلنا هذا المقالة مختصرة حتى تتمكن من جعل الكلام في الكشف في جزء واحد هذا - وقد كنت قرأت في بعض الجرائد ان رجلا دخل على أحد علماء الكهرباء وهو في عمله وبين يديه الآلات والبطاريات فحدث في الكهربية تأثر بدخوله لم يبق في ذهني ما هو ذلك التأثر الذي شوهه في الآلات فقال العالم للرجل أقبل فأقبل ثم قال له أدير فأدير فكان التأثر باقباله غير التأثر بادباره اذ كان أحدهما في الكهربية الايجابية والآخر في السلبية وكان لقرنه أشد التأثير. فاذا محبة الرواية فلا بد ان يكون هذا الاكتشاف مفتاحا لمعرفة أسرار كثيرة كسر الحب والبغض والتأثير في النفوس فان في كل أحد كهربية ويظهر انها في بعض الناس أقوى منها في بعض فلا يحب ان كان صاحب الكهربية القوية يؤثر في صاحب الكهربية الضعيفة وان يكون لتوجيه الارادة والهمة عملا في قوة التأثير ولا مانع من أن يكون لاختلاف الكهربية في الشخصين شأن في الحب والبغض فقد يبصر الانسان الجمال البارع في شخص ويمقته بلا سبب ظاهر مع اعترافه بجماله وقد يمشق ولا جمال . ومن الناس أفراد يستقلهم كل أحد وأفراد يحبهم كل من عرفهم ويعبر الناس عن سبب الحب في هؤلاء بالجاذبية يقولون فلان

ذو جاذبية وفلاحة ذات جاذبية ويصفونهم بخفة الروح وخفة الدم . ومن الناس من يهاهم كل من يحالهم وان كان من أقرانهم ولعل للكهربائية أثر في كل ذلك تظهره الايام ويكتشفه العلماء . فأين حديث الخوارق الكونية ، من هذه الملل الطبيعية ، ولا يهولن القارى تأثير الانسان في الآلات الكهربائية فقد ثبت ان للسانير تأثيرا عجيبا فيها تنهوا الى هذا حين ثبت ان قطا وقف على سلك من أسلاك المسرة (التليفون) فأبطل عمله . فان قلت انه متأثر فيه بالاتصال به فكيف يؤثر الانسان في كهربائية لم يتصل بالآلة ؟ أقول لايمد ان ينتقل التأثير بواسطة كهربائية الجو أو الهواء أو الاثير ونحن في عصر يغاطب الناس فيه بالكهربائية من غير واسطة الاسلاك وهو مايسمونه (تلفراف ماركوني) فهل يليق بأهل هذا العصر ان يقدوا والميتين من بضع مئين من السنين أو أكثر في مزاعم غريبة عن العقل غير قرية من الشرع ، ويقولوا مع ذلك ان عقولهم أرقى من عقولنا ، وعلومهم أغزر من علومنا ، كلا انما يرضى بهذا من احتقر نعمة الله على أهل عصره ، وسجل الخزي والحسار على نفسه ، فانكر كرامة الله له ليثبت كرامته لآخرين ، وخسر بجهله الدنيا والآخرة وذلك هو الحسran المبين

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

لما نصرنا تلك المحاورات بين المصلح والمقلد في بحث الاجتهاد والتقليد ووحدة الامة الاسلامية في المجلدين الثالث والرابع من المأركتب اليانبعض الفضلاء من قراء المأركتب البحرى يألنا : هل اطلمت على كتاب اعلام الموقعين للإمام ابن القيم ؟ فأجبناه اننا لم نطلع عليه ولكننا رأينا في بعض الكتب نقلا عنه عرفنا به مكانته . فكتبنا ثانيا ان فيه مناظرة بين مقلد وصاحب دليل كالنظرة التي نعرضوها واننا سنرسل اليكم نسخة منه ولم يلبث ان أرسلها وكانت مقالات المحاورات قد تمت . وقد رأينا الآن ان نشر هذه المناظرة أيضا لان هذا المبحث أهم الباحث والاجتهاد ركن من أركان الإصلاح بل هو أقوى أركانه . ولقد أورد المصنف شبه المثل كلها سردا ثم ذكر جميع متبع الدليل الناهضة والناقضة لاقوال المقلد وشبهه واحدة بعد واحدة وتلك ترك شبهات المقلد خشية التكرار وينتديء بالحجج فتقول : قال المؤلف رحمه الله تعالى وقتنا به :

(قال أصحاب الحجة) عجا لكم معاشر المقلدين الشاهدين على أنفسهم مع شهادة أهل العلم بأنهم ليسوا من أهله ولا ممدودين في زمرة أهله كيف ابطالتم مذهبكم بفساد دليلكم بما للمقلد وما للاستدلال وأين منصب المقلد من منصب المستدل وهل

ذكرتم من الأدلة الاثباتية استرتموها من صاحب الحجة فتجملتم بها بين الناس وكنتم في ذلك متشبهين بما لم تخطوه ، ناطقين من العلم بما شهدتم على أنفسكم أنكم لم تؤتوه ، وذلك ثوب زور لبستموه ، ومنصب لستم من أهله غصبتموه ، فأخبرونا هل صرتم الى التقليد لدليل قادكم اليه ، ویرهان دلكم عليه ، فزلمتم من الاستدلال أقرب منزل ، وكنتم به عن التقليد بمنزل ، أم سلكتم سبيله اتفاقاً ونحمتنا من غير دليل ، وليس الى خروجكم من أحد هذين القسمين سبيل ، وأيهما كان فهو بفساد مذهب التقليد حاكم ، والرجوع الى مذهب الحجة منه لازم ، ونحن ان خاضبناكم بلسان الحجة قلتم لنا لسنا من أهل هذه السبيل ، وان خاطبناكم بحكم التقليد فلا معنى لما قلتم من الدليل ، والمحب ان كل طائفة من الطوائف وكل أمة من الامم تدعي انها على حق حاشا فرقة التقليد فانهم لا يدعون ذلك ولو ادعوه لكانوا مبطلين فانهم شاهدون على أنفسهم بأنهم لم يعتقدوا تلك الاقوال لدليل قادم اليه ، ویرهان دلهم عليه ، وانما سبيلهم محض التقليد ، والمقلد لا يعرف الحق من الباطل ، ولا الحالي من العاطل ، وأعجب من هذا ان أنتمم نهوهم عن تقليدهم فصوصهم وخالفوهم وقالوا نحن على مذهبهم وقد دانوا بخلافهم في أصل المذهب الذي ينو عليه فانهم بنوا على الحجة ونهوا عن التقليد وأوصوهم اذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه بخلافهم في ذلك كله وقالوا نحن من أتباعهم ، تلك أمانيتهم وما أتباعهم الا من سلك سبيلهم واتفق آثارهم في أصولهم وفروعهم . وأعجب من هذا أنهم مصرحون في كتبهم ببطلان التقليد ونحريمه وانه لا يحل القول به في دين الله ولو اشترط الامام على الحاكم ان يحكم بمذهب معين لم يصح شرطه ولا توليته ومنهم من صحح التولية وأبطل الشرط . وكذلك المقتي يحرم عليه الاقواء بما لا يعلم صحته باتفاق الناس والمقلد لا علم له بصحة القول وفساده اذ طريق ذلك مسدودة عليه . ثم كل منهم يعرف من نفسه انه مقلد لمتبوعه لا يفارق قوله ويترك له كل ما خالفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب أو قول من هو أعلم من متبوعه أو نظيره وهذا من أعجب المحجب

(وأيضاً) قلنا لعل بالضرورة انه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلاً منهم يقلده في جميع أقواله فلم يسقط منها شيئاً وأسقط أقوال غيره فلم يأخذ منها شيئاً .

ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن في التابعين ولا تابعي التابعين فيكذبنا المقلدون برجل واحد سلب سيلهم الوخيمة في القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانما حدثت هذه الفتنة في القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم فالمقلدون لم يتبعو عيهم في جميع مناقله يبيحون به الفروج والسماء والاموال ويحرمونها ولا يدرون اذلك صواب أم خطأ على خطر عظيم ولهم بين يدي الله موقف شديد يعلم فيه من قال على الله ما لا يعلم انه لم يكن على شيء.

(وأينما) فقول لكل من قد واحد من اناس دون غيره : ما قلني خص صاحبك ان يكون أولى بالتقليد من غيره ؟ فان قل لانه اعلم أهل عصره وربما فضله على من قبله مع جزمه الباطل أنه لم يجزى بعده اعلم منه . قيل له : وما يدريك . ولست من أهل العلم بشهادتك على نفسك أنه اعلم الأمة في وقته فان هذا انما يعرفه من عرف المذاهب وادلتها وراجحها ومرجوحها فالأعمى وقد الدراهم . وهذا أيضا باب آخر من القول على الله بلا علم .

وقال له (ثانيا) فأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعائشة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم اجمعين من أصحابك بلا شك فهلا قلدهم وتركته بل سعيد بن المسيب والشعبي وعطاء وطاوس وامتألم اعلم وأفضل بلا شك فلم تركت تقليد الاعلم والافضل الاجمع لادوات الخبر والعلم والدين ورغبت عن أقوالهم ومذاهبهم الى من هو دونه . فان قال : لان صاحبي ومن قلده اعلم به مني فتقليدي له أوجب على مخالفة قوله لقول من قلده لان وفور علمه ودينه ينمعه من مخالفة من هو فوقه واعلم منه الادلل صار اليه هو أولى من قول كل واحد من هؤلاء : قيل له : ومن أين علمت ان الدليل الذي صار اليه صاحبك الذي زعمت أنت أنه صاحبك أولى من الدليل الذي صار اليه من هو اعلم منه وخير منه أو هو نظيره . وقولان مما متافضان لا يكونان صوابا بل احدهما هو الصواب ومعلوم ان ظفر الاعلم الافضل بالصواب أقرب من ظفر من هو دونه : فان قلت : علمت ذلك بالدليل فهنا اذا قد انتقلت عن منصب التقليد الى منصب الاستدلال وأبطلت التقليد

ثم يقال لك (ثالثا) هذا لا ينفعك شيئا البتة فيما احتاف فيه فان من قلده ومن قلده غيرك

قد احتفظ وصار من قلده غيرك الى موافقة أبي بكر وصر أوعلي وابن عباس وأعائشة وغيرهم دون من قلده فهلا نصحت نفسك وهديت لرشدك وقلت هذان عالمان كبيران ومع احداهما من ذكر من الصحابة فهو أولى بتقليدي إياه.

وقال له (رابعا) إمام بامام ويسلم قول الصحابي فيكون أولى بالتقليد.

وقال (خامسا) إذا جاز أن يظفر من قلده يعلم خفي على عمر بن الخطاب وعلى علي بن أبي طالب وعبد الله ابن مسعود ودونهم فأحق وأحق فأجوز وأجوز أن يظفر لظيره ومن بعده يعلم خفي عليه هو فإن النسبة بين من قلده وبين لظيره ومن بعده أقرب بكثير من النسب بين من قلده وبين الصحابة. والخفاء على من قلده أقرب من الخفاء على الصحابة.

ويقال (سادسا) اذا سوغت لنفسك مخالفة الانضل الاعلم قول المفضل فهلا سوغت لها مخالفة المفضل لمن هو أعلم منه وهل كان الذي ينبغي وبجبال العاكس ما ارتكبت ويقال (سابعا) هل أنت في تقليد امامك واباحة الفروج والدماء والاموال وتقلها عن من هي بيد الله غير موافق لامر الله أو رسوله أو اجماع أمته أو قول أحد من الصحابة ؟ فان قال : نعم : قال ما يعلم الله ورسوله وجميع العلماء بطلانه وان قال : لا : فقد كفانا مؤثته وشهد على نفسه بشهادة الله ورسوله وأهل العلم عليه .

ويقال (ثامنا) تقليدك لتبوعك يحرم عليك تقليده فانه هناك عن ذلك وقال لا يحمل لك ان تقول بقوله حتى تعلم من أين قاله ونهاك عن تقليده وتقليد غيره من العلماء فان كنت مقلدا له في جميع مذهبه فهذا من مذهبه فهلا اتبعت فيه .

ويقال (ثامنا) هل انت على بصيرة في أن من قلده أولى بالصواب من سائر من رغب عن قوله من الاولين والآخرين أم لست على بصيرة ؟ فان قال : أنا على بصيرة : قال ما يعلم بطلانه . وان قال : لست على بصيرة : وهو الحق قيل له : فما عذرك غدا بين يدي الله حين لا ينفك من قلده بحسنة واحدة ولا يحمل عنك سيئة واحدة اذا حكمت وأقيمت بين خلقه بما لست على بصيرة منه هل هو صواب أم خطأ .

ويقال (حادي عشر) هل تقول اذا أقيمت وحكمت بقول من قلده : ان هذا هو دين الله الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وشرعه لعباده ولادين له سواء أو تقول : ان

دين الله الذي شرعه لعباده خلافة؟ أو تقول: لأأدري؟ ولا بذلك من قول من هذما الاقوال ولا سبيل لك الى الاول قطعا فان دين الله الذي لا دين له سواء ولا تسوخ مخالفته (١) وأقل درجات مخالفته ان يكون من الآئمين والثاني لا تدعيه فليس لك ملجأ إلا الثالث .
فيا لله العجب كيف تستباح الفروج والدماء والاموال والحقوق وتحلل وتحرم بأمر أحسن أحواله وأفضلها؟ لأأدري :

فان كنت لا تدري فذلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم
ويقال (ثاني عشر) على أي شيء كان الناس قبل ان يولد فلان وفلان وفلان الذين قلدتموهم وجعلتم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع وليتكم اقتصرتم على ذلك بل جعلتموها أولى بالاتباع من نصوص الشارع؟ أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو على ضلالة؟ فلا بد من أن تقرروا بأنهم كانوا على هدى فيقال لكم قفا الذي كانوا عليه غير اتباع القرآن والسنة والآثار وتقديم قول الله ورسوله وآثار الصحابة على ما يخالفها والتحاكم اليها دون قول فلان أو رأي فلان؟ وإذا كان هذا هو الهدى فإذا بدا الحق الا الضلال فاني توفكون؟ فان قالت كل فرقة من المقلدين وكذلك يقولون: صاحبنا هو الذي ثبت على ماضى عليه السلف واقتفى منهاجهم وسلك سبيلهم: قيل لهم : فمن سواء من الأئمة هل شارك صاحبكم في ذلك أو انفرد صاحبكم بالاتباع وحرمه من عداء فلا بد من واحد من الأمرين؟ فان قالوا بالثاني فهم أضل سبيلا من الأئمة وان قالوا بالاول فيقال فكيف وقفت لقبول قول صاحبكم كله ورد قول من هو مثله أو اعلم منه كله فلا يرد لهذا قول ولا يقبل لهذا قول حتى كأن الصواب وقف على صاحبكم والخطأ وقف على من خالفه ولهذا أنتم موكولون بنصرتة في كل مقاله وبالرد على ما خالفه في كل قاله وهذه حال الفرقة الاخرى معكم .

ويقال (ثالث عشر) فمن قلدتموه من الأئمة قد نهوكم عن تعقيدهم فأنتم أول مخالف لهم . قال الشافعي : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تدغوه وهو لا يدري: وقال أبو حنيفة وأبو يوسف : لا يحل لاحد ان يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلناه . وقال أحمد : لا تقلد دينك أحدا :

(١) هكذا الاصل ولله سقط شيء هنا كقوله « هو كتابه وستة رسوله »

ويقال (رابع عشر) هل أنتم موقنون بأنكم غدا موقوفون بين يدي الله وتسألون عما قضى به في دماء عباده وفروجهم وابتشارهم وأمواهم وعما أقيمت به في دينه محرمين ومحللين وموجبين؟ فنقولهم نحن موقنون بذلك . فيقال لهم : فإذا سألكم من أين قلتم ذلك فإذا جوابكم؟ قلنا قلتم: جوابنا أنا حللنا وحررنا وقضينا بما في كتاب الأصل لمحمد بن الحسن مما رواه عن أبي حنيفة وأبي يوسف من رأي واختيار، وبما في المدونة من رواية سحنون عن ابن القاسم من رأي واختيار ، وبما في الام من رواية الربيع من رأي واختيار ، وبما في جوابات غيره هؤلاء من رأي واختيار ، وليتكم اقتصرتم على ذلك أو صدمتم اليه أو سمعتمكم نحوه بل نزلتم عن ذلك طبقات - فإذا سئلتهم هل قضى ذلك عن أمري أو امر رسولى فإذا يكون جوابكم اذا؟ قلنا أمكنكم حيثذا ان تقولوا: فعلنا ما أمرتنا به وأمرنا به رسولك فزمت وتخلصتم وان لم يمكنكم ذلك فلا بد ان قولوا لم تأمرنا بذلك ولا رسولك ولا أنتم ولا بد من أحد الجوابين وكان قد .

ويقال (خامس عشر) اذا نزل عيسى بن مريم إماما عادلا وحكما مقسطا فمذهب من يحكم ويرأى من يقضى ومعلوم انه لا يحكم ولا يقضى الا بشرية نبينا صلى الله عليه وآله وسلم التي شرعها الله لمياده فذلك الذي يقضى به احق وأولى اناس به عيسى ابن مريم هذا الذي أوجب عليكم ان تقضوا به وتفتوا . ولا يحل لاحدان يقضى ولا يقضى بشي سواه البتة . فان قلتم : نحن وأنتم في هذا السؤال سواء . قيل : أجل ولكن تفرق في الجواب فتقول . ياربنا انك لتعلم اننا لم نجعل أحدا من الناس عيارا على كلامك وكلام رسولك ونزد ما نازعنا فيه اليه . وتحاكم الى قوله وتقدم أقواله على كلامك وكلام رسولك وكلام أصحاب رسولك وكان الخلق عندنا أهون أن تقدم كلامهم وآراءهم على وحيك بل أقتينا بما وجدنا في كتابك وبما وصل إلينا من سنة رسولك وبما أفتى به أصحاب نبيك وان عدلنا عن ذلك خطأ منا لا عهد . ولم نتخذ من دولك ولا دون رسولك ولا المؤمنين وليجة ، ولم نفرق ديننا ونحن شيما ، ولم نقطع أمرنا بيننا زيرا . وجعلنا أمتنا قدوة لنا ووسائط بيننا وبين رسولك في قتلهم ما بلغوه إلينا عن رسولك فاتبناهم في ذلك وقلدناهم فيه اذا أمرتنا انت وأمرنا رسولك بأن نسمع منهم وقبل ما بلغوه عنك وعن رسولك فسمعناك ولرسولك

وطاعة (١) ، ولم تخذهم أرباباً تتحكم إلى أقوالهم ومخاصم بها ونوالي ونماذي عليها بل
عزضنا أقوالهم على كتابك وسنة رسولك فما وافقهم قبلناه، وما خالفهما أعرضنا عنه
وتركناه ، وإن كانوا أعلم منك ورسولك فمن وافق قوله قول رسولك كان أعلم
منهم في تلك المسئلة فهذا جوابنا ، ونحن نناشدكم الله هل أنتم كذلك حتى يمكنكم هذا
الجواب بين يدي من لا يدل القول لديه ، ولا يروج الباطل عليه ، (لها جية)

باب الاسئلة والاجوبة

(س١) خطبة الجمعة بالأبجدية — الشيخ عبد الحق الاعظمي خطيب المسجد ذي
المناجات في بجي (الهند) : هل يجوز المدول عن تلاوة خطبة الجمعة باللسان العربي
إلى لسان البلد التي تقام فيه الجمعة حتى ينتفع بها الموم ويحصل منها الارشاد المطلوب
فان بتلاوتها بالعربية على أعجم لا يرفون هذه اللغة فوات لفائدتها وهو ايصال الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر إلى افهامهم وتمكين آثار الوعظ في قلوبهم وانني
في كل اسبوع اشي خطبة وألقيا يوم الجمعة على مئات من المسلمين وبعد الجمعة أسأل
المتعلمين منهم الذين مارسوا اللغة العربية هل فهمت ما تلوته على المثير فيقولون لم نفهم الاكليات
قليلة لاننا وان كنا قرأنا قوانين اللغة العربية وعلومها الا أننا لانفهم ما يقرأ عليناها
اللهم الا اذا نحن قرأناه وتأملناه ملياً قاسف على تعبي في انشاء الخطبة فاردت ان اخطب فيهم
بلغتهم الاوردية مع ذكر اركان الخطبة بالعربية فهل ورد في السنة وآثار السلف ما يمنع من ذلك
ويحتم اداءها كلها بالعربية وان لم يفهمها حاضرو الجمعة كلهم أو جلهم وبماذا كان يحضرب
الصدر الاول في بلاد الاعاجم التي اقتحوها

(ج) قد يتنا غير مرة ان معرفة اللغة العربية واجبة على كل مسلم لان فهم الدين
واقامة شعائره واداء فرائضه كل ذلك موقوف على فهم هذه اللغة ولا تصح الا بها
وخطبة الجمعة من أقلها تأكيداً وثبوتاً وان كانت من أكبر الشاؤم فائدة . وقد كان
الذين يدخلون في الاسلام من الاعاجم على عهد الصدر الاول يادرون الى تعلم اللغة
العربية لاجل فهم القرآن والسنة والارتباط بصلة اللغة التي لا تحقق وحدة الامة بدونها

(١) المظر : محمد ان الله يوغذهن الابجتهمو ما ينتقلوه عن الشارع لا تراؤهم

وكان الصحابة يخطبون الناس باللغة العربية في كل بلاد يقتحمونها وما كان يمر الزمن الطويل على بلاد يدخلونها الا وتحول لفتحها الي لفتحهم في زمن قصير بتأثير روح الاسلام، لا بالترغيب الدنيوي ولا بقوة الالتزام، ولو كانوا يرون اقرار من يدخل في دينهم من الامم الاعجمية على لغاتهم لبادروا هم الى تعلم لغات تلك الامم واقاموا لهم فرائض الدين وعباداتها وبقي الروماني ورومانيا واثارسي فارسيا وحلم جراً

وان التفريق الذي نراه اليوم في المسلمين باختلاف اللغات هو من سيئات السياسة ومناسدها الكبرى واذا لم ترجع الدولتان العثمانية والارمنية الى السعي في تميم اللغة العربية في مملكتيهما فسيأتي يوم تدمان فيه واننا لانعد باصلاح في الهند ولا بغيرها من بلاد المسلمين ما لم يحل ركن التسليم الاول تعلم العربية وجعلها لغة العلم لا يصعب عليك ان تجد عند الخنفة وجها لجواز الخطبة بامنة من تخطبهم لاجل حصول المقصود من الخطبة كما جوزوا كون القاضي والمفتي من المقلدين خلافاً لمصوص المذهب بل المذاهب كلها في اشتراط كونهما مجتهدين وكما جوزوا كون القاضي جاهلاً وفاسقاً وكما جوزوا صلاة الجمعة في الامصار التي ليس فيها حاكم ينفذ الاحكام الشرعية وكما جوزوا اقامة من ليس مستوفياً لشروط الامامة وغير ذلك من الاحكام التي جوزوها للضرورة . وليس معنى جواز الشيء للضرورة ان يترك الاصل ويرضى الناس بالضرورة الى ابد الابد وانما معناه ان يأخذوا بالاستعداد لاقامة الحق والرجوع الى الاصل مع الاتيان بالشيء ناقصاً وذلك بأن يترخصوا بترك بعض الشروط فيه مع الجهد في تحصيلها الى أن تم الشروط ويستقر كل شيء في نصابه والا كان لنا أن نترك الدين كله أو نحوله عن وجهه تمللاً لضرورات التي تحكم فيها الاهواء كانشاء

قلت ان خطبة الجمعة أهون من غيرها لانها غير مجمع على وجوبها فان من السالف من قال انها مندوبة كخطبة العيد فاذا اقيمت أركانها الاصلية بالعربية وزيد فيها شيء من الوعظ بلغة أخرى للحاجة لا يخل ذلك بصحة الصلاة ولا بصحة الخطبة ولكنه يدخل في الشعائر الاسلامية تشويهاً بخشي ان يصير مستمراً .

وليست المصيبة في عدم فهم الخطبة أقوى من المصيبة في عدم فهم الفاتحة وغيرها من السور والآيات التي تقرأ في الصلاة ، اللهم اجزم من نصرنا وانهم على لغة كتابك

حتى حالوا بينه وبين عبادك بما يستحقون فقد صارت صلاة المسلمين تقليدية محضة لا روح فيها كصلاة كثير من أهل الملل الأخرى

ويسهل على السائل أن يترجم خطبة النافعة بلفظ القوم ويقرأ عليهم الترجمة بعد الصلاة ليتفعوا بها ويتحسروا لعدم فهمهم أصلها العربي في إقامة الشعائر الدينية لهم لم يرجعوا والسائل يعلم أن المسلمين ما زالوا يخطبون بالعربية في جميع بلاد الأعاجم لملاحظتهم ما قلناه لم يخالف في هذا سني ولا شيعي . وقد عد بعض الحنفية الضرورة التي تجبز المدول عدم وجود خطيب يحسن العربية حتى يوجد وقالوا لا بد من السعي في إيجاده . قال شارح الأحياء : وهل يشترط كون الخطبة كلها بالعربية وجهان الصحيح اشتراطه فإن لم يكن فهم من يحسن العربية خطب بغيرها ويجب عليهم التعلیم والأصوات والأصوات لهم : يعني أن الضرورة لا يجوز أن تجعل مستمرة بل يجب السعي في إزالتها . ونحن نقول يجب عليهم تعلم العربية ليفهموا الخطبة وما هو أهم من الخطبة كالفاتحة وسائر الأذكار والصور فإن لم يفعلوا كان عاصين ولا صلاة لهم ولا قراءة لهم وإنما لهم الصور التي لا تؤثر في القاب ولا تزيك النفس وما كان كذلك فلا تأثير له في سعادة الآخرة ولا في سعادة الدنيا والله أعلم

(س ٢) حد اللواط — ومنه : ما الحكمة في أن الشارع لم ينص على حد اللواط مع منافاته لأصل الطبيعة وفضاعته عند سائر الأمم من قديم الأزمان وأنه يحدث أمراضاً خطيرة حسية ومنوية فيضعف النفوس ويحط الهمة ويهدم مستقبل صاحبه ويسم بميسم القتل والشارع وبالله يغشوف في هذا الزمان في كثير من البلدان مع انتشار العلم وكثرة الكتب وقدم فن الطب واستتارة الأفكار حتى لقد كاد أن يكون منبعه في منابع العلم كالمدارس ونفوسه بين أرق الطبقات كالولاد الأغنياء وبين المتقطين للعبادة المزهدين المتسكبين كسكنة التكايا والأديار وغيرها

(ج) ليست الشريعة محصورة في جلود كتب الحنفية فقد ورد في اللواط من التشديد والمعقوبة في السنة نحو ما ورد في الزنا وورد فيه عن الصحابة القتل والرجم والاحراق بالنار . أما الوارد في القرآن فالجمل منه يشمل الفاحشيتين والتفصيل جاء في الزنا ومن العلماء من قال أنه يشمل اللواط . أما كون الجمل وأردنا في الفرية بين فهو أنه تعالى قال ولا

«وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ» الآية ثم قال «وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا» الآية فتنبه الذي لا يجوز أن يراد بها الرجلان اللذان يزنيان لأنها تكون لفوا قتمين أن يراد بها قاعلا اللواط أو الزاني واللاط كما قال مجاهد وأبو مسلم وغيرهما وبه أخذ الشافعي . وهذا الإيذاء مجمل بينه السنة

قال عليه الصلاة والسلام : « من وجدتموه يعمل بمعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول » . رواه أحمد وأصحاب السنن والدارقطني والحاكم والبيهقي والفتاوى عن ابن عباس . وفي رواية لاحد عنه « اقتلوا الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط والبيمة والواقع على البيمة ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه » وقال ص : « أرجوا الأعلى والأسفل أرجوها جميعا » . رواه ابن ماجه عن أبي هريرة وقال ص : « من عمل قوم لوط فارجوا الفاعل والمفعول به » : الحاكم عن أبي هريرة وروى مثل ذلك عنه الحرانطي في مساوي الاخلاق وابن جرير

هذا بعض ما ورد في الاخبار وأما الآثار فقد زوى الشافعي وابن أبي شيبة وسعيد ابن منصور في سنته وابن أبي الدنيا في ذم الملاحى والبيهقي عن يزيد بن قيس أن عليا رجم لوطيا . وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاحى وابن المنذر وابن بشران والبيهقي عن محمد بن المتكدر أن خالد بن الوليد كتب الى أبي بكر الصديق انه وجد رجلا في بعض ضواحي بلاد العرب ينكح كما تنكح المرأة وان ابا بكر جمع لذلك ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم علي ابن أبي طالب اشدّهم يومئذ قولا فقال ان هذا ذنب لم تعمل به أمة من الامم الا أمة واحدة فصنع بها ما قد علمتم أنى ان تحرقوه بالنار : فكتب اليه أبو بكر ان يحرق بالنار . وروى الطبراني عن سالم بن عبد الله وأبان بن عثمان وزيد بن حسن ان عثمان بن عفان اتى برجل قد جف بفلان من قريش فقال عثمان : أحسن ؟ قالوا قد تزوج امرأة ولم يدخل بها بعد فقال علي لثمان لو دخل بها لحل عليه الرجم فأما اذا لم يدخل بها فاجلده الحد . فقال أبو أيوب أشهداني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذي ذكر أبو الحسن . فأمر به عثمان فجلد . وهذا الاثر أقوى من الذي قبله وأما أقوال السلف والفقهاء في ذلك فقد جاء في الزواجر من ذلك ما نصه :

« قال البغوي اختلف أهل العلم في حدالوطي فذهب قوم الى ان حدالفاعل حد الزنا

ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مئة وهو قول ابن السيب وعطاء والحسن وقادة والتخفي وبه قال الثوري والاوزاعي وهو أظهر قولي الشافعي ويحكى أيضا عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وعلى المصنوع عند الشافعي على هذا القول جلد مئة وتقريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا كان أو غير محصن . وذهب قوم الى ان اللوطي يرجم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وروي عن الشعبي وبه قال الزهري وهو قول مالك واحمد واسحق . وروى حماد بن ابراهيم عن ابراهيم (يعني التخفي) قال لو كان احد يستقيم ان يرجم مرتين لرحم اللوطي . والقول الآخر للشافعي انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في الحديث ١٠هـ :

ثم قال صاحب الزواجر : « قال الحافظ المنذري حرق الاوطية بالنار أربعة من الخلفاء أبو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهشام بن عبد الملك » : ثم ذكر ما كتبه خالد الى أبي بكر وقد تقدم أيضا

امام اوردي وعبد قاهر هذه الفاحشة فكثير وقد شنع ابن حجر على من يأتهم من المترفين ، ولعنهم كما لعنهم جميع المؤمنين ، وقد وصفوا من شناعة هذه الجريمة ولكنهم لم يذكروا أعظم مضرة لها ، وأقبح غائلة ، من غوائلها ، وهي إفساد البيوت فقلما يوجد حديث للوطي طاهر من الفسق وانما يلم الفسق كبارهم وصغارهم نساء واطفالهم . ومع هذا كله نرى اناسا في هذه المدينة يُزَنُّون بالهانات ، ويغلبون حب البنين على البنات ، وهم يصفون انفسهم بأنهم من الادباء والشعراء وتستخدمهم الحكومة ويحترمهم سائر الناس قبا لهذه الاخلاق ، ولهؤلاء الجناء الذين ليس لهم خلق ،

واما سبب فشوق هذه الفاحشة فيمن ذكرتم فسيب الترف وتباع خطوات مدنية أوروبا في التمتع بالشهوات واللذات واما فشوق في المدارس ونحوها فسيب بعد الرجال هناك عن النساء وتندر الانضاء اليهن . وليس لهذه المفسدة وأمانها علاج الا التربية الدينية الصحيحة وكأله باقاة الحدود والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(٣) التأمين على المال — ومنه : كيف يجري المسلم عقد السكرتاه (التأمين على المال وغيره) مع الذمي على غير اساس شرعي وكيف يستحل ماله فهل يمكن استخراج أصل شرعي يستأنس به ؟

(ج) قد أنشأنا هذا السؤال لكثيرون من أهل مصر ومن غيرهم واستكتب في ذلك في فرصة

أخرى بعد شرح حقيقة هذه الحاصلات

(س٤) كينالاروش - الحاج احمد بن عبد الله باحدى محاكم (ستريت ستامنت - سنغافوره) :
مفلوكم سادني أدام الله النفع بكم للانام في الله والاعلمروف بكينالاروش هل يجوز التداوي به
ام لا فاني كثير اصابته من انه (واالله أعلم) ممزوج ببعض المسكرات غير اني رأيت كثيرين
مدوا به من استعماله وللوقوف على الحقيقة أحيث ان أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجيا
منكم نشره في أحسن أعداد الدار والجواب عنه بلا أو نعم ليقف عليه كل من يريد
الاستفهام عنه ودمتم وعناية المولى تراكم :

(ج) نعم يجوز استعماله ان احتاج اليه فانه ليس مسكرا في نفسه ولا يجب على المريض
البحث عن الادوية التي يصفها له الطيب يعرف هل فيها جزء من بعض المسكرات أم لا وإذا
عرف ان فيها شيئا من ذلك فلا يحرم عليه استعمالها إذا احتاجه للتداوي وانما يحرم عليه شرب
المسكر لانه مسكر. وانما حرموا القليل من الخمر لأنه يدعو الى الكثير كما ثبت ذلك نظرا
واستدلالا وتجربة في كل زمان ومكان فشارب القليل لأجل اللذة والنشوة عاص ومته الى
الفسق بما يحرمه ذلك الى الاكثار وليس في شرب الدواء الذي فيه جزء من مسكر
لأجل التداوي بالمقدار الذي يعينه الطيب سكر ولا قصد الى السكر ولا خوف من
الوقوع فيه

(س٥) صلاة مكشوف الرأس - محمد اقسدي حلبي كاتب سجن حلغا : رجل
شافني المذهب يصلي مكشوف الرأس مع وجود عمامة وطرايش عنده فهل يجوز ذلك ؟
(ج) لا يشترط لصحة الصلاة من الملابس الا ما يستر العورة وهي عند الشافعية
ما بين السرة والركبة فصلاة من ذكر صحيحة ولكن الله تعالى أمرنا بالتجمل عند الصلاة
بقوله « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ومن التجمل والزينة في عرف الاسلام ستر
لرأس بالعمامة وقد استبدل بها كثير من المسلمين غيرها كالطربوش فستر الرأس في
الصلاة مطلوب شرعا وتركه مذموم الا لعذر وهو من شعائر النصارى

(س٦) تمثل جبريل النبي ص - ومنه : هل رأى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام
جبريل عيانا وهل كان يحيطه بصورة أحد الصحابة وإذا كان هذا صحيحا فما الدليل عليه ؟
(ج) جبريل هو الروح القدس الذي كان ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وآله

وسلم وكما جاء في الآيات ما يدل على ان النزول كان روحانيا كالتميع بالنزول على القلب ورد فيها ان النبي رأى جبريل وفي ذلك نزل قوله تعالى « علمه شديد القوى » الى قوله « ولقد رآه نزلة أخرى » ولكمهم قالوا ان هذه رؤية ملكية روحانية أي رآه كما خلقه الله تعالى . وورد في الاحاديث الصحيحة انه يتمثل له الملك رجلا أي كما يتمثل لمريم عليها السلام بشرا سويا . وهذا يتمثل أيضا روحاني والذين يدعون رؤية الارواح من الصوفية وغيرهم يقولون انها تتمثل لهم بصورة بشرية . وورد أيضا انه كان يراه بصورة دحية الكلبي فلما يتمثل الملك له بصورة رجل فقد ورد في الصحيح عند الشيخين وغيرهما . واما رؤيته بصورة دحية فقد رواه الطبراني عن أنس وإسناده ضعيف

(س ٧) المراج والرؤية — هل عرج سيدنا محمد إلى السماء بروحه وجسمه أو بروحه دون جسمه وهل تشرف برؤية الحق جل شأنه عيانا أو بقلبه واذا كان كذلك فهل يوجد إثبات ؟

(ج) اختلف العلماء فيما ذكرتم لانه لا يوجد دليل قطعي يبين شيئا من هذه الوجوه والاقرب الى العقل ان ما روي من ذلك فهو روحاني . وحديث المراج على اطلاقه ورد في احاديث آحادية تفيد الظن ولكن رؤية الحق لم تثبت بحديث مرفوع صحيح وقد سئلت عنها عائشة رضي الله عنها فأنكرتها كما ورد في الصحيح وقالت « لقد قف شمري » الخ وورد في صحيح مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل : هل رأيت ربك فقال « رأيت نورا » وفي رواية « نوراً أنى أراه » أي انه لم ير الا النور او ان النور منع من رؤيته وليس المنع ان الله تعالى نور « ليس كمثل شي » وقال الامام الغزالي في الاحياء : الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما رأى ربه ليلة المراج : والذين يثبتون الرؤية يروونها موقوفة على ابن عباس في تفسير « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس » والمعروف في اللغة ان « الرؤيا » هي ما كان في المنام و « الرؤية » ما كان في اليقظة وعلى كل حال يجب ان تعتقدوا ان الله تعالى منزّه عن صفات المخلوقين فلا يمكن ان تكون رؤيته كرويتهم وان ما ورد يحمل على كمال المعرفة التي تستغرق الروح وكل مداركها والله أعلم

﴿نظام الحب والبغض﴾ - تابع ونبع

(حب الزينة وحب التميز)

ولست من محبي الامور الفانية ولا المفرورين بها ولكنني أحب ذلك السر الرباني الذي به اعلم خواص هذه الامور مفردة ومركبة . وبه تصرف فيها على أمانة لا يبي مجموعها عقل واحد . وانكم لتعلمون ان ذلك السر الرباني الذي اودعناه من أعظم خواصه محبة الجليل .

وحرام على من لم يروا بصرهم شيئاً من اسرار الصنعة الالهية ان يخوضوا في علم الاخلاق وعلم شرائع الاجتماع .
احفظ لي أيها القاري هذا الكلام لعلك تذكر وتدبر اذا قأجئتكم في مخالفة بعض كتاب هذا العلم .

لحياة الانسان لوازم : هن حاجاته الضرورية . والحيوانات تشاركه بظواهرها . وتواضع : هن حاجاته الكمالية . وليس للحيوانات حظ بأشباهها . ويمكثتا باعتبار الاولى والثانية ان تقسم حياته الواحدة الى قسمين : حياته الجنسية . وحياته النوعية .
الحياة الجنسية يمكن حصر ما به قوامها . فالغذاء قد يكون من الاعشاب كدأب آكلة الثبات من الانعام وغيرها . وليس هذا مبنياً على خيال شعري يعظمه الزهد فيما قبله طبيعة الانسان بل هو مجرب محسوس أثبت لنا بالفعل قوم أوحى اليهم الوهم ما أوحى من نبد ما خلقه الله للبشر .

والإواء قد يكون حجراً كأجبار الوحوش . وقد أتاح الله لنا ان نشاهد بالذات معيشة بني هذا النوع في الفيران ولا أعني بالذين شاهدناهم قوما من اخوان الوحوش في السيرة والطباع والاعتطاع عن الانس . بل هم قتات من زراع هذه البلاد أولو ثاغية وراغية وأولو حرث في بلاد ذات زرع وحب الحصيد .

والكساء قد يستغنى عنه وقد يكون من جلود الصيد أو الانعام . ولدينا قبيلة يقال لهم الصليبي لم نشاهد من اكسينهم غير جلود الآرام التي جل غداثهم من لحومها .
والوقاع لا يحتاج الى أكثر مما في طبيعة النوع من تراضى أنى وفحل وانجذابها

لهذا الامر بسائق مافي الفطرة .

وبهذا القدر الذي مثلنا به نحفظ الاشخاص ويبقى التنوع كما حفظت أشخاص السوارح العجاوات وأنواعها .

قلنا ان هنا القدر يمثل لنا الحياة التي يمكن ان يعيش بها الانسان ويتأمل . وهل يمكننا أن نقول بوجود شيء يميز الانسان عن باقي الحيوان في هذا المثال من الحياة ؟ . قد كان يمكننا ان ندعي وجود مميز لو كان له مع هذه الحياة أفكار عالية . وهيئات فقد أنبأنا اننا نرى ان الانسان كان معدما من الافكار العالية يوم كان يعيش مثل هذه الميشة وكذلك بلونا الذين يحبون هذه الحياة في يومنا فلم نجد لديهم فضل إدراك ينفون به على القابرين . بل ان وعد الله حق وان الانسان بمجموعه ارتقى ولكن كان ذلك منذ طفق الاستعداد اثروي تحلي مظاهره ، وتحلى مناظره ، وان يرح في رقيه ما دامت الفبراء في ازاء الزرقاء . تحلى عليها شمسها وقوتها من لونها نظاما .

عرفنا لكم الحياة الجنسية بالمثل وبه أوضحنا قولنا انه يمكن حصر ما به قوامها . أما الحياة النوعية فن الصعب جعل حد لا يتماق بها كما كان من الصعب تحديد الاوهام والافكار التي هي تابعة لها . ولكن يمكن ان نقول ان أكثر الاشياء التي هي من فروع الحياة النوعية تابعة لأموسين عظيمين من طبيعة النفس الانسانية هما (١) حب الزينة و (٢) حب التميز . وسنكلم فيما على الافراد لشدة العلاقة بينهما .

﴿ حب الزينة ﴾

نأخذ من التمهيد المقدم كلمة نقولها هنا : لو كان الانسان هو الآكل المواقع لكان من السهل في معرفة ما هو ان نقول « هو آلة من جملة هذه الآلات الكونية المتحركة بأصل صنعها » ولكن هنا فصول وقبود كثيرة زائدة على هذين الوصفين لا يزيد الآن ذكرها كلها بل ذكر واحد منها وهو كونه « محباً للجميل » . فهذا التيد وحده يتعنا ان نقول في تعريفه ذلك الكلام ويجعلنا نتفكر وسعنا في خصائص هذا المخلوق الكريم ، المصنوع لامر عظيم ،

من تأمل في الانسان وجد العوالم محشورة في ذرات صغيرة من مواقع ادراكه . ووجده حاكفها بأحكام كثيرة و لم تلهيده . بعض تلك الاحكام له نسب بالحقيقة متصل .

وبعضها له سبب الى طائفت الوهم محدود .

أما الذي يتماق بالوئاثف الطبيعية لحياه الفكرية من تلك الاشياء المتكررة فهو
تقسيمه المحسوسات والتخييلات الى قسمين مستحسن محبوب ، ومستقبح مكروه ،
— ماهو الحسن ، ماهو الزين ، ماهو الجليل ؟ —

الحسن والزين والجميل كالحسن والزينة والجمال ، الفاظ متعددة تدل على معنى واحد
عند رواد اباليان ، وعلى معان متقاربة عند رواد القشور . وتعدد الالفاظ مع توحد
المعنى (وهو الذي يسمونه الترادف) لا عيب فيه على لغة لانه كعدم الدلال لكاسية
واحدة . ولكن بعض المتورعين في حفظ الدلالات اللغوية من طوارق النسيان يجتهدون
ان لا يثبتوا الترادف بادعاءهم ان مقاربة أو فروق لا تكاد تذكر في مثل هذه المترادفات
ولا نعب فمأهم هذا فان له فوائد ولكن نألمهم ان لا يعبوا قولنا بترادف هذه الكلمات
التي ربما يعمدها تفسير بعضها ببعض وبين ترادف ما اشتقت منه ليم من قولنا
« حب الزينة » اعلام بحب الجمال الطبيعي كالصناعي وقد حملنا على هذه الايضاحات
ما نعلمه من تقريب الاصطلاح وأمله بين هذه المتحدثات تفريقا افضى الى تشييت
الفهوم . وهنا استغفر من هذا الاستطراد الطويل وان أوجه المقام .

نعود الى معرفة حقيقة الحسن الزين الجليل ثم نسأل نفسنا وغيرنا ماهو الحسن؟
ماهو الحسن؟ ماهو الاستحسان؟ ماهو حب المستحسن؟ لماذا نستحسن؟ لماذا نحب
الحسن؟ لماذا نختلف بالاستحسان؟ ماهو عشق المستحسنات الذي يميل بكل نحو
مستحسن فيفرم به؟ هذه مسائل تخطر في بال كثيرين ولكن قل ان تجرد في حجرات
السراير مقرا تقيم فيه برهة طويلة ، استدل على ذلك بصدى ثبات اراداتنا معشر بني
النوع اللهم الاقاييلا من أحكم الحكماء الذين تركت أرواحهم فكانوا بالأسرار من
المارفين ولا جناح علي ان اعترف بأنني لأملك تلك الملكة التي بها يتيسر الجواب عن
كل مسألة من هذه المسروحات ، ولكفي أظن ان هذا لا يكون مانعا من عرض ما استفاد
انفكر من ملاحظاته في عالمي الشهادة والقياس ، فاشد مساح في هذين العالمين في سبيل
اكتشاف هاتيك الشؤون .

(١) ماهو الحسن؟ — نحب عن السؤال الاول جواباً يفتح كل ملفق امامه

من المسائل فقول :

الحسن ان كان محسوسا فهو ما يفي بالحاجات ويزيد عليها أموراً تبسط النفس برآها
لمناسبة ما خفية تندفع في النفس ويظهر للقارئ ان هذه المناسبة يبقاها خفية بقي الكثير
من اسرار الاستحسان في المحسوسات غامضا وستأتي زيادتيان ،

وان كان الحسن غير محسوس فهل هو ما يستحسنه كل عقل لنفسه؟ كلا بل هو
ما تتفق العقول السليمة كلها أو جلها على استحسانه ويجب ان نصرح هنا بأنه لا عبرة
بكثرة الذين يستحسنون الشيء قليلاً بل العبرة بكثرة الحسنة الذين يستحسنون الشيء
عن طول تفكير . واذا وجدناهم مختلفين في شيء وفي جانب كل حزب كثرة فان
لاصحاب العقول من أهل الزمان الذي هم فيه ان يتفكروا كما يتفكرون ولهم ان يصروا
باستحسان ما يستحسنونه فليس ثمة اغلال للأفكار . ويحتاج في الأذهان ان حرية الاستحسان
في غير المحسوسات توجب انفرجا واسماً بين الافراد . وانه ليكاد هذا الظن ان يكون
صواباً لولا سببان عظيمان أحدهما ان توسع حاجة النوع الى الاجتماع وتوسع حاجاته في
الاجتماع قد ضيقا بالتدرج ذلك الانفرج من قبل ان يتسع اتساعاً عظيماً ، اذا كتسع
أشياء من الضيق تضيق أشياء من السعة . الثاني ان السلم الذي رزقه مجموع النوع
قد قارب بين الأفكار بأنواع خاصة - سيجيء بيانها - وبهذا التقارب صار الافراد
الذين لا يحصون جماعات تخصي . ومن المشاهدين لكل جماعة مستحسنات عامة لا يستكرها
الافراد وان لم تكن حسنة في الحقيقة لانهم مقلدون . واكثر هؤلاء الجماعات يذهبون
الى ان الحسن ما حسنته مذاهبهم الدينية على انه مهما بالغ المبالغون في حبس حرية
الأفكار فلا يسهم مناقشة الناس اذا بدا لهم ضد ما حسنته المذاهب بل يضطرون
الى الهجمة بضروب من الاصطلاحات معروفة لمن مر تلك الابواب . ويمثل هذا
كانت ولا تزال تحصل التغيرات في العالم ويجب ان لانكم ان حكام الناس هم حكام
الأفكار ولكن قد تصير فترات تضع فيها الحكمة ويقوم اناس ينتحلون لانفسهم هذه
الوظيفة بصيغة أخرى فيحيون ضالين مضلين . وفي هذه الايام يصير غير الحسن حسناً .

يقضى على المسره في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن
هذا والمقام يحتاج الى فضل بيان ولكننا اجلناه اجمالاً فن لم يبع مافي باطنه كفاء

ظاهرة الواضح .

وسواء كان المستحسن مستحسن جماعة أو مستحسن فرد من محسوس أو متخيل لا يمكننا تليل وجه الاستحسان في كل شيء ولكن نعلم ان العلة العامة في استحسان الاشياء هي مناسبة تقدر في النفوس . ونعلم ان استحسان كل شيء علة محبة والاهتمام به على مقدار درجة المحبة (اذ لها درجات) . ونعلم ان هذه الاستحسانات من حيث هي - طبيعية في النوع . ونعلم انها هي التي أوصلت مصانع الانسان الى هذه الصورة الباهرة الساحرة . ونعلم ان هذه المصانع من المميزات العظيمة لهذا النوع . ونعلم ان الانسان سيتسامى رقيه مادام يستحسن ويسعى وراء ما يستحسنه باهتمام يسوق ، وأمل يقود ، وعزم يعين .

باب التوبة والتعلم

شكوى الامهات من تربية البنات

لما نشر المقطع شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهن في هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات في بناتهن في مصر فكتب اليه من بعضهن الشكوى في إثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلقات وكونهن لا يحفظن بغير اللهو والزينة والعزف بالبيانو ونحو ذلك من الترهات ، ولم تصادف هذه الشكوى أقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن أنفسهن وقد توالى الحث عليهن من المقطع وكثر الترغيب حتى جاءه رسالتان من بلدين قال انه لم يرد منهما شكوى من الامهات لإحداهما بامضاء « ابنة قطية » والثانية بامضاء « ابنة شاكرا » ونحوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب في كل ما تشكو منه الامهات عليهن وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بأن التهام لا يفي عن التوبة شيئاً وان كان في نفسه نافعا .

ولا يزال المقطع يثير كوامن الرغبات ، ويحرك سواكن هم البنات ، ولنظن انه اذا ثارت الكتائب ، وهدرت الدفائن ، وفارقت الجدل التتور ، وحصل ما في الصدور ، فانه لا يكتب في الجرائد شيء يخرج عن معنى ما كتب الا ان تتخبر بنت بانها أصلحت

من يت أيها ما كان قاسدا ، ونظمت ما كان محملا ، أو فتخرام بأن يتها كذلك .
وسواء كتب هذا أو بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات ، وعلى كون الذنب
في ذلك على الآباء والامهات ، فإن الحقيقة في مجموع الشعب المصري لا تظهر بمثل
هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بأن أكثر صواحبها من السوريات ثم من القبط ،
والسوريات لهن أخلاق ورائية وعادات تقليدية ليست للمصريات وإن كانت غيرهن
الى مصر من زمن بعيد ويرى بناتهن في مصر وتعلمن في ، وأما نساء القبط وبناتهن
فيشاركن المسلمات المصريات في بعض الشؤون ويفارقن في بعضها ، ومسافة الخلف
في التعليمات من الطائفتين أوسع فإن القبطيات المتعلمات يميزن الحجاب ويحضرن مجالس
الرجال في زينت كنساء الأفرنج بلا فرق فلابد أن يكون لذلك أثر في سيرتهن لا يعرف
في المسلمات الاواني هن أكثر أهل البلاد ،

ويوجد سبب آخر للخلف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد
التعليم فإن من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهن من تعلمت في
مدارس الخريز أو الفرير ومنهن من تعلمت في مدارس البروتستانت الأمريكية
أو غيرهم ومنهن من تعلمت في المدارس الأهلية الإسلامية أو القبطية ، ولكل نوع
من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خلفا كبيرا في الاخلاق
والعادات والريجات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكثرت التي
يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختبار حال البيوت ومعرفة تأثير التربية
في البنات . الامة هنالك واحدة وللمدارس طريقة واحدة وللتربية العامة نظام واحد
فاذا شك بعض نساء الانكليز من تربية بناتهن فلك أن تعتبر شكواهن ميزانا للتربية
في الامة وإن تقول ان ما يصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهم فاذا رأيت الشكوى
من جميع الطبقات فلك أن تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنته الشكوى حتى اذا
استنتي بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فإن القواعد الاجتماعية لا تستغرق جميع
أفراد الامم والشذوذ فيها مطرد

اذا سألتنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هن قررة عين لامهاتهن أم لا

فلا بد لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المتعلمين المختبرين . والذي يقرب من النظر ويؤيده الخبران تعلم البنات في مصر سطحي كما يقولون وأنه عند من ضرب من ضروب الزينة فهو في الغالب يشغلن عن مساعدة أمهاتهن على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهن من يعتقدن أنهن أرفع منزلة من ذلك . أما حال الامهات معهن فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت الغنية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهن مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكن متميزات بمعرفة مالا يعرفه سائر البنات . من اتقان الحفات للاجنية واحسان العزف بالبيانو والتفنن في بدع الزينة ، ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبرى لمريدي الزواج ، والاسباب الصحيحة للمسرة والانتهاج ،

وأما البيوت التي يحتاج فيها لمساعدة البنات والتي يصير على أمهاتها موافاة رغباتهن الجديدة التي أحدثها التعليم الجديد فلا شك ان الامهات فيها يتبرمن من تقيصير البنات في مساعدتهن على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهن يكتمن ذلك في الغالب ولا يديبنه الا ان يسهل عليهن اطلاعه على عورتهم ، ووقوفه على مساوئهن ،

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر به الكاتبتان صاحبتا الرسالتين في المقطم بأن الذنب على الوالدين لاعلى البنات فلهما يلعان بناتهما لانهم لا يربيانهن وحسن الحال في الميمنة وكل أعمال الحياة يتوقف على التربية أكثر من توقعه على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي أكثره فيها لاعمل فيه ، إذ بالتربية يكون تمرين الاعضاء على العمل ، وبالتربية تتكون الاخلاق والعادات الحاكمة على الارادة . والارادة هي التي تنفذ ما يفضي به العلم ويظهر وجه المصلحة فيه فمن لا تربية له لا ينفعه علمه الذي تعلمه في مدرسة العلم ولا علمه الذي تعلمه في مدرسة الوجود لان العلم عنده يكون صورا خيالية تلوح في ذهنه ثم تفتيب ،

وأقول ان هذا العذر على صحته لم يصب موقعه من تبرئة البنات المتعلمات لأن القصد من تعليمهن اصلاح البيوت التي أفسدها جهل أمهاتهن فإذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ، ويزيدها اعراضا عن العمل ، وينقض اليها عادات أهلها وقومها ناقمة كانت أو ضارة ، ويوجب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان أعجز الوصول اليهما أباهما وأمهاتها - فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل ، وبلاء نازل ، وان تركه واجب ،

ومقاومته ضربة لازب .

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلّقات وسوء حال غير المتعلّقات هو - كما قيل - سوء التربية العامة أو ترك التربية الصحيحة النافعة، ولكن أليس من الضروري أن يكون سوء الأخلاق الذميمة ، وقتك العادات الرديئة ، أقل تأثيراً في نفس المتعامّة منه في نفس غيرها ؟ أليست فائدة العلم الكبرى مساعدة التربية لأن المتعلم يحكم على ما عليه الناس بغير ما يحكم به الجاهل فيميز بين الضار والنافع، والصالح والفساد، أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو أفضل القوى النفسية، فاذا امتازت البنت على أمها بالعقل ووضحة الحكم على الأمر وعرفت من الحقوق ما لا تعرف ، وسأوتها في ضعف الإرادة ، واختنوع لسلطان المادة ، أليس من المعقول أن يتأزّع ما به الامتياز وما به التساوي فيقوى هذا تأزّع وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيه مبدأ دخول الإصلاح المطلوب؟؟

على أن إصلاح حال الأمم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد به إلى إصلاحها لارتقت في الأخلاق والأعمال كما ارتقت في التعليم على أكثر بلاد المشرق . والأمر بخلاف ذلك فإن أخلاق الناس في كل بلاد نعرفها أرق من أخلاق أهل هذه البلاد كما أن عاداتهم أمثل من عاداتهم، على أن التعليم هنا أكثر انتشاراً منه في تلك البلاد التي نضينا والمصريون الذين سافروا إلى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون به . وأعجب من هذا أن أكثر الفساد والفجور لم ينتشر في أكناف هذه البلاد ويتغلل في أحشائها إلا بالتعليم فكأنهم لم يتعلموا لأجل العمل الاشراب الخمر ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة البهيمة حاشا فقرأ يمدون على الأنامل هم الذين أفادهم العلم وحدهم من الوفاء المتعلمين

السبب في هذا أن العلم الذي يلم في المدارس المصرية - سواء كانت للحكومة أو للأجانب أو للأهلين - لم يقصد به إلى إصلاح النفوس وارتقاها وجعل المصريين سعداء أعزاء فإن مثل هذا القصد لا يأتي إلا بمن يفارون على الأمة ويرون سعادتهم بسعادتها وعزمهم بمزها، ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك، والجزويت والفرير والامريكان ليسوا كذلك ، ومنشئوا المدارس الأهلية كان يجب أن يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك . وهذا شيء يعرفه كل أهل البصيرة في مصر وربما نشرحه في مقالة أخرى

تين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انه لم يقصده اصلاحهن ولا إعدادهن لاصلاح بيوتهن فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزعماءه بأيديهم بمدارسهم ومدارس الحكومة التي هم قوائم عليها (والمدارس الاهلية مقلدة لهذه المدارس تقليداً اعمى أصم) وإنما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم ، والتزني بأزياء نساءهم، واستحسان عادات قومهم ومعتنهم شؤونهم ، ليقبضوا من صدور الامة حب جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها المالية فتكون طعمة لهم . ومن تراد انتفع بتعليمهم من ذكر واثني وصلح حاله فاعلم ان ذلك كان بمعونة استعداد فطري عظيم وتربية محمودة وتوفيق الهي امام ذلك ووراءه

والنتيجة انه لا يرجي ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح به شأننا وترتقي به أممتنا الا اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم اصلاح الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا أكثر مما وفق المسلمون ، فاذاتهمضت بهؤلاء الهمة الى إنشاء مدرسة كلية سناط إدارتها رجال الجمعية الخيرية الذين أمتبوا لنا بقبائهم على خدمة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالتجاح الماجل ، والخير الآجل ، والا كانوا على خطر عظيم ربما لا يتنبهون له الا بعد فوت الفرصة ، ووقوع الفصة ، والامر لله العلي الكبير

اشارة الى تعليم البنات

التقريظ

(ارشاد الالباء الى طريق تعليم الفبا)

في أيدي الناس ألوف من الكتب للمؤلفسة في العلوم والفنون ولكن أكثرها متشابه لان بعضها في الغالب منقول من بعض مع احتصار محل أو غير محل وزيادة ضارة أو نافعة وكيفما كان هذا التأليف فهو تقليد من المتأخر للمقدم منهم من أحسنه ومنهم من أساء فيه وسواء كان التقليد متقناً أو غير متقن فهو ليس من العلم في شيء والمقلد لا يكون علماً ولا مفيداً للعالم ولا مستفيداً له وانما ينتفع بكلام العلماء ومباحثهم

من ينظر في ذلك بين البصرة والاندلس . ومن نزع من عتقه رقة التقليد هدي الى الاستفادة والاقادة حتى يصح أن يقال في تأليفه أنه له وان فيه علمه وحتى ان الباحث المجتهد ليفد في كل موضوع وان كان ما يفتنه الناس بديها لاجال فيه للبحث . أمانا الآن كتاب «ارشاد الالبا» الى طريق تعليم ألف با الذي وضعه حديثا الشيخ طاهر الجزائري الشهير واسمه يدل على موضوعه . فقد سلك فيه صاحبه مسلكا في الاجتهاد لم يخرج فيه عما قاله أئمة اللغة العربية ولكنه أحسن الاختيار والتصرف بقرب البعيد ، وبسهل الحزن ، وذلك الصمب الجلاع ، حتى أخرج لنا علم الاوائل في أحسن صورة انتهى اليها رقي الاواخر . فلا يتوهم أحد من الاسم ان الموضوع بديهي لا يحتاج المؤلف فيه الى سعة اطلاع ، ولا براعة في الوضع والتأليف ، وان لا ينفع بهذا الكتاب ، الا معلم الكتاب ، كلا ! انه كتاب لا يستغني عنه معلم عربي مهما علت منزلته في العلم . وان كان كؤلفه في سعة الاطلاع وقوة الفهم ، فان هذا الرجل أعلم علما ، سوريا في العلوم العربية بل هو أوسع من تعرف اضلاعا على مؤلفات المتقدمين والمتأخرين من أهل هذه الامتعة مع تمكنه في علومها . واننا نود ان يطلع عليه جميع علماء الازهر وجميع معلمي العربية في مدارس الحكومة والمدارس الاهلية فسي ان يتبه لذلك شيخ الازهر ومفتشو العربية في المعارف ونظار سائر المدارس فيأمروا بنشر هذا الكتاب في مدارسهم

لواردنا ان ننشر ما نطوى ما في الكتاب من مباحث الحروف المفردة والمركبة ومباحث التعلق والكتابة والتعليم ونورد طاقة من الشواهد والامثلة التي وردت فيه سهلا لسهيل التعليم لاطلنا في التقرينظ ولا سعة هنا للتطويل . وقد طبع الكتاب في بيروت طبعا حسنا على فقة الشيخ أحمد طباره محرر جريدة ثمرات الفنون الفراء وضبط فيه ما ينبغي ضبطه وصفحاته ١٤٤ وثمن النسخة منه أربعة قروش وهو يطلب من ادارة المنار ومن مكتبة أمين اقدي هندية

(رسالة ألف با) هي رسالة مستخرجة من كتاب «ارشاد الالبا» لاجل التعليم وهي توافق الطرق الحديثة في التعليم على انها مكتوبة من وضع الائمة المتقدمين وصفحاتها ٣٣٣ وثمن النسخة منها نصف قرش صحيح وتطلب من مكتبة هندية أيضا

﴿ تدير الاطفال ﴾

كتاب حديث في فن تربية الاطفال وتدير أمرهم في الصحة والمرض من تصنيف « الدكتور اسكندر جريديني بك مساعد استاذ الفيسيولوجيا سابقا في كلية مار يون سمس الطبية في سانت لويس اميركا » ابتداء المؤلف كتابه بفصل في تدير صحة الحوامل وأمراض الحمل وحال الولادة ثم تكلم على تدير الاطفال منذ يولدون فلم يترك شيئا يحب ان يبحث فيه الاوفاء حقه ولم يقتصر على الكلام في الوقاية من الامراض الجسدية ومعالجتها بل بحث في تربيتهم النفسية ايضا واطال القول في ثياهم وغذائهم وخدمتهم . وكلامه في العلل والامراض التي تطلأ عليهم سهل يفهمه كل متعلم ومتعلمة . وجلة القول في هذا الكتاب انه نعمة كبيرة على قراء العربية وانه لا يستغني عنه بيت من البيوت فبحث جميع التلمذ على قراءته ونخص الامهات بالحث عليه . وقد طبع طبعا حسنا في مطبعة الهلال وصفحاته ٢٦٨ وثمان النسخة منه ١٢ قرشا صحيفا وأجر البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

﴿ الالفاظ المترادفة ﴾

رسالة للامام أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (رحمه الله تعالى) اعتنى بشرحها وطبعها محمد أفندي محمود الرافعي بعد ان صححها وضبط ألفاظها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي امام اللغة في هذا العصر . والمراد بالالفاظ المترادفة فيها الالفاظ التي يجمعها معنى عام وان كان لكل لفظ منها معنى خاص يباير الآخر فهي في المفردات نحو كتاب (الالفاظ الكتابية) للهددائي في الجمل ولكن فيها من الفوائد مالا يفي هو عنه وقد طبع بالشكل في مطبعة الموسوعات وتباع في المكتبة الازهرية وثمان النسخة منها قرش ونصف فبحث طلاب العلم لاسيا المشتغلين بالكتابة والشعر على اقتنائها ومطاعتها

﴿ مراقي الترجمة ﴾

صدر الكتاب الرابع من مراقي الترجمة من الانكليزية الى العربية وبالعكس وهو خاص بتلامذة السنة الرابعة في المدارس الابتدائية . ومن فوائد هذا الجزء أنه مشتمل على مسائل الشهادة الابتدائية في الترجمة التي امتحن بها الطلاب في المعارف من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٣ ففشروا مؤلفه ونشره أي زيد اقصي فابده عمله ولما ساعده

على التأليف عبد الحميد اقدي الشريفي ومحمود اقدي عثمان عفا الله (الثلاثة من المدرسين في مدرسة الناصرية الاميرية) ونحت جميع متاعمي الانكليزية على الانتفاع بكتابهم ونمته قرشان ونصف قرش فقط

﴿ المقامات العشر * لطلبة العصر ﴾

اتخبط الشيخ محمد المبارك الجزاؤي عشر مقامات من مقامات الحريري واختار ان يقرأها طلاب العلم لتكون مادة لهم في اللغة وقد شرحها ليسهل عليهم فهمها فطبعها على نفقته الشيخ أحمد حسن طباره محرر جريدة «نمير» الفنون، الفراء في بيروت وجعل من النسخة منها ثلاثة قروش ولعل محبي هذه المقامات من طلاب العلم يكتفون بها ويحبون مهم الاستفادة من مفرداتها من غير عناء بألسونها، وهي تطلب من طلبة هندية

﴿ ملكة على عرش الفراشة ﴾

اسطورة انكليزية تشرح بعض عادات المصريين الاولين وفراغتهم، وموضوعها ان فرعون موسى عشق غادة مصرية اسمها تاهوسر كانت عاشقة للشباب الاسرائيلي بوياري مدير الاملاك الخاصة بالاسرة الملكية وكان من كبار الاغنياء وكانت الفتاة من اولاد اكابر الكهان ذات ثروة عظيمة ولم تجد سيلا للقرب من معشوقها الامغادرة قصرها متسكرة بزي فقيرة والدخول في قصره والانشطام في سلك خوادمه لئلا تستعيله بما يشاهد من جمالها وكألاها ولكنها السوء حظها علمت بعد ذلك انه عاشق لفتاة من قومه اسمها راحيل على ان الفتاة الاسرائيلية رضيت بأن يجمع خطيبها بينها وبين المصرية اذا هي تركت دين قومها وعبدت مع الاسرائيليين إلهها واحدا وكشفتها بذلك وأخبرتها بأن سيخرجون مع موسى من مصر فرضيت للمصرية بالخروج معهم ولكن خادمة راحيل دلت فرعون عليها فأخذها الى قصره وكان يستميلها فللتأمل اليه حتى اذا ظهر موسى عليه السلام يدعو الى ارسال بني اسرائيل معه صارت تلين له القول ليسمع نصيحها له بعدم التملك ببني اسرائيل وفي الاسطورة من خبز موسى مع فرعون ما يصح وما لا يصح ومن فوائده هذه القصة العلم بأن بعض الاسرائيليين كانوا مقرين من الفراعنة لاحاسنهم خدمتهم وكانوا أحباب ثروة واسعة على ما في قومهم من الظلم والاضطهاد، ومنها تمثيل عشق فرعون لفتاة وتذللها بأن نساءه على جمالهن البارع كن يعامته

معاملة العبد للمعبود وان حظ الرجل الطيبي من المرأة هو ان يكون لها سلطان على قلبه نظير سلطانه على قلبها وان يامل كل منهما الآخر معاملة انتظير للتنظير في الشئون الزوجية وذلك ما أعوز فرعون حتى التمس في عشق الفتاة فوجده لولا انه لم يستطع امتلاك قلبها كما ملكها قلبه . ومن الخطأ فيها نسبة الكذب الى موسى عليه السلام وزعم ان فرعون لم يكن يعرفه قبل بتمته وانه بمث وهو شيخ كبير وان الصا كانت لهرون وكان هو الذي يعمل بها المعجائب بأمر موسى عليهما السلام وغير ذلك وهو خطأ ضار . اما ترجمة الرواية فحسنة ومترجمها قولاً اقدي رزق الله وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة بمصر وغن النسخة ٨ قروش

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

﴿ وفاة حسن باشا ناظر البحرية ﴾

نقل ترجمة هذا الوزير عن جريدة (محمدان) الهندية كاهلها عن جريدة الاخبار الاسلامية (سلم كرونيكل) وهي رسالة لمكاتب هذه في لندن مأخوذة من رسالة من الاستانة كتبت في اليوم الثالث لموت الوزير . وقد نشر في بعض الجرائد المصرية ترجمة الرجل على نحو ما في جريدة الدولة الرسمية خالية من كل عبرة وقائدة وذلك ان جرائد المسلمين في مصر تنحو في الاخبار العثمانية منحى جرائد الاستانة وسوريا وهي لا تنكاد تنشر الا ما يوافق الاهواء . ومن هنا استدل على كون جرائد المسلمين في الهند ارقى حرية من أخواتها في مصر ولعل سبب ذلك ان القارئين صاروا هنالك ارقى منهم هنا في الحرية اذ يحبون ان يعرفوا الحقيقة لان يتلذذوا بالممدح وان كان كذباً . قال المكاتب ما نرى به:

الرأي العام مجمع على ان قوة الدولة العثمانية الحرية توازن قوة أية دولة من الدول الكبرى ولكن بحرية الدولة صارت من عدة سنين قرحاً في جسمها ومرضا في بنيتها وقد كانت الى العهد حرب التفرم بحيث لا تقل عن قوة فرنسا وروسيا ان لم تكن من أعلى القوى البحرية . لذلك كان مما يشير السجبان لا يكون لتريكا موقف مع الدول البحرية لهذا العهد . وقد علم قراء (الكر ونيكل) من رسائلنا السابقة في هذا الموضوع الاسباب والاحوال

التي هبطت بحرية الدولة الى هذا الحضيض. وكل هذا المربوط والتأخر ينسب الى رجل واحد استحق لمن الامة التركية - هذا الرجل البفيض هو حسن باشا حسني مات حسن باشا حسني ناظر البحرية الثمانية أول أمس وكان يرجو الناس موته من زمن بعيد وكان موته في قصره بانكرووششمه على ضفة البوسفور وهو في سن الثمانين ولم يعرف في تاريخ البشر من أول الخليفة الى الآن رجل كان أشد نبضا ومقتا الى أمته من هذا الرجل الذي مكث في منصبه هذا نحو ربع قرن. ولي البحرية الثمانية وهي في الدرجة الثانية من قوى البحرية الاوربية وتركها وهي أدنى القوى البحرية في العالم وأضعفها. ولقد تستحوذ الدهشة على الانسان وتملكه الحيرة اذا حاول فهم سبب اهمال البحرية من دولة حرة عارفة بمكانة القوى البحرية في هذا العصر. على ان هذا الناظر لم يكن أقل علما من أعظم أمراء البحر في أوروبا بل المشهور عنه أنه كان من أمثل أمراء البحر في الدول البحرية العظمى وأمهرهم وأحذقهم ولكن هذا الرجل الذي كان من أكبر رجال الدولة هو الذي أضف تلك القوة العظمى عامدا متعمدا وقد وصفته إحدى الجرائد التركية اليوم بأنها أعظم عيب السلطان أمانة وأشد هم استقامة ولكن أفكارنا وشكل الحكومات الراقية في هذا العصر يحولان دون الاعتقاد بأن الحقائق لامته ودولته، يكون ناصحا لسلطانه وصادقا في خدمته، ذلك لان التصح للحاكم والاخلاص في خدمته أمران لازمان لحكومته اذ لا معنى لخدمة الحاكم من حيث هو حاكم الا خدمة الحكومة التي هو رئيسها. وكان فساد طوية حسن باشا وتركه محاسبة نفسه واستفتاء قلبه حال دون التمييز بين الرجل من حيث هو حاكم ومن حيث هو شخص ربما يرجى نفعه ويغنى ضرره. لذلك كان يقضي ليله ونهاره مدة ربع قرن في تجريد السفن الحربية من جميع عدتها التي تكون بها صالحة للحرب. ولا يدري أحد من الناس أين صرفت الاموال العظيمة المخصصة للبحرية في ميزانية الدولة اذ لم يطالب أحد بحسابها بل كان مطلق التصرف ومتمتعا بالسلطة التامة في نظارته الى آخر حدودها وكان يولي ويوزل من شاء من غير سؤال ولا مراقبة من أحد نافذ الرأي مطاع الامر في نظارته وفي مجلس الوزراء بل وفي قصره بالذات نفسه.

واقدمات موته شديدة سببها مرض مات في جمعه سنة ثالثة كان فيها مومضات السبعين نوعا

من الاعمال الجراحية وذق فيه من الآلام ما لا يطاق. وكان يحجمهم وهو يتقلب في غمرات الموت بهذه الكلمة قوية وندما ما جئت اذ جئت وحدي ولكن كان لي شركاء، اوما هو في معناها وسيكون موته عبرة لغيره ممن يدفعون الى الجري على سنه

عبد حسن باشا ناظرا للبحرية ولم يكن يملك شيئا حتى ولا يتاقيم فيه ومات بالامس وهو يكاد يكون أغنى رجل في تركيا وتقدر ثروته المتقولة والثابتة بنهاية ملايين من الجنيهات وكان دخله السنوي مئتي ألف جنيه وكان يشتري كل ارباع جنيها وجده وإن لم يكن قادرا على كمال الانتفاع به لانه لم يكن يسمح له بالخروج من القسطنطينية. وقد أقبل الناس هنا (الاستانة) على الجرائد التي نعت بالامس واشتروا منها عددا عظيما وقد أخذتهم روعة من السرور استقرت شعورهم وطفق يهني بعضهم بعضا بالجهر من القول بكمال الحرية، وكان الفرح عاما في السواحل البحرية فان أترك الاستانة وسواحل البحر الاسود وبحر مرمرة والساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وخليج العجم مولعون جدا بالبحرية فالسفينة المدرعة أبهى في نظرهم من الخيل العرمرم من الجيش. ولو كانت ترجمة الرجل الرسمية مما يستحق العناية لثقناهم من الجريدة الرسمية بحرفها ذلك أن أعماله قليلة جدا فلا نصيب لها من التوظيف

كان حسن ولدا لباشا فريق في البحرية ولا ينبغي أن يعتقد انه ارتقى بنسبه بل كان انجب التلامذة في المدرسة والمقدم في فرقته ومحبو بالكل اساتذته ولما نال الشهادة من المدرسة البحرية التي كانت وقتئذ حديثة النشأة عين ملازما في السفينة المسماة (خداداد) وقام بخدمة الحكومة في البحر المتوسط على سواحل افريقية وسواحل الجبل الاسود وجزيرة كريدو والبحر الاحمر وشهد حرب التريم وأبلى بلاء حسنا في حرب سيواسبول وكان يومئذ أمير عمارة البحر الاسود في الحرب الروسية الثمانية الاخيرة وقد أعجب الناس بنجاحه ومهارته يومئذ في إزالة الجند والعثمانية في باطوم

ترك حسن باشا اثني عشر ولدا أكثرهم مستخدمون في دار الصناعة (الترسانة) الثمانية. وكان يتكلم بالتركية واليونانية والانكليزية

قننة بيروت

في بيروت رهط من الاشقياء يسفكون الدماء ويهينون الوجهاء ويسلكون في شروهم مسلك التحمس الديني فيزعمون أنهم ينصرون الدين بفسادهم فاذا سمع

للسلم منهم ان نصرانياً أهان مسلماً أو قتله يفعل كما يفعل النصارى اذا سمع بمثل ذلك
يتنقم كل منهما للمنتقم الى دينه وان كان مجهولاً من أي مخالف له وان كان بريئاً ولم
توجد شريعة وضعية فضلاعن شريعة الهية تأمر بأخذ البري بجريرة الأثيم لأنه يشاركه
في الانتساب الى الدين . وأشهر هؤلاء الاشقياء جان اسمه الياس الحلبي فقد بلغنا عنه
أنه اذا غزم على الفتك بمسلم ما يذهب أولاً الى الكنيسة فيسجد للسيدة العذراء عليها
السلام ويمس صورتها بسلاحه ويطلب منها الاعانة على الفتك باعدائه واعدائها . وما
كان المسلمون من اعدائها قائمهم يبرقونها من الداس ويحكمون بكفر قاذفها . ثم ينطلق
الى جنايته قهراً العين مقتداً أنه ، يؤيد تلك الروح الطاهرة التي هي أبعد الأرواح
عن الرضى بمهبط المدوان والنسر الكبير . ويجعل هذا الشرير وصايا الانجيل بمحبة
الاعداء ولا ينجذ من يذكره هو وأمثاله بها كما لا ينجذ أشرار المسلمين من يذكرهم بوصايا
الكتاب والسنة ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا ظلم أهل الذمة أدبل للعدو »
رواه الطبراني عن جابر بلفظ « كانت الدولة ذولة العدو » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم
: « من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة » الخ رواه احمد والنسائي وقوله
صلى الله عليه وآله وسلم ليس منامن دعا الى عصية وليس منا قاتل على عصية وليس
منا من مات على عصية » : رواه ابو داود عن جبير بن مطعم . وقوله عليه السلام
« العصية ان تعين قومك على الظلم » رواه البيهقي عن واثلة ونحو هذه الاحاديث

بل اننا نسمع ان من وجهاء الطائفتين من يساعد اشقياء هاجق ان لباس الحلبي قد ترب
له بعض الاغنياء في بيروت وكبار الموظفين في لبنان الرواتب الكافية ولا أحب أن
أذكر أسماءهم . وأعجب من هذا وذلك ان الوالي رشيد بك الذي عهد اليه السلطان
حفظ الامن كان هو الذي يقري بعض الاشقياء بعض لينفع من الفريقين وكل أهل
بيروت ولبنان يعرفون هذا وقد نوهنا بسوء سيرته في السنة الأولى والسنة الثانية من
التار وقلنا ان السما والارض تستجبران من ظلمه ولكن من يسمع لنا اذا كانت
الاستانة لم تسمع من المتظلمين من رعيته شكواهم عليه فقد علمنا ان طائفة من أهل
بيروت شكوه بالهريق الى السلطان وقد كان علم قسبهم وأرسل اليه يقول ان طائفة من
من شعبة الترك الاحرار قسد أعينهم الجبل في تدبي حركاتهم وسكناتهم فارادوا ان

يتظاهروا في الى مولاي بأمر يتجهرون بها : فقبل السلطان قوله ولم يسمع لهم شكوى .
 هذا الإهمال جزئياً الى تقاوم التورور ، وتنازل الأحقاد في الصدور ، فكانت
 توري كلما قدحت الحوادث بزندها حتى اذا قتل في آخر الأسبوع الأسبق بعض الأبرياء
 من المسلمين انفعج البركان ، وتلاحم الفريقان ؛ وكان في أول الأسبوع الماضي ما كان ،
 كانت في بيروت فتنة عامة قتل فيها كثيرون من الطائفتين وجرح الكثيرون وتم
 الجند في إخماد اثار وقتل منهم أفراد وهو أمر لم يسبق له نظير وزح عشرات الألوف
 من النصارى الى جبل لبنان : فعوملوا معاملة الأخوان للأخوان ، ودخل وكلاء الدول
 في الأمر وطلبوا من الوالي القوي رشيد بك ان يتعهد بحفظ الأمن فأبى لأمانه بأنه هو
 المجرى بسوء سيرته لجميع الاشقياء بالمدوان ، حتى لم يبق له عليهم سلطان ، وقد ثبت هذا
 للقناصل بالبحث والاختبار فكتبوا بذلك الى دولهم وكان ذلك سبباً في عزل الوالي
 القوي وصدور الأمر لوالي سوريا ناظم باشا بالفدوم الى بيروت وإعادة الأمن ومعاينة
 الحانة الى ان يبين لها وال جديد فصدع بالأمر وأعاد الأمن وأمر الناس بالعود الى
 أشتغالهم بعد ما أنفلت الخازن والدكاكين وبطلت الاعمال كلها فابى النصارى الامتثال
 وقال مطران الروم للوالي ان أبناء طائفته لاثنة لهم بالأمن الا أن يكون يهدد من الدول
 الأجنبية . والحق أنهم يتقنون في قلوبهم ولكنهم افرصوا الحادثة لطلب ما ذكر
 هذا ما يطمع فيه قوم منهم وبعضهم يطمع في جعل بيروت تابعة للجبل وظنوا
 ان هذه الحادثة فرصة تقتسم ويرجى فيها أن تساعد الدول على إلحاق فتكون حكومة
 عروس سوريا أو عروس المملكة الثمانية (بيروت) مسيحية كما ان انقواها المالية
 والادبية مسيحية وهم معذورون في هذا الطلب وذلك من حيث هم مسيحيون إذ
 لو كنت في موقع كموقعهم لتمني ان يكون حاكمي مسلماء ولكن لا عذر لمن يهددون لهم
 السبل لذلك من المسلمين بل الواجب عليهم ان لا يدعوا لهم منفذاً للشكوى ان استطاعوا .
 ولعمري ان الحكومة قادرة على ذلك اذا كان الوالي مثل ناظم باشا وانني سمعت الناس في سوريا
 يلهبون بأن مدحت باشا كان ألف بين تفرقتين في بيروت كسائر سوريا حتى صاروا كالأخوة
 في التعامل ويتمقدون ان ناظم باشا قادر على مثل هذا التأليف لاسباب اذا علم انه يرضى السلطان
 لما وقعت الحادثة وردت الرسائل من النصارى الى الخرافد السورية ومن المسلمين

الى الجريدة الاسلامية (المؤيد) في شرح الحادثة وكل فريق يلقي اتجة على الآخر ويعد نفسه مغلولاً وقد انتصرت كل جريدة لقومها معتمدة على ما كتب البهاوولفقت جرائد الدورين تلوم المؤيد بأنه انتصر للمسلمين نصبا لهم وتدنس نفسها مع ان السورين أعلم من المؤيد بحيث الفريقين ولهم علم بيزمافي الرسائل من المبالغة قدوته وكانوا يقولون ذلك أحيانا مع الإحشاء على المسلمين خاصة الان جريدة الاهرام كتبت كتابه المنافي المعتدل الذي يريد المصاحبة وان نشرت رسائل لغير المعتدلين. ولو كان لي سلطان على الجرائد لازمتها بأن تكتب في تأنيب الطائفتين كما كتبت جرائد بيروت الاسلامية والمسيحية (لأجرائد لبنان) بل لأزمت المسلم بشدة لوم المسلمين واذا صراني بشدة لوم انصارى لان هذا هو الاصح في رأيي

سعاية خاتبة

لما علم بعض الاشرار بالطبع ان الاستاذ الامام قصد في صيف هذا العام زيارة بلاد الجزائر وبلاد تونس اقترصوا ذلك فكتبوا في السعاية به الى حكومة الجزائر ورسالتين إحداهما أرسلت من مصر والاخرى من الاسكندرية باسم الحاكم الفرنسي العام وفيها ما فيها من قول الزور والاغراء بالامام بزعمانه لا يقصد بالسفر الى الجزائر الا تخريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونهب طاعته انه قادر على ذلك... كما كتبوا بمثل ذلك الى الاستانة عند ما توجه الى زيارتها منذ عامين كتبوا هذا الاعتقادهم ان الحكومة الفرنسية هناك حكومة خرقاء تأخذ بالشبهة وتنتقم من البري لادنى وهم يوسوس به شيطان من شياطين الانس ، أو يهيجس به في الحاطر عفريت من الجن ، ولظنهم ان الحكومة الفرنسية تجهل قدر الاستاذ الامام ومقامه الديني. ولكن الحكومة الفرنسية فوق أو هامهم وأحلامهم فقد بلننا انها قد تلقت الرجل العظيم بالحفاوة والاحلال اللاتفتين بشخصه ومقامه الديني والعامي كإتقاء في انكسار اكبراء الانكليز وعلمائهم ، فسر بهذه المعاملة الحسنة لاشهر ائمة المسلمين في هذا العصر مسلمو الجزائر ورأوا ذلك دليلا على حسن قصد حكومتهم وحسن سياستها فليعتبر فضلاء المصريين بهؤلاء الابالسة الذين يمز عليهم ان يوجد في الامة رجل جليل عالي القدر يحترم المقام حتى انهم يبذلون جهدهم في تحقيق الكذب ليحصلوا الاجاب على اهانة ساداتهم وائمة الدين الذي يتسبون اليه وان كان يثبرا منهم . ولو شاء الفضلاء الاستقام الادبي من هؤلاء الاشرار لعلوا ولسكنهم لايتفقون

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
نذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كثر الطريق)

(مصر — الاربعاء ١٦ رجب سنة ١٣٢١ — ٧ أكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٣)

مناظرة بين مقلد وصاحب حجة

(تابع لافي الجزء الثالث عشر)

وقال (سادس عشر) كل طائفة منكم معاشر المقلدين قد أثرت جميع الصحابة من أولهم الى آخرهم وجميع التابعين من أولهم الى آخرهم وجميع علماء الأئمة من أولهم الى آخرهم الا من قلدهم في مكان من لا يبتد بقوله، ولا ينظر في فتواه، ولا يشتغل بها، ولا يبتد بها ولا وجه للنظر فيها الا للتمحل وإعمال الفكر وكده في الرد عليهم، اذا خالف قولهم قول متبوعه وهذا هو المسوغ للرد عليهم عندهم فاذا خالف قول متبوعهم نصا من الله ورسوله قالوا يجب التمثل والتكلف في اخراج ذلك النص عن دلالته، والتجمل لدفعه بكل طريق حتى يصح قول متبوعهم، فيا لله لدينه وكتابه وسنة رسوله ولبدعة كادت تتل عرش الإيمان وتمهد ركنه لولا أن الله ضمن لهذا الدين، لا يزال فيه من يتكلم باعلامه ويذب عنه، فمن أسوأ شأنه على الصحابة والتابعين، وسائر علماء المسلمين، وأشد استخفافا بمقوقهم، وأقل رعاية لواحيها، وأعظم استهانة بهم، ممن لا يلتفت الى قول رجل واحد منهم ولا الى فتواه غير صاحبه الذي اتخذته وليجة من دون الله ورسوله.

وقال (سابع عشر) من أعجب أمركم أيها المقلدون انكم اعترفتم وأقرتم على أنفسكم بالعجز عن معرفة الحق بدليله من كلام الله وكلام رسوله مع سهولته وقرب مأخذه واستيلائه على أقصى غايات البيان، واستحالة التناقض والاختلاف عليه، فهو قلل مصدق عن قائل معصوم وقد نصب الله سبحانه الأدلة الظاهرة على الحق، وبين لعباده ما يتقون، فادعيت العجز عن معرفة مانصب عليه الأدلة وتولى بيانه ثم زعمتم انكم قد عرفتم بالدليل أن صاحبكم أولى بالتقليد من غيره وأنه أعلم الأمة وأفضلها في زمانه ولم حرجا وغلاة كل طائفة منكم توجب اتباعه وتحرم اتباع غيره كما هو في كتب أصولهم، فمجبا كل العجب لمن خفي عليه الترجيح فيما نصب الله عليه الأدلة من الحق ولم يهتد اليها واحتدى إلى أن متبوعه أحق وأولى بالصواب عن عداه ولم ينصب الله على ذلك دليلا واحداً.

ويقال (ثمان عشر) أعجب من هذا كله من شأنكم معاشر المقلدين انكم اذا

وجدتم آية من كتاب الله توافي رأي صاحبكم أظهرتم أنكم تأخذون بها والعمدة في نفس الأمر على ما قاله لإعلى الآية وإذا وجدتم آية نظيرها يخالف قوله لم تأخذوا بها وتطلبتم لها وجوه أتأويل وأخراجها عن ظاهرها حيث لم توافي رأيها وهكذا تفعلون في نصوص السنة سواء - إذا وجدتم حديثاً صحيحاً يوافق قوله أخذتم به وقلم لنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم كيت وكيت وإذا وجدتم مثله حديث صحيح بل أكثر يخالف قوله لم تلتفتوا إلى حديث منها ولم يكن لكم منها حديث واحد فتقولوا لنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا وإذا وجدتم مرسلًا قد وافق رأيهم أخذتم به وجعلتموه حجة هناك وإذا وجدتم مثله مرسل يخالف رأيهم طرحتوها كلها من أولها إلى آخرها وقلم لا تأخذ بالمرسل .

وقال (تاسع عشر) أعجب من هذا أنكم إذا أخذتم بالحديث مرسلًا كان أو مسندًا لمواقفته رأي صاحبكم ثم وجدتم فيه حكمًا يخالف رأيهم لم تأخذوا به في ذلك الحكم وهو حديث واحد وكان الحديث حجة فيما وافق رأي من قلده ثموه وليس بحجة فيما خالف رأيهم ولتذكر من هذا طرفًا فإنه من عجيب أمرهم .

(١) فاحتج طائفة منهم في سلب طهورية الماء المستعمل في رفع الحدث بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة والمرأة بفضل وضوء الرجل وقالوا الماء المتفصل عن أعضائها هو فضل وضوءها . وخالفوا نفس الحديث فجوزوا لكل منهما أن يتوضأ بفضل طهور الآخر وهو المقصود بالحديث فإنه نهى أن يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة إذا خلت وليس عندهم للخلو أثر ولا لكون الفضلة فضلة امرأة أثر فخالفوا نفس الحديث الذي احتجوا به وحملوا الحديث على غير محله إذ فضل الوضوء بيقين هو الماء الذي فضل منه ليس هو الماء المتوضأ به فإن ذلك لا يقال له فضل الوضوء فاحتجوا به فيما لم يرد به وأبطلوا الاحتجاج به فيما أريد به .

(٢) ومن ذلك احتجاجهم على نجاسة الماء بالملاقاة وإن لم يتغير به صلى الله عليه وآله وسلم إن يقال في الماء الدائم لم يتغير به حتى ينقص عن قلتين

(٣) واحتجوا على نجاسته أيضًا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً » ثم قالوا لو غسها قبل

غسلها لم يجس الماء ولا يجب عليه غسلها وإن شاء أن يمسها قبل الفصل .
(٤) واحتجوا في هذه المسئلة بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بحفر
الأرض التي بال فيها البائل وإخراج ترابها ثم قالوا لا يجب حفرها بل لو تركت حتى
يبست بالشمس والريح ظهرت

(٥) واحتجوا على منع الوضوء بلقاء المستعمل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم
«يا بني عبد المطلب إن الله كره لكم ضالة أيدي الناس» يعني الزكاة ثم قالوا لا تحرم
الزكاة على بني عبد المطلب . (لعل الصواب بني المطلب)

(٦) واحتجوا على أن السمك الطافي إذا وقع في الماء لا يجسه بخلاف غيره من
ميتة البر فإنه يجس الماء بقوله صلى الله عليه وآله وسلم في البحر «هو الطهور ماؤه
الحل ميتته» ثم خالفوا هذا الخبر بعينه وقالوا لا يحل مامات في البحر من السمك
ولا يحل شيء مما فيه أصلاً غير السمك

(٧) واحتج أهل الرأي على نجاسة الكلب وولوغه بقول النبي صلى الله عليه
وآله وسلم «إذا ولغ الكلب في آثاء أحدكم فليسله سبع مرات» ثم قالوا لا يجب
غسله سبعاً بل يغسل مرة ومنهم من قال ثلاثاً

(٨) واحتجوا على تفريقهم في النجاسة المطلقة بين قدر الدرهم وغيره بحديث
لا يصح من طريق غطيف عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة يرفعه «تعاد
الصلاة من قدر الدرهم» ثم قالوا لا تعاد الصلاة من قدر الدرهم

(٩) واحتجوا بحديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الخبة (١) في الزكاة في
زيادة الأبل على عشرين ومئة أنها ترد إلى أول الفريضة فيكون في كل خمس شاة
وخالفوه في اثني عشر موضعاً منه

ثم (١٠) احتجوا بحديث عمرو بن حزم أن ملازداً على مئتي درهم فلا شيء فيه
حتى يبلغ أربعين فيكون فيها درهم وخالفوا الحديث بعينه في نص ما فيه في أكثر
من خمسة عشر موضعاً (٢)

(١١) واحتجوا على أن الخيار لا يكون أكثر من ثلاثة أيام بحديث المصراة
وهذا من إحدى العجائب فاتهم من أشد الناس إنكاراً له ولا يقولون به فإن كان

(١) المنار : لعل الصواب (في الخبة) فإنه يقول في الزيادة في كل خمسين حقة (٢) الحديث عند النسائي
وغيره وهو طويل وفيه «وفي كل خمس أواق من الورق خمسة دراهم فإذا نفي كل أربعين درهما درهم»

حقاً وجب اتباعه وإن لم يكن صحيحاً لم يجز الاحتجاج به في تقدير التثبوت مع أنه ليس في الحديث تسمي لغير الشرط فالذي أريد بالحديث ودل عليه خالفوه والذي احتجوا عليه به لم يدل عليه .

(١٢) واحتجوا لهذه المسئلة أيضاً بخبر حبان بن منقذ الذي كان يفتن في البيع فجعل له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخيار ثلاثة أيام . وخالفوا الخبر كله فلم يثبتوا الخيار بالبين ولو كان يساوي عشر معشار ما بذله فيه وسواء قال المشتري : لا خلافة : أو لم يقل وسواء غبن قليلاً أو كثيراً لا خيار له في ذلك كله

(١٣) واحتجوا في إيجاب الكفارة على من أفطر في نهار رمضان بأن في بعض ألفاظ الحديث أن رجلاً أفطر فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكفر ثم خالفوا هذا اللفظ بين فقالوا أن استنفد دقيقاً أو بطلع عينا أو أهلياً جاً أو طياً أفطر ولا كفارة عليه .

(١٤) واحتجوا على وجوب القضاء على من تعمداً لم يحرمه الله بحديث أبي هريرة ثم خالفوا الحديث بمبني فقالوا أن تقيماً بأقل من ميل فيه فلا قضاء عليه

(١٥) واحتجوا على تحديد مسافة الفطر والقصر بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسافة ثلاثة أيام إلا مع زوج أو ذي محرم » وهذا مع أنه لا دليل فيه البتة على ما ادعوه فقد خالفوه نفسه فقالوا يجوز للمملوكة والمكاتب وأما الولد السفر مع غير زوج ومحرم

(١٦) واحتجوا على منع المحرم من تقطيع وجهه بحديث ابن عباس في الذي وقفت ناقته وهو محرم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقطعوا رأسه ولا وجهه فإنه يمت يوم القيامة ملياً » وهذا من العجب فإنهم يقولون إذا مات المحرم جاز تقطيع رأسه ووجهه وقد بطل إجماعه .

(١٧) واحتجوا على إيجاب الجزاء على من قتل صيداً في الأحرار بحديث جابر أنه أفتى بأكلها وبالجزاء على قاتلها وأسند ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خالفوا الحديث بمبني فقالوا لا يحل أكلها .

(١٨) واحتجوا فيمن وجبت عليه ابنة مخاض فأعطى ناني ابنة لبون فساوى ابنة مخاض أو حماراً يساويها أنه يجزئه بحديث أنس الصحيح وفيه من وجبت عليه

أينة مخاض ليست عنده وعندة ابنة لبون قلتها تؤخذ منه ويرد عليه الساعي شاتين أو عشرين درهما وهذا من العجب فاتهم لا يقولون بما دل عليه الحديث من تعيين ذلك ويستدلون على ما لم يدل عليه بوجه ولا أريد به .

(١٩) واحتجوا على إسقاط الحدود في دار الحرب إذا قتل المسلم أسبابها بحديث « لا تقطع الأيدي في الغزو » وفي لفظ « في السر » ولم يقولوا بالحديث فإن عندهم لا أثر للسفر ولا للغزو في ذلك .

(٢٠) واحتجوا في إيجاب الاضحية بحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالاضحية وان يعلم منها الجار والسائل فقالوا لا يجب ان يعلم منها جار ولا سائل .

(٢١) واحتجوا في إباحة ما ذبحه غاصب أو سارق بالخبر الذي فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعي الى طعام مع رهط من أصحابه فلما أخذ لقمة قال داني أجد لحم شاة أخذت بغير حق » فقالت المرأة : يا رسول الله إني أخذتها من امرأة فلان بغير علم زوجها فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تعلم الأسارى وقد خالفوا هذا الحديث فقالوا ذبيحة الغاصب حلال ولم يحرم على المسلمين ،

(٢٢) واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « جرح المعجماء جبار » في إسقاط الضمان بجناية الواشي ثم خالفوه فيما دل عليه وأريد به فقالوا من ركب دابة أو قادها أو سقاها فهو ضامن لما عشت بهما ولا ضمان عليه فيما أتلقت برجلها .

(٢٣) واحتجوا على تأخير القود الى حين البرء بالحديث المشهور ان رجلا طعن

آخر في ركبته بقرن فطلب القود فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حتى يبرأ » فأبى فأقاده قبل أن يبرأ الحديث وخالفوه في القصاص من الطلعة فقالوا لا يقتصر منها .

(٢٤) واحتجوا على إسقاط الحد عن الزاني بأمة ابنه أو أم ولد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أنت ومالك لأبيك » وخالفوه فيما دل عليه فقالوا ليس للأب من مال ابنه شيء البتة ولم يبيحوا له من مال ابنه عود أراك فافوقه وواجبوا حبسه في دينه وضمان ما أتلفه عليه .

(٢٥) واحتجوا على أن الإمام يكبر إذا قال المقيم : قد قامت الصلاة : بحديث بلال أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسبقني بأعين : ويقول أبي هريرة مروان : ان

لا تسبقني بآمين : ثم خالفوا الخبر جهاراً فقالوا لا يؤمن من الامام ولا المأموم .

(٢٦) واحتجوا على وجوب مسح ربيع الرأس بحديث المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح بخاصيته وعمامته ثم خالفوه فيبادل عليه فقالوا لا يجوز المسح على العمامة ولا أثر للمسح عليها البتة فان الفرض سقط بالخاصية والمسح على العمامة غير واجب ولا مستحب عندهم .
(ها بقية)

باب الاسئلة والاجوبة

(الدليل على اشتراط الاسلام في القاضي)

(س١) رضاء الدين أقدى قاضي القضاة ببلدة (اوقا) في الروسية : انه يستفاد من مكتب الفقهاء متأخريهم ومتقدمهم اشتراط الاسلام في القاضي الذي يقضي فيما بينهم ولا سيما في الدعاوي التي تخص المائلات مثل التكاح والطلاق وثبوت النسب والرضاع بمعنى ان قضاء غير المسلم في هذه الامور فيما بين المسلمين لا يصح ولا ينفذ اذا قضى فيه لظاهره ولا باضاه . ولكن هل يوجد لهذا الاشتراط دليل صريح من القرآن الشريف أو السنة المباركة . فنرجو من حضرة الاستاذ الاحسان بالجواب في المنابر بحيث يقع المشتبه المتصف . والفقيه يظن وان لم يتيسر له الاطلاع الى دليله القاطع ان القضاء فيما بين أهل الاسلام خصوصاً في الدعاوي التي تتعلق بالزوجة وعدمها وثبوت الانساب من المناصب الدينية لا يجوز من غير المسلم أصلاً ولو كان عالماً حق العلم بقواعد الشريعة الاسلامية . كما أن غير المسلم لا يجوز امامته في الصلاة وان كان عارفاً أحكامها بأسرها والعجب من صاحب الهداية مع التزامه ذكر طريق الاستدلال في كل مسألة وابن الهمام في الفتح مع تجرؤه في علم السنة وأصول الاستدلال لم يذكر في هذه المادة ما يشفي الطليل والله أعلم .

(ج) القضاء ولاية وسلطة مدنية دينية أهم شروطها العلم بالكتاب والسنة والقدرة على الاستنباط وكون المستنبط الذي ينفذ حكمه ونحو طاعته مسلماً والاصل في ذلك قوله تعالى «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» وقوله تعالى في الامر المتنازع فيه «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» وقوله تعالى «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ لَعَلَّكُمْ الَّذِينَ يَسْتَنْصِطُونَ مِنْهُمْ» وقوله منكم ومنهم يعني به المسلمين . وقوله تعالى «وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا»

فهذه الآيات أدلة واضحة في المقصود. وقد استدل بالآية الأخيرة صاحب كتاب (الاحكام السلطانية) على اشتراط الاسلام في القاضي. ويصح ان يستدل على ذلك أيضا بمثل قوله تعالى «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» فهذا يشمل جميع أنواع الولاية العامة والخاصة ومن ثم كان اشتراط الاسلام في القاضي مجمعا عليه عند المسلمين والاحاديث الواردة في القضاء مبنية على شيء معروف في الاسلام وهو كون القاضي مسلما وقد جرى على ذلك الصحابة ومن بعدهم من المسلمين فقد قلدهم التامين ضروريا من الاعمال ولكن لم يقلدهم القضاء وقد قال الماوردي في (الاحكام السلطانية) يجوز ان يكون وزير التنفيذ ذميا دون وزير التفويض لان هذا الثاني يحكم ويولي ويجب ان يكون مجتهدا في الدين

واذا نظرنا في المسألة بين القياس نجد الملة ظاهرة فالقاضي عند المسلمين هو ولي من لاولي له في كثير من الاحكام الدينية فهو زوج المسلمة اذا غاب الولي أو فقد أو عضل وهو يطلق على الزوج ويضخ العقود الزوجية عند ما تقتضي المصلحة ذلك. وامثال هذه الاحكام خاصة برجال الدين في عرف جميع الامم، وتقاليد جميع الملل والنحل، ولعل صاحب الهداية وشارحها لم يرا حاجة للتوسع في الاستدلال على مسألة لإجماعية لاتزاع فيها على ان طريقتهما في الاستدلال هي كما ذكرتم بالنسبة الى كتب الحنفية التي ترى أكثرها غفلا من الاستدلال ولكن لو تعقبنا المحدث الفقيه في السنة لين قصيرهما في مواضع كثيرة جدا ولا أقول في أكثر المواضع

محرم تحليل المطلقة ثلاثا وبذع المحللين

(س ٢) عوض افندي محمد الكفراوي بزفتي : لما كنت الرجل الوحيد الذي يذب عن الدين جيشك راحيا الاجابة عن السؤال الذي تجده بهذه الصحيفة فهو : هل يجوز في أعمال التحلل للمطلقة ثلاثا ان يكون علما بذلك ؟ وان كان يجوز فهل العادة التي اتخذها المأذونون في صيغة العقد صحيحة وهي ان يقول الرجل «بالتقاء الحائنين تكون الزوجة مطلقة» فهل يجوز البعد بذلك أم لا ؟ ثم انه يوجد في أكثر البلاد رجال مخصوصون للتحليل لا كسب لهم الا انه تجد الرجل يتزوج المرأة للتحليل ثم يتزوج بعد أخذها وخالها أو عنها لهذه الغاية. فاقولكم في ذلك وفي سكون المحكمة عليه

أفيدونا مأجورين : . . . :

(ج) اعلم ان المطلق ثلاث مرات لا تحل لمن طلقها الا اذا تزوجت غيره زوجا صحيحا شرعيا ثم اتفق ان مات زوجها الثاني أو طلقها وهذا التحليل المرفوف ليس بزواج شرعي لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن فاعله والامنة لا تكون على سنة من سنن الدين والفطرة وإنما تكون على الكبر من الماصي وليس بزواج عرفي اذ لا يقول الناس في الحلل انه متزوج، وقد روي عن كثير من أئمة السلف القول بأن المقدم المقصود به التحليل غير صحيح وجوز به بعض الفقهاء بالرأي مع الكراهة الشديدة اذا لم يشترط في العقد ان يطلق أو نحو ذلك من الشروط الفاسدة والقول بالجواز غير سديد، وما أمر فاعله برشيد، ولا يليق بمحاسن الشريعة الإلهية، ان تنسب اليها هذه الفضيحة الشيطانية، واتنا بعد أولا بما جاء في «الزواجر» من حكاية الجواز وعدمه ثم نبين مفساد هذه البدعة القبيحة فنقول: قال الفقيه ابن حجر الهيتمي في الجزء الثاني من الزواجر ما نصه :

«الكبيرة الستون والحادية والستون والثانية والستون بعد المائةين»

(رضا المطلق بالتحليل وطواعية المرأة المطلقة عليه ورضا الزوج المحلل به)

أخرج أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا أخبركم بالثبست المستمار» قالوا بلى يا رسول الله قال «هو المحلل لمن الله المحلل والحلل له» قال الترمذي والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر وابنه وعثمان رضي الله عنهم وهو قول الفقهاء من التابعين، وأبو اسحق الجوزجاني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال «لا الانكاح رغبة لا نكاح دلسة ولا استنزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق الصيلة» وروى ابن المنذر وابن أبي شبة وعبد الرزاق والاثرم عن عمر رضي الله عنه أنه قال لا أتوى بمحل ولا محلل له الا رجعتما: فدخل ابنه عن ذلك فقال: كلاهما زان: وسأل رجل ابن عمر فقال: ما تقول في امرأة تزوجت لا حلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم؟ فقال له ابن عمر: لا الانكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها وإنما كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: وسئل عن تحليل

المرأة لزوجها فقال: ذلك هو السفاح: وعن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورجع فيها فأراد أن يتزوجها رجل ليحلها له فقال: كلاهما زان وإن مكثا عشرين سنة أو نحوها إذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها: وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن طلاق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال: هو عصى الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم يحل له مخرجاً: قيل له: فكيف ترى في رجل يحلها؟ فقال: من يخادع الله يخدعه: (تنبيه) عد هذا كبيرة هو صريح ما في الحديثين الأولين من اللعن وهما محمولان عند الشافعي رضي الله عنه على ما إذا شرط في صلب نكاح الحمل أنه يطلق بعد أن يظأ أو نحو ذلك من الشروط المفسدة لنكاح: وحينئذ التحليل كبيرة فيكون كل من المطلق والحلل والمرأة فلسفاً لاقدامهم على هذه الفاحشة وعلى ذلك يحمل اطلاق غير واحد من الشافعية أن التحليل كبيرة إذا هو بدون ذلك مكروه لأحرام فضلا عن كونه كبيرة ولا عبرة بما أضره ولا بالشروط السابقة على العقد. وأخذ جماعة من الأئمة باطلاق الحديثين فحرموا التحليل مطلقاً منهم من ذكرناه من الصحابة والتابعين والحسن البصري فقال: إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد: والنخعي فقال: إذا كانت نية أحد الثلاثة الزوج الأول والزوج الآخر أو المرأة التحليل فتكاح الآخر باطل ولا تحل للاول: وابن المسيب فقال: من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الاول لم تحل له: وتبعهم مالك والليث وسفيان الثوري وأحمد وقد سئل عن تزوج امرأة وفي نفسه أن يحلها للاول ولم يعلم هي بذلك فقال: هو محلل وإذا أراد بذلك التحليل فهو مأمون أه كلام الزواجر

أما مفسد هذه البدعة الذميمة ونضائمتها فهي كثيرة وقد فصل القول فيها ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) أحسن تفصيل في سياق الكلام على تغير الفتوى واختلافها باختلاف الزمان والمكان والاحوال عقيب المثال السابع من أمثلة ذلك التغير والاختلاف وهو ماورد في صحيح مسلم وغيره من أن الطلاق الثلاث باللفظ الواحد كان يحل طلقة واحدة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومدة خلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر ثم لما رأى عمر رضي الله عنه اختلاف الحال بكثرة هذا الطلاق المخالف للسنة رأى من المصلحة أن يمضيه على الناس يرجعوا عنه فأهضاه . ويقول المصنف وسبقه الى ذلك شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره أن الزمان قد اختلف الآن

وصار من المصلحة جعل الثلاث باللفظ الواحد واحدة كإكان في الصدر الاول وقد يتنوا ذلك وأوضحوه بما ليس من غرضنا ذكره الا ما كتبه ابن القيم في مفسدة واحدة من مفسدات الطلاق الثلاث في عصره . وهذه المصور وهي مفسدة التحليل . قال بعد ما قدمت الإشارة اليه في المثال :

(فصل) اذا عرف هذا فهذه المسألة مما تفتتت الفتوى بها بحسب الازمنة كما عرفت لما رآه الصحابة من المصلحة لأنهم رأوا مفسدة تنابع اثاس في إيقاع الثلاث لا تدفع الا بأضاثها عليهم فرأوا مصلحة الامضاء اقوى من مفسدة الوقوع ولم يكن باب التحليل الذي لمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعله مفتوحا بوجهما بل كانوا أشد خلق الله في المنع منه وتوعد عمر فاعله بالرجم وكانوا عاقلين بالطلاق المأذون فيه وغيره . واما في هذه الازمان التي قد شكت الفروج فيها الى ربها من مفسدة التحليل وقبح ما يرتكبه المحللون مما هو رمد بل صمى في عين الدين ، وشجى في حقوق المؤمنين ، من قبائح نشتت اعداء الدين به ، وتمنع كثيرا ممن يريد الدخول فيه بسببه ، (١) بحيث لا يحيط بتفاصيلها خطاب ، ولا يحصرها كتاب ، يراها المؤمنون كلهم من أقبح القبائح ، ويمدونها من أعظم الفضائح ، قد قلبت من الدين رسمه ، وغيرت منه اسمه ، وضخغ التيس المستعار فيها المطلقة بنجاسة التحليل ، وزعمناه قد طيبها للتحليل ، فيالله العجب أي طيب أعادها هذا التيس للملعون ، وأي مصلحة حصلت لها ولمطلقها بهذا الفعل الدون ، أترى وقوف المطلق أو الولي على الباب ، والتيس للملعون قد حل إزارها وكشف النقاب . وأخذ في ذلك المرتع ، والزواج أو الولي يتأديه لم يقدم اليك هذا الطعام لتشبع ، فقد علمت أنت والزوجة ، ونحن والشهود والحاضرون ، والملائكة الكاتبون ، ورب العالمين ، أنك لست معدودا من الأزواج ، ولا للمرأة وأوليائها بك رضى ولا فرح ولا ابتهاج . وانما أنت بمنزلة التيس المستار للضراب ، الذي لولا هذه البلوى

(١) التار - هذا الكلام صحيح مجرب في كل زمن وقد رأيت رجلا شيخا نصرانيا ولع بالكتب العربية الخطية فجمع منها كثيرا وكان يطالع في عامة أوقائه فاعتقد بحقيقة الاسلام وتفضيله واختار مذهب الصوفية وقد لقته مرة فقال لي لولا ثلاث مسائل لقلت ان الاسلام كله حق اولها مسألة (التجهيش) أي التحليل فأزلت شبهته حتى رجيع

لمارضينا وقوفك على الباب، فالتاس يظهر ونالكاح ويلتونه فرحا وسرورا، ونحن
تواصي بكتمان هذا الداء المضال ونجمله أمراً مستورا، بلا تثار ولا داف ولا خوان
ولا اعلان، بل بالتواصي «بمس» و«مس» والاخفاء والكتمان، فالمرأة تتكبح لديها
وحسبها وما لها وجالها، والتيس المستعار لا يسأل عن شيء من ذلك فانه لا مسك بصمتها
بل قد دخل على زوالها، والله تعالى جميل كل واحد من الزوجين سكنا لصاحبه
وجعل بينهما مودة ورحمة ليحصل بذلك مقصود هذا العقد العظيم، وتم بذلك
المصلاقة التي شرعها لاجلها العزيز الحكيم،

«فصل التيس المستعار هل له من ذلك نصيب، أو هو من حكمته هذا العقد
ومقصوده ومصلاحته أجني غريب، وسله هل اتخذ هذه المصابة حليلة وفراشا يوي
اليه، ثم سلها هل رضى به قط زوجها وبلا تمول في نوايتها عليه، وسل أولي
التمييز والعقول هل تزوجت فلاة بفلان، وهل بعد هذا نكاحا في شرع أو عقل
أو فطرة انسان، وكيف يلحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من أمته
نكح نكاحا شرعيا صحيحا، ولم يرتكب في عقده محرما ولا قبيحا، وكيف يشبهه
بالتيس المستعار، وهو من جملة المحسنين الأبرار، وكيف تعبر المرأة به طول دهرها
بين أهلها والخيران، وتظل ناكسة رأسها اذا ذكر ذلك التيس بين النسوان،

«وسل التيس المستعار هل حدث نفسه وقت هذا العقد الذي هو شقيق التفاق،
بنفقة أو كسوة أو وزن صداق، وهل طمعت المصابة منه في شيء من ذلك، أو حدثت
نفسها به هناك، وهل طلبت منها ولدا نجيا، وأخذته عشيرا وحييا، وسل عقول
العالمين وفطرتهم هل كان خير هذه الامة أكثرهم تحليلا، أو كان المحلل الذي لئنه
الله ورسوله أهداهم سبيلا،

«وسل التيس المستعار ومن ابتاع به، هل تحمل أحد منها بصاحبه، كما يحمل الرجال
بالنساء والنساء بالرجال، أو كان لاحدهما رغبة في صاحبه بحسب أو مال أو جمال،
وسل المرأة هل تكره أن يتزوج عليها هذا التيس المستعار أو يتسرى، أو تكره أن
تكون تحته امرأة غيرها أخرى، أو تسأل عن ماله وصنعت، أو حسن عشرته وسعة
نفقته، وسل التيس المستعار هل يسأل قط عما يسأل عنه من قصد حقيقة النكاح.

أو توسل الى بيت أحمائه بالمدينة والحمولة والتقد الذي يتوسل به خاطب الملاح، وسله هل هو أبو يأخذ أو أبو يعطي ، وهل قوله عند قراءة (أبي جاد) هذا العقد خذي نفقة هذا العرس أو (حطلي) ، (١) وسله هل تحمل من كلفة هذا العقد خذي نفقة هذا العقد أو حطلي ، وسله عن وليمة عرسه هل أولم ولو بشاة ، وهل دعا اليها أحدا من أصحابه فقصى حقه وأتاه ، وسله هل تحمل من نفقة هذا العقد ما يتحمله الزوجون ، أم جاءه كما جرت به عادة الناس الاصحاب والمهنتون ، وهل قيل له بارك الله لكما وعليكما وجميع ينسكما في خير وعافية ، أم لعن الله المحلل والمحلل له لعنة تامة وافية ، (فصل) ثم سل من له أدنى اطلاع على أحوال الناس كم من حرة مصونة

أنشبت فيها المحلل مغالب ارادته فصارت له بعد الطلاق من الأخدان ، وكان يملها منفردا بوطئها فإذا هو والمحلل فيها بركة التحليل شريكان ، فلمع الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها الى البغاء ، وألقاها بين ران المشراء والحرفاء ، ولولا التحليل لكان مثال الثريا دون مناهل ، والتدرع بالكفان دون التدرع بجماها ، وعناق القنادون عناقها ، والأخذ بذراع الاسد دون الأخذ بساقها ، وسل أهل الخبرة كم عقد المحلل على أم وابنتها ، وكهم جمع مأوه في ارحام مازاد على الرابع وفي رحم الاختين ، وذلك محرم باطل في المذهبين ، وهذه المنسدة في كتب مفاسد التحليل لا ينبغي أن تفرد بالذكر ، وهي كموجة واحدة من الامواج ومن يستطيع عد أمواج البحر ، وكهم من امرأة كانت قاصرة الطرف على بعلها ، فلما ذاق عسيلة المحلل خرجت على وجهها فلم يجتمع شبل الاحسان والنفقة بعد ذلك بشملها ، وما كان هذا سيده ، فكيف يحتمل أكمل الشرائع وأحكمها تحاييله ، فصولات الله وسلامه على من صرح ببلسته ، وسماه بالئيس المستعار من بين فساق أمته ، كما شهد به على بن أبي طالب كرم الله وجهه وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وعقبة بن عامر وعبد الله بن عباس وأخبر عبد الله بن عمر أنهم كانوا يمدونه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سفاحا .

(التار : وهنا أورد المصنف الاحاديث التي رواها هؤلاء الصحابة الكرام في لعن المحلل وفي تسميته بالئيس المستعار وبحث في اسناد واحد منها قدامه بعضهم وبين

(١) بلبل هذا السجعة نسخة ثانية وما أرى المصنف جمع بينهما

هو حست ومنها مارواه الحاكم في صحيحه من حديث ابن أبي مرزيم حدثنا ابو غسان عن عمر بن نافع عن أبيه قال جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فزوجها أخ له من غير مؤامرة بينه ليحلها لآخيه هل يحل للاول ؟ قال : لا ، الا نكاح رغبة كنا ندد هذا سفاحاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : والسفاح هو الزنا بجهرا . ثم قال المصنف (فصل) فسل هذا التيسر هل دخل في قوله تعالى « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَخْلُقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً » وهل دخل في قوله تعالى (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَّائِكُمْ) إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض البصر وأحصن للفرج ، وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « تزوجوا الودود الولود فإن من مكارمكم يوم القيامة » وهل دخل في قوله « أربع من سنن المرسلين النكاح والتعطير والختان » وذكر الرابعة وهل دخل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » وهل له نصيب من قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء » وذكر الثالث ؟ أم حق على الله لعتة تصديقاً لرسوله فيما أخبر عنه ؟ وسله هل يلحق الله ورسوله من فعل مستحبا أو جائزا أو مكروها أو صغيرا أم لعتة مختصة بمن ارتكب كبيرة أو ما هو أعظم منها كما قال ابن عباس : بكل ذنب ختم بغتة أو غضب أو عذاب أو نار فهو كبيرة

« وسله هل كان في الصحابة محل واحد أو اقر رجل منهم على التحليل ؟ وسله لا شيء قال عمر بن الخطاب : لا أوتي بمحل ولا محل له الا رجما ؟ وسله كيف تكون للعتة حراما نصا مع أن المستمع له غرض في نكاح الزوجة الى وقت لكن لما كان غير داخل على النكاح المؤبد كان مرتكباً للمحرم فكيف يكون نكاح المحلل الذي انما قصده ان يسكنها ساعة من زمان أو دونها ولا غرض له في النكاح البتة بل قد شرط ابقاءه

وزواله اذا خشي بالتحليل ، فكيف يجتمع في عقل او شرع تحليل هذا وتحريم التمة - هذا مع ان التمة يحرم في اول الاسلام وقبلها الصحابة وانقي بها بعضهم بدموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونكاح المحلل لم يبيح في ملة من الملل قط ولم يضعه أحد من الصحابة ولا انقي به واحد منهم ؟

(ثم قال المصنف) « وليس الغرض بان تحريم هذا المقد ويطالنه وذكر مفاسده وشبهه فانه يستدعي سفرا ضخما مختصرا في الكلام وانما المقصود ان هذا شأن التحليل عند الله ورسوله واصحاب رسوله قالزمهم عمر بالطلاق الثلاث اذا جموها ليكفوا عنه اذا علموا ان المرأة تحرم به ، وأنه لا سبيل الى عودها بالتحليل . فانه لما تغير الزمان وبعد عهد الناس بالسنة وآثار القوم وقامت سوق التحليل ونفقت في الناس قالوا يجب ان يرد الامر الى ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته من الافتاء بما يعطل سوق التحليل او يقللها ويخفف شرها . واذا عرض الى من وقفه الله وبصره بالهدى وفقهه في دينه مسألة كون الثلاث واحدة ومسألة التحليل ووازن بينهما تبين له التفاوت وعلم أي المسألتين أولى بالدين ، وأصلح للمسلمين .

« فهدد حجج المسألتين قد عرضت عليك ، وقد أهدبت ان قبلها اليك ، وما اظن عسى التقليد الا يزيد الامر على ما هو عليه ، ولا بدع التوفيق بقودك اختيارا اليه ، وانما اشرنا الى المسألتين اشارة يطلع العالم على ما وراءها وبالله التوفيق » اهـ

(القسم العمومي)

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ - (تابع ويتبع)

(٢) ماهو الحسن؟ - قد عرفتم بالذي قلناه في تعريف الحسن ماهو الحسن .
وبقي ان أقول لاجل تذكير القاري بأصل الموضوع انه هو الزينة من غير نظر منا الى الفرق بين الحسن الذاتي والحسن الصناعي .

(٣) ماهو الاستحسان ؟ - هو انبساط النفس لذلك الشيء الذي وجدت فيه ما يناسبها . ليست الصعوبة في تعريفه بهذا الرسم وانما الصعوبة في معرفة ان الاستحسان يحصل لامرء بالبداهة أو بالنظر والتأمل وقد سبق شيء من الاشارة الى هذا الامر

ولكني لأراه مستغنياً عن زيادة الشرح . أما استحسان بعض المحسوسات فيحصل للبعض بالبداهة وتقبه محبة . ولهذا السرّ ظن البعض أن الحب يكون اضطرارياً على أن هذا السرّ وإن بقي غامضاً لا يثبت هذه النظرية بمثل هذه الحوادث الفذة ثبوت ضد هذه النظرية يبراهين حجة وعقيلة مما . وأما استحسان كل المقولات فن أهل التفكير نتيجة نظر وقامل ومن أهل التقليد نتيجة ثقة بالمقلدين . والاولى أن لا يمد استحسان هؤلاء استحساناً لاتنا إذا أدخلتهم في صف من لا فكر لهم من المخلوقات لم تكن عملنا غير الصواب لأنه هو المطابق لروح الواقع ونفس الامر .

(٤) ماهو حب المستحسن ؟ - تقدّم تعريف الحب وليس سؤالنا عن تعريفه بل عن ذلك السرّ المودع في طبيعة النفس من محبة أشياء تعتبرها حيلة . ولعلّ ذلك السرّ هو شوقها الطبيعي الى ما وراء جسمانية المادة وما يلحقها من الجمادية المحضة .

(٥) لماذا نستحسن ؟ - هذا السرّ مودوع في نفوس الخاصة والعامة من بني النوع . ولما اوتينا المزية العظيمة التي تسمى « الارادة » اراد الفاطر أن يتجلى فينا ظاهرة باهرة فاقسمت الاشياء في نظرنا كافة الى ماتوجه نحوه ارادتنا وهو ما نستحسن والى ما تنصرف عنه وهو ضده . فهذا هو السرّ في كوننا نستحسن .

(٦) لماذا نحب الحسن ؟ - يظهر بالذي قلناه سرّ حبنا الجميل وزيد عليه علة لا يتوقف في فهمها انسان وهو اننا نحب الحسن لنعمل . فلو لا ذلك لقتلنا بما ثبتت الارض من كلاً ، وما تفيض به من ماله . ويظهر من ملاحظة سير الماسيحين والغابرين ، وسنن الوجود في الاولين والآخرين . اننا لم نخاق لمثل هذا بل خلقنا لاسرار عظيمة لا تظهر فينا الا بحبنا الحسن والحسن .

(٧) لماذا نختلف بالاستحسان ؟ - اذا كنّا نحب الجميل لنعمل فحين نختلف بالاستحسان لنتختلف اعمالنا . على ان لا اختلافاً في الاستحسان عللاً أخرى منها اختلاف الامزجة . وبيان السرّ في اختلاف الامزجة لا يمد عن مدد علمنا هذا ولكنه قد يمد عن مدد هذا الفصل او قد يمد بنا عن الغاية التي أشرقنا عليها . وكذلك لا اختلافنا في الاعمال علل أخرى ولكن الذي ذكرناه هو من أقدم الاسباب .

(٧) ماهو عشق المستحسنات الذي يعمل بكل نحو مستحسن فيغرم به ؟ - يبقى علمنا

سؤال عن أمر آخر غير الحب المعتاد وهو العشق الذي مبلغ العلم فيه انه أعظم درجات الحب ومنتهاه. والجواب على ذلك في غاية السهولة وهي ان النفوس قوابل ، والواردات عليها فراعيل ، وبعض النفوس أشد قبولا واقفالا لما تعرضت له من الواردات فيصيبها العشق الذي هو أعظم الحب في حين ان كثيرا من اخواتها اللاتي تعرضن لثل ما تعرضت هي له لا يصبين الا الحب البسيط وكثيرا من غير أولئك لا يصبين شيئا.

هذا وان فيه لبلانا في بيان الموضوع ، وكشفا لبعض السر المودوع ، ومحار فيه من لم يرد من اليان مشارعه ، ولم يذق من التقريره شاربه ، واولئككم ليسوا من أهل المنار ، ولا تلهم في مثل هذا الكلام المدار ، وحسب اولئككم بما تقدم ان يسموه هذه الخلاصة : « لولا حب الزينة لما كان من حاجة الى أكثر الصنائع . ولولا كثرة الصنائع لما توفرت أسباب الاجتماع . ولولا الاجتماع لما تبودلت الافكار . ولولا تبادل الافكار لما حصلت المعارف الانسانية . ولولا المعارف الانسانية لكانت حياة الانسان كحياته بالهائم » ، ولو شئنا لشرحنا هذا الكلام بفصول كثيرة ولكننا قلنا منه بما سبق ، وفي هذا الترتيب الذي وضعنا وضوح تام ، وللمعرايين ههنا شركة في البحث واليان ، وتركنا لهم وظيفتهم التي هي البناء بعد اداء وظيفتنا التي هي الاساس .

ولكيلا يفوتنا التصيب من تصحيح افكار اولئك الذين نعلمهم ناقين على حب الزينة ونعلم انهم سينقمون منا تمثيلنا حب الزينة هذا التمثال الذي ستره البصائر نفيماء ، وكأني بهم رافعين عقيرتهم يقولون هل يجني الناس منه الا الدأب والكبد العمر كله في طلب الفواني ، وهل في سبيل هذه المحبوبات التي لاتنتهي الا الوقوع في أنواع الرزايا المروقة ؟ لكيلا يبقى هذا الاعتراض بلا جواب نقول : ان الذي قلناه هو وصف لامر واقع على سبيل العموم والشمول لاحث وحض على حب الزينة ، وان الذي نعلمه ان ذلك الامر الذي وصفناه طبعي لا يصده عن النفوس ان ينقم الناس عليه كما ان الاكل مهما سببناه لانستغني عنه ، ثم اننا نعلم انه لا يقول ذلك القول الا واحد من ذئبك الاثنين الضدين المتسفل في دركات المواجز من الحيوانات التي تكره الحركة وتهوى السكون ، وللتسامي بقله الى مافوق الفواني المتجافي عن الزوائد من مقومات الحياة للمادة نشوقاً الى المعقولات العالية . ومن عجب ان يخدبنا في قولهما مع اختلافهما في نيتيهما ، ولم يكن

ذلك الا لأن الثاني قاتته حكمة الاعتبار بأصل الفطرة وسرها . وفاته النظر الى الواقع ونفس الامر ، ولم يبق عابدا الا ان تنظر هل يجوز لنا ان نشي عن حب الزينة والجمال ؟ والجواب : لا يجوز لنا ذلك لانه لا يجوز لنا ان نحاول البعث . وهذا هو وجه الحقيقة الذي لاح لاهل علمنا فشهدوا كما رأوا . وعلماء العمران سترامهم يقهون اشد التذكير على رجل يقول بجواز التهي عن حب الزينة . ونحن في امن من هذا لوغى لا تالانزید على قولنا : « انه لا يفيد » وليس في هذا القول مصادمة لقاعدة ان الحب يدخل تحت « نظام » لانا لم نخرجہ عن النظام بهذه الكلمة ولكن الآخرين يريدون ان يخرجوه عن الوجود لاعن النظام فقط . ويوضح هذا مثال : « اذا قلنا لا يجوز التهي عن الأكل مطلقا لانه لا يفيد اذ هو امر بتغيير الفطرة » فلا يفهم احد قط من هذا الكلام انه لا يدخل الأكل تحت نظام ، فلينظر ذو فكر ما يقول :

وقد ذهب ظن القاري الى ان محرر هذه الكلمات رجل من غلاة المقتولين بهذه الصور المتحولة الفانية وتلك المادة الجهاد الحاد . مدعوا اني لا احاسب الناس على ظنونهم ولكن من يحاول التعريف بشي عن نية ساقية يحرص على مقصوده اكثر من ذي اجر واني حريص ان ياخذ قاري كلامي بالصبب الا وفي من علم طبيعة النفوس من حيث المجموع مع مراعاة حالاتها في الاجتماع وحالاتها الشخصية فاني على يقين ان هذا الدلمبرث صاحب سلامة ذوق وسلامة صدر وسلامة فكر ويؤديه الى الاعتدال الذي هو محور نظام الاصلاح ،

ومن أجل ذلك اذكر القاري بما استحفظته اياه في صدر الكلام ومنه يعلم أن قليلا من التدبر يكشف عوار كثيرين من الذين كتبوا في الاخلاق والشرائع ويحلى بحاسن المحسنين . ومن ههنا خالف الذين ينهون عن صرف شي من المال في سبيل حب الزينة ولا أجدي مذهبهم ذلك رائحة من الحكمة قط بل هو جهل بطباع الاجتماع فانه لن يدم الحاسر ما يستعصم به من الراجح ، والالتمد البائع من يتناع .

ومن المؤمنين بما قررناه قائل يقول : قد يحتاج الفرد وهو ساجم في الاوهام بحب الزينة الى من ينهيه الى الاخطار وهو حق ولكن عندي ان يكون التنبه من نفسه في مثل هذه الحالة خيرا امن ان يكون من آخره . لنرجع في هذا التعود امرا هو أعز وأغلا من المال الذي نخسره . ذلك هو التفكير وصدق الارادة في مباشرة الاشياء . ولا

شك بأننا سنلقي أسارى كثيرين في هذا المارك قد قديتهم الشهوات الكاذبة بأغلال الحسار، وقذفت بهم الارادات المريضة في مهاوي الدمار، ولكن أن نقدم امثال هؤلاء الاسرى وان كثروا خير من ان نهدم من ابطال الجهاد في هذه الحياة . وخير من ان لانهدم وكثيراً ما يختلف طب النفوس عن طب الابدان لان أحدها يعالج مرضاً محسوساً بملاّج محسوس . والآخر يداوي مرضاً معقولا بدواء معقول ولا طباء النفوس في هذا الباب أدوية لو استعملت شافية ولكن الناس اعاروها آذاناً صماء ونريد ان يكون لهم علاج من المحسوسات ذلك ما تعطيه مجاري الاحوال وينتج بمحة التفكير وسلامة الارادة .

وآخرون سيقولون لقد أسرف هذا وكاد ان لا يرى في الاسراف شيئاً مذموماً . كلا ان الاسراف مذموم عندي كما هو عند الناس كافة ولكن الذين يهون عنه هو مادون الاسراف وهو الذي لا تهى عنه . ولا أريد من هؤلاء أكثر من ان يعلموا انه لو لان تصرف المال فيما زين لنا ما وجد المال . ولكن علم هذا صعب عليهم ونهونه بأن نعلمهم ان المال ليس شيئاً غير قيمة جملة الاعمال التي يعملها النوع ، واذا علموا ذلك فلينذكروا انه لو لاحب الزينة لما كان من حاجة إلى أكثر الصنائع ، لو لا ما قلقت أسواق ومصانع يعمل فيها حاج للناس من غير اللوازم الضرورية التي لا تتجاوز ما نلناه آتقامن الفناء والكساء والاولاء .

ما اذا زين هؤلاء بعض هذه الاسواق والمصانع ودوران فلك الاعمال على هذه الاقطاب الحالية وما داناها في الماضي وما سيفوتها في الآتي فالبأس على اذا دار الفلك على حسب احلامهم وانما البأس على قوم يبلغ بهم الهوس ان يروا الخير والسعادة في أولي السير من الحياة وهي سيرة الانس بالاولجار والاحجار والفزع من خطور الاشباح وهبوب الارواح (٥)

﴿ نتيجة عظيمة ﴾

وما قررناه أساس متين لبناء نظامي الاخلاق والشرعية . يبنى عليه في الاخلاق ذم جمود النفس الذي من لوازمه نسيان الحظ من الحياة النوعية الا ما وجدت عليه الآباء . وذم غلبتها الذي من لوازمه تجاوز الحدود التي وضعت لحفظ الحقوق . ومدح الاعتدال . وفي التمدد نموت المتحي الذي يفهم منه ذم جمود النفس لانه الغالب في مشرقنا . ويبنى عليه في الشرعية الحرية في المطاعم وموائدها ، والملابس وازياتها .

(٥) جمع ربح وهو يأتي هكذا كايأتي جمال للروح

والباتني واشكالها ، وغير ذلك من الحاجات اللوازم والتوابع وكل شريعة لم تُبَنّ في هذه الابواب على مثل هذا الاساس لا يقوم لها ببيان . ولا يوفق الناس أعمالهم على احكامها وان تلوا حروفها . واذ كانت كل شريعة تنسخ ما قبلها كانت تقرب من هذا المعنى بحسب ترقى النوع ولذا كانت الشريعة الاخيرة حائزة هذا المعنى تماماً . وحرّم منها ما يضر بصحة الموم . وما يصادم فناً عاماً أو حقاً خاصاً . وما يجمع علماء الاخلاق على مضرتة بجوهر النفس . وهذا التحريم في الحقيقة معين على حياتها وحسن التصرف فيها والطلعون سيدركون ما وراء هذا الجمل من التفاصيل . ومن عداهم سيأتيهم التفصيل في مواضع متعددة وحسبهم الآن ان يتدبروا هذه النتيجة ويفكروا فيها بفكر لقي .

﴿حب التميز﴾

في الفطرة زيادة على حب الزينة حب التميز فلو لا هذا الثاني لبغنا نهاية فيها نحب من الزينة أو غيرها ولكن هو الذي أبعد الغاية على الطالين . والذين هم أشد حبا للزينة هم أشد حبا للتمييز ، وعند التأمل في آثار هذه الطبيعة نجد أنها ينبوعاً للخيرات والشرور معاً . وهكذا نجد الشر موجوداً دائماً في منابت الخير ولذلك كان تحصل الخير في هذه الحياة عناءاً كبيراً كاللناء في تحصيل الخنطة من بين الشوك ثم تميزها من الزؤان بل هو أكبر . ولكن أجر هذا العناء عظيم وهو بلوغ الانسان كماله المعدله . وقد يقصر حجابنا الآن عن تصور ذلك الكمال وما من يتقدم الا معاونة لمن يتأخر .

وفي خلق الانسان آيات للمتدبرين ، واسرار للمعتبرين ، منها تكريم هذه الصوامت التواطع بلسان الحال عن ان تكون عبثاً اذ على يده تظهر خواصها وفي فكره وبصره يتجلى جمالها المقول والمحسوس تحقيقاً أو اعتباراً أو تخيلاً . ولحب التميز الحفظ الاوفر في استخدام الفكر في هذه الشؤون . فهو الذي يمت الفكر في عالم المحسوسات والمتخيلات رائداً يرتاد للنفس ما هو غريب عزيز الوجود مما يود كل واحد ان يقتنيه أو ينتحله . وهكذا كانت زيادة الاول على الآخر وسيكون ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب الاولين .

والحاصل ان حب التميز ميزان في كفته الواحدة أمر نسميه حسنة وهو ارتقاء الحياة النوعية . وفي كفته الاخرى أمر نسميه سيئة وهو حرص النفوس على الاستبداد . والناس يفهمون من هذه الكلمة — الاستبداد — أن المقصود به عدم المشاورة وهذا المعنى جزء مما تدل عليه هذه الكلمة التي معناها الحقيقي نزوع النفس للحرية المطلقة التي من جعلها قيد حرية الغير وغصبها وهذا هو وجه شناعته ومن أجل هذا كان عنصر الشرور المادية والادبية .

وقد كدنا ان نأش لما علمنا ان هذا العرق الضارب في اعماق الطبيعة البشرية لا يمكن استئصاله بالقطع لولا ان تبين لنا أن في ازاء هذا الشوك زهر أولولنا ان ثبت لنا انه يمكن تخفيف ما يخيم به بتبعية الفروع وقطع ما يمكن قطعه منها والربانيون من الحكماء أشد الناس عداوة للذين يستبدون ذلك بما عرفوا من الحق ، وبما عطفوا على الخلق ، وبما تدفعهم اليه قوة العلم ، ومثمة الزم ،

والاخلاقي حسب ان يذكر المستبد ثلاثة أمور لا تفارقه ولا غيره : العجز بالذات ، والاحتياج للغير ، واستحالة بلوغ الغاية ، وان يذكر المستبد عليهم ثلاثة أمور أيضاً الضعف بانحلال الرابطة ، وافتقار التعاون ، والفوز بالثبات والصبر .

والسياسي وهو البحوث عن كل روابط الاجتماع لأستكثر منه ان يحمل أوزار الوغى ان استطاع في ردّ كيد المستبدين الذين وضمو أعمالهم في كفة البيئة من حب التميز وبئس ما اكتسبوا لانفسهم من البغضاء . وللمذعنون لهم شر مكاناً وأضل عن سبيل الحياة النوعية . وأقرب الى الهوان من الانعام وفي هذا بلاغ لمنهم يتذكرون ،

(ثمة بقية) ع.ز



رَأْسُ التَّحْقِيقِ التَّعْلِيمِيِّ

هو الشذرة الثالثة عشرة من جريدة الدكتور اراسم (*)
السفر من أركان التربية

لا ينبغي على أحد ما لما يتأثر به النفس وتحفظه اذا كثر في الصغر من الاصواق والتمكن .
هكذا شكبير (١) يدعو حاله الى اعتقاد ان معظم الفضل في بلوغه تلك المكنة
العالية في العمر يرجع الى نشأته بالقرب من نهر الآون (٢) الانيق الذي تفيض مياهه
على مدينة استراتفورد (٣) وما تحيط به من الاودية الخصبة الغنية بالشجر والنبات
ومجاورته لغابة اردان (٤) التي كانت منزها له في سنيه الاولى من حياته . يدلك على
ذلك انه لما كتب فيما بعد القصة الهزلية التي عنوانها « كما تحب وترضى » اتخذ هذه
الغابة نفسها محلا لهم منظر من مناظرها ومثل اماكنها للتفوس وجلى مواقيمها للاذهان
بأوجز العبارات ، ووضح الاشارات ، لم يكن هذا الا لكونه مع نروجه عن مركز استراتفورد
الذي هو مقطع رأسه لم ينس منظر هذا الريف بل حفظه في مطوى من مطاوي نفسه
وهذا أول تغير جولد سميت (٥) ذو العقل الثاقب والذكاء المتوقد لم يذهله حين
اقام في لوندرة لمشاهدة فيها من الاحتلاط والتشوش عن ذكر قرية لشوى التي نشأ
فيها ولم ينس ما كان يراه هناك من جدول الماء والطاحون والكنيسة وقندق الحمام
الثلاث وسياج الضاة وغير ذلك من خصوصياتها بل انه مدحها في القصة التي كتبها
فيما بعد وسماها الكميث (الاورن)

(*) معرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية — تابع لما نشر في ص

٧٧٨ من المجلد الخامس

(١) شكبير هو أشهر شعراء الانكليز كما مر (٢) نهر الآون هو احد انهار انكلترا
المشهورة وهو قريب من مدينة استراتفورد (٣) استراتفورد هي أهم مدينة في مركز
استراتفورد (٤) غابة اردان هي في هذا المركز أيضا (٥) أولفير جولدسميث هو شاعر
وقصصي انكليزي شهير ولد سنة ١٧٢٨ ومات ١٧٧٤

وكان واشنجتون أرفنج (١) الكاتب المجنوني الرحالة الذي استهوى النفوس ببدايع ظرفه، وخبب الأبواب بدقائق وصفه، بحمد الله تعالى أن انشأ على ضفاف بحر أو تسون (٢) ويقول: إن ما كبه طبعي المختلف العناصر من الخير والتهدب يصح أن أرجعه الى محبتي لهذا النهر في صغري فقد كنت في حدا لجمية الصيانة اكسوه بعض الخصائص النفسية واعتقد أن له روحا يقوم بها وأعجب بما في طبعه من الحرية والشجاعة والصدق والاستقامة ذلك لانه ليس من الانهار التي تبسم صفحتها عن خداع وتضمر السوء بما نغنها من الشباب المهلكة والصخور القدارة بل هو طريق مائي يهيج جمع الى عظم حمقه كثرة انشاعه، يحمل السفن التي توكل الى أمواجه بقلب سليم ونية شريفة وكنت أنجيل نوعا من المجد والعجب في استقامة مجراه وسكينته وسلامته الباهرة :

انما مثلت ببعض الشعراء لانهم هم الذين لعرف شيئا من احوالهم النفسية في حياتهم غير اني لأرتاب أبدأ في أن ما يحدث بالناس من الاصول والامور الخارجية لا يحدث في نفوس جميعهم أثرا واحدا وانهم يختلفون أيضا في درجة التأثير بها وان ما شاهدته الانسان في صغره يلازمه في كبره ويصير جزءا من نفسه وما صحبه من الاشياء وهو يافع لا يجابهه في كبره بل يظهر أثره في صورة خلقه وفي مجرى أفكاره

ليس كل ما يحيط بالانسان مما تتناوله مشاعره يصلح على السواء لحفظ صحة عقله فقد روي أن ملتون (٣) كان يتألم ويشكو مر الشكوى وهو يتلقى دروسه في مدرسة كمبردج الكلية من ضواحي هذه المدينة معللا شكواه بانها خلو من الظلال الوارفة التي تجذب إلهات الشعر وتؤويها

وكان روبرت هول الكاتب الانكليزي الذائع الصيت الذي كان يتعلم في تلك المدرسة بعد ملتون بقرن ونصف ينسب أول نوبة اصابته من نوبات الجنون الى استواء الارض بمركز كمبردج وخلوها من الربى والمضارب الشجراء

الناس وان اختلفوا في درجات تأثرهم بفقد ما هم محتاجون اليه لا ظن انه يوجد

(١) واشنجتون أرفنج هو أديب وقصصي أمريكي ولد سنة ١٧٨٠ ومات سنة ١٨٥٩

(٢) بحر أو تسون هو خليج متسع على السواحل الشمالية للقسم الانكليزي من أمريكا

(٣) ملتون شاعر انكليزي شهير ولد سنة ١٦٠٨ ومات ١٦٧٤

منهم من لا يتأثر ألبتة بما يكون من الصيوب والمناقص في المناظر الرفيعة التي يراها على الدوام اللهم الا قليلا لا يستدبرهم واذا صح ذلك فلهذا ما يبالغ هذا التأثر السيئ من اذعان الاطفال فان الرجل البالغ قد حصل له من قوه النفس والخيال ما يكفي لمفاعلة ما يحذف به من الاشياء غسبه في معظم الاحيان ان يحترق قلبه شعاع من اشعة الحب او يكون في نفسه وجدان قوي او تجتمع في ذهنه بعض المماني حتى يرتقي بالريف المبذل الذي لا قيمة له في ذاته من شيوع الابتذال ، الى الاختصاص بشرف الخيال ، وليس هكذا حال الحدث الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره فانه في هذا السن لا يعمل له في فطرة ماحوله من المخلوقات اذ ليس في استعداده اذ ذاك ما يكسوها بهاء ، ويزيدها روقا ورواء ، بل انه يتأثر بها كاهي فن الفوائد الكبرى له انه يولد او يتربى بالقرب من بعض المناظر الكونية العظمى كمنظر نهر جيل او بحيرة او جبل او غابة

منظر الريف في كورنواي منظر مهيب غير انه واحد لا تقير فيه وليت هذه البلاد كانت اكثر اشجارا بمافيها الآن فان مثل الياق الذي لا يرى قط الا ناحية من نواحي الكون كالصخور او البحر كثل من لم يقرأ الا كتابا واحدا

لا بد في تربية الانسان خصوصا في صفره من تنوع الفواعل لتتنوع آثار اتقاعه بها ذلك لان كل فرد من افراده يميل الى بعض المناظر دون بعض حتى يكون من هذا البعض الذي يعمل اليه كطبعه في الاختصاص به. ومعنى هذا ان ضروب الحسن في الطبيعة تقابلها في نفوس الناس مناسبات ذاتية وليس المنظر الذي يخجزه الانسان ويرتاح اليه يأتيه على الدوام غفوا بل لا بد من السمو وراء تحصيله فن الناس من ينشأ اتفاقا في سهل من السهول ويكون ميله للمناظر الجبلية ويوافق هذا قول أحد الكتاب في وصف رجل لا اذكر الآن من هو: انه عربي والد في ظلي شجرة قحاح بنور منديا (١)

قد بلغ « أميل » السن الذي تبدونه حاجة الثانی الى الاختلاط بماحوله والمربون يخذعون هذه الحاجة في معظم المراهقين بايتائهم قصصا في الاسفار هي ولا ريب آدمي الكتب الى التفاهم اليها واشتغالهم بها غير انه مما لا نزاع فيه ان وصف البلاد بالمابالغ من قوة البيان وضبط التحرير لا يرتقي في تأدية العلم بها الى درجة المعايبة بل انه أدنى

(١) نور منديا أقليم من الأقاليم القريبة التي دخلها العرب الفاطميون

منها كثيرا فلا يمكن ان يستفي به عنها من أجل ذلك كان سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة هو السن الذي يظهر فيه هوس الملاحة فيردوس الصغار من سكان البلاد المجاورة للبحر كإنجلترا فكم من هؤلاء الصغار البسلاء من يصيبهم من ولوعهم بالتجوال في الاقطار السحيقة مرض لا يحد ولا يوصف كما يصيب الصغور الحطاف في النصل الذي يهاجر فيه رفاقه، فينسلون من بيوت أهلهم فلا يعودون اليها في حياتهم. وأما سكان البلاد الأخرى فان حب السفر لا يكون في الكثير منهم إلا حاجة وقتية لانهم بعد أن يقضوا بضع سنين على سفر يركبون فيه متن المراكب يرجعون إلى أوطانهم فيعيشون معيشة الاستقرار الذي يدعشني من المربين هو قعودهم حتى الآن عن البحث في الانتفاع بالأسفار في التربية وجعلها ركنا من أركانها . ان قيل : انما ينعمهم من ذلك حاجتهم الى الزمن ؛ قلت ان السفر الى أمريكا مثلا لا يقتضي الآن منه أكثر مما يلزم لتعليم التلميذ شكل الكرة الأرضية تعالما فيه شيء من الحاق على ما في السفر ومعاينة الاشياء من الفوائد الكثيرة التي لا يستفيدها المتعلم من أي درس من دروس تقويم البلدان كتابية كانت أو شفاهية وان قيل : ان ما يقتضيه السفر من النفقات هو الذي يخيف المربين منه ويصددهم عنه ؛ قلت قد فهمت هذا الاعتراض الا انه يوجد من الطرق غير واحدة للسفر بدون كبير نفقة وانما أكبر العوائق في هذا السيل هو حذر الآباء والامهات وخوفهم على أولادهم فان فكرة غياب الغلام الفرع عن نظرائه ووكلاءه موج البحار ومخاوف الاسفار وتخليته ونفسه مما يهيج نفوس الامهات وتور له قلوبهن . لاجرم ان امهاتهن وأولادهن حقيق بالاحترام والاجلال ولكن ينبغي أن يفهمهم القائلون على التربية ان ليس في الغياب شيء يقطع أو أصغر الرحم وان عرى المحبة والوداد تجمع بين القلوب الشريفة والنفوس الكريمة مهما اتسعت . سافة البعد بينها واته لا خوف من الحرية الا على الابناء الذين لم يكر بتعليمهم الاستقلال بالسير في هذه الحياة على انه لا يصح ان تكون محبة الوالدين لأولادها الاعزاء مقصودا بها لتفهما بل لا بد أن تكون غايتها الحرس على مصلحتهم فان رحمتها بهم تدب اليها شبهة الاثرة اذا انحصرت في ابقائهم في كنفهما وان أدخل ذلك بتلك المصلحة وفوق ذلك فانه لم يكن من البعث ان استعملت في ايماننا هذه قوة البخار في طي المسافات السابقة ، وتقريب الاقطار المتأخرة ، وأبعدت الملاحة في قوتها ، ورحمتها

لأنّاس أسعارها ، فأصبح السفر الى البلاد المسامحة لثامن أسفل مقبر اعتدشبان الانكليز
من قبيل التزده وتعضية وقت الفراغ في البحر وقد شعر النوع الانساني بنمو اختجته
لارقي فلا يحبس من التسليم واني لاختنى ان لا تنفي حكمة انشيوخ الزاجرة عن السفر
ولا الجدول الاطلا تطبق شيئا مما يجده ختلفنا في نفوسهم من الحمية والحاجة الى رؤية العالم
جميع الاعمم الحرة اتم رحالة لا يوقها بمسافات ولا اختلاف الاقاليم ولا العقبات

المادية بل ولا تعلقها للثين الاعمى بالزاوية التي تمش فيها من الارض
ان القوانين التي جرى عليها توزيع أحيال النوع الانساني على البلدان قد تحدد
بسنها بالظفرة وبعضها بالتاريخ وكثير منها بسياسة الحكومات وما زال الحاكمون في
كل عصر يمتنون أشد العناية بأن يمش المحكومون ويموتون في الارض التي ينسبط
عليها ساطنهم سواء في ذلك الاغنياء منهم والفقراء وقد استتجوا من كون هذا الامر
مفيداً لمصالح ملديهم انه من الفروض التي لهم على رعاياهم ونجحوا في اقناعهم بذلك
وكان من أوهام المربين وخيالات الشعراء وأفكار رجال الدين ، ان تصافر في قرون طويلة
على أن يقرس في القلوب غريزة يشترك فيها الانسان مع المعبوات وهي حبه للمكان الذي ولد
فيه . نعم انهم من الفرائز الحسنه ولا تنس انها هي السبب في تألف الجماعات ولكن لا يمزب عن
ذكرك ايضا انه يسهل ان يساء استعمالها ليقى المستضعفون من الناس عيد الاقوياء الفاشين
لما كانت جماعات الانسان في بداية نشأته قد انحصرت كل واحدة منها في بقعة
من بقاع الارض كانوا متعادين من سفرهم على المعيشة في الاماكن التي يجدون فيها
ما يقتاتون به ووصلت بهم هذه الحالة الى حد أنهم قد عدوا هذه العادات الاتحصارية
من الفضائل وأما انا فلا أعدها الاممية ولا أقدرها بما لا يستحق فا زال الفلاح
اللاصق بأرضه يعلها ويزرعها أدنى منزلة في الجلة من المدني والمدني نفسه يستفيد
ويرتقي كثيرا اذا اتسع نطاق معاملاته مع العالم

الامم التي تكون عالة على أرضها أجنبية عن لغات غيرها في وسمها ولا شك
ان تقوم بظالم الامور وجلال الاعمال لكنها تكون أكثر من غيرها استهداقا
لقوارع البني السياسي فلها لا تتأثر من تعطيل القوانين ولا من ابطال كفالات الحرية
ولا من دوس حقوق الافراد واحتضامها ذلك لان ابناءها يلتصقون وهم كالسنتين
بقطعة الارض التي تؤويهم وقد دنسها الدم الذي سفكه عدوها الظافر وجعلت قرايها

لسيفه فالأغراب أشد رهبة في صدورهم من جميع المصائب ولو أحاطت بهم فوادح الخطوب القومية من كل ناحية فإذا نفي بعض ذوي الوجاهة والثقوف من الأحزاب المستضعفة إما بحكم الضرورة أو بما يتخذ من طرق القهر في زمن الفتنة كان الذي ابان المحن في نفوسهم ألماً فتراهم جارى لا يدرون أين يذهبون ولا ماذا يصنعون وقد صارت الدنيا في أعينهم وهم خارجون من ديارهم محراء يعوزهم فيها الدليل، وموحشة لا يجدون فيها الأمان

وأما الأمة التي يمتد أفرادها من نعمة أطفالهم على قطع أجواز البحار ولا يكونون يميز عن لغات الأمم الأخرى وعوائدها ويدرسون أبعاد صروب الحضارة عنهم وأشدّها اختلافاً فإنه لا يكون لصروف الدهر عليها سبيل ولا يمشي بنوها بطش القوانين الخاصة ولا التعريب بل انهم يكونون أصدق من فليس الثاني (١) إذا قالوا متشبهين به «ما كانت الشمس لتغرب عن حكوماتها»

ولفائل ان يقول : ان عادة السفر قد تضعف في الاحداث العاطفة الوطنية : فاجيبه اني لا أمل قطعا الى عموم معنى الوطنية واتساعه فاما ان تص من تكون الدنيا كلها وطناله إذ لا يكون الانسان انسانا الا بشرط أن يتسب الى طائفة معينة من البيت الانساني وان يكون له لغة وأمة خاصتان به غير أنه لا ينبغي ان يتوهم ان حب الوطن الحقيقي يضع كثير من معناه اذا تجرد عن روابط الوثنية المادية التي كثير ما تشوهه وتجنس قيمته فليس الوطن مطلقا عبارة عن الجبل أو السهل أو الندي الذي يولد الانسان بجواره آخاقا وليس هذا من القريميد أو الحجر ولا هو بالمكان الذي يحصره سطح يقدر بالفراسخ المربعة كلا ليس الوطن شيئا من ذلك ولكنه معنى يقوم بالذهن بل تاريخ الأمة بل آثار سلفها وان شئت فقل أنه وجود كلي تشر جزئياته بالمعيشة فيه، ولا شيء من ذلك كله يضع في ركوب متن البحار، ولا في اجتياز المفاوز والقفار، اذا نقش على لوح القلب ، وتحقق به النفس ،

جاءت أخبار من بلادنا ورواياتنا عن بعض معارفنا تحمل على الاعتقاد بان رولوريس قد سلبت أموالها بتواطؤ حصل بين أقاربها وقد استفتينا المارفين بالقانون فكادوا يجمعون على ان هذه القضية الغامضة لا ينبغي غرضها ولا ينكشف سرها الا في البيرو وانهما اتفقا

(١) فليس الثاني هو ابن امتاس أحد ملوك مكدونية الحنسة الذي تسعوا بهذا الاسم حكم من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٦ ق م وفتح بلادا كثيرة

أن نوسط فيها صديقا يمهدها له بمصلحة الفتاة المهضومة فتقبنا عن هذا الصديق فلم تقع عليه صنائع البر يستلزم بعضها بعضا قالتا وإن لم تبين هذه الفتاة الأجنبية فقد التقطناها وآويناها إلى بيتنا وصار من الحق علينا المصافها في يلدها

فكرت في أن أسافر بنفسي للقيام بهذه المصلحة. فرأيت غير واحدة من العقبات تدفعني عن تنفيذ هذا المقدم من ذلك ما يقتضيه قطع تلك الشقة البعيدة من النفقات وعدم احتمال الفوز بالحق في الدعوى والروابط التي تربطني بالبقاء في أوروبا والحلقة فإن سبعين اعتراضا قويا قد وقفت بي موقف المتردد بين الأقدام والاحجام فقد تعاهدت أنا وهيلانة بعد الذي ذقناه من ألم الفراق أن لا نترقب ولا أدري إن كان في مكنها احتمال سفر شاق كهذا ولو أنه اقضى أن تحتل مضى الفرقة مرة ثانية لما ريثت في اطراح خاطره على أن هذا الحاطر لا يزال يساورني والحالة التي أصبحنا فيها بسبب كفة التثاقل الفتاة العزيزة علينا وما ياحقنا من تبعات التقصير في شؤونها لم تكدر لي حرية الاجتياز في السفر بل قد شعرت بوارد يأمرني به أمرا

وأقول على أي حال: أفلا يجوز أن يكون الإنسان منا هنا يتخذ المقدور من حيث لا يشعر ستارا لإخفاء ثقافته؟ أفلا يصح اتنا مع اعتقاد امتثالنا في العمل لحكم الضرورات تتبع في أغلب أعمالنا ما توجه إلينا شهواتها أو نخرج المصلحة التي تحيل اتنا نقوم بها لتغيرنا بشي من الآثرة أو يكون ميلنا الفرزي إلى التجوال هو الذي قد تنبه في نفسي واجتهدت في مواراته بمحجابه صنعة للمروف أو أن تكون لي غاية خاصة أو سبب خفي يدفعني إلى تغيير الهواء الذي أنا فيه

لست أقطع بشي من ذلك ولكني كلما تساءلت خيل لي أن قصدي الأول اتنا هو تقع الولدين اللذين اخذت على نفسي تربيتهما

لو كان في وسي أن لا استغني الأميلي وذوقي لحاز أن لا تكون البيرو هي المكان الذي أتخذه من الأرض موضوعا للدرس والتعليم وذلك لفرط بعدها ولكن ما أوسع السفر إليها من مآب تجلي فيه كثير من الوقائع والمراني إذ يرى المسافر سموات مبهولة له يمر هامنا الكواكب ما لا يبرأ قطارنا الكامدة ليلا، وبحار امشحونة بالفرائب، وسواحل قاصية أبرزها للعيان قبل الحيال التاريخية، وخليطا من الاحيال الآدمية التي لا يتم امتزاجها وتفسر اخلاقها عن تاريخ نام

سن المرافقة هو السن الذي يكون فيه التأثر قويا فهو الذي تنتقش فيه على المنح صورة العالم الخارجي أتم انتقاش وأدقه ولقد حصل «أميل» من العلوم الصحيحة أن لم أكن وأما - ما يكتفي لاشتغاله بالكون وسيؤمله درس الوقائع الكونية المحسوسة لدرس العقوليات فإن تعامق في الالفاظ ومحنات اللغة لحدث لما يشاهد شيئا بنفسه ويراقبه ويحس به كمنز الزهر في كهف ام

المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت

التعليم الابتدائي لا بد منه لكل فرد من أفراد الأمة صنعها وزرعها وأجرائها والتعليم العالي لا بد منه لطائفة من خواص الأمة الذين يعملون الاعمال الكبيرة كالمعلمين والمؤلفين والساسة والقضاة والأطباء ومديري الشركات المالية وكبار التجار فإذا لم تعلم الطبقات الدنيا التعليم الابتدائي كان أفرادها كالبهايم لا صلة بينهم وبين المتعلمين ويسهل على كل دجال ومحتال أن يقودهم إلى ملشاة من الشرور ، وإذا اكتفى الخواص بالتعليم الابتدائي كان ضررهم في الأمة أشد من ضرر العوام الأميين لأنهم يمجزون عن الرقي بها والقيام بشؤونها الكلية فيحتل النظام ، ويمتل مزاج المصالح ، وينصرف هؤلاء الزعماء إلى الانسداد في الأرض بمجها لاهم وشهواتهم ، ولا يكون لهم حظ من التعليم الناقص التقليد الأمم الراقية في الأزياء والماعون والاثاث وذلك يذهب بثروة الأمة ، ويمتدحها بسوء الأسوة ، ويجعلها لعبة بأيدي الفانحين ، وحلياة كيانة للمستعمرين . ومن المار على مصر أن تكون على سبقها البلاد العربية كلها إلى التعليم العصري خالية من مدرسة كلية العلوم العالية بجميع فروعها فإن المصريين يشتغلون منذ قرن كامل بالتعليم ومنهم من تخرج في مدارس أو ربا العالية ومع هذا لم تسم همتهم إلى انشاء مدرسة كلية تفتيهم عن المدارس الاجنبية الخالية من لفتهم ، ومن الزبنة المالية التي تليق بهم ، على أن مصر أغنى البلاد العربية وأحوجها إلى العلوم العالية وخواصها أعرف بهذه الحاجة من خواص مسلمي سوريا وتونس وله الجزائر ومراكش فإن الكثيرين منهم يرسلون أبناءهم إلى أوروبا وإلى سوريا لتكميل دراستهم في مدارسها العالية في بيروت عدة مدارس كلية وليس في القاهرة مدرسة واحدة وفي تلك المدارس مئات من أبناء المصريين وقليل من أبناء مسلمي سوريا وانما كان هؤلاء قليلين لأن الآباء يخافون على عقائد أبنائهم من هذه المدارس قائما كلها دينية ومدبروها ونظارها من القسيسين وهم يلزمون التلميذ المسلم بدخول الكنيسة وصلاوات الصلوات فيها . وفي مدارس

الجزويت يحولون بينه وبين كل ما يذكره بدينه حتى انهم يحرقون ما يطبعونه من كتب المسلمين فينسبون كلام الله فيه الى الناس الجهولين وكذلك كلام رسوله عليه السلام ويكذبون على الاسلام والمسلمين في التاريخ لينفروا تلامذتهم عنه. وأمثل مدارس سوريا وأوروبا للمسلم المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فانها أحسن تربية لما فيها من روح الحرية والاستقلال. واللغة العربية فيها معنيها لاسباب هذا العهد الاستاذ الاول لعلومها جبر أقدري ضومط صاحب كتاب (الخواطر الحسان، في المعاني والبيان) وكتاب (فلسفة البلاغة)، الواسع الاطلاع على الآداب الاسلامية، المجلولة طيبته بفضيلة الانصاف، المقرم بتربية النفوس على الفضائل، غرامه بتربية العقول على الاستقلال في طلب الحقائق، الذي يعتمد في علم الاخلاق على كتاب الاحياء للغزالي أكثر مما يعتمد على سواء وقد وجد هذا العلم المربي مجالا فيحيا للعمل بمذهب في التعليم والتربية على عهد رئيس المدرسة الكلية الحاضر الدكتور (هورد بلس) الذي يقول ان حياة المدرسة في ثلاث - كلمة «لا إله الا الله» وطلب الحقيقة بالاخلاص والنظر الى المخالفين في الدين من جهة الاتفاق لا من جهة الاختلاف. هكذا حدثنا عنه صديقنا جبر أقدري عند زيارته القاهرة في أوائل هذا الشهر وخطبته في كنيسة المدرسة يوم المولد النبوي تؤيد بذلك وقد نشرت «ثمرات الفنون» يومئذ ما خصها فدل ذلك على ان هذا الرجل اشبه بفيلسوف إلهي منه بقسيس نصراني. فأين منه الامر بكان المتعصبون في مصر وجلة القول ان المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت أمثل للمسلم من مدارس مصر وسوريا والاستانة وأوروبا فهي مدرسة ربت ولا تزال تربي رجالا بل هي الآن للمسلم خير منها قبل الآن. اما المدارس الابتدائية فغير هائلة - المسلمين المدرسة العثمانية الاهلية في بيروت

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْإِخَاءِ

«الاستاذ الامام - عودته»

عاد الاستاذ من سياحته في أوروبا والجزر روتونس فتقاء في محطة القاهرة الجماهير من العلماء والوجهاء وهي حفاوة داعيتها المحبة والاجلال، ولم تمهد لغيره في هذه الديار وقد اثنى على حفاوة أهل الجزائر وتونس وحكماء منهم ما به وقال انه رأى روحا جديدا في العلماء وتوجها جديدا من فرنسا للسلميين وانهم جوب بذلك البلادين حياة عالية سعيدة، ونهضة إسلامية قوية. فبالتف اذكر المحاكم... ويوجه العلم الى المطوع
و سنشر بعض فوائده رحمة فيها بعد

❦ كلمة للمشتريين أو كتمان ❧

لا يكاد يمضي يوم الا ويجئنا فيه مع البريد كتاب أو كتب من المشتريين يطلبون فيها أجزاء نافعة من المنار وقلما يرسل أحد منهم ثمنها الذي عيناه وننشر اعلانه على الغلاف دائما ومنهم من يلح في ذلك ويكرر الطلب ولنا العذر في عدم المجابة (راجع الاعلان في الصفحة الرابعة من الغلاف) هذه هي الكلمة الأولى واما الثانية فترجو من المشتريين الكرام حيث لا وكلاء للمنار التفضل بارسال قيمة الاشتراك حوالة على البريد في مصر وان لا يمحوجونا الى المكاتبه وثقة التحويل كما فعل ذلك الفني العظيم في بني سويف اذ طالبناه بثمان المجلدات التي اشتراها من المنار وبقيمة الاشتراك فما أغنى عنه الطلب وحولنا عليه فلم ينف التحويل فلو استن الناس بسنة هذا الفني لبطلت الاعمال وفسد العمران وهلك الانسان ولعله يرجع اليها المجلدات والاجزاء اذا شاق عليه ارسال ثمنها ولا يمحوجنا الى التصريح باسمه خلافا لعاداتنا

❦ المبرة في ثورة مكذوبة ❧

كل يوم تأتينا البرقيات والصحف الاوربية بضروب من أخبار الثورة وآراء أهل أوروبا فيها وكلها عبر للمسلم ولكن نقلها في صحفنا لا يوجهون النفوس الى طرق الاعتبار بها. قامت قيادة اساقفة الانكليز على حكومتهم وكتبوا يحرضون الامة على الحكومة لتحماها معهم على الانتصار لخصارى مكذوبة والسعي في إنقاذهم من حكم المسلمين وقد اضطرت الحكومة أن تدافع عن نفسها وتبرئها من تهمة مساعدة الدولة العثمانية في الربع الاخير من القرن الماضي وتفتخر بأنه تيسر بمساعدتها وضع قبرص والبلغار ورومانيا والبوسنة ومصر وكريت تحت لواء أوروبا كما اعتذرت عن عدم السعي في استقلال مكذوبة بأن الضمير الأقوى فيها مسلمون متعصبون لدينتهم ولسلطانهم هذا وإنك ترى أكثر الجرائد الاوربية والمقلدة لها في الوسائل والمقاصد تدب بفتح الابرار وتكيلهم بالنصارى في البلاد التائرة تأتي بالناشرين ومساعدتهم ولكنهم تآمرح الناشرين وتطلب مساعدتهم على احراق بيوت الله وبيوت الناس والفتك بحكامهم والترك وسائر المسلمين

ولو أن الدولة العلية قصرت أو عجزت عن تأديب هؤلاء الثوار الأشرار لكانت في نظرهم أحق بالتأنيب، وأحوج إلى التأديب، وقد كتبت جريدة فرنسية مقالة في هجو اليونان لانهم لم يساعدوا الثائرين عملاً بمصلحتهم وقالت الجريدة ان المسألة ملية يجب فيها العمل بالغيرة البديهة، دون المصلحة السياسية، وقد عرت هذه المقالة جريدة الجوائب المصرية،

فليعتبر بهذا المتفرنجون الذين يزعمون ان أوروبا فقدت الغيرة الدينية وبجهلون انه لولا هذه الغيرة لما تارثا نثر نضرائي في كريت ولا مكدوننية ولا غيرها وان هؤلاء الثوار يعلمون أنهم معجزون عن الخروج من سلطة الدولة النمائية بالقوة ولكنهم يعتمدون على انتصار الشعوب الاوربية لهم والزاهما حكوماتها بمساعدتهم. وان كانت الحكومات تقدم مصالحها على مصلحة الدين فان من مصالحها أيضاً إرضاء رعاياها ومراعاة احساسهم الديني. اما هذه الثورة فقد استمد لها المقدونيون في بلاد الدولة وفي بلاد البلقار استعداداً عظيماً مبني على العلوم والصنائع فدارس التصاري في تلك البلاد تعلمهم عمل الديناميت لأجل الاستقلال، وغير ذلك من العلوم والاعمال، والمسلمون لا يتعلمون الا ما ينسك قتلهم، ويقطع روعا بطلم، فلو صبر الثوار لاستولوا عليهم بالعلم، ولكنهم عجلوا الى امتشاق السيف، والدولة لم تكن غافلة عما يعملون ولكن السلطان الاعظم يحب مداواة الادواء باللين ما وجد الى ذلك سبيلاً ولذلك كان يمنح الرتب والوسامات لكل من توسم منه الشر فلما جابه الميقات، لم تفن الرتب ولا الوسامات، وكل ما هو آت آت،

فك الهیضة في حمص وطرابلس

كان فك الهیضة في هذين البلدين أشد منه في سائر البلاد السورية وقد قلنا في جزء من أن أكثر من يصاب ويموت به في طرابلس الفقراء الذين لا يبالون بالنظافة ومداراة الصحة ولكن قدماء به في حمص جماعة من خيار أهل العلم والدين وهم

(١) الشيخ محمد الحودالانسي — كان هذا الرجل شيخ العلماء وكبيرهم في حمص مات عن ثمانين سنة لم يسألم التدريس والتعليم في أواخرها كما سأل ليد الحياة في مثل سنه لان الانسان لا تطيب له الحياة بعد ذهاب الاطيين الا اذا كان له حياة عقلية روحانية ينم بها وكان رحمه الله تعالى ورعاً قوياً لم يأكل قط بسله ودينه على انه كان أكبر العلماء جاهاً ولم يأخذ من مال الاوقاف شيئاً على انه كان المدرس الاول في الجامع الكبير. وكان عالي الهمة سليم القلب رقيق الطبع حسن الفكاهة حافظاً للناس في غيهم كحضورهم ويعتقد المارفون بحال البلاد أنه أحد الافراد الذين حفظ بهم العلم

الاسلامي منذ ستين سنة اذ بلغ النهاية من الثلاثي
 (٢) الشيخ ابيس اللوحى - وهو من فقهاء الحنفية الماهرة وكان مرجعا للخاص والعام في احكام
 في المعاملات لاسيما مسائل الازواج قضى في سنن الحسين، ولم يكن من الفقهاء الجامدين،
 (٣) محمديدا قندي الحكيم - كان من الشبان الاذكياء المشتابين بالعلم المحيين للإصلاح
 وتعلم الطب من والده وغيره وعمل به ولكن الاجل اذا جاء لا ينفع معه طب ولا يجومنه
 طيب على أنه يقع بسببه ولكن الانسان لا يهتدي دائما للوقوف على الاسباب والعمل بها
 (٤) الشيخ علي العمري - أما طرا بلس الشام فلم يمت فيها من الرجال المشهورين بالعلم
 أو غيره أحد الا الشيخ عليا العمري وهو لم يمت بالهضة الواثمة بل بمرض آخر
 كما يفهم من ترجمته في جرائد بيروت ملتعن تسعين سنة وكان أكثر الناس يتقدمون
 صلاحه وكرامته ويتناولون عنه من الخوارق والفرائب مالا يحصى وأشهرها أنه كان
 ينفث في قهجاة القهوة وقدرح الشاي أو يشرب منها قليلا فتكون له ماراثمة مسكية
 ويأخذ عودا أو قطعة من الخصب أو غيره فيضمها في النار فتكون رائحة دخانها كرائحة العود
 الهندى ويأخذ عودا من الكبريت أو خللا فيله بريقه ويكتب به نعمة لطالها على
 أنه كان أميا . ومن الناس من يأول أمثال هذه الفرائب ويقولون عنه ماهو أغرب
 منها . وبما امتاز به على منتحلي الكرامات من شيوخ الطريق أنه كان يأتي بأغرب
 خوارق في ملا الأسماء والوزراء ، على أن القوم يخصون بها العامة والاغنياء ، وإن مختار
 بأشأ الفازي يروي عنه من الخوارق مثلما يروي عنه الدهماء في طرا بلس الشام . وقد عرفناه
 وكان بشتا وبينه مودة ولكن كاتب هذه السطور لم ير منه شيئا يتعاضى على التأويل
 أما أخلاقه فأخصها التواضع والمروءة وحفظ اللسان والسلي في مصالح الناس وكان
 محترما عند العظماء مقبول الشفاعة عند لولاة والحكام وقد كان يهيمه بعض الناس بترك
 الصلاة ولكنني مارأيت ترك صلاة واذكر أنه كان نائما عندما في الحجرة التي أنام فيها
 فاستيقظت في جوف الليل على تهجده ولم أشعره بذلك . ولم يكن يباهد الناس على
 الطريق ولا يجمعهم على الذكر ولا يتكلم بالتصوف ولا الوعظ تنمده الله تعالى
 برحمته الواسعة وأحسن عزاء أنجاله ومحبيه



الملحق

١٣١٥

بشرى الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خير كثير
بذكر الأولو الألباب

فبشر عادي الذين يستمعون القول
فيعملوا أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوى ومنازاة كنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة شعبان سنة ١٣٢١ — ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٠٣)

— القسم الديني —

— باب تفسير القرآن الحكيم —

﴿سورة المص﴾

اقترح بعض العلماء في الجزائر على الاستاذ الامام ايام كان عندهم ان يقرأ لهم درساً عاماً يستفيدون منه ، ويتحقق به تفهيم عنه ، فقرأ لهم سورة المص وقد كتب بعض من حضر الدرس ملخص ماقاله الامام وكتب بعضهم يقول ان بعض الكتاتيب اخطأوا فما كتبوا واقتراح ان يكتب الاستاذ الامام نفسه تفسير السورة وينشر في المنار ليصحح عليه الكتاتيب ما كتبوا فرضنا ذلك عليه فكتب أيده الله بروحه ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَوَصَّوْا بِالْحَقِّ وَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ *

المرجح ان هذه السورة من المكيات ، وقد ورد عن الشافعي فيها أنه قال : لو لم ينزل الا هذه السورة لكفت الناس : وفي رواية عنه : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم : وصح ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا

اجتمع اثنان منهم لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر هذه السورة الى آخرها ثم يسلّم أحدهما على الآخر . وقد ظن الناس أن ذلك كان للتبرك وهو خطأ وانما كان ليدكر كل واحد منهما صاحبه بما ورد فيها خصوصا من التواصي بالحق والتواصي بالصبر حتى يجتلب منه قبل التفرق وصية خير لو كانت عنده

جرت سنة الله في كتابه ان يقسم أحيانا بشيء من خلقه أو بشأن من شئونه لينبه الناس الى ما أودع فيه من الحكمة وانهم ان كانوا قد نسبوا اليه شيئا من الشر او ظنوا فيه ضريا من سوء فهم غلطون فان السوء والشر ليسا في هذه الاشياء وانما هذا في نفوس المستعدين أو المتقين وقد كانت أديان يظن أهلها ان هذا الكون الزماني وما فيه كونه شر وفساد ومن الواجب على طلاب السعادة ان يحقروه وان يفروا من طيائره ويجردوا نفوسهم الى عالم آخر فوق عالم الكون والفساد . فجاء الكتاب المبين يبين لهم سوء فهمهم عن الله . ومن طرق تبييرهم الى خطائم تلك الاساليب التي جاءت في القسم ووردت في الكتاب . أراد ان يكشف لهم ان هذه الاشياء من حكمة الله بالمتزلة التي تبلغ ان يقسم الله بها كأنها مما يعظمه الله وناهيك بذلك الذي يعظمه خالق كل شيء ووجود كل موجود الذي لا وجود لشيء الا منه

العصر إما القطعة المعروفة من الدهر وهو الزمن الذي يعيش فيه المتكلم مع غيره سواء قدر بعدد من السنين كثرة سنة مثلا أم لم يقدر ، وإما الوقت المعروف من النهار ما بين الظهر والمغرب وكل منهما تصح إرادته . وقد اعتاد الناس سبب الاول فكل يشكي من عصره ويقول :

هو عصر جهالة ونذالة ، ونقص مروءة ، وخبث طوية ، ورداءة عمل ، وينسبون ماشاءوا من الخير الى ما كان قبل عصرهم من العصور فاراد الله ان يزجج قوسهم عن مثل هذا الاعتقاد بأن أقسم به ليدersh عقولهم بعمظيم ما ألّفوا تصغيره ، ورفع قدر ما اعتادوا تحقيره ، والمصر بالمعنى الثاني كان الوقت الذي يجتمع فيه الاعطال من العرب قريش وغيرها اما عند الحرم أوفى مواضع أخر من متديات الاحياء ويخوضون فيها لاخير فيه من غيبة أو هزء وسخرية اولفوا من الحديث مله عن جد العمل فوقرفى قوسهم ان ذلك الوقت نفسه هو قرارة السوء ومجتمع الشر فدفغ الله ذلك عن الزمان اليهم وعلمهم ان الوقت نفسه بمنزلة من الشرف يصلح معها لان يقسم به خالق السموات والارض فكان عليهم ان يستعملوه فيما يناسب هذه المنزلة ويشغلوه بطيبات الاعمال فيخلصوا بذلك من الخسران الذي لم يلحق بهم الابسيثات أعمالهم

إنما ورد هذا القسم - على أي المعنيين - تأكيد للخبر الذي أراد الله أن يسوقه الينا وهو ان الإنسان في خسر الخ وإلما احتاج هذا الخبر الى التأكيد لأن كثير من الناس يظنون ان من الأحوال والاعمال وراء ما ذكر في هذه السورة مالا خسار فيه بل يمتدنون ان السعادة في التخلص من عقد الايمان، والعتق من قيود الفضائل، وانطلاق النفس فيما يسمونه متسع الفكر ، وحرية العمل ، بدون تخرج من رذيلة ، ولا إجحام عن فاحشة ، متى كانت تلذ للنفس في الماغل ، وان أدت بها الى الهلكة في الآجل ، وأن من الامم من يسعد وان اتبع أفرادها أهواءهم ، وملكتهم شهواتهم ، ماداموا يكسبون المال ووفرون على أنفسهم وسائل القوة في زعمهم سواء

آمنوا أم لم يؤمنوا ، عملوا الصالحات أم لم يعملوا ، تواصلوا بالحق والصبر أم لم يتواصلوا ، وأمثال هؤلاء الظانين يتوق عددهم الحصر في كل زمان ومكان «أل» في الإنسان للاستفراق كما يدل عليه الاستثناء في قوله «الا الذين آمنوا» والاستفراق بآل في لسان العرب ليس كالاستفراق بلفظ «كل» الذي يسور بها المناطقة قضاياهم الكلية وإيست «أل» مساوية لكل التي تضاف الى النكرة ويريد بها العربي تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس وانما يراعى في «أل» استفراق المهود عند المخاطبين لأنها في لسانهم للمهد وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد ولن تقارن المهد في حال من الاحوال . وكذلك التي يسميها النحاة للمهد الذهني وتجيرون في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول من لا يعرف خصائص اللسان منهم : ان الفرق في اللفظ وإجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه : وهو وهم فاسد فان قول الرجل لعبيده : اشتر اللحم من السوق لا يفهم منه أي لحم في الكون بأسره ولا شيء سوق في العالم بأبنعمه ولكن قد عهد السيد نوعا خاصا تعود العبد شرائه وأسواقا خاصة هي أسواق المدينة التي يقيم فيها وان لم يتعين أحدها فالعهد والتعريف به لم يفارقها . والفرق بين المعنى معها والمعنى في النكرة واضح لمن يعرف خصائص اللسان

والإنسان الذي تجري عليه أحكام الانسانية ويحدث عنه في مثل هذه الشئون هو من بلغ سن الرشد ، لا يميز بين الخير والشر وليس يخاطر بالبال عند التخاطب في مثل هذا المقام الصبيان غير المكلفين ولا المجانين . ولو أتى بانظ «كل إنسان» لشمّل ذلك . ولا تؤدي «أل» مؤدى «كل» الا بقرينة . فالاستفراق في الآية على حقيقته وهو شامل لجميع أفراد المكلفين من

الناس سواء كانوا ممن بلغتهم رسالات الانبياء ام ممن لم تبلغهم كما سيأتي بيانه
والخسر في اللغة يطلق على الضلال وعلى الهلاك وعلى النقص وكل
ما جر عليك عهلك من شر فهو خسر لك وخسران وخسارة لانك كنت
تبتغي بملك الفائدة والثمرة الطيبة تجنيها منه فاذا جر عليك ما كنت
تتوقاه ، وحرمتك ما كنت تتوخاه ، فقد خسرت لانك ضللت في القصد ،
ودخل النقص عليك في بنية نفسك ، وأتاك التعب من حيث تطلب الراحة ،
وكل ما أملك وأشتاك وأقلق نفسك ، واضطرب له قلبك ، فهو نقص في
لدتك ، واذا عملت عملا وانت تقصد به سكون القلب ، وهناء العيش ،
فحدث انزعاج النفس ، ونقص الطمأنينة ، فقد ضللت به في القصد ، وخسرت
في السعي ، والخسر في الآية مطلق لا يتقيد بدنيوي أو أخروي فكل
مكلف ممن لم يتصف بالاوصاف الآتية (في السورة) يصيبه حظ من
الخسران في هذه الحياة أو في التي بعدها ، لأن السورة مكية كما قلنا والخطاب
في المكيات ، كانت تراعي فيه العمومات في كثير من الآيات ، كما تراه
في سورة « والليل اذا يشئ » مثلا والخسر بفقد الراحة وطمأنينة النفس
الايان في هذه السورة مطلق كذلك لم يتقيد بشئ كما ترى ولكنه
محمول على ما هو معروف عند المخاطبين والامس بموم الخطاب انه اذعان
النفس اليقين بالفرق بين الخير والشر والفضيلة والرذيلة وبأن على الوجود
مسيطرا يرضى الخير ولا يرضى الشر ويحب الفضيلة ويكره الرذيلة وأن
من رحمته ان ينخص من شاء من خلقه باطلاعهم على شئ من سره وأمرهم
بأن يبينوا للناس ما التبس عليهم من مذاهب أعمالهم ، ويعرفهم مداخل
الاهواء الفاسدة الى قلوبهم ، ومسالك الدلائل الصحيحة الى عقولهم ،

فيقبلوا على هذه وتلقوا ما يساق اليهم منها ، ويسدوا على أنفسهم تلك
ويقيموا من العزم حارساً على نوافذها يمنع ما عساه يهوي اليها ، وهذا
الايان هو المدلول عليه بقوله تعالى في سورة (والليل اذا يشئ) : «وصدق
بالحسنى» : وليس الايمان هاهنا هو التصديق المقرون بالاذعان لتفصيل
الاحكام الواردة في شرعنا خاصة فان الحكم انما هو على الانسان في
جميع أمكنته وأزمته لا يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل يعم الامم
جميعها ماضيها وحاضرها ومستقبلها فالكلام في السورة لتقرير حكم عام
من أحكام الانسان في نفسه وانما تدخل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
في حكم هذا العام ويكون من بلقته تلك الرسالة ولم يصدق بجميع ماورد
به القطعي سنداً ودلالة من نصوصها خاسراً في الدنيا والآخرة بحكم
هذا النص من جهة عمومه وبالنصوص التفصيلية الاخرى التي وردت
في كثير في سور القرآن

وليس الايمان كذلك مجرد ما يسميه الناس اعتقاداً وان كان بمحض
التقليد لا عمل لعقل ولا لوجدان فيه فان مثل هذا الايمان قد خسرت
معه أتم كثيرة ممن صدقت بمرسلين صادقين ، وأنبياء هادين ، وإنما المراد
منه ذلك التصديق المقرون بعلمائنة النفس وخضوع القوى لحكم ما آمن
به «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» ذلك الايمان هو الذي كان
الله ولا يزال يتوكل به النجاة من الخسران في الدنيا والآخرة . وسيأتي
إيضاح ذلك أيضاً

أما هذا الذي يتلقاه الناس من أفواه آبائهم فينشأ ابن المسلم لا يفهم

معنى لما يستعد أو لما يقول أبوه وإنما ينطق كما ينطق وتأخذه الحمية لما يراه يحى له لا يفهم لذلك معنى ولا يجد لنفسه فيه بصيرة كما ينشأ ابن النصراني أو ابن اليهودي أو ابن المجوسي على مثل ذلك - فهو مما لا يعتد الله به وإنما يعتد الله بتلك السكينة الروحية التي تشمر النفس بمهبطها إليها وذلك العقد القلبي الذي يعرف القلب مكانه منه. هذا هو الايمان الذي يليق ان يستقى حياة للنفس يعدّها للشعور بجميع ما يلزم له وما يصح ان يحمل عليه . أما ذلك الذي سموه إيماناً وهو ليس به فهو مما يقتل النفوس ويهلك الأرواح ويسلك بها مسالك الجبل وينتهي بها الى مهاوي الهلكة .

أما الصالحات في هذه السورة فهي تلك الاعمال التي عرفت عند الناس بأنها من أعمال الخير النافعة لخاصتهم وعامتهم المنفعة مع مصالحهم التي لا تنكرها الاذواق السلية ، ولا تجانبها الطباع المستقيمة ، ومنها ما هو من ضروب الشكر لمفيض الخير والاحسان على الخلائق أجمعين كالعبادات الصحيحة التي جاء بها كل دين صحيح في أي أمة من الامم التي دعت الى الأخذ بذلك الدين زمن العمل بشريعتها . ومنها ما هو من ضروب البر كبذل الاموال في طرق الخير والسي في اغانة المسكوبين ، واقالة العثارة والعدل في الحكم ، واتخاذ المظلوم من الظلم ، ونحو ذلك مما يطول تفصيله ، ومنها فضائل الملكات التي تصدر عنها الصالحات كالامانة والعفة والانصاف والحب والاخلاص وأمثال ذلك . كل هذا يسمى صالحات وان كان منه ما هو بدني يتعلق به العمل الظاهر ، ومنه ما هو نفسي يتعلق به العمل الباطن ، والعمل يتعلق بالملكات لانها انما تحصل عادة بترويض النفس عليها ، وبمجاهدتها في سبيل تحصيلها ، ويدخل في هذه الاعمال عند كل أمة

ماوردت به شريعة رسولها ويدخل فيها ما هدى اليه العقل عند الاسم التي لم تبلغنا رسالة . وان من أصول الصالحات ما هو معروف عند البشر عامة لا تختلف فيه أمة كالاصول التي ذكرناها قبل أسطر ولذلك سميت في الكتاب بالمعروف وسميت أضدادها بالنكر أي ما تعرفه النفوس السنية ، وما تنكره العقول الصحيحة

التواصي ن يوصي كل من الشخصين صاحبه بشي . والحق ما يقابل الباطل وهو يكاد يكون معروف المعنى عند كل الناس وإنما يخطئ أغلبهم في حمل هذا المعنى على جزئياته فيأتي الواحد منهم الى أشد الباطل بطلانا ويقول انه الحق . فلو حمل الحق هاهنا على ما يراه الموصي حقاً لكان المعنى : وأوصى كل منهم صاحبه بما يستقده حفا وطالبه بالاخذ به : وربما كان الآخر لا يستند أن الحق مع موصيه فيكون التواصي ضرباً من التنازع لأن كلا يدعو الآخر الى ما لا يرضاه وهو النزاع بعينه فلا يصح حمل المعنى عليه وإنما الذي يصح ان يقصد هو ان يوصي كل واحد صاحبه بتحري الحق فيما يستند بأن يشبهه الى الحرص على البحث في الادلة والتلطف في النظر للوقوف على الحق الذي هو الواقع لا يختلف فيه بعد معرفة وجهه فاذا رأى منه ضلة هداة باقامة الدليل على ما هو الهدى ، واذا رأى منه تقصيراً في النظر نهض به اليه ، واذا وجد منه رجوعاً في الاخذ بقواهر الاور دون النفوذ الى بواطنها نصح له باستعمال الروية وامان التمرة . وهكذا يكون على الآخر ان يعدل مع صاحبه مثل ما يجب عليه ان يعمل معه . وفرض التواصي على كل واحد يبيع للصغير او يوجب عليه ما يبيع للكبير أو يوجب عليه من ذلك الا انه لا يمنع من رعاية كل قائم بواجب عليه حق

الآخر فلو صية الصغير وعرضها على الكبير طريقة غير طريقة سوق الوصية من الكبير الى الصغير يعرف ذلك القوم على حسب آدابهم وما ألنوا في مخاطبتهم . والتواصي بالحق يدخل في الصالحات وإنما ذكره بلفظه لينوه بفضله ويشير الى انه أصل بنفسه تناط النجاة به استقلالاً .

ولا يصح ان يظن ظان ان النجاة منوطة بالتواصي بالحق وان لم يكن الموصي آخذاً به فلو كان . بطلاً وأوصى بالحق فقد نجى، هذا مالا يعقل وإنما جادت الآية الكريمة على طريقة الایجاز التي فضل بها القرآن جميع الكلام فان المراد من كان على الحق وأوصى به . ومن المعروف عند العقلاء أنه لا يوصي بالشيء ولا يدعو اليه الا من أصاب منه العظا لا وفر وكيف يدعو الى أمر ويحسن الدعوة اليه من لا تكون له من ذلك الأمر حلية يعرف بها . وما تراه من قوم يدعون الى المعروف وهم يقيمون على المنكر فذلك لا يعد دعوة صحيحة لانهم لا يعرفون كيف يدعون وهم في دعوتهم الى ما يدعون اليه ينشرون الناس منه ولا يميلونهم الى ناحيته وخطاب الكتاب إنما جاء على المعروف المألوف عند العقلاء . وإنما قال « وتواصوا » ولم يقل : وأوصوا : ليبين ان النجاة من الخسران إنما تناط بحرص كل من أفراد الأمة على الحق ونزوع كل منهم الى أن يوصي به قومه . ومن يهمله أمر الحق ليوصي صاحبه بطلبه يهمله ان يرى الحق فيقبله فكأنه في هذه العبارة الجزلة قد نص على تراصيهم بالحق وقبولهم للوصية اذا وجهت اليهم والصبر خلق من أمهات الأخلاق بل مسالك كل خلق . قالوا في فضل الصبر إنه ذكر في القرآن نحو سبعين مرة وليس لنا فائدة كبرى في تحديد العدد ولكن جاء في الكتاب العزيز ذكر الصبر ومدح أهله وتبشيرهم

بالفوز والفلاح. والصبر ملكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتمالاً والرضى بما يكره في سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أتى الناس من شيء مثل ما أتوا من فقد الصبر أو ضعفه . كل أمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها ضعف فيها كل شيء . وذُهِبَ منها كل قوة ، ولنضرب لذلك مثلاً نقص العلم عند أمة من الأمم كالسليمان اليوم ، إذا دقت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر فإن من عرف باباً من أبواب العلم لا يجد من نفسه صبراً على التوسع فيه والتعب في تحقيق مسأله وينام على فراش من التقليديين لين لا يكلفه مشقة ولا يجشمه تعباً ويسلي نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه ولو كان عنده احترام حقيقي لسلته لاتخذ من أسوة له في عمله فذا حدوهم وسلك مسلكهم وكاف نفسه ببعض ما حملوا أنفسهم عليه واعتقد كما كانوا يمتدنون أنهم ليسوا بمعصومين . ثم هو إذا تعلم لا يجد صبراً على مشقة دعوة الناس إلى علم ما يعلم وحملهم على عرفان ما يعرف ولا جلداً على تحصيل الوسائل لنشر ما عنده بل متى لاقى أول معارضة قبح في بيته وترك الخلق للخالق كما يقولون . يجلس الطالب للدرس سنة أو سنتين ثم تعترضه مشقة التحصيل فيترك الدرس أو يتساهل في فهمه أو يكل والده من الاتفاق عليه فيصرفه إلى حرفة أخرى يظنها أربح له فينتطح عن الطلب ، ويذهب في الجهل كل مذهب ، وكل هذا من ضعف الصبر

يغفل البخیل بما له ويجهل نفسه في جمعه وكثره وتعرض له وجوه البر فيعرض عنها ، ولا ينفق درهما في شيء منها ، فيؤدي بذلك وطنه وملته ، ويترك الشر والفقر يأكل قومه وأمته ، ولو نظرنا إلى ما قبض يده لوجدناه ضعف الصبر ولو صبر على محاربة خيال الفقر اللائح في ذهنه

يهدده بالنزول به، لما أصيب بذلك المرض القاتل له ولاهله ،
يسرف المترف في الشهوات ، ويتهتك المتهتك في المنكرات ،
حتى ينفد المال ، وتسوء الحال ، ويستبدل الذل بالعر ، والفقر بالفنى ، ولا
سبب لذلك الاضياع صبره في مقاومة الهوى ، وضبط نفسه عن مواقع
الردى ، ولو صبر في مجاهدة تلك النزغات لما كان قد خسر ماله ، وأفسد حاله
وهكذا لو أردت أن أعد جميع الرذائل وأبحث عن عللها الاولى
لوجدتموها تنتهي الى ضعف الصبر أو فقدته ، ولو سردت جميع الفضائل
وطلبت ينبوعها الذي تستمد منه حياتها ما وجدت لها ينبوعاً سوى الصبر ،
أفلا يكون جديراً بعد هذا بأن يخص بالذكر ، فالحق حياة العلم ، ومستنم
السكينة ، ومطمان العقل ، ومستقر الراحة للنفس ، والصبر مستمد الفضائل ،
ومد حرة الرذائل ، ومساك الصالحات ، وملاك الحسنات ، فجدير بهذين
الاصليين الجليلين ان يخصا من بين أعمال الانسان بالإشادة بذكرهما ،
والتنويه بفضلهما ، وانفت النفوس اليهما خاصة ، لتبدأ بأحرازهما فتصالح
بهما أعمالها كائنة ،

ربما تبين الناظر فيما ذكرنا وجه الحق في هذا الخبر الكريم وهو أن
الانسان في خسر الامن استكمل لنفسه هذه الصفات التي ذكرت ولكننا
مع ذلك نزيد توضيحاً

الايمان بالمعنى الذي ينه طور من أطوار النفوس البشرية ارتقت
اليه ، لتخلص من سوء حال كانت عليه ، النفوس البشرية في طموحها الى
الشهوات هي على نحو ما عليه العجاوات مع امتياز في قوة استحضار الفئات
وتمثيل الآتي قفاقت سائر نفوس الحيوان في الحرص على نيل ما يلذ لها مما

ألقته، وادخار ما يوفر لها أضعافه فيما يستقبل من الزمن، فكل نفس تستعمل قواها، في تحصيل ما يرمي إليه هواها، فما أعظم الشر تصوره في أشخاص من البشر لا هم لواحد منهم إلا في تحصيل ما يتخيله لذيقه أو نافعاً، واتلاف ما يمثله مؤلماً أو ضاراً، ثم ينظر إلى ذلك في يد غيره فيثب عليه؛ يستخلصه منه لنفسه أو يتقنه لزعمه أنه ضارٌّ به ولا رادع للمعتدي إلا ما يكون من المعتدي عليه ولا يصدق أحد منهم بأصل للخير أو للشر أو للفضيلة أو للردية وإنما الخير عند كل واحد ما يلذه أو ينفعه سواء آلم غيره أو أخره أم لم يكن كذلك

أي شقاء يصيب النفوس البشرية إذا دخلت من الشعور بذلك الأصل العظيم أصل التمييز بين الخير والشر؟ فمن لم يكن مؤمناً بهذا الأصل ولم يصدق بالحسن كما ورد في سورة الليل فقد خسر خسرانا مبنياً الفرد الواحد في ذلك ينال نصيبه من الضلال، وسوء الحال، إذا خلا قلبه من ذلك الشعور فإنه ينجب في معاملته لمن معه على غير هدى، فيصيبه منهم ما يصيبه من الأذى، ثم هو لا يزال قلق البال، حليف اللبال، كما لا يخفى. ونصيب الأمة من ذلك أعظم من نصيب الفرد بمالاحدله

من لم يؤمن بالقوة العظمى، والقدرة العليا، والحكمة السامية، والسيطرة القاهرة، التي ينتهي إليها كل عمل في الوجود، وبأن جميع ما عداها فهو في قبضتها، فقد قصر نظره، وضعف بصره، وعظم وهمه، ووهى معتمده، يرى كل قوة من القوى التي بين يديه كأنها مصدر وجوده، ومصرفه أموره، وإذا أصابه شيء من الشر لا يعرف له سبباً تخيل السبب شيئاً من تلك القوى كما يخطر بباله، أو أصحاب شيئاً من الخير بدون كسب منه اخترع

له وهمه مصدرا كما يتفق له ، فتكثر عليه الارباب ، وتفسد في وجهه طرق
الاسباب ، ويعتمد في شئونه على ما لا يصح الاعتماد عليه ، وهذا هو منشأ
ضروب الوثنية ، التي كانت سببا في فساد العقول البشرية ، والخسران الذي
نزل بأهلها أفرادا أو أمما لا يخفى خبره على أحد ولا يزال ينزل بها من
الخسران ما يسوء أثره الى اليوم

أما من آمن بأن جميع القوى التي نراها إنما تصدر من قوة واحدة وهي
تحت نظام تديره إرادة واحدة وأن من الواجب على العاقل اذا جاءه شيء من
الخير أو الشر لا يظهر له سببه ان يبحث بمقله حتى يقف على السبب او
ينتهي الى مقدر الاسباب فلا ريب انه ينجو من شر ذلك الخطب ، ويخلص
من ورطة ذلك الخلط ، ويستوي في نظره جميع ما هو في الكون وتتساوى
جميع أفراد عنده في أنها مربية لا يمتاز شيء منها على آخر إلا بما يميز به
من الخصائص ، وما يكون له من الآثار ، فيسكن قلبه من كل ناحية ، ويعظم
اعتماده على تلك القوة الواحدة ، ولا يأخذ في أعماله إلا بما سنته له ، فيعتبر
ما وضعت من نظام الاسباب والمسببات ، فيجري عليه ثابت الجلاس معلمين
القلب ، غير خائف من شيء بعد ما عرف من القدرة الالهية ما عرف

من لم يؤمن بأن الحكمة السامية تقضي بأن يكون في البشر مبشرون
ومندرون يوضحون السبل ، ويكشفون الحجب ، ويقصص عينيه عن النظر
في الأدلة التي تؤيد دعواهم ، يحرم حظا وافرا من المعارف التي يصعب على
عقله أو يستحيل عليه ان يصل اليها بدون واسطة هؤلاء المرشدين ، ويلتبس عليه
كثير من أمره ، وتخفى عليه طرق الصواب في كثير من عمله ، فيقع في
الشر وهو يسعى الى الخير ، ويصيبه الضر ، من حيث كان يطلب المنفعة ،

وأي خسران أعظم من هذا

من فقد الايمان بالله على الوجه الذي بيناه فأقل ما يخسره قوة العزيمة
بالاعتماد على من تحيط قوته بالا كوان ، وأدنى ما يفقده ركون النفس
الى سندها الاكبر عند نزول الشدائد ، (١) وأخف ما يصيبه من
الخسران تشتت الاهواء عليه واضطرابه بين دواعيها ، وحرمانه من الهادي
الذي يرشده الى الوجهة التي ينبغي ان يولي وجهه نحوها ، فيظل في حيرة
لا خلاص له منها ، وأي شقاء أعظم منها ، والامم في هذا الشقاء كالأفراد
الاعمال الصالحة تتبع الايمان الصحيح في الاغلب غير ان من الناس
من يظن ان الايمان قول يعبر عن خيال في النفس لا أثر له في العمل أو انه
اعتقاد يتخذه الشخص يميزه عن غيره في جامعة من الجوامع كاعتقاد المسلم
بأنه من أهل التوحيد وانه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليميز بذلك
عن غيره من الملل وكاعتقاد كل ذي دين بما يظنه من دينه ومع ذلك
لا يأخذ نفسه بالعمل على سنن ذلك الدين . وهذا الايمان لا ينجي صاحبه
من الخسران بل لا بد في النجاة من العمل الصالح وقد بينا الاعمال الصالحة
فيما سبق إجمالاً ولا خسار أعظم من خسار يحمل بمن لم يأت تلك الاعمال سواء
كان ذلك في الدنيا والآخرة

وبيان الخسران بذلك المعنى الذي فهمته تعلم أنه عام في كل من

(١) يؤيد هذا ما ثبت من ان الجنود المتدنية اشجع واثبت من الملمدة أو ضعيفة
الدين وقد كتبت الجرائد الاوربية هذه الملاحظة في أثناء حرب انكلترا والترانسفال
ومن ذلك اتفاق العارفين على أن جيش الدولة العلية في مقدمة جيوش العالم لشجاعة وصبر اعلی
المكاره « هذا وما ... فكيف لو » رجعت الى ذكر الصحابة والتابعين

فقد الايمان وترك العمل الصالح سواء كان ممن بلغته دعوة الانبياء، وحاد عن سننهم أم كان ممن يسونه (أهل الفترة) أم ممن لم تبلغهم الى اليوم دعوة سواء قلنا بنجاة هؤلاء في الآخرة أم لم نقل فان الخسر في الآية الكريمة ليس محدودا بخسر الآخرة وخسر الآخرة ليس محدودا بالابدي منه فصرح الآيات ان من لم يكن من المؤمنين أولم يعمل الصالحات فهو خاسر أي ضال أو واقع في شقاء على ماسبق بيانه. ولا ريب في عموم ذلك لجميع أصناف البشر في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي حال بعد ان ذكر ركنين من أركان النجاة من الخسران في الامم والافراد جاء بركنين آخرين لا يتم كل منهما الا بتعاون الافراد ولا يمكن لفرد واحد ان يستقل به وهما ركننا التواصي بالحق والتواصي بالصبر على النحو الذي بيناه. فان التواصي لا يكون الا من متعدد فلا نجاة من الخسران الا بان يقوم الافراد من الامة مهما عظم عددهم بأن يوصي كل واحد منهم من يعرفه من الباقيين بأن يطلب الحق ويلتزمه وأن يأخذ بالصبر في جميع شئونه فلو ان شخصا واحدا قام بذلك وأوصى غيره ولكن الباقيين لم يقوموا بمثل ما قام به لحل الخسر بالجميع في الدنيا لا محالة فان الامة اذا غفل معظمها عن الحق والدعوة اليه ووهن الصبر في قلوبهم فلا محالة يستولي عليها الباطل وتضعف منها الزايم فيسوء حالها وتربي بنفسها في الهلكة «وَأَقْتُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» واما في الآخرة فالخسار انما يحقق بمن لم يوص أو من لم يسمع الوصية ولم يقبلها. فان كان الموصي لم يحصل من وسائل التقرب ما يحتاج اليه وكان فقور صاحبه من طريقة نصحه ولو سلك غيرها لقبيل منه كان الخسار في الآخرة عليه كذلك، وأي

نجاه لامة يسكت أبنائها على المنكر فيشوبينهم ولا تتحرك توسهم الى
التناهي عنه والمنكر مفسدة الافراد ومقراض الامم؟؟

التواصي بالحق والتواصي بالصبر يدخل فيهما الامر بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لان من أوصى بالحق ودعا اليه لا يستم له ذلك حتى
ينهي عن الباطل ويصد عنه ، ومن أوصى بالصبر على مشاق الاعمال الصالحة
لا يكمل له ذلك حتى يبين مساوي الاعمال الخبيثة وعواقب التفریط بترك
تلك الصالحات فقد أودع الله في هذين الركنين ركني الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر في جميع الاعمال والاحوال وقرر لنا ان لانجاه لقوم من
الخسران في الدنيا والآخرة الا بأن يقوم كل واحد منهم بما يجب عليه
من ذلك في القدر الذي يمكنه وعلى الوجه الذي يمكنه ، وقد أكد لنا
الخبر بما أورده من القسم فليس في الخبر تجوز ، ولا فيما تضمنه من الامر
هوادة ، فن الواجب على كل أمة تريد ان تنجو من الخسران ان تقوم بهذا
الفرض وهو التواصي بالخير والتناهي عن الشر أو التواصي بالحق والتواصي
بالصبر ، فاذا طارأ على عوائد الامة أو نزل بها من الحوادث ما ينقض اليها التنصيح
أوجب اليها التساهل في فريضة التواصي كان ذلك انذارا بحلول الخسارة
وتعرضا في الدنيا للعار والدمار ، وفي الآخرة لعذاب النار ،

ولا يجوز لاحد ان يتعامل بذلك التساهل اذا وقع من الامة ويقنع بقبوله بأنه
عاجز عن النجاس في نصيحته ولهذا يكتفي ان يذكر المنكر بقلبه وبذلك يجتنب
الخسران الاخروي ان لم ينبج من الخسران الدنيوي كما يتوهمه بعض
المسلمين اليوم خصوصا أولئك الذين عرفوا بينهم بالدماء فقد أخذوا
انطفا العظيم في زعمهم أن إعراض الامة عنهم يجبرهم من القوة لالهية

إذا لم يفتوا النصح لهم ولم يبينوا لهم وجه الحق وإن أنكروه وصكروا وجه الناس إليه فقد صدق الله وعده ، وأكذب خبره ، ولا سبيل إلى التأويل في آخره ، ولا إلى جحد ما يتلوه من أثره ،

يحتاج كثير من عامة أولئك العلماء بحديث « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده » فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، (*) ولكننا نقول أنه لا يصح الاحتجاج به في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن تفسير المنكر عند رؤيته شيء يتعلق بأمر خاص وهو المنكر المعين الواقع من الشخص المعين وقد يتسامح في معاملة الشخص المعين في حالة مخصوصة لشأن مخصوص فإن ملكا من الملوك أو أميرا من الأمراء الظالمين لا يحتل إلى يقال له : إن الأولى بك أن لا تفعل ما تفعل أولئك لم تفعل هذا أولئك فعلت هذا : فضلا عن أن يقال له : أترك هذا فإنه منكرو أو افعل هذا فإنه من المعروف : وربما كانت كلمة من هذا القبيل سببا في اتلاف نفس القاتل ، بسطوة ذلك الظالم ، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم ينحصر في طلب تغيير المنكر في هذه الحالة المحدودة بل ذلك شامل للوعظ العام في المساجد والعارق والأسواق والمتدييات وفي أوقات الاجتماع الخاصة وفي الحديث مع الأصحاب والاجابة وفي كل حال من أحوال الاجتماع خاصة وعامة . ومثل هذا يستطيعه كل واحد من الناس على حسبه فلا يمكن

(*) التارخية منه « وذلك أضف الإيمان » رواه أحمد وعبد بن حيد وسمو وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وهو حجة على تاركه فريضة الأمر والنهي كنلا وتبلا لا يأسر بذي الاستعانة واستفاد الطاقة في هذه السبل على خصوصية

للوضوع كما قال الأستاذ الامام

لأحد ان يزعم انه عاجز عن القيام بفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الاطلاق لأنه لا يوجد أحد يزعم المعجز من جميع الوجوه الا أن يكون قد بلغ من المعجز غاية لا يبلغها الحيوان الاعجم

غير انه يجب على العلماء ومن يتشبه بهم ان يتعدوا من وسائل انقيام بالواجب ما تدعو اليه الحال على حسب الازمان واختلاف أحوال الامم وأول ما يجب عليهم في ذلك ان يتعدوا التاريخ الصحيح وعلم تكوين الامم وارتفاعها وانحطاطها وعلم الاخلاق وأحوال النفس وعلم الحس والوجدان ونحو ذلك مما لا بد منه في معرفة مداخل الباطل الى القلوب ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق وسبل التقرب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والاخرية ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر الى جانب الخير. فان لم يحصلوا علم ذلك كله فوزر المائة عليهم ولا تفهم دعوى المعجز فانهم ينفقون من أزمانهم في انقياد وانتقال ، والبحث في الألقاظ والأقوال ، ما كان يكفيهم ان يكونوا بحار علم ، وأعلام هدي ورشد ، فليطلبوا الصلح من سبله التي قام عليها السلف الصالح والله كفيل ان يمددهم بموته . اما وقد انقطعوا الى ما يعجزهم من القيام بأمره فلن يقبل الله لهم عذرا بل فليتربصوا حتى يأتي الله بأمره

لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكن من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واشغال الناس بالحق عن الباطل وبالطيب عن الخبيث أن يضرب الانسان في الارض ، ويمسحها في الطول والمرض ، وأن تعلم اللغات الاجنبية ليقف على ما فيها مما ينفعه فيستعمله ، وما يخشى ضرره على قومه فيدفعه ، لوجب على أهل العلم ان يأخذوا من ذلك بما يستطيعون ،

ولهم في سلف الامة من القرن الاول الى نهاية القرن الرابع من الهجرة
أحسن أحوال، وأفضل قدوة، وكل ما يبونون به على أنفسهم مما يخالف
ذلك فاعلموا هي وسواس الشيطان، يشغلهم بها عن النظر في معاني القرآن،
ويحرمهم من التعرض لرحمة الرحمن،

بقيت مسألة كثرالذوال عنها، والإلحاح علي في التعرض لها، كما ذهبت
الى مكان وجدت لها حاملا، لا يلبث أن يتوجه الي سائلها، وهي مسألة
الاختيار والكسب، ونسبة الافعال الاختيارية الى العبد أو الى خالق العبد،
ولا أنكر ان هذه المسألة كانت من أعظم المسائل خطرا على الاسلام
والمسلمين ولكن كان في مرور الزمان وتتابع الحوادث ما يهدي الناس الى
وجه الحق فيها ويرشدهم الى ان يرجعوا الى كتاب ربهم وهدى نبيهم

نزوع لنزوس الى الخوض في هذه المسألة ضرب من ضعف الصبر
أوفقده . الوجدان يشهد والحس يشاهد أن الذي يرفع يده بالسيف
ويضرب آخر فينته هو الذي ضربه ويقول الرائي والمخبر: إن فلانا قاتل
فلانا أو ضربه أو اعتدى عليه: فنسبة الافعال الى من صدرت عنه من
العباد مما لا يحتاج الى بحث ولا نظر. ثم جاء القرآن يقول « بما كنتم تعملون »
« وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كُنْتُمْ أَيْدِيَكُمْ » وغبر ذلك من الآيات
حتى قال في الآية التي يحتاجون بها « وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » فلو سلم ان
المراد مما تعملون العمل نفسه فقد نسب العمل اليهم وقامت أحكام الشريعة
جميعا على هذا الاصل . ولو كان فعل العبد ليس له لبطال تكليفه به إذ لا يعقل
ان يدعى شخص الى ما لا يقدر عليه، وان يكلف بما لا أثر لرادته فيه، ولو كان
فعل القاتل ليس له لامتنع القصاص ولم تكن فيه لنا حياة. فالعقل والشرع

والحس والوجدان متضافرة على ان فعل العبد فعله . وكون جميع الاشياء راجعة الى الله تعالى ووجود الممكنات انما هو نسبتها اليه ولا يتصور اعتبارها موجودة الا اذا اعتبرت مستندة اليه - مما قام عليه الدليل بل كاد يصل الى البدهة كذلك . ومثل هذا يقال في عظم قدرة الله تعالى وانه ان شاء سلبنا من القدرة والاختيار ما وهبنا فهو أمر نشاهده كل يوم ، ندبر شيئاً ثم يأتي من الموانع من تحقيقه ما لم يكن في الحسبان ، وتتناول عملائهم تنقطع قدرتنا عن تنميته ، كل ذلك لانزاع فيه ، شمول علم الله لما كان ولما يكون قام عليه الدليل ولا شبهة فيه عند الملمين ، فوجب على المسلم ان يعتقد بأن الله خالق كل شيء على النحو الذي يعلمه وان يقر بنسبة عمله اليه كما هو بديهي عنده ، ويعمل بما أمر به ويحجب ما نهاه عنه باستعمال ذلك الاختيار الذي يحمده من نفسه ، وليس عليه بعد ذلك ان يرفع بصره الى ما وراءه فقد نعى الله على المشركين قولهم « لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ » ووردت الاحاديث متواترة المعنى في النهي عن الخوض في القدر وسره

فلو صبر العبد حق الصبر لوقف عند ما حده الله له ولم ينزع بنفسه الى تمدي حدود الله التي ضربها لعباده . ولست أحب التكلم في هذه المسألة بأكثر من هذا والاخرجت من الصابرين ، وخضت في القدر مع الخائضين ، ومن ثار به الهوس فتوهم ان علينا ان نعتقد ان العبد لا فعل له فقد خالف كتاب الله ، وعصى رسول الله ، وقد أقول - واعتمادى على الله فيما أقول - : ان من يقول ذلك يخرج عن دين الله ، ويمطّل شرع الله ، فليحذر . ومن بالله ان يقول ذلك ، واسأل الله ان يرشدنا جميعاً الى ما فيه صلاح

أنفسنا وإن يوفقنا للتواصي بالحق والتواصي بالصبر بفضلته وكرمه
 قد يمر بخاطر سائل أن يسأل : إذا كان هذا الذي ذكر في هذه
 السورة هو حكم طبيعة الانسان في كل فرد من أفراد المكلفين منه وإن
 من لم يكن على هذه الصفات فهو خاسر ضرباً من الخسران في الدنيا أو في
 الآخرة أو فيهما وإن من أخذ بالحظ الاوفر منها نجا من ذلك الخسران
 فبالنا نرى من غير المؤمنين من يتمتع بالسعادة في هذه الدنيا أما وأفراداً ،
 ونرى من المؤمنين من يغمره الشقاء أما وأحاداً ، وإذا شئت مثلاً لذلك
 فانظر الى حال اليابانيين وهم وثنيون أو حال بعض الامم الاوربية التي لا يمتد
 الكثير من أفرادها بالله ولا برسله وقارن بينهم وبين الأمم المؤمنة
 كالمسلمين مثلاً :

فندفع عنه هذا الخاطر بأن ما يراه في بعض الامم من ظواهر السعادة
 ليس الا لمعان السراب حتى اذا جاءه وحقق أمره لم يجد شيئاً . قال ما كس
 نوردو في كتابه المسمى (الاكاذيب العرفية لتمدنا) مامعناه : « ان الناس
 كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ولم يكونوا في زمان أبعد عنه منهم في هذا
 الزمان » ثم قال ما ترجمته « إنك لو طرقت أي باب تسأل : هل مرت السعادة
 بهذا البيت ؟ لا جابك بحيب : اذا شئت فاطرق باباً آخر فان السعادة لم
 تمر ببيتنا » وهو يقول ذلك بعد ان ذكر ما عليه حال الامم الاوربية جميعها
 ونسبته من البسادة والشقاء وبعد ان أجمل من وصف أحوالهم والمصائب
 التي تتوقع لهم والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ما يرحمهم لأجله المقصرون
 عنهم ، ويذهب الراغبين في مثل حالهم ، ويصددهم عن اقتضاء آثارهم ، وبين سبب
 ذلك وانه بعدهم عن الحق ونزوع أنفسهم الى الباطل وقدم الصبر في طلب

المال وهرولتهم خلف داعي الشهوة لا يعضون له أمراً، ولا يخافون له إشارة، ومنشأ ذلك خلوه قلوبهم من الركون إلى الاله الواحد خالق الجميع ورازق الاحياء ومقدر الاسباب لمكاسبهم على حسب ما وهبهم من القوى والقدرة. ولو اطلمت على ما أخذ اليابانيين من ذلك ومما تألم له قلوبهم من الاوهام الوثنية التي ما اتملت بروح الا أفقدتها السكينة وأوجدتها الاضطراب صعب عليك ان تحكم بأنهم سعداء فاذا كان لهم شيء من السعادة فهو ببركة التواصي بالصبر أو عمل بعض الصالحات التي جعلها الله عماداً للسعادة في هذه الحياة الدنيا كالامانة والصدق وارتقاء الهمة والأخذ بالحق فيما يقع الشأن ويكسب العزة.

أما حال المؤمنين - ان كانوا - فهو لا يخالف الحكم الوارد في الآيات الكريمة فانا لانمي ولا يعني عائق بالسعادة وفرة المال ورفه البش في ظاهر الامر وان كانت النفوس قلقة، والضمائر محترقة، ولكن السعادة ستكون النفوس وراحة الضمائر، واطمئنان السرائر، والرضى الحقيقي بما وصل إلى اليد، والسعي المقارب إلى الرغبة من سبلها المعروفة، مع المعرفة بتلك السبل، والاعتماد على الهادي إليها، ولا أشك في انك تجد هذه الطمأنينة عند المؤمن بالمدنى الذي قدمنا في أي أرض وجد، وفي أي أمة ولد، وأما المثل الذي ضربته وهو جملة المسلمين فإني أقول لك ولا أخشى لوم لأنهم إن من كان مؤمناً وعمل الصالح وقام بفريضة التواصي بالحق والتواصي بالصبر فهو راض عن نفسه، راض عن ربه، سعيد وان كان بين الاشقياء، حكيم وان وجد بين السفهاء، لا يعرف الشقاء الا بما ينمكسر اليه من صورته في قلوب غيره، وأما البقية فان كانوا خاسرين فخسرانهم جاءهم من فقد

الاركان الاربعة . أما الايمان فلأنهم أخذوه أسماء ، واكتفوا به علما ورسدا ،
ورثوا عن الآباء والامهات ، صورا وعبارات ، ومثل عبادات ، لا يحوكم
بصدرهم شيء من معناه ، وأوثرهم حية على التوحيد أملاهم من الاشرار
تحت أسماء اخترعها ، وألقاب اختلقها ، كالوسيلة والواسطة وما يشبه ذلك
مما لم ينزل به الله سلطانا ، وأما العمل الصالح فكيف يجتمع مع الحسد والمداوة
والكبرياء والجهل والكسل ونحو ذلك مما تراه في عامتهم ، والأغلب من
خاصتهم ، وأما التواصي بالحق والتواصي بالصبر فلم يبق له أثر بينهم .
يرون ما يرون من المذكرات ، ويحسون بما يحسون من فاسد الاعتقاد ،
وكل منهم ساكت عما يرى ويحس من الآخر كأنه لا صلة بينهم في الدين ،
وكان لم يرد في دينهم ما يدعوهم الى التناصح ، ولو أن واحدا منهم نصح
للآخر لقامت عليه قيامته ، وظنه عتقرا لآزمته ، غامطا لحته ، وكيف لا يخسر
قوم هذا شأنهم ؟؟ فلو أنهم رجعوا الى دينهم ، وأقاموا في أنفسهم هذه
الاصول الاربعة لرأيتهم وقد فاهم الله وعده في قوله « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَدَدٍ خَيْرِهِمْ
أَمَّا يُبَدِّلُونَنِي لَأَيْشَرَ كُونُ بِرِي شَيْئًا » ولخرجوا من حكم الوعيد الذي انذرهم
الله به من قبل في قوله « وَنَّ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَوْتِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » .
« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا قَوْمٌ حَتَّى يَنْبَرُوا مَا بَانَ لَهُمْ » والله أعلم

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(٢٧) واحتجوا لقولهم في استحباب مساواة الامام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « انما جعل الامام ليؤتم به » قالوا والالتمام به يقتضي ان يفعل مثل فعله سواء ثم خالفوا الحديث فيما دل عليه فإن فيه « فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون » ،

(٢٨) واحتجوا على ان الفاتحة لستين في الصلاة بحديث النبي في صلاته حيث قال له « اقرأ ما تيسر منك من القرآن » وخالفوه فيما دل عليه صريحاً في قوله « ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تستدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً » وقوله « ارجع فصل فانك لم تصل » فقالوا من ترك الطمأنينة فقد صلى وليس الامر بها فرضاً لازماً مع ان الامر بها وبالقرآن سواء في الحديث

(٢٩) واحتجوا على اسقاط جاسة الاستراحة بحديث أبي حنيفة حيث لم يذكرها فيه وخالفوه في نفس مادل عليه من رفع اليدين عند الركوع والرفع منه .

(٣٠) واحتجوا على اسقاط فرض الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسلام في الصلاة بحديث ابن مسعود « فاذا قامت ذلك فقد تمت صلاتك » ثم خالفوه في نفس مادل عليه فقالوا صلاته تامة قال ذلك أولم يقله .

(٣١) واحتجوا على جواز الكلام والامام على المنبر يوم الجمعة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أصليت يا فلان قبل ان تجلس » قال لا قال « قم فاركع ركعتين » وخالفوه في نفس مادل عليه فقالوا من دخل والامام يخطب جالس ولم يصل .

(٣٢) واحتجوا على كراهية رفع اليدين في الصلاة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « مابلهم راقي ايديهم كأنها أذناب خيل شمس » ثم خالفوه في نفس مادل عليه فان فيه « انما يكفي أحدكم ان يسلم على أخيه من عن يمينه وشماله السلام عليكم ورحمة الله » فقالوا لا يحتاج الى ذلك ويكفيه غيره من كل مناف للصلاة

(٣٣) واحتجوا في استخلاف الامام اذا أحدث بطهر الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وأبو بكر يهلي بالناس فتأخر أبو بكر وتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلم بالناس ثم خالفوه في نفس مادل عليه فقالوا من فعل مثل

ذلك بطلت صلاته وأبطلوا صلاة من قفل مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبى
بكر ومن حضر من الصحابة فاحتجوا بالحديث فيما لم يدل عليه وأبطلوا العمل
به في نفس مادل عليه .

(٣٤) واحتجوا لقولهم ان الامام اذا صلى جالسا لمرض صلى المأمومون خلفه
قياما بالخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خرج فوجد أبا بكر
يصلي بالناس قائما فتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجلس وصلى بالناس وتأخر
أبو بكر ثم خالفوا الحديث في نفس مادل عليه وقالوا ان تأخر الامام لتغير حدث
وتقدم الآخر بطلت صلاة الامامين وصلاة جميع المأمومين .

(٣٥) واحتجوا على بطلان صوم من أكل يظنه ليلا فان نهاراً قوله صلى الله
عليه وآله وسلم « ان بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم »
ثم خالفوا الحديث في نفس مادل عليه فقالوا لا يجوز الاذان للفجر بالليل لاني رمضان
ولاني غيره ثم خلفوه من وجه آخر فان في نفس الحديث « وكان ابن أم مكتوم رجلا
أعمى لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت » وعندهم من أكل في ذلك الوقت بطل صومه
(٣٦) واحتجوا على المنع من استقبال القبلة واستدبارها بالفائط بقول النبي صلى
الله عليه وآله وسلم « لا تستقبلوا القبلة بفائط ولا بول ولا تستدبروها » وخالفوا الحديث
نفسه وجوزوا استقبالها واستدبارها بالبول .

(٣٧) واحتجوا على شرط الصوم في الاعتكاف بالحديث الصحيح عن عمر أنه
نذر في الجاهلية ان يعتكف ليلة في المسجد الحرام فأمره رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان يوفي بنذره وهم لا يقولون بالحديث فان عندهم ان نذر الكافر لا يعتد
ولا يلزم الوفاء به بعد الاسلام

(٣٨) واحتجوا على الرد بمحدث تحوز المرأة ثلاث موارث عتيقها ولقيطها
وولدها التي لاغت عليه ولم يقولوا بالحديث في حيازتها مال لقيطها وقد قال به عمر
ابن الخطاب واسحاق بن راهويه وهو الصواب

(٣٩) واحتجوا في توريث ذوي الارحام بالخبر الذي فيه « التمسوا له وارثا
اذا رحم ، فلم يجدوا فقال « أعطوه الكبر (١) من خزاعة » فلم يقولوا به في ان من لا وارث

(١) اكبر القوم بعضهم فسكونا كبرهم وأقدمهم في النسب وأكبرهم

له بطل ماله الكبر من قبيله ،

(٤٠) واحتجوا في منع القاتل ميراث المقتول بنجر عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « لا يرث قاتل ولا يقتل مؤمن بكافر » فقالوا بأول الحديث دون آخره .

(٤١) واحتجوا على جواز التيمم في الحضر مع وجود الماء للجنابة اذا خاف فوتها بحديث أبي جهيم بن الحرث في تيمم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرد السلام ثم خالفوه فيما دل عليه في موضعين أحدهما أنه تيمم بوجهه وكفيه دون ذراعيه والثاني أنهم لم يكرهوا رد السلام للمحدث ولم يستحبوا التيمم لرد السلام

(٤٢) واحتجوا في جواز الاقتصار في الاستنجاء على حجرين بحديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب لحاجته وقال له اثني بأحجار فأتاه بحجرين وروية فأخذ الحجرين والقي الروتة وقال « هذه ركس » ثم خالفوه فيما هو نص فيه فاجزوا الاستجمار بالروت واستدلوا به على ما لا يدل عليه من من الاكتفاء بحجرين .

(٤٣) واحتجوا على أن من المرأة لا ينقض الوضوء بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاملاً أمامة بنت الماس بن الربيع اذا قام حملها او اذا ركع أو سجد وضعتهم قالوا بن صلى كذا بطلت صلاته وصلاة من أتى به قال بعض أهل العلم ومن العجب ابطالهم هذه الصلاة وتصحيحهم الصلاة جراً بقدمها متان بالقارسية ثم ركع قدر نفس ثم رفع قدر حد السيف أو لا يرفع بل يخرجه ساجداً ولا يضع على الأرض يديه ولا رجله وان أمكن أن لا يضع ركبتيه صحيح ذلك ولا جهة بل يكفيه وضع رأسه كقدر نفس واحد ثم يجلس مقدار التشهد ثم فعل فلا ينافي الصلاة من فناء أو ضراط أو ضحك أو نحو ذلك .

(٤٤) واحتجوا على تحريم وطء المسبية والمملوكة قبل الاستبراء بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لاوطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تستبرئ بحيضة » ثم خالفوا صريحه فقالوا ان اعتقها وزوجها وقد وطئها البارية حل للزوج ان يطأها الليلة .

(٤٥) واحتجوا في ثبوت الحضنة للمخالة بنجر بنت حمزة وان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بها لحالتها ثم خالفوه فقالوا لو تزوجت الحائلة بغير محرم للبت فإن معها سقطت حضنتها .

(٤٦) واحتجوا على النكاح من التفريق بين الأخوين بحديث علي في نهيه عن

التفريق بينهما ثم خالفوه فقالوا لا يرد المبيع اذا وقع كذلك وفي الحديث الامر برده.

(٤٧) واحتجوا على جريان القصاص بين المسلم والذي يخبر روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقاد يهوديا من مسلم لطمه ثم خالفوه فقالوا لا قود في المظمة والضربة لابين مسلمين ولا بين مسلم وكافر .

(٤٨) واحتجوا على انه لا قصاص بين العبد وسيده بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من لطم عبده فهو حر » ثم خالفوه فقالوا لا يتق بذلك .

(٤٩) واحتجوا أيضا بالحديث الذي فيه « من مثل بعبد عتق عليه » فقالوا لم يوجب عليه القود ثم قالوا لا يتق عليه .

(٥٠) واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب « في العين نصف الدية » ثم خالفوه في عدة مواضع منها قوله: وفي العين القائمة السادة لموضعا ثلث الدية: ومنها قوله: في السن السوداء ثلث الدية .

(٥١) واحتجوا على جواز تفضيل بعض الاولاد على بعض بحديث الثعمان بن بشير وفيه « أشهد على هذا غيري » ثم خالفوه صريحا فان في الحديث نفسه « ان هذا لا يصاح » وفي لفظ « أني لأشهد على جور » فقالوا بل هذا يصلح وليس بجور ولكل احدا ان يشهد عليه

(٥٢) واحتجوا على ان النجاسة تزول بغير الماء من المائعات بحديث « اذا وطأ أحدكم الاذى بنعله فان التراب لهما طهور » ثم خالفوه فقالوا لو وطأ العذرة نجفبه لم يطهرها التراب .

(٥٣) واحتجوا على جواز المسح على الخيرة بحديث صاحب الشجة ثم خالفوه صريحا فقالوا لا يجمع بين الماء والتراب بل اما ان يقتصر على غسل الصحيح ان كان أكثر ولا يقيم وأما ان يقتصر على التيمم ان كان الجرح أكثر ولا يغسل الصحيح .

(٥٤) واحتجوا على جواز تولية امرء أو حكام أو متولين مرتين واحدا بعد واحد بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أميركم زيد فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل نجف » ثم خالفوا الحديث نفسه فقالوا لا يصح تعليق الولاية بالشرط ونحن نشهد بالله ان هذه الولاية أصبحت ولاية على وجه الارض وانها أصبحت من كل ولايتهم من أولها إلى آخرها

(٥٥) واحتجوا على تضمين المتلف مآلفه وبذلك هو مآلفه بحديث القصة التي كسرتها احدى أمهات المؤمنين فرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صاحب القصة نظيرها ثم خالفوه جهاراً فقالوا: إنما يضمن بالدرهم والدنانير ولا يضمن بالمثل. (٥٦) واحتجوا على ذلك أيضاً بخبر الشاة التي ذبحت بغير إذن صاحبها وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يردّها على صاحبها ثم خالفوه صريحاً فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يملكها الذابغ بل أمر باطعامها الأسارى.

(٥٧) واحتجوا في سقوط القطع بسرقة الفواكه وما يسرع اليه الفساد بخبر «لا قطع في ثمر ولو كثر» ثم خالفوا الحديث نفسه في عدة مواضع أحدها أن فيه «فاذا آواه إلى الجرين ففيه القطع» وعندهم لا قطع فيه آواه إلى الجرين أو لم يؤوه. الثاني أنه قال «إذا بلغ ثمن الجن» وفي الصحيح أن ثمن الجن كان ثلاثة دراهم وعندهم لا يقطع في هذا القدر. الثالث أنهم قالوا ليس الجرين حرزاً فلو سرق منه ثمر يابساً ولم يكن هناك حافظ لم يقطع.

باب التمسك بالتعليم

درس عام في التعليم الاسلامي

أول خطاب ألقاه الأستاذ الامام في تونس على ملاّ عظيم من العلماء والفضلاء، وخصته جريدة الحاضرة التونسية الفراء ونحن ننقل عنها كما نقل المؤيد من انوار معشوق من لا تصحح نذل الامم ان بعض اخواننا الذين عرفناهم في تونس قد طالبوا من الفقهاء امره أو محاولة وربما كان ذلك اصطلاحاً عندهم ثم قالوا درساً فسألني بعضهم عن ذلك فقلت نعم هو درس ولكن لا نظنوا أنه درس في تحقيق مسألة عامة فإن عندي من جهة العلماء من اعترف بفضلهم فمن أراد تحقيق مسألة عامة فليراجعهم أما هذا الفقير فرجل سائح قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم ولذلك لما أحبت طلبهم في أقرء الدرس ما قصدت أقرء درس حقيقي ولكن التكلّم فيما يحتاج تفكري من أمر التعليم والعلم والاعراب عما في ضميري مما

أثناء لآخواننا المسلمين من التقدم في العلم . وقد رأيت في بلاد الاسلام التي سحت فيها عدة أناس يشتغلون بالعلم ولكني وجدت عند الاغلب اشتباها في ماهو العلم الذي يتفق الوقت في تحصيله . هذا فيا يخص الامر المهم الذي أكرره لكم ولا زلت أكرره من أهمية التعليم حتى ينتج ذلك التكرار ما تمناه من التقدم مادام الناس في حاجة الى التكرار ثم ان هناك مسألة مشتركة بيننا وبينكم عامة في سائر بلاد الاسلام وهي مسألة الرضا بالوجود ولها تعلق أيضا بالمسلم . فاذا ذكرت قصصا أو عيا في طريقة أو في حالة من الاحوال قيل لك ماذا نصنع ونحن أناس متوكلون على الله وهذا مراد الله من عباده ، وهو عذر المقصر عند قصيره في بلاد الاسلام وعون على ما رآه من النقص في طرق تحصيل العلم . ولذلك أردت ضمه الى مبحث التعليم

(معنى العلم)

أما الكلام في معنى العلم فليس الغرض منه الخوض فيما اصطلاح عليه علماء السلف الصالح أو غيرهم من المتكلمين أو الفلاسفة أو غيرهم حتى من الزائدة . لان هذه ألفاظ اصطلاحية طالما شغلت أهل العلم بتعريفها والاخذ والرد في معانيها . مع ان واضعها إنما حددوا بها للماني حتى تضبط ويسهل تناولها والوصول اليها . ولكن يصح ان يقال فينا وفيهم انهم أرادوا خيراً فاستعملنا شراً . ولذلك أترك الالفاظ الاصطلاحية وأنكلم في معنى العلم من حيث هو . معروف في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وعلى لسان العامة والخاصة

العلم جاء ذكره في قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، الآية وهو استفهام تكاري معناه أنه لا يستوي عالم وجاهل . وقال تعالى هل تستوي الظلمات والنور ، أي ان الظلمة لا تساوي النور فين لنا تعالى ان الظلمة مثال لحال من لا يعلم وان النور مثال لحال من يعلم . فبين من ذلك ان عدم العلم يشبه الظلمة ونحن نعلم ما يكون من الانسان اذا اشتد به الظلام وهو سائر في طريق يقصد غاية معلومة فان الظلام يمي عليه الطريق وربما سلك طريقاً يعمده عن مقصده . وقد يصادف بهواة فيسقط فيها قدس ذكره هلكته قبل الوصول الى غايته

وهذه حال الجاهل بوسائل أي غاية من الغايات التي يعرض للانسان قصدها في

حياته فكل من طلب غاية في حياته بدون علم لا يصل اليها . وحيث نذفيؤخذ من هذه الآية الكريمة ان الله تعالى بين لنا ان العلم للانسان كالنور لا بمعنى ان العلم سراج أو مصباح وانما ذلك مثل خال من يعلم الطريق الموصلة له الى مطلبه والوسائل المؤدية اليه . فان حاله يشبه من يمشي وبين يديه نور بين له السبيل ويكشف له ما فيه من الموانع فيتجنبها أو يذللها حتى ينتهي الى غايته ظافرا بما فيه وسلامته . لان الآيات والاعلام المنصوبة لا يراها المغمور بالظلام وانما يراها المبصر بالضياء والنور ولما كان العلم ضوءاً يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الامي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق » خلق الانسان من علق » الآية . فافتتح الله الوحي بتعليم القراءة والقراءة تعلم . وجاء في الحديث الشريف انه قال في أول مرة « ما أنا بقاري » وما زال الملك به حتى قرأ الآيات .

ثم بعد أن أمر تعالى بالقراءة من لا يقرأ عادة وبين له ان الذي يأمره بالقراءة هو الذي خلق الخلق كله وهو قادر على أن يقرئه بسد أن لم يكن قارئاً وأنه الذي خلق الانسان الحي الناطق المنصف عما في نفسه من علق أي دم منجمد لاعقل فيه ولا نطق فهو قادر على أن ينشئ فيه القراءة والعلم وان لم يسبق له تعلم بعد ان ذكر هذا قال « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم » علم الانسان ما لم يعلم . » نخص من العلم العلم بالقلم والكتابة تنويرها بشأن التحرير والبيان وتنبيه على عظم فائدته وهو انما يكون بعلم الانسان والبراعة فيه . لا تريد من العلم تصور القواعد وانما تريد منه ملكة الافصاح والبيان وكون المراد منه هذا أمر بدوي اذ لولا الكتابة لما وصلنا الى درجة من الدرجات التي نراها . فافتتح الله تعالى الوحي بطلب العلم واتناء عليه سبحانه بأنه هو الذي علمه ووجهه الانسان ارشاد الى فضل العلم وحث على تحصيله خصوصاً العلم بالقلم

فالله ما يبصر الانسان في الغاية التي يطلبها ويهديه الى الحق الذي هو مقدر النجاة قال تعالى « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألستكم وألوانكم ان في ذلك لآيات لأميين » ولم يقل للجاهلين أو العاقلين . فاذا كان للملم هذه المزية فلا يصح أن يكون العلم الممثل له بالنور الاعلى ارشاد وتبيين . ثم جاء في الاحاديث

والادعية للمأثورة قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم انهم انهم بما علمتني وعلمني مايقضي
 وزدني علماء (١) كانه يقول اللهم اجعل علمي علما صحيحا ينطبق على مايقضي في كتابك
 ويروي انه قال : اذا أتى علي يوم لاأزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك
 اليوم (٢) ثم اننا نجد في الآثار وأقوال العلماء غير ذلك مايطول ذكره كما تجدون فيها
 يدور على ألسنة الناس عند ذكر العلم مايرشد الى أنهم لايفهمون من العلم الامعى
 التبصر في أي أمر من الامور والآتيان به على الوجه الاكمل بقدر الاستطاعة. فتبين
 من ذلك اذا ان معنى العلم الحقيقي الذي أثني الله عليه وميز به المهتمين من الضالين
 هو الكشف عن الامر الحقيقي بحيث اذا اراد ان يملك عنه ميل لايقدر على ذلك
 كن عرف طريقا موصلة الى غاية فلا يعدل عنها مهما حاول منعه . فلا يكون العلم
 حقيقيا ولا تنبث النفس الى تحصيله الا اذا كان كذلك بالنسبة الى الغاية المطلوبة منه .
 فاذا وجدنا من العلم ماوصلنا الى البصيرة بما نقصد من الغاية في مدة قصيرة كيومين
 مثلا ورأينا ماسمي علما ولكنه انما يوصلنا في مدة أطول كاربعة أيام مثلا كان لنا أن
 نعد الاول علما حقيقيا لانه أرشدنا الى أقرب طريق مؤدية الى الغاية وان اعد الثاني
 غير علم لانه عاقنا عنها وأوجد لنا النار فيها فالعدول اليه سقوط في الضلة
 وأولى بأن يسمي ضلة علم يقصد بتحصيله غاية ثم هو لا يؤدي الى تلك الغاية
 بلمرة بعد اتفاق الزمن الطويل في تحصيله . فتسميته علما من الخطأ الذي لايتفق مع
 ما جاء في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة واستعمال الخاصة والعامة . ولكن من
 الناس من يقول لك العلم يطلق بالطلاقات ثلاثة - الادراك والقواعد والملكية . فتحصيل
 القواعد وان لم تحصل الملكية يسمى علما على الحقيقة فاشتغالنا بتحصيله اشتغال بتحصيل
 العلم . غير ان هذا القائل لم يراع ماذا قصد المسمى للقواعد علما فانه لم يضع لها هذا
 الاسم الا لانها توصل الى الغاية في رأيه . فاذا استعملت لغیر الغاية فقدت معناها وعدت
 من الشواغل عن العلم المطلوب . فان شاء سمي هذه الشواغل جهلا لانها ضلت عن
 العلم وان شاء فليس بها علما كما بهوى لا كما يعرف الناس

(١) المتار : رواه الترمذی وابن ماجه عن ابی هريرة (٢) رواه الطبرانی في الأوسط وابونعیم
 في الحلیة وابن عبد البر في العلم من حدیث الزهری عن سعید بن المسیب عن عائشة وقد قطعوا
 في مسنده ولذلك قال الاستاذ (ويروي)

المدارس المصرية لا تربى رجالاً مستقائين

(رد على المتطف)

نقل المتطف الاغر المقالة التي صكتناها في الجزء الثالث عشر تحت عنوان (شكوى الامهات . من تربية البنات) واستحسن محرره الفاضل ما كتبناه في التربية العقلية وكون العقل المستنير يقوى أخيراً ويكون من وراء قوته الإصلاح المطلوب . وأتذكر قولنا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية لا يقصد به الى اصلاح النفوس وارتقاها وجعل المصريين سعداء أعزاء وقال ان هذا خطأ على ما يعلم - وبالله تعالى : على ما نظن : فانه يظن ظناً ومأهو بمسئقن - وعلل علمه بقوله : « لان انظار المدارس ومعاميها يشغفون بالتعليم والتهديب شغفا حتى يتفانوا في تعاليم التسلامذة وتهذيبهم كما يشغف كل عامل بعمله وهذا فعلمه بالحبر مدة تعاملنا في المدارس الاجنبية نحن ونساؤنا ومدة مشاركتنا لهم في التعليم . فالوصصة التي وصمهم بها جائرة جدا ولو اخترت اختبارنا لقال قولنا . ولا نقول ان ذلك يعم كل انظار وكل المدرسين ولكنه شامل لاكثرهم ، ولا شبهة عندنا ان أثر المدارس المصرية وطنية كانت أو أجنبية حسن جدا وأنه لم يظهر حتى الآن ظهورا باهراً لأنها قليلة بالنسبة الى اتساع البلاد ولأن التجاح لا يظهر جلياً لمن يراقبه عن قرب ويرى تدرجه البطيء ولكن لو قابل حضرته حال هذه البلاد العلمية والادبية الآن بحالها منذ عشرين سنة نرأى بين الحالين بوناً شاسعاً ورآها الآن أرقى مما كانت كثيراً وسيزيد هذا الارتقاء في العشرين سنة التالية أضعاف مازاد في العشرين سنة الماضية » : هذه عبارة المتطف نفسها

يقراً القارئ في بعض الاحيان شيئاً فيعلق بذهنه شيء يحجل منه فيسكده غافلاً عن التفصيل الذي لا مذهب معه للانكار ثم يستدل على انكاره بما لا دلالة فيه أو بما فيه الحجة عليه ويحمل هذا وقع صاحب المتطف في تمهينة دعوى القارئ على انه يهد فيه من التحري في النقد

لم يكن الكلام في مقاشاة تلك ، بل على النعنع في معاملي المدارس المصرية ولأننا نظارها فيرد علينا بدعوى تفانهم في التعليم والتهديب ، ولم يكن أكثر منا اختباراً لهؤلاء المعاملين والنظار فيصح له ان يقول ما قال ، وليس قياساً للمدرسة الكلية الامر بكافية

التي تعلم في المدارس المصرية قياسا صحيحا ، وليس البون الشاسع بين حال البلاد اليوم وحالها منذ عشرين سنة نتيجة حسن التربية والتعليم في المدارس المصرية وكون الغرض منه تربية المصريين على الاستقلال والفضائل والترقي الصوري والمعنوي ، واننا نشرح هذه المسائل بعض الشرح فقول :

تبين من امتحان الشهادة في هذا العام ان مدارس الحكومة أكثر من غيرها نجاحا ومثلها مدرسة خليل أغا ومدرسة أم عباس وأن المدارس الاجنبية أقل المدارس نجاحا ومعظم قصورها في اللغة العربية وعلومها لان مرسلي الامريكان والجزويت والفرير والانكليز لا يهتمهم أمر هذه اللغة ولو استطاعوا محوها من بلادها لفلوا وانما يهتمهم نشر مذهبهم الدينية ولغاتهم الاعجمية وليس في هذا اصلاح لثغور المصريين الذين دين اكثرهم الاسلام ولغة جميعهم العربية وانما تتم سعادة الامم بأديانها الدينية ورابطتها اللغوية . وانما يعلمون اللغة العربية في مدارسهم لاجل ان يصيدوا بها الناس ولو أبطلوها لبطلت مدارسهم . ثم ان هذه المدارس ليس فيها تعليم عال وما دون التعليم العالي لا يكون رجلا فاذا كان التعليم المطلوب ناقصا والتربية المطلوبة مفقودة من هذه المدارس فهل يفني عن سعادة المصيريين شغف معلمي هذه المدارس ونظارتها وقوانينهم في نشر دينهم ولغاتهم المقصود بهما افساد دين المصريين ولتهم ؟ أما المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت فقد كان التعليم والتربية فيها أفضل ما يمد النصارى للسعادة ولا يقصر عن افادة المسلمين الذين ليس لهم مدارس عالية في تلك البلاد . وقد كان تعليم العلوم في هذه المدرسة على عهد منشي المقتطف باللغة العربية ثم تحول الآن الى اللغة الانكليزية فقات قائمتها لآبناء الانسان العربي ومع هذا لانزال قول انها أمثل المدارس في مصر والشام وقد كتبنا في الجزء الماضي نبذة عنصوة في تفضيلها وما أعوزنا ذلك لجرب كخب محرر المقتطف الذي تعلم وعلم فيها وهو عندنا في علمه وأدبه من آيات تفضيلها

أما مدارس الحكومة التي هي أحسن المدارس في مصر فقد صرح المختلون - الذي يدبرونها بكما يشاهدون لا كما يشاء النظار والمدرسون الذين يقيمونهم فيها - بأن الغرض منها إيجاد قري يخدمون الحكومة ولا يخفى على ذي بصيرة أن من يعلم إنسانا

ليخدمه إنما يعلمه ما يمينه على تسخيريه في خدمته ، وتصريفه بمقتضى إرادته ، لا يكون مستقلا في نفسه ، متفانيا في حب أمته وجنسه ، وهب ان المحتاين لا غرض لهم من البلاد المصرية الأتريقتها وأطاتها على كمال الاستقلال لتستغني عنهم وعن غيرهم فهل يقول عاقل ان من المصلحة ان يكون التعليم خاصا باعداد التلمين لخدمة الحكومة فقط ؟

تعميم التعليم واجب فلو كانت فائدة التعليم هي خدمة الحكومة كما ترضى لوجب ان نعد أفراد الأمة كلهم لان يكونوا مستخدمين في الحكومة وإذا كان جميع الأفراد بحكاما فن يكون المحكوم ؟ الوظائف الكيرة تنزع من الوطنيين بأيدي المحتاين وما قضت السياسة بأعائه لهم قائما بقاءه صورة بدون معنى ولقب بدون عمل فنظار الحكومة المصرية لا يبرمون ولا يتنصون ولا يحلون ولا يقعدون الا ما يوجه اليهم المستشارون من الانكبيز فصار التلم المصري يائسا من الاستقلال في أي عمل يسمه للحكومة وإنما يكون التعليم لسعادة الأمة وعزتها اذا كان الغرض منه الاستقلال الشخصي والاستقلال القومي وما أعلن ان المتشد الفاضل يقول ان المحتاين يقصدون بالتعليم الى الانعام على المصريين بهذا الاستقلال الذي حصرنا فيه السعادة والفزة القومية ولا ينكر علينا عاقل حصرنا هذا . نعم انهم قاموا ببعض الاصلاح ؛ لكن الجانب يصلحون فيما يستعمرون الاشياء لا الأشخاص

طلب مجلس الشورى في السنة الماضية أن تعرض عليه قوانين التعليم في مدارس الحكومة ونظام التعليم فيها فكبر ذلك على نظارة المعارف وكارت في إجابة الطلب مكاررة بعبدة ودافع فانظر المعارف بما أوجي اليه من أهل الحل والعقد مدافعة الإبطال وقد رددنا دفاعه وبناتاته في مقالات نشرناها في المجلد الخامس اتقنا فيها قانون التعليم وسيره وبناتا تقصير النظارة بما لا ينفع معه عذر معتذر . ولو كان تعليم نظارة المعارف على الوجه الذي فيه سعادة الأمة وعزتها لما كبر عليها ان يطالع مجلس الأمة على قوانينها الداخلية ولا صغت الى شكوى الأمة من المعارف بلسان مجلسها واسان جرائدها

لا يوجد في مصر قارئ ولا كاتب ولا محب لسماع الجرائد والوقوف على الاخبار والحوادث الا وهو يعلم ان التعليم في مدارس الحكومة يد المستر (دنلوب) القسيس الانكليزي ولم يبق سيرة وطنية معتبرة في مصر الا وقد . لآت جو هذا القطر سباحا

في الشكوى من سيرة هذا الرجل وانتقاد أعماله في المعارف والمقطم شقيق المقطع لم يرد فيها فلم هذه الشكاوي التي ترددها جرائد المسلمين والقبط والسوريين والفرنجة مع أنه أثنى لتأييد سياسة المحتايين ذلك علمه بأنها في تفصيلها أو جلبها حق لوجه لرددها . وإذا كان المنتقد الفاضل يعرف من نظار المدارس الاميرية ومعلميها أكثر مما يعرف كما تفيد عبارته فهو لا شك يعرف أكثر مما يعرف من تبرمهم وشكواهم وشدة انتقادهم وتبرمهم من سير النظارة ومن عيوبها وأعي النظر للمصريين وأخص بالذكر منهم معلمي العربية لغة البلاد الرسمية . وكل موظف في المعارف يعرف كيف يعاقب التاخر أو المعلم الذي يثبت لدنوب انه انتقدا واعترض على شيء من سير النظارة السري أو الجبري وهم يعلمون أن هذا الرجل هو المصطلع وحده بهذه النظارة لا بكفاءته ولكن بقوة ذلك ثم هم يائسون من قصده الى الإصلاح الحقيقي الذي يري الامة تربية حقيقية فهم يسمعون واهمين . ويهمسون بالشكوى مستخفين ، ولئن شلوا جهر يقولون لا نقنعن راضون ، وهم عند أنفسهم وعند أكثر الناس معذورون ، وقد عيل صبر طائفة من خيارهم فاستقوا واهم مختارون ، ان الاعمال الكبيرة لا يظهر أثرها في الامم الا بعد الزمن الطويل ولكن أعمال (دنلوب) قد ظهر أثرها في نظارة المعارف في زمن أقرب مما كان ينتظر . ظهر أثرها في سقوط مدرستين عاليتين من مدارس الحكومة وهما مدرسة (المهندسخانة) ومدرسة المعلمين التوفيقية وما أحوج البلاد الى المدرستين وهذه نظارة المعارف في أشد الحاجة الى معلمين ولم تكن عنها الاوشاب الذين يجيء بهم دنلوب من بلاده في كل سنة — هذا بعد ما أنقذ التعليم المجاني وأدخل في التعليم الابتدائي اللغة الاجنبية خلافا لجميع الامم التي حتمت جعله باللغة الاهلية ولا تسلم عن اندراس رسوم الدين في المدارس وما في ذلك من افساد آداب ودينيس الارواح حتى أنك ترى بيوت الفسق في الازبكية عامرة بالتملاذقة وقلمنا ترى احدا منهم في بيوت الله تعالى هذا حال مدارس الحكومة فبالك بما دونها؟ يقول المقطع الاغر ان البلاد ارتقت في العشرين سنة الاخيرة بالتعليم حتى فاقت هذه السنين ما قبلها بالرقى فوقا ظاهرا . ونحن نقول ان هذه البلاد تشتمل منذ مئة سنة بالتعليم والمدنية فان كان هنا تقدم ظاهر في شيء من الاشياء فهو نتيجة هذا السعي الطويل في مدة قرن كامل ولا تنكر ان لهذه السنين الاخيرة فضلا في

الحرية والعمران واصلاح الحكومة وأن هذا من حسنات المحتلين ولكتنا مع هذا لا ترى
فمن تعلم في هذه السنين الاخيرة رجالا مستقلين تقتخر بعلمهم او بأعمالهم ونستبشر
بخدمتهم للامة والبلاد بل نرى خبز رجال مصر علما وعملا نقرا تربوا وتعلموا قبل
أن يتحكم دنلوب في مدارس الحكومة

ثم إننا نرى سيرة أكثر المتعلمين ملطخة بفساد الاخلاق والاخلاد الى الشهوات،
والهجرة بالمتكررات ، والاسهانة بما ينسب الى أمتهن من الاخلاق والعادات، ولا حجة
لهم في هذا الا أنه مخالف لعادات المترفين من الاوربيين ، فهم بذلك يخربون بيوتهم
بأيديهم وأيدي الطامعين ، وقد قامت أوربا وقد تمت لاقناع انكلترا باستبدال المترافرنسي
بالبرد الانكليزي لانه خير منه ولتوحيد المقاييس في أوربا فأبقت هذه الدولة التي
تعتقد ان عزا وسلطانها بالمحافظة على تقاليد سلفها وعاداتهم أن تغير مقياسها محتجة
بأن الامة التي يسهل عليها الخروج من العادات القوية الى عادات الاجانب لا يثبت
لها استقلال ، ولا يستقيم لها حال ، فأين متعلمونا الذين يسارعون في تقليد سفهاء
الافرنج في الشهوات ، من محافظتهم على هذه الروابط المقومات ؟؟

محررو المعتقد الاغر يعتقدون ان في قص التعليم في مصر وكونه غير مؤدالي النافذة منه
ولعله ليس اعتقاده عند تحفظنا ، ولا حاجة للاستشهاد على ذلك بأكثر من جواب سؤال
له في هذا الجزء الذي اتفقنا فيه نذكره مع السؤال بضمه وهو :

(س). ذكرنا أننا عدد المتخرجين من المدارس العالية ولم نسمع ان واحدا منهم
قام بامتحان التفضيا العلمية وانا نتاج النتائج والاستدلالات التي يقف عليها علما وعملا
فهل ذلك يعزى لقص في التعليم أو اهمال من المتخرجين

(ج). يعزى الى الاثنين والى ان الاساتذة اتهمهم ليسوا من أهل الاشتغال بالمعلم
ولو كانوا من أهل الاشتغال به لاقتدى بهم بعض تلامذتهم كما هي الحال في أوربا وأمريكا
وفي بلاد اليابان أيضا اه

وجملة القول اننا ما أنكرنا فائدة التعليم الحاضر بالرة واتماقنا ولا نزال نقول بأنه
ناقص وغير مقصود به الى سعادة الامة وعزتها وليس معه تربية للاخلاق والفضائل
ولا نطلب لإبطاله وانما نطلب تعلما كاملا تصحبه تربية صحيحة وان يكونا موجوبين
الى الاستقلال ، وطلب الكمال ،

﴿شذوة باب الآثار الادبية﴾

لما قدم الاستاذ الامام من سياحته في هذا العام، حنأه بالقصائد الطنائة جواهر العلماء والادباء في الازهر وغيره. ونذكر هذه الايات للشاب الذي زاحم في بدايته أهل النهاية تنشيعاً له على العناية بالأدب وهو الشيخ مصطفى نجل حسن بك عبدالرازق قال :

أقبل عليك نحية وسلام يساهرا والمسلمون نيام
تطوى البلاد وحيث جئت لامة نثرت لفضلك بينهم اعلام
كالبدر آتى سار يشرق نوره والحق آتى حل فهو امام
إن يقدروا في الغرب علمك قدره قلمصر اولى منهم والشام
فيك الرجاء لامة لعبت بما يلهي الصغار وجدت الايام
لازلت غيظاً للضلال وأهله والله يرضى عنك والاسلام

﴿مسيح الهند﴾

عزرت في مسيرها الايام أم هو الدهر هكذا والانام
أهله بين ذي هدى وضلال ولياليه ذوسنا وظلام
وأرانا بمدة العمر نشقى وعدو المسومات الاحجام
ليس كل الذين تبصر ناساً ان بعضاً من الطيور الحمام
ولكل الورى رؤوس فان لم يكن العقل كانت الاوهام
ايه (ياهند) عن مسيحك ما زلت وزالت بيتك الاصنام
كان في جسمك الوباء فقد دب الى العقل بعد ذاك السقام
ضلة للفقى ومن تبعوه أشرق الصبح والقبور نيام
مسحته الجنان أم مسحته وتولاه جُلجل أم عزام (١)
وأنته الاقوام ترى ولا غر وعلى الجرح للذباب ازدحام
واذا كان في الرؤوس ضلال وقفت عند قصدها الاقدام
نسخ السيف ذلة ورياء وجدير بناسخه الحسام
أيهذا المسيح ان الليالي في بينها من الزمان سهام

(١) جُلجل وعزام اسمان من أسماء الشياطين والنكتة ظاهره

وأرى الدهر كالوغي وقديما كان بين الانام هذا الخصاص
فأرفع الارض فوق قرنك وأمر يملأ الارض بعد ذلك السلام
أوفعد للسيا ان الشياطين ن عليهم باب السماء حرام
وتحد الورى بسخفك وأوسج ملك ان الكرى له أحلام
لو سألت الحمار حين تراه في نهيق لقال ذي أحكام
مصطفى صادق الرافعي

باب الخبيرة والاشارة

نصيحة الاستاذ الامام

(لاهل الجزائر وتونس)

من يعرف الاستاذ الامام يعرف ان كل حديثه في جميع أوقاته صريح وتعليم فجالسه ومسايره يستفيد علما وحكمة في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة ولذلك نعتقد ان الذين عرفوه واجتمعوا به في رحلته الاخيرة الى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائح لأخصى ولكن النصيحة العامة الشاملة التي كان يشافه بها أهل العلم والدراية في القطرين هي (١) الجدي في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقها القريبة التي أرشد اليها في الخطاب الذي ألقاه في تونس و (٢) الجدي في الكسب وعمران البلاد من الطرق للمشروعة والشريفة مع الاقتصاد في المعيشة و (٣) مسألة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة و بهذا الأخير يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم على ما قبله فان الحكومات في جميع الارض يضيقون على البلاد التي يستعمرونها ماداموا يعتقدون ان أهلها ساطنين عليهم أو لهم ضلع مع حكومة أخرى وهذا الاعراض عن السياسة لا ينافي غايلة الحكومة فيما يرونها ضارا بهم من القوانين والمعاملات فاذا لم تكشف ظلامتهم بعد الالتجاء اليها في كشفها كانوا معذورين اذا سخطوا وتر بصوابها الدوائر

والمشهور عند العارفين بالسياسة العامة ان فرنسا تبحث دائما عن طريقة يعطون بها أهل الجزائر لحكومتهم وقطعتن هي لرضاهم عنها ولا شك ان هي الطريقة تنفع الحاكم والمحكوم وعدد السير فيها يضر بالمحكوم أكثر مما يضر بالحاكم ونحن نعتقد أن الطريقة الوحيدة هي حسن المعاملة من فرنسا واعراض الجزائريين والثونسيين عن السياسة الى

العلم الذي ينير العقول ، والعمل الذي يشغل عن الفضول ، وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الاستاذ الامام انس من الحكومة الفرنسية هناك الميل الى هذه المعاملة وأنس من اهالي الجزائر الرجاا الحسن بجاكمهم الجديد (موسيوجونار) وقد ذكرنا في جزء سابق ان الموسيو (روا) يميل في تونس الى هذا المذهب حتى ان الله الرجاا وأصابع الاحوال بمنه وكرمه

﴿ الخطر في مراکش ﴾

استفحل أمر الحار ج على الحكومة المراكشية وكانت الحرب بينه وبينها سجالا الا ان الظفر في جانبها أكثر وقد تبين ان الحار ج أو القائم من بيت الملك وهو (مولاي محمد) وان اسم (أبو حمارة) كان لقباً مستعاراً . وقد تو الى انتصار القائم أخيراً ويطن أنه لو أنه هاجم السلطان مرة واحدة لرحي ان يظفر ويقضي الامر . ولا ريب ان كل حال تنتقل اليها تلك البلاد هي خير من حالها الحاضرة في الفتنة وقبل الفتنة بمئة سنة ونيّف فاذا ظفر مولاي محمد فلا بد ان تجدد للبلاد حكومة فيها شيء من القوة والنظام وينتظر ان تكون أمثل من حكومة عبدالعزير على كل حال فان هذا مقنون بالزينة والترف فقد كانت البلاد في النزاع والتزع والادول الاوربية في التنزع عليها وهو على إملاق حكومته يرسل ذلك الشاب التونسي الذي يقرب منه بما يعلمه الخيرون ليشترى له من أوروبا ما تصبو اليه نفسه من الات الزينة وأدواتها وواعونها وأثاثها ويشترى له من الاستانة ولدان والجواري الناعمات الحسان ليتمتع كما يتمتع غيره ممن كان ولا يزال على شاكلته

فتن هذا السلطان زخر فمدنية أوروبا ليته فتن بقوتها ونظامها . فسلك سيل أبناء الوارثين المصريين في شراء المركبات الكهربائية ونحوها فخر عليه ذلك ما وقعت فيه بلادهم من الويل والثبور . ولقد كنا ناصحنا الحكومة منذ سب سنين كما نصح غيرنا من الكائنين بأن تعني قبل كل شيء بتأليف قوة عسكرية منتظمة وببشر المعارف وان تستعين على هذا بأختها الدولة العثمانية . ولما نزل يرسل من أول نشاطه الى وزير خارجية القرب الأقصى وخبره من كبراء البلاد ولكن من يقرأ ومن يسمع لنا ولا مثالا والمقررود بقوته وسوان وهمية - يرى أنه مستغن عن جميع العالمين « ان الانسان ليعتني أن رآه استغنى » وكيف ترضى تلك الحكومة الجاهلة ان تستعين بدولة اسلامية أرقق منها وحكام المسلمين قد مضوا الاسلام وأهله كل بمنزق لاجل شهواتهم التي أعظمها عندهم « ثقب خليفة وأمير المؤمنين » فلو ذهبت دول الاسلام والاسلام نفسه قد انهدم هذه الالقاب لما كان ذلك الاقرة عين للمفرورين بها

كتب بعض الكتاتين مقالات في جريدة (الحاضرة) التونسية يصفون فيها أمراض تلك البلاد الراجحة الى الجهل والعمى بخرافات الخوارق وضاف الحكومة ورأى كاتب جزائري ان تسلّم تلك البلاد الى دولة أوربية لتصلحها كما أصلحت بلاده (الجزائر) ورد عليه كاتب تونسي بأن هذا انتحار لاعلاج وان الدواء الحقيقي في التعليم والنظام والقوة وأنه لا يتم هذا لتلك الحكومة الا بالاستمانة بدولة أوربية وقال ان فرنسا أحق من غيرها لقربها وجوارها . ونحن نقول انه ليس من مصلحة دولة من أوربا ان تستولي الآن على مراکش استيلاء تاما بحيث ان تضمها الى أملاكها لان المسلمين في كل بقعة وحيل أشجع الناس وأعصاهم على الخضوع للأجنبيين ولا طريق الى اذلالهم وتذليلهم إلا حكمهم وامراؤهم فهم الذين يتيسر لهم ان يفسدوا بأهممهم بالظلم المقبول منهم على الرأس والعين ويذر بذور الترف والسرف والفسق الذي يدمر البلاد . ويهلك العباد . وهذا ثابت بالاختبار والاخبار ، وقد أوردنا في المجلد الرابع ما ورد فيه من الاحاديث والآثار ، أما اذا استعان سلاطان مراکش على تمدين بلاده بدولة أوربية قبل الاخذ بالقوة كما كان يحاول عبد المزي فيمكن بذلك ان يستولي الاجانب على تلك البلاد بسعي حكومتها ولكن تلك البلاد لا تزال بدوية لم يذلها الضعف كاذل البلاد المصرية محمد علي باشا بسطوة الممالك وظلمهم فتسكن هو وذريته من الاستمانة بالدول الاوربية على تقديرها هذا التمدين التي كان وسيلة لاحتلالهم فيها وتمكنهم منها . ولهذا لانظن ان دولة أوربية تمديدها الى مراکش بدون واسطة حكم منها . انه لم يوجد في هذه القرون التي طغى فيها طوفان أوربا على الشرق حاكم مسلم سلك شذيل الرشاد في سياسة بلاده حفظها وجعل لها شأنا عاليا لعبدالرحمن أمير الافغان الماضي (تعمده الله برحمته) فانه سلك الطريقة المثلى التي تليها من سلكها قبله وهي دولة الروس التي ربي في بلادها . تلك هي طريقة القوة العسكرية المنتظمة ومنع الاجانب من دخول البلاد الا باذن خاص الى أجل . معلوم ثم السعي في نشر التعليم وكان يسهل على مراکش ان تحذو حذوه كما يسهل الآن على دولة القرس (إيران) لاسيما اذا اتفقت معه . وبلاد مراکش أقرب شها بلاد افغان فان الامتين بدويتين شديديتي البأس لا يعوزهما الا العلم والنظام . على ان دخول الاوربيين في البلاد بأي صفة دخلوا أقرب الى النظام وال عمران وخير من الخلل والفوضى في الحكومة الاهلية الاستبدادية الخجالية ولا بد ان يتعلم الاهالي منهم بالتدريج فنون العمران كما نرى في مصر . وكان الافضل ان يصاحبوا أنفسهم بأنفسهم واسكن حكاهم لا يمكنهم ولا يصاحبونهم ولا بد من عمران الارض فان لم يصرها أهالها عمرها الآخرون ، دولة كتيباني التي بورن بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ،

فبشر عادي الذين يسمعون القول
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعارج

١٣١٥

بشرى الحكمة من بيتاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٦ شعبان سنة ١٣٢١ — ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٣)

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(٥٨) واحتجوا في مثله الآتي يأتي به الرجل ان له أربعين درهماً بخبر فيه « ان من جاء بأبق من خارج الحرم فله عشرة دراهم أو دينار » وخالفوه جبهة فأوجبوا أربعين .

(٥٩) واحتجوا على خيار الشفعة على الفور بحديث ابن السليمان « الشفعة كحل المقال ولا شفعة لصغير ولا لفائب ومن مثل به فهو حر » خالفوا جميع ذلك الا قوله: الشفعة كحل المقال

(٦٠) واحتجوا على امتناع القوديين الاب والابن والسيد والبسند بحديث « لا يقاد والدبولده ولا سيد بعبده » وخالفوا الحديث نفسه فان تمامه « من مثل بعبده فهو حر » .

(٦١) واحتجوا على ان الولد يلحق بصاحب الفريش دون الزاني بحديث ابن وليدة زمعة وفيه « الولد للفريش » ثم خالفوا الحديث نفسه صريحاً فقالوا الامة لا تكون فراشا وانما كان هذا القضاء في امة زمن العجب انهم قالوا اذا عقد على أمه وابنته وأخته ووطئها لم يعد للشبهة وصارت فراشا بهذا العقد الباطل المحرم وام ولده، وسريته التي يطئها ليلاً ونهاراً ليست فراشاً له

(٦٢) ومن العجائب انهم احتجوا على جواز صوم رمضان بنية ينشئها من النهار قبل الزوال بحديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل فيقول « هل من غدا » فتقول لا فيقول « فاني صائم » ثم قالوا لو قل ذلك في صوم التطوع لم يصح صومه. والحديث انما هو في التطوع نفسه .

(٦٣) واحتجوا على المتع من بيع المدبر بانه قد انعقد فيه سبب الحرية وفي

بيعه ابطال لذلك وأجابوا عن بيع النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدير بأنه قد باع خدمته ثم قالوا لا يجوز بيع خدمة المدير أيضا .

(٦٤) واحتجوا على إيجاب الشفعة في الاراضي والاشجار التابعة لها بقوله « تفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشفعة في كل شرك في ربة أو حائظه ثم خالفوا نص الحديث نفسه فإن فيه « لا يحل له ان يبيع حتى يؤذن شريكه فان باع ولم يؤذنه فهو أحق به » فقالوا لا يحل له ان يبيع قبل اذنه ويحل له ان يتجمل لاسقاط الشفعة وان باع بعد اذن شريكه فهو أحق أيضا بالشفعة ولا أثر للاستدانة ولا لعمده .

(٦٥) واحتجوا على التبع من بيع الزيت بالزيتون الا بعد العلم بأن مافي الزيتون من الزيت أقل من الزيت المفرد بالحديث الذي فيه التهي عن بيع اللحم بالحويان ثم خالفوه نفسه فقالوا يجوز بيع اللحم بالحويان من نوعه وغير نوعه .

(٦٦) واحتجوا على ان عطية المريض المتجزة كالوصية لاتنفذ الا في الثلث بحديث صمران بن حصين ان رجلا اعتق سنة مملوكين عند موته لاملال له سواهم فجزأهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أجزاء وأقرع بينهم فاعتق نين وارق أربعة ثم خالفوه في موضعين فقالوا لا يقرع بينهم بالتبويح من كل واحد سدس

وهذا كثير جدا والمقصود ان التقليد حكم عليكم بذلك وقادكم اليه قهرا ولو حكمتم الدليل على التقايد لم تقوموا في مثل هذا فان هذه الاحاديث ان كانت حقا وجب الاقياد لها والاختصاص فيها وان لم تكن صحيحة لم يؤخذ بشي مما فيها ، فأما ان تصحح ويؤخذ بها فيما وافق قول المتبوع ونقضه فورد اذا خالفت قوله أو تأوأت فهذا من أعظم الخطأ والتناقض فان قائم : عارض ما خلفناه منها ، هو أقوى منه ولم يارض ما وافقناه منها ما يوجب العدول عنه واطراحه : قيل لا تخلو هذه الاحاديث وأمثالها ان تكون منسوخة أو محكمة فان كانت منسوخة لم يحتج بمنسوخ البتة ، وان كانت محكمة لم يجز مخالفة شيء منها البتة فان قيل : هي منسوخة فيما خلفناه فيه ومحكمة فيما وافقناه فيه : قيل : هذا من أظهار البطلان يتضمن لما لم يدعيه قائله من الأدليل عليه فاقبل ما فيه ان ، ما رضى القلب عليه هذه الدعوى بمثابها سواء كانت دعواه من جنس دعواه ولم يكن بينهما فرق ، ولا فرق وكلاهما مدعى ما لا يمكنه اثباته قالوا يجب اتباع سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهجهما والالتحاحم

أبها حتى يقوم الليل القاطع على نسخ المنسوخ منها أو تجميع الامة على العمل بخلاف شيء منها وحال الثاني محال قطعاً فان الامة والله الحمد لم تجميع على ترك العمل بسنة واحدة الاستظهارة النسخ معلوم للامة ناسخها وحيث تدين العمل بالناسخ دون المنسوخ وأما ان يترك السنن لقول أحد فلا كاشم من كان وبالله التوفيق

(الوجه المشروح): ان فرقة التقليد قد ارتكبت مخانفة أمر الله وأمر رسوله وهدي أصحابه وأحوال أئمتهم وسلوكوا ضد طريق أهل العلم - أما أمر الله فانه أمر ردمان نزاع فيه المسلمون اليه وإلى رسوله والمقلدون قالوا انما رده إلى من قلدهناه. وأما أمر رسوله فانه صلى الله عليه وآله وسلم أمر عند الاختلاف بالأخذ بسنة وسنة خلفائه الراشدين المهديين وامر ان يتمسك بها وبعض عليها بالتواجد وقال المقلدون بل عند الاختلاف تمسك بقول من قلدهناه. وتقدمه على كل ما عداه ، وأما هدي الصحابة فمن الصلوم بالضرورة انه لم يكن فيهم شخص واحد يقلد رجلاً واحداً في جميع أقواله ويخالف من عداه من الصحابة بحيث لا يرد من أقواله شيئاً وهذا من أعظم البدع وأفصح الحوادث. وأما مخالفتهم لأئمتهم فان الأئمة هموا عن تقليد من وحذروا منه كما تقدم ذكر بعض ذلك عنهم. وأما ملوكهم ضد طريق أهل العلم فان طريقتهم طلب أقوال العلماء وضبطها والنظر فيها وعرضها على القرآن والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقوال خلفائه الراشدين فما وافق ذلك منهم قبلوه ودانوا الله به وافتوا به وما خالف ذلك منهم لم يلتفتوا اليه وردوه وما لم يتبين لهم كان عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها ان تكون سائفة الاتباع لا واجبة الاتباع من غير ان يلزموا بها أحداً ولا يقولوا انها الحق دون ما خالفها هذه طريقة أهل العلم سلفاً وخلفاً. وأما هؤلاء الخائف فحسوا الطريق وقبضوا اوضاع الدين فزفوا كتاب الله وسنة رسوله وأقوال خلفائه وأصحابه فمضوا على أقوال من قلدهوه فما وافقها منها قالوا لنا واتقوا له مدعين وما خالف أقواله متبعين منها قالوا احتج الخصم بكذا وكذا ولم يقبلوه ولم يدبروا به واحدة لئلا يؤهم في ردها بكل ممكن وتطلبوا اليه الجواب الذي ترددها حتى ذكركم. واثقة بانه لا يرد ذلك الوجه بهينها قائمة فيها شئنا على تنازعهم وانكرنا ردها بذلك لوجود بغيره اقول لا ترد التصريح بمثل هذا ومن له همة تسموا الى الله مرضاً وانتم من الحق الذي يثبت به رسوله وابن

كان ومع من كان لا يرضى لنفسه بمثل هذا المسلك الوخيم، وأخلاق القميم..

(الوجه الحادي والعشرون): ان الله سبحانه ذم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون . وهؤلاء هم أهل التقليد بأعيانهم بخلاف أهل العلم فانهم وان اختلفوا لم يفرقوا دينهم ولم يكونوا شيعا بل شيعا واحدة متفقة على طلب الحق وايناره عند ظهوره وقدمه على كل ما سواه فهم طائفة واحدة قد اتفقت مقاصدهم وطريقهم فالطريق واحد والقصد واحد . والمقلدون بانهكس مقاصدهم شق وطرقهم مختلفة فليسوا مع الأئمة في القصد ولا في الطريق

(الوجه الثاني والعشرون): ان الله سبحانه ذم الذين قطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون . والزبر الكتب المصنفة التي رغبوا بها عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله فقال تعالى « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ * » فأمر تعالى الرسل بما أمر به أعمهم ان يأكلوا من الطيبات وان يأمروا صالحا وان يبدوه وحده وان يطيعوا أمره وحده وان لا يفرقوا في الدين فضت الرسل وأتباعهم على ذلك يمتثلين لأمر الله قابلين لرحمته حتى نشأت خلف قطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فمن نذر هذه الآيات ونزلها على الواقع تبين له حقيقة الحال وعلم من أي الحزبين هو والله المستعان .

(الوجه الثالث والعشرون): ان الله سبحانه قال « وَلَتَسْكُنَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم والداعون الى الخير هم الداعون الى كتاب الله وسنة رسوله لا الداعون الى رأي فلان وفلان .

(الوجه الرابع والعشرون): ان الله سبحانه ذم من اذا دعي الى الله ورسوله اعرض ورخصي بالتحاكم الى غيره وهذا شأن أهل التقليد قال تعالى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ آلَ نِفَاقِينَ يَبْهُتُونَ عَنْكَ مُدُنِيًا »

فكل من أعرض عن الداعي له الى ما أنزل الله ورسوله الى غيره فله نصيب من هذا القم فستكثر ومستقل :

(الوجه الخامس والعشرون) : ان يقال لفرقة التقليد دين الله عندكم واحد أو هو في القول وضده فدينه هو الأقوال المتضادة التي يناقض بعضها بعضا ويبطل بعضها بعضا كلها دين الله ؟ فان قالوا : بل هذه الأقوال المتضادة المتعارضة التي يناقض بعضها بعضا كلها دين الله : خرجوا عن نصوص أئمتهم فان جيمهم على ان الحق في واحد من الأقوال كما ان القبة في جهة من الجهات وخرجوا عن نصوص القرآن والسنة والمقول الصريح وجعلوا دين الله تابعا لآراء الرجال . وان قالوا : الصواب الذي لاصواب غيره ان دين الله واحد وهو ما أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وأرثاه لعباده كما ان نبيه واحد وقبلة واحدة فن واقع فهو المصيب وله أجران ومن أخطأه فله أجر واحد على اجتهد لاعلى خطاه : قبل لهم : قالوا جب اذا طلب الحق وبذل الاجتهاد في الوصول اليه بحسب الامكان لان الله سبحانه أوجب على الخلق تقواه بحسب الاستطاعة وتقواه فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه فلا بد ان يصرف العبد ما أمر به ليفعله وما نهى عنه ليجنبه وما أيسر له لياتيه ومعرفة هذا لا تكون الا بنوع اجتهد وطلب ونحرم للحق فاذا لم يأت ذلك فهو في عهدة الامر وباتى الله وساء يقض ما أمره .

(الوجه السادس والعشرون) : ان دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عامة لمن كان في عصره ولمن يأتي بعده الى يوم القيامة والواجب على من بعد الصحابة هو الواجب عليهم بعينه وان تنوعت صفاته وكيفياته باختلاف الأحوال ومن المعلوم بالاضطرار ان الصحابة لم يكونوا يرضون ما يسمعون منه صلى الله عليه وآله وسلم على أقوال علمائهم بل لم يكن لعلمائهم قول غير قوله ولم يكن أحد منهم يتوقف في قبول ما سمعه منه على موافقة موافق أو رأي ذي رأي أصلا وكان هذا هو الواجب الذي لا يتم الايمان الا به وهو بعينه الواجب علينا وعلى سائر المكلفين الى يوم القيامة ومعلوم ان هذا الواجب لم ينسخ بعد موته ولا هو محص بالصحابة فن خرج عن ذلك فقد خرج عن نفس ما أوجبه الله ورسوله .

(لها بقية)

(١) لعل الاصل « وكلها دين الله » أو ان أول الجملة « فالأقوال المتضادة » الخ وكلمة « فدينه » زائدة

*(القسم السوي) *

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ - تابع ويتبع

(حب القوة ، والروابط التي تحدث القوة)

إذا رجعنا الى الأصل والمبدأ في تاريخ كل شيء نصف به أعيان الكائنات نجدمة
اما عدم المحض واما ذرة لا تذكر في جنب ما سارت اليه .

والانسان واحد من هذه الكائنات الباهرة . فاذا أخذنا الآن لنظرنا ارق فرد
من أفراد ووصفناه بما هو أهله من العلم واعتدال الخلق والخلق وصحة الإرادة وقوة
الترعة وما يتبع ذلك من الفروع التي هي اجزاء التكامل فلا بد من ان نحار ونشفي
في دهشة . وخلق بالافراد الكاملين ان يحيروا الأفكار . ولكن اذا راجعنا تاريخ
هذه الاجزاء التي حصل بمجموعها ذلك الكمال يجب ان يزيد اندعاشنا حين لا يرى
لها وجوداً في الأطوار والأدوار الاّ اول من حياة هذا الحيوان الناطق

نجد علمه الباهر يرجع الى عدم العلم اذ « خلق الانسان جهولاً » . وقوة الرأفة
ترجع الى عدم القوة اذ « خلق الانسان ضعيفاً » . وبالجملية يرجع اعتدال خلقه
وخلقته الى لاشيء لانه كان جاداً . بل لم يكن شيئاً مذكوراً . واين النسبة بين البشير
السوي ، العليم القوي ، وبين الجماد .

والفصل شيء بموضوع نفس الانسان هو يان تدرّج في كل جزء من الاجزاء
التي يكمل اجتماعها . ولتلك كان من غرضنا في هذا الفصل الكلام في أعظم جزء
من تلك الاجزاء وهو القوة . وقسمنا الكلام الى ثلاثة أبواب : في الاول نعرف
القوة ونقسمها ونشكلم على حب الانسان لها وسيله . وفي الثاني نبين كيف حدثت
القوة للانسان ونشكلم في الروابط الثلاث : رابطة الاديان . ورابطة الاجناس . ورابطة
الحكومات ، وهوامم الابواب . وفي الثالث نذكر ما يحفظ القوة وما يضعفها . وهو
صفوة الكلام في هذا المقام .

— (١) — القوة —

القوة فاعل ذوات . وهي بأنواعها منبثقة في كل الموجودات الحسية والنفسية .
ويعبر عنها بحسب اختلاف الموجودات واختلاف الاصطلاحات ببارات شتى كما يعبر

عن موجود ما بحسب اختلاف القدرات بألفاظ شتى . وأكثر ما يكون الاختلاف في التعبير عن قوى الموجودات الحسية والتعبير عن قوى الموجودات القلبية . وقد نسمي قوة حسية ووحا . وهذا الاسم نسمي قوة غيبية . وقد نسمي في المحسوسات ملكة . وفي النباتات ملكا . ولا يعلم جنود الخالق الا هو .

- أقسام القوى البشرية -

قبل معرفة قوانا وأقسامها يجمل بي وبكم ان نترنم بكلمة سواء بيننا وبين البشر أجمعين ليستقيم بها سبلنا في العلم . وتقرب غايتنا في العمل ، ان القوة الحقيقية هي للخالق وحده ، وهي القوة التي لم يسبقها ضعف ، وان ياحقها ضعف . وهي قوة التصرف ببدء المبررات وتصويرها ونظم شؤونها ومنع خواصها بسائط ومركبات . وهي القوة المقدسة من كل شوب . المادّة (أي مانحة المردد) لكل مصوّر حتى حين .

هذه هي القوة الربانية التي نخشع لها وحدها قلوبنا وتوجه نائناها وجوهنا رغبة ورغبة ، والها تطير الجوانح شوقا وهياما ، وتمن لها الأرواح الواردة من لدنها ، وتنسجم من كل وجهة إقبال مددها فتحجب برجلها ، وتصبر في هذه الدار حتى يأتيها أمرها . اما نحن فليس لنا من قوة الأودائع أودعها الباري في خافقنا ، لتنتاب فيها على عوالم الأرض التي استخلفنا فيها . ثم نتنالب فيها فيما بيننا ، لنكون فريقين متضادين ، اعلى وأدنى . ومن قبل سبقت ارادته في الخلق ان يكون لكل مخلوق مقابل ، والخالق يعمل ما يشاء وهو العالم الحكيم . ولو شاء لجعلنا أمة واحدة . ولو شاء لجعلنا أجمعين . ولا يسأل سبحانه عن مشيئته . ولكن عن الودائع تسأل كل نفس ماذا كسبت . فبشرى للذين يحسنون صنعا .



أودع الخالق فينا قوى كثيرة . وجعلنا متفاوتين فيها تفاوتات عظيمة فننا من يرزق قوة منها تمشي لها أبصارنا ونظنها من خوارق المادة وما هي من الخوارق وإنما لديه منها فضل عظيم به يصبح مالم يكن . وقس على الواحدة غيرها . القوى التي فينا تنقسم الى حسية . وعقلية . وأبدية الحسية قوى الحب .

وبالقوى قوى الإدراك ، وبالقوى قوى الإرادة .
فاما القوى الحسية فظاهرة كظهور الجسد . ولحفظها ما وجدت واسترداها ان
قدست علم خاص من صدد موضوعنا ان توصي به . وأما العقلية فمروفة بالتأمل ويعرض
لها من الامراض أكثر مما يعرض للقوى الحسية فقسم من أمراضها تابع لطب القوى
الحسية . وقسم منها تابع لموضوعنا . وأما القوى العقلية خفية لا يعرفها الاقليل من الذين
في أنفسهم يتفكرون . والذين لا يعرفونها يشوبون فيها الكلام بكثير من الأوهام . ويعرض
لهذه القوى العقلية من الأمراض أكثر مما يعرض للحسية والعقلية . ويبانها وعلاجها
هو عين موضوعنا .

— حب القوة وسببه —

حب القوة تابع من توابع حب الذات وهو أعظمها . وله سببان أحدهما تابع
لسبب حب الذات . والآخر مستقل وهو ان الكمال بأصل الفطرة مشوق للنفس .
والقوة جزء من أجزاء الكمال ومراقبة الى أجزائه

ولعل القارئ لم ينس القاعدة التي ذكرناها في باب حب الذات وهي :

« متى كان وجود الشيء لازماً من الوازم العامة كان طبعياً »

فاذا حفظ القارئ هذه القاعدة يبقى عليه ان يحسن النظر « هل حب القوة لازم

من الوازم العامة » ونسفه الآن بإبداء ما بدا لنا بهذه المسئلة :

« ان حب القوة لازم من الوازم العامة » والدليل عليه من الحس والعقل .
أما دليله من الحس فلاننا نجده من متممات الحياة . ولولاه لمدت علينا العوادي
الكثيرة التي من أيسرها الجوع فاذا نحن هباء في هوا . ولو استقرأنا استقرار تاما
لما ازددنا الا تصديقا بهذه القضية . ولتعلق لنا كل حي متمرفاً بأن هذا الأمر حليف
جوانحه كل حين . ولا يربسكم في هذه القضية فئة ترونهم يسمون في اضماف أنفسهم
من ادامة جوع ومواصلة سهر وموالة قنود في بيت مظلم واستمرار على صمت أو
تكرار حروف وكلمات وما أشبه ذلك من أنواع الاضماف فان هؤلاء لا يقصدون
بصنيعهم ذلك الا القوة . أعني أنهم يضيفون القوى الظاهرة ليتوصلوا الى قوى
« حرة » (هي من فروع القوى العقلية) لها تأثير في مرضى العقول والقلوب .

وكم استبد هؤلاء الموهومون الناس بهذه القوى حتى اتخذوهم آلهة بمعنى أنهم يفيضون ويصرفون الخير والشر لمن أرادوا ومن أرادوا متى أرادوا بزعيمهم
وقفة أخرى يقلدون هؤلاء عن غير معرفة بالطريق ليصلوا الى تلك الغاية فيبشرهم
بالجنون المطبق أنهم مفتونون

وأما دليله من العقل فلاتا نعرف من كون الانسان اعظم عوالم الارض كونه مخلوقا لاسر عظيم. ونعرف من هذا ان القوة لازمة لهذا المخلوق العظيم. ونعرف من هذا ان حب القوة لازم له لاجل تحصيلها لانه مخلوق ذو ارادة تسبق الارادة عمله .
ويمكننا ان نأخذ الدليل العقلي في هذه المسئلة من عين السبب الذي ذكرناه
آثافا وهو « ان الكمال في أصل الفطرة ممشوق للنفس » ولا نبالي بما يتراءى من شبه الدور فأتا طالما عرفنا شيئا بآخر ثم ازدادت معرفتنا بالاول بواسطة الثاني الذي عرفناه بواسطة الاول وقد يتلازم الشيطان حتى يستدل على احدهما بالآخر. ولتأعلى هذا الاخير ان نستدل على كون الشيء لازماً من اللوازم العامة بكونه طبيعياً وعلى كونه طبيعياً بكونه لازماً كذلك. وللتلازمين تارة حكم المترادفين ككلمتي « الطبيعة » و « سنة الخالق » جل وعلا .

ومن كونه طبيعياً أولاً لازماً من اللوازم العامة نعرف انه نافع لانه يقرر ان الاشياء الطبيعية (أي التي اقتضتها ارادة الخالق على سنة مطردة) جميعها نافعة نقسا عاماً .
ولكن للرض في العقل قد يمتنع عن ان يرى البعض منها نافعا وقد يضلّه عن السبيل المستقيم في الانتفاع منها .

فمن نعمة يحكمون بمرض الفطرة على فرد لا يجب القوة حبا يحمله على تحصيلها بقدر الطاقة . وعلى أمة تقصر عن غيرها في القوة بمرض عام في رؤية أفرادها تلحق اعراضه بكل واحد منهم وان كان بعضهم اشد مرضاً من بعض - ويتكون من مجموعها اعراض عامة قاتلة ان دامت .

- خلاصة -

وقد تبين لكم أمران جديران ان يقيدا في لوح الفهن ذانكم ان : (١) حب القوة (كحب الذات) لازم نافع . وان : (٢) التقصير في حب القوة مرض نفسي

واجتباي . فان امرؤا كما متركاً بمرضه ، مستشفياً من داءه ، فانظروا ماذا ينفعه من العمل وسروه ان ياخذ من العلم ما يلزم لاصلاح العمل . وان كان مهماً ولم يشأ ان يعمل عملاً صالحاً لنفسه والمجتمع فانظروا ان تبيده الاقوياء غير مشكور . وان أمة صدت عن النذر ، وكفرت بالسنن ، فلتسوا منها مخرجاً ان كنتم فيها وقواً تنقسم البوار الهون انهم قوم بور .

ع . ز

بَابُ التَّجَرُّبِ فِي التَّعْلِيمِ

درس عام في العلم الاسلامي والتعليم
العلوم الاسلامية

ومن هنا يمكنني أن أتخلص الى الكلام على حالتنا في تحصيل العلم في جميع بلاد الاسلام وهو موضوعاً ثقول
عندنا علوم شتى نستغل بتحصيلها واسمها العلوم الاسلامية وانما سميت بهذا الاسم لان موضوعاتها لعلاقة بدين الاسلام كالفقه وأصوله وهو علم يبحث فيه عن طرق استنباط الاحكام من أدلتها وكلم التوحيد وهو علم اسلامي يبحث فيه عن وجوده تعالى وصفاته الكالية ثم العلوم العقلية كال تفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع وما سمي علم الوضع
ومن هذه العلوم وسائل ومقاصد ونحن نشغلون بحجيمها وسائل ومقاصد ولا حاجة الى الكلام في تعيين طرق الاشتغال بها عندنا وعندكم . انما الكلام في أمرنا معروف عند الجميع وهو طرق تحصيل هذه العلوم

(علم النحو وتدريبه)

فالنحو مثلاً يدرس بنو نيس بكتبه التي تقرأ بمصر كالتقطروا الاشمونى والصبيان وله غايتان . الاولى التمكن من فهم كتاب الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام وكلام سلف الامة . والثانية اصلاح اللسان من الخطأ . نستغل بلم هذه القواعد في هذه الكتب ثم نشغل أنفسنا بالبحث في عبارة المؤلف هل يدل على ما قصد . فقايل يقول نعم . ويأتي قائل آخر يقول لا

وقائل ثالث يرجع قول نعم ، وارباع يرجع قول لا . ونحو هذا مما ترونه في التقارير المكتوبة على الجواشي ويطول بذلك الزمان وتضيق الفائدة . وينصرف الذهن عن القاعدة ، ثم بعد الفراغ من العلم لا يجد الطالب تقويماً في لسانه ولا صحة في تحريره ولا قدرة على فهم ما جاء في كلام العرب أو في كتاب الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم . ويزيد الامر صعوبة طريقة الابتداء التي اختارها في تدريس النحو فان الاستاذ يادي العذاب وهو لا يعلم شيئاً من اصطلاحات العلم بتحقيق المسائل وتفقيتها كما يقولون كأنه عريق في العلم ، ولا يراعي مقدار استعداد الفهم . وقد وقع لي أني مكثت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئاً من شرح الكفراوي على الأجرومية فماني عدم الفهم على الحرب من طاب العلم لم تكن اليأس من نفسي ولكن لأمر أراد الله ففهمني والذي على الرجوع الى الطالب ففهمت في الطريق ولكنني صادقت في مهربي من علمي كيف أطلب العلم من أقرب وجوهه فذقت لذته واستمررت في طلبه . فلي الاستاذ أن يكون بيده ميزان يزن به ذهن الطالب ودرجة استعداده لقبول ما يقول . فيجب على المدرس أن يتنازل مع المبتدي الى درجته ثم يرتقي به شيئاً فشيئاً حتى يصل الى الدرجة التي يتمكن فيها من ادراك دقيق المعاني . وهذا الفن - فن معرفة درجات الازهان وكيفية الاستفادة - فن مخصوص تستلزم قراءته ست عشرة سنة اذا كان شرح المعلوم يحتاج في قراءته الى ثمان سنين . ومن أتقى أوقاته في هذا الفن الذي ألفت فيه الكتب وبدلت فيه الأفكار فاني أضمن له ثوابه عند الله تعالى أضافاً أضافاً ثواب من يحتم اقرام المعلوم لما أنه يرشدنا الى الغاية التي طالبنا الله بها

﴿ علم المعاني والبيان ﴾

(والغاية منه)

علم المعاني والبيان علمان يبيح فيهما عن البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . فما هو ذلك المقتضى ؟ نجد ما تناظر في هذا الفن او الملم له يقول هل تحقق البلاغة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال في الجملة ام لا بد من مراعاة جميع مقتضيات الاحوال ؟ فان كان الاول ثابتاً بيد بائنا أن لم يراع الحال كما ينبغي وهو يعلم أنه غير مراعاة له . وان كان الثاني فلا تختلف طبقات البلاغة ولا يكون لها أعلى وأسفل . ويطول البحث ويكثر الجدال في ذلك وينصرف الذهن عن البلاغة نفسها ولا يجد الباحث ما يبرده اليه .

وہكذا نجد البحث بطول في الغالب الى حد يشغل الذهن عن الغرض المقصود . مع
أنه لو قال الاستاذ : البلاغة صفة في الكلام تلغ المتكلم مراده من نفس السامع على قدر
طاقته ثم لها تكون براعة حل الخطب وذلك ينقسم الى قسمين ما يتعلق بفهم الكلام
وما يتعلق بالمعنى الذي سبق له لكلاء فما يتعلق بنظم الكلام هو موضوع علم المعاني : ثم
ينطلق في بيان ذلك وتقرر المعاني التي سماها . لاما علم القاهر الجرجاني واصل هذا الفن
معاني النحو . أما القسم الثاني وهو حل الخطب بالنسبة الى المعنى الذي سبق له الكلام
فتوقف معرفته على أمور كثيرة ومعارف حمة يتوصل بها الى معرفة طبائع الاشخاص
ومداخل المعاني الى قلوبهم فمن أراد أن يقتنع مخاطبه ببقيدة مثلا فعليه أن ينظر فان
كان المخاطب ممن لا يقتنع الا بالبرهان فعليه أن يقيمه له وان كان ممن لا يدرك البرهان
ولكنه يقتنع بالمسلمات متلاسلات معه له تلك السيل ولا يكون بليغا الا اذا لاحظ ذلك
مع ما يتعلق بالنظم : - لولسلك الاستاذ هذا السلك لجمع المعاني الكثيرة الى ذهن
المطالع ووجه نفسه الى اتمام المطالبة منها ثم انه بعد ذلك كله لا يعد معلما للبلاغة
الا اذا وجاه فكر الطالب الى ممارسة كلام العرب ولسج في التحرير والتعبير على ما انسجوا
عليه حتى تحصل له ملكة البلاغة ويصل الى الغاية من علمه . فان غاية هذا العلم تشمل
كلا أمرين الاول أن يكون الطالب فصيحاً بليغاً فيما يكتب او يخطب . والثاني أن يقبس
بلاغة البلقاء ببلاغة القرآن فيدرك حقيقة الاعجاز . وهذا الامر الثاني هو في الحقيقة ثمرة
الامر الاول فان من لم يكن بليغاً بالملكة والعمل لا يمكنه أن يميز بين طبقات البلاغة

﴿ اسهل طرق تعليمه ﴾

سئل الاصمعي أي الرجلين اشعر اسم ابن الوليد ام ابو نواس ؟ فحكهم لابي نواس .
ف قيل له ان اخاك ابا عبيد يحكم لمسلم بأنه اشعر فقال : ان ابا عبيد بروي الشعر ولكنه
لم يكابد مشقة العمل في صناعته فليس اهلا للحكم : وهذا قول حق فان من لم يذق لم
يعرف . واما ما يظن من انه يتيسر للمطالب بعد معرفته اصطلاحات علم المعاني ان ينظري
كتب التفسير كالكشف مثلاً ويعرف ما يقول الكشاف في وجوه بلاغة الآية وبذلك
يكون ممن عرف بلاغة القرآن واعجازه فليس من كلام المحصلين لانه لو كفى ذلك لما
كانت حاجة الى صرف الزمان الطويل في تحصيل علم المعاني . بل كان لنا ان نقول ان القرآن

ممجزة لان صاحب الكشاف قال انه معجز وتنتفع بزمانا في تحصيل ما هو انفع وذلك مما لا يقل . ورب قائل ان المتكلم اليوم يقول ذلك من قيل من يأمر غيره بالبر ولا يأمر به فقد عرض بنفسه جزافا بالقاء خطبة على أناس لا يدري اخلاقهم ولا يدري ما يقولون بعده ولا يعرف مواضع الخطاب من أنفسهم . فالجواب نعم لم أقف على هذه الامور تفصيلا ولكن مدة اقامتي بهذه الحاضرة كانت مدة اجتماع بافاضها وعلمائها وبذلك حصلت لي خبرة جالية فخطر ببالني ان اتقي جملة فيما يطابق مقتضى الحال . وفي ظني ان ما قوله ان لم يقع موقعا حسنا من نفوس جميع السامعين فلا أقل من أن يستحسنه بعضهم وذلك يكفيني في مطابقته لمقتضى الحال

اختلط علينا الامر بالنظر في المعاني الاصطلاحية وكثرة البحث فيها واقلب الفرض منها الى مصاب نزل بنا في علومنا وعقولنا فانصرقنا بها عما طلب منها . ولهذا يلزمنا ان نأخذ مأخذا في العلوم يسهل تحصيلها ويسرها على الطالب . وفي ظني انه اذا هذبت طرق التعلم لطالب علم البلاغة مثلاً أمكنه ان يبلغ الغاية منه في ثلاث سنين . وكذلك من أراد بلوغ الغاية من التحول لاجتاج الى أكثر من ذلك بحيث يصدر الطالب بمد هذا فصيحاً بليفاً يميزا بين طبقات البلاغة شاعرا بمعنى اعجاز القرآن قادرا على فهم ما جاء في كلام السلف والانتفاع به فيما يصاح معاشه ومعاده

وجملة القول ان الغاية من هذه العلوم العربية هي ان يبلغ المرء بالتعلم مبلغا كان عليه العربي بالسابقة وهذا يحصل بما قدمناه

وما يلزم التنبيه له في التعليم انه من حق الانسان ان يفتح للطالب باب النظر بنفسه في العلوم فيبين له القاعدة مثلاً ثم يطالبه بما يراه في انطباقها على جزئياتها في العمل فانه اذا عوده على ان يقول له كل شيء وان يقوده في كل أمر وقت ذهنه عند حد الاتباع وصعب عليه ان يحقق امرا بنفسه فعليه ان يطالبه بالعمل دائما ويعلمه طريقة معرفة الخطأ والرجوع الى الصواب . وهذا هو ما يطالب من الدرس بين يدي الاستاذ حتى تحصل ملكة التمييز . اما الوصول الى غاية الكمال في العلم بقدر الامكان فأمر موكول لاجتهاد الطالب بمد مفارقة الدرس . ووقوف ذهن هذا المتفاد في كل شأن عن معرفة الامور بنفسه من الامور المحسوسة فمن ذلك اني لما جئت هذا البلد كنت امر من

طريق قصيرة من محطة سكة الحديد الى البيت ذهابا وايابا ولكن مصحوبا بالسيد خليل
 بوحاجب وقد رأيت أمس اليوم ان أذهب الى المحطة راجلا فبعد ان مضيت في طريقي
 خطوات قليل لي ان هذا ليس هو الطريق الى المحطة فرجعت الى طريق أخرى وطال عليّ
 السير حتى صعب عليّ الرجوع الى المنزل لتشتت الطرق عليّ واضطرت الى سؤال بعض
 المارة عن المحطة فدلتني عليها واذا بيتي وبينها طول مما بيني وبين البيت الذي خرجت
 منه . ثم بعد عودي الى البيت خرجت ماشيا مرة أخرى بعد نحو ساعة فاهتديت الى طريق
 المحطة ولكن وقع لي اشتباه على مقربة منها . ولم تزل الشبهة الا بسؤال مار . اما بذلك
 فاني لأأمل في هذه الطريق أبدا . فالصلة من الضلال انما تأتي في الحقيقة من عمل العقل
 وحده مع الاستعانة بما أرشد اليه المرشدون الراشدون

﴿ الغاية من علم التوحيد ﴾

ومن العلم ما يكون العلم والعمل به واحداً كعلم الكلام فان المقصد منه انما هو تحصيل
 اليقين بمسائله كنبوءة لوجود الله تعالى وصفاته الكالية التي ورد النص باثباتها لله ودفع شبه
 الملحدين الذين ينكرون ثبوت شيء منها وثبوت بعثة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين .
 فهذا العلم ان جرينا في تعامله على التقليد في الدليل كالقليد في النتيجة واكتفينا بفهم ما
 جاء من الادلة على ألسنة من كتبوا فيها أعرضنا عن الغاية من وضعه لان اليقين
 لا يحصل بقراءة الادلة وخزنها في الازهان وانما يحصل بالاستدلال الصحيح وإدراك
 العقل وجه الدلالة من نفسه بدون تقليد وانما يمد النظر في دليل المستدل السابق معينا
 ومهيئا للعقل الى تصحيح النظر . فالطريقة التي يجري عليها اغلب المعلمين ليست من
 غرض علم الكلام في شيء . ومن الناس من اذا سألته في أمر يتعلق بعقيدة من العقائد
 فاجأك بقوله : لا تقل ذلك فتكفروا تعتزل ذلك أو ما أشبه ذلك وهو سلاح يتخذ المرتابون
 في عقائدهم ترسا يدفعون به ما يخشون من الشبه التي تزلزل عقائدهم ولكن هذا الدفاع
 يدل على ارباب صاحب في عقيدته قبل الدفاع فان صاحب اليقين يرتاح الى كل ما يسمع فان
 وجد عند مخاطبه شبهة أمكنه ان يزِيلها من نفسه . وتلك الطريقة من طرق الدفاع عن
 العقائد هي التي اغلقت دون المسلمين أبواب العلم فانه كلما لاح نور إلهي في يقين
 الطالب يهديه الى طلب الحق وجد من هذه الكلمات كالاغترال والفلسفة ما يجمد ذلك

التور فيه . ومن سوء الاستعمال في تعليم هذا العلم ان يعلم الطالب متن السنوسية مثلاً وهو لم يحصل شيئاً من مادي العلوم . فيقال : ان الحكم العقلي ينقسم الى ثلاثة أقسام الواجب والمستحيل والجازئ . ثم تقرأ له هذه الاقسام بالتعارف الاصطلاحية وهو على جهل تام بما يعده لفهم معنى الحكم فضلاً عن أقسامه فيضطر الطالب الى حفظ هذه الالفاظ بدون ان يحصل من معادها الاعلى خيالات لا تنطبق على حقيقة

وقد قال المتقدمون انه لا ينبغي ان ينظر في علوم الكلام الا بعد تحصيل مقدماتها والاستعداد لفهم طرق الاستدلال حتى لا يضل الطالب بالنظر فيها وهو على جهل من وسائل فهمها فاللازم الاخف بأحد أمرين إما ان يستدل الناس بالاكون على مكوناتها وبالأثار على المؤثر فيها لينالوا بذلك اليقين فيما يتقدمون كل على حسب استعداده . فالعالم مثلاً يستدل بما بين يديه من نبات وحويان على حسب ما يظهر له في نظامها والسيد علي الرضا يكتب كتاباً في التشريع يقول في آخره انه عرف بذلك وجود الله وانه المنفرد بالتصرف في هذا الكون . وإما أن يعلم علم الكلام على طريقة تكفل الانتفاع به في الوصول الى اليقين الذي لا يقبل التزلزل والايمان الذي يملأ القلب خشية من الله ورجاء به وخضوعاً له . وأما طلب هذا العلم بمجرد قراءة كتبه ومعرفة مادته عليه عبارتها فقط فهو في الحقيقة مما يصد عن اليقين ويمد عنه خصوصاً اذا خاف الناظر من ان يقال انه فيلسوف أو معتزلي أو مأشبه ذلك فانه لا يقين مع التخرج من النظر وانما يكون اليقين باطلاق النظر في الاكون طولها وعرضها حتى يصل الى النفاة التي يطلبها بدون قيد ولا حدود ووقوفنا عند حد فهم المبراة مضر بنا في العلم ومناف لما كتبه أسلافنا وماركودنا من جواهر المعقولات في الكتب النفيسة المستودعة بمخزائنا التي أصبحت اليوم أكلة للسوس وقرشاً للآتية لا تعدأ يدينا اليها لنستلب منها أو نزعج السوس عن أكلها وإتلافها . أنفس ما فيها قسر من بين أيدينا ورصحت به خزائن أمم أخرى أصبحت الآن تمت بأمم التور ولوطيتها لم نجد لها . وربما اعتذر الطالب عن قبول النصيحة بأنه لا مناص له عن صرف الزمان في قراءة المطول نحوه مثلاً لأن غيره (ككتاب الصنائع) ليس بمأقرره القانون أو لأن الأستاذ لا يريد منه ولا ينبغي

ان يكون عالماً مشهوراً ولن يكون كذلك في نظر العامة الا اذا قرأ الطول بجواشيه في المدة المعلومه أو في أطول منها ولكن هذا لا يصح عذراً ولست أريد بنفي العذر ان أحمل الطالب على عصيان أستاذه أو حرمانه مما يطلب من الشهرة بين قومه بل أريد ان أنبه الى سلوك طريق وسط وهو ان يجمع بين الحضور في درس الأستاذ وتحصيل حقيقة العلم فيطالع درس الأستاذ ويضم الى ذلك مطالعة شيء من الكلام البالغ وتحرير ما ينج على منواله في تحصيل الملكة المطلوبة

ولقد عرض لي ما يمرض للطلبة اليوم وكنت أتمنى ان أبلغ من الشهرة ما بلغه غيري فحضرت درس تلك الكتب مع اشتغالي باستكمال ما أردت من العلم . على ان طلب الشهرة في العلم انما هو عند شعور النفس بشيء من الغرور . فاذا أدركت حقيقة العلم نسبت شهوة الشهرة وأدركت انها بمنزلة من الجهل تقضي عليها بتخصيل العلم للعلم والعمل به في سائر الاوقات وعلى أي الحالات

للطالب أو الأستاذ ان يستفيد من هذه البدع التي يرأها جديدة ويقول انها بدع مخالفة لسنة السلف الصالح التي لا يريد ان تغير حالها ولو لم تكن مفيدة لسانها أسلافنا لما اتبعوها وعليه يكون مبني كمثل ذلك انني على مسمع جماعة من الاعاجم بكلام مجنون ليل الى طلوع الفجر فقل له : بالله عليك عن لنا عن الى ومحتون : فقال ان الفناء كان في ذلك : قالوا وماذا لم تعلمنا من قبل حتى نعرض : ذلك ان الطريقة التي تشير بها هي طريقة أسلافنا الاقدمين فالمرود اليها احياء استهم وعمل بآثارهم فلما كان أسلافنا جارين في تعليمهم على تلك الطريقة القويمة كان نور العلم يضي لهم سبلهم الى سعادتهم في معاشهم ومعادهم وكانت الأمم التي تعد نفسها اليوم حاملة معها ربح العلم تستغني بنورهم

يقول القائلون : ان طالب تغيير الخلق اعتناء بالجديد وولوع بالبدع أو نزوع لها وليس الامر كذلك فان الجديد والبدعة هو ما راهم عاينه وقد ظهر أثره وعم ضرره فالتقديم الحقيقي هو ما ندعو اليه ولا نحتاج لنا الا بالتعويل عليه

﴿ التوكل ﴾

بقيت مسألة نبينا عما في أول الامر وهي ان الواحد منا اذا الاح في ذهنه نور الهي يوشده ان طريق الحق السديد بآية ما رآه يقول له : ان الحالة الحاضرة هي ما قدر الله لاجلة لا بد منها فالمرء

متوكل على الله مسير بحسب القدرة فقلنا بتسلم أمورنا اليه تعالى والتوكل عليه: وبذلك ينطفيء النور الذي لاح بذنه وبعد ان كان خطر بالهدامي العمل، ينزع الى البطالة والكسل، والسجبانهم يظنون هذه الوسواس من العقائد الدينية ولكن الدين يبرأ منها وما للدين عدو أضمر من امثال هذه الاعتقادات

نرى النبي صلى الله عليه وسلم وهو امامنا وقد وتالمابست في دياجير الجهل وتحكم سلطان الشرور وقبح العادات في الامم التي ارسل اليها لم يقل ان ذلك ما اراده الله ولم يسلم امره للقدر بترك العمل وكذلك الصحابة رضي الله عنهم أصابهم من الآلام في السعي ما أصابهم مع انهم أشد الناس توكلا على الله وأكملهم تمسكا بالقدر في طريق الحق فاذا كانوا قد وتا كما هو الحق فلماذا الاقتصدي بسيرتهم ونبتذ وسواس المبطلين، وهذيان العمي والمغفلين، والله تعالى قد دحنا على طريق الحق والتواصي بالحق والصبر وحلنا على ذلك « ان الانسان في خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فالذين فقدوا التواصي بالحق والصبر هم بلا شك خاسرون

الاحتجاج على ترك العمل بالتقدم من عقائد الملاحدين. وقد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والتي عليهم فيه. وقد حكى انما كانوا يقولون من نحو دلو شاء الله ما أشر كنا ولا أبأؤنا ولا حرمنا من شيء، فلا يسوغ لاحد منا وهو يدعي انه مؤمن بالقرآن ان يخرج بما كان محتج به المشركون. من زعم انه متوكل من المتظاهرين بالصلاح فهو كاذب زنديق لانه انما يدعي التوكل اذا طوب بأمر فيه مشقة عليه او يجدي نفسه بحز اعته لاسيما اذا كان في مصاحبة عامة فهو يرضى بما يجحد. فاذا رجع أولئك المتبتلون الى منافهم الخاصة لم يجحد للتوكل في نفوسهم آثرا فهم يشقون ويخادعون ويحتالون لتحصيل ما به يشقون، او ما به على الناس يظهرون، وحينئذ لا يرجعون الى التوكل فهم كذبة لا يصح الاقتداء بهم. وكفانا قدوة وخير اسوة سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم فانه كان على شدة توكله واعتصامه بالاستعانة بالله جل شأنه لا يفتقر عن العمل في الدعوة الى الحق وحمل الناس عليه.

يحتج بعض الناس على كسلهم بقوله صلى الله عليه وسلم « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كإيرزق الطير تتدو حنا صا وتروح بظانا ١١ » ويفسرون ذلك باننا لو ألقينا ألقائنا على

الله وتركنا أسباب عيشنا في كسبنا وما كُتبا. وطلبنا ومرة قد نل رزقنا كرزق الطير ولكن هذا الفهم خطأ بعيد عن المعنى المراد ولولا ذلك لقال صلى الله عليه وسلم لرزقكم كرزق الطير ثلث في أعاشها وتفتح أفواهها فتصبح خفاصا وتسمي بطانا. يظنون أن هذا الحديث حث على البطالة وترك العمل مع أنه جاء للحث على العمل. والكلام في معنى حق التوكل ظنوه ترك السعي بالمرّة وهو خطأ محض فالمراد من حق التوكل أن يعتمد الإنسان على الله سبحانه وتعالى مع اتباع سنته التي سنّها في الطلب فيحصل الطالب من أسباب مطلوبه ما جعله الله سببا ويدقق النظر في ذلك ما شاء حسب ما طاله الله تعالى به. ثم بعد أن يستعمل الأسباب يناجي ربه بسره. أن قد أتيت بما في استطاعتي على مقدار ما وهبتي وما بقي مما لأعلم ولأملك فهو في يدك فأغني بقدرتك ولا تحرم مني معونتك: ثم يمضي في عمله. هذا هو حق التوكل. وقد أشار إليه صلى الله عليه وسلم في قوله: تغدو خفاصا وتروح بطانا. فإنه أراد بذلك أن الطير إنما تسير في تحصيل معاشها على الإلهام الذي أودعه الله فيها. ألهمها معرفة الأماكن التي فيها أفواتها كما ألهمها الغدو إلى تلك الأماكن لتصيب أفواتها منها فهي تعمل بإرادتها على ذلك الشعور الذي منحه إياه إياها. فحق التوكل لا يتم إلا بأن تجري في أعمالنا على ما يقوم عندنا مقام الإلهام عند الطير. والذي يقوم عندنا مقام الإلهام هو العقل. فلا نكون متوكلين حق التوكل حتى نستعمل نفوسنا في الوسائل التي توصّلنا إلى بلوغ الغاية. من أعمالنا وإن نحدد الاستعمال حتى لا يقع لنا ضلال في طرق الوصول إلى المقصود. فلا يعتمد على الله بهذه الطريقة كمثل نجاح الأعمال

(الخاصة) وبهذه الوسائل يسهل علينا التوفيق بين السعي والتوكل لاسيما في تحصيل العلوم وهي كثيرة سواء لاها بالتقدم فيها أعتقد علوم أساننا العربي فإن إصلاح أساننا هو الوسيلة المفردة لإصلاح عقائدنا، وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدمهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال أسلافهم في اللغة العربية النصيحة من ذخائر العلم وكنوز الأدب مالا يمكن الوصول إليه إلا بتحصين ملكة اللسان ولا تحصل هذه الملكة إلا بالناية تحصيل علومه على الوجه الذي سبق بيانه من الجمع بين معرفة القواعد من أسهل طرقها بدون التفات إلى عبارات المفسرين وبين العمل بالقول والقلم حتى يملك الطالب من اللسان ما كان يملكه العربي بسليقته وبدون ذلك لا نصل إلى فهم أسرار شريعتنا بل تسد في وجوهنا طرق الوصول إلى الحقيقة منها فعلى كل من له غيرة على ملته أن يبذل ما في وسعه لتسهيل طرق تعليم اللغة وتحصيل الملكة فيها

قولا وكتابة حتى يتكلم بها غالب أهلها ويكتبوها بالطريقة الصحيحة لاز في انحطاط لغتنا
 انحطاط لغتنا ولديتنا وعقائدنا وأخلاقنا ونحطاط ذلك ففسد لجميع أمورنا
 أقول قول لي هذا ولا أريد به إلزام سامعه بقوله والاختلاف ما أدعوا إليه من استقلال الفكر
 وحرية الرأي ، على أنني لا أعلن أن في السامعين من ياتزم به ولو طلبت إلزامه ، ولكن رأيي
 أعرضه على مسامعهم فإن وجدته السامع صواباً أخذ به والافانه لم يخش شيئاً سوى احتمال له شقة
 الحرف في هذا المجلس وهو قدر مشترك بيني وبينه والله يوفقنا إلى إصلاح أحوالنا في ما نشاء
 ومعادنا وصى الله على سيدنا محمد وآله ومحببهم وسلم والحمد لله رب العالمين

أَنَّ كَلِمَةَ الشَّيْءِ

(دلائل الإعجاز)

(اللفظ وقوانين اللفظ والنظم) : اللفظة ملكة لسانية ، والملكات إنما تكون بجزالة العمل ،
 فمن زاول كلام قوم زمناً طويلاً تصير لفهم ما ملك له يتفق بها بغير تكلف ، والملكات
 تختلف في أفراد من تكون لهم فهم من يكون أملك بالشيء خلق وألبه يداً ويكون
 العمل به كما تمتطي الريض القلول ، ومنهم من لا يملك إلا كما يملك الخادم البليد ،
 يريد على شيء فيذهب في غير ما يريد ، وتسمى ملكة اللفظة في الأول نفاحة وبلاغة ،
 وفي الثاني عيا وفهاة ،

ثم إن كل شيء يتفق فيه كثيرون كاللغة لابد أن يكون منضبطاً في نفسه بآفاق
 معروفة لهم بالسلفية المكتسبة بالزواولة إذ لو ذهب كل واحد مذهباً في القول لا يتفق
 مع مذاهب الآخرين لما تيسر التفاهم بالخاطب ، وما كان كذلك يسهل أن توضع
 له قواعد وقوانين تعرف بها تلك الطرق السليقة بوجه كلي يبين على فهم الجزئيات
 ومعرفة ما عساه يطرأ على ذلك الشيء مما ليس منه في خصائصه التي امتاز بها ، ولكن
 ما ينضبط به الشيء في نفسه لا يشمل في العادة العامة جميع جزئيات ذلك الشيء إلا إذا
 تواطأ قوم محبورون على وضع قوانين كلية وأخذ الجزئيات منها بالاتفاق بينهم ولم
 يكن وضع اللفظة كذلك ولهذا كانت القوانين التي وضعوها للربيع شاهلاً لا كثيراً الكلام

العربي في أوزان مفرداته وضوابط نظمه غير محيطة بذلك تمام الاحاطة
 بدأ واضعوا هذه القوانين بوضع الضوابط العامة التي يشترك فيها جميع أهل اللغة
 وهي قواعد ابنية الالفاظ المفردة وقواعد التركيب التي يتأدى بها المعنى المقصود من
 التكلم وسموا ذلك علم النحو ثم قسموا هذا العلم الى قسمين سموا الآخر منهما الصرف
 لما فححت العرب الممالك الاعجمية ودخل أهلها في دينهم وحكمهم استعرب المعجمي
 واستعجم العربي وصار هؤلاء الاعاجم المستعربون والعرب المستعجمون يتعلمون اللغة
 العربية بمعرفة قواعد النحو والصرف وهي - كما قلنا - موضوعة لما يشترك فيه الجماهير
 وغير محيطة بما كان ينفرد به بعض أهل اللغة فضعف التاطقون والكاتبون بالعربية عن
 الترقى في ملكتها الى الدرجة العالية مما به التفاوت وهي مرتبة الفصاحة والبلاغة
 واحتاجوا الى قوانين أخرى ترشددهم الى المراج الذي يظهرون عليه الى تلك المرتبة
 فكان أول من عني بوضع هذه القوانين إمام اللغة في القرن الخامس للهجرة الشيخ عبد
 القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز - الاول في فن البيان والثاني
 في فن المعاني - وقد كان اسم البيان عاما لكل ما يبحث فيه عن البلاغة ثم انهم من بعد
 الشيخ عبد القاهر قسموه الى قسمين خصوا أحدهما باسم البيان واطلقوا على الآخر
 اسم « المعاني » اخذوا من قول عبد القاهر ان مسائله هي معاني النحو

قوانين النحو فبعدنا معرفة التراكيب الصحيحة في العربية وكيفية ادائها على وجهها
 ولكنها لا تفيد متى رجع استعمال أحد التركيبين اللذين يفيدان معنى واحدا على
 الآخر نحو « قام زيد » و « زيد قام » و « عمر والمنطلق » و « المنطلق عمر »
 والذي يرفقا موضع كل واحدة من هذه الجمل هو علم المعاني المتزعة قوانينه من
 تتبع أساليب البلاء وملاحظة الاحوال المختلفة التي يتتبع التمييز في كلامهم بحسبها
 ولذلك قالوا ان البلاغة هي موافقة الكلام لقتضى الحال . ولكن هذه الاحوال لا تنضب
 لانها تختلف باختلاف معارف المخاطبين بموضوع الخطاب وأذواقهم ومقاماتهم ولذلك
 كان الطريق الموصل الى تحصيل ملكة البلاغة هو كثرة مزاوله الكلام البليغ
 لتحصيل ذوق البلاغة لان القوانين التي وضعت للمعاني أقل غناء من القوانين التي
 وضعت للنحو وقد علمت ان قوانين النحو غير محيطة . وكتابا عبد القاهر أبين للقوانين .

وأعون على ذوق الاساليب ، ونذكر هنا عبارة كتبناها في خاتمة طبع كتاب دلائل الإعجاز الذي تم طبعه في هذا الشهر ينشأ فيها مكاتبة من كتب هذا الفن وهي :

أما الكتاب فيعرف مكاتبه من يعرف معنى البلاغة وسر تسمية هذا الفن بالمعاني وأما من يجهل هذا السر ويحسب أن البلاغة صناعة لفظية محضة قوامها انتقاء الالفاظ الرقيقة، أو الكلمات الضخمة الغريبة. فمثل هذا يسالج بهذا الكتاب فإن اهتدى به الى كون البلاغة ملكة روحية ، وأريحية نفسية ، رجي أن يبرأ من علته. ويقف على مكانة الكتاب ورتبته ، وإن بقي على ضلاله القديم ، وجهله المقيم ، فاحكم باعضال دائه ، وتمعذر شفاعته ،

أما وضع الكلام لإفادة المعاني والبلاغة فيه هي أن تبلغ به ما يريد من نفس المخاطب من اقتناع وترغيب وترهيب وتشويق وتمجيب أو إدخال سرور أو حزن وغير ذلك. وكل هذه المقاصد أمور روحانية يتوصل اليها بالكلام. فمعرفة قوانين الدحو والمعاني والبيان شرط فيها. ولكنها غير كافية للوصول اليها ، بل لابد من الهداية الى أسباب كون الكلام مؤثراً وإيراد الشواهد والامثلة الكثيرة في المعنى الواحد والموازنة بين الكلامين يتفقان في المعنى ويختلفان في التأثير كقول المعبر الاول لذلك الملك الذي رأى في نومه انه فقد جميع أسنانه : أن جميع أهلك وذوي قرباك به يكون : وقوله المعبر الثاني له: الملك يكون أطول أهل عمره : وهذا المذهب هو الذي ذهب اليه الامام عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) وقد خلف من بعده خالف جعلوا البلاغة صناعة لفظية محضة فقالوا : المسند يعرف لكذا وكذا وينكر لكذا وكذا: الخ ولم يبينوا السر في ذلك ولم يوازنوا بين مسند منكر عرقته البلاغة وآخر أنسكرته وهو مثله وبيّنوا السبب في ذلك ولم يضاوا بإيراد الشواهد والامثلة والبحث في الفروق. وقد احتار أهل هذه الازمنة الاخيرة هذه الكتب المجذبة القاحلة . على مثل كتب عبد القاهر الحنيفة الحافظة . لكثرة الحدود والرسوم والقواعد والمشاغبات في كتب المتأخرين فكان أثرها فيهم أن حرموا من البلاغة والنصاحة حتى أن أعلمهم بهذه الكتب وأكثرهم اشتغالا بها هو أعيامهم وأعجزهم عن الأتيان بالكلام البليغ (بل والصحيح) قولاً وكتابة . ولا غرو فقد قال أحد كبار مؤلفي هذه الكتب المشهورة أن بعض نحول هذا

اللفظ (البلاغة) ليسوا بلفاء ففصل بين البلاغة وعلمها وجعله غير مؤداليا فم يبق الا انه ابتدع
ليتعبد به. ولولا ان قبض الله تعالى للعربية في هذا العصر ابلغ البلاء وافصح الفصحاء
الاستاذ الامام الشيخ محمدا عبده فطفي يحيى كتب السلف النافعة وعلومها لكننا في
يأس من حياة هذه اللغة الشريفة بعد ما قضى عليها حفظها وأساتها. فسأل الله تعالى ان
يمد في أيامه . ويكثر من انصاره وأعوانه. آمين اه

وقد صدر الكتاب بورق جيد ونسخة منه ٢٠ قرشاً صحيحاً واجرته البريد قرشان
وهو يطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

﴿ كتاب نهج البلاغة ﴾

قد طبع هذا الكتاب الجليل، المستغني بشهرته عن التعريف، طبعة جديدة مضبوطة بالشكل
على نفقة الشيخ محمد سعيد الرفاعي الكتبي وهي الطبعة الثالثة باذن شارحه الاستاذ الامام وقد
طبع في سوريا طبعة أخرى بغير حق. وتمدد الطبع آية على مر فئات الناس بقدر الكتاب . ولا
ترى وسيلة لتعريف غير المعارف به الا تزيين المنار بخطبة الشارح حفظه الله تعالى فانها في أسلوبها
ومناها صورة مصغرة للكتاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله سبحانه والتم، والصلاة على النبي وفاء الذمم، واستعطار الرحمة على آله الاولياء ،
وأصحابه الاصفاء ، عرفان الجليل، وتذكّار الدليل، وبصد قد أوفى لي بحكم القدر
بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمل اصبه على تغير حال، وتبيل بال،
وتزاحم أشغال، وغطلة من أعمال، غيبته تسلية، وحيلة للتخيلة، قد صفحت بهض صفحاته،
وتأملت جلال من عباراته، من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات، فكان يحيل لي في كل
مقام ان حروباً شبت، وغارات شنت، وان للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة، وان للاوهام
عرامة (١) وللريب دعارة. وان حجاب للخطابة، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام،
وصفوف الانتظام، تافح (٢) بالصفيح الاباج ، والقويم الاماج، وتماجد المنهج، برواضع

(١) الرامة الشراسة . والدعارة سوء الخلق. والجحافل الجيوش والكتائب الفرق منها
والذرابة حدة اللسان في فصاحة. والكلام تغيل حرب بين البلاغة وما تمجحات الشكوك والاوهام.
(٢) تافح تضارب أشد المضاربة والصفيح السيف والاباج الامام البياض والقويم الرمح والاملاج الاسر
وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والمجيج القوية المبددة قلوبهم وان خفي مدركها وتنتج أي تنس والمهج
دماء القلوب والمراد لا تبق للاوهام شيئاً من مادة القفا،

الحبيب ، فقل (٣) من دارة الوسواس ، وتصيب مقاتل الخوانس ، فانا الاول الحق
متنصر ، والباطل منكسر ، وصرح (٤) الشك في خود ، وهرج الريب في ركود ، وان مدير
تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة . هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ،
بل كنت كلما انتقلت من وضع منه الى وضع احسن بتغير المشاهد ، وتحول المهاد ،
فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المماني أرواح عالية ، في حلق من العبارات الزاهية ،
تعطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية توحى اليها رشادها . وتقوم منها
مرادها . وتفر بها عن مداخل الزال ، الى جواد الفضل والكمال ،

وطورا كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح في
اشباح النور ، ومخالب النور . قد تحفزت الوئابل ، ثم اقتضت للاحتلاب ، نخلت
القلوب عن هواها . واخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت قاسد الاهواء ، وباطل الاراء ،
واحيانا كنت أشهد ان عقلا نورانيا . لا يشبه خلفا جسدانيا ، فصل عن الموكب
الالهي ، وأصل بالروح الانساني ، نخله عن غاشيات الطبيعة ، وسما به الى الملكوت
الاعلى ، وثما به الى مشهد النور الاحلى ، وسكن به الى عمار جانب التقديس ، بعد
استخلاصه من شوائب التلييس ،

وأتأت كافي أسمع خطيب الحكمة ، ينادي بأعلى الكلمة ، وأولياء أمر الامة ،
يعرفهم مواقع الصواب ، ويحذرهم مواضع الارتباب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب ،
ويرشدتهم الى دقائق السياسة . ويهديهم لطرق الكياسة . ويرتفعهم الى منصات الرئاسة ،
ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن التدبير ،

ذلك الكتاب الحليل هو حجة ما حارم السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقة وسماه بهذا الاسم (نهج
البلاغة) ولا أعلم ان أتيق بالدلالة على معناه من هذا الاسم ، وليس في وسي ان
اصنف هذا الكتاب ما زيد مما دل عليه اسمه ، ولا ان آتي بشئ في بيان مرثته فوق
ما أتى به صاحب الاختيار كما ستراه في مقدمة الكتاب . ولولا ان غرا الحيلة . وفواضي
تدعة . تفرض علينا سرفن الجليل لصاحبه . وشكر المحسن على احسانه . انا خجنا

الى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة من قنن الفصاحة، وما خص به من وجوه البلاغة. خصوصاً : هو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام الا اصابه، ولم يدع للفكر مراً الا جابه ، الا ان عبارات الكتاب بعد عهدها منا، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل اساتذنا، قد نجد فيها غرائب ألفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تعقيد، وربما وقف فهم المطالع دون الوصول الى مفهومات بعض المفردات، او مضمونات بعض الجمل، وليس ذلك ضمناً في اللفظ أو معناها في المعنى ، وانما هو قصور في ذهن المتناول

ومن ثم همت بي الى الرغبة ان أحجب المطالعة بالمراجعة. والشارفة بالمشافة. وعاقى على بعض مفرداته شرحاً ، وبعض جملة تفسيراً ، وشيء من اشاراته تبييناً. واقفاً عند حد الحاجة بما قصدت، موجزاً في البيان ما استطعت ، معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة والمعروف من صحيح الاخبار ، ولم أترض لتعديل ما روي عن الامام. في مسألة الإمامة أو تجريحه بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات الى اصول المذاهب المألوفة فيها ، والاخبار الماثورة الشاهدة عليها ، غير أنني لم أتجاسر عن تفسير العبارة ، وتوضيح الإشارة ، لا أريد في وجهي هذا الاحتفاظ ما أذكر ، وذكر ما أحفظ ، تصونا من النسيان ، وتحرزاً من الحيدان ، ولم أطلب من وجه الكتاب الا ما تعلق منه بسبك الماني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام وحسي هذه الفاية فيما أريد نفسي ولن يطلع عليه من أهل اللسان العربي

وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب ، واطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار ، وكل يقصد تأييد مذهب ، وتفضيد مشرب ، غير انه لم يتيسر لي ولا واحداً من شروحه الماشذات وجدها منقولة عنهم في بطون الكتب. فان واقفت احدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق وان كنت خالفهم فالى صواب فيما أظن. على اني لا أعد تعليق هذا شرحاً في عداد الشروح. ولا أذكره كتاباً بين الكتب. وانما هو طراز نهج البلاغة وعلم توشى به اطرافه .

وارجو ان يكون فيما وضعت من وجيز البيان، فائدة للشبان من أهل هذا الزمان. فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب ، يتدافعون الى نيل الارب من لسان العرب ، يبتغون لانفسهم سلاطيق عربية ، وملكات لغوية ، وكل يطلب لساناً خاطباً ، وقلماً كاتباً. لكنهم

يتوخون وسائل ما يطلبون في مطالعة المقامات، وكتب المراسلات . مما كتبه المولدون، او قلدتهم فيه المتأخرون ، ولم يراعوا في تحريره الالة الكلمات ، وتوافق الجناسات، وانسجام السجعات، وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية، التي وسموها بالفنون البيديية، وان كانت العبارات خلوا من المعاني الجليية ، او فاقدة الاساليب الرفيعة ،

على ان هذا النوع من الكلام بهض مافي اللسان العربي وليس كل مافيه . بل هذا النوع اذا انفرد يعد من ادنى طبقات القول وليس في حله المتوسطة بأواخر ألفاظه ما يرفعه الى درجة الوسط . فلواتهم عدلوا الى مدارسة ما جاءه عن أهل اللسان خصوصا أهل الطبقة العليا منهم لاحتروا من يفهم ما امتدت اليه أعناقهم ، واستمدت لقبوله امرأتهم ، وليس في أهل هذه اللغة الا قائل بان كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بكلام الله تعالى وكلام نبيه وأغزره مادة وارفه أسلوباً وأجمعه لجلال المعاني فأجدر بالطالين لتفانس اللغة والطامعين في التدرج لمراقبيها إن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم، وأفضل مأثورهم، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لاجلها، وتأمل ألفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها. ليصيبوا بذلك أفضل غاية، وينتهوا الى خير نهاية. وأسأل الله نجاح عملي وأعمالهم، وتحقيق أمني وآمالهم، اهـ

هذا وقد جمل ثمن انسخة من هذه الطبعة المشكولة ١٥ قرشا وهو يطلب من طابعه

﴿ ثمرات الافكار ﴾

لحمداً فدي حدي النشار الاديماطي احد كتاب محكمة الاسكندرية الاهلية شعر منسجم هام به في كل واد. وارثي به كل نجاد ، فاستفادت وناسي ، ومدح ورتي ، وتغزل ونسب ، ولم ينس باب الوعظ والادب ، فقد امتاز على أكثر شعراء العصر باتقاد مافشا فيه من المقاسد والمطالب ، وما للمدينة الحاضرة من الفضائح والمآيب ، وقد طبع الجزء الثاني من ديوانه (ثمرات الافكار) في هذا العام بمطبعة « الثار » وكان طبع الجزء الاول منه منذ عشرة أعوام واتما تورد نموذجاً منه للقراء حتى اذا مالحب احد ان يطالع على باقيه طلب الديوان من صاحبه . قال في بيان حالة أكثر الشبان والكهول في هذه البلاد التي باعها الترف والسرف والفسق للاجانب ثمن بخس بل ثمن موهوم يسوونه كما قال (التجدد الجديد) :

﴿ التمدن الجديد ﴾

بين التمدن والمدامه ضاع الحياء والاستقامه
 وعلى الفسواني والطبي بنا المروءة والكرامه
 وعلى الجميلة والنجيب لم يقد انقضى عهد الشهامه
 وتسربت منا الهرا هم في الفجور ولائداه
 والدار بنسائها لند رك وصل هند أو امامه
 ونفائس الميراث قد رهنه على ثمن المدامه
 والذين ان كتب السدا دله في يوم القيامه
 (سبحان من قد علم الحظوظ ففلا عتاب ولا لامه)
 غديري بي استغنى وما أبقيت من مالي قلامه
 فسد الزمان وأهله يارب نسألك السلامه
 هذا تمدن ههنا جعلوا الفسوق له علامه
 من كل مياس القوا م له على الحسدين شامه
 يستر أعجب كما هزت معاطفها الحسامه
 واذا رأى أهل انب رف ظل يهزأ بالعمامه
 يأتي المسبح ولم يدع في غير زيتته اهتمامه
 ويصل في المرأة هل في الحسن قد وفي نظامه
 ويفضل ينظر خلفه حيثاً وآونة أمامه
 ويكثما طبع النوزا رة والامارة والامامه
 حسي في ذ وجه المساء والليل قد أرخى ظلامه
 غدير نير قد فنيه بالقمص لم تعرف منامه
 تنزوا بكنس الخسيسا حامة من بعد حجامه
 فذا أصداع وعدهه وندا ولم يحسن كلامه
 أنوى المنين الى دوا ت الحسن كي يشفي عيابه
 وأعاد كرهه مكره الى أوفى وسماها (انسجامه)

فسحرته وسالين ما أبقت يداه باقماه
ودعون مركبة لحد حله وقلن (مع السلامة)
فأتى الى الدار السقي وأريك ماذا طعماه
هو يبذل العشرات كي يرضى هواه أو غرامه
وهي السقي تبكي لفا قها بدمع كالقمامه
فاستقبلته بمسايل ق من التحية والكرامه
صفت قفاء وأتعت بالصنع خديه وهامه
ولربما طرحته خلد ف الباب لارعي ذمامه
فاذا استفاق معاتبها وعلى الهوان رأى مقامه
قالت له اعسذرتي فن غرس القبيح حتى التدامه
يستوجب الاذلال من لم يتبع طرق السلامه

﴿ قلائد الذهب ، في شرح أطواق الذهب ﴾

كتب الشيخ محمود بن عمر الزعشمري الشهير مئة مقالة في الحكم والمواعظ سماها (أطواق الذهب) وقد تنكب في كتابها طريقته التلي في الكتابة ونحافها منحي الحريري في مقاماته في التسجيع والتجيس . ولا زراية على الزعشمري بهذا النحو من القول فانه كان في عصره فنا من فنون الأدب وصنعة من صناعات القول يتقنها مثله ومثل الحريري من أئمة اللغة . ولم يرد الزعشمري بهذه الحكم المثورة ، ولا الحريري بتلك المقامات الماثورة ، ان يسنا لكتاب العربية سنة جديدة يتبعونها ، ويرغبون عن الكلام المرسل المفو اليها . وانما كان لهما فيما يظهر لي غرضان أحدهما الاحتيال بهذا الوضع الطريف على توجيه النفوس الى مافيه من الحكم والمثلات ، وثانيهما جمع طائفة من فرائد اللغة في المفردات ، ومحاسن الجمل في الجواز والكنائيات ، تزيد الناظر سعة في الربية ، وقدرة على صوغ الجمل المجازية ،

وتد شرح أطواق الذهب وفسر مفرداته غير واحد وطبع في هذا العام شرح منها لميرزا يوسف خان ابن اعتصام الملك الأشثاني ، قال فيه انه « أجمع واكفى من الثمرواح والتعليق التي علقت على تلك المقالات الى الآن ، وقد أضاف الى تفسير

الكلمات ما يصاهاى القناعة من رسالة (أطباق الذهب) للشيخ عبدالمؤمن الأصفهاني فانه تلا فيما تلو الزخسري واحتذاه كما ترى في هذا المثال . قال الزخسري في (المقالة ٥٨) « مؤسر يشح بالموال ، وموسر بلع في السؤال ، اذا التقيا فبذلان تصطكان ، وجدانان من الغمر أر تحسكان ، هذا كثر شحيح غير معوان ، له في وجه الصعلوك خفيج أنفوان ، وذلك ما ح . لمحف ، محف بمحفف ، وهذا يقول هات ، وهو يحويه هيئات ، له دق بالوجنتين . دق القصار بالمجذتين (الميخنة مدقة القصار) إن منع تبشيش وتطابق ، وتبشيش وتماق ، وإن منع أخذ بالخانيق ، ورعى بالخانيق ، » وقال صاحب أطباق الذهب : « من شدائد الدنيا غنى عابس ، يلقاه فقير بأفس ، يطرقه حافيا ، ويسأله محفيا ، يستمبح شحيحا لا يفتح الباب لضيفانه ، ولا يكر حواشي رغفانه ، فيرجع خاسرا ، ويقلب باسرا ، حتى اذا جأء في طريق ، ولفه في مضيق . فياخذ بئانه ، طمعا في إحسانه ، والخييل يحمر ويصفر ، وبفر وأين المفر ، هناك يصدم الأشدان . ويزدحم الضدان ، فهما كصخر قرعه حديد ، وقبح كدره الصديد ، ونفس يعلوه زاج ، وحجم يشوبه أجاج ، ودخان ينلوه عجاج ، اه وفي المقالات ما هو أظهر في السرقة من هذه

أهدي أينا الكتاب المطبوع منذ أشهر ولم نقرغ لتصفح شيء من الشرح ولكننا في النظرة السطحية اتفقنا عدم ضبط الكلمات عند تفسيرها وان كانت قد ضبطت مقالات الزخسري بالشكل الكامل ، وقد طبع في (مطبعة النجدن) على ورق جيد وهو يطلب منها

﴿ الطرائف ﴾

جريدة أسبوعية جديدة انشأها في القاهرة رشيد أفندي المصوبع الشاعر السوري الذي سبق لنا تقريره ديوانه وقد عرفنا هذا الشاب مغرما بالادييات هائما في أدبية الشعر فلا شك في ان سيكون جريده الحظ الوافر من المباحث الادبية التي هي أرفع من خوض أكثر الجرائد في هذر السياسة التي لا تكاد نجد في القطار منها درهما من الفائدة . وقد افتتح لكتاب جريده بمقدمة قال فيها : « أقدمت على انشاء هذه الجريدة وأنا عالم كل العلم بما صارت اليه بضاعة الأدب من الكساد ، وما زاد من الجراند على حاجة البلاد ، » وهذه الدعوى قديمة وكما قلها الذين من قبله في عصور كانت خيرا

من الصور التي قبلها كان هذا المصرخ بمقابله في رواج الادب وانتشار الجرائد والاقبال عليها وان كان دون ما ينبغي ويطلب . أما قيمة الاشتراك في الطرائف فثانون قرشا في القطر المصري وجنيه انكليزي في سائر الاقطار . فتتمنى لرصيفنا الجديد النجاح والجريدة حسن الانتشار .

بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

﴿ الاسلام والمسلمون ﴾

نشر في جريدة (ناسيونال زيتونغ) الألمانية مقالة في الانتقاد على الاسلام والمسلمين دلت على جهل من كاتبها بالادب والتاريخ أو تجاهل حمل عليه التعصب الشديد وقد عريت جريدة مصرية هذه المقالة وردت عليها ردًا لم يفند جميع المسائل والتهم الباطلة التي اقتجرتها الاثني فرأينا ان نخلص هذه المسائل ونفندها واحدة واحدة لاشيا بعد انتشارها بالغة المريعة . واننا نشكر لهذه الجريدة تمريرها على ضعف شبهات كاتبها والرد عليها على ما فيه من التقصير ، لانها قامت بما في وسعها ، وعملت بنصيحة صحتنا فحسنا لها بما في أول ظهورها وهاك ملخص مطاوعن الألماني مع الرد السيد :

(١) افتتح الألماني كلامه بذكر الثورة المكشونة واهتمام أوروبا بها واعترف بأن الدولة العثمانية رغبة في إخمادها وتحسين حال المسيحيين بمحض نية . واعترف بأن الثوار المسيحيين هم الذين يحولون دون الإصلاح . وهذا الاعتراف اثبات لسوء قصدهم ولبعد المسيحي عن الخضوع لحاكمه والامتزاج بشيئه وبأن حكومه الترك الاسلامية التي تصفها أوروبا بالظلم والظلم والتي هي في الواقع ونفس الامر دون حكومة الخلفاء الراشدين ومن يمدحهم لاسيما في هذا المصريح بحبها الذين من غير دينها وترغب في اصلاح حالهم وهذا يتضمن ان تأثير الاسلام في أهله أحسن تأثير فاكاني يني لصاحب الجريدة المصرية ان يعجب من ألماني يكتب هذه الكتابة ويبنى عليه على ما اشتهر من صداقة هاهل ألمانيا لسلطان تركيا فان هذا الكلام لا ينافي الصداقة . ولا يطالب الكاتب بأن لا يكتب إلا ما وافق هوى أميره وسلطان

(٢) وصل الالماني اعترافه المذكور بقوله: ان المكذوبين والبلغاريين يحاولون دون إجراء أي إصلاح ك ان الاسلام ظهر في كل زمان بمظهر المعادي للمدينة المسيحية الأوروبية وسبق كذلك على الدوام : ونقول ان الاسلام ظهر في زمان كانت المسيحية فيه قد دمرت مدينة المصريين واليونانيين فشبذ الاسلام ماهدته المسيحية وأحيا المدينة بعد موتها كما شرحنا ذلك في مقالات سابقة وبمسد أن أدخل المدينة في أوروبا عن طريق الأندلس كافأته على فضله بمحاربتها إياه واحتمادها في إبادة . ان الاسلام قوام همجية المسيحيين في القرون المتوسطة التي يسمونها القرون المظلمة ولكنه أوغل فيها يرفق فانه دخل بلاد الأندلس وقد تمزق شملها بالظلم واستبدال الأحرار ، غفلها بالعدو والعدل جنات تعري من تحتها الأنهار . ولما قوي ساعد أهلها بما منحهم الاسلام من الحرية لم يرضوا من مكافأة انسلمين الأي بادتهم من تلك البلاد . فآين المدينة المسيحية التي قامت هناك مقام مدينة الاسلام ؟ أليست حال تلك البلاد الى اليوم شرما كانت عليه مع ان الرقي طبعي في الانسان ؟

(٣) زعم الالماني ان دين محمد لا يقصد ادخال الناس في عقيدته كدين بوذا وموسى وعيسى ولكنه يحاول إخضاع الشعوب وابادتها . وهذا غلو منه في الجهل أو التجاهل الذي هو افضح من الجهل فان البوذيين لا يدعون الى دينهم ولا يحاولون تعميمه وكذلك اليهود دينهم خاص بشعب إسرائيل لا يتعداه ولذلك لم يتم عدد هذا الامة القديمة . وأما النصراني فان دينهم عيسى لم يكن الا مصلحاً في الدنيا الموسوية وقد أكد ذلك بصيغة الحصر إذ قال « لم أرسل الا الى خراف إسرائيل الضالة » واما ما ينقلونه عنه من أنه قال لتلاميذه « اكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها » فيجب تخصيص الخليقة فيه بشعب إسرائيل ليتفق القولان . فليبق دين تدل نصوص كتابه على كونه عاما للناس كلهم الا دين محمد عليه الصلاة والسلام فان كتابه يقول « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وقد بث وحده فقام دينه بالدعوة وانتشر بالدعوة ولم يكن ما كان من الجهاد في آخر عهده الا لحماية الدعوة من المعتدين . طالب الناس بالدخول في دينه ليصلح فسادهم . والشعوب التي خضعت لاصحاب هذا الدين لم ترأف من حكماءه ، ولا أعدل من أحكامه ، كما اعترف بهذا بعض علماء أوروبا . وانه ليوجد في بلاد الاسلام

من الملل والتحل ما لا يوجد في بلاد اخرى وسكانهم حافظون لعقائدهم وتقاليدهم ومعاييدهم ومعاهدهم . ولم توجد في الارض أمة عمت ولا تزال تعمل لآبادة من يخالفها الا الذين قالوا اننا نصارى من أهل أوروبا فقد أبادوا الوثنيين من أوروبا كلها ثم أبادوا المسلمين واليهود من غربي أوروبا وهم الآن يحاولون أبادتهم من شرقيها ولذلك لا يقبلون من الترك إصلاحا مهما حسنت النية فيه لان الترك مسلمون تحجب في رأيهم أبادتهم من أرض سبقهم اليها المسيحيون فهم يتعاهدون على ما يذهب من الضغائن والأحقاد على نزع سلطة المساحين من بلاد أوروبا كما اعتدوا عليهم في آسية وأفريقية بل كان كل أهل مذهب من مذاهب النصرانية يسى في إبادة أهل المذهب الآخر وهذا لم يعرف في غير نصارى تلك البلاد

(٤) قال الألماني : ان الاسلام سلاح بدأمة حرية لفتح بلاد العالم : وقول نعم ان الاسلام أقوى سلاح للفتح وهل بعد هذا الألماني وقومه القوة الحربية ضعة ورذيلة؟ أتى وتلك شهادة على أمته بأنها في الدرك الاسفل من المهانة والضعفة لانها في الدرج الاعلى من القوة الحربية . نعم ان بين قوة الاسلام وفتوحاته وقوة الألمان في فتوحاتهم فصلا واسما وهو ان الاسلام كان يقصد بالفتح هداية الأمم الى الحق الذي تسعد به في الدنيا والآخرة وذلك بأن يربها عدله في الاحكام وفشل متبعيه في الاخلاق وقوة يقينهم في الإيمان فبرغب فيه عقلاؤها ويدخلون فيه بالافتناع والاذعان . لا كما دخل وثنيو أوروبا في النصرانية بالسيف والثيران ، وأما قصد ألمانيا وسائر أمم أوروبا من الفتح فهو التمتع الحيواني بخيرات البلاد التي يفتحونها وتسخير أهلها في خدمة شهواتهم وجمع المال لهم ولم توجد بلاد في آسية ولا أفريقية فتحها الأوربيون ثم كانت في ظل ساطهم متمتعة بالعدل والحرية في الدين والدنيا كما كانت في عهد قاضي العرب الأولين . فهذه انككترا أقرب أوروبا الى العدل والحرية تفضل الصعلوك من الانكليز في الهند على الأمير المسلم أو الوثني الهندي وقد ساوى عمر بن الخطاب بين صعلوك قبضي وبين ابن عمرو بن العاصي فاتح مصر وحاكمها في عهده وأقاده مته . . . نعم ان الاسلام قد تحولت سلطته الديمقراطية المعتدلة المقيدة بالشورى ورأي أهل الرأي من الأمة الى سلطة فردية مطلقة بما صار لأمرائه من العصبية التي مكنتهم من جعل السلطة وراثية في

عقبهم فافسدوا فيه وجعلوا الفتح من متممات شهواتهم ولكن هذا عرض عرض للمسلمين لا الاسلام وقد انتقم الله تعالى منهم بتسليط أوربا عليهم تسوهم سوء العذاب ومنى ببلغ الانتقام حده يرجع المسلمون الى أصول دينهم وقيمون لانفسهم سلطة إسلامية صحيحة تتكون بها المدينة الفاضلة الصحيحة التي يسعد بها العالم الانساني . ولا يخفى على من استيقظ من المسلمين ان أوربا تجتهد في محو السلطة المنسوبة للاسلام من الأرض وانما تنوهم أن هذا المحو لا يعقبه أثبات ولكنهم يعتقدون ان هذا المحو هو الذي يكون سبب الالباب فان السلطة الحقة المنتظرة لا تكون الا اذا استيقظ أكثر المسلمين من هذا النوم المستغرق ولا يقاطهم هذا صوتان أحدهما صوت العلم وهذا لا يمتد الا بالتدرج الطويل وثانيهما صوت اقتضاى آخر ركن من أركان سلطتهم المدعرة وما هو الا صيحة واحدة فاذا هم قيام ينظرون . فاعلم أوربا ان محافظتها على السلطة الثمانية وإبانتها واهنتها هو الذي يسهل لها التمتع بخيرات بلاد المسلمين دون سواء لان حكم المسلمين عودوا المسلمين منذ قرون طويلة على الاعتماد عليهم وإلقاء المقاليد لهم فاذا رجعوا بعد اليأس من حكمهم أو زوالهم الى قوة الاسلام نفسه فان بأس ثلاث ثمة . مزيون من الاسود الباسلة يعتمدون على الله وعلى ماوهمهم من القوة على دفع الضيم لا يكون أثره في الأرض قليلا

(٥) قال الالماني بعد ما ذكر من قوة الاسلام ما ذكر : ان القوة التي ساد بها في آسية وافريقية ستكون مصدر مصائبه فانه ينقصه ما في الديانات الاخرى من قبول الاصول والقواعد (وفي الاصل المبادئ) التي عند غير أهلها وعدم الاعتداء على الامم التي لا تدن به : ونقول ان القوة التي ساد بها الاسلام أيام كان إسلاما هي قوة الحق والعدل وما جاءته المصائب وأحاطت به التوائب الا بعد ان حولت سلطته التي تقيم هذين الركنين الى سلطة استبدادية تعبت بها كما قلنا آتفا فالقوة الفاعمة قد زالت من زمن طويل والسلطة السائدة الى هذا العصر انما بقيت سيادتها بقاعدة الاستمرار فانها لم يكن لها مقاوم يزيل استبدادها اللهم الا ما كان من المبادلة بين المستبدين في بعض الاحيان . ونحن على علم بأن هذا الاستبداد لا يدوم واذا لم يزل المسلمون لاستبعاد الملوك والامراء لهم فهذه أوربا تزيده بالتدرج .

أما زعمه بأن مصدر مصائب الاسلام ستكون من أصابن فيه أحدهما ان المسلمين لا يقبلون اقتباس ما عند الامم الاخرى وثانيهما انهم لا يكفون عن الاعتداء عليها فهو زعم باطل مبني على الجهل الفاضح ، أو التحصب الواضح ، ذلك ان الاسلام يرشد المسلمين الى أن يأخذوا الحكمة أتى وجدوها وينهاهم عن الاعتداء على من لم يعتد عليهم قال الله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وقال عز وجل « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » أي لا تزيدوا على مقابلته بمثل اعتدائه . فان أراد بعدم قبول الاسلام أصولاً زائدة عليه الاصول الدينية لا المعاشية فهذا صحيح وهو مصدر قوته ولكن المسلمين لم يقصروا في مخالفته في هذا الحكم فأخذوا عن النصارى والوثنيين كثيراً من البدع والتقاليد وصبغوها بصبغة إسلامية وهي التي كانت سبب ضعفهم في دينهم الذي هو أمضى سلاح بأيديهم كما قال وحكمت غيرهم فيهم فالامر على ضد ما زعم .

(٦) قال الألماني: امتاز الاسلام بفتوحات سرية قاسية تدل على شهامة العرب والترك وتصعبا وخضوعهما للأقدار وكان لهذه الفتوحات تأثير في أوربا فقد استمر حكم العرب في الجنوب الغربي منها (اسبانيا والاندلس) سبعة قرون وحكم الترك في الجنوب الشرقي ستة قرون ولم يستطع الترك ولا العرب إيجاد رابطة بينهم وبين الامم التي أخضعوها :
وتقول ان التاريخ لم يعرف أرفق وألين من فاتحي المسلمين حتى قال أحد فلاسفة الافرنج فيهم وفي دينهم: « ان شعوب الارض لم تر قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد » : (راجع ص ١٠٠ من كتاب الاسلام والتمرية) . أخطأ في نسبة القسوة الى المسلمين في فتوحاتهم وأصاب في وصفها بالسرعة ووصفهم بالشهامة والخضوع للأقدار ولكن مع العمل والاخذ بالاسباب التي لا يجوز التوكل والاعتماد على القدر عندنا الا بعد استيفائها . ومن البلاء ان هذه المزية العظيمة قد ضعفت بعض الضعف في المسلمين يدعة الحير التي فشت فيهم وروجها لابن سمرقانت الصوفي من مدعي الصلاح ومن الذين يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ومع هذا كله لا يزال المسلمون في مجموعهم أشجع الشعوب وأشدّها شهامة وسيهدون الى أن التوكل يشترط فيه الاستعداد فاذا استعدوا كما يجب يعود اليهم بفضل الله تعالى ما فقد منهم

وأما زعمه : انه لم يستطع العرب ولا الترك إيجاد رابطة بينهم وبين الامم التي أخضعوها : فهو زعم باطل على إطلاقه فان العرب قد حولوا لغات الامم التي فتحوا بلادها الى لغتهم بدون إكراه ولا قهر ولا مدارس سياسية كما يفعل الافرنج وهذه قدرة على عمل عجزت عنه الدول الاوربية والرومانية قبلها ورابطة اللغة من أقوى الروابط بين الامم. هذا هو أثرهم فيمن بقي محافظا على دينه في البلاد التي فتحوها والكتاب يعلم ان أكثر الشعوب التي استولت عليها العرب قد دخلت في دينهم فالمجوسية نسخت من بلاد الفرس والنصرانية قل أتباعها في مصر وسوريا ولم يكن ذلك قهرا ولا إكراه بل كان المسلمون يدخلون البلد ثم يتركونها لأهلها ويقيمون فيها حامية قليلة تدافع عنها من يستدي على أهلها ان كان هناك خوف وقرّ الناس على دينهم وعاداتهم ونجمل أكثر العمال منهم ولكنهم كانوا يجذبون للشرذمة التي تكون عندهم مجاذبة الحق والعدل والنصبة فيها فيتبعونها في الدين واللغة عن رغبة واحتيار. اما الترك فقد عجزوا عن مثل ذلك لان سهمهم من الاسلام وأركانها الثلاث كان دون سهم العرب، وما كان للأعجمي المقلد ان يفهم من الكتاب والسنة ما يفهمه العربي المتجهد لاسيما بعد ظهور البدع . ومع هذا كله كان الترك أكثر رقا بالشعوب التي يفتحون بلادها من سائر الفاتحين وقول الفيلسوف السابق يشملهم (للردقية)

﴿ الامر الصغير الكبير ﴾

لقد مضت ذرعا من أمر صغير ، ولكنه على صفره كبير ، فهو كالبعوض أو كالبق يضجر منه الكميّ البازل . ويضيق عنه حلم الحكيم الفاضل ، ذلك الامر الذي أعياى علاجه . وعمي على طريقه ومناهجه . هو إفهام الكثيرين من قراء المثار ان إدارة المجلة لا ترسل لاحد ما يطلبه من الاجزاء المفقودة الا اذا أرسل مع الطلب قيمة كل جزء قرشان ونصف قرش (٢٥ مايا) لا يستثنى هذا الحكم أحد ولا يقبل تأجيل الثمن ليرسل مع قيمة الاشتراك وانما يستثنى طاب آخر جزء اذا علم بصدوره المشترك ولم يصل اليه وكذلك الجزء الذي قبل الاخير بهذا الشرط

كتبنا هذا غير مرة وجعلنا له (اعلانا) ثابتا في غلاف المجلة وكل هذا لم يفن شيئا فان الرسائل تتبع الرسائل من المشتركين في كل بلد هذا يطلب جزءا وهذا يطلب أجزاء وهذا يقول ان المجلة لم ترسل اليه منذ شهر أو شهرين وذلك يعترف بأن العدد قد فقد بصد وصوله ويطلب ان يرسل اليه مرة ثانية من باب الكرم والتفضل وذلك بعد بأنه سيرسل نحن ما يطلبه أو سوف يرسله مع قيمة الاشتراك « ان شئنا »

ولكن الذي نشاء وتكرر طلبه وهو ان ترسل قيمة الجزء أو الاجزاء المصلوبة سفلا فلا يكاد يوجد واحد في المئة يقوم به

إننا لم نعرض هذا الثمن طمعاً بالكسب فان مئة جزء ثمنها مئتان وخمسون قرشاً ليست من مواضع الطمع في الكسب بل هي لاتنافي الخسارة فان الجزء الواحد يرسل الى المشترك مرة ثانية قد تخسر به مجموعة سنة كاملة فهل السماح بخمسين قرشاً في مقابلة قرشين ونصف قرش يعد من الطمع وحب الكسب ؟ كلا إن الحرص على الكسب كان يجب ان يقضي علينا بأن لانسبح لاحد بشئ من الاجزاء التي يفقدها وله ان يرضى بتجديد مجموعة السنة ناقصة وان يشتري مجموعة كاملة بخمسين قرشاً

انما فرضنا الاجزاء المفقودة ثمناً لعلنا بأن الاكثريين يستقبلون على قتله فيحملهم ذلك على الحرص على الاجزاء ان تضاعف . ولا أقول ان استقبال الاكثريين له من البخل والشح بل أقول ان منهم من يمدد مخالفاً للذوق ومنهم من يستقبله لغير ذلك من الاسباب وقليل في المصريين من يحرص عن القرش أو القروش فيما وافق ذوقه ومشر به اننا لنشك في أن أكثر طلاب الاجزاء يطلبون ثانياً ما أرسل اليهم أولاً وقد قدم عندهم بعد رؤيته أو قبلها فأتا قد علمنا بالبحث والاختبار ان بعض المشتركين لهم أصحاب حريصون على قراءة المثار ويتناولون الجزء قبل ان يصل الى يد صاحبه ولذلك ترى الاكثريين تمر عليهم السنون ولا يدعي أحد منهم أنه فقد جزءاً واحداً . وقد يكون سبب فقد الاجزاء اما انتقال المشترك من بلد الى آخر من غير ان يخبر ادارة المجلة بذلك لتغير عنوانه . ومما لاحظناه بالتجربة أن أكثر المطالعين يدفع قيمة الاشتراك يدعون ان المجلة لاتصل اليهم بالاطراد وأنه ينقصهم أجزاؤها . وقلما نجد أحداً من الذين عرفناهم يحسن المعاملة يدعي هذه الدعوى . هذا واننا لنبري ادارة البريد من بعض الاحمال ولا نبري ادارة المجلة من السهوى بعض الاحيان ولكن السبب الحقيقي في كثرة الطلب هي ما قد تنا . واذا ظلت الحال بعد كتابة هذه المجلة التي كتبناها كارهين كما كانت قبلها فانا نضطر الى منع بيع الاجزاء للشركيين كما تنال انبيهاً من سواهم وبعرفهم بأننا لا نقبل طلباً الا ممن يدعي ان الجزء الاخير لم يصل اليه أو ما قبله لاخير بشرطه السابق

ومن العجائب ان الذي كان يتولى تجهيز المثار وإرساله في البريد في الغد نادى وأوائل هذا العام كان يرسل الى نحو خمسين مشتركاً نسختين من كل جزء . وبم يسمح لهم منهم ما رجاء الزائد الى الادارة الا ان اثنين منهم وأكثرهم لم يدفعوا قيمة الاشتراك فأنهضهم بالذمة والامانة ان يردوا ائزاد عن حقهم اليها ولهم الشكر منا والسلام

المسحاة

١٣١٥

فمنسري عادي الذين يستمعون القول
فيتوبون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خير كثير وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان لا سلام سوى و«منارة» تشار الطريق)

(مصر — الجمعة غرة رمضان سنة ١٣٢١ — ٢٠ نوفمبر تشرين الثاني سنة ١٩٠٣)

باب الاخبار النبوية

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم « الصيام جنة » أي وقاية رواء الامام أحمد
والنسائي عن أبي هريرة والترمذي عن معاذ ورواه مع ابن ماجه عن عثمان بن أبي
المصنف بلفظ « الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال » وفي رواية للنسائي والبيهقي
عن أبي عبيدة « الصيام جنة مالم يخرقها » وزاد الطبراني في الاوسط « بكذب أو غيبة »
وقد روى الحديث غيرهم من طرق أخرى . وللعنف ان الصوم سبب للوقاية من النار
كجنة تكون سببا للوقاية من الطعن والضرب مالم يخرق . وانما كان الكذب والغيبة
وهي ذكر الناس بما يكرهون ان يذكروا به خارقين لجنة الصيام لأن الترض من
الصيام تعويد النفس على ترك المعاصي والشهوات المحرمة فان من ترك المباح له في الاصل
كأكل والشرب والملاسة الخاصة بينه وبين امرأته وهو متمكن من فعل ذلك في
كل وقت يئن له وانما يترك امتالا لأمر به وعلا بما فرضه من وسائل تأديبه فان جديرا
بأن يتمكن من ترك المحرم عليه في الاصل اذا اشتى ان يصيب منه . فالصيام يزيد في
الايان بالله تعالى لان هذه المباحات التي يجب تركها فيه هي التي يحتاجها الانسان دائما
وتعرض له في كل وقت فهو لا يتركها الا امتالا وهي تذكره في كل وقت بالله تعالى
فيزداد مراعاة له وثناءه فخالقه حتى تلك نفسه ويضبط نزاعه الشهوية بالتكرار الذي
ينطبع المنكبات في النفوس كما شرحنا ذلك في بعض المجلدات السابقة من المنار
سأني أحد الأفرح : من الصوم رمضان كنه فلا تقصر فيه جهرا ولا سرا فئات نعم أي أصوم
زددت عليه من صيام متعوع . قال : وهل تظن ان الله يكون سريورا بعبده

من ترك الأكل والشرب ويتناظ إذا أكلت ؟ قلت ان ديننا ليس كالدين الذي تعرفها يحمل العبادة تمديدا للفس زعم أن الله يحب ان يخرج تقوس الناس ويستهم كما يفعل الملوك الظالمون وإنما يعلمنا ديننا بأن الله تعالى لم يجعل علينا في الدين من حرج وعين علينا بأنه لو شاء لأعنتنا ولكنه لم يفعل لانه أرحم بنا من آباءنا وأمهاتنا ويرشدنا الى انه ما فرض علينا شيئا الا لمنفعتا وما حرم علينا شيئا الا لانه يضرنا وقد ورد في الحديث القدسي « يا عبادي ان تبلغوا نفي فتغنوني ولن تبلغوا ضري فتضروني » الخ فهذا الصيام نافع لنا لانه يربي لنا ملكة الحكم على احوالنا وشهواتنا فلا يصعب علينا مع هذا الملكة ان نترك المعاصي المضرة ...

قال : انا نعهد ان الذي يمنع من شيء يكون بعد زوال المنع اشد ولوعا وأكثر ضراوة به وإنني أعرف في بلادنا كثيرا من الناس ربوا أولادهم على المنع من القبايح كالسكر والزنا والقمار وما هو أهون من ذلك فلما زالت عنهم سلطة المنع كانوا أشد الناس انغماسا في الشهوات ، وأكثرهم ارتكابا للموبقات : قلت نعم ان هذا أمر طبيعي فان الذي يمنع بالقهر والالزام عما يحبه ويشتهي ، يزدا دميلا اليه وجبا فيه ، وقد قال الشاعر العربي :

منعت شيئا فأكثرت الولوج به أحب شيء الى الانسان ما منعنا
وامكن المنع من الأكل ونحوه في الصيام ليس منع قهر ونحكم وإنما هو إمتناع
اختياري عن اقتناع واعتقاد بأنه خير ونافع وسبب من أسباب السعادة ولولا ذلك لما
صام الصائم إذ يتمكن كل أحد من الإفطار سرا اذا كان يستحي من الناس ان يفطر جهرا .
ولهذا المعنى كانت تربية القسوة والقهر ضارة ومفضية الى الانساد وكانت التربية الدينية
الاسلامية المبينة على الاعتقاد والاقتناع هي التربية النافعة التي لا تضر فيها ، وانا نرى
الاولاد الذين يربون بالقسوة والحكم القاهر أذل الناس تقوسا وأفسدهم أخلاقا وكذلك
ترى تأثير الحكومات المستبدة القاسية في الرعية تفسد بأس الامة وتهبط بأخلاقها
وآدابها الى أسفل سافلين . وقد لاحظ الفيلسوف العربي ابن خلدون هذا المعنى فعقد
له فصلا في مقدمته واستشهد له بانكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عني سعد ابن
أبي وقاص قائد جنده في حرب الفرس معاملة أحد الشجعان بالقهر حين أخذ سلب
قتيلاه قتله بدون اذنه ، واحتج عمر على سعد (رضي الله عنهما) بأن ذلك يفسد بأس ذلك

الشجاع ... قال محدثي بعد تمام الحوار ان كل ما ذكرته صحيح
وأزيد الآن وأن أطلت في شرح الحديث بما ليس من موضوع الصوم عبارة بن خلدون
في المثال الذي أوردته قال بعد ذكر عزة الذين يباسون بالرفق والعدل : وأما اذا
كانت الملكة وأحكامها بالقهر والسطوة والاختافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب
المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كما نبينه . وقد نبى عمر سعدا
رضي الله عنهما عن مثلها لما أخذ زهرة بن حوية سلب الجاثوس (سلب القتل بالحريك
مامعه من سلاح وغيره) وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفا من الذهب وكان أتبع الجاثوس
يوم القادسية فقتله وأخذ سلبه فأنزعه منه سعد وقال له : هلا انتظرت في اتباعه اذني:
وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر : « نعد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى
به وبقي عليك ما بقي من حريك وتكسر فوقه (*) وتفسد قلبه » ، وأضى له عمر
سلبه ثم انتقل ابن خلدون الى بيان كون الاحكام الشرعية لا تذهب بالبأس والمنفعة لان
الوازع فيها نفسي ونقل عن عمر أنه قال ، « من لم يؤد به الشرع لأاد به الله » ، جرجا
على ان يكون الوازع لكل أحد من نفسه .

(٢) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه
الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال اين الصائمون فيقومون فيدخلون
منه فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه أحد » : رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن سهل
ابن سعد . وقد فسر بعض أهل البصرة الحديث وأمثاله بأن المراد بأبواب الجنة أصول
الطاعات ومجامع الخير وكأنهم أخذوا هذا من حديث الطبراني عن سهل أيضا : لكل
باب من أبواب البر باب من أبواب الجنة وان باب الصيام يدعى الريان : وتسميته
بالريان يشير الى ذلك . واستدل عليه الشيخ محي الدين بن عربي في فتوحاته بحديث
ورد في أن أبا بكر يدخل الجنة من أبوابها كلها وهو لا يقبل الا بهذا التفسير

(٣) وقال (ص) قال الله تبارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي
وأنا أحزي به : والصيام جنة ، واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وان

(*) الفوق بالضم مشق رأس السهم حيث يقع الوتر وهو اذا انكسر تنذر الربى به والمراد
بكسر الفوق إفساد البأس وإضفاف النفس ، والفوق أيضا الحظ السكاه من النبي

سأبه أحد أو قاتله فليقل أتى امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لحولف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . ولا صائم فرحان يفرحهما - إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه ، رواه الشيخان والترمذي من حديث أبي هريرة . ومعنى « كل عمل ابن آدم له » أن لكل طاعة من الطاعات لذة يجدها من أقام تلك الطاعة فالصلاة من لذة المناجاة الله تعالى ما ليس لغيرها ، وواقه أن البكاء فيها ، فهو الذي عند الخاشعين من الضحك في سواها ، فياحسرة على من حرم منها . وللزكاة لذة التفضل وعزة الغنى والسيادة ، ولتأسك الحج عمل في تحريك الشهور الديني ، والتوجه إلى العالم الروحاني ، يشترك فيه الجاهل بأسراره مع العالم بها ، ولذلك ترى العوام يتخذون إليه كالخوادم ، ولا يوجد مسلم الا وهو يحسن إلى تلك المعاهد خنين الطير إلى أوكارها ، وهذه اللفة معطرة فيما عدا الأركان من أعمال البر الا الصوم فإنه ترك لالفة ولاحظ للنفس فيه لأنه أمر عديم وأثره الوجودي هو الاثم ، فهو جدير بأن يتولى الله تعالى ثوبه صاحبه بريقة نفسه في الكمال والتعذيب حتى يلقاه بقلب سليم ، ويستحق جنات العيم ، وقد مر تفسير كون الصيام حنة في شرح الحديث الاول

والرفق النبي عنه هو الأفضاء إلى النساء الذي يكون بين الزوجين وقبل هو الكلام الفاحش لأن ترك الاول مما لا يتحقق الصيام الا به . والصعب (بالتحريك) الصوت الشديد واختلاط الاصوات . وكيف لا يكون ترك الفحش والصخب والتساب وسائر المعاصي من مهمات آداب الصوم او شروطه مع أنه لا يتحقق الا بترك المباح الذي لا يفسد فيه وهذه الاشياء من أقبح القبايح ، ولقد أحسن حجة الاسلام في تمثيل من يترك الاكل والشرب والمباحين ويفعل المحرمات بمن يني قصراً ويهدم موصراً ، وخولف الفم تغير رائحته من الصيام والكلام كناية عن كون هذا التغير الذي يعرض للصائم ومن شأنه أن يكون مكروهاً عند الانسان هو محمود في حكم الله تعالى مرضياً عنده من عبده لان أثره نافع له في تهذيب نفسه الذي هو أساس سعادته . وقيل ان ذلك يكون في الآخرة حقيقة وورديه حديث . وأما « فرحان » فمرهما تظاهراً فالفراحة عند الإفطار مسروقة لجميع الصائمين وهي ليست جنسية محضة بل هي روحانية جثمانية فإن الإصابة من الطعام المباح للمنهي بعد الجوع يصحها الله ، والرفق بالنبي في تأنيبه بالعبادة ورجاء الرضوان الالهي ولذلك تولى الطعام

رمضان شأننا لا نجده لغيره في أوقات الجوع التي تعرض لنا في غير الصيام مما يزيد عن الجوع بالصيام . وأما الفرحة الأخرى فلا تعرف حقيقتها إلا بالوصول إليها والله نسأل أن يسهل لنا سبيلها بالقيام بحقوق الصيام بحيث تهذب به نفوسنا وترتقي به أخلاقنا، وإن يهب لنا من فضله حقوق ما نستحقه بأعمالنا ،

(٤) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وهو يؤيد ما قلناه في شرح الحديث السابق

(٥) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه أحمد والشيخان وأصحاب الدين الأربعة عن أبي هريرة وفي حديث آخر « من قام » . وقد اتفق العلماء على أن المراد بالذنوب الصغائر أو الكبائر باعتبار تقييد التوبة ورد الحقوق إلى أهلها لأن هذا القيد معروف من أصل الشريعة المتفق عليه . ونقول أن الفقه في الحديث هو أن من صام شهراً بباعث الإيمان واحتساب الأجر على الله تعالى لا يمتنعى البادة وموافقة الناس في تغيير مواعيد الأكل يجعلها على الليل بدلاً من النهار فلا شك أن إيمانه يقوى ويزداد وقسه تنزك من آثار الذنوب التي يلزم بها المؤمن بسبب الغفلة عن الله تعالى . فيجمل بالصيام الذكرى محل الغفلة، ويشرق الثور في مكان النظام، وتمحو الحسنات، ما كان في النفس من آثار السيئات، فتحسن الحال، وتصلح الأعمال، فهذا هو معنى المغفرة لأن الغفر في اللغة هو السق والتغطية ولا يبلغ في ستر الشيء من أزال آثاره كإزالة الحسنات السيئات . ورواية « ما تقدم من ذنبه وما تأخره » ضيقة

(٦) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وضعت الشياطين » رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة . وأبواب الجنة هي الطاعات وأبواب النار هي المعاصي كما تقدم ولا شك أن هذه تفتح دون الصائمين وتلك تفتح أمامهم فيدخلون فيها أفواجا ، ومعنى « تصعد الشياطين » أنه لا يكون لها سبيل للوسوسة والاعواء لأن أبواب المصيبة والشهوات مغلقة لا سبيل إلى الدخول فيها . وفي رواية زيادة « وينادي مناد يابغي الخير هلم وبأغي الشر أقصر » وفي رواية أخرى « يبغي الشيء » أي يدهو والكلام كناية عن كون حال الصيام قهضي للمزيد في الخير والامساك عن

الثبر. وسمعت الاستاذ الامام قول: ان شهر رمضان لا يصالح فيه عمل الدنيا فينبغي للعبد ان يتخلى فيه لعمل البر ما استطاع: او ما هذا معناه. وقد روي في فضل رمضان احاديث كثيرة أكثرها من موضوع وضعيف وحسبك من الصحيح ما ذكرناه

﴿ فصل فيما يثبت به الصوم والقطر ﴾

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اني رأيت الهلال يعني رمضان فقال: «أتشهد ان لا اله الا الله؟» قال نعم قال: «أتشهد ان محمداً رسول الله؟» قال نعم. قال: «يا بلال أذن في الناس فليصوموا غدا» رواه الشيخان وأصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس. وفي رواية لأبي داود فأمر بلالاً فنادى في الناس ان يصوموا وأن يقوموا. وفي حديث آخر عند أبي داود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكتفى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام. وهو حجة على ثبوت الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربي بن خراش عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم أعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهلاً بالحلال أمس عشية فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس ان يفتروا. رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية: وأن يهد إلى مصالحهم:

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا فان غمّ عليكم فاقدروا له» رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر. وفي رواية للبخاري وغيره «الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غمّ عليكم فأكلوا المدة ثلاثين» وفي رواية لمسلم وغيره «الشهر هكذا وهكذا» وأشار بالعدد الى ٢٩ و٣٠ وفي لفظ للشيخين «صوموا رؤيته فان غيبي عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين» ونظائر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها. ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من بابي ضرب ونصر) وأقدره وقدرله. وغبي هنا بمعنى غمّ في الروايات الاخرى أي لم يظهر. والاحاديث نص في ان العبدة برؤية الهلال لا بحساب الحاسنين وتقويم المتجيمين وذلك ان هذا الدين طام للبدو والحضر فوجب ان تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين. غير مخصوصة بطائفة الحاسنين.

وجه في بعض الروايات « وانسكوا له » فواقيت الحج تعرف برؤية الهلال أيضا (٢٠) عن كريب بن أم الفضل بسمته الى معاوية بالشام (قال) فقد تمت قضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسأني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال : أنت رأيته ؟ فقلت نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية فقال : ولكننا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراء : فقلت : ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ قال : لا - هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . الاظهر ان المشار اليه بقوله « هكذا أمرنا رسول الله » هو قوله « لكننا رأيناه ليلة السبت » الخ فإنه هو المنطوق بالموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد برؤية أهل بلد آخر وهو غير مروي في المرفوع ولا هو صرح به فكنتني بروايت فالراجح اذاً أهل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة فقيل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بدت البلاد أو قربت . وقيل لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر الا اذا ثبت اعتدال الملم الاعظم فبلغه لان حكمه نافذ في جميع البلاد وقيل ان تقارب البلاد كان حكما واحدا وان تباعدت عمل كل برؤيته واختلفوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه العلمي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

وقول اذا اختلفت الرؤية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجع شهادة وباتهما الناس وجب ان يشهدوا عليها ولا يلتفتوا لرؤية الآخرين لينضبط الامر ولا يكونوا قسوى في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صاتهم وهذا مغلط . وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف المطالع القمر وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاميا يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لو ورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم بين البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي نختاره .

به الأحكام . وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو أن البلاد المتعصبة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها تصد بلاداً متقاربة ولا ينبغي أن يكون بعض أهلها مفطر وبعضهم سائم بحجة اختلاف الرؤية فإذا ثبتت الرؤية في بعضها يصوم الجميع والأحكام لو اعدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين وما يفتعلونه الآن في الاقطار الإسلامية من الإثبات في مكان وإعلام الآخرين به حسن في ذاته وغير حسن ما يحتج به من البدع . وأما البلاد التي لاصلة بينها قوة سهلة ولا تعامل بينها إلا بمهاجرة بعض أهلها من أحدها إلى الأخرى فلا بأس باعتبار كل ما ثبت عنده وأن تيسر إعلام كل قطر الآخر بفتاى البرق الذي يؤمن تزويره ، ولو كان للمسلمين إمام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم وتيسر له إعلامهم بما ثبت عنده من الرؤية وصاموا بذلك لكان له وجه من الحسن وأجبه قال ابن المساجشون

أحاديث في الوقف

نشر المقطم في الشهر الماضي مقالة بامضاء (عزيز خانكي) بحث فيها كاتبتها في الوقف والمحاكم الشرعية وزعم أن الوقف ليس من الدين الإسلامي في شيء واستدل على ذلك بعدم ورود شيء في مشرعيته في القرآن الشريف أو في السنة قال «الاحدينا واحدا في كتاب ابن ماجه» وقد كتبت نبذة في بيان نقض زعمه هذا نشرت في المقطم أيضا ذكرت فيها أنه ورد الوقف عدة أحاديث رواها الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه الذي اعترف به الكاتب دون غيره لعدم اطلاعه على كتب الحديث لأن الصحيحين أولى منه بالذكر إلا أن يكون أراد إيهام الناس أن الحديث محتمل للطعن فيه فإن في سقن ابن ماجه ما طعن المحدثون في استاده وعند ذلك يكون غير طالب للحق ولا مقرر له فأحسن ما يحتمل عليه زعمه أنه لم ير في الوقف إلا حديث واحد لابن ماجه هو عدم الاطلاع وليس هذا طعنا في الكاتب فإنه ليس عالما مسلما فعاب بعدم الاطلاع على السنة لاسيما في هذا الزمن وهذه البلاد التي قلما ترى في علمائها من يشتغل بالحديث . وذكرت فيها غير الصحيحين وأصحاب السنن ممن روى أحاديث الوقف قال ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني والطحاوي وابن جرير وابن عساكر

وقد بلغنا أن عزيز أقدي خانكي قد اعتمد في نفي ما عدا حديث ابن من أحاديث
 القمّيّ وقف على شيخ مسلم له هوى في ذلك وأنه عاد إليه بعد ما ردنا قوله وكله في ذلك
 فاجابه بأن الحديث واحد وهو مروي في جميع تلك الكتب . ثم رأيت بعد ذلك
 بمقالة أخرى في المنظم لدأود بك عمون الحنفي الشهير ذكر فيها مقالة عزيز أقدي
 وزعمه أنه لم يرد في الوقف الأحاديث واحد وذكر ردنا عليه وزعمنا أنه ورد عدة
 الأحاديث وكتب هنا هذه الكلمة (وإن لم يذكرها) فيظهر أن القوم يظنون أن الحجة
 تنهض له في عدم مشروعية الوقف إذا ثبت أنه لم يرد فيها الأحاديث واحد . والصواب أن
 مشروعية تثبت بحديث واحد إذا كان ثابتاً بحجج به وزيادة عدد الأحاديث لا يزيد الحكم
 مشروعية . وإنما ذكرت في الرد على عزيز أقدي خانكي أسماء المحدثين الذين روى
 الأحاديث الوقف وذكرت أن حديث عمر قد رواه أحمد والبخاري ومسلم ليان أن
 الحديث صحيح وإزالة توهم ضعفه بانفراد ابن ماجه به . ثم أن كون الشيء من أمور
 الدين لا يتوقف على ورود شيء فيه بخصوصه بل يكفي دخوله في بعض النصوص العامة
 ولذلك كان وقف أبي طلحة رضي الله تعالى عنه عملاً بموم قوله تعالى « لن تنالوا
 البر حتى تنفقوا مما نحبون » وكل عمل يعمل لأجل التقرب إلى الله تعالى يكون برّاً
 ويدخل في عموم النصوص التي لا مراض لها فهو من أمر الدين . ونذكر هنا بعض
 ما ورد في وقف أشهر الصحابة ومشروعية الوقف

(وقف عمر) عن ابن عمر أن عمر أصاب أرضاً من أرض خيبر فقال يا رسول
 الله أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمرني فقال « ان شئت
 حبست أصلها وتصدق بها » فتصدق بها عمر على أن لا يتبع ولا توهب ولا تورث
 في الفقراء وذوي القرى والرقاب والضعيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن
 يأكل منها بالمعروف ولا يطعم غير متحول . وفي لفظ غير متائل مالا - روى أحمد والشيخان
 وأصحاب السنن الأربعة . وفي حديث عمرو بن دينار قال في صدقة عمر : ليس على
 قولي جناح أن يأكل ويؤكل صديقاً له غير متائل : قال : وكان ابن عمر هو يبي صدقة
 عمر ويهدي للناس من أهل مكة كان يزل عليهم : أخرجه البخاري . وفي رواية له « تصدق
 أصلها لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق عمره » فما شرط عمر ما شرط إلا بأسره

صرح . وجاء هذا ايضا مرفوعا في رواية البيهقي . وفي رواية الدارقطني زيادة « حيس مادامت السموات والارض » فاشتراط هذه الشروط بأمر الشارع وإجازته دليل على أنها مشروعة وأنها من أعمال الدين . قال في منتهى الاخبار وفي الحديث من الفقهان من وقف شيئا على صنف من الناس وولده منهم دخل فيه . يريد أن ابن عمر من ذوي القربى على أن المراد بهم قرابة عمر الواقف وهو ما جزم به القرطبي وقيل أن المراد بهم من له الحق في الحس . والولي على الوقف هو ما يسمونه اليوم ناظر الوقف ، وفي رواية ابن أبي شيبة والمذني أن عمر أوصى به إلى حفصة أم المؤمنين ثم إلى الأكبر من ولد عمر - أي الأكبر فالأكبر وفيه أن الولاية على الوقف تكون بعهد من الواقف ولعل عبد الله وليه بإذن حفصة أو بعدها

(وقف عثمان) عن عثمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة (بالضم) فقال « من يشتري بئر رومة فيجعل فيها دلو مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة » فاشتريتها من صاب مالي : ذكره البخاري تعليقا ورواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وفيه جواز ارتفاع الواقف بوقفه العام . أخذ الترمذي ذلك من قوله « فيجعل فيها دلو مع دلاء المسلمين »

(وقف علي) عن عمرو ابن دينار أن عليا تصدق ببعض أرضه جملة صدقة بعد موته واعتق رقيقا من رقيقه وشرط عليهم أنكم تعملون في هذا المال خمس سنين . روى عبد الرزاق في الجامع . وعن أبي جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخرج في جيش فأدركته القائلة وهو ما يلي ينبع فاشتد عليه حر النهار فأنشأها إلى سمرة (شجرة السمرة) فلقوا أسلحتهم عليها وفتح الله عليهم فقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موضع السمرة لعل في نصيبه قال فاشتري بها بعد ذلك فأمر بمملوكيه أن يفجروا لها عينا فخرج لها مثل عين الجزور فجاء البشير يسى إلى علي فيجبره بالذي كان فجعلها علي صدقة فكتبها صدقة لله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله بها وجهي عن النار صدقة بنة بثلة في سبيل الله للقريب والبعيد في السلم والحرب واليتامى والمساكين وفي الرقاب . روى ابن جرير . وروى ابن عساكر عن أبي معشر قال كان علي بن أبي طالب اشترط في صدقة أنها لتؤتي الدين والنفل من

أ كابر ولده . ولعله يعني الولاية عليها

(وقف أبي طلحة) عن أنس أن أباطلحة قال يارسول الله ان الله يقول ولن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وان أحب أموالي اليّ يرحاء وأنها صدقة الله أرجو برها وذخرها عند الله فضمها يارسول الله حيث أراك الله : فقال دبح بـ ذلك مال رابع مرتين ، وقد سمعت ، أرى ان تجلها في الأفريق ، فقال أبو طلحة أفهل يارسول الله ، قسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه ، ورواها أحدو الشيخان . وفي رواية لما نزلت هذه الآية « لن تنالوا البر » إلخ قال أبو طلحة يارسول الله أرى ربنا يسألنا من أموالنا شاهدك اني جلست أرضي يرحاء لله : إلخ وفيه أنه جلها في حسان وأبي بن كعب . وفي رواية انه قال له « اجعلها في قراء أقاربك » ، و يرحاء بفتح الموحدة وسكون النحبة وفتح الراء تمدد قصر ومماها الارض المنكشفة

(وقف جماعة آخرين من أكابر الصحابة) روى ابن جرير عن محمد بن عبدالله القرشي قال : حبس عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبدالله دورهم : وهناك روايات أخرى للبيهقي في وقف أبي بكر وسعيد وعمر وابن الماص وحكيم بن حزام وأنس وزيد بن ثابت . وصح في وقف الثقول مر فوط أن خالد الحبسي ادراعه وأعتاده في سبيل الله أما الاصل في الحث والترغيب الصريح من الشارع على الوقف فقد ورد فيه حديث أبي هريرة المنهورة وقوله عليه الصلاة والسلام « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة أشياء صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، قال العلماء : ولو جاز بيع الوقف لما كانت الصدقة جارية بل لكانت منقطعة . وحديثه أيضا « من احتسب فرسا في سبيل الله إيماناً واحتساباً قان شبهه وبوله وروثه في يومئذانه يوم القيامة حسنة » رواه أحمد والبخاري وهو دليل على جواز وقف الثقول وقد فعله بعض الصحابة كما تقدم

هذا ما أردنا ان نذكره في توضيح الرد على من زعم انه لم يرد في الوقف شيء من الاحاديث الاحديث ابن ماجه في وقف عمر وقد ذكره مختصراً . ولوأردنا ان نذكر مذاهب العلماء وما استنبط من هذه الاحاديث من الاحكام ، لضاق دون ذلك المقام



﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(الوجه السابع والعشرون) : ان أقوال العلماء وآرائهم لا تضبط ولا تنحصر ولم تضمن لها العصمة الا اذا اتفقوا ولم يختلفوا فلا يكون اتفاقهم الا حقا . ومن المحال ان يحيلنا الله ورسوله على ما لا يضبط ولا ينحصر ولم تضمن لنا عصمته من الخطأ ولم يحم لنا دليلا على ان أحد القائلين أولى بأن نأخذ قوله كله من الآخر بل يترك قول هذا كله ويؤخذ قول هذا كله محال ان يشرعه الله أو يرضى به الا اذا كان أحد القائلين رسولا والآخر كاذبا على الله فالنقض حينئذ ما يستمد هؤلاء المقلدون مع متبوعهم ومخالفهم .

(الوجه الثامن والعشرون) : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وبدأ الاسلام فرييا وسعود غربا كما بدأ ، وأخبر ان العلم يقل فلا بد من وقوع ما أخبر به الصادق ومعلوم ان كتب المقلدين قد طبقت شرق الأرض وغربها ولم تتكسب في وقت قط أكثر منها في هذا الوقت ونحن نراها كل عام في ازدياد وكثرة والمقلدون يحفظون منها ما يمكن حفظه بمرورهم وشهرتها في الناس خلاف الغيبة بل هي المبرور الذي لا يبرقونه غيره فلو كانت هي العلم الذي بعث الله به رسوله لكان الدين كل وقت في ظهور وزيادة والعلم في شهرة وظهور وهو خلاف ما أخبر به الصادق .

(الوجه التاسع والعشرون) : ان الاختلاف كثير في كتب المقلدين وأقوالهم وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه بل هو حق يصدق بعضه ببعض وبشبه بعضه ببعض وقد قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوُجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ .

(الوجه الثلاثون) : انه لا يجب على المقلد ان يقلد زيدا دون عمرو بل يجوز له الانتقال من تقليد هذا الى تقليد الآخر عند المقلدين . فان كان قول من قلده أولا هو الحق لاسواء فقد جوزتم له الانتقال عن الحق الى خلافه . - وهذا محال - وان كان الثاني هو الحق وحده فقد جوزتم الإقامة على خلاف الحق وان قدم القولان المتضادان المتفاضلان حق فهو أشد حالة ولا بد لكم من قسم من هذه الأقسام الثلاثة .

(الوجه الحادي والثلاثون) : ان يقال للمقلد بأي شيء عرفت ان الصواب مع من تلذته دون من لا تقلده فان قال عرفته بالدليل فليس بمقلد . وان قال عرفته تقليدا له فانه اتقى بهذا القول . وان به وعلمه ودينه وحسن تراء الامة عليه يمنه ان يقول غير الحق . قيل له : انقصوم هو عندك أم مجوز عليه الخطأ ؟ فان قال بصحته أبطل وان جوز عليه الخطأ قيل له فإي يؤمنك ان يكون قد أخطأ فيما قلده فيه وخالف فيه غيره . فان قال : وان أخطأ فهو مأجور . قيل : أجل هو مأجور لاجتهاده وانما غير مأجور لانك لم تأت بموجب الاثر بل قد فرطت في الانباع الواجب فانت اذا مأزور . فان قال : كيف بأجره الله على ما اتقى به ويمدحه عليه ويذم المستغنى على قبوله منه وهل يعقل هذا ؟ قيل : المستغنى ان قصر وفرط في معرفة الحق مع قدرته عليه لحقه الذم والوعيد وان بذل جهده ولم يقصر فيما أمر به واتقى الله ما استطاع فهو مأجور أيضا . وأما المتعصب الذي جعل قول متبوعه عيارا على الكتاب والسنة وأقر بالصحابة زينها بها فما وافق قول متبوعه منها قبله وما خالفه رده فهذا الى الذم والعقاب ؛ أقرب منه الى الأجر والصواب ، وان قال : - وهو الواقع - اتبعته وقلده ولا أدري أعلى صواب هو أم لا فالهدة على القائل وأما حاك لا قوله . قيل له : فهل يتخلص بهذا من الله عند السؤال لك عما حكمت به بين عباد الله وأتبعهم به ؟ فوالله ان للحكام والمفتين لموقفا للسؤال لا يتخلص فيه الا من عرف الحق وحكم به وعرفه وأتقى به وأما من عداها فسيعلم عند انكشاف الحال انه لم يكن على شيء .

(الوجه الثاني والثلاثون) : ان تقول أخذتم بقول فلان لان فلانا قاله أو لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله . فان قلتم : لان فلانا قاله : جعلتم قول فلان حجة وهذا عين الباطل . وان قلتم : لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله : كان هذا أعظم وأقبح فانه مع قضيته للكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولكم عليه ما لم يقله وهو أيضا كذب على المتبوع فانه لم يقل هذا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد دار قولكم بين أمرين لانا لكهما . اما جعل قول غير المعصوم حجة . وأما تقويل المعصوم ما لم يقله . - ولا بد من واحد من الأمرين - فان قلتم : بل منهما بد وبقي قسم ثالث وهو اننا قلنا كذا لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم أمرنا أن نتبع من هو أعلم منا ونسأل أهل الذكر إن كنا لا نعلم ونزد ما لم نعلمه إلى استنباط أولي العلم فتحن في ذلك متبعون ما أمرنا به نينا . قيل : وهل نَدْنِدُنُ الا حول اتباع أمره صلى الله عليه وآله وسلم خيلاً بالموافقة على هذا الاصل الذي لا يتم الايمان والاسلام الا به فتناشدكم بالذي أرسله اذا جاء أمره وجاء قول من قلده عود هل تتركون قوله لأمره صلى الله عليه وآله وسلم وتضربون به الحائط وتحرمون الاخذ به والحالة هذه حتى تتحقق المتابعة كما زعمتم أم تأخذون بقوله وتفوضون أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله وتقولون هو أعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منا ولم يخالف هذا الحديث الا هو عنده منسوخ أو معارض بما هو أقوى منه أو غير صحيح عنده فتجعلون قول المتبوع حكماً وقول الرسول متشابهاً فلو كنتم قائلين بقوله لكون الرسول أمركم بالاخذ به وله قدم قول الرسول أين كان . ثم تقول في

(الوجه الثالث والثلاثون) وأن أمركم الرسول بأخذ قول واحد من الامة بعينه وترك قول غيره ممن هو أعلم منه وأقرب إلى الرسول وهل هذا الانسية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنه أمر بمالم يأمر به قط . بوضحه

(الوجه الرابع والثلاثون) . ان ما ذكرتم بعينه حجة عليكم فان الله سبحانه أمر بسؤال أهل الذكر والذكر هو القرآن والحديث الذي أمر الله نساء نبيه ان يذكرنه بقوله هو اذا كن ما تبسلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ، فهذا هو الذكر الذي أمرنا باتباعه وأمر من لا علم عنده ان يسأل أهله وهذا هو الواجب على كل أحد ان يسأل أهل العلم بالذكر الذي أنزل على رسوله ليخبروه به فاذا أخبروه به لم يسه غير اتباعه وهذا كان شأن أئمة أهل العلم لم يكن لهم مقلد معين يتبعونه في كل مقال فكان عبد الله بن عباس يسأل الصحابة عما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو فعله أو سَمِعَهُ لا يسألهم عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون أمهات المؤمنين خصوصاً عائشة عن فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن شأن نبيهم فقط وكذلك أئمة الفقه كما قال الشافعي لاحد يابأ عبد الله أنت أعلم بالحديث مني فاذا صح الحديث فاعلمني حتى أذهب اليه شامياً كان أو كوفياً أو بصرياً ولم يكن أحد من أهل العلم قط يسأل عن رأي رجل بعينه ومذهبه فيأخذ به وحده ويخالف ما رآه .

﴿خطبة منبرية﴾

نموذج من خطب الشيخ عبدالحق البغدادي الازهري امام وخطيب المسجد في المنارات في عجمي (المند)
الحمد لله الذي أعز من أطاعه وأذل من عصاه ، الحكيم الذي أنزل على النبي
الكريم كتابا من تمسك به فاز بالسعادة في دنياه وأخراه ، ومن أعرض عنه أخزاء وأرداه ،
ويثوب الهوان كسائه ، أحده سبحانه وتعالى وأشكره ، وأتوب اليه وأستغفره ، وأسأله
التوفيق للسمي والعمل ، والابتعاد عن الخوف والكسل ، وأشهد أن لا اله الا الله الواحد
الاحد ، المنزه عن الشريك والصاحبة والولد ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله
قام بأمر به خير قيام ، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا ظلمات الكفر
بنور الاسلام ، وسلم تسليما كثيرا (أما بعد فيأيتها الناس)

اعلموا ان السبق في ضمير الحياة الدنيوية لا ينال الا بالثابرة على العمل ، والسعي
الحثيث وتقوية الأمل ، والاتحاد والاتفاق ، والمحبة والوفاق ، والتكافل والتضامن ،
والتناصر والتعاون ، ولا يأتي التقصير والفشل ، الا من الضجر والكسل ، وترك الاسباب
والتمسك بشعرات الائتكال . وقصور النزائم في الاعمال ، والتباغض والتخاذل
والتحاسد . والتفرق والاختلاف وعدم التعاضد . الا وان الديانة الاسلامية ، والشريعة
المحمدية ، أمرت بالاشتغال للمعاش والمعاد ، وحثت على ترقية النفوس وتقوية الاجساد ،
وبينت مطالب الحياتين الدنيوية والاخرية ، ووضعت قوانين للمعمل لها واضحة جليلة ،
وقد رتبت حصول الدنيا على اقامة الدين ، والتمسك بحبله اللتين ، كاجبات أكثر أسباب
الفوز بالسعادة الاخرية ، موقوفا على إصلاح الحالة الدنيوية ، فلا ينال المسلمون في الدنيا
فلاحا وعزة ونجاحا الا بالدين ، ولا يحدون في الآخرة خير ارضوا ان الاصلاح
مزروعها ورب العالمين ، فقد دلت الآثار ، وافادت الاخبار ، ان المسلمين لما كانوا
متسكنين بالدين ، عاملين بالقرآن العظيم وستة خاتم النبيين ، اتفادت لهم الدنيا بأسرها ،
وأطاعتهم أمم المعمورة من عربها وعجمها ، قدوخوا الممالك ، ووطأوا بستانك خيولهم
معظم عواصم المعمور . وما استقروا في مكان الا مصر والامصار ، وشيدوا للمسلم
خير دار ، وأقاموا للمجد والسيادة دعاتهم ، وأحيوا للسياسة معالم ، ورفعوا للدين
النار ، فأنشأوا الاسلام طريق الانتشار ، فانتشر شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ،

باب السؤال والفتوى

(س ١) هل الدراسة عن طريق ترك الصوم - من تلميذ بمدرسة مسيحية في مصر :
 أرجوكم ان تتركوا اجابة سؤالى هذا لازال متاوكم ضياء المسلمين . وكبة السائلين :
 كنت السنة الماضية باحدى المدارس الاميرية وكنت استيقظ (في رمضان) الساعة
 ٨ ونصف واحضر من المدرسة وأتألم توا الى المغرب ثم أفطر واذاكر دروسى
 الى الساعة ١٠ وأتألم واستيقظ للبحور الساعة ٣ وأتألم ثانية الساعة ٥ واستيقظ صباحا
 الساعة ٨ ونصف وهلم جرا
 وأما في هذه السنة فاصبحت في مدرسة أهلية مسيحية وأريد ان اشتغل في دروسى
 زيادة عن المطلوب ولا يمكنى ان أقطع عن الحصة او بعضها لاننى اذا فعلت ذلك
 لا يمكنى الا ان أقطع التهاكله فاذا لازمت الطريقة التى كنت أفعلها وأنا فى المدرسة
 الاميرية تطلت عن المدرسة مدة شهر رمضان ونهايك بطة شهر للتلميذ فانا اذن
 ملزم بأن استيقظ الساعة ٧ واحضر من المدرسة الساعة ٥ تقريبا ولكنى لا أقدر ان
 أصوم مع الشغل طول النهار فهل يجوز لى أن أفطر ام لا يا مولاي
 (ج) ان أكثر المسلمين يعملون في رمضان من أول النهار أي قبل اشتغال
 المدارس بدروسها الى قيل المغرب فلا أرى ان السائل وقع في عمل شاق لا يستطيعه
 الشاب في هذه الأيام القصيرة المتتلة التي لأحر فيها ولا زمهرير وما هو الا أن عذته
 تغيرت بمض التغيير ولو كان رمضان في الصيف لكان تلاميذ المدارس الأميرية يشتغلون
 بالمدرسة مع مكابدة مشقة الحر في الصيف أكثر مما يشتغل بهم في المدارس النصرانية
 الآن ولا شك ان المسلمين منهم يصومون في الصيف كما يصومون في الشتاء . وأما
 بالمسلمين الذين عرفوا الاسلام وتربو عليه لا المسلمين الجفرايين ، الذين يمسدون
 في إحصاء الحكومة النصرانية تسع ملايين . وأرى انه عرس فاسل ومع من زيادة
 الدراسة عليه في هذه السنة ساعتين وتوهم ان سببهم من ذلك الجهد هو المشقة وأن
 هذا عذر يبيح الافطار ولا مشقة هناك تبيح تقصير في هذا العمل الاجتزالي الا ان
 يكون هناك ضعف أو مرض . واننى أرجو لله تعالى ان يعينه اذا غلب شبهه وعسى
 على وجهه وجرب وصام ، فلا يجهد من الجهد ما يتوهمه : لأن ،

(س ٢) سؤال الملكين - محمد اقصي حلمي كاتب سجون حلغا : هل يوجد حقيقة ملكان يسألان في القبر وما هي كيفية سؤالهم ؟
ورد في أخبار صحيحة ان هناك ملكين يسألان الميت بعد موته عن الايمان بالله ورسوله وان السؤال يكون بصيغة التشكيك مثل « ما تقول في هذا الرجل الذي بميت فيكم » ويسمى هذا السؤال فتة القبر ويسمى الملكان السائلان فتانا القبر . والفتنة مضاعفا الاحتبار . وقد حمل أكثر المسامين القول على ظاهره وأوله بعضهم كالمعتزلة . اما كيفية السؤال فلا يعرفها الا من عرّف حقيقة الملائكة والارواح المجرّدة ونكتفي بأن نقول انها أمور غيبية تنهى على التسليم كسائر أمور الآخرة التي يصبح النقل عندنا بها ولا حاجة الى تأويل ما لم يكن ظاهره مستحيلا عقلا ولا نكفر من أول الخبر وأخرجه عن ظاهره . ولا من أنكركم صحته اذا لم يكن متواترا معلوما من الدين بالضرورة .
وليراجع ما كتبناه في مسألة عذاب القبر في المجلد الخامس

(س ٣) كروية الارض - ومنه : هل يوجد دليل في القرآن الحكيم على ان الارض كروية ؟

(ج) ان الله تعالى أنزل القرآن هاديا للناس ومصلحا لارواحهم ومبيناهم ما يتعذر عليهم الوصول اليه بغير الوحي ولو انزله لبيان احوال المخلوقات لكان الوفا من المجلدات ولكن فيما يذكره تعالى في الاستدلال على قدرته وحكمته ما يفهم منه أن الارض كروية كقوله تعالى « يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ » وقوله تعالى « يُغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا »

(س ٤) ليلة نصف شعبان - ومنه : هل ورد في ليلة النصف من شعبان والدعاء المختص بها أحاديث صحيحة يعمل بها

(ج) ان اتخاذ هذه الليلة موسما من مواسم الدين من البدع الحادثة في القرون المتوسطة وهذا الدعاء ابتدعه أحد الجهال وما يقولونه في فضائل الليلة غير صحيح وقد رأيت في النبعة السادسة من رد شبهات النصارى على القرآن العزيز (في الجزء الثاني عشر) بيان خطأ القائلين ان ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي فيها قال الله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم » وإثبات ان هذه هي ليلة القدر المجهولة وان الامر الحكيم

هو أمر الوحي والشريعة لأنها اليلة التي نزل فيها الكتاب المين . وقد ذكرنا في الجزء الذي صدر في ١٦ شعبان سنة ١٣١٨ من (السنة الثالثة) بدع ليلة النصف من شعبان ومنكراتها وهي ١٥ بدعة وسادس عشرها الدعاء المعروف الذي لم ينزل الله به من سلطان . وذكرنا في موضع آخر من التاراجيع الصلاة التي يروون استحبابها فيها من البدع بإتفاق المحدثين والفقهاء ولا عبرة بذكر النزالي إليها في الأحياء بصيغة الضم فأنها مكذوبة لا ضعية .

وأمثل ماورد في ليلة النصف من شعبان حديث ابن ماجه عن علي « إذا كانت ليلة النصف من شعبان قوموا ليلا وصوموا نهارا » وهو حديث ضعيف إلا ان العباد عمنوا به من زمن طويل وأكثر الفقهاء على أن الضيف يعمل به في فضائل الأعمال المشروعة في جنبها لانه إذا لم يصح لم يكن العامل قد جاء بمنكر . وقد زاد فيه عبد الرزاق في مصنفه « فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مستزق فأرزقه : حتى يطام الفجر . قالوا : أي ينزل أمره أو ملك بأذنه

أورد في شرح الأحياء ماورد في شعبان من الأحاديث وقول المحدثين في وضعها واختلافها ثم قل ما نصه « وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في (العلم المشهور) : حديث ليلة النصف من شعبان موضوع . قال أبو حاتم محمد بن حبان بن مهاجر يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث أنس فيها موضوع أيضا لأن فيه إبراهيم ابن اسحق . قال أبو حاتم كان يقلب الأخبار ويسرق الحديث وفيه وهب بن وهب القاضي الكذب الناس : اه وقال الثني السبكي في (تهذيب التراجيع) الأجتماع الصلاة ليلة النصف من شعبان والصلاة الرغائب بدعة مذمومة : اه

وقال النووي : هاتان الصلاةان بدعتان موضوعتان منكرتان فيعتان ولا تفتقر بذكرهما في كتب القوت والأحياء وليس لأحد أن يستدل على شرعيتها بقوله صلى الله عليه وسلم « الصلاة خير موضوع » فان ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من أوجوه . وقد صح النبي عن الصلاة في الأوقات المنكروحة . اه قات وقد ذكر الثني السبكي في تفسيره ان إحياء ليلة النصف من شعبان بكفر ذنوب السنة وإزالة الجحمة تكفر

ذنوب الأسبوع وليلة التقدر تكفر ذنوب العمر. اه
وقد توارث الخلف عن السلف في إحياء هذه الليلة صلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة منها بآلة تسعة مرة والاختلاص ست مرات وبعد الفراغ من كل ركعتين يقرأ سورة (يس) مرة ويدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف ويسأل الله تعالى البركة في العمر ثم في الثانية البركة في الرزق ثم في الثالثة حسن الخاتمة وذكروا أن من صلى هكذا بهذه الكيفية أعطى جميع ما طلب وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية ولم أر لها ولا دعاها مستدا صحيحا في السنة إلا أنه من عمل المشايخ وقد قال أصحابنا أنه يكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي المذكورة في المساجد وغيرها. وقال النجم الغيطي في صفة إحياء ليلة النصف من شعبان بجماعة إنه قد أنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز. منهم عطاء وابن أبي مليكة وفتحاء أهل المدينة وأصحاب مالك وقوا ذلك كأبدعة ولم يثبت في قيامها جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه شيئا واختلف علماء الشام على قولين. أحدهما: استحباب إحيائها بجماعة في المسجد ومن قال بذلك من أهل التابعين خالد بن معدان وعثمان بن عامر وروافقهم اسحق بن راهويه. والثاني: كراهة الاجتماع لما في المساجد للصلاة وإليه ذهب الأوزاعي فقيه الشام ومقتبهم. اه
يسمى قوله (أصحابنا) الخفية. وإذا اتفق بعض عباده التابعين إحيائها وزاد عليهم المتأخرون دعاءا وسائر البدع التي ذكرها ابن الحاج في المدخل فهل ذلك يتأني كون صلاتها وكل ما يصلونها فيها بدعة مذمومة؟ كلاهما بدعة زائدة في بعضها جعلها شعارا دينيا
(شرح) صيام رجب - ومنه: هل ورد في صوم ثلاثة أيام من رجب أو أقل قول (ج) ورد في ذلك أحاديث موضوعة وواحة وقد ينال ذلك في المجلدين الثاني والثالث فلتراجع فيهما وربما سقنا تلك الأحاديث كلها في فرصة أخرى بالتفصيل
(س) التداوي بالحجر - ومنه: إذا أمر أحد الأطباء المسلمين مريضاً مسلماً بشرب مقدار من الحجر لأجل التداوي فهل يوجد مانع شرعي من ذلك؟
(ج) اختلف العلماء في التداوي بالحجر فتنه بعضهم مطلقاً وأجازها بعضهم بشرط أن لا يقوم مقام الحجر غيرها في ذلك. ومن عرف حكمة تحريم الحجر وأسبابه عان التداوي

الحقيق لا يتحقق فيه التحريم لانه لا يسكر ولا يضر ولا يكون سببا للعداوة والبغضاء ولا يصد عن ذكر الله ولا عن الصلاة . ولكن المؤمن انقي يبعد عن المحرم بقدر الاستطاعة كئلا يأنس به . وكمن من متدين سوات له نفسه شرب الخمر بجمحة التداوي مكاره لشعورها الخفي بالشهوة ولم يكن هناك حاجة حقيقية الى التداوي بالخمر الآن تكون كلمة يرمي بها فساق الاطباء : اشرب كذا لاجل تقوية المعدة : فيشرب الغرور فينتعش فيمتاد فيدمن فيكون من الفاسقين ، ويضيع الدين والدين .

(س ٧) المرور بين يدي المصلي . ومنه : هل المرور من أمام المصلي يبطل صلاته ويوجب عليه إعادتها وهل هو حرام أو مكروه كما شاع عند أغلب الناس ؟

(ج) ورد في الأحاديث الصحيحة الأمر بأن يصلي المصلي الى جدار أو سارية أو سترة ولو عسا يقرضها أمامه ليعلم أنه يصلي . وورد في أحاديث صحيحة النهي عن المرور بين يدي المصلي . والأمر بمدافعة المار لارجاءه حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم « لو يمر بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه » رواه أحمد والشيخان وأصحح الدين الأربعة وغيرهم وظاهر النهي والوعيد أن ذلك حرام . وفي رواية لا يخاري زيادة : ماذا عليه من الأثم : وقيد أكثر العلماء ذلك بالمرور بين يدي المصلي الى سترة وان من قصر في ذلك لا يجترم بترك المرور بين يديه وجوبا . والظاهر أن ذلك ممنوع على كل حال قصر المصلي أم لم يقصر . وما بين يدي المصلي هو ما بين موقفه وسجوده وهو نحو ثلاثة أذرع وقد أخذوا هذا التقيد من أحاديث وردت فيه لأجل هذا ذكرها

وأما قطع الصلاة وبطلانها إذا مر بين يدي المصلي ما فقد وردت فيها روايات في أشياء مخصوصة ونزاعها الجمهور ووردت في من بطلانها أن يكون بين يدي المصلي سترة مثل آخره الرحل . فينبغي للمسلم أن يصلي الى سترة وأن لا يمر بين يدي مصلي مطلقا (س ١٠) الصلاة بالتبطين — اسماعيل أفتي ليب . يحصر : نرجوكم الاجابة عما اذا

كان يجوز للمصلي الصلاة بقله (حيزه) أم لا وهل ثبت في السنة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محض العمل وإذا ثبت فهل كان ذلك للضرورة أو للتشريع ؟ هذا ما نرجوكم التفصيل بالاجابة عنه . يكون قولكم فصلا بيني وبين منأله آخره ٥٥

(ج) الصلاة في الثمانين جائزة بالاجماع وقال المحدثون وكثير من الفقهاء بأنها السنة فقد روى أحمد والشيخان (البخاري ومسلم) وغيرهم عن أبي مسلمة سعيد ابن يزيد قال : سألت أبا أسد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ؟ فقال نعم . وروى أبو داود في سننه وابن حبان في صحيحه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خالفوا اليهود قاتهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم الى المسجد فليتنظر فإن رأى في نعليه قدراً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما » وروى أيضاً من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « إذا صلى أحدكم فخلع نعليه فلا يؤذ بهما أحداً ليحصلهما بين رجله أوليصل فيهما » وروى أبو داود وابن ماجه من حديث صمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي حافياً ومتملاً » وروى ابن أبي شيبة بإسناده الى أبي عبد الرحمن الى ابن أبي ليلى أنه قال « صلى رسول الله عليه وسلم في نعليه فصرى الناس في نعالهم فخلع نعليه فخلعوا فلما صلى قال « من شاء أن يصلي في نعليه فليفعل ومن شاء أن يخلع فليخلع » قال الحافظ العراقي : وهذا مرسل صحيح الاسناد . وكان الصحابة عليهم الرضوان يصلون في نعالهم ولكنهم كانوا ينظرون قبل الصلاة فإن رأوا فيها نجاسة مسحوا بها الأرض حتى تزول عين النجاسة . قال ابن القيم قيل للامام أحمد يصلي الناس بنعالهم . وقال « إي والله » وروى أهل الوسواس إذا صلى أحدهم صلاة الجنازة في نعليه قام على عقبها كأنه واقف على الجمر : فلم من هذا أن كلامنا من الأمرين جائز فليفعل المسلم في كل وقت ما يكون أيسر له

(س ١٩) قضاء الفرض مع نية السنة - ج. ح. في قره طاغ (الجليل الاحود)

قد شاع أجبلكم الله في بلدنا هذا كتاب (نجاة المؤمنين) بلسان التركية وهو من تصنيفات الحاج محمد أمين من علماء اسلامبول ونحن نجد فيه مشكلة ماسمئها من علمائنا السابقين ، ولا رأيناها في غير كتابه المسمى بنجاة المؤمنين ، فلهذا حصل لنا شبهة في صحة هذه المسئلة وهذه صورتها بالتركية

مسئله سنتلري قضائيتله قيلمق

جهلنك معلوميدركه فرض نماز لري ترك ووقتدن حيقارمق بيوك عصيان وقضايه قالمش نمازلري قيلمق فرضدر قيلمه ماس وتأخير بيوك عصيان وناقله عملري ترك ايتكم عصيان ذكلدر ويويان اتخاقدور

خصوصيله اوزرنده فرض قضايى اولو بده قضايي اجتزادن نافله نماز قيلسه قبول اوليوب نوابي اولماز رسولنرك قول شريني مجمع الفتاوى دن معلوم اولمشدر كنارى اوقويه لر ديمشدر وكناره هكداي: رجل عليه صلوة مفروضة لا يجوز له التطوع لان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقبل الله تعالى نافله حتى يؤدى الفرائض » مجمع الفتوى: وفي المضمرات: مثل ابن نجيم عن علي قضاء الصلاة قوى سنة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء عند قضاء فرض كل منهن هل يكون تاركاً للسنة أم لا ؟ فأجاب لا يكون تاركاً للسنة لأن المقصود منها ان تجدد صلاة في ذلك الوقت غير فرضه رغباً للشيطان وقد حصل: وفي التوادر قال هذا أولى بعد ما حصل هذا لانه رب رجل لا يقضي ما قامه من الفرائض ويصلي السنة فيستحق العذاب ولا يستحق العذاب لو ترك السنة انتهى من (عيون البصائر شرح الاشياء والنظائر) انتهى كناره زيد بش وقت نمازى اذى اداي ايدركن اوقات خه نك سنتلري قضاي قلان نماز لرينه تيمين ايدوب قيله قضايه قالمش نمازى اداى ايتش اولورمي؟ الجواب اولور. بوصورة مزبورده زيد قضا وسنت نماز لري نوابه نائل اولورمي؟ الجواب اولور. مضمراتك فتاوى سي بودر (ديمشدر) زيد اوزرنده فرض قضايى اولو بده قضايي قيلمق سنترلر قيلمسه عذابه مستحق اولورمي؟ الجواب اولور. بوصورنده سنترلر ترك ايلسه عذابه مستحق اولورمي؟ الجواب اولماز (توادرلك) فتاوى سي (عيون بصائر) دن. بوصور تدردمزيد سنترلر قضاي قيلمق مراد ايتد كده نه شكل نيت ايدو چكدر؟ الجواب نيت ايلهم اولوكى اوزر يه قالمش صباح نمازينه بو وقتك سننتي مقامه تكبير آله وسائر نماز لري دخي بو يله نيت ايدو. انتهى كلام الحاج محمد أمين في كتابه المسمى بنبجة المؤمنين .

نتعجب كيف يمكن قضاء الفوائت وأداء السنة بصلاة واحدة فينال الرجل

قضاء الفريضة الذي قاله ولا يكون تاركاً للسنة وكل ذلك بمعل واحد نعم ان الله على كل شيء قدير ولكن ماقولون انتم رحمكم الله في هذه المسئلة لان منا من ذهب الى العمل بقوله ومنا من لم يذهب وليس فينا عالم ليستيقظنا بجل المسئلة ولا كتاب كجمع الفتوى والوادر وغيرها ماذكره الحاج محمد أمين أقضى قال ان كاهو فرض عليكم في كل حين وأن ان تنبهوا العاقلين من اخوانكم المسلمين بتحليل المسائل الشرعية اينما كانوا أرجو توضيح هذه المسئلة في مناركم في أسرع وقت لاتأثرتظرون جوابكم كالبر وديتظر الشمس والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيديوا توجروا ثوابكم من عند الله الملك الدنان

(ج) ماذكره مؤلف كتاب نجاه المؤمنين وهو المعروف في كتب الحنفية وقد ثبت ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نام مع أصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وأعطهم حرها فصلاها بهم كما يصلها في وقتها - أذن بلال وصلوا وكفى السنة ثم صلوا الفريضة . والحديث في مسند الامام أحمد ومحيي البخاري ومسلم وغيرهما وهو يدل على ان السنن الاربعة تقضى وأنها تقدم على الفريضة . وهنا مسئلة أخرى وهي ان من قاتت فريضة بمذر كنوم ونسيان وجب عليه قضاءها قيل فورا وقيل على التراخي وقيل انها تسلى اداء ومن قاتت بشير عذر وجب عليه قضاؤها على الفور لا أذكر في ذلك خلافا . فاذا كانت هذه الفوائت كثيرة فلا معنى لصرف الوقت بالنفل الذي معناه الزيادة على الفريضة وكيف تحقق الزيادة بدون تحقق الشيء الزيد عليه . وكيف يصرف المكلف وقته في عمل لا يطالبه الله به بعد الموت ويترك فيه العمل الذي يطالب به ويعاقب على تركه ؟ هذا هو قههم في الاقتصار على الفريضة ولكننا قيدناه بترك الصلاة لغيره . واما الفقه في كونه يتاب على الفريضة ثواب السنة والفريضة جميعا فهو من حيث انية فقط كأن البعد بمخاطب ربه : يارب إني أصرف وقتي هذا كله في الإجابة اليك وقضاء ما فاني عا فرضت علي وان نفسي متوجهة الى الزيادة والنفل ولكنني بدأت بالأهم فأتبني على نيتي هذه بمصاعفة الأجر : وإذا كان الاصل في الثواب هو تأخير العمل الصالح في إصلاح النفس وترقية الروح فلا شك ان الزيادة بالنفل وهي صلاة السنة يكون لها أثر زائد على أثر الفريضة فلا يكون ثواب من صلى السنة كثر من ثواب من

وينبغي مع الفرض وقد توسط علماء الشافعية فقالوا ان السنن التي تتداخل ويستثنى بعضها عن الآخر هي التي لا تصدق ذاتها كسنة الوضوء وتحية المسجد فاذ توضحاً الانسان ودخل المسجد ووجد الامام منتصباً ونوى الفريضة مع سنة الوضوء وتحية المسجد كان له ثواب الجميع لانه أدى الفرض من السنتين فان المراد ان يصلي الانسان بعد كل وضوء وعند دخول كل مسجد وقد فعل . واما الرواتب ونحوها فلا بد عندهم من فعلها لتحصيل ثوابها لانها مقصودة بذاتها والحكمة فيها تكميل ما يكون من التقصير في الفريضة فاذا غفل انقلب في الفريضة عن الله تعالى دقيقة أو دقيقتين وحضر مثل هذه المدة في السنة كان ذلك جيراً للنقص وتكميلاً للفرض والله اعلم

اشار على البرسيه

في الهدايا والتفريظ

(النظام والاسلام) للشيخ طهطاوي الجوهري استاذ العربية في المدرسة الخديوية ولوح مزج النظافة والحكم الدينية ، بالكلام في محاسن الكون الطبيعية ، وقد ألف في هذا كتابه (ميزان الجواهر) و (جواهر العلوم) اللذين سبق لتأليفهما وبيان منزلة هذه الطريقة ثم كتب بعدها مقالات في ذلك جمعها محمد أقندي مسموود المحرو بالمؤيد وطبعها بمطبعة الجمهور فكانت كتاباً صفحاته نحو ٣٢٠ من القطع الطفيف . وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب ما نصه :

ولقد جداني شدة ولوعي وشوقي لمعرفة الكون ان جعلت اوقات الرياضة لصرف عن الفكر للتأمل في مصنوعات الله جل وعلا . فورا تلك اللذة على ما سواها بالبيع والفريضة فكانت اذا هبت اندجات في الخسوفات أو بين أغصان الاشجار ، أو غردت الاطيوار وسمعت خرير ماء الانهار ، مثل في من تلك الاصوات ، فحلى من مباحج تلك الانوار ، بهجة عالم وحكمة البديع ، بانتهر بحلى ، وأبدع منى ، ومن هذا كانت هذه الخواطر للودعة في هذا الكتيب الذي سميت (النظام والاسلام) ورتبته على مقدمة وثلاثة أقسام (القسم الاول) في جمال الكون ونظامه وميزانه اذ يتجلى لقاره كيف انتظم

التيات ووزن بميزان حقيقي ويفهم السر المكنون المبرع بالميزان في آيات كثيرة كقوله « ووضع الميزان » ونحوه وهذا قرن الاسلام بالنظام تذكيرا بأنه هو الذي أخذني الى النظر في هذه العلوم النظامية في الكون و (القسم الثاني) نموذج في كنية فهم قصص القرآن الشريف وما المقصود منها كسورة يوسف وسورة سليمان عليهما السلام مما يتساءل عنه الدارسون للعلوم المتشوقون للاطلاع وكيف تدعو تلك القصص الى الملاينة والنظام حكممة سليمان وآداب يوسف الخلفية ليزداد المؤمن يقينا ويوقن الشاكون من اخواتنا الشبان المسلمين (القسم الثالث) فيما يجب على الملوك والرؤساء والعلماء والحكام ودعاة الامة والخطباء من الآداب العامة الكافلة لنظامها كما انتظم الكون أجمعه بالتوازيات العالية والملائكة الصافين والكتاب يطلب من طابعه وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة

﴿ واقعة السلطان عبد العزيز ﴾

سبق لنا القول في مقالات (الترك والعرب) بأن اخواننا الترك قد سبقونا في هذه الايام بالاشتغال وتحصيل العلم ومن جهة مزايهم العلمية تدوين تاريخهم على الطريقة الحديثة في تأليف التاريخ وهي بيان الحوادث بعلاها ونتائجها وبيان العبرة فيها . ومن الكتب الحديثة في ذلك كتاب (واقعة السلطان عبد العزيز) وضعه باللغة التركية أحمد صائب بك الكاتب التركي المشهور في مصر وبعد ان طبع بالتركية عربيه محمد توفيق أفندي جانا وطبع بالعربية . وقد مهد المؤلف للكلام في السلطان عبد العزيز تمهيدا بين فيه ما توجه إليه السلطان سليم الثالث من إصلاح الخلل الذي طرأ على الدولة العثمانية من أول القرن الحادي عشر (الهجري) وما وضعه لذلك من القوانين والقواعد الوافية بذلك ثم ما قام به بعده السلطان محمود من اصلاح الجيش ووزللة التتاليد الزمنية بتغيير زي رجال الدولة في البوس ثم ما وضع على عهد السلطان عبد المجيد من قواعد المساواة بين الرعية . ثم بين أن كل ذلك لم يؤثر في نهوض الدولة تحت أقطابا لسبيين احدها معارضة الروسية للدولة وثانيهما إهمال المعارف . ثم تكلم عن أحوال الباب المالي في عهد السلطان عبد العزيز وعن صدور العظام في زمنه والاسراف والثورات الداخلية في عهده وبين بعض فضائل فؤاد باشا ومالي باشا أعظم صدور الترك في هذا العصر

(رحمهما الله تعالى) وما نشأ به من أمور الإصلاح. ثم ما قام به محمود نديم باشا الداماد من التخريب والهدم لكر حصار أقيم ودكن بني خدمة الروسية ثمين في فصل آخر سوء حال الإدارة في أم آخر مدة السامان عبد الله يزاي مدموت غلي وفؤاد وفي الكلام عن تربية أولاد الأسرة المازكة وعن حدارة مدحت باشا وخدمة حسين عوني باشا العسكرية وعن أحوال نمانية ومن ذلك إن الدولة اقترضت في مدة إحدى عشرة سنة ٤ مائات و ٥٧١ مايو و ١٠٠ ألف فرنك ثم تكلم عن سعي اغتاييف سفير الروسية في الاسانة ناسيلة السلطان بمساعدة محمود نديم باشا ونجاحه في ذلك وعن الخلل الذي سرى في الدولة بدخاأس هذا السفير البارع الصادق في خدمة دولته وعن تأليب هؤلاء النمانيين لذلك وعن المطمحيات والجماند والمطامير وتألف حزب النمانيين الاحرار وأولهم الامير مصطفى فضل باشا المصري وعن انقصر الساطني وحال النساء في وعين تكبير السلطان عبدالعزير وعناظمه وعن سوء استعمال الامتيازات التي منحت لمصر وغير ذلك. وبعد ذلك كله انتقل الى سعي مدحت باشا في مقاومة هذا الاستبداد وظفره أخيراً بفتح السلطان وتولية السلطان مراد

من قراء الكتاب لا يشك في ان الكتاب مشحون بالمدح ومحامض لدولة وجنفسه وقد انتقدنا احتضاره الذي قضى ان يكون سرد الحوادث والوقائع فيه قليلا اما التعريب فسهل منسجم ولكن فيه غلطا كثيرا لا يجوز على العارفين وثمن النسخة منه عشرة قروش وهو يطلب من ادارة جريدة «شوراي» امت بصر

﴿مرآي الأمة القبطية﴾

انتقد شاب قطري رؤساء الدين في ملته بمقالات نشرها في جض اخر لند انيوميسة ثم رأى ان يجدها عليها ويطلع ذلك كله ويورد عنه مسائل مثالية ينفاني عليها (البذات) وقد صدرت النبعة الاولى منها فلم عسا كتب عن غلافها أن سيكون مجموعها ١٢ نبعة وقد قرأناها فلمنا أن هناك شيئا حقيقيا بأن يتدنى منه وليس لأماننا الحكم في جزئيات هذه الشكوى وانما ننظر في هذه المسائل نظراً عاماً فنقول ان انتقاد نابعة الأمة لتقاليد الرؤساء وتصرفهم هو من سلامات الحياة فيها وان تلقى الجماهير لهذا الانتقاد بالامتحسان والقبول دليل على ان اجبته

متذكرة ومقابلتهم إياه بالسخط والاستهجان من أمارات ضعف الحياة وإن لنا في نهضة القبط الحديثة رأيا تنشره في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى . وغن النبذة من هذه النبذة نصف قرش وهي تطلب من المكتبة الشرقية ومن كتابها توفيق أفتدي حبيب

﴿ مضار الزار ﴾

الزار بدعة من أقبح البدع التي تمحدثها الزعات الوثنية والاعتقادات الخرافية كاعتقاد دخول الشياطين في أجسام الناس واحداث الأمراض فيها وتماصها عن الخروج منها إلا بأسرار الشيوخ التي تستجد بها شبيخة الزار في حفلاته التي لا تعرف في غير هذه البلاد الموبوءة بالشيوخ والشيوخ والبدع والحرافات

كان العقلاء يمتقون بدعة (الزار) ، وأهل الدين يشكرون ما فيها من الأوزار ، ولم يكن الاكثر من يعرفون منها الا محلا من قبائحها ، ورموزا خفية من فضائلها ، لاشها من أسرار النساء المكتومة ، ومكايدهن المشتومة ، التي استبدن بها الرجال ، وأفسدن بها عليهم الدين والعرض والمال ، حتى شر في هذه الأيام عن ساعد الجد والاجتهاد الشاب النشيط محمد حلمي أفتدي زين الدين مترجم ديوان الاوقاف وكشف الحجب والاستار ، عن تلك الخبآت والاسرار ، فجمع الى ما اكتشفه بعض الناس من قبله ما لم يكتشفوه وأود ، ذلك كله في قصة سماها (رواية مضار الزار) بين فيها كيف تسهوي شبيخة الزار أفتدة النساء الى هذا العمل الذميم حتى تفنك بين الاوهام ، فتكا بدايته الامراض ونهاية الموت الزؤام ، وذكر في آخر القصة الاناشيد التي ينشدونها في حفلة الزار وهي جديرة بأن تكون قننة للنساء الجاهلات ومؤثرة في نفوسهن الضعيفة ، وعقولهن السخيفة ، وربما تنشرها اوغموذجا منها في باب السدع والحرافات من جزء آخر وقد طبعتم هذه القصة المفيدة على ورق جيد وغن النسخة منها نصف قرش فقط (النمار) جريدة اجتماعية اسبوعية يصدرها في الاسكندرية الشيخ شاهين الحازن والشيخ نسيم العاذار وغرضها الاول خدمة السورين والمدافعة عن حقوقهم والمنشأ أهل لذلك فيما نعرف عنهم والسوربون أجدر بالقيام بحقوق من يخدمهم فتمتني للرسيفة الجديدة ما تستحقه من الرواج والانتشار وقيمة الاشتراك فيها ١٣ فرنكا

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

الجامعة الدينية والوطنية

كتب اليانصيبنا نسيم بك خلاط من وجهاء طرابلس الشام ما يأتي (تأخرو وروده ثم نشره)
مولاي الحمد الهمام

أمسكت الكتابة عن سيدي امدأ كاد يكون في نظري دهرأ وأنا كما علمت بقمي
الشوق ويقعدني كل يوم اليه وذلك لاني كنت أسوف اللقاء وأعلل النفس بقرب الملتقى،
في ربوع ظللها الصفاء، ونحت سماء خلعت من أكدار الماذل والرقب، وكنت أقول
لنفس المشتاق: عنك ومشقة الكتابة مادام لك في مغامرة الارواح، ما يفي عن مراسلة
الاجاب، لكن وقد طال لهذا الآن الموعد خفت ان يحسب السكوت لدى مولاي ملالا
او نكرانا لجيله في تقيظ رحاتي في غربي أوربا جئت الآن وأنا في أعالي لبنان بين
رياض وغياض حيث لهواء بليل والمساء غداً أشواقى وأنتحه من خالص التبعة
ما ينفعني المكان من خالص التعم وأبدي اليه امتاني وأشهد القرطاس على شغفي
به واشتياقي اليه ولي فيما عدا ذلك باعث بحماني لو سمح سيدي ان أشرح له إعجابي
بما حواه مناره الأسفى من جلائل المواعظ القمين بها والمحتاج اليها أهل العصر عموماً
والاسلام خصوصاً فالك يا مولاي لم تأل جهداً في تقويم ما أعوج من افئدة العبادة
ولم ترهب من تقييع من شطوا فيها عن سواء السبيل حتى استفاك من الفوائد التراث أو
حادوا عن محجة الدين القويم فلا سد فوقك ولا ماش من يشنوك، انما لي عليك سؤال
عساك لاتستكر صدوره من عاجز مثلي يشفع به علم الجميع بانى لم أبغ عمري غير
تمكين الوثام وتوثيق الالفة وإعلاء منار الجامعة الوطنية لاني منذ بلوغى الرشد (اذا
كنت لآن رشدت) رأيت وخبرت ان مصيبة الشرق وبلادنا على نوع أخضر انما كانت
وتكون أباد الدهر في ظل المذاهب والاديان فلو أريد تسويد دين على آخر أو تعميمه وجمع
العالمين في كنفه ليم هناء الناس كآزم البعض لكان المطلب وعراً لأسباب جمة أخضها ما جاء
في نص دولو شام برك الخ وما علم بالاختيار الطويل العريض من ان الانسان حايض التخاذل

وولوع بالخلف وشتات الاراء وان من المستحيل اجتماعه على رأي واحد فيها سوى النظريات
فما معنى القول اذن بالجامعة الدينية وتحيل اعتبارها من الممكنات والاعراض عن الجامعة
الوطنية الميسورة والمشهود لها قديما وحديثا بانها داعية العمران ومصدر القوة
والحصارة

فن لي يمثل منارك المضي في ظلمات الافهام ان يزين للقوم فضلها ومنافعها ان يجهر بالقوله
« ان مارا في الوطنية » قطع النظر عن اختلاف الاديان ما يقوم بما أنزل الرحمن من وجوب
الالفه والصفه بين الناس والتساوي واحكام القسط بينهم وتكليفهم للذب يدأ واحدة عن
أعراضهم ومرافقهم وفيها إعلامشان من يحسن صنعاً ولو كان من أحطهم قوموا أخسهم محتمدا
تكن في منارك يامولاي فلت ما أنت أهله من الاحسان وكسرت قيود أطلما ان منها
الشرق فان أشئت ادراج كتابي أو ما خصه في منارك الاغر ولعل أظنك فاعلا رجوت الانتاد
اذ الاح لك تنقيه وكان لا تتادك بي من مكان » اه

(المتار) نذكر للصديق الفاضل وقاه ، وتحمل عليه نخده وثناءه ، ثم نشكر
له هذا النصح الذي تجلّى بلسان السائل ، وقلب الحب الخاص ، ولو كان الصديق
قرأ جميع أجزاء المتار واستقرأ ما كتبه في الجامعتين الدينية والوطنية لوجد فيه
جواب سؤاله ، أو العمل بنصحه وارشاده . ولا بد لي من كلمة وجيزة أقولها الآن

الجامعة الدينية لاتتافي عندنا الجامعة الوطنية بل تستنزهما كما أوضحنا ذلك في
مقالة عنوانها (الجنسية والدين الاسلامي) ولا يقصد الداعون الى الجامعة الاسلامية
ان يجعلوا جميع الناس مسلمين فيقال لهم محضون في نظر العقل ونص قوله تعالى
« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » واتهام يدعون المسلمين
الى العلم والمدينة الفاضلة التي لا خش فيها ولا فسوق ومجاعة غيرهم من أهل الملل في
قنون العلم والعمل فانهم على كونهم المنصم الأقوى في الشرق الأدنى قد أصبحوا
وراء جميع العناصر في هذه القنون ويحتج الاكثرون منهم على عداوة العلم بالدين
فوجب ان يحاجوا من طريق الدين . وأن يدعو باسم الدين ، فانه صاحب السلطان الأعلى
على نفوس هؤلاء المتخالفين ، ونكتهم بسوء كإيلس القرومة سلوما (الكلمة لأمير
المؤمنين عاي كرم الله وجهه) فسكر وامر وفه وجلوه سبب الجهل وداعية التفريق وآلة

الاستعلاء، والأيذاء بعد ان كان في أول نشأته سبب العلم وداعية الوفاق وآلة العدل والمساواة بين جميع الناس وللإهرام كلمة حق قولها دائماً وهي : ان الشرع لا يرتقي الا بارتقاء المسلمين : وللمعتطف كلمة حق قالها وهي : ان المسلمين لا يرتقون الا بعد الإصلاح الديني : وذكر هناك ان النار داعية لهذا الإصلاح وان صاحبه من زعمائه فالنار مشتغل بدعوة المسلمين الى الاسلام لا بدعوة الثصارى وغيرهم اليه . وانما يرد شباهات دعاة الثصرانية التي ينشرونها في كتبهم وجرائدهم للنشرة لانه اعتداء يجب في اعتقاده مردوده لانه معارض له في دعوته وبين في محاسن الاسلام ويرغب فيها من غير ايذاء لاحد فاذا قال الصديق : اذا كانت الجامعة الوطنية من لوازم الجامعة الاسلامية فلماذا لا يدعوا النار اليها بالصرح ؟ قلني اذكره أو اذكر له انني لم أقصر في ذلك ولكنني أكثرته منه في السنة الأولى أيام كان المسار منتشراً بين أهل الوطن الذين هم في أشد الحاجة الى الوفاق والتعاون حتي لا يفي بعض المسلمين المتحمسين ولم يصديني أحد من غيرهم . وأقلت من ذلك بعد منع النار من تلك البلاد وانتشاره في بلاد أفرط فيها أحداث دعاة الوطنية حتى خرجوا عن الوطنية . لاختلاف ولازاع في هذه البلاد بين المسلمين والبطر باسم الدين ولكن بعض الأحداث يحرصون المصريين عامة على عداوة السوريين خاصة وهم من أبناء لقمهم وأتباع دولتهم والمساوين لهم في قوانين حكومتهم وذلك بعد ان استوطنوا بلادهم وخدموها خدمة علمية أدبية لم يخدموا أنفسهم بمثلها ولا حجة لظلاء الأحداث الا أن السوريين ليسوا بوطنيين وانما هم (دخلاء) فان كان الوطني في عرفهم هو من ثبت اتصال نسبه بالفراعة فالواجب عليهم ان يخرجوا منها أمراءها وأكثر أهائها . والا فليقفهوا ان الدخيل هو الاجنبي عن لنتك وحكومتك الذي لا يخضع لقانونك ولا لشرعتك والذي يتص برؤية بلادك فيحولها الى بلاده ليفي من حيث تقتفر ويعز من حيث تذل

المسار يدافع عن الاسلام . ولا ينسى الوصية بالوفاق والوئام . وانه يرى المسلمين أقرب الى معنى الوطنية الصحيحة من غيرهم فهذه جرائد المسيحيين حتي الدينية البهتة منها يشترك فيها المسلمون بالملئات والالوف وقد وجد للاسلام جريدة واحدة أو مجلّة (وهي النار) فلم نجد في المسيحيين عشرة قفر يشتركون فيها مع

اعتراف فضلائهم بأنها قافمة ومقيدة. وهناك شواهد أخرى
 لتثار يدعو المسلمين الى السلم ، والسلام هو الذي يعرف الناس بمكانة اتفاق
 عناصر الوطن على ترقية واعلاء شأنه . اما الذين ليس لهم من علوم العمران ما يقرب
 بعضهم من بعض فاقناعهم بالوقوف والثبات باسم الوطنية غير متيسر ولا يمكن التيسر
 هو اقناعهم بذلك من طريق الدين وهو محاولة : فنثار يخدم الوطن الخدمة النافذة
 ولكنه لا يلبس باسم الوطن والوطنية لان هذا النوع من شغشة الذين يقولون ما لا يفعلون
 ﴿ مكتبة اسلامية عمومية في روسيا ﴾

تضافر الانباء على حسن حال اخواننا المسلمين في بلاد وروسيا وعنايتهم بالعلم
 والتمرية الاسلامية حتى ان العارفين بفضلونهم على جميع المسلمين في مكادهم لاخلاق
 وفي الاتحاد والانفاق. وقد كتب الثامن مدينة خاركوف ان مسلما على فلة عددهم
 يشتغلون الآن بانشاء مكتبة عمومية لانظير لها في بلاد روسيا وقد اثبت هذا الامر
 وتبرعه بالمال الكثير محمد غني أفندي بن محمد الدين أحد قراء المثار الاحبار لمحب
 الكتب الكثيرة من البلاد فنسأل الله تعالى ان يكثر من أمثال هذا الشعب النور
 في المسلمين . ومن هنا نستدل على حسن معاملة حكومة القيصر للمسلمين وعلى حرية
 العلم فيهم لولا ان مراقبي المطبوعات في موسكو وغيرها يمتعون عنهم بعض أجهزة المثار
 بسوء فهم مترجيه لهم لابي في يقتضي ذلك فانه لم يصب السياسة الروسية لهم قصد

﴿ مسألة مراکش - رأي المثار ومكاتب التبليغ ﴾

كثبتا في الجزء العاشر مقالة في الخطر المحدق ببلاد مراکش قلنا فيها ان
 الخمسة أقوى من سلطان تلك البلاد ويوشك ان تذهب بمذاك وان مارتاة بعض
 الناس من وجوب استيلاء فرنسا على بلاد المغرب الاتني لاجل انقي مصالحها فان المسلمين
 أشداء لا يتيسر تذليلهم الا بصراتهم وحكمتهم . انطلق بعد عشرين يوما من انتشار
 انتشار ثمرت جريدة الاحرام في هذا الفرنسي للمغرب فابس مرسل تبليغ في
 مراکش « صاحب الامانة الميرد ونز في انفي لدى « ولاي عبيد العزيز »
 فاشار باستيلاء فرنسا على الادارة واستخدام سلطة السلطان الدينية لذلك . وفيهم من
 كلامه ان الساطان مستعد لذلك والدول موافقة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما
يتذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فينبغون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ودمناراه كنار الطريق)

(مصر - السبت ١٦ رمضان سنة ١٣٢١ - ٥ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٣)

باب الاخبار النبوية

(زكاة الفطر)

زكاة الفطر هي أول زكاة فرضت على هذه الأمة وهي أخف الزكوات وأيسرها لأنها عبارة عن قيام كل واحد زيادة عما يكفيه في يوم عيد الفطر بكفاية واحد من المسلمين طعم ما يكفيه في ذلك اليوم . وهي منسوبة الى الفطر لأنها تجب به أي بالفطر من رمضان كله وذلك بالدخول في ليلة العيد وقيل بطول مجرّه وقال بعض العلماء ان المراد بالفطر الفطرة والحلقة لأنها تجب على الواحد الذي لم يصم لمذر أولئبر عنر ويجب على المكلف ان يخرجها أيضاً عن أولاده الصغار الذين لا يصومون . والصواب الاول والحكمة في وجوبها على من ذكر ظاهرة فإنها شرعت لكفاية جميع الفقراء وإغنائهم عن ذل السؤال في يوم العيد الذي هو يوم ضيافة الله تعالى للمؤمنين فلما دخل في الفقراء أطفأهم وجب على الأغنياء ان يزكوا عن أطفأهم أيضاً وكذلك السيد يخرج زكاة الفطر عن عبده وقالوا ان الصغير اذا كان ذا مال فإنها تجب في ماله ويخرجها الولي وان كان أباً والأخرج عنه من مال نفسه وقد ورد أنها كفارة للصائم تكفر عنه ما عساه يقع منه مما ينافي حكمة الصيام فهي كالرواتب للصلاة تجبر ما يقع من التقص فيها . ولنذكر ماورد في مشروعيتها وأحكامها من الاحاديث الشريفة

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم .

(٢) عن أبي سعيد قال « كنأخرج زكاة الفطر اذا كان قينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال : إني لأرى مدين من سمراء الشام يبدل صاعاً من تمر : فأخذ الناس بذلك » رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم وزاد من عبد البخاري : قال أبو سعيد

فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه :

(٣) وعن أبي سعيد أنه قال « ما أخرجنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صاعا من دقيق أو صاعا من تمر أو صاعا من سلت أو صاعا من زبيب أو صاعا من شعير أو صاعا من أقط » رواه الدارقطني عن ابن عينة عن ابن عجلان عن عباس ابن عبد الله عنه وفيه « قال ابن المديني لسفيان ابن عينة : يا أبا محمد ان أحدا لا يذكر في هذا الدقيق : فقال لي هو فيه . أورد الحديث صاحب متقى الأخبار وذكر ان الامام أحمد احتج به على إجزاء الدقيق وقد ورد ذكر الدقيق في غير هذه الرواية وطعن الجمهور في روايتها وقد قال أبو داود في سننه ان ذكر الدقيق وهم من ابن عينة

(شرح الانفاظ) الطعام في الحديث الحنطة لانه الغالب فيها عرفا عن العرب كالمال في الابل ويصرف اللفظ الى ماغلب استعماله فيه ضد الإطلاق ولكن روى البخاري وغيره عن أبي سعيد أنه قال « وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر » ولذلك ذهب ابن المنذر الى ان ذكر الطعام مجمل فسرّه ما يصد من تعدد أصنافه ولكن نظم الحديث يأبي وهذا وان كان لفظ الطعام يشمل ما ذكر لانه في الاصل ما يطعم ويذاق . وقوله حتى قدم معاوية : زاد مسلم « حاجبا أو معتمرا وكلم الناس على المنبر » وسمراء الشام حنطتها . وقد بين النووي ان قول معاوية هذا ليس بحجة لانه رأى له لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولذلك لم يأخذ به أبو سعيد راوي الحديث . والأقط بتثنية الهززة مع سكون القاف وبثنية القاف مع فتحها هو الحين يتخذ من اللبن الحامض غير منزوع الزبد والملت بالفم نوع من الشعير أملس كالحنطة ولكن يروته وطبعه كالشعير

أما الصاع فهو خمسة أرتال وثلاث عراقية كما قدره الامام مالك وعليه الحجازيون وطامة أهل الحديث وقال الحنفية أنه ثمانية أرتال لان الصاع الذي يتعامل به أهل المراق كذلك ولكن أبا يوسف رجح أخيرا عن قول أبي حنيفة الى قول مالك لما نظره ووقف على حجه . روى الدارقطني والبيهقي عن اسحق بن سليمان الرازي أنه قال قلت لمالك ابن أنس : يا أبا عبد الله كم قدر صاع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال

خمس أرتال وثلاث بالعراقي أنا حررتة : فقلت : أبا عبد الله خالفت شيخ القوم قال من هو ؟ قلت أبو حنيفة يقول ثمانية أرتال . فغضب غضباً شديداً ثم قال جلسائنا : يا فلان هات صاع جدك يا فلان هات صاع عمك يا فلان هات صاع جدتك . قال اسحق فاجتمعت أصع فقال : ماتحفظون في هذا ؟ فقال هذا : حدثني أبي عن أبيه أنه كان يؤدي بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال هذا : حدثني أبي عن أخيه أنه كان يؤدي بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر : حدثني أبي عن أمه أنها أدت بهذا الصاع الى النبي صلى الله عليه وسلم : فقال مالك : أنا حررت هذه فوجدتها خمس أرتال وثلاثا : ولعمري أنه لا يقدم على قول مالك قول في مثل هذه الأمور التي اختبرها بنفسه في مدينة الرسول عليه السلام مع قرب العهد وهذه الأرتال تبلغ ست مئة درهم وثمانين وخسة أسباع درهم من الخطة وهي قدحان من أقداح مصر

(وقت اداء الفطرة)

(٤) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بركة الفطر أن تؤدي قبل خروج الناس الى الصلاة رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجه . والمراد بالصلاة هنا صلاة العيد وذلك ان الفرض منها كفاية الفقراء في ذلك اليوم وروى ابن خزيمة ان قوله تعالى « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » نزل في زكاة الفطر وصلاة العيد ورفع ذلك الى النبي عليه الصلاة والسلام وهو لا ينافي عموم الآية وأن تزكية النفس وتطهيرها يكون بشير زكاة الفطر من الفضائل والاعمال النافعة كما يكون بها .

(٥) عن ابن عباس قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطرة طهرة للعالم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات : رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطني والحاكم وصححه . وهو يدل على عدم جواز تأخير أداء الفطرة عن صلاة العيد ولكن الجمهور على أن أداها قبل صلاة العيد هو الأفضل ، لا يجوز تأخيرها عنه الى آخر النهار واتفقوا على أنه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد

والحديث حمزة قائم لا ينبغي ان يتهاون به لقول أحد

وقد جوز بعض السامع تقديمها على يوم العيد وقال بعضهم انها كالصلاة لا تقدم على وقتها كما انها لا تؤخر عنه . والمروي في البخاري أنهم كانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين وبه قال أحد وعده تمجيلا وروي أيضاً عن مالك وذهب الشافعية الى جواز اخراجها من أول رمضان وتوسع آخرون فقالوا بجواز اخراجها قبل دخول رمضان وذلك أنهم أدخلوا فيها القياس وقد علمت ان ذلك ينافي حكمة إغناء المساكين في يوم العيد عن السؤال فقد روى البيهقي والدارقطني عن ابن عمر أنه قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وقال : أغضوهم في هذا اليوم ، وفي رواية للبيهقي : أغضوهم عن طواف هذا اليوم ، وأخرجه ابن سعد في الطبقات من حديث عائشة وأبي سعيد . فمن وقفه الله لاتباع السنة يتحرى اخراجها بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد فان رأى في ذلك مشقة أو في التمجيل مصاحبة فليخرجها قبل العيد بيوم أو يومين اتباعاً

واختلف العلماء في مسائل أخرى من أحكام زكاة الفطر فذهب الشافعية الى أنها تجب من القوت الغالب في كل بلد ولذلك يتعين في مثل هذه البلاد القمح رخص ثمن أو غلا وعندهم قول ثان وهو انه يجب على كل أحد ان يخرجها من غالب قوته هو وان لم يكن غالب قوت البلد وقول ثالث وهو انه يجزى في الأجناس المتصورة وقد رأيت في التصوص أنهم كانوا يخرجونها مما يأكلون ولا أرى من يرسل الى الفقير في صبيحة العيد شيئاً من الحبز واللحم والحلوى الا عاملاً بما ورد ومتبناً لسنة لاسيما مع ملاحظة ان نفوس الفقراء والمساكين تتشوف في يوم العيد الى أكل الواجد من الموسرين ولذلك ترى الذين ترسل اليهم زكاة الفطر من الخنطة يدخرون ما يعطون ثم هم يطوفون في يوم العيد على الأبواب يسألون الموسرين الطعام . فان قال الفقهاء : اننا تعبدنا بتلك الأصناف المذكورة في الحديث فلا يحل لنا ان نظل في المنصود منها فتعمل به : نقول ان ظاهر الحديث التحخير بين الاصناف فعليهم ان لا يقيسوا عليها غيرها من الأقوات وان لا يميزوا استبدال غيرها بها ولا دفع قيمتها واحتلفوا أيضاً فيما يملكه من تجب عليه زكاة الفطر فقاسها بعضهم كالخفصة

على الزكاة وقال انها لا تجب على من لا يملك نصابها وهو قياس مع الفارق لأن تلك زكاة الاموال وهذه زكاة الأبدان ولهم حديث عام في الصدقة معارض بما هو أقوى منه . وذهب مالك والشافعي وأحمد الى أنها تجب على من يملك ما يزيد عن حاجته وحاجة من تلزمه نفقتهم يوم العيد وليكن عملا بإطلاق أحاديث الوجوب واعتبارا بما ورد في تعليلها من أنها « طهرة للصائم » كما تقدم في حديث ابن عباس وقد قالوا ان الحاجة تختلف باختلاف طبقات الناس فلا تجب زكاة الفطر الا على من عنده فضل عما يطبق بأمثاله في طعامه وشرابه ولبوسه وما عونه وأثاثه . وهو ظاهر لا غبار عليه

هذا ما ذكره فتح باب النظر في السنة وتحريها في العمل والاعتبار بحكم الدين والفقهاء فيه . وان خطباء المساجد يبينون في خطبة العيد أقوال أهل المذاهب الأربعة لمقلديهم . وقد أشرنا الى بعض الخلاف بينهم ومن أهمه ان الخنيفة على اعترافهم بأن الفطرة تجب في الطعام ومواقفهم للآخرين في ان الخنيفة في مثل هذه البلاد هي القوت الغالب الذي ينبغي اعتباره في هذه الزكاة أجازوا ان يسد ثمن نصف الصاع من البر ويعطى للفقير قدما وقالوا ان هذا أفضل لانه أنفع وقد أطال الغزالي في الاحياء البيان في رد هذا القول . والاحتياط ان يتحرى الانسان موافقة الأئمة في اتباع السنة ولا خلاف بينهم في جعل زكاة الفطر من الخنيفة والله أعلم

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويبيع

(الوجه الخامس والثلاثون) : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أُرشد المستفتين كصاحب الشجة بالسؤال عن حكمه وسنته فقال « قتلوه قتلهم الله » فدعا عليهم حين اقتوا بغير علم وفي هذا تحريم الاقتاء بالتقليد فانه ليس علما باتفاق الناس فان مادما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاعله فهو حرام وذلك أحد أدلة التحريم . فما احتج به المقلدون هو من أكبر الحجج عليهم والله الموفق . وكذلك سؤال أبي السيف الذي زنى بامرأة مستأجرة لأهل العلم فاتهم بما أخبروه بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البكر الزاني أقره على ذلك ولم

يسكره فلم يكن ثم سؤالهم عن رأيهم ومذاهبهم .

(توجه السادس والثلاثون) : قوامهم ان عمر قال في الكلاله : اني لأستحي من الله ان أخالف أبا بكر : وهذا تقليد منه له لجوابه من خمسة أوجه .

(أحدها) أنهم اختصروا الحديث وحذفوا منه ما يطل استدلالهم ونحن نذكره بتمامه . قال شعبة عن عاصم الاحول عن الشعبي ان أبا بكر قال في الكلاله : أتقني فبإرأبي فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأ فني ومن الشيطان والله منه بريء هو مادون أوله وثوابه : فقال عمر بن الخطاب : رض ، اني لأستحي من الله ان أخالف أبا بكر : فاستحي عمر من مخالفة أبي بكر في اعترافه بجواز الخطأ عليه وأنه ليس بكلامه كله صواباً مأموناً عليه الخطأ وبدل على ذلك ان عمر بن الخطاب : رض ، أقر عند موته انه لم يقض في الكلاله بشيء وقد اعترف انه لم يفهمها .

(الوجه الثاني) ان خلاف عمر لأبي بكر أشهر من ان يذكر كما خالف في شيء أهل الردة فسيبهم أبو بكر وخالفه عمر وبلغه خلافه الى ان ردهن حرائر الى أهلن الامن ولدت لسيدها منهن وقض حكمه ومن جاتن خولة الخفية أم محمد ابن علي فأبين هذا من فعل المقلدين باتبوعهم . وخالفه في أرض الفتوة قسمها أبو بكر ووقفها عمر . وخالفه في المفاضلة في العطاء فرأى أبو بكر التسوية ورأى عمر المفاضلة . ومن ذلك مخالفته له في الاستخلاف وصرح بذلك فقال : إن استخلف فقد استخلف أبو بكر وان لم أستخلف فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف . قال ابن عمر : فوالله ما هو الا ان ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعلت انه لا يبدل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً وأنه غير مستخلف فكذلك يفعل أهل العلم حين تمارض عندهم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقول غيره لا يبدلون بالسنة شيئاً سواها لا كما يصرح به المقلدون صراحاً وخلافه له في الجسد والاخوة معلوم أيضاً .

(الثالث) انما قدر تقليد عمر لأبي بكر في كل ما قاله لم يكن في ذلك مستراح لمقلدي من هو بعد الصحابة والتابعين ممن لا يداني المحابة ولا يفارهم فان كان - كزعمهم - يصحكم اسوة بعمر فقلدوا أبا بكر واتركوا تقليد غيره والله ورسوله

وجميع عبادہ یحمدونکم علی هذا التقاید ملا یحمدونکم علی تقاید غیر ابی بکر .
 (الرابع) ان المؤمنین لا تمہم فی استیحوا من استیحی منہ عمر لأنہم یخافون
 أبابکر وعمر معہ ولا یستحیون من ذلك تقول من قدود من الاثمہ بل قد صرح
 بعض غلاتہم فی بعض کتبہ الاموالیہ انہ لا یجوز تقاید ابی بکر وعمر ویجب تقاید
 الشافعی فیما للہ العجب الذی أوجب تقاید انشائی حرم علیکم تقاید ابی بکر وعمر
 ونحن نشہد للہ شہادۃ نسأل عنہا یوم نفاقہ انہ اذا صرح عن الخلیفتین لرشدین
 اللذین أمرنا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم بتابعہما والافتداء بہما قولہ وأطبق
 أهل الارض علی خلافہ لم نلتفت الی أحد منہم ونحمد اللہ ان عاقبا مما ابلی بہ
 من حرم تقایدہما وأوجب تقاید متبوعہ من الاثمہ وبجملۃ فلو صرح تقاید عمر
 لا بی بکر لم یکن فی ذلك راحة لمقیدی من فی أمر اللہ ولا رسولہ بتقایدہ ولا جمعلہ
 عیارا علی کتابہ وسنة نبیہ ولا هو جعل نفسه کذلک .

(الخامس) ان غایۃ هذا ان یکون عمر قد قلد أبابکر فی مسئلۃ واحدۃ فهل فی
 هذا دلیل علی جواز اتخاذ رجل بعینہ بمنزلۃ نصوص الشارع لا یتفقت الی قول من
 سواء بل ولا الی نصوص الشارع الا اذا وافقت قولہ فہذا واللہ هو الذی أجمعت
 الامۃ علی انہ محرم فی دین اللہ ولم یظهر فی الامۃ الا بعد تقرض انقرون الفاضلۃ .
 (الوجه السابع والثلاثون) : قولہم ان عمر قل لا بی بکر : رأینا لرایک تبع :
 فالظاهر ان المحتج بهذا سمع الساس یقولون کلمۃ تسکت فی الماقل فاقعہم من الحدیث
 علی هذه الکلمۃ واکتفی بہا والحدیث من أعظم الاشیاء ابطلا لقولہ .

فقی صحیح البخاری عن طارق بن شہاب قال جاء وفد براختہ من أسد وغطفان
 الی أبی بکر یسألون الصالح یخیرہم بین الحرب المجاہیۃ والسم الخزیۃ . فقالوا : هذه
 المجاہیۃ قد عرفناها فاما الخزیۃ قال نزع منکم الخلفۃ والکراع ونفہم ما أصبنا لکم
 وتردون لنا ما أصبتم منا وتدون لنا قتلانا وتسکون قتلاکم فی النار وتترکون اقواما
 تبغون اذئاب الابل حق یری اللہ خلیفۃ رسولہ والماجرین ولا ہارارہ راہذرونکم بہ :
 فرض أبو بکر ماقال علی القوم . فقام عمر بن الخطاب فقال قد رأیت رأیا سنشر
 علیک اماما ذکرک من الحرب المجلیۃ والسم الخزیۃ فتم ما ذکرک وما ذکرک من

ان نفهم مأصبا منكم وتردون مأصبتكم منا نفهم ماذا ذكرت واما ماذا ذكرت من ان تدون
من قتلانا وتكون قتلانا كفى النار فان قتلانا قاتلت نفقات على أمر الله أجورها على الله
ديات • فتتابع القوم على ما قال عمر فهذا هو الحديث الذي في بعض الفاظه قد رأيت رأينا
ورأينا رأيتك تبع فأي مستراح في هذا الوقت التفتيد

.....

باب السؤال والتسوى

وردت علينا الاسئلة الثلاثة الآتية من الشيخ محمد نجيب افندي بن الشيخ شمس الدين
محمد المدرس بالمدرسة الشمسية في تونس (الروسية) فذكرناها انصها واحصرناها في جوابها
المسبق ثمان القول في موضوعها الاسئلة الثلاثة اطلنا فيها

(المسجد الأقصى وقت الاسراء)

(المسئلة الاولى) ان بعضا من المخالفين اعترض على آية الاسراء فقال
ما حاصله ان المسجد الأقصى كان خرابا في ذلك الوقت بشهادة التواريخ
الاسلامية فكيف يصح قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى المسجد الأقصى « آية انتهى وقد خطر في خاطري في
الجواب عنه (أولا) ان المسجد الأقصى كما يطلق على بناءه يطلق على محله
والمحله باق البتة الا ان يشككه ما وقع في حديث آحادي من ربط البراق
في حلقة الباب وهو المسجد الاسراء الى البناء الا الى المحل والآية تمحل للمعنيين
(وثانيا) ان أمر المعراج والاسراء ليس من الامور العادية لكونه من
المعجزات فهو وان كان له حائزا وجسديا عندنا الا انه ليس بجسماني عادي
بل هو شبيه بالروحاني وانه من أنوار النبوة ويحصل فيها ما لا يحصل في
غيرها وقد روي في الخبر ان النبي عليه السلام رأى ليلة المعراج طوقان
نوح عليه السلام ونار نمرود عليه السلام ويونس عليه السلام في بطن الحوت

من الامور الماضية، وأهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار من الامور الآتية، بحيث كوشف بجميع تلك الامور الحادثة وما يحدث باوقاتها لكرمه صلى الله عليه وسلم متخلعا عن قيد الزمان عند هذا الحال. فخصر الجميع عنده باوقاته فلا يبعد ان يكون رأى المسجد الأقصى بوقت مصوريته عند هذا المكان وان لم يره المحبوس في مطبوعة الزمان ولا مانع من تصديقه من جهة العقل أيضا بعد الايقان بأنه من المعجزات لأن شأن المعجزات يكون هكذا فوق علو العقل وانما حفظ العقل منه العلم بإمكانه وهذا يكفي للإدعان له. واما تعقل المعجزات فهو ليس من وسع العقل بل هو بمنزل عنه ولا فرق في ذلك بين أمر المعراج وسائر الامور الخارقة. هذا ما ظهر لي في الامر والمأمول من الاستاذ زيادة التحقيق والاتقان

(ج) ان هذا الاعتراض ليس بشيء فذلك المكان المعروف بالمسجد الأقصى كان معروفًا وقد هدم غير مرة وبني وكان يسمى في حال هدمه وحال بنائه باسم واحد وهو (هيكل سليمان) يقولون هدم الهيكل وبني الهيكل وبني الهيكل مدة كذا خرابا. وقد بني انبيال الروماني على أطلاله هيكلًا للمشتري ولم يتغير اسمه عند اليهود لاعتبارهم ذلك شيئًا عارضًا لامر ثابت لا يزول. ولو استشكل المعارض تسميته مسجداً لكان له وجه في الجبله ونقول انه أطلق عليه المسجد كما أطلقه على حرم مكة وهو لم يكن يومئذ مسجداً وانما كان بيتاً للاصنام وفي ذلك وجهان أحدهما انه سماه مسجداً باعتبار ما كان عليه وما وضع له فبني ابراهيم واسماعيل الكعبة ولا سليمان الهيكل الالعبادة الصحيحة وثانيهما انه أطلق عليهما اسم المسجد للاشارة الى ما يؤل اليه أمر هنا وهو كونهما مسجدين للمسلمين. وما ذكره السائق

من كون الاسراء والمراجع من الامور الروحانية حسن وسبق لنا فيه قول ولكنه ليس الوجه في تسمية ذلك المكان بالسجد . ثم ان ربط البراق بالحلقة في بعض الروايات ليس مشكلا اذ هدم المكان لا ينافي وجود حلقة في اطلاله تربط بها دابة . هذا اذا كان البراق والربط في عالم الحس والملك ، فلا بالذات اذا كان امرا ملكوتيا ، او تمثيلا روحانيا ،

(تفسير « فلما آتاهما صالحا » الآيات)

(المسئلة الثانية) ان أحد المخالفين أيضا اعترض على قوله تعالى « فلما آتاهما صالحا جعلنا له شركاء » آتاهما فتعالى الله عما يشركون ، قال ما حاصله ان قوله تعالى « جعلنا له شركاء » يشعر بأن آدم وحواء عليهما السلام كانا مشركين انتهى . وما ذكر في كتب التفسير من التوجيهات من تقديرهمزة الاستفهام أو المضاف أو التصرف في الشرك فلم يقبلها المعترض وقال لا بد من تصحيح الآية على ظاهرها أيها المسلمون فان كان فيه وجه آخر غير ما ذكر في التفسير فعليكم بيانه أيها الاستاذ

(ج) لك أن تحمل الآية بهذا التفسير : الله « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » في جنسها وهي الروح التي تتصل بالابدان فتحييها بعد موتها « وجعل منها زوجا » أي جعل لها زوجا من جنسها وذلك بمدد دخولها في عالم الاجسام . والى هذا التراخي أشار بقوله تعالى في سورة الزمر « خلقناكم من نفس واحدة ثم جعلنا منكم أزواجا » أي جعلنا تلك النفس الواحدة زوجين ذكرًا وأنثى كما قال في سورة النجم « وانه خلق الزوجين للذكر والانثى من لطفة اذا تبنى » ثم بين حلة جسد الزوج من جنس الزوج فقال « ليسكن إليهما » ويكنون كل من الزوجين إلى الآخر بمنزلة الطبع

لجميع البشر فلا حاجة للاشعار به . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة» وقد علمنا من أسلوب القرآن البديع أنه ينتقل من ذكر الآيات الكلية الى ذكر الوقائع الجزئية التي لها أثر عام في عقائد البشر وأخلاقهم كما يذكر الوقائع الجزئية أحيانا ويبنى عليها الاحكام العامة . وقد انتقل هنا من ذكر خلق الزوجين وبيان الحكمة في ذلك الى ما يقع لهما ولنسلهما من الكفر بالنعمة ، والجهل بتلك الحكمة ، فقال في ذلك الزوج المبهم مع زوجه «فَلَمَّا تَفَسَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ» ظاهر ان المراد بالتفشي ما يكون سبب الحمل واصله التغطية وفيه من الزناه ما ترى . ومرت به بمعنى استمرت على حالها قبل الحمل «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» بالحمل وأصابها الشدة ووهم الاسقاط والاحضاض «دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا» قائلين «لَسَنَّا آتَيْنَا» ولدا اولسلا «صَالِحًا تَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» لنعمتك ، المؤمنين بأن الخير كله يدك ، «فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا آتَاهُمَا» بأن نسبا ذلك الى تأثير ما يسمى سببا ومالا يصلح ان يكون سببا من الامور الموهومة كالاصنام ونحوها وغفلا عن المؤثر الحقيقي الذي ييده أزمة الاسباب وهو الفاعل المختار فسرى هذا الشرك في ولدهما «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» وهذه الآية كقوله تعالى « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون »

هذا الذي قلناه في معنى الآية ظاهر لا إشكال فيه ولا اعتراض عليه . وانما جاء الاشكال من تفسير النفس الواحدة بآدم وزوجها نحو ما اعتقاد عصمة آدم من الشرك . وليست الآيات نصا ولا ظاهرا في ذلك ويؤيد

قوانا تمة السياق وهو قوله تعالى «أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْفَوْنَ * وَلَا يَسْتَضِيُّونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ» وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم، سواء عليكم أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ» إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا، ثَمَّائِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيُجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ (١) * إِنَّ إِلَهِي اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * فهذه الآيات الناطقة بأبلغ الحجج على نفي الشرك وبطلانه وفساد آراء متحليه من مشركي العرب الذين كانوا يعترفون بأصنامهم ويستنصرون بها على النبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن تكون فاتحتها قد نزلت في الاحتجاج على آدم وحواء والنبي عليهما ما كانا عليه من الشرك المجهول - إن كان - إذ السياق صريح في الاحتجاج على مشركي قريش ومن على شاكلتهم ولذلك حمل بعض المفسرين النفس على قصي وكانت زوجه قرشية مثله ومن الشرك فيما آتاها الله من الولدان سميًا أولادهما الأربعة بعد مناف وعبد الذي وعبد قصي وعبد اللات. والاظهر ما قلناه من التعميم

فإن قيل : هل من جواب معقول عن الآية على القول بأن المراد بها آدم وحواء ؟ أقول أن أمثل ما يقال إذا فيها هو ما جاء في الرواية وهو أنها سميًا

(١) الوجه في حجية هذه الآية أن ما ليس له أعضاء عاملة من الممكنات لا يرتقي إلى أن يكون سببًا من أسباب التعاون فيدعى لذلك فكيف يدعى لفعل ما هو فوق الأسباب. أو الوجه أن هذه الأصنام هي أدنى في مرتبة الوجود من الإنسان الذي له تلك الأعضاء العاملة فكيف يستعين بالأدنى ويدعو الأكل الآلة؟

ولدهما عبد الحارث فقد روى أحمد والترمذي والحاكم من حديث سورة ابن جندب مرفوعا : « لما ولدت حواء طاف بها ايليس وكان لا يمشي لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فانه يمشي فسمته بذلك فماش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره » وأراد بالحارث نفسه فإنه كان يسمى به بين الملائكة . وفي الحديث مقال وان حسنه الترمذي وصححه الحاكم وكتم صحيح الحاكم ضعيفا وموضوعا وقد اطلال الرازي في رد كون الآية في آدم وحواء . وإن سلمنا بالصحة نقول ان الذنب على حواء وانما أسند اليها مع زوجها لانهما متكافلان وكان ينبغي له ان ينهها عن هذه التسمية وايس ذلك شركا حقيقيا لانها لم تكن تعتقد بان الحارث إله ولكنه صورة للشرك فأطلق عليه اسم الشرك مبالغة في الزجر والله أعلم

(تعليم النساء الكتابة)

(المسئلة الثالثة) ان بعضا من علمائنا لا يجوزون تعليم الكتابة للنساء وينقلون في ذلك حديثا وهو : لا تعلموا النساء الكتابة ولا تنزلوهن النرف ، فهل له أصل بينوه أيها الشيخ . وهذا التقير متردد في قبوله بل يجده مخالفا لشرعه عليه السلام فانه عليه الصلاة والسلام أمر كل مسلم ومسلمة بطلب العلم والكتابة مقدمة الطلب سيما في هذه الاعصار فانه لا يمكن فيها الطلب بدونها على انه مخالف صريح للحديث آخر وهو انه عليه السلام قال للشفاء بنت عبد الله وهي عند حفصة « لا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » فقيه دلالة على جواز تعلم الكتابة للنساء لان حفصة تعلمت الكتابة من الشفاء ولم يمنعها النبي عليه السلام وهو دليل الجواز ثم ان حديث النهي هل هو محمول على التنزيه أو مقصور على . وورده أو بينهما تناسخ فالمرجو

من جناب الاستاذ شرح ذلك لكي يحصل التوفيق بينهما. هذا ما تذكريه
وقت تحرير هذا الكتاب فلو تمضمم بالجواب ولكم الاجر والمنة والله
لا يضيع أجر المحسنين .

(ج) الحديث رواه الحاكم من حديث عائشة . رفوعا وصححه
والصواب انه موضوع فان في إسناده عبد الوهاب بن الضحاك الحمصي
قال أبو حاتم الرازي فيه : كان يكذب : وقال المقيلى والنسائي : متروك
الحديث : وقال ابن حبان : كان يسرق الحديث لا يحل الاحتجاج به : وقال
الدارقطني : منكر الحديث : وقال أبو داود : يضع الحديث : وقال الحافظ
ابن حجر في التقريب : عبد الوهاب ابن الضحاك بن أبان العرضي يضع
المهمة وسكون الراء بعدها ، فجاء أبو الحارث الحمصي نزيل سلمية متروك
كذبه أبو حاتم ، واما حديث تعليم حفصة الكتابة فرواه الامام أحمد وأبو
داود والنسائي وأبو نعيم والطبراني ورجاله ثقات اه من مقالة في تعليم النساء
نشرناها في باب الترية والتعليم من مجلد المنار الثاني (ص ٣٣٦)

(س ٤) اعتبار رؤية هلال في الشهور العربية : من رضا الدين افندي فاضي
القضاة في اوفا (الروسية) :

حديث « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكموا عدة
شعبان ثلاثين يوماً » الذي أخرجه الشيخان وغيرهما يوجب صوم شهر
رمضان عند رؤية هلاله أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً ولكن هذا
الحكم هل يتعدى الى غيره من شهور السنة بأن يقال اذا لم ير هلال
شعبان يكمل رجب ثلاثين يوماً واذا لم ير هلال رجب يكمل جمادى الآخرة
ثلاثين يوماً وهلم جرا على ما يفيد قول ابن الهمام في حاشيته على الهداية

(ج ٢ ص ٦٠ طبع بولاق بمصر) أم هذا الحكم خاص بأول شهر رمضان فقط لا يعمدها إلى سواه؟ وأما ابتداء شعبان وسائر الأهلة فيعرف بغير هذا مثل التقويمات المطبوعة في عصرنا أو بعد السنة القمرية ثلاث مئة وأربعة وخسين يوماً من ابتداء شعبان الماضي أو غير ذلك مما لا يتعلق به حكم شرعي أصلاً . فإنا نحن سكان القنطرة الشمالية لا يمكن لنا رؤية الهلال في أول ليلته لا بدراً وخصوصاً أيام الشتاء التي يقصر فيها النهار جداً . فعلى الاحتياط الأول أغنى لزوم رؤية هلال شعبان ورجب وغيرهما ربما يتردد ابتداء رمضان وسول بين ثلاثة أيام أو أزيد ولذلك يكثر فينا الاختلاف بين أئمة المساجد في الصوم والافطار وقد صار هذا الاختلاف في هذه الأيام ضحوة عند أهل سائر الممل الذين يعيشون معنا فكثيراً ما يصرخون أهلي شيا وينعز أهل محلة أخرى والمسافة بينهما قريبة بل ربما يختلف أماكن لمسجد واحد وشخص من أهل بيت واحد . ولما كانت هذه المسئلة من مسائل الشرعية وحرية بالاهتمام وجريدة المنار هي النجوة الوحيدة التي تنب عن الدين نرجو الإجابة عن هذا السؤال ولعلني استفيد من جوابكم عن هذا أيضاً كما استفدت من أجوبتكم المتقدمة ويستفيد أيضاً سائر الأخوان وخلاص الحقيقة

(ج) قد علم مما كتبناه في الجزء الماضي حكمه الشرعي في جعل المواقيت الدينية مما يشترك في مجراته البنية والخاصة وعمر أيضاً أن اتفاق المسلمين في كل قطر من الأقطار على هذه المواقيت ممكن ولا أدنى كثرة الخلاف في رؤية الهلال من أهل البلاد المنبوتات لا بسبب استحلال الكذب أو الاستهانة في الشهادة بروية هلال رمضان بحيث

يشهدون بتوهم الرؤية لاسيما في بلاد يكرمونها فيها أولئك الشهود وأذكر أنني رأيت في بعض السنين الشمس قد غربت كاسفة ثم شهد رجلان أظن فيهما العدالة بأنهما رأيا الهلال فخكم القاضي بشهادتهما في الدعوى التي جرت البدعة الذميمة بها في ثبات شهري الصيام والافطار وصام الناس . ولا شك انهما كانا كاذبين في شهادتهما اذ لا معنى لغروب الشمس كاسفة الا غروبها مع القمر . ولا أزال أتمس لهما العذر بأنهما لكثرة التحديق تخيلا انهما رأيا الهلال فشهدا بالتوهم . واذا كان الهلال بحيث يرى فانه يراه في كل بلد كثيرون من المستهين الا ان تختلف المطالع ولما كان اخواننا من الشيعة يعملون بالرؤية تراهم قليلي الاختلاف فيها وذلك انهم لا يحاولون . ووافقة تقاويم الحاسين فهذه المحاولة وتلك المساهلة هما السبب عند السنيين في كثرة الخلاف التي صاروا بها سخرية الا حيث يتلافون ذلك كما يفعلون في مصر وقد ذكرناه في الجزء الماضي وحاصل القول في الجواب ان اعتبار رؤية الهلال في المواقيت الدينية لازم متعين وهو لا يجب في الأمور الدينية ، واذا دقق الحكم فانه ممنوع خلاف الا قليلا ، وان لا اختلاف في الرؤية لا يقتضي من الخلاف في إثبات الشهور القمرية بالرؤية أو كما كان العدة أكثر مما يقتضيه الاعتماد على التقاويم فاننا نرى التقاويم التي تطبع في مصر كل عام تختلف في إثبات هذه الشهور . وماذا علينا اذ كان من مقتضى عرفنا الشرعي ان يكون أول الشهر القمري في شرع متأخرا يوما واحدا عن أول الشهر الفلكي . ولذا لا يعمل المسلمون في كل قطر بما ثبت عند حاكم عاصمته والمسلمون أمة واحدة . هذا ما نراه كافيًا وان استزدنا زدنا

(حديث في جمع الجوامع - وصدى دعوة النار للنعميم العربية)
(س ٥) من عبد الرحمن افندي مستقيم بقرية زويه التابعة لمركز
سينبر (الروسية) قال بعد الثناء والدعاء :

أما بعد فقد قرأت في مناركم الاغر جوابكم لسؤال عبد الحق
الاعظمي في شأن قراءة الخطبة بغير العربية فوجدت كل كلمة منه شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها كما
تحب وترضى وتشاء فذه جنات تجري من تحتها الانهار ، وهذه أشجار
تنثر على المستنلين بها أحلى الثمار ، قلت في نفسي كيف لا وهو جواب
من امتزجت العلوم بروحه امتزاج الماء بالراح ، ورسخت التهوم في
صدره مع عظيم الانشراح ، ككشفتم الحجب والاستار من بيننا ، لأن
هذه المسئلة كانت متنازعة من منذ زمان بيننا ، زاد الله عمركم واقبالكم ،
وكثر امثالكم ،

« سترون جراً جديداً بجبل حديد » بعض العلماء يقول هو حديث
نبينا صلى الله عليه وسلم مذكور في جامع الجوامع للسيوطي ، وبعضهم
يقول ليس بمحدث لأن ألفاظه تأتي ان يكون حديثاً . والحقير رجعت
الى كشف الثغور فوجدت كتاباً اسمه جامع الجوامع للسيوطي وراجعت
أيضاً كتاب السيوطي المسمى بحسن المحاضرة في اخبار مصر والتاهرة
وعند كتب المؤلف فيه فوجدت فيه أيضاً الكتاب المذكور فخرجو من
سيادتكم أن تبين لنا الاول المذكور هل هو حديث أم لا وان كان حديثاً
ففي أي الكتاب هو مذكور في مناركم الغراء ليقف عليه كل من يريد
الاستفهام عنه ودستهم وعناية تاولي ترعاهم

(ج) للسيوطي كتاب جمع فيه كتب الحديث المعروفة للحفاظ والمحدثين وجميع ما وقف عليه من الاحاديث المتفرقة في غيرها من الكتب وسماه (جمع الجوامع) ويطلق عليه أيضا اسم الجامع الكبير . وكتابه الجامع الصغير المشهور مختصر من قسم الاقوال من ذلك الكتاب . والكتاب جامع للاحاديث الصحيحة والضعيفة وكثير من الموضوعات فوجود الحديث المستول عنه فيه لا يقتضي إثبات اسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبحث بعض العلماء في أسلوبه وزعمهم أنه على غير الأساليب المعمودة في الحديث له وجه

(س ٦) سكن الشيطان في بدن الانسان : محمد فؤاد أفندي بأشخاص الرمل : جاء في كتاب (لاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) صحيفة ٦٠ التابعة للقول في تمهيد للاصل الاول من القسم الثاني من الكتاب في الاسلام ما يأتي :-
قال الاستاذ الامام في ص ٥٩ : معجزة القرآن جامع من القول والعلم وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم : الى ان قال ص ٦٠ : فهي معجزة اعجزت كل طوق ان يأتي بمثله ، ولكنها دمت كل قدرة ان تتناول ما نشاء منها ، وأما معجزة موت حي بلا سبب معروف للدوت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم : الخ . فبيل يسكن الشيطان جسم الانسان ؛ فان كان الامر كذلك وكما فهمته أنا من هذه العبارة السابقة فيصدق قول من قالوا بالزار فاتهم ينقدون بأن العفارت إيان هيجاتها تقف عن حدها بدق الطبول . فالامل تفسير هذا المقال ولكم الشكر الجزيل منا :

(ج) يشير الامام الحكيمة ببارته تلت الى أنواع المعجزات المنعزوة في التواريخ الأربعة التي تسمى الاناجيل الى المسيح عليه السلام فبويد كرها

على سبيل الحكاية ولا يستلزم ذلك إثباتها ولا قضيها بل ربما فهم من العبارة التعريض بأن تلك الكتب تسند الى المسيح مالا يصح اسناده اليه ونحن المسلمين لا نعتقد بمعجزة للمسيح وراء ما أثبت له القرآن العزيز . على اننا اذا سلمنا بأن بعض الشياطين دخلت في أجسام بعض الناس وأنها خرجت على يد المسيح معجزة له فلا يلزم من ذلك ان نفيس خرافات عجائز (الزار) على معجزات الانبياء المصطفين الأخيار ،

بَابُ الْحَبِيبَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ

لبس القانسوة المعروفة بالبرنيطة

أو التشبه بالنصارى

يسافر في كل سنة عدد عظيم من أمراء المصريين وحكامهم ووجهاتهم الى أوربا فيلبسون فيها لبوس الافرنج ويتزينون بزيمهم لا يدعون منه شيأ على ان زي هؤلاء في الاغلب هو الزي الافرنجي لافرق الا فيما يوضع على الرأس فأكثر المصريين يتبعون حكامهم بلبس الطربوش الذي أخذه الترك عن الروم وهم في أوربا يلبسون البرنيطة لافرق في ذلك بين الامير والمأمور الا افراداً يمدهم الجمهور شذاً ويلومون بعضهم على محافظتهم على لبس الطربوش هناك . وبنظر أكثر المسلمين ان لبس البرنيطة مخل بالدين الاسلامي حتى ان جريدة الحاضرة تجرأت متدعامين على التعريض بهزير مصر لما بلغها من لبسه البرنيطة في أوربا وقالت ان هذا ممنوع في الاسلام واجتنبوا يومئذ في المنار .

ونرى الناس يلجئون في هذه الايام بخبر فتوى من بعض العلماء بعدم
إخلال بلبس البرنيطة بالدين الاسلامي. قالوا ان رجلا من مسلمي الترانسفال
سأل العالم عن ذلك وقال له ان المسلمين في تلك البلاد مضطهدون
ومهمضون الحقوق لانهم مسلمون وانه لا طريق الي معاملة حكامهم
وجيرانهم لهم بالمساواة الا مساواتهم لهم في زيهم ولا يتم ذلك الا بلبس
البرنيطة . فأجابه العالم بأن اللبس من أمور المادات لا من أمور الدين
وأن ما قاله بعض الفقهاء من كراهة التشبه بالكافر في عاداته قد قيده
بقصد التعظيم لدينه لا بقصد المصاحبة وأهل الترانسفال على ما يقول السائل
لا يقصدون الى ذلك بل تحملوا كثيرا من الاذى في تركه والضرورات
تبيح المحظورات فأمر الكراهة أهون

هذا ماسمناه في المسألة ويقال ان بعض المتفهمة استكبروا الامر وعنده
من المشكلات الدينية وطفقوا يتهامون ويتباحثون فيه وما ذاك الا من
قلة الفقه ومن عدم النظر في السنة وفي تاريخ الامة فقد ثبت في الاحاديث
الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس الجبة الرومية وهي من
لبوس النصارى ولبس الطيالة الكسروية وهي من لبوس مجوس القرس .
وكذلك الصحابة عليهم الرضوان لبسوا في كل بلاد فتحوها من لبوس
أهلها حتى قلنسوة النصارى بغير تكبر الا ما كتبه عمر الى عتبة بن غرقة لما
خشي على قومه الترف والسرف وفساد البأس والمنعة فقد كتب اليه يأمره
بالبروز الى الشمس وبالخشونة وبترك زي الاعاجم وهو أمر للمصاحبة
لا للتشريع كيف وعمر يعلم ان الشارع قد لبس لبوس الاعاجم . وقد لبس
المسلمون بأمر المنصور قلانس كقلانس الكفار ولم ينكر ذلك أحسد الا

ما كان من هزل بعض الشعراء ولكن المسليين وجوا واستنكروا تغيير
السلطان محمود الثاني زي قومه بري الافرنج لما كانوا عليه من الجود على
العادات ولكن عقلاء الترك الآن يعدون ذلك أصلا من أصول الإصلاح
لا لأن تغيير الزي كبير النفع ولكن لما فيه من زوال ذلك الجود الذي
كان مانعا من اقتباس الدولة كثيرا من النظام النافع في الجند والإدارة
والسياسة عن أوروبا التي سبقت وبرزت فيه وقد رأينا أثر سبقها وجودنا
بإستيلائها على معظم بلاد المسلمين

نعم انني لا أنكر ان اختيار التشبه بالاجني هو أثر الضعف القاضي
بـ خذلاء المغلوب مثال المالب في زي وعاده وأنه ينبغي للامة أن تحافظ
على عاداتها أشد المحافظة ما لم تكن ضارة واذا أرادت استبدال عادة
بأخرى فليكن ذلك بحسب المصلحة لا تقليدا محضا للاجني . ولا أنكر
ان المصريين الذين يلبسون البرنطة في أوروبا ملومون وان سبب لبسهم
اياها ضعف الزيمة ولكنني لأقول انهم قد عموا الله تعالى واستحقوا
هزوبته بذلك . ولو كان أمر اللبس من أمور الدين لوجب ان تتبع فيه
الشارع وقد كان يلبس الازار والرداء ولم يلبس السراويل قط بل لم
يلبس هذه الجبة والفرجية ذات الاكمام الواسعة والاذيال الطويلة التي جمد
عليها علماء المسلمين لهذا العهد ولكنه نهى عنها ولبس الجبة الرومية الضيقة
الأكمام فكان يتمذر الوضوء بها حتى كان يخرج يده من أسفلها عند
الوضوء ليفسهما . وقد حكنت كتبت في موضوع اللباس والتشبه فيه
بـ الاجانب عشرات من المصاحف في كتاب (الحكمة الشرعية) ، في
محاكمة القادرية (الرفاعية) ذكرت فيه حكم الملابس في الدين وفي المنفعة

وفي الذوق وفي عرف الصوفية وفي السياسة وذكرنا حكم التقليد فيها وقد جاء في أول الفصل المقود للبحث في (كيفية اللبوس والتقليد فيه) مانهه « قد علم مما تقدم ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبعض أصحابه عليهم الرضوان قد لبسوا القباء والثرؤج والطبالة الكسروية واستعملوا الميائر (١) وكل ذلك من لبوس الفرس وانهم لبسوا أيضا البرانس والجبب الرومية وهي من لبوس النصارى . والجببة الرومية لم تقدم لها ذكر وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها فكان يخرج يديه من أسفلها عند ارادة غسلهما في الوضوء لضيق أكمامها الذي لا يمكن معه التشمير . ولبسوا أيضا البرود والحبر المخططة والمعدة وهي من لبوس اليمن . وتلك الثياب كانت كغيرها تجلب اليهم من العراق والشام ومصر واليمن لانهم كانوا يمتدنون مثال هذه الشعوب في صنع لبوسها إذ لم يكونوا أصحاب صنائع . وفي ذلك دليل على ان الشرع ينيط أمر اللباس من حيث

(١) الحية نوب طويل مقطوع الكبدن والطبالة جمع طيلسان وهو ضرب من اكسية المعجم معرب تالسان ويقال تطلس وتطليس به اذا لبسه وكانت العرب تسمى لبسه قبل الاسلام ولذلك كانوا يقولون يا ابن الطيلسان أي يا عجمي لكن الاسلام لا يأمر الا بتخامي المساوي والمستقيم الغار من عوائد الامم ودون غيره ولذلك تطيلس المصاعف (عم) والبيثرة من مراكب المعجم أو شيء كالفرش الصغير محشى بقطن ونحوه ويجعل على الرجل ليكون وثيرا وكانوا أكثر ما يمتدنون الميائر من الارجوان وهو بضم الهذلة والجيم صبيغ شديد الحمرة وقال الجوهري : هو شجر له نور أحر أحسن ما يكون : وكان ذلك الصبيغ من ذلك الشجر . والفروج كتشور قباء شق من خلفه وقمص الصغير . والبرلس قنفوسة طويلة وفي البخاري ان أنسا لبس برنسا أصفر من خز قال القسطلاني في شرحه ان الناس أو النساء كانوا يلبسون هذه القنفوسة في صدر الاسلام وذكر أنها من لبوس النصارى . أم من شرح الاحديث في الكتاب المندكور ما مضى

كيفية الاثواب وتفاصيلها باختيار اللابس ولا يحظر على شعب وقبيل استعمال جديلة شعب آخر لانها أمور عادية لا تتعلق بحقوق لله تعالى ولا بحقوق الخلق لذاتها . نعم كان أكثر ما يلبس النبي وأصحابه الرداء والازار تباعدا قومه لالوحي نزل بأولوية ذلك وأفضليته شرعا . على انه مناسب لحلة القطر الحجازي الحارة . وإذا لم يرد في الشرع تفصيل كيفية مخصوصة وشكل معين في الملابس لان الشرع نزل فيما هو أهم من ذلك فينبغي ان يناط ذلك بالرأي الصحيح وهو إنما يرجح ما يوافق حالة المكان والزمان «المراد منه . وبعد هذا تفصيل في تفصيل بعض الملابس على بعض لاختلاف الزمان والمكان وقد حكم الفقهاء العادة في أمر الملابس حتى في الشرع فاستحبوا ما كرهته السنة لمعنى يقتضي الكراهة مع بقاء ذلك المأني وحبهم انه صار عادة . فقد ورد في الحديث النهي عن إطالة الثياب ووعيد لذي يجر ثوبه خيلاء واتفق الفقهاء على ان إطالة الألبسة أو الأكال الخيلاء حرام ولا غير الخيلاء مكروه شرعا . ثم انك ترى مثل الشيخ الحفني يقول في تفسير الحديث من حاشيته على الجامع الصغير ان كراهة زيادة طول الثوب عن الكعبين لغير المختال مخصوصة بمن لم يصير ذلك عادة لهم كأهل مصر . وقال ابن عوي في شرح مسلم نقلا عن القاضي عياض واقره : وبالجملة يكره كل مازاد على الحاجة والمعتاد في اللباس من الطول والسمة والله أعلم : وذكر لشدس الرمي في شرح المنهاج ان إفراط توسعة الثياب ولا تجم بدعة وسرف وتضييع المال ثم قال : نعم ماصار شعار للعلماء يندب لهم لبسه ليعرفوا بذلك فيسألوا ويلطأوا وفيما عنه زجروا : فأنت ترى أنهم جعلوا الخفوف بنص الشارع مندوبا شرعا وقد رأيت ضعف شبهتهم فأننا إذا سلمنا لهم بأنه ينبغي ان يكون للعلماء زي خاص

نقول انه ينبغي ان يكون ذلك الذي مالم ينه عنه الشارع نهيا صريحا
ولئن صح ما يقولون من تحكيم المادة بالشرع من غير ضرورة ولا
حاجة ليكون وزر هذا الذي المنهي عنه في السنة على من اخترعه لهؤلاء العلماء
من سلفهم الذين كانوا خيرا منهم باعترافهم. ولا أعرف المخترع الاول لزي
علماء مصر وهو أبعد الأزياء عن أدب السنة وعن الذوق وعن المصلحة من
حيث السعة والطول ولكنني أعلم ان أول من اتخذ لاهل العلم زيا مخصوصا فقلده
فيه بالتدريج هو القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة (رح) وما أظن انه كان
من السعة والطول بالقدر الذي نشاهد ولا براءة من هذا الاجمالم ابتداء العادة
كاستمرارها. ولقد بلغ من سلطان المادة على علمائنا أنهم صاروا ينكرون على
من يخالفهم من ابناء صنفهم في الاردان المسكبة، والاذيال المجررة، فلا عجب
ذا حملت المادة بعضهم على انكار لبس قلنسوة النصارى ولو لضرورة دفع
مفسدة أو جلب مصلحة مع العلم بأن الصحابة والتابعين لبسوا في صدر
الاسلام البرانس وهي من فلانس النصارى كما في البخاري وشرحه.

أما حجة هؤلاء وأمثالهم التي تروج عند العامة فهي ان ذلك تشبه
بالنصارى الذين يجب علينا مخالفتهم و... وهذا الكلام غير صحيح على
اطلاقه وانما هو مقيد بالمخالفة في الامور الدينية التي لا يوجد في ديننا
ما يؤيدها كالاتشيد في الجنائز وحمل المباخر ونحوها امام التعش واتخاذ
قبور الاولياء والصالحين مساجد وغير ذلك مما تشبهناهم فيه بل جعلناه
من شعائر ديننا مع النهي عنه في الاحاديث الصحيحة. واما الامور
الدنيوية كالأكل والزي فليس مما تجب فيه المخالفة بل تقارب الناس في
العادات يؤلف بينهم ويزيل التنافر الذي يعمي كل فريق عن فضائل الآخر

واذا زال التنافر ظهر الحق على الباطل . وقد علمت ان النبي وأصحابه
 لبسوا زي المشركين والمجوس بلبه لنصارى الذين نطق القرآن الحكيم
 بأنهم أقرب مودة لنا . وأكثر ما قاله الفقهاء في هذا انه يكره ان يأتي
 المسلم أمرا بقصد التشبه بالاجنبي عن دينه بل يأتيه أو يتركه للفائدة
 والمصاحبة أو عدمهما . ولا أرى من مصلحة المصريين ان يلبسوا قلنسوة
 الافرنج (البرنيطة) لان هذا من مضعفات الرجاء باستقلالهم وأما أهل
 الترانسفال وأهل الرجاء الصالح فلا رجاء في استقلالهم لقلتهم وغلبة الافرنج
 عليهم في كل شيء على أنه ينبغي لهم المحافظة على كل مالا تضرهم المحافظة
 عليه من عاداتهم التي لا تخالف الشرع . اما اتقاء الضرر فواجب شرعاً ان
 كان محققاً ومندوب ان كان مظلوناً هذه هي القاعدة الشرعية ولكن
 أكثر الناس عبيد العادات الا الذين انسلخوا من التقليد الاعمي . وقد
 فصلنا القول في مضار تقليد الاجانب في الاثاث والماعون والزينة في
 كتاب (الحكمة الشرعية) ونقلنا منه نبذة في منار السنة الاولى فلتراجع

(احتفال الجمعية الخيرية الاسلامية)

تقيم هذه الجمعية احتفالها السنوي المعتاد في مساء عيد الفطر المبارك
 وهو اليوم الذي تستحب فيه الزينة واظهار السرور ، واليوم الذي تترك
 فيه الاعمال لاجل تلاقي الناس وتزاورهم ، واليوم الذي تنبسط فيه
 الايدي بالبذل والافتاق ، واليوم الذي يجتمع فيه بالقاهرة وجهاً القطر
 من كل ناحية ، واحتفال الجمعية انخيرية ندم المساعد على ذلك كله فانها
 ستزين حديقة الازبكية زينة بديعة وتجعل فيها جميع ضروب اللهو المباح
 فهناك يكون ملتقى الاصدقاء والمتحايين ، وهناك تكون نزهة الوافدين

مع المقيمين ، وهناك تكون لذة البذل للأجواد والمحسنين ، وهناك تكون فرحة الفقراء والمعوذين ، وهناك ينمو الشعور بحب الوطن في نفوس جميع الوطنيين ، وهناك تكون المزية الكبرى الا وهي الجمع بين زينة الحياة الدنيا والعمل بروح الدين ، فاب الله ماشرع الدين الا لمصلحة العباد وانما قوام هذه المصلحة بالتراحم بين الناس والتعاون على البر والتقوى وكل من يشتري ورقة من أوراق احتفال الجمعية الخيرية يشمر في نفسه بأنه قد بذل ثمنها في اعانة إخوانه الفقراء والمستحقين للإعانة والمساعدة من حيث قدمت نفسه بأبهج المناظر وأشهى النفقات والاجتماع بمن يحب من الناس في يوم مشهود تلاق فيه على الوجوه أنوار الهبة والسرور وشكر نعمة الله تعالى . فحيا الله تعالى أوائك الرجال رجال الجمعية الخيرية لاسيما ركنيها الركنين رئيسها الشيخ محمد عبده ووكيلها حسن باشا عاصم فيها الحاملين لها على كاهلهم ساو سائر الاعضاء الكرام أعوان لها وأنصاره . ونسأل الله تعالى ان يعرف المصريين بفائدة هذه الجمعية ويلهم قلوبهم مساعدتها وشذاؤها فانتنا نحن المسلمين لانزال وراء الامم كلها في التعاون على الاعمال الخيرية الاجتماعية بعد ان كنا في مقدمتها وناصيتها . وعار على أغنياء المصريين المسلمين أن لا تنتشر مدارس جمعيتهم الوحيدة ومبراتها في كل رجا من ارجاء لقطر ولن تنتشر الا اذا اشترك فيها الناس من جميع بلاد القطر والله اوفق

(ربح صندوق التوفير في ادارة البريد)

أشيع في هذه الأيام ان الحكومة استفتت مفتي الديار المصرية في ربا صندوق التوفير الذي نرى في ادارة البريد فأقتضاه به والحق ان الحكومة لم تستفت في ذلك إذ

لامعنى الاستفتاء في شيء صدر به الامر العالي وتقدم مذنبين . ولكن بعض رجال الحكومة ومهم مدير البوسطة قالو للمفتي في حديث عادي ان اكثر من ثلاثة آلاف مسلم من مودعي النقود في صندوق التوفير لم يأخذوا الفائدة الخاصة بذلك بمقتضى الدكر بتو الخديوي تدينا فقول توجد طريقة شرعية لتيسر للمسلمين اخذ مبالغهم من صندوق التوفير فقال: ان الربا بالتصوص لا يحل بحال ولما كانت مصلحة البر يد تستغل الاموال التي تأخذها من الناس لانها تقترضها للحاجة فمن الممكن تطبيق استغلال هذه الاموال على قواعده شرعية المضاربة ويقال ان الحكومة كلفت المفتي ببيان هذا التطبيق لتغير قانون صندوق التوفير وتجهله مطابقة الاحكام الشرعية رعاية لمصلحة رعاياها المسلمين ولانه شرع في ذلك بمساعدة بعض العلماء . ويقال ايضا انه لما علم الامير بذلك افترسه وأمر بتأليف لجنة من علماء الازهر ليدرسوا كيفية هذا التطبيق على الوجه الشرعي حتى اذا عرض عليه القانون المقترح لا يصدر امر به يكون على بصيرة من المشروع . ويقال ان اللجنة التي ندها الامير هي غير اللجنة التي تشتغل مع المفتي بالتطبيق الذي طلبته الحكومة . وفي هذا مريد عناية ببيان الحق ولكن الناس فهموا انه ان الامير على خلاف مع حكومته في ذلك ففسى ان يزول سوء الفهم ، ويرجع الحق الى أهل الوهم ، وان لنا في موضوع الربا والمصارف قول مينا ترجمته لفرصة أخرى

(تنبيه) تأخر باقي الرد على مقالة الالماني لكثرة المواد

البدع والخرافات

وَالْبَقَالِيدُ قُلُوبُ الْعَمَلِ

(الاحاديث الموضوعة في الصيام ورمضان)

حديث : اذا غاب الهلال قبل الشفق فهو ليلة واذا غاب بعد الشفق فهو ليلتين قال ابن حبان لأصل له

حديث : اذا كان أول ليلة من رمضان نادى الجليل رضوان خازن الجنة فيقول ليك وسعديك فيقول هي جنتي وزينها للصائمين من أمة أحمد ولا تغلقها عنهم حتى ينقضي شهرهم . ثم ينادي جبريل يا جبريل فيقول ليك ربي وسعديك فيقوله انزل الى الارض فصل سرده الشياطين عن أمة أحمد لا يفسدوا عليهم صيامهم وبه

في كل ليلة من رمضان عند طلوع الشمس وعند وقت الافطار عتقاء يمتهم من النار عيد واما قوله في كل سماء لك ينادي الخ الحديث بطوله لا يصح لان اصرم روايه كذاب .

حديث : لو علم العباد ما في رمضان لمتت أمي ان يكون رمضان السنة كلها : فقال رجل من خزاعة حدثنا به . قال : ان الجنة تزين لرمضان من رأس الحول الى الحول حتى اذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش فصفت ورق الجنة فينظر الحور العين الى ذلك فيقلن يارب اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجا تهر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا . الخ موضوع آفته جرير بن أيوب . قال الشوكاني بعد الاشارة الى الحديث وما قبله في فوائده : وسياقه (أي الاخير) وسياق الذي قبله مما يشهد العقل بأنهما موضوعان فلا معنى لاستدراك السيوطي لهما على ابن الجوزي بأنه قد رواهما غير من رواهما عنه ابن الجوزي فان الموضوع لا يخرج عن كونه موضوعا برواية الرواة

حديث : ان الله يعق في كل ليلة رمضان ست مئة ألف عتيق من النار : الخ موضوع وله روايات بالفاظ أخرى مازادته الإنكاره وتوغلا في الوضع والبعد من النقل والدين . وقد كنا ذكرنا هذه الاحاديث وغيرها من موضوعات رمضان في المجلد الرابع وانما أعدنا التذكير ببعضها الآن لكثرة تداولها وغرور الناس بها

الولدان في الحمامات

من العادات السيئة في عصر غشيان الولدان الحمامات في ايامي رمضان فانك لتراهم عامة الليل يامبون ويمرحون فيها وكثير منهم ينامون فيها حتى اذا كانت ليلة العيد كثروا فيها كزنده فاحشة وزاحوا الرجال في المغطس وغيره والاكثر من الفريقين مكشوفو العورات كما هي عادتهم السوءى . ومن العجيب ان كثيرا من هؤلاء الولدان يحضرون الى الحمام مع آبائهم وقرايبهم او بأذنهم فأولياؤهم هم في الحقيقة أعداؤهم لانهم يفسدون آدابهم ويعودونهم على الفحشة وقلة الحياء . وانه ليمتدح تربية الاولاد بغير الاستعانة بالحياء الذي هو أصل الفضائل كلها . وقد ورد في الحديث المتفق عليه « اذا لم تسبح فاصنع ماشئت » وورد « ان لكل دين خلفا وخلق الاسلام الحياء » رواه ابن ماجه عن أنس وابن عباس بسند صحيح

﴿ اعلان الفسق في موسم العبادة ﴾

بلغ من استهانة قادة الفسق ودعاة الفحش بمساعي مصر ان ينشروا لهم في رمضان شهر الطاعة وموسم العبادة هذا (الاعلان) الذي تنشره بعضه الفاسد ما عدا اسم المحل وأسماء الفواسق فيه وهو :

« لعان حضرات العموم انه قد حضر حديثا لهذا الطرف حضرات الرقاصات والمشغصات الشهيرات اللتين حازا قصب السبق في ميادين هذا الفن وهن ٠٠٠٠٠ وبالنسبة لشهر رمضان المظم وإرضاء لحاطر زبائننا الكرام قد اتفقتا معهن بتماطي صناعاتهم التي تأخذ بمجماع القلوب في محلنا المذكور أعلاه ابتداء من هذه الليلة ، فالامل من العموم التشريف كي يشفقوا أسماعهم من الاقام الشجية النادرة في الوجود ومن تأخر ندم حيث لا ينفذه الندم وليس الخبر كالبيان والاعتماد على الله ، اه

(الثار) لوبيقي لفساق مسلمي مصر «تية من الفيرة المليّة أو الحياء الاسلامي أو الشرف الانساني لتجنبوا هذه المواقف التجسّس المدة لإعلان الفسق ولو في شهر رمضان ونحوه من الايام التي يعدونها مواسم دينية كلية المولود النبوي فانسانا ذكر اننا في السنة التي قدمنا فيها الى مصر رأينا اعلانا مثل هذا (الاعلان) فيه ان فلانة قد استحضرت من الرقاصات من استحضرت « لاحياء ليالي المولود النبوي الشريف ، وإنها لسخرية من أئمة الفسق بالاسلام والمسلمين وما جبرأهم عليها الافساق للمسلمين . وان الاسلام ليتبرأ من هؤلاء الفاقدي الخنوة والشرف ولو أظهر والتبرؤ منه لسكان اللوم أخف عليهم من انتسابهم الى دين جميلوه هزؤا ولما .

﴿ بتحسي ﴾

كلمة شيطانية هدمت ركنائنا الذين في نفوسنا مصر هو أقوى الأركان عندهم وهو ركن الصوم الذي عهدت النساء أشد تمسك به من الرجال . تلك الكلمة هي كلمة « بتحسي » يقول الشيطان للمرأة : لا تصومي « بتحسي » اي تذبلي وتهزلي ويقول ذلك بعض من بعض . والحق ان الصيام من أسباب الصحة واذ افشرك الصوم في النساء فهناك الطامة الكبرى في الفساد العام فليتبه الرجال لثلاثي هذا الامر ان كانوا يفتلون

يقضي الحكمة من بناء ومن يوثق
الحكمة فقد أوتي جبراً كبيراً وما
يذكر إلا أروع الآداب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عادي الذين يستحسن القول
فيهمون أحسنه أولئك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الآداب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للسلام صوى ومنازاة كشار الطريق)

(مصر - الاحد غرة شوال سنة ١٣٢١ - ٢٠ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٣)

﴿الوقف من الدين﴾

(رد ثان على عزيز أفتدي خاتكي)

من يكتب أو يتكلم لطلب الحقيقة أو لتقريرها يستفيد من المناقشة والمعارضة أكثر مما يستفيد من البحث والتتقيب ويرجع الى الحقيقة اذا ظهرت له على يد غيره ويأخذ الحكمة أثنى وجدها ، ومن يكتب أو يتكلم لفرض يرمي اليه ، أو فائدة له يتنازل دونها ، لا يزيد به بيان الحق الا اعراضه ، ولا يفيد به تجلي الصواب الا مكابرة فيه ، فهو يجادل لاختفاء الحقيقة وصرف الانتظار عنها ، وتلويح الباطل بلونها ليستبته على الناظرين بها ، وقد اتخذ هذا التلويح والتمويه صناعة نفر من (الحامين) الذين نصبوا أنفسهم لقبول الوكالة في كل دعوى والحصام في كل قضية ، والدعوى تكون دائماً بين خصمين أحدهما بحق والآخر مبطل وأنتك لتجد لكل خصم محامياً تصنف هؤلاء الحامين يخاصمون في الباطل ويجهادون في إبطال الحق بالقول المموه والتلويح الذي يخفي ما كان ظاهراً ، ويخضع من كان ناضراً ، وقد أقرن هؤلاء الحامون الخلافة في الخطابة حتى أنك لتجد القضاة يشكون دائماً من خلافتهم في خطابهم وقطعون عليهم الكلام ويطلبون منهم عدم الخوض فيما وراء موضوع الدعوى ، ومنهم الذين يستشون على تقرير ما يريدون تقريره بالكتابة في الجرائد لاقناع الجمهور بما يدعون لأن لا اعتقاد الجمهور أترا في نفوس القضاة والحاكمين ، واعتباراً خاصاً في وضع

القوانين ، ولا وزر على الجرائد اذا نشرت آراء الناس في القضايا العامة وعرضها بذلك للبحث والتدقيق كثيرا ما يظهر الحق في ذلك على خلاف ما يريد الباحث الاول أو على وفق ما يريد

هذا الصنف أو النصف الطبيعي من المحامين يصور الحجة بشبهة داحضة. ويمثل الشبهة حجة ناهضة ، فاذا عارضته بالنقل في موضوعه قال انك من أهل التقليد ، واذا قلت هذه بيناتي من أظهر لك يقول : لقد علمت مالنا في بيناتك من حق وانك لتسلم ما تريد ، : ذلك ماسلكه معنا عزيز أقصدي خانكي المحامي - كتب مقالا في المقطع يريد به الطعن في بعض أحكام المحكمة الشرعية في الوقف على غير ما يريد ويجب فتطرق فيه الى القول بأن الوقف ليس من الدين الاسلامي في شيء ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة - وما هو من أهل هذا الدين ولا معرفة له بالكتاب ولا بالسنة - فكتبنا في المقطع لعلهم بأن الوقف من أحكام الدين ، وقد جرى عليه أهل من الصحابة والتابعين ، وذكرنا له كتب الحديث التي أنكر ان فيها شيئا في الوقف . ذكرنا ذلك في المقطع بالأجمال وفصلناه في المثار (ج ١٧ ص ٨١٦) بعض التفصيل .

وكنا نظن انه كتب تلك الكلمة بغير علم وأنه اذا جاءه السلم يقطع ويرجع فاذا به وقد زاده السلم إصراراً على رأيه ، وتعوها له في نظر غيره ، فقد كتب مقالة في الرد علينا جاء فيها شيئا من الخلابة غريبا ، وأسمني من الشعر العجيبا ، بدأها بدم التقليد تمهيدا للقول بأنه يدعو المسلمين الى مدينة جديدة بانكار كون الوقف من الدين ، وجعل أوقاف المسلمين تحت أهواء المحامين وتصرف الحاكمين ، ولا يهمهم أني أدعوهم الى الجود على اتباع السنة ، وذلك تقليد يخالف (بزعمه) الحكمة ، وقد رأى قراء المثار ان البذة التي كتبناها في أحاديث الوقف رداً عليه تتلوها بذهمة بذهمة متسلسلة في إبطال التقليد مبتدئة بالوجه السابع والمشرين ومختمة بالوجه الرابع والثلاثين من وجوه إبطال التقليد في الاسلام . ويعلمون انه سبق لنا مقالات كثيرة في السنين الماضية نحتج فيها على إبطال التقليد ، ويعلمون ان هذا مذهب المثار منذ أنشئ . يقيم البرهان عليه كلما عنت له المناسبة ، ولكن المحامي البارع يريد بدم التقليد ان تترك اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبطل ماسرعه ونبتذ سيرة الخلفاء الراشدين تقليداً لرأيه

الأقن في ان ذاك من المدينة والعمران وان الوقف مناف لمبادئ الاقتصاد السياسي... قال الحمامي انه كتب ما كتب عن الوقف « مستهديا بغطات التاريخ مسترشدا بأصول علم السياسة المالية مستضيئاً بكتب أئمة الفقه محترماً أصول وأحكام الدين الخفيف » ثم بعد ان ذكر كتابته عن فساد التقاضي وخلل المرافعات في المحاكم الشرعية قال « ففر الينا شيخ رمانا بالمجمل والجراة على كتابة ما كتبنا ونشر ما نشرنا ويستفز رجال الشرع (على) تكذيبنا ولو أنه قرع الحججة بالحجة والبرهان بالبرهان لمان إلا انه اكتفى بالسباب والمهارة ، عن الجدل والمناظرة (ساعه الله) اه و تقول من قرأ ما كتبنا علم أننا لم نرمه بما قال ولم ندع أحدا الى تكذيبه في كل ما كتب ونشر كما يومه اطلاق عبارته واتا وكلنا مناقشته في شأن المحاكم الى أهلها ولم تعرض الا لغلطه في قوله ان الوقف ليس من الدين في شيء وانه لم يرد فيه حديث الا ما انفرد به ابن ماجه في وقف عمر وأظهرنا العجب لجراته على هذا التي المطلق واعتذرنا عنه بأنه لم يطلع على كتب الحديث وانه لالوم عليه في ذلك اذ قلنا ان هذا ليس طعنا في الكاتب فانه ليس عالما مسلما فيعاب بعدم الاطلاع على السنة » الخ فأين البراهين التي جاء بها على نفيه ما عدا حديث ابن ماجه في طالبا بقرع البرهان بالبرهان وكيف ساغ له أن يسمي اعتذارنا عنه سبابا ومهارة ؟ لقد ظهر انه يريد بهذه الالفاظ إلهاء خيالات القارئ ، كما هو شأن الصنف الذي قلنا انه نصف الحمامين ،

ولقد كان منه بعد تعميته وإيهامه ، وتعرضه وإيهامه ، ان زعم انه عاد الى تعزيز رأيه الذي قندناه ، ونفيه الذي أثبتنا سواء ، فبدأ هذا التعزيز بكلام في تاريخ الرومانيين والفرنسيين وكلام في حرية المعاملات وسهولة التجارة ورأي له في استحسان تدريس علم الاقتصاد السياسي في المدارس الثانوية وجعل كل هذا تمهيدا لرد قولنا ان غير ابن ماجه من المحدثين رووا أحاديث في الوقف خلافا لنفيه المطلق ، فها هذه الحجج والبراهين ، عند هذا الصنف من الحمامين ، اللهم أفرغ الصبر الجليل على قلوب القضاة الذين يتلون بسماع أمثال هذه الحجج والبيئات •

ثم جاء بعد هذه التمهيدات العجيبة بالحجة البائنة عنده على نفي كون الوقف من الدين وهي ان القاضي شريحا قال : « ان الوقف غير جائز شرعا » : وما قال القاضي

شرح ذلك على اطلاعكم بحججه، ولئن قاله فلا يلتفت الى قوله لانه رأي له واجتهاد منه ولا رأي ولا اجتهاد مع النص عن الشارع وإجماع أئمة الفقه الذين يستفتى بحاميتهم بكتبتهم فتعظيمه وتجيئله بعد ذلك لشرح لا يفي عنه شيئا. وكذلك إيهامه الجاهلين بأنه من الصحابة اذ قال انه دقام بعد وفاة النبي (عليه السلام) يقول للملأ جهارا ان الوقف غير جائز شرعا، والصواب انه من التابعين الذين لا يحتج أحد بأرائهم وما كان مثله ان يعلم الصحابة ما يجوز شرعا وما لا يجوز. على ان الصحابي لا يحتج الجمهور برأيه أيضا قال المحامي البارع ان القاضي شرحا بنى رأيه في عدم جواز الوقف مطلقا على ان الوقف فيه حبس عن فرائض الله المنزلة في كتابه. ونحن نرد هذا بأنه لم يصح عنه كما سيجيء. وبأن الحبس عن الفرائض النصوبة إنما يتحقق ويكون ممنوعا اذا قصد الواقف حرمان بعض الورثة من حقه في التركة كله أو بعضه لما في ذلك من الإيذاء. ومن أسباب العداوة والبغضاء، فإذا اتى هذا القصد كأن يقف على شيء من أعمال الخير كما وقف الصحابة عليهم الرضوان فأشياء في هذا يقضي بالمتع؛ أما لو كان هذا ممنوعا لكان كل عمل خيري وكل وصية للنافع العامة كالمدارس والملاجئ وترقية العلم من المخطورات التي لا تجوز ولا تحمل لأنها تحبس المال عن الورثة فهل يقول المحامي البارع بهذا لأن له الآن حظا في زوال أوقاف المسلمين؛ وأما زعم ان أوقاف الصحابة لم تجز إلا لأن ورثتهم أجازوها كإتقل عن المعنى فهو باطل لأن أحدا لم ينقل في تلك الأحاديث أنهم استجازوا ورثتهم أو استشاروهم ولم يوجد في روايات الأحاديث ان النبي عليه الصلاة والسلام أمرهم بذلك أو اشترطه عليهم فالتأويل به مدع بلا دليل

وقد جاء المحامي البارع بشبهة على كون الوقف ليس من الدين حشاها بين دعوى القاضي شرح ودليله وأما نذكرها متأخرة رعاية للنسق ونردها على قائلها بالسند وهي ان الفقهاء بحثوا في مشروعية الوقف وعدمها قال: فدل ذلك على ان المسألة خلافية بين نحارير العلماء أنفسهم. ونقول ان العلماء التحارير قد تقلوا الاجماع على مشروعية الوقف ولزومه قال النووي في شرح صحيح مسلم ان المسلمين أجمعوا على أوقاف المساجد والسقايات. وهو يتضمن ان مطلق الوقف مجمع عليه. وأطلق القرطبي فقال: راد الوقف مخالف للإجماع فلا يلتفت اليه: ولا ينبغي ان اثبات الاجماع في غير الامور

العملية متصراً أو متنذر وقد علمنا بالتواتر أن المسلمين يقفون من عهد النبي وأصحابه إلى هذا اليوم الذي جاءنا فيه حمام نصراني يريد إبطال الوقف في الاسلام أو إباحة التصرف بالآوقاف بمدنا للمسلمين بزعمه وقطعا لطرق الخير والبر في الواقع ونفس الامر أو تحكيميا للحكام فيها، ولا حجة له الا ان شريحا من التابعين لم يكن يقول بالوقف لانه حبس عن الفرائض واثبات توافق القاضي والحامي في هذه الجزئية وقول الناس لا يجوز لكم ان تقفوا أو قافا بقصد منع ورتبكم من الفرائض التي فرضها الله لهم بل افعلوا الخير لخيركم أمر الله ورسوله. ولعل هذا يرضي القاضي في الآخرة ولا يرضي الحامي في الدنيا

ثم ذكر الحامي البارع ان « أطلع برهان للدلالة على ان نظام الوقف يقبل التفسير والتعديل شرطا مارواه المني في شرح البخاري من أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : لولا أني ذكرت صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لرددتها : فلما قال عمر هذا دل على ان نفس الإيقاف للأرض لم يكن يجتمع من الرجوع فيها وإنما منه من الرجوع فيها ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمره فيها بذيء وفارقه على الوفاء به ففكره ان يرجع عن ذلك » اه نقل الحامي .

وقول ان كلمة عمر في الرجوع عن الوقف متقطعة الاسناد لان قالها ابن شهاب لم يدرك عمر وقد أورد هابض الحنفية حجة لقول أبي حنيفة ان قول النبي لعمر « حبس أصلها » لا يستلزم التأييد بل يحتمل أن يكون أراد مدة اختياره . قال الحافظ في الفتح : ولا يخفى ضعف هذا التأويل ، ولا يفهم من قوله « وقفت وحسبت » إلا التأييد حتى يصرح بالشروط عند من يذهب اليه ، وكأنه لم يقف على الرواية التي فيها « حبس مادامت السموات والأرض » ثم ذكر نقل القرطبي الاجماع على الوقف . فالصواب ان عمر يريد ان صح النقل - انه لو لم يذكر ذلك للنبي في جملة النبي شرطا مقرررا لكان رجوع عنه ولكنه صار ممنوعا من الرجوع شرعا ، لانه كره الرجوع كراهة لما فيه من عدم الوفاء ولضد ف تأويل أبي حنيفة (رحمه الله) هنا مخالفه صاحباه ووافقا الجمهور . فظهر ان قول عمر حجة على أنه لا يجوز الرجوع في الوقف بعد تأييده . ثم ذكر ماقاله الحنفية أيضا من ان قول النبي عليه الصلاة والسلام لعمر « ان شئت حبست أصلها » لا يستلزم اخراجها عن ملكه . ومن الغرائب ان يشهد أحد بمثل هذا وليس في هذه الرواية الا ان

الوقف قرينة اختيارية من قرب الدين • وليس مفروضا على المسلمين ، وهذا مما لاخلاف فيه • وأما كون البارة تفيد جواز الرجوع عن الوقف فمما لاوجه له ولا يذهب إليه الا للمتعلل بالالوهام فانه فهم تبرأ منه العرية

ثم انتقل المحامي البارع من هذا الى ايهام أبعد منه عن الصواب فاستدل على زعمه السابق انه لم يرد في الوقف الا حديث عمر بعدم ذكر الحديث في الموطأ - وزعم انه أصح كتب الحديث - وعدم ذكر غيره في صحيح البخاري ومسلم • وهو غلط • في ذلك ولا يمدو خطأ سيبين اثنين أحدهما قلة اطلاعه واطلاعه شيخه الذي دله على هذه الشبهة في الصني وهو الذي اعتدنا به عنه أول مرة وسماه شتما ، وتانيهما تعمده الكذب مع العلم به وهذا مالا نرضاه له ، فهل يمكن ان يكون لذين السببين ناك ؟ الموطأ ليس أصح الكتب بل أصحها جامعا البخاري ومسلم باتفاق المحدثين ولكن الموطأ ومسنده الامام أحمد أقدم من الصحيحين والأحاديث الدالة على مشروعية الوقف متفق عليها ، وقد ذكرنا في النبذة الاولى التي نشرناها في الجزء السابع عشر ان حديث وقف عثمان ذكره البخاري تعليقاً وان حديث وقف أبي طلحة رواه أحمد والبخاري ومسلم ولكننا قلنا هناك (الشيخان) فلم له لم يفهم ان المراد بهما البخاري ومسلم الا أن يدعي انه لم يطلع على تلك النبذة ، وذكرنا فيها حديث الترغيب في وقف المتقول عند أحمد والبخاري وقلنا ان حديث وقف خالد لا ذراعه وأعتاده صحيح وتقول الآن انه في البخاري ومسلم وهو متفق عليه • وذكرنا ان حديث الترغيب في الوقف على الإطلاق وهو الصدقة الجارية بالاتفاق قد رواه أحمد والبخاري • وحسبه هذا ان كان منصفاً لاسيما مع قولنا ان الحديث اذا صح نهض دليلاً سواء كانت الواقعة - ان كانت واقعة - واحدة أو تعددت • وأذكر ان مالكاً روى بعض أحاديث الوقف لانه مذكور في سند بعضها وأتباعه المالكية يجمعون مع المسلمين على مشروعية الوقف فعدم ذكر أحاديثه في الموطأ لانهض حجة على أن الامام مالكاً لا يقول به فان كثيراً من أحكام الدين المتفق عليها لا ذكر لها في الموطأ

ثم انتقل المحامي البارع الى معارضة الاحاديث المجمع على العمل بها تواتر بحديث اعترف هو انه شاذ وهو حديث شرح لا حبس عن فرائض الله وذكر له سند الى شريح وليس فيه ان

شريحاً أسنده إلى أحد من الصحابة ولا رفته. ولورفته بدون ذكر الصحابي لعدم مراسله
والجمهور لا يحتجون بالحديث المرسل مطلقاً ومن قال بأنه حجة يشترط في ذلك شروطاً ليس
من السهل تحقيقها إلا بما بعد العلم بأن شريحاً يقول هذا لتأيد رأيه على رأي الجمهور. ولوسلمنا
بأن الحديث مسند مرفوع صحيح سالم من الشذوذ لما كان فيه من حجة لما علمت
من أن التبادر منه منع القصد إلى حرمان بعض الورثة من الارث. على أن الرواية
عن شرح فيها مقال وأن نقل الحامي عن النبي أن رجالها قاتت فقد قال الحافظ
الذهبي في الميزان أن ابن يونس قال في راويها سليمان بن شعيب بن الليث أنه يروي من أكبر
وأن القتيبي قال فيه : حديثه غير محفوظ : وهو الواضع لحديث « أبو بكر وزي
يقوم في التماس مقامه من بعدي وعمر ينطق بالحق على لساني وأنا من عبان وعثمان
مني وعلي أخمي وصاحبي يوم القيامة » وأن كان سليمان بن شعيب في الرواية ليس هو
حفيد الليث مع أن التبادر أنه هو لقولهم : سليمان بن شعيب غرابيه : فهو بلا شك
سليمان بن شعيب السنجري الذي يروي عن سفيان الثوري وقد قال فيه ابن عدى
: ضعيف يسرق الحديث : فلمن هذا أن الرواية عن شرح موضوعاً وأهمية وأنها
لوحقت وسامت من العلة والشذوذ لما كان فيها دليل على المراد. وهذا كل ما قل عن شرح
قال الحامي البارح : ويؤيد هذا ما رواه الطحاوي أيضاً من حديث عكرمة عن ابن عباس قال
« سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعدما أنزلت سورة النساء منى عن الحبس » وأخرجه
البيهقي أيضاً فمن هذا يعلم القارئ أن رجال الدين في صدر الاسلام كانوا يتناقشون ويتناظرون
في مشروعية الوقف وأن منهم من رأى أن الوقف غير جائز شرعاً : اهـ

أقول أما الحديث فضعيف لأن في أسنده عبد الله بن طه عن أخيه عيسى وعماضيان ،
ولا نظر لتوثيق أحمد لمبدأه لأن الجرح مقدم على التعديل وأما جرحه الحافظ مع علمهم
بقول أحد فيه ولا توثيق ابن حبان لمبداً لذكر ولاه متساهل يعتد بجرحه ويثبت بتعديله
كما قال الحافظ ويؤيد ضعفه استمرار المسلمين كافة على الوقف من ذلك اليوم إلى هذا اليوم ،
وأما ما فرعه عليه أو على مجموع ما تقدم من أن رجال الدين في صدر الاسلام كانوا يتناقشون
في مشروعية الوقف فهو باطل ولم يوجد ما يدل عليه إلا أنه ادعاه أولاً ثم أدعاه آخره
فهو يؤيد الله عوي بالله عوي

بقي اتاعلمنا من عبارات الحامي البارع انه اعتمد في تمويهاته على شرح العيني على البخاري وقد نقل ما نقل عنه ميتورا ولو تصفح الجزء الذي نقل عنه أو الفهرس لعلم ان في البخاري كثيرا من الاحاديث في الوقف. وفي الورقة التي نقل عنها من شرح العيني انه لا خلاف بينهم في جواز الوقف وفعل ذلك ثم ين موضع الخلاف فقال (ص ٤٦٩ ج ٦) : «واختلفوا في جوازه من يملك الرقة اذا لم يوجد الاضافة الى ما بعد الموت ولا اتصل به حكم حاكم فقال أبو حنيفة لا يجوز حتى كان للواقف بيع الوقف وهبته واذا مات يصير ميراثا لورثته وقال أبو يوسف ومحمد والجمهور يجوز حتى لا يباع ولا يوهب ولا يورث» ثم قال «وفي (أي الحديث) ان الوقف مشروع خلافا للقاضي شريح، فلم انه لم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية الوقف الا ما نقل عن القاضي شريح ولعله كان لعدم علمه بالاحاديث الصحيحة فيه، وجهل عمر شره بمحاكاة ابياءه واقراء الخلفاء بعده اياه على القضاء في الكوفة لا ينافي ذلك فان الرواية كانت في العراق قليلة على عهده. واما زعم الحامي ان شره بمحاكمة نادى في الناس بفتح الوقف ومجادل ويناضل فيه فغير صحيح وما ذكر من الحجج عنه لم يرو منه الا قوله «لا حبس عن فرائض الله» وهي شبهة وقد علمت ما فيها متناوسدا. فظهر بما كتبه ان الوقف مشروع في الدين. وجائز باجماع المسلمين، وان العبث بأحكام السنة ليس سهلا كالعبث بالقوانين. فلا تتناول بها خلافة ذلك الضعف من الهامين. لان لها نصرا يؤيدونها الى يوم الدين. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»

الشم السوي

﴿بلم - صقلية﴾

(ملاحظات سالم بصير)

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنَسْكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَقُولُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْبَىٰ آلَ الْبَصَارِ وَلَكِنَّ تَعْبَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»

قضت المقادير أن أغبر خطة سفرى عن طريق مرسلها الى طريق إيطاليا وكان لي في ذلك خطان من السفر أحدهما يمر بالرم ثم يصل الى نابولي ثم تكون الإقامة

في نابولي نحو أربعة أيام ويسدو المركب بنا إلى ماسينا ومنها يذهب إلى الاسكندرية والآخر إلى عند بلرم (أوباليرم) وتكون الإقامة خمسة أيام نذهب بعدها إلى ماسينا كذلك وكان يودي لودفيت مع الخط الأول فكنت رأيت بلدانا كثيرة وآثارا عظيمة تزيدني علمي كثيرا ما لم أعلم إلى اليوم غير أن بعض أصحابي قال لي إن بلرم هي عاصمة صقلية ووجود فيها من الآثار العربية ما يهيم العربي أن يراه وفيها داران للكتب لا تخلو كل منهما من كتب عربية قديمة ربما يستغرق الاطلاع عليها زمنا مثل الزمن الذي تقضي الضرورة بصرفه إلى يوم السفر إلى ماسينا: ففضلت النزول إلى بلرم ولأذكر الآن شيئا مما لاقيت من الحمالين وغيرهم من مستقبل المسافرين ولكن أعود إليه

بعد أن أخذت مكانا في زلستانترال بشارع ووجه خرجت لأبصال بعض رسائل التوصية إلى من أرسلت إليهم فلاقيت منهم ماسرني وكان أحدهم موصى بأن يسهل لي طريق زيارة المكتبة العمومية ودار المحفوظات الرسمية والتمكن من رؤية ما يكون فيها فوعدي بالحي في القدر لمرافقتي إلى المكتبة. ثم بعد ذلك بدأت زيارة قصر الملك ولأحاجةني إلى وصفه فإن ذلك من شأن صاحب جريدة أو سائح يطلب اظهار البراعة في حسن الوصف وسعة العبارة. وغاية ما أقول أنه قصر (أوسراي) واسع كبير البيوت باهر الزينة والأثاث ككسائر قصور الملوك في أوروبا أو في غيرها من البلاد الشرقية والغربية مما تنفق فيه الأموال بحساب وبقير حساب ولا شيء منها من كد الملك أو الأمير أو ناسه من أموال الرعية وكسب الحفاة الرعاة الذين لا يجدون ما به يستترون ويشتهون لو اتفق على جدران أبدانهم وأركان أجسادهم جزء من المليون مما تنفق على حيطان تلك القصور وزواياها وسقفها - ما نأخذ أكر شيئا من وصف ذلك التقى في بلد الفقر ولكن أذكر ما رأيت فيه مما يجب الشرقي أن يطلع عليه أما المبرة واما لفكاهة. ذهب بي حارس القصر أو لالي حيث توجد كنيسة الملك ولأحاجةني وصفها كذلك - الا لو كان الله يحب أن تزين له معابده، وتتش لهجد مساجده، كما يحب ذلك ملوك الأرض - فوجدت في المعرل الموصل إليها على الحائط المتصل بالكنيسة حجرا قد كتبت عليه هذه العبارة:

« خرج الأثر من الحضرة الملكية المعظمية الرجارية العلية أيد الله أيامها وأيد أعلامها بمثل هذه الآثار صد الساعات بمدينة صقلية المحمية سنة ست وثمانين وخمسة »

ثم في أعلى الحجر سطور بالحرف اليوناني يظهر أنها ترجمة هذه العبارة • والحضرة
الرجارية هي حضرة الملك رجار أو (روجير) الترمندي الذي دخل جزيرة صقلية
وقتها على العرب وكان لسانه الرسمي في حكومته اللسان العربي واليوناني • أما ميله في البناء
والزينة فكان إلى الرسم اليوناني • ولهذا الملك آثار كثيرة في بارم ويوجد كثير من
الحجرات العربية والصكوك مما كتب في أيامه • ويقال إن العرب كانوا في زمن
الترمنديين ممتعين بحرية تامة في إقامة شعائر دينهم وتصرفهم في شئونهم وإن كان هذا
الملك قد هدم مساجد كثيرة لثقل أعمدتها الجليظة إلى الكنائس التي رأى تعجدها في
المدينة • ويظهر من العبارة المرقومة على الحجر أن هذا الترمندي كان عندما دخل البلاد
ذهب مذهب أهلها من العرب في المدينة ولم يحقر ما وجد من آثار العلم فكان يأمر
بصنع الآلات الفنية والفلكية ويساعد القائمين بعملها

وأيت في خزنة الجواهر من قصر الملك صندوقا عربيا في طول نحو ثلثي ذراع
وارتفاع ثلاثة أرباع الذراع صنع من نحو ثمان مئة سنة على ما يقول الحارس وهو مفتش
بالتقوش الذهبية من أجل ما رآه عين الآن وقيمته عند الدولة خمس مئة ألف فرك •
ورأيت في أحديوت القصر بابا من الحديد مطليا بطلا صفر جميل من أجل ما صنع من
الابواب وهو من صنع أيدي العرب أيام دولتهم

وأيت ريتا من بيوت القصر فيه صور نواب الملك في عهد البريون بعد الترمنديين
ومع كل نائب منهم كردينال كما كان للملوك كرجال يدعونهم ويشركونهم في كثير
من شئون الملك لذلك • كان النائب عن الملك يصحبه كردينال يرجع إليه في أمور
دينه وفي أعماله السياسية أيام كانت الأحكام المدنية والسياسية مما يدخل فيه رجال الدين
كما نقول عندنا • المتقي أو شيخ الاسلام • في عهد الملوك الذين لا تسمح لهم أوقاتهم بتعلم
العلوم الدينية فيحتاجون إلى من يرجعون إليه من علماء الدين • غير أن المتقي وشيخ
الاسلام إنما يجب عما يسأل عنه أو يؤدي ما كلف به • أما الكردينال فكان يتدبر
المشورة ويقترح المطلب ويقع نائب الملك على المذهب • ويكلف يده عن العمل لا يرشاه
ويحمله على بسطها فيما يتوخاه • فكانت السلطة الحقيقية مدنية سياسية دينية في نظام واحد
لا فصل فيه بين السلطين وهذا الغرض من النظام هو الذي يعمل البابوات وعملهم من رجال

الكثلك على ارجاءه لانه اصل من اصول الديانة المسيحية عندهم وان كان ينكر وحدة السلطة الدينية والمدنية من لا يدين بدينهم

كان مما قاده بعض أسدقائي في جريدة الامكنة التي يرغب في رؤيتها محل يسمى بالدوم أي القنب فذهبت اليه واذا هو الكنيسة الكبرى التي تسمى كاتيدرال رئيسها هو مرجع رؤساء بقية الكنائس في المدينة والولاية وهي من عظمة البناء وبهجة الزينة على ما بطل شرحه وأصل هذه الكنيسة الكبرى مسجد باق على ما هو عليه حتى بابها الخشبي الجميل غابة ما في الامر انه زيدت فيه الصور والتمائيل، وضروب أخرى من الزينة الكنائسية ويمكن للتائر ان يتفرس ذلك بمجرد رؤيته من الظاهر لان رسم البناء على الطريقة العربية في عامة المساجد

زوت بعد ذلك دير ايسى ديسانت جواني وهو مما كان قد كتب في جريدة الاماكن ولم أوفيه شيئاً سوى ان أسفل الدير كان مسجداً فلما جاء الزمندان حولوه الى كنيسة بناتها واجار ونقل اليها هذه الاعمدة من المساجد التي خربها لما عجزه من أعمدها ثم أخذني السادن بعد ذلك الى قبة قريبة من الكنيسة وقال لي انها على شكل عربي ولما رأيتها خالية من الزينة المعتادة رؤيت باقى اماكن العبادة الصرايبية سائكة في ذلك فاخبرني أن الاسبانيين عندما غلبوا على سيسيليا سلبوا ما كان في هذه الكنيسة من الموزاييك (زينة من أجل ما زينه بالاماكن والأدوات تصنع من قطع دقيقة من الحجارة على أشكال مختلفة بحيث يصورها جميع ما يمكن تصويره من الرسوم والصور) وحملوا ذلك الى بلادهم، وقال انهم لم يقتصر على ذلك بل سلبوا الكنائس كل ما كان فيها من المصنوعات الفضية كذلك. فقلت لصاحب كان معي يظهر ان كل قاتح يرى من الواجب عليه ان يفسد شيئاً من عمل من سبقه فكل منهم يقوم بما رآه واجبا عليه :

عرفت قسيساً حليماً معلماً للربية بمدرسة دير الكيوشين في برلم - وسناني على ذكره - فما أرشدني اليه رؤية بقية من قصر يسمى المزينة وهو اسمه في الطليانية فذهبت معه اليه واذا هو قاعة كبيرة فيها سلسيل ماء بنيت على نمط ما كنا نسميه عندنا (القاعات الحرمية) حيطانها مزينة بلوزاييك من أجل ما تحب عين ان تراه ولم يبق من القصر مكان ينظر اليه السائحون الا تلك القاعة . اما أعلى القصر فيسكنه أناس من أهل المدينة وقد دخل تباهيه في ملك بعض الأغنياء . والقصر من

بناء الملك راجار الزرمندي بناء لابنته عزيزة . وعلى مقربة من هذا القصر قبة يقول القيس إنها مسجد عربي فأخذنا نحوها فاذا هي في بستان كبير قد أغلق بابها وقيل لنا ان خادم البستان فيه ، وذهب ذاهب لينا ديه ، وطال بنا الوقوف ، واجتمعت علينا من الصفار والنساء صفوف اوزخوف ، جلبتهم علينا تلك العمامة وصاحبها الحية ، وكلما طردنا فوجا أقبل فوج ، أو نجونا من موج علا علينا موج ، الى ان جاء رجل قبل انه هو حارس البستان ، وبعد قليل وقال في فتح الباب ، واحتياجه الى اذن من صاحب البستان ، رضي بالفتح ، طعما في الفتح ، فدخنا ورأينا صعوبة جديدة في فتح القبة فذلناها . القبة من قباب المشايخ التي يقيمها المسلمون على قبور الاولياء والامراء على خلاف ما يأمره الدين وأظن انها على قبر من هذه القبور وليس فيها من أثر عربي سوى شكلها هذا

— كنيسة موريا لي، وتسا هل العرب، وأين هم اليوم —

مما رأيته في بلرم (صقلية) كنيسة موريا لي وجميع عتفها والاغلب من جدرانها مغطى بلوزايك ألوانا وأشكالا من أبيه ما يهيج الشاطر ، وأجل ما يبرح فيه الخاطر ، وفي ناحية منها قبة تعرف بمعد الصليب فيها من التماثيل وضروب الزينة ما يقصر عنه الوصف . وأهم ما يذكر في شأنها انها مبينة في القرن السادس من التاريخ المسيحي فيكون لها نحو ألف وثلاث مئة سنة والمصنوعات الخشبية الجميلة محفوظة من ذلك العهد لم يجزأ السوس على قرض شيء منها لبركة العناية والاهتمام بالتنظيف وأما ما يقول به بعض الحذاق في معرفة طبائع هذه الهوام الدقيقة من انها تعرف الصلب وما خصص له من الادوات وتشعر باحترام تلك الصور والتماثيل التي صورت في تلك الاخشاب وانها بذلك صارت مسيحية كاثوليكية فلا يباح لها قرض الخشب المسيحي ، ثم ان اعتقادها بجرمة القرض ، حملها على العمل بخالف شهوة الاكل قياما بالقرض ، فلا أظنه في غاية الصحة بل ولا في أولها كذلك . وقال ان الكنيسة من بناء الملك كيلولو الثاني وقبره فيها صندوق من حجر فيه جثة

ومن ذلك تعرف ان العرب رحمهم الله لم يمسوا هذه الكنيسة بسوء مع عظمة سطوتهم وامتداد ملكهم في سيبيليا ، وتلمح من هذا أن العرب — وان فبق كثير

منهم عن أسرهم - غروح الدين الاسلامي كانت تومس في كثير من أعمالهم ،
نهى الدين عن هدم الكنائس اذا لم تكن مريضاً لشر بخشى خطره على الدولة
ففظروا رعاياهم كنائسهم ومعابدهم ولم يضمنوا بها ماصنع غيرهم من جاهددهم ،
ولم يريدوا ان يقتفوا أثر خصومهم ممن كان يهدم مساجدهم ، ويحرب معابدهم ،
فيا الله آياهم . لاجرم ان الاسلام عربي وأحق الناس برعايته والوقوف عند
حدوده بعد فهم حقيقته هم العرب فأين هم ؟ يمكن ان يقول قائل : انفسهم في
جزيرة العرب أو في الشام أو في العراق أو في مصر أو في تونس والجزائر أو في المغرب
الاقصى ، ألم يكفك كل هذا العدد ، فأكثر من ألف بلد ، حتى تقول أين هم ؟
ولسكي أقول له انما يكون القوم اولئك القوم اذا بقيت لهم اخلاقهم ، وحياة أرواحهم ،
فان كان لم يبق الا أشباح تشبه أشباحهم فليسوا بهم ، في الحق ان أقول عن العرب
هأين هم ؟

﴿ دير الكبوشين ومدرستهم ومقبرتهم في بلرم ﴾

(وفيه بحث الدعوة الى الدين واحياء اللغة)

للكبوشين دير في بلرم فيه معبد ومدرسة ومقبرتان . اما المعبد فهو المعبود
لا يحتاج الى انكلام عليه ولا يختلف عن غيره من المعابد ، واما المدرسة فهي لتعليم
اللغات والفنون والعلوم التي يحتاج اليها المرسلون الذين يكلفون بالدعوة الى الدين
المسيحي والتبشير بالانجيل ونشر ما تعضي النيرة الدينية نشره في الانظار النائية كبلاد
العرب والترك والفرس وغيرها . وما يعلم فيها اللغة العربية ، واستأذها الراهب
جبرائيل مارا الكبوشي وهو من حلب وتعلم العربية في بيروت وأخبرني ان من
استأذته صديقنا الشيخ سعيد الشرتوني صاحب (أقرب الموارد) في اللغة . لاقت
ذلك الراهب وحادثته في شأنه والزمن الذي قضاء في ايطاليا والذهابي الى الإقامة
فيها اثنين لي انه جاء اليها ليعخدم دينه هذه الخدمة - تعليم اللغة العربية لنشر الدين في
بلاد العرب مثلاً - وكان يتحرى في كلامه قواعد اللغة العربية بقدر الامكان فحمدت
منه ذلك . كما اعتقده انما تعلم العربية ليتفهم بها في منطقته وان كان في بلاد
ايطاليا وعمل على اعتقده ، وما كان أسهل عليه ان يتكلمني بالخليجية كما يتكلمني البيروتي

بالبروتية والتولسي بالتولية ولا يبالي أ كنت أفهم أم لا أفهم كما لا يبالي الكثير من
ذكرناهم .

وفي هذه المدرسة تعلم العلوم اللاهوتية كذلك للغاية التي ذكرناها ولا حاجة الى
ذكر ما فيها من العلوم فان ما يحتاج اليه للبراعة في نشر الدين والدعوة اليه معروف عند
من يعرف ماهو الدين ويتصور معنى الدعوة اليه . أما من لا يعرف ذلك فلا نكتب له
سرفا واحدا من هذا الكلام ، فان قال قائل : فلن نكتب ما نكتب ؟ قلت
ان فقد الفاهم فاني أحفظه لنفسي والسلام . هل خطر ببالنا - وكل من يدعي الفيرة
على دينه ويرى انه الحق الذي يجب على الناس كافة أن يتخلصوا أرواحهم باعقاده
والاخذ بأصوله - ان ننشي، فرعا من فروع التعليم لنشر الدين وتقويم أصوله
ين أهله فضلا عن نشره ين من ليسوا من أهله ؟ أريد من أهله أولئك الذين
لبسوا رداءه واعترفوا ان الدين دينهم سواء عرفوه حق معرفته وهم في غنى عن
الدعوة اليه ، أوجهلوه أو انحرفوا عن طريقه وهم أوج الناس الى الارشاد وأشدهم
اقتارا الى من يحول اليه نظرهم . ويسطف عليه اختيارهم ؟ هل مرر ببالنا ان نهي
لهذا الفرع من التعليم ما يلزم له من قنن واساندة لتلك القنن ككبيي . هؤلاء ما يبيشون
تعليم من يقوم بدعوة من ليس من دينهم الى دينهم ؟ ما كان أحوضا الى انشاء ضرب من
التعليم خاص بمن يكلف بارشاد من يسي الى الدين باسم الدين ومن يهدم شرف الدين
بفعل ينسب الى الدين ؟

ألا يحق لنا ان نطلب من أولئك الذين صعدت بهم ألقاب الرئاسة الدينية الى
أسمى المنازل ان يفكروا في هذا الأمر ، ويقوموا بما يجب عليهم منه ، ان لم يكن
لمصلحة الدين فامصلحة أنفسهم ، فان في تقوية جانب الدين تقوية لساندهم ، وفي
تبصير العامة بشئون الدين تمكيننا لحرماتهم في نفوس الدماء وتسميلا لسيادتهم عليها ؟
أليس لنا على ضعفنا ان نذكرهم بالامر الالهي القارع للقلوب المزعج لهمم في قوله تعالى
« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »
الح فهل يليق بهم ان يصموا آذانهم عن هذا الخطاب ولا ينجسوا ان يكون الصام عنه
بمنزلة الخروج من مدلول كاف الخطاب ومشعرا بأنهم ليسوا من أولئك الذين خطبوا

به ؟ ؟ لنا بل علينا ان نطالبهم بذلك وأن نزيد عليه مطالبتهم بالنظر في انشاء فرع لتعليم ما يلزم لنشر الدين بين بقية الامم ان كانوا يستقدون ان دينهم هو الحق فان السكوت عن الدعوة الى الحق رضاء بالباطل • اولئك الملوك والامراء الذين لافضل لشيء عليهم في تنعيمهم بمسكهم واخضاع رعاياهم لسلطانهم مثل فضل الدين لم يقتطعون شيئاً من مالهم وقمعا من زمانهم ينفقونها في الاشتغال باحياء روح الدين ، ولا يكتفون بشئ العامة بالمحافظة على رسوم كلها اوجابها لا يعرفه الدين ، ؟ أفلا يجب عليهم ان يسعوا في زيادة تمكين قوتهم ، وتعزيز سلطتهم ، ؟ اللهم الا اذا ظن هؤلاء وأولئك ان الدين حيوان يعيش على رجلين يطلب رزقه من القلوب حيث يجد الحاجة اليه ، ويغدو الى مرءاه من النفوس متى اشتد الجوع عليه ، فاذا قصر في ذلك حتى أهلكه الجوع ومات قائماً اثمه على نفسه لاعايمهم ،

وربما يقول قائل : ولم تستبعد هذا الظن منهم فتعبر في جانبه بكلمة « اللهم » وهم قد يزعمون أنهم من أهل السنة وربما طلبوا الدخول في أبواب حماة السنة هذا الظن الذي تسابده وما عليهم في ذلك الا ان يقولوا نحن سنيون لا نقول باستحالة شيء ونفخرنا ان نجوز المحال ونذهب الى جواز تجسيم المعاني ولننقد ان الاعمال والمقائد وهي معان نفيسة وحركات بدنية يمكن ان تقلب اشخاصا حيوانات تمشي وأناسي تكلم ، أليست هذه العقيدة هي مطيئنا الى الجنة ؟ فليكن الدين رجلا قاعلا ، او ميكروبا متفلا مفيدا لا قاتلا ، يفعل نفسه ما كان قاعلا ، ويدعنا تنعم بالنسبة اليه ، وان لم يكن لنا عطف عليه ، : فتعجب القائل بأنهم مغرورون ، وان السنة بريئة بما يزعمون ، وسيعلمون أي منقلب يقابلون ،

خرج بنا الكلام عما نحن بصدد • هذا الراهب استاذ العربية في الدير وضع طريقة سهلة لتعليم قواعد اللغة العربية من الصرف والتحو للايطاليين - يضع القاعدة العربية ثم يفسرها باللغة الايطالية بأسلوب يسهل معه تناولها بقدر الامكان ، وقد رأيت من تلازمة الراهب من يحسن قراءة العربية وان كان لا يحسن التكلم بها لعدم التمرين على السماع والناطق ، وما أحوج كل عربي الى تعلم ما يحتاج اليه من لغته ؛ لئلا يكتفى بالعمل وما أوعر الطريق وما أكثر العقبات في طريق العربي الساعي في تحصيل

ملكك لسانه لا يفي حمره ، وهو لا يزال يضرب برجليه في أول الطريق ، أفلا نشمر بالحاجة الى قهراب المطلب ، وتيسير المذهب ، في تحصيل ما تدعو اليه الحاجة من لغتا حتى نستطيع فهم ما أودع فيها من انقائس ؟ والتعير بها ما نجد في أقتنا ، ونحب ان نسوقه الى بني لغتا ، على وجه صحيح ، وبأسلوب فصيح ، أألمأ أن نرجع الى المعروف مما كان عليه سلفنا قهحيا بما كان قد أحياهم ، وتركنا لابتدعوا أخلافهم بما أماتهم وأما تانمهم ؟

أما المقبرتان فأحدهما في بناء متسع الارجل تحت الارض ينزل اليه بسلم وفيه نوافذ يأتي اليه منها الضياء وقد وضعت فيه الجثث على ضروب شتى ، فمن الجثث ماهوفي صناديق مقلدة من الحشب أو الحجر أو البرنز ، ومن ذلك جثة موسيو كرسبي رئيس الوزارة الايطالية السابق قاه في ذلك المحل في صندوق منلق ، ومنها ما وضع في صناديق من البلور بحيث تظهر الجثة لراي من داخل الصندوق على الحياة التي كانت عليها عند الموت . وقد يوجد في الصندوق الواحد عددا شخاض بادية هياكلهم ، ظاهرة وجوههم ، على أنهم ما يجزون له قلب ، وتضربه نفس ، وهذان القسمان من الاموات انما يبالون حظوة الاستيداع في هذا المكان اذا كانوا من الاغنياء الذين يتمكنون ان يدفعوا الى السيرما يطلبه من قبلة هذه الحظوة . وهناك قسم آخر وهو جثث معلقة قائمة في جوارب المكان عليها ثيابها في الحالة التي كانت عليها عند موتها وهي جثث الرهبان والقسيسين الذين يحبون ان يودعوا في هذا المكان ليسعدوا بركته ، ولهم هياكل تقبض لها النفس ، ويضيق بها الصدور ، ولا حاجة بالالى تمداد ذلك ويكفي القارئ ان يتصور ميتا في أشد ما تتركه النفس مما يصور الموت في البدن

واما المقبرة الاخرى فهي كسائر المقابر على ظهر الارض وان كان الاموات في بطنها وهي من أجل الاماكن وأنظقتها والقبور فيها نظيفة البناء بهجة الظاهر . وقد غرس في المقبرة أشجار السرو بنظام يدبوع وقيل لسان الذين يدفنون فيها هم الامراء والاغنياء اما الفقراء فلهم مقبرة تليق بقرهم في مكان آخر . وكأنه قضى عليهم بأن لا يساوا الاغنياء حتى في الموت مع أن الموت قد سوى بين الاغنياء وبين أدنى طبقة من الاحياء بل جعلهم طعمة لا قدر الدين كجمل ذلك حظ أمثالهم من سائر الحيوان ،

قبل ان الحكومة بعد ان استوت على رومية منعت الدفن في المقبرة الاولى على تلك الطريقة وأمرت أن لا يدفن الميت الا في المقابر المتتادة كهذه المقبرة الثانية ونحوها وانما حفظت الحق في الاستيداع في المابد للبا والملك دون سائر الناس فهما وحدهما توضع جثتهما في صندوق وتودع في الكنيسة وقد أحسنت الحكومة في ذلك فان من كان محجبا بعظمته عن الناس في حياته ، يجب ان يكون عبرة لعامةهم بعد مماته (للرحلة بقية)

(المتار) ليعتبر المصريون الذين لا يزالون على ستة أسلافهم الفراعنة في تعظيم القبور واتخاذها مواسم وأعيادا بمقابر الامم الاخرى في زينتها ونظافتها واتك لتجد طريق قرافة مصر شر طريق يمضي فيها الناس تكسوسا لكيها ثوبا من التراب فوق ثيابه وانه ثوب يكسوا بطن الاتف والفم ويرى متصل اذيله الى الصدر فلاحم أقاموا سنة الاسلام بدرس القبور واهمالها ولا سنة سائر الملل بنظافتها وزينتها

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

باب ٢ كيف حدث القوة للإنسان

تلك القوى (*) تابع أصل وجودها من حيث الجملة لظطرة النوع . واما مقسط كل فرد من كل قسم من اقسامها فتابع لتوزيع عام مرتب اقتضاء نظام الوجود المؤسس على وجود المتضادات .

فمن كان يرجو ان ينال نصيباً حسناً من ذلك التوزيع فليعرض عن الذين يجادلون في مثل هذا المقام في عمل الانسان كقول فريق منهم : اذا كانت قوته من صانعه قلت أو كثرت فأني فضيلة أو رذيلة له . وكقول آخرين : اذا كانت قوته منه فلم يتندر بصانعه ان قصر

ولم نوص بهذا الاعراض تقيدا للافكار ان نحول في المعقولات كما خولها الفاطر ، ولا استصغارا لهذه المسئلة ، بل لأننا نجدنا كيفما قلنا نجري في هذه الحياة على آتابة المحسن ومؤاخذه المسيء . فعلمنا ان البحث عقيم وان استج فهو لا يبدو هذه النتيجة الموافقة لما في الانسان من مكنونات الاسرار :

(*) هي المشار اليها في آخر الباب الماضي

ولا نلما ان قول لاثمال أولئك السائلين : ان الفاطر (جلا وعلا) فطر هذا النوع على صورة يتصرف معها في عوالم الأرض ثم ينتهي الى عالم النيب ليسم هناك فيه أمراً لم يبتدأه عبثاً ، وكان من حكمته ان يكون أفراد هذا النوع درجات . وجعل في الافراد شوقا للترقي من درجة دنيا الى درجة عليا . وانما هذا الشوق بإيجاد استعداد عام في أصل الفطرة للترقي . فن أزججه الشوق حتى عرض نفسه لئيل نصيب من الاستعداد العام يوشك ان ينال المنح والتحف مما في أصل الفطرة ، ومن احتج على الشوق في نفسه الخاص بأنه تابع لترتيب الدرجات العام فحجته في نفسه داحضة لان القضاء العام في تفاوت الدرجات يقابله إيجاد استعداد عام . فالتنصح حجة في وجود متسفلين يقابلون متعالين فلا يصح حجة في تسفل فرد بعبثه .

هذا هو سبيلنا الذي اتفق البشر كلهم على سلوكه في قوانينهم الحقوقية والجزائية وليس بعد هذا الا هراء غاليلين أحدهما يشكر إغاضة القوة الغيبية على القوة الحسية مطلقاً والآخر يشكر وجود القوة الحسية مطلقاً .

فذرهم في هرائهم يجادلون وتأخذ لانفسنا نصيباً من بناء الحكم على الواقع لنستفيد علماً نافعاً لنا في يومنا هذا وفي اليوم للموعود .

﴿ تدرج الانسان في القوة ﴾

لكل فرد من أفراد الانسان نوعان من القوة (١) قوة طبيعية - وهي ما منحها الفاطر له لخصه من قوة جسد وعقل وقلب . و (٢) قوة صناعية . وهي ثمرة التعاون الذي اهتمدى البشر لفوائده .

أما تدرج الانسان في القوة الطبيعية فتابع لارتفاعه في القوة الصناعية (*) ولذلك نفرض الآن في بيان القوة الصناعية وشرح كيفية حدوثها ونحصر الكلام هنا في ثلاث روابط فيها يخصص التعاون العظيم الذي ينتج القوة الصناعية . وهي (١) رابطة قرابة الاجساد بواسطة الارحام ، ونسبها رابطة القومية ، و (٢) رابطة قرابة الافكار

(*) اقرؤ أول هذا الفصل الى قولنا : نحمد علمه الباهر يرجع الى عدم العلم اذ « خلق الانسان جهولاً » . وقوة الرائحة ترجع الى عدم القوة اذ « خلق الانسان ضعيفاً » .

بواسطة الاتباع لذي دعوة، ونسبها رابطة الدين والمذهب. و (٣) رابطة قرابة القلوب بواسطة التراخي في اقتسام الاعمال التابعة لحب الزينة وحس التميز، ونسبها رابطة المدنية.

﴿ رابطة القومية ﴾

في الانسان أشواق لا تسكن، لمطالب لا تحصر، فنها مطالب تقتضيها مادة جسمه • ومنها مطالب يقتضيها جوهر نفسه، ومنها مطالب تقتضيها مادة الجسم والنفس معاً. وهذا القسم من المطالب هو الأكثر •

والباحثون في الانسان ينقسمون ان يعرفوا هذا التقسيم فانه يفيدهم في التفريق بين العلل • وما أجدرهم ان يحرموا على إصابة الحقائق في الحاق كل معلول بعلته • وما أجدر الحقائق ان تكون مستورة لثمتن طلابها • وما أجدر من توجهها بفكر حر مترودا من الاخلاص ان يبلغ مايسير به الشوق اليه •

وقد عرف من قبل ومن بعد ان الانسان لا يبلغ شيئاً من مطالبه بدون التعاون الا ان يكون شيئاً من بعض المطالب التي يقتضيها جوهر النفس وحده كالجمال المتجلي في الاشباح الطبيعية، بروحه المناسبة للنفس الانسانية • فكان العجز الفردي بالنسبة الى المطالب التي لا تقتضى تجديد كل حين داء عظيم يحول بين الانسان وما تطالب به فطرته • ويهدد كل فرد بالضعف المميت • وكان التعاون دواء هذا الداء فهو يرفع من أمله الحوائل • ويدفع عنه الفوائل • ويهب كل فرد قسطاً بقدر من القوة المحيية •

أمكن هذا الدواء انما بشي عجز كل فرد من المتعاونين بالنسبة الى غيرهم من انسان وغير انسان • فا الذي يثني عجز كل فرد منهم بالنسبة اليهم أنفسهم اذا أجمعوا أمرا ان يحذلوهم ؟ الجواب عن هذا سيتضح من الكلام على الرابطتين الآتيتين وانما عجنا بايراد هذا السؤال الآن للاشعار بادئ بدء بأن رابطة القومية المؤسسة على مطلق التعاون لا تجعل المتعاونين على النير في أمن من ان يمدو بعضهم على بعض ولذلك نضطر ان نقول : لئن كانت هذه الرابطة قد نمت الانسان فان نعمها ابر وقد ضرته ايضا • قلنا نعمته لاننا لا نستطيع ان نسكر انها قوت منه ضمعا • وجمت منه متفرقين، وفي حضنها ربت له أنواعاً من الاستعدادات حتى دبّت ودرجت وسارت لتبلغ أشدها • وقول ضرته

لأنها كما جمعت منه متفرقين فرقت منه مجتمعين . وكما عرفت له قربي . نكرت له قربي . وكما أنسته أوحشته . وكما حيتته إلى طائفة بنضته إلى أخرى . ولم تزل واقفة به احتجاباً طويلاً وفتة أخوانه من الحيوانات التي ينشئ بعضها بعضاً لا يميزه عنها إلا استواء القامة وإبانة هذه اللحمية (اللسان) عن مكنون ضميره . ولا مكنون هناك غير ما يريد أن يدعو به عصبتهم لبشر عصبه أخرى . أو لم تروا إلى الذين جدوا على هذه السنة القديمة من أهالي البوادي؟ أرايتهم أن أسك المناع عنهم أكتبتهم وأخيتهم والادوات اللازمة لهم هل يحضفون غير ورق الأشجار ، وهل يلثون إلا في جوف الأوجار ؟

فلولا الذين غسلوا عن أذهانهم وضر الاغترار بهذه القوة البسيطة التي لا يدعو فيها أمن الفرد من القريب بفضل عون القريب لكننا حتى هذا اليوم والآنعام سواء . لكن أولئك الثفر لما أتاهم ذلك الذكر وعلموا أن الإنسان قريب الإنسان ، كما يفهمنا كان اللون واللسان ، وأتى كان المسمى والمكان ، أزعمهم الشوق وتشتفت نفوسهم أن تشرف على قوى أخرى هي أسسى من تلك وأنفع للبشر الذين هم أخوان أجمعون فأفاضت عليهم القوة اللبية ما أفاضت من العناية بهم وبأخوانهم بني الإنسان وذلك هو اليوم الذي طفت فيه مواهب النوع الكائنة تتألق في هذه الأرض التي هي عرش سلطانه ، ومجلى تجليات عرفاته . ولا تزال تلك المواهب تزداد اشرافاً ما ازداد الناسجون على متوال أولئك الثفر الكرام لهم منا التحيات الطيبات .

وهب أن فئنا من لم يصل فهمه إلى ما أرشد أولئك إليه فلم يعرف له قائدة عائدة لنفسه في هذه الحياة ولم يؤمن بنصيبه في الحياة الثانية التي يتم فيها المقصود من الجوهر الانساني القائم في هذه الصورة البشرية فهل يحسن به أن لا يفرق في حياته هذه بين ما يحمله عن البهائم رفقاً ، وما يحمله لها رقيقاً ؟

وها نحن أولاء نتشكك عن هذه الرابطة بما تعلمون به أنها لا ترفع الإنسان على الأنعام الا قليلاً ونريد أن نزيد في هذا المقام تبياناً لتدرج اتصال الإنسان واتصاله ونجلو في هذا المعنى أقدم شئونه فمن كان قد حدثه بمثله عقله فسوف يحدث له ذكر او من لم يكن قد حدثه من قبل فاته ملاقيه مفيداً ، وتاليه لذيداً .

كان الإنسان واحداً أبده الموجود مثلاً لكمال الخلق في هذه الأرض . وخلق

فيه خاصة التفريع . أما فترع أول فرع من ذلك الاصل الواحد فلم يزل عند العقل من الاسرار الغامضة وهو يد خاتمة الادوار لتكوّن الانسان على هذه الصورة المحسوسة اليوم من توفع التفريع او التوليد على زوجين يتولد من امتزاج خلاصة من جسدتهما فرع كاحدهما (أي اما ملقح وهو الفحل او متلقح وهي الانثى)

وللتفريع او التوليد في كل الكائنات الارضية ناموس تكويني هو ناموس التلقيح وهو اقتران اجزاء معلومة بعضها ليتولد منها وليد جديد . وقد عرف الآن بالارتقي اليه علم التحليل (الكيمياء) ان كل أنواع المواليد الثلاثة تابعة لهذا الناموس . ولذلك أصبح من المعروف كيفية تولد كل شيء الا الاجزاء المولدة . وما يدرينا ما يحدث من العلم بعد .

فتوليد الانسان بتوقفه على العمل المدعو بالتلقيح لاجل امتزاج الاجزاء المعلومة ليس يدع ولا هو أغرب من توقف النباتات بل الجمادات على ذلك . بيد ان هذه الخاصة التي للانسان في التوليد يشاركه بظيها بعض أنواع الحيوان . والبعض الآخر من أنواع الحيوان كالإبدان مثلاً هو الذي جعل بحالا لظن بعض من الذين لم يخضعوا للكتب الموحدة بأن التفريع الاول من الاصل الاول الذي هو الجواد قد وجدت منه فروع كثيرة متعددة وان هذه الفروع في خلفتها خاصة التفريع على هذا التلقيح المعروف . أما نحن المليون فلا تتبع أمثال هذه الفنون بل تتبع ما أنبأ به الوحي فنقول ان الأصل الاول هو الجواد . والأصل الثاني بشر سوي ذو حياة كحياتنا في الاستعداد وهو واحد . والفرع الاول الذي اشتق من ذلك البشر السوي واحد . ثم جعل الفاطر فيما سوا ذلك طبيعة لاجراء التلقيح . أولها سكون النفس في كل من المتلقيحين واطمئنانها وانسباطها وتلذذها برؤية الآخر وغايتها انجذاب كل منهما للآخر وتلاصقهما بحيث لو ساعدت الحلقة بأكثر من هذا الوجه لتضامت ذرات أجزائهما تمام التضام فصارا جسماً واحداً . ولكن الفاطر قد جعل لهذه الكهربية حداً معلوماً . وسيأتينا أهل الشرائع ان تبين لهم السبب في جواز تلقيح هذا الاصل الذي كانه والده . لذلك الفرع الذي كانه ولده . ثم جواز تلقيح فروعهما بعضها لبعض مع أنهم أخوة .

وكيفان السبب في حدوث الشرائع ثم حدوث الاختلاف فيها أنفع لهم لو كانوا

يتفكرون . وأول واجب ان يعرفوه لعلهم يعلمون بذلك هو اصباح الشرائع واقمعها ، وإقباها واسماها . وستلو عليهم من هذا الحديث لعلهم يشعرون . لينذكروا ان الشرائع انما تفصل من أجل الاجتماع وان التلقيح في ذلك اليوم لم يكن محتاجا الى شريعة . وان الذي تمنعه الشرائع ليس كله قبيحاً في ذاته وانما يقبح لعله من الملل . فلا تمجّلوا ولا تمجبوا من ذلك التلقيح الذي هو سبب تكثر هذا النوع . ولا تسألوا عنه ولكن سلوا عن اختلاف هذه الفروع التي أصلها واحد . واليكم هذا البيان الكاشف :

انه لم يكن في تلك الايام هذه البيوت المبنية للوقاية من الحر والبرد فيظهر انهم كانوا يلجأون الى الكهوف والمغارات ويتخذون الاوجار إما حفرا بأيديهم ان كانت أنظارهم يومهم ذاك أقوى من الانظار يومنا هذا . واما غضبا عما حفره غيرهم من الحيوانات كدأب قبائل منهم إقحام الصانع على تلك السنة لتكون حالهم ذكرى للذين ارتقوا وآية يستبر بها عشاق الارتقا

ولكن أي المغارات تكفي لان تستمكن فيها تلك الفروع التي طفت زبد وتتضاعف في كل عام ماشاء الخالق ان تتضاعف . فكانهم لما تعددوا انشأ كل زوج منهم يلتمس في الارض مغاراً يكتنه وأولاده فهذا التفرق في المقر هو اول تفرق وتباعد حصل بين أولئك الاخوة وذرياري الاخوة . وهو من الاسباب الاصول في اختلاف البشر هذا الاختلاف العظيم

ولما كان بين الانسان وسائر الحيوان يون في الفطرة والاستعداد وخلقهم بهذه الصورة البشرية يضطره في جلب النافع وجب الضرر الى التعاون وهو يقتضي اجتماع متعددين ولو قليلا منهم أتم الباري تكوين هذا المخلوق الحي على هذا الوجه باشياء جعلها من أعظم مميزات التي تلبه الغاية من الكمال الذي يقدر مخلوق من أعظمها (١) الاستعداد للصناعة و(٢) الفضل في قوة الادراك . و(٣) التعلق الذي بين به مدركاته .

فبالطبع تخاطب على ان يتعاون . وبالأستعداد للصناعة بين كل منهم لأصحابه ما يصنع مما يلزمهم على ان يكفوه مؤنة ما يلزم له . وبقوة الادراك هدي للذي يصنعه بقدر ما هم فيه اذذاك من سداجة الحياة وبقدر ما تضطرهم اليه الحاجات من جلب وجب .

وهنا يحسن ان نذكر قاعدة وهي ان تفرق كل اثنين فأكثر يوجب حرمان الجميع من فوائد ما في فطرة كل من المواهب . واجتماع كل اثنين فأكثر يوجب اشتراك الجميع في الفوائد على السوية أو التفاضل .

فالخوف من حرمان الجميع من جميع المواهب التي لا تضر الا بالتبادل هو الذي يوجب الاتصال والرضى بما قسم وان قل . أما إماء البعض واستكفافهم عن قبول القسمة المفضولة فهو الذي يوجب الافتراق . ونلخص هذا الكلام بقولنا بدل الأصل سبب الوصل . وبدل الفضل سبب الفصل .

هذه أسباب الاتصال والانفصال تجلّى بمادية فلا ينكرها فكر سليم قط . وهناك للاتصال أسباب روحية يصورها بعضهم في أشباح من الشعر كقولهم ان في الانسان طبيعة الانس بالجنس ، (أي النوع) ولكنك اذا سألتهم عن سبب الافتراق يحارون . وفي أمن من هذا رجل يقول ان الذي أوجب الاجتماع من جنس الذي أوجب الافتراق وأسباب الافتراق مادية بالاتفاق فلك مثلها . وللافتراق أسباب أخرى أهمها ارتداد الماء والكلاء والصيد وبعد هذا يبقى علينا بيان اختلاف أنسنته وألوانه وتباعده قرابته . أما اختلاف الأنسنة فله أسباب كثيرة

(أولها) الفرق الطفيف الموجود بين منطلق كل شخص وآخر . فان هذا الفرق الطفيف يحدث بدوام التفرق فرقا عظيما . وهذه أولاد التفصل بينهم ما خالفه فيه قومه إلا وبين بغير منعه كرجل انفصل عن قوم وهو ينطق النساء طاء وآخر يمكس وآخر ينطق الذال طاء وآخر يمكس وآخر يلفظ الهذرة عينا وآخر يمكس وآخر يلفظ السين صاد وآخر يمكس وآخر ينطق الحيم شيئا وآخر يمكس وآخر لا ينطق بالقاف وآخر لا ينطق بالراء وآخر لا ينطق بالثاء وآخر لا ينطق بالكاف وهكذا فهذا أكبر باب تفرقت منه اللغات وقسمت به حروف لغة عن أخرى وكل هذا الذي مثله محسوس نسمة في كل يوم .

(وثانيها) رؤية كل مجتمعين في جهة من الارض مالم يروهم من قبل تفرقهم عن غيرهم من نبات وجاد وحیوان فيحتاجون ان يصبروا عنه في مخاطبهم باسم من الاءاء . وهذا باب كبير أيضا .

(وثالثها) تنويع الاساليب في البيان وهو الذي أحدث الكنايات والحجاز والاسماء المشتقة في كل لغة . وبطول الزمن تهجر الكلمة الموضوعه بادئ بدء ويقوم الحجاز أو المشتق عند قوم مقامها ولا يفعل هذا الآخرون بل قد يفعلون بكلمة أخرى ما لم يفعله بها الاولون وهكذا يقع البون .

(ورابعها) انه قبل الاجتماعات العظيمة كانت لوازم الانسان بسيطة قليلة وعلى مقدارها كان الكلام بسيطاً قليلاً أيضاً وبعد ان تفرقوا حدث في كل طائفة منهم من الكلام ما كان على مقدار اجتماعهم ولوازمهم وأخذهم من غيرهم ومبالغ ما حدث عندهم من الصنائع والاعمال .

(وخامسها) عدم وجود حوافظ تحفظ اللغات من الاصطلاحات المتغيرات للاوضاع . فلا يشمر كل قوم بما تغير عند الآخرين فتكون الفارقة .

وهذه الاسباب التي ينشأ عنها أسبابا في كل لغة لما يسمونه الترادف مثاله في لغتنا: أعطى . وآتى . من قيل الباب الاول . واليئث . والاسد . من قيل الثاني . والسيف . والحسام . من قيل الثالث . والحياطة . والدرز . من قيل الرابع . والدعاء . والتداء . من قيل الخامس .

وعلى القاري الذي وعى ما قرأناه ومثلنا به ان يتعرف بتدقيقه فروع هذه الاسباب وان ينم تفكره في هذه الابواب فانه قد يهتدي من التدقيق بالفروق التي بين المترادفات في لغة أو الفروق التي بين لغة وأخرى في المفردات الى ما تقر به العيون من المعرفة التي يهذه المفيدة .

وعليه من بعد ان عرف تأثير التفرق في الديار على الالسنه ان يعلم ان هذا التفرق هو المؤثر على الالوان أيضاً . فان فريقاً مكتسوا فيما جاور خط الاستواء فاسودت جلودهم وآخرين لثوا منذ القديم على شطوط الانهار لم ينتقلوا فاصفرت ألوانهم وشوحت خلقتهم وآخرين تنقلوا في البسلاد ثم توسطوا العمورة فابيضت ألوانهم . واعتدلت خلقتهم . وصح قلوبهم . وذكت عقولهم . هكذا قيل من قبل وهو يشمر بأن كل فريق من هؤلاء أو لو قربى فيما بينهم . وما يمجدين هذا ان كنا لانعرف ما هو ذلك من القرايب والاسباب . (ع.ز.)

أَنَاكَ عَلَى السَّيِّئَةِ

التعريف

﴿ كتاب التمرين • على البيان والتبيين ﴾

قرننا في الجزء الثالث عشر (كتاب ارشاد الالبا • الى تعليم الفبا) وهو المرقاة الاولى من مراقي علم الادب للشيخ طاهر الجزائري • وقد صدر في هذه الايام كتاب التمرين له وهو المرقاة الثانية (قال) • وقد جعلت لتمرين الطالب قبل ان يبدؤ اليه بوادع الكلام ، على مارق وراق من اثر و النظام ، لينتقل مثل ذلك في مرآة ، ويقوى اثره في مشكاته ، فيجوز حسن البيان في اقرب مدة ، بدون عناء ولا شدة ، وهذا هو الاصل الاول ، وعليه في الفصاحة للمول •

وقد جعل الكتاب على قسمين قسم في فصول شتى مختارة من كتب مختلفة بعضها مشهور وبعضها منظوم فالفصل الاول في الانسان والثاني في الحيوان وفيه نبذ في كثير من البهائم والطيور والثالث في حكم مأثورة والرابع في أبيات مختارة من ديوان الحماسة - وقسم في نبذ مختارة من كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ • وقد أحسن المؤلف الاختيار والانتخاب ، ولصكته أوجز واحتصر حيث يرجى التعلويل والاسهاب ، وغن النسخة منه قرش ونصف وهو يطلب في مصر من ادارة المتار ومن مكتبة الحاج مصطفى البابي الحلبي

﴿ تدريب اللسان • على تجويد البيان ﴾

جعل مؤلف مراقي الادب للمرقاة الثانية التي تمكنا عنها آفاقا خاصة بجمع تجويد القرآن الكريم سماها (تدريب اللسان) الخ ولكنها طبعت على حديثها • وقد صدرها بترجمة القراء السبع ورواتهم مختصرة وجعل الرسالة ثمانية فصول أو طائفي مخارج الحروف وآخرها في الوقت والابتداء • وغن النسخة قرشان ويطلب من حيث يطلب الاول وقد عني بطبع هذا المراقى الشيخ أحمد أقدى حسن طبار محرر جريدة نمرات الفنون الشهيرة في بيروت طبعا متناضبط فيه ما ينبغي ضبطه بالشكل وتطلب هناك منه

﴿ كتاب جواهر الادب • في صناعة انشاء العرب ﴾

هذا الكتاب من الكتب التي ظهرت في هذا العام ، وصادفت ما نستحقه من الرواج والاقبال ، مؤلفه الشيخ أحمد الهاشمي ، ومنزته التي قضت بالترغيب فيه والتشويق اليه ، هي جمعه لكثير من الرسائل والقصائد من كلام كتاب المعصرو شعرائه كما جمع مثل ذلك من كلام النابرين فلم يدع موضوعا مما ترغّب نابتة العصر في الخوض فيه ، الا جواب شي منه ، كالشوق والتعارف والتهادي والاستعطاف والعتاب والشكر والشكوى والتهنئة والعيادة والتعزية والشفاعة والوصف وغير ذلك . والكتاب كبير صفحاته أربع مئة ونيف من القطع الصغير وثمان النسخة منه خمسة قروش

﴿ كتاب تربية الاطفال ﴾

وضع هذا الكتاب الدكتور عبدالعزيز أقندي نظمي حكيم بمصوم مصلحة الصحة وطبيب اختصاصي لأعراض السيون والاطفال من كليتي مونبلييه وطولوز (فرنسا) سابقا . • وقد سمي فصول الكتاب زيارات وهو يخاطب بها الامهات قالاوولى في إثبات وجوب ارضاع الامهات لأولادهم والثانية في قوانين الرضاعة من ندي الام والثالثة في سرير الطفل وحجرة نومه والرابعة في قانون صحة النفاس والخامسة في الرضاعة الصناعية وشروطها والسادسة في فطام الطفل وغذائه والسابعة في قساطر الطفل وملابسه والثامنة في نظافة الجسم ولعب الطفل والتاسعة في علاج الجروح وأعضاء المدوى والمعاشرة في علاج امراض الاطفال المنتشرة والحادية عشرة في مشي الطفل ونحو ذلك • وقال في المقدمة والحاشية أنه تجنب الاصطلاحات وبالغ في جعل العبارة سهلة تفهمها الامهات . وظاهر ان هذه المسائل لا تستغنى أم عن معرفة قوانين الصحة فيها فسي ان يقبل الناس على الكتاب وثمة أربعة قروش فقط

﴿ ثلاث قصص ﴾

أهديت إلينا القصص الثلاث الآتي ذكرها ولم يسمح لنا الزمن بقرائها أو تعرف موضوعاتها في الجملة فآكتفينا بالإشارة إليها ، والتناء على مهديها ، وهي (الوفاة في الحب) قصة أدبية تاريخية غرامية تمثيلية مؤلفها عمر أقندي سري وقد طبع بمطبعة التمدن

(غاية البداية) هي القصة الثانية من قصص يصدرها إبراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية باسم (حديقة الفكاهة) وفي كل شهر يصدرها ثقتان وقيمة الاشتراك فيها عشرون قرشا صحيحا في السنة

(الجزء العادل) هي القصة الثالثة والعشرون من قصص (مسامرات الشعب) الشهيرة وهي من تأليف أحمد حافظ أفندي عوض مبنية على القصتين الصادرتين قبلها وقد سبق لنا ذكرها ولا بد أن يكون قارئوها راغبين في الوقوف على ما جرى لبوسف الباس الفقير الذي هو موضوع القصتين الأولىين

(مجلة بقرط الطبية) «مجلة طبية حلية للأطباء وصحبة للمثلاث تصدر مرتين في الشهر ، لمنشأها الدكتور حسين (أفندي) يسري ، قيمة الاشتراك في السنة ٤٠ قرشا في القطر المصري و ٥٠ قرشا في الممالك الأجنبية تدفع سلفا »

صدر عددان من هذه المجلة يدخل الواحد في ٣٢ صفحة وفيهما كثير من المقالات الطبية والأرشادات الصحية ولا شك أن البلاد العربية في حاجة شديدة الى مثل هذه المجلة النافعة فتتمنى لها النجاح والانتشار

(النيل) جريدة سياسية أدبية أسبوعية مصورة أصدرها في القاهرة حديثا محمد أفندي غانم وسلميم أفندي قمين وهما من الذين سبق لهم الاشتغال بخدمة الصحافة واحترابها فتتمنى لهما من النجاح والتوفيق أقصى ما انتهى اليه استعدادهما ، وقيمة الاشتراك في الجريدة مئة قرش صحيح في مصر وسائر بلاد الدولة العثمانية و ٣٠ فرنكا في الممالك الأجنبية

دلائل الإعجاز

إذا أردت أن تحصل قون البلاغة بسهولة وتقف على أسرارها فتكون كاتباً أو شاعراً وتقوم بلاغة القرآن فادونه فليك بمطالعة كتاب (دلائل الإعجاز) في فن الداني وكتاب (أسرار البلاغة) في فن البيان لواضع العلمين الامام عبد القاهر الجرجاني ومن كل منهما ٢٠ قرشا ومن أسرار البلاغة مائته ١٥ لأن ورقه دون ورق الاول وبطلان من ادارة التار بمصر وأجرة البريد عن كل منهما قرشان

سيرالون

سيرالون - لسانح محب للمنار

قال بعد رسوم الخطاب :

إني من الذين قد رافقتهم الاستفادة بالمنار من ابتداء ظهوره واني أعد انتشاره
خدمة مهمة للإسلام فسميت حتى وجدت له مشتركين في خاتبة (كريت) ثم في فاس
ومنذ بلوغي هذه الديار مازلت أشوق الناس الى اقتناء المنار حتى كدت ان أبأس غير
أني وقت أخيراً الى مشترك واحد . ولما جاءتنا المجلة أطلعت عليها كثيراً منهم
فوجدوا مباحثها موافقة لآخاري وأخذوا يطالعونها بكل ارياح رغماً عن قلة
معرفةهم بالعربية . ولهذا السبب أرجوان ستؤثر تعليماتكم المفيدة فيهم لأنهم أحوج
المسلمين اليها لنشوا الجهل بينهم وتواصل التباؤة في رؤسهم ولاتطلاع علاقتهم بالشرق
الاسلامي بعد المسافة ولتقدان الحجة الدينية منهم . وبما ان المنار الاغر مشغول بأحوال
المسلمين عموماً فيجب عليّ اخبار الشيخ أعزه الله بأحوال هذه البلاد مع الاختصار فأقول :
ان عدد السكان في هذا القطر يبلغ ثلاثة ملايين نصفهم أو ما يقرب من ذلك على
دين الاسلام كما تحققت ذلك في خلال اسفاري في الارياض على انه قبل عصر واحد
بالقريب كان عشر السكان على هذا الدين . وذلك الانتشار السريع لم يحصل الا بعد
تملك انكترا للبلاد . واما عاصمة القطر (فري تاون) فيبلغ أهل الاسلام فيها
عشرة آلاف نسمة وهذا العدد نحو ثلث السكان . والجماعة الاسلامية مركبة من
أقوام مختلفة أكثرهم عدداً قوم آكو وهم من الارقا ما الذين ركبوا البحر من سواحل
لاغوس قبل مائة سنة فأخذهم الانكليز في الطريق وأسكنوهم هنا في حين (حاريتين
- فولاتون وفوربي) على ان هؤلاء القوم لا يتفقون أبداً فالمدواة متمكنة بينهم
خصوصاً أهل فوربي الذين لاتقطع من بينهم الخصامات والمشاخبات بحيث ان الحاكم
الانكليزي قدم لهم بسبب خصاماتهم المستمرة والبعض من أهل هذا الحي لا يتقربون
الي الجامع لمسلم من المدواة مع اخوانهم . وفي هذه المدينة أربعة جوامع وأربع

مدارس ~~مكمل~~ واحد منها مخصوص بقوم منهم والمدارس تأخذ اقامة من الحكومة (٢٢٠ ليرة للجميع في السنة) ولما جئت ووجدت طريقة التدريس معوجة في الدرجة القصوى وعرفت أنه لا يمكن للتلميذ ان يفهم شيئاً من العربية مهمات مدة التدريس صممت على تبديلها بالطريقة السهلة وارشاد معلمهم الى أصول التعليم ولا سيما توجيه نظرهم الى اخلاق التلامذة وسلوكهم السيئ ولكي لم أصب آذاناً واعية بل قابلو اقتراحاتي بالاعراض . ومع ذلك فاني مأسئت ولكن ظلت ناصحهم ملحاً في بياناتي حتى اتى وقت الى استمالة بعض الشبان من أهل فولانون ومنهم ذاك المشترك .

وبعد قراءة فصول المثار أخذت في تفسير مباحثه من دينية واجتماعية وان الطريق التي يرشد اليها المثار هي التي لا زال ساعياً في ادخالهم فيها . على ان اقبالهم على الهجة واحلالهم ايها محل الاعتبار قد جدد آمالي . وقصدي أن أستمر على وعظهم بالثار . وأما أهل فوريي فانهم أعرضوا عني كل الاعراض وصرحوالي بأنهم لا يرضون ان يسموا الوعظ في جامعهم مع ان هذه الايام أيام رمضان ينبغي فيها تكثير الوعظ وتكرير التذكير خصوصاً مع فقدان الوفاة من جوامع هذه البلاد ولا تسلي يسيدي مما هنا من الامور المخالفة للشرع وللآداب الاسلامية التي يعمل بها عندنا في الشرق أقل الناس ايماناً وأضعفهم اعتقاداً فهو لاء السودانيون يابنون الديانة الاسلامية على خط مستقيم في أكثر الامور بل فيها جميعاً ولا يريدون التحلي بتلك الآداب الممحنة بل يفضلون عليها عبادات أجدادهم الجبوس .

وأخبركم أيضاً ان هنا رجلاً من نصارى الزوج اسمه الدكتور بلاندين اشتهر في انكلترا وأميركا بمعارفه الواسعة وبندقيته العميقة في دين الاسلام وله مؤلفات معتبرة اشتهرها (النصرانية والاسلام وجنس الزوج) فذكر فيه من الخبر ما ادعى أنا انه لم يصل الى درجته فيه أحد من علماء أوربا في الاعتراف بمحاسن ديننا وفضائله وله إلمام بالعربية فلذا أسعى في الصلة بينه وبين المثار . وهو يقول في وجود المسيحيين أنهم عبيات يسعون في تصير الزوج يكون هذا البلاد دار الاسلام . ومن الأسف أن لا يعرف العالم الاسلامي هذا الرجل

واحترازاً من التصديق أوجز الكلام فأقول أرجو من سيادة الشيخ ان يكتب بضعة أسطر في أحوال هذه البلاد لا يقاط المسلمين من غفلتهم ناهياً أيام أن يتركوا

الطريقة القديمة في مدارسهم وأن يدخلوا فيها الكتب النافعة من مصر وغيرها إذا لا يمكن تدريس العربية بلا كتب مع كثرتها اليوم في الشرق وأن يصيخوا لتبصيرة من يدلونهم على طريق الخير والصالح . على أن الدجالين يجدون عندهم كل ترحيب واعتبار وهم المفاخرة وسكان الصحراء أو معلوم أنهم لا يقدرّون على تفهمهم ولو أرادوا ذلك لكونهم محرومين من جميع أسباب الترفي وقاد النسيء لا يعطيه كما قال الأستاذ . والمأمول أن حضرة الشيخ سيدي البصيرة لهؤلاء البسطاء المقول كما يسديها لغيرهم لعل الذكرى تكون نافعة لهم .

عدين وبلاد العرب - لسائح محب للنار

قال بعد رسوم الخطاب :

وقد وصلنا إلى عدين منذ عشرة أيام ولم نجد سيلا للسفر إلى حضرة موت لعدم مصادفة ركب متوجه إليها والامل أن نصادفه عن قريب . وقد كررنا التوسم في معارننا بدين علنا نتهدي لمن يقوم بشر المنار فلم نجد حكمة ذلك إلا صاحبنا

اذ هو خير الموجودين ويجمع لديه كثير من أهل عدين يوميا فحسب أن يستفيد بعضهم وأن شتم الاستعلام عن أحوال أهل هذا الطرف فهم أناس مهمهم الجبل وغمرهم ولهم اجتماعات على أكمل القات وهو بنت يشبه الشاي مشهور لعله عندنا ومفرح كما قيل لكن من المعلوم أنه متاف للمال بحيث لا وقت اذ يضيع لاحدهم في الجلوس لا كلة نحو ثلاث ساعات وهي قريب من ثلث عمره بعد اخراج الاوقات اللازمة للضروريات ويصرف بعضهم فيه يوميا من ثلاث ربات إلى عشر ربات بلا فائدة ثم أنه لا يذللهم أكلة الا وهم مجتمعون في مكان مظلم وحولهم أباريق الماء يتلمظون به الحرمة بعد الحرمة وأمامهم المداعاة (آلات التدخين) ويجوارهم جذور وأصول القات والشب الذي يلف به ولا يذللهم حينئذ إلا الكلام الميت الفارغ أن كانوا من الاخيار او الملائنة والسبابان كانوا من غيرهم . ومع سخافتهم يذلل عصاة أبدانهم - وان شئت فسمها دية أنفسهم - في شراء ذلك الثبت التحيس تراهم في معيشتهم مقترين وبيوتهم وثيابهم وسخة إلا أناس قليلون إلا أن معاملتهم سيما مع الغرباء حسنة الامانير ولهم صبر على الضيوف بالنسبة لغيرهم في هذا الزمان . ومعاملة الحكومة الانكليزية للأهالي منها المشكور ومنها المذموم ورئيس كل مصلحة له فيها تمام الاستبداد والقاضي بالحكمة

الانكليزية رجل فارسي له مدة طويلة وهو في مركزه والاهاالي يجيونه ويذكرون
ضرباً وعدلاً وزاهة والامان فيها مستتب فلا تنكد تسمع بسرقة والآن عندهم برد
غير اتمحر بالنسبة لغيرهم اذ درجة الحرارة غالباً نحو ٨٦ فهرنهايت أي ٣٠ سنكراد
وأزقة عدن أكثرها وسخ فتد عفن سيما مع المطر اذ نزل منذ يومين مطر بل الأرض
وغمرها فصار الناس يخوضون في الأزقة بالتجاسات والقاذورات الى نصف الساق
كأنهم في الجالية بمصر حتى بخرت الشمس تلك الرطوبات ولذلك ترى الحيات العفنة
فيها كثيرة ، وحركة التجارة فيها مشكورة .

والحكومة الانكليزية مهتمة بتوسيع دائرة قوذها ولها مركز في جهة اليمن
يسمى الضالع يبعد عن عدن ١٤٠ ميلاً أي سير ستة أيام بسير القوافل ولها فيه نحو
سنة آلاف عسكري ولها في عدن وما والاها أكثر من أربعة آلاف عسكري جهم
من الهندو والجمال التي تشتغل بنقل المهمات يومياً نحو أربعة آلاف جمل . وقد أرادت
ان تستولي على جهات جبل يافع المشهور فأرسلت أحد أبا السها الى أمير الحيل المسمى
في جهته سلطان الحيل فاطمعه في رشوة كبيرة على دخوله تحت حماية الانكليز
واستدبره حتى وصل به عدن وبوصوله تنسم بعض أهالي الحيل من سكان عدن بض
الاسرار فذهب الى قومه منذراً فاجتمعوا وتم رأي كبارهم على عزل الخائن وإعدام
دمه هو ومن ساعده وأقامو لهم أميراً آخر فلما بلغ هذا الخبر الى عدن ضاق واليا به
ذراعاً ونحبر الخائن ولم يدرك أين يذهب . ثم عمل الانكليز على الانتقام من أهالي يافع
فأرسلوا شزيمة من عساكرهم التي بالضالع الى جبل شبيب وهو أول حدود جبل
يافع ويته وبين الضالع مسيرة يومين فصمم عرب تلك الجهة على الهجوم على السكريلا
وأندبرهم الانكليز فانسحبوا راجعين الى الضالع . وربما كان أهل لندن لم يستحسنوا
فتح حرب اليمن قبل انتهاء حرب السومال . والمتاوشات بين العرب وعساكر الانكليز
مستمرة لا يخلو منها أسبوع غالباً حتى فيما قارب عدن اذ منذ أيام قطع الطريق رؤساء
قياة تبعد عن عدن نحو ٢٤ ميلاً لقطع الانكليز رايهم عنهم وهو ٥٠٠ رية كل شهر
وقد نحسن ٤٠ تقساماً من العرب في رأس جبل ومعهم بنادق مارتين وخرج اليهم من
الهندو متناً جندي ثم لحقتهم فرقة أخرى نحوهم وبعد المحاربة بضع ساعات انهزم الهندو

وقتل منهم نحو أربعين منهم ضابط انكليزي وجرح كثيرون منهم كبير تلك الفرقة
 وقتل من العرب تسعة نفر ويقال ان الحرب ستجدد عليهم
 والحروب مستمرة في سواحل حضرموت وقد أمد الانكليز أمير المكلا ببنادق
 ماوتين ومدافع قدموها له مع أحد بواخرهم الحربية أما جيش أمير المكلا بقيادة ابنه
 الذي قدمه الى جهة حجر في أوائل رجب فقد عاد منهزما لان البدو شكوا له في بعض
 تلك الحيل وصارت بين الفتيين مناوشة طفيفة انسحب بسببها جيش صاحب المكلا غير ان
 الحصار من الطرفين لا تذكر. ولم يزل أمير المكلا يحشد الجنود وقد اجتمع له نحو أربعة آلاف
 رجل للمحملة على حجر واجتمع نحو ستة آلاف من البدو للدفاع عن أوطانهم وأتى وفد
 من السادات الصالحين بين الطرفين وستكون الحرب أو الصلح وهو الاقرب في أثناء رمضان
 وأما أخبار السومال فهي كثيرة جدا لكن لم أتق بصحتها فلا أتبعكم بقرائنها ومن
 مجموعها يفهم ان الانكسارات تعددت على الانكليز وان جنود الملا أو الراد كثيرة
 جدا وعنده بعض ذخائر وسلاح لا كما تزعم الجرائد قلا عن المصادر الانكليزية.
 أما اليمن التركية حالتها تيمية جدا ولا بد ان يكون بلغكم ما فعل بعض قبائل
 هدير وانهم غدروا بسبعة طواير (٥) صفار من الترك قتلوهم الانحو ثلاثين قرا تمكنوا
 من الهرب والسبب في ذلك طغيان الترك وظلمهم المكرر وعدم الانصاف واذا لم
 تنتبه الحكومة التركية فانها تسبب في اهلاك الرعية والعساكر والبلاد والمال
 (المنسار) : قد ذكرنا بعض الانكليز هنا في مسألة تعديهم في جهة عدن على
 العرب مع شدة بأس العرب وعدم أمن من يدخل بلادهم من الفتن والثورات الدائمة
 فقال اننا نعلم هذا حق العلم ولا رغبة لنا في فتح شيء من تلك البلاد وانما ساجل قصدنا
 ان تكون عدن في أمن دائم من العرب وكل ما يكون هناك من المناوشات فسيبه اعتداء
 العرب والدافعة ضرورية لا بد منها وهي لا تقف عند حد معلوم

(نصحيح) في السطر الرابع من الآيات السكرية في الصفحة الاولى (٨٣٩)
 من الجزء الماسضي (شاكر علم) والصواب (واسع علم) فيجب تصحيحها بالخط

(٥) الطابور في العرف التركي فرقة من العسكر نحو ٨٠٠ أو ألف ويظن انها
 تركية ولكن في شرح القاموس ان (الطابور) بالهاء جماعة العسكر

يقوي الحكمة من بناء ومن يثبت
الحكمة فقد أوتي خير كثير وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيقيمون أحسنه أولئك الذين عدناهم
إله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للاسلام صوى وجهان أحدهما كتمان القلب والآخر)

(مصر — الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٢١ — ٤ يناير ١٩٠٢) سنة ١٩٠٢

﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(الوجه الثامن والثلاثون) : قولهم ان ابن مسعود كان يأخذ بقول عمر خلفا
ابن مسعود لعمر أشهر من ان يتكلف ايراده وانما كان يوافقه كما يوافق العالم العالم
وحق لو أخذ بقوله تقليدا لعمر فاعا ذلك في نحو أربع مسائل نعدها أو كان من عماله وكان
عمر أمير المؤمنين واما مخالفته في نحو مئة مسألة .

منها : ان ابن مسعود صح عنه ان أم الولد اتفق من نصيب ولدها .

ومنها : انه كان يطبق في الصلاة الى ان مات وعمر كان يضع يديه على ركبتيه .

ومنها : ان ابن مسعود كان يقول في الحرام هي عین . وعمر يقول طلبة واحدة .

ومنها : ان ابن مسعود كان يحرم نكاح الزانية على الزاني أبدا وعمر كان يتوبها وينكح
أحدها الآخر .

ومنها : ان ابن مسعود كان يرى بيع الأمة طلاقها وعمر يقول لا نطابق بذلك الى
فضايا كثيرة . والعجب ان المحتجين بهذا لا يرون تقليد ابن مسعود ولا تقليد عمر ، وتقليد
مالك وأبي حنيفة والشافعي أحب اليهم وأعرضهم ثم كيف ينسب الى ابن مسعود تقليد
لرجال وهو يقول : لقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني أعلمهم
بكتاب الله ولو أعلم ان أحدا أعلم مني لرحلت اليه . قال شقيق : جلست في حلقة من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعت أحدا يردد ذلك وكان يقول :
والذي لا إله الا هو ما من كتاب الله سورة الا انا أعلم حيث نزلت وما من آية الا انا أعلم
فيما أنزلت ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الا بل لركبت اليه : وقال أبو
موسى الأشعري كنا حينما وما ترى ابن مسعود وأمه الا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
والله أعلم من كثرة دخولهم ولزومهم له : وقال أبو مسعود البصري - وقد قام عبد
الله بن مسعود - ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك بمده أعلم بما أنزل الله
من هذا القائل . فقال أبو موسى لقد كان يشهد اذا ماغبنا ويؤذن له اذا حجبنا ،
وكتب عمر الى أهل الكوفة : اني بشت اليكم عمارا أميراً وعبد الله معلما ووزيرا ،
وجا من اتبعنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بدر فخذوا عنهما ،
واقعدوا بهما ، فاني آتوكم بمسألة الله على نفسي .

وقد صح عن ابن عمر أما استفتى ابن مسعود (في البتة) وأخذ بقوله ولم يكن ذلك تقليدا له بل لما سمع قوله فيها تين له أنه الصواب .

فهذا هو الذي كان يأخذ به الصحابة من أقوال بعضهم بعضا
وقد صح عن ابن مسعود أنه قال : أغد علما أو متعلما ولا تكون إمامة : فأخرج الإمام وهو المقلد من زمرة العلماء والمتعلمين وهو كما قال رضي الله عنه فإنه لا مع العلماء ولا مع المتعلمين للعلم والحجة كما هو معروف ظاهر لمن تأمله .

(الوجه التاسع والثلاثون) : قولهم ان عبدا لله كان يدع قوله لقول عمر .
وأبو موسى كان يدع قوله لقول علي . وزيد يدع قوله لقول أبي بن كعب . فجوابه :
انهم لم يكونوا يدعون ما يرفون من السنة تقليدا هؤلاء الثلاثة كما يفعله فرقة التقليد بل من تأمل سيرة القوم رأى أنهم كانوا اذا ظهرت لهم السنة لم يكونوا يدعونها القول أحد كائنا من كان وكان ابن عمر يدع قول عمر اذا ظهرت له السنة . وابن عباس ينكر على من يعارض ما يلقنه من السنة بقوله : قال أبو بكر وعمر ، ويقول يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتقولون : قال أبو بكر وعمر : فرحم الله ابن عباس ورضي عنه فوالله لو شاهد خلقنا هؤلاء الذين اذ قيل لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : قال فلان وفلان : لمن ندين بالصحابة ولا قريبا من قريب . وانما كانوا يدعون أقوالهم لا أقوال هؤلاء لانهم يقولون القول ويقول هؤلاء فيكون الله ليل معهم فيرجعون اليهم ويدعون أقوالهم كما يفعل أهل العلم الذين هو أحب اليهم مما سواه وهذا عكس فرقة أهل التقليد من كل وجه وهذا هو الجواب عن قول مسروق : ما كنت أدع قول ابن مسعود لقول أحد من الناس .

(الوجه الأربعون) قولهم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : قد سن لكم معاذ فاتبعوه ، فعجبا لمحتج بهذا على تقليد الرجال في دين الله وهل صار مأسنة معاذ سنة لا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم فاتبعوه ، كما صار الاذان سنة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم واقراره وشرعه لا بمجرد التمام فان قيل : فما معنى الحديث ؟ قيل : معاذان معاذان فعل فعلا جعله الله لكم سنة وانما صار سنة لنا حين أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا لأن معاذ فعله فقط وقد صح عن معاذ أنه قال : كيف تصنعون

ثلاث ؟ دنيا تقطع أعتاقكم وزلة عالم وجدال مناقق القرآن . فاما العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم . وان اقتن فلا تقطعوا منه الياسكم فان المؤمن يقتن ثم يتوب واما القرآن فان له منارا كنار الطريق لا يخفى على أحد فما علمتم منه فلا تسألوا عنه أحدا وما لم تعلموه فكلوه الى طله . واما الدنيا فمن جعل الله غناه في قلبه فقد أفاح . ومن لا فليست بنافته دنياه : فصدع رضي الله عنه بالحق ونهى عن التقليد في كل شيء . وأمر باتباع ظاهر القرآن وان لا يبالي بمن خالف فيه . وأمر بالتوقف فيما أشكل وهذا كله خلاف طريقة المقلدين . وبالله التوفيق .

(الوجه الحادي والاربعون) قولكم : ان الله سبحانه أمر بطاعة أولي الامر وهم العلماء وطاعتهم تقليدهم فما يقتون به : فخوا به ان أولي الامر قد قيل هم الامراء وقيل هم العلماء وهما روايتان عن الامام أحمد والتحقيق ان الآية تتناول الطائفتين وطاعتهم من طاعة الرسول لكن خفي على المقلدين انهم انما يطاعون في طاعة الله اذا أمروا بأمر الله ورسوله فكان العلماء مبلغين لامر الرسول والامراء منفذين له فحينئذ تجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله . فأين في الآية تقديم آراء الرجال على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإثارة التقليد عليها .

(الوجه الثاني والاربعون) : ان هذه الآية من أكبر الحجج عليهم وأعظمها ابطلاً للتقليد وذلك من وجوه . أحدها الامر بطاعة الله التي هي امتثال أمره واجتباب نهيه . الثاني طاعة رسوله ولا يكون المبدع مطيعاً لله ورسوله حتى يكون طالماً بأمر الله ورسوله ومن أقر على نفسه بأنه ليس من أهل العلم بأوامر الله ورسوله وإنما هو مقلد فيها لاهل العلم لم يمكنه تحقيق طاعة الله ورسوله البتة . الثالث ان أولي الامر قد نهوا عن تقليدهم كما صح ذلك عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهم من الصحابة وذكرناه نصاً عن الأئمة الأربعة وغيرهم وحينئذ فطاعتهم في ذلك ان كانت واجبة بطل التقليد وان لم تكن واجبة بطل الاستدلال . الرابع انه سبحانه قال في الآية نفسها « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » وهذا صريح في إبطال التقليد والتج من رد المتنازع فيه الى رأي أو مذهب أو تقليد . فان قيل فإيهي طاعتهم المختصة

بهم أن كانوا إنما يطاعون فيما يخبرون به عن الله ورسوله كانت الطاعة لله ورسوله
لا لهم ؟ قيل : وهذا هو الحق وطاعتهم إنما هي تبع لاستقلالهم بهذا الأمر فطاعة الرسول
ولم يعد العامل . وأفراد طاعة الرسول وأعد العامل فلا يتوهم أنه إنما يطاع تبعاً كما
يطاع أولو الأمر تبعاً وليس كذلك بل طاعته واجبة استقلالاً كما أمر به ونهى
فيه في القرآن أولم يكن . (لهاجية)

*(باب الفقه في أحكام الدين) *

الفتاوى الثلاث

(في لبس القلنسوة أهل الكتاب وأهل ذنابهم وافتداء الشافية بالحنفية)

ذكرنا في الجزء الثامن عشر أنه شاع أن بعض علماء مصر أفتى وجلا ترنساليا
يجوز لبس القلنسوة التي يلبسها أهل أوروبا وتسمى (البرنيطة) وأن بعض الناس أكبر
هذه الفتوى جهلاً منهم بالدين وذكرنا من نهاية السنة السنية ما تبين به أن الإسلام
لم يقيد أهله بزي مخصوص لأن الزي من المادات التي تختلف باختلاف حاجات
الشعوب وأذواقهم وطباع بلادهم فهو مباح لهم فلم يكن من حكمة هذا الدين العام
لجميع البشر أن يقيد شعوب الأرض كلها بمادة طائفة منهم كأهل الحجاز أو غيرهم
ولهذا لبس النبي عليه الصلاة والسلام من لبوس التصاري والمجوس والمشركين كما
ثبت في الأحاديث الصحيحة التي أشرنا إلى بعضها في ذلك الجزء . ولذلك ترى للمسلمين
في كل قطر زياً يشاركون فيه غالباً من ليس من دينهم بل أكثر لبوسهم مأخوذ عن
التصاري برمته ومنه زي العثمانيين الرسمي كما تقدم .

ثم بعد كتابة ما أشرنا إليه رأينا في بعض الجرائد أن الذي أفتى بما ذكره هو مفتي
الديار المصرية وأنه أفتى بفتوتين آخرين كما تأن أيضاً موضوع لفظ الجاهلدين الذين
لا يعرفون من الدين إلا ما ينسب إليه من المادات والتقاليد الشائعة بين السامعين في
بلادهم خاصة . وقد ذكر في إحدى الجرائد نص الاستئذان التي رفعت إلى المفتي مع
أجوبتها ويقال أن بعض أصحاب الجرائد اشترى ورقة الفتوى من الترستالي بمال
كثير لظنه أن فيها ما يثبت مخالفة المفتي في ذلك للمشهور من مذهب الحكومة التي

يفتي به الحكومة والمعروف عند العامة فيؤاخذ ١١ وسعى بذلك في نشرها في الجرائد وأثيرت احداها للرد عليها وألتنوب بخطأها بدعوى المدافعة عن الدين ولو كان صاحبها يعتقد بأن الفتاوى خطأ كلها أو بعضها لكان الواجب عليه أن لا يصرح بأن إماماً كبيراً أفتى بها لأن كثيراً من الناس في مشارق الارض ومقاربها يتقون فتواه ويعملون بها ولا يصدهم عن ذلك أن صاحب جريدة سياسية لم يرض بها . فان كان يرى أن المستفتي معتقد بصحة الفتوى فكان عليه ان يقتعه بعدم صحتها ان قدر

أما الاسئلة التي قدمها الترنسفال للمفتي فهي بنصها

(١) يوجد أفراد في هذه البلاد تلبس البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد

لهم فهل يجوز ذلك أم لا

(٢) ان ذبحهم (أي نصارى الترنسفال) مخالف وذلك لانهم يضررون البقر بالباط وبعد ذلك يذبحون بغير تسمية والغنم يذبحونها من غير تسمية أيضا هل يجوز ذلك أم لا

(٣) ان الشافعية يصلون خلف الحنفية بدون تسمية يصلون خلفهم الميدين ومن المعلوم أن هناك خلافا بين الشافعية والحنفية في فرضية التسمية وفي تكبيرات الميدين فهل تجوز صلاة كل خلف الآخر أم لا ؟

هذا نص الاسئلة كما نشرتها الجرائد فأما المسئلة الاولى فقد علمت ما فيها وأما الثانية فظاهر السؤال انه عن جواز فعلهم وليس من شأن المسلم ان يبحث عن أفعال غير المسلمين في نفسها فلا بد ان يكون المراد الاستفهام عن جواز أكل السلم من تلك الذبائح وقد أفتى المفتي بالجواز واستدل عليه بالآية وهو موافق في ذلك للجماهير من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين كما ستعلم ذلك بنصه . وأما المسئلة الثالثة فتقواء فيها بالجواز موافق لعمل سلف الامة الصالح بلا استثناء وإنما استكرها الجاهلون لأن بعض الفقهاء من الحنفية والشافعية حكى في ذلك خلافا مبني على استبطائهم المعروفة الناشئة عن التعصب للمذاهب الذي يفرق بين المسلمين ويحملهم شيئا كل شيعة تبطل عبادة الاخرى وكأنهم يرون ان يكون لكل أهل مذهب مساجد خاصة بهم كالنصارى وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

كان الامام أحمد يرى الوضوء في الفصد والحجامة والرفاق قليل له : فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل تعلى خلفه ؟ فقال كيف لأسلي خلف الامام مالك وسعيد ابن المسيب ؟ هكذا كان السلف الصالحون ، حتى جاء الخلف للتصبيون المفرقون ، ولكن سورة التمسب للمذاهب قد سكنت في هذا البصر لذلك لا يرى المفسدون وجهها للقط في هذا الجواب

﴿ طعام أهل الكتاب ﴾

أما مسألة ذبيحة أهل الكتاب فهي التي أكرت اللغط فيها الجريدة السياسية والسؤال ناطق بأن أهل تلك البلاد (الترسفال) يذبحون البقر بعد ضربها بالبلطة ولكن موضع المخالفة لبعض المسلمين أنهم لا يذكرون اسم الله عليها ، والملقى أفنى بالاختد بنص آية « وطعام الذين أتوا الكتاب حلال لكم » فقد قال الله هذا بعد آية تحريم الميتة وأحل طعامهم وهو يعلم ما يقولون عند الذبح ويعلم ما يعتقدون بمنزلة المسيح . وانا تنقل بعض كلام أئمة السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ثم تأتي بفقه الدين في تحريم الميتة وما أهل به لغير الله فقول :

جاء في تفسير الآية من كتاب (فتح البيان ، في فهم مقاصد القرآن) مانعه « والحاصل إن حلال الذبيحة تابع لحل المتأكدة على التفصيل المقرر في الفروع . والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبايح وذهب أكثر أهل العلم الى تخصيصه هنا بالذبايح ورجحه الخازن . وفي هذه الآية دليل على أن جميع طعام أهل الكتاب من اللحم وغيره حلال عند المسلمين وإن كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبايحهم وتكون هذه الآية مخصصة لمعوم قوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وظاهر هذا أن ذبايح أهل الكتاب حلال وإن ذكر اليهودي على ذبيحته اسم عزير وذكر النصراني على ذبيحته اسم المسيح وإليه ذهب أبو الدرداء وعبادة بن الصامت وابن عباس والزهري وريمة والشعبي ومكحول . وقال علي وعائشة وابن عمر إذا سمعت الكتاني يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاوس والحسن وتمسكوا بقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ويدل عليه أيضاً قوله « وما أهل به لغير الله » وقال مالك أنه يكره ولا يحرم . وسئل الشعبي وعطاء عنه فقالا يحل فإن الله قد أحل ذبايحهم

وهو يعلم ما يقولون : فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبائهم اسم غير الله. وأما مع عدم العلم فقد حكى الكيا الطبري وابن كثير الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد في السنة من أكله (ص) من الشاة المصلية التي أهدتها اليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جراب الشحم الذي أخذه بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبي (ص) وهو في الصحيح أيضاً وغير ذلك »

ثم ذكر أهل الكتاب من هم واستثناء سيدنا علي بن أبي طالب منهم لأنهم من العرب الذين لم يأخذوا من النصرانية الا شرب الخمر وذكر الخلاف في الجوس وقتل بعد ذلك عن القرطبي انه قال « قال جمهور الامه ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو غيرهم وكذلك اليهود » وفي تفسير ابن جرير نحو ما تقدم ومنه روايات عن الصحابة بحل ما ذبحه النصارى للكنائس عملاً بهوم الآية « فلم من هذه القول ان ذبائح أهل الكتاب حلال عند جماهير المسلمين وان لم يكن ذبحها على الطريقة الإسلامية بل وان كانت على خلاف الطريقة الإسلامية صلاً باطلاق الآية الكريمة التي هي آخر ما ورد في الأكل نزولاً وبذلك استدل مفتي الديار المصرية وقال في نصارى الترسفال أنهم من أشد النصارى نصبا في دينهم وتمسكا بكتبهم ثم قال « وعجيء الآية الكريمة « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » من بعد آية تحريم الميتة « وما أهل » لغير الله « » بمنزلة دفع ما يتوهم من تحريم طعام أهل الكتاب لأنهم يتقدمون بألوهية عيسى وكانوا كذلك كافة في عهده عليه الصلاة والسلام الامن أسلم منهم . ولفظ أهل الكتاب مطلق لا يصح ان يحمل على هذا القليل النادر فإذا تكون الآية كالصرح في حل طعامهم مطلقاً كما كانوا يتقدمونها حلالاً في دينهم دفعا للحرج في معاشرتهم ومعاملتهم « اه وهو موافق للقول التي قال بها جماهير الأئمة كما تقدم

(الفقه في تحريم الميتة وكيفية التذكية)

« قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُولَئِكَ أَهْلِ الْغَيْرِ اللَّهِ بِهِ »
وألحق في آية المسائدة بالميتة ما في حكمها مما مات بغير قصد التذكية وهو التخنقة بدخول رأسها بين عودين أو في جبل ونحو ذلك والموقودة وهي التي ضربت بصا

أو حجر غير محدد ولا بقصد الذبح حتى انحلت قوتها وماتت والمتردية من شاهق ، والطليحة أي التي تموت بالناطحة وما أكل السبع ، قال تعالى بمدح هذه الأنواع « إلا ما ذكركم » أي ما أدركتم فيه حياة فذكروه بالقصد ثم قال « وما ذبح على النصب » وهي أحجار كانوا يذبحون عليها الأصنام

فما تحريم ما أهل لغير الله به فهو أشد المحرمات تحريماً لأن علة تحريمه تتعلق بحفظ جوهر الإيمان لأن ذكر اسم غير الله مما يعتقد على الذبيحة ضرب من الوثنية وعمل المشركين وأما الميتة فقد قيل إن علة تحريمها إن احتباس الدم فيه يجعل أكلها ضاراً وهو تليل ينافي إطلاقه علم الطب كما ينافي الكتاب والسنة الصحيحة في الإذن بأكل الصيد تعصده الجوارح فيموت من غير تذكية وكذلك صيد اليد بشرطه قال تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلين تعلمونن مما علمكم الله فكلوا مما أسكن عليكم » أي ما أحضره الكلب ونحوه لصاحبه ولم يأكل منه روى أحمد والبخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم عن أبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أسكن عليك إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أسكنك على نفسه » وفي رواية لم يروها عدياً قال قلت : وإن قتان : قال « وإن قتان ما لم يشركها كلب ليس معها » قلت فاني أرمي بالمراس الصيد فأصيد : قال « إذا رميت بالمراس فخرق فكله وإن أصابه بمرضه فلا تأكله » وقد اختلف في تفسير المراس فقيل هو سهم لا يصل له ولا ريش وقيل هو خشبة تقبل في آخرها عصا محدد رأسها وقيل هو عصا في طرفها حديدة وكأنه كان يطلق على هذه الأشياء وكانوا يرمون الصيد بها والمراد بالخرق الخدش فإذا جرحت هذه العصا الصيد قاتل أكله . وفي هذا المني أحاديث كثيرة والحكم جمع عليه إلا أن أحمد وإسحق منعا الصيد بالكلب الأسود البهيم وفي رواية من حديث عدي متفق عليها أيضاً أنه قال عليه السلام « إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدركته حياً فاذبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب ذكاة » ومذهب الشافعي أنه إذا أكل منه بعد أحضار رجل

وروى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي ثعلبة الخشني قال « إني

وميت سهمك فغاب ثلاثة أيام وأدركته فكله مالم ينن » وروى البخاري والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة ان قوما قالوا يا رسول الله : ان قوما يأتوننا بالجم لا يدري اذكرا سم الله عليه أم لا : فقال « سموا عليه أنتم وكلوا » وكانوا حديثي عهد بالكفر . وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عدي بن حاتم قال : قلت يا رسول الله انا نصيد الصيد فلان نجد سكيننا الا الظرار وشقة العصا : فقال صلى الله عليه وسلم « امر الدم بما شئت » الظرار جمع نذر بالكسر ونظر وهو الحجر المدور المحدث . و (أمر) من أمار الشيء وما إذا جرى أو من مرى الضرع اذا مسحه ليدر فعمل من مجموع الاحاديث ان الصيد قد يحل وان مات ولم يذبح وان التسمية مستحبة غير واجبة ولا شرط للذبح وعليه ابن عباس وأبو هريرة والشافعي ، وان اراق الدم بأي شيء جائز وان أخذ الكلب الصيد ذكاة شرعية . وهو يدل على ان ما قلناه في تحليل تجريم الميتة غير صحيح وعلى ان الذبح المعروف الآن وهو قطع الحلقوم والمرئ ليس من الأمور التي تبدل بها في الذبح بحيث لا تصح الذكاة بدونه مطلقا بل الذكاة الشرعية على أنواع منها الذبح المعروف وهو للدم ونحوه من الحيوان الصغير ومنها التحريم وهو للابل والحيل والبقر جاءت السنة بذلك في الجميع ، ومنها الصيد كما علمت ومنها ان الجبن يوجد في بطن أمه يتأفؤ كل قبالتها اذا ذكيت بنوع من أنواع التذكية الصحيحة ومنها المقر والحرج . وروى الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث رافع بن خديج قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فندبهم من ابل القوم ولم يكن معهم خيل فرماهم رجل بسهم فحسه فقال رسول الله (ص) « ان لهذه البهائم أوايد كما وابد الوحوش فاقبل منها هذا فافعلوا به هكذا » والجمهور على ان الرمي تذكية له خلافا لمالك . وروى من عدد الشيخين من هؤلاء عن أبي الشراء (بضم ففتح واسم عطارد) عن أبيه قال قلت ، يا رسول الله أما تكون الذكاة الا في الحلق واللبة قال « لو طننت في فخذها لاجزأك » وقد حل ابو داود هذا على المتردية والتوافرة وللتوحشة وأخذ بهذا الشافعية وكثير من الفقهاء . ولكن السؤال يدل على الاطلاق وان كان في سند الحديث الاخير مقال

فلم من هذه الاحاديث الصحيحة ان التذكية الشرعية هي ما كانت بقصد

من الانسان الى امانة الحيوان لا كله فان باشر ذلك بنفسه فله ان يفعله بكل محمد جراح وان كان حجراً الا انه جاء في حديث الهبي عن التذكية بالسن والظفر فقد اخرج أحمد والبحاري ومسلم واصحاب السنن الاربعة من حديث رافع بن خديج قال : قلت يا رسول الله انا نلتقي العدو وغدا وليس منا مدي (جمع مديّة وهي السكين) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كل ما نهر الدم وذكر اسم الله عليه فاكلوا ما لم يكن سناً او ظفراً ، وسأحدثكم عن ذلك (اي عن سبب استثناء السن والظفر) اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة : وقد اختلف في هذه الجملة هل هي من جملة المرفوع او مدرجة والراجح انها مدرجة لتبيل الهبي ولذلك لم يرض جميع العلماء هذا التعميل بل قال بعضهم ان علة الهبي هي ان في الذبح بالسن والظفر تمذييا للحيوان وقيل غير ذلك . وكما تصحح التذكية بكل آلة جارحة تصح بأية كيفية ممكنة كما رأيت في الاذن بأكل ما خزفه للمراض ومن الاذن بالطنن في الفخذ . والبطلنة التي جاء ذكرها في سؤال الترنسفال لاقتل عن هذه المحددات انها لدم وعقرا للحيوان على انه قال انهم يعقرون البقر أو يضربونه بها ثم يذبحونها وتظهر ان الذبح قبل الموت تنفذ فرضنا ان الضرب بالبطلنة وقد (وهو ليس بوقد لانها آلة محددة ولان الضرب بها يقصد به التذكية لا لاكل لا لاهلاك) فهو داخل فيها استثنى الله تعالى بقوله « الا ما ذكركم » فانهم يذبحونها كما قال السائل فاین مكان الغيرة على دين أهل الترنسفال أن يأكلوا الموقوفة ممن لا يفار على دين نفسه فهو يفتي بخير علم . . .

ثم ان هذه الاحكام كلها خاصة بالمسلمين وأما اهل الكتاب فغير مكلفين بها صلا لان الذين يقولون من العلماء انهم مكلفون بفروع الشريعة كالشافعية يريدون بذلك انهم يعذبون على تركها في الآخرة عذاباً زائداً على عذاب ترك الايمان لانهم يطالبون بها في الدنيا فالمسلمون متفقون اذا على أنهم غير مطالبين بهذه الاحكام وطعامهم مع هذا حلال بنص الكتاب كيفما كان الا ما حرم لانه عندنا وعندهم كالحرام الخنزير اذا اكلوه . وقد علمت ان جماهير أئمة السلف والخلف باحوا في ذبحهم وان لم يذكروا اسم الله عليها بل وان ذكروا اسم غيره صلا بعموم الآية التي اعتبروها مخصصة للامم بالتسمية وملاحظة لقاعدة عدم مطالبهم بفروع الشريعة . وعلمت أيضاً ان

ما أهل به لغير الله هو أشد المحرمات لانه من أعمال الشرك وأنه مع ذلك قد أحل أكله أكثر
لمسلمين من طعام أهل الكتاب فلا ينبغي محو ما ذكاه أهل الكتاب على غير طريقة التدكية
عند المسلمين أولى نقد رأي من الأحاديث الصحيحة التساهل في أمر لدكية وكثرة تواعمها
حتى يكاد يتعذر ان توجد طريقة للتدكية لا تشملها هذه الاحاديث

ان سلف الامة الصالح من الصحابة والتابعين اعتبروا كل من ينسب الى اليهودية
والنصرانية من أهل الكتاب الذين تحمل ذبا لمهم سواء تمسكوا بدينهم أم لا الا ما نقل
عن علي كرم الله وجهه من استثناء بني تغلب من متصرة العرب معللا ذلك بقوله
انهم لم يأخذوا عن النصارى الا شرب الخمر ، واكتفى الجاهير بنسبتهم الى النصارى
ومن هنا تورع بعض أئمة المالكية كالقاضي أبي بكر بن العربي واشترط في حل
ذبايح النصارى ان يأكل منه قسيسهم وعامتهم فلم يكتب بعمل من ينتسب اليهم دون
علماء دينهم ورؤسائه وحري على هذا التورع مفتي الديار المصرية في قنواء اقتران سقالي
لنسال ماناه كائن في الجرائد ، وأما الذبايح فلانني أراه أن يأخذ المسلمون في تلك
الاطراف بنص كتاب الله تعالى في قوله « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »
وان يقولوا على ما قاله الامام الخليل أبو بكر بن العربي المالكي من ان المدار على ان
يكون ما بذبح مأكول أهل الكتاب قسيسهم وعامتهم ويعد طعاما لهم كافة ، ثم أوضح
هذا بما قلنا بضم من قبل ، وقد تقدم ان القرطبي قال « جمهور الامة على ان ذبيحة
كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو من غيرهم ، ومن صرح بحل ذبيحة
بني تغلب سعيد بن المسيب والحسن البصري وما أعلم أئمة التابعين وأورعهم فلعل
المفتي زاد في الورع عليهما تأثرا بقول المالكية الذين تلقى مذهبهم أول اشتغال بالعلم
وان كان لا يصل الآن الا بقوة الدليل أو اراد موافقة الاجماع في قنواء من حيث الصل
بها لان حيث اشتراط ما قاله ابن العربي فان الجاهير لا يشترطونه كما علمت

﴿ نص فتوى القاضي أبي بكر ابن العربي ﴾

قال في تفسير آية « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم »
من كتابه (أحكام القرآن) مانعه ، « هذا دليل قاطع على أن الصيد وطعام الذين أوتوا
الكتاب من الطيبات التي أباحها الله وهو الحلال المطلق وانما كرره الله تعالى ليرفع

الشكوك وزيل الاعتراضات عن الخواطر الفاسدة التي توجب الاعتراضات وتخرج الى تطويل القول . ولقد سئلت عن التصراحي يقتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل تؤكل معه أو تؤخذ منه طعاما - وهي المسألة ثالثة - فقلت تؤكل لأنها طعامه وطعام أحبارهم وورهبانهم وإن لم تكن هذه كاذبة عندنا ولكن الله أباح لنا طعامهم مطلقا وكل ما يرونه في دينهم فإنه حلال لنا إلا ما كذبهم الله فيه . ولقد قال علماءنا أنهم يعطوننا نساءهم أزواجا فيحل لنا وطؤهن فكيف لنا أن نأكل ذبائحهم والأكل دون الوطء في الحل والحرمه ، اهـ

وقد استنكر هذه الفتوى بعض الطلاب الذين لا يعرفون من الإسلام إلا ما يرون عليه قومهم من العادات الدينية فسأل عنها أبا عبد الله الحفار أحد علماء المالكية فأجاب بما نصه: « لا إشكال فيه (أى قول ابن العربي) عند التأمل لأن الله أباح لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه الذي أيسر لهم من ذكاته فيما شرعت فيه الذكاة على الوجه الذي شرعت . ولا يشترط أن تكون ذكاتهم موافقة لذكائنا في ذلك الحيوان المذكور ولا يستثنى من ذلك إلا ما حرم الله سبحانه علينا بالخصوص كالخنزير وكاليتة التي لم تقتل بقصد الأكل وأما ما لم يجرم علينا على الخصوص فهو مباح كسائر أطعمتهم ، وكل ما يقتدر الى الذكاة من الحيوانات فإذا كان على مقتضى دينهم حل لنا أكله ولا يشترط في ذلك أن تكون ذكاتهم موافقة لذكائنا وذلك رخصة من الله وتيسير علينا . وإذا كانت الذكاة تختلف في شريعتنا فتكون ذبحا في بعض الحيوانات ونحرا في بعض وعقرا في بعض وقطع عضو كرأس وشبهه كما هو ذكاة الجراد ووضعها في ماء حار كذلك كالخزون - فإذا كان هذا الخلاف عندنا بالنسبة الى الحيوانات فكذلك قد يكون شرع في غير ملتنا سل عنق الحيوان على وجه الذكاة فإذا أجاز السكتاني ذلك أكلنا طعامه كما أذن لنا ربنا سبحانه ولا يلزمنا أن نبحت عن شريعتهم في ذلك بل إذا رأينا أهل دينهم يستحلون ذلك أكلنا كما قال القاضي أبو بكر لأنها طعام أحبارهم وورهبانهم

« وأما وقع الاستشكال في هذه المسألة لأن سل عنق الحيوان عندنا لا يستباح به أكل الحيوان بل يصير ميتة فصارت الطباع نافرة عن الحيوان المفصول به ذكاه

فحين أباح القاضي ذلك من طعام أهل الكتاب وقع استشكله ولا اشكال فيه على ماقرروته . وعلى الحمل الذي ذكرته حملته بعض أئمتنا المتأخرين المحققين ، اه ولم يذكر الحفار بقية أنواع التذكية الشرعية من أخذ الكلاب وغيرها من الجوارح الملعنة للصيد وابتانها به ميتا ومن الرمي بالسهم والصيد بالمراس ومذكرناه كاف

﴿ كلام الشيخ محمد يريم في مسألة الخنق ﴾

ذكر الفقيه الحنفي الشيخ محمد يريم الخامس في كتابه صفوة الاعتبار مبحثا طويلا في ذبائح أوربا ونقل عن أهل مذهبه أن ذبائح أهل الكتاب حلال مطلقا وجاء بتفصيل في أنواع المأكول في أوربا ثم قال مانصه :

« وأما مسألة الخنق فإن كان مجرد شك فلا تأثير له كما تقدم وإن كان لتحقق فلم أر حكم المسألة مصرحا به عندنا وقياسها على تحقق تسمية غير الله أنها محرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فالقياس عليها يفيد الحلية حيث خصصوا بآية « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » آية « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وآية « وما أهل لغير الله به » وكذلك تكون مخصوصة لآية المتخفة ويكون حكم الآيتين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة في طعام أهل الكتاب إذ لا فرق بين ما أهل به لغير الله وما حلق فاذا أصبح الأول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني . وقد كنت رأيت رسالة لاحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجلب الثبوت من مذهبه بما ينتج به الصدر سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من قيل الذكاة كما أخبر كثير من علمائهم وإن المقصود التوصل الى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستدين في ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مزية في الحلية على هاته المذاهب .

فان قلت كيف يسوغ تقليد الحنفي لغير مذهبه ؟ قلت أما ان كان المقلد من أهل النظر وقلة الحنفي عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال أنه لا يسوغ له ذلك (أي الا ان يظهر له ترجيح دليل الحل ثانيا) وأما اذا كان من أهل التقليد بالبحث كما هو في أهل زماننا فقد نصوا على ان جميع الأئمة بالنسبة اليه سواء العامي لामذهب

له وإنما مذهبه مذهب مفتيه ، وقوله : أنا حنفي أو مالكي : كقول الجاهل :
أنا نحوي : لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فأبى العلماء اقتدى فهو ناج . على
أن الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل في تقليد المجتهد لغيره
والكلام مبسوط في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر البحث أبو السعود في
شرح الأربعين حديثاً النووية والفتاوى في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فليراجعهما
من أراد الوقوف على التفصيل

« فان قيل : قد ذكرت ان الخنزير محرم وان كان من طعامهم فلماذا لا يجهل
مخصصا بالحلية بهذه الآية أي آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة
فكذلك تكون المتخفة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة
الخنزير وأي مرجح لذلك ؟ فالجواب ان المأكولات منها ما حرم لبنه ومنها ما حرم
لغيره فالخنزير وماشاه من الحيوانات محرمة لبنها ولهذا تبقى على تحريمها في جميع
أطوارها وحالاتها . وأما متروك التسمية أو ما أهل به لغيره والمتخفة فان التحريم
اتى فيه لعارض وهو ذلك الفصل ثم اتى نص آخر عام في طعام أهل الكتاب وأنه
حلال فاخرج منه محرم اللبن ضرورة وبالإجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو
مسألان احدهما مسألة التسمية والثانية مسألة المتخفة فبقينا في محل الشك لتجاذب
كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا احدهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف
فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت
مسألة المتخفة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما لم يسكوتوا عنها فكان قياسها على مسألة
التسمية هو التعين لاتحاد اللمة . وأما قياسها على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق
فلا يصح اذ شرط القياس المساواة . وإنما اطلنا الكلام في هذا المجال لانه مهم في
هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ توضيح القول في الموقوفة وادراك ذكاتها ﴾

قال القاضي البيضاوي في تفسير الموقوفة : هي المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى
تموت من وقته اذا ضربته : وتيمه في ذلك أبو السعود الحنفي في تفسيره وكذلك السيد
محمد صديق حسن في تفسيره فتح البيان وزاد ان الوقف هو شدة الضرب حتى يسترخي

و يشرف على الموت (قال) وشاة موقوفة ضربت بالحشب ، وهذا هو المتصور في القاموس وشرحه وغيرهما من المعاجم . وفي مجمع بحار الأنوار « الوقيد والموقوذ هو الذي يقتل بغير محدد من عصا وحجر » وقد صرح الامام الرازي بأن الموقوفة في معنى الميتة والمتخفة قال « فلهنسات ولم يسل دمها » وهذا لاخلاف فيه فان لوقذ هو الضرب بغير المحدد . وقد ذكر في تفسير قوله تعالى « الاماذ كيم » : انه استثناء من جميع ما تقدم من المتخفة الى قوله وما أكل السبع وهو قول علي وابن عباس والحسن وقادة (قال) فعلى هذا انك اذا أدركت ذكاته بأن وجدت له عينا تطرف أو ذنبا يتحرك أو رجلا تركض فاذبح فانه حلال فانه لو لا قيام الحياة فيه لما حصلت هذه الاحوال ، اه بحروفه والتعير بالذكىة يؤيده فان أصلها كما قال الرازي وغيره أعام الشيء ومنه الذكاة في الفهم وهو نعامه ومثله الذكاة في السن ويقال ذكيت الثار أي أتممت أشغالها : كانه يقول الاما أنعم أنم اماته بذبح ونحوه . وقال في فتح البیان في مقاصد القرآن في قوله تعالى « الاماذ كيم » : استثناء متصل عند الجمهور وهو راجع على ما أدركت ذكاته من المذكورات سابقا وفي حياة : ثم ذكر خلاف غير الجمهور وقال في ادراك الذكاة : واما كيفية ادراكها فقال أهل العلم من المفسرين ان أدركت حياته بأن توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز وقيل اذا طرفت عينا أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فانه حلال : وقال الآلوسی في تفسيره : أي الاما أدركتموه وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وذكيتموه ، وعن السيدین السندین الباقروالصادق رضي الله عنهما ان أدنى ما يدرك به الذكاة ان يدركه وهو يحرك الاذن أو الذنب أو الجفن وبه قال الحسن وقادة وبراہم وطاوس والضحاك وابن زيد . وقال بعضهم يشترط الحياة المستقرة وهي التي لا تكون على شرف الزوال وعلامتها على ما قيل ان يضطرب بعد الذبح لاقبله : اه وأطال ابن جرير في رواياته عن الصحابة في تأييد الاول

فلم بهذا ان ما يضرب بمحدد كالبلعة لا يسمى وقيدا وبدل على ذلك حديث صيد المراض في الصحيحين وغيرهما وان أصاب يمرضه فقتل فانه وقيد فلا تأكله ، وأنه لو كان من الوقيد فان ما يفعله أهل الترسفال من ذبحه واسالة دمه بعد ضربه محلله كما تقدم واتماد ذكرنا هذه القول لانا بعد كتابة ما تقدم وتمثيلا للطبع وأينا الجريدة السياسية

تدعي ان ما يفعله أهل الترساق من الوقذواته لا يحل وان ذبح وسال دمه . وقد زادت على كلام الترساق في قولها « ثم يذبحونها تيمما لقتلها فيسيل منها الدم مصفر أدا لعل حصول الارتجاج الحي المفصل للدم » الخ . والسائل لم يقل ذلك ولو قاله لما كان ما خلاصحة التذكية وحل الذبيحة اذ لم يشترط أحد من المسلمين ان يسيل الدم أحمر أو أسود وانما اشترطوا علامة تدل على الحياة حتى حركة أصغر الاعضاء كالخفن ، وسيلان الدم بأي لون من أقوى علامات الحياة ولكن السياسة اذا تلاعبت بالدين لا تبالي بكتاب ولا سنة ولا قول امام ولا مفسر ولا فقيه ولا نفوى فقد خالفت جميع العلماء في الموقودة

﴿ الخلاف في التسمية ﴾

خاص لما تقدم أن كتاب الله تعالى أباح لنا طعام أهل الكتاب مطلقا لم يشترط في ذلك أن يأخذوا بأحكام الاسلام في التذكية وأن أكثر المسلمين من السلف والخلف أخذوا بهذا الاطلاق فأكل النبي وأصحابه من اللحوم التي طبخوها والجن الذي عملوه الآن الحفية اشترطوا ان لا يلم الآكل ان ما عرض له من اللحم قد أهله لغير الله أو ترك ذكره عليه وكل ما نقلته الجريدة فهو عن مفسريهم وفقهاءهم وخالفهم في ذلك أكثر العلماء كما تقدم ونس على ذلك مفتي الحنفية في بغداد الشهاب الألوسي في تفسيره . وقال الطبري في تفسير « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » الآية « واختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عينت به وعلى هذا قول طائفة أهل العلم . وروى عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثا به ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قال قال : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق » فنسخ واستثنى من ذلك فقال « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم : والصواب من القول في ذلك عندنا ان هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شيء وان طعام أهل الكتاب حلال وذبحهم ذكية وذلك مما حرم على المؤمنين أكله بقوله « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله به » بمزول لأن الله انما حرم علينا هذه الآية لمئة ومائة من اللحم لا طواغيت . وذباح أهل الكتاب ذكية صمدوا عليها أو لم يسموا اسمهم أهل توحيد وأصحاب كتب الله يدنون بأحكامها يذبحون بأديانهم كما

يذبح المسلم بدينه سعى الله على ذبيحته أو لم يسعه الا ان يكون ترك من ذكر تسميته على ذبيحته على الدينونة بالمعظم او بعبادة شيء سوى الله فيحرم حينئذ كل ذبيحته سعى الله ولم يسمه اهـ ويعني بالآخر من يترك التسمية لترك الدين السماوي بآلة أو للدخول في الوثنية . ويؤيد تخصيصه الآية بالذبح للطواغيت ان الآية كية وآية حل طعام أهل الكتاب مدينة وهي من آخر القرآن نزولا . واشافعية يحملون ترك التسمية ولو عمدا وقالوا ان النهي مقيده بقوله تعالى « وانه لفسق » وفسر الفسق بقوله « أو فسقا أهل لغير الله به » وهو ما كان يفعله المشركون لطواغيتهم وأهل الكتاب يحرمونه مثلنا وقد أطال الامام الرازي في ترجيحه (راجع التفسير الكبير) اما اذا لم يعلم الا كل انهم أهلوا به لغير الله أو تركوا التسمية فأكله حلال باجماع السلف والخلف كاللحم الذي يباع عادة في بلاد اليهود والنصارى ولم يحضر المسلم ذبحه ومنه اللحم الذي يباع في بلاد الترسلالة . وأما ضرب البقر بالبلطة قبل ذبحه ليضعف فهو لا ينافي التذكية الشرعية عندنا لو فرضنا أنهم مطالبون بها وقد علمت أنهم غير مطالبين .

﴿ تأييد الفتوى وحقيقتها وما به الافناء ﴾

فظهر ان الفتوى مؤيدة بالكتاب والسنة وعمل السلف والخلف وأقوالهم وان خلاف الحنفية فيها لا يتحقق في واقعة الفتوى اذ لا يمكن العلم بأن كل لحم يراد المسلم هناك لم يذكر اسم الله عليه . ولو فرضنا انه تحقق فذهب الجمهور وأقوى من مذهبهم لقوة أدلته ولنفتي يجب عليه ان يفتي بما يراه أقوى دليلا وأقوم قولا وأنفى للحرج باجماع المسلمين من السلف والخلف . واذا كانت الأحكام الشرعية تسأل المفتي في مصر عن الصحيح من مذهب أبي حنيفة فلا يسلم كل مسلم مكلفا بهذا المذهب بل المسلمون مكلفون بكتاب الله وما صح عن رسوله وعلى العلماء التغر في ذلك والترجيح بين أقوال العلماء وقد نقل عن أبي حنيفة وخلفائه أنهم كانوا يقولون : لا يصح لاحد ان يأخذ بقولنا ما لم يعرف دليلا : وكذلك كان يقول جميع أئمة المسلمين (راجع نصوصهم في مقالات المصالح وانقلده من مجلد التار الخ الرابع) فلم يبق بعده هذا الا ان يرجع صاحب تلك الخبر يدة عن اعتراضه بغير علم ويعلن ذلك في جريدته ليظهر أنه غير سمي القصد وغير متلاعب بنصوص الدين همداء . ومنهجهم على تحريم ما أحل الله فعدا ، وبنت انما يقول به الناس ان هذه الجمعية قد اعترفت بها صاحب هذه الجريدة الذي اين من

أهل هذا الشأن دون العلماء والفقهاء وسائر الجرائد لغرض سياسي اميره شخصي له فهو يتوقع فضائله منه كما يتضاءها من غيره

ونحتم الكلام بتذكير المفتات على الشرع بقوله تعالى في سورة النحل بمدحصر المحرمات في الميتة والاهم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الا المضطر اليه . وهو :
 « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ » متاع قليل ولهم عذاب أليم »

﴿ قول في اجتهاد المفتي وتقليده ﴾

أما اللفظ بأن اقتناء مفتي الديار المصرية بغير مذهب الحنفية يتضمن دعوى الاجتهاد فيمكن الجواب عنه . من وجهين أحدهما ان تقليد أهل النظر الذين يسمون علماء بالمذاهب هو عبارة عن اتباع ما يعتقدون أنه الأقوى دليلا من أقوال الأئمة وقد أشرنا الى ان مفتي الديار المصرية لهذا العهد تاتي مذهب الامام مالك في أول تحصيله للعلم فيجوز ان يكون يعتقد ترجيحه الى الآن وان كان تاتي مذهب الحنفية وبرع فيه وعرف بمجيئه من غيره فان لم يكن يرجح جميع مسائله فيجوز ان يكون يعتقد رجحان بعضها وقد قال العلماء كافة بأن تقليد بعض الأئمة في بعض المسائل وتقليد آخر في بعضها جائز وما من عالم شهير الا وله فتاوى فيما يخالف المذهب الذي ينسب اليه . وفي مقالات المصاح والمقلد بيان في ذلك

والثاني انه مجتهد وما كان ان يفسر القرآن بمثل ما يفسره به وقيم الحجج منه على بطلان التقليد واستحقاق صاحبه لمقت الله وعذابه ان يكون مقلدا وحسبك من ذلك تفسير الآيات المنشورة في هذا الجزء فراجعها واعتبر بها ان كنت من المؤمنين ، أما انكار المقلدين الجاهلين عليه الاجتهاد فلا قيمة له اذ ليس للمقلدين من حجة ولا هم من أهلها فم يشكرون ؟ وتند ثمرنا ولا تزال فنشر من الدلائل والبراهين على بطلان التقليد في غير التفسير ما فيه مقتع لمن لم يحتم الله على قلبه وسمعه ويحمل على بصره غشاة . وقد كتب مفتي الديار المصرية في التوحيد والتفسير ما يقصر عنه كل ما كتب

فيهما مما وصل إلينا من كتب الأولين والآخرين، وفضل الله ليس محصوراً في زمن معين، ولا رحمة مقيدة بأفراد مخصوصين، بل تسع كل شيء. ولا ينافي ذلك إقناؤه الحكومة والحكام بذهب الحنفية قائم بسألوته عنه لاعتناجهادهم من يسأل عنه رأي يفتيه به.

فان قيل ان من علماء هذا العصر من يظن فيه تقول ان هؤلاء الطاعنين من الحاسدين أو المقلدين الذين أخذوا على أنفسهم تقيد من يتبع الكتاب والسنة من غير نظر في أدلته وقد ظن في الأئمة العظام من قبله من هم في طبقتهم علما واجتهادا ولهذا قال ابن عباس (رض) «استمعوا قول القراء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تقايما من التيوس في زروها» رواء ابن عبد البر في كتاب العلم والمراد بالقراء العلماء وبعبارة في الاحياء وروي مثل ذلك عن مالك بن دينار بلفظ (العلماء) وقد ذكرت بعض ما ظن به على الأئمة الاربعة وغيرهم كالبخاري واضرا به بعض أهل العلم في عصرهم في كتاب (الحكمة الشرعية)

﴿واقعة تناسب ما تقدم﴾

جاء في ذكر حوادث المحرم سنة ست وثلاثين وميتين وألف من الجزء الرابع من تاريخ الجيوتي ماضه (ص ٣١٦):

« وفيه من الحوادث ان الشيخ ابراهيم الشهير بباشا المالكي بالاسكندرية قرر في درس الفقه ان ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها وما ورد من إطلاق الآية فانه قبل أن يفيروا ويدلوا في كتبهم فلما سمع فقهاء الثغر ذلك أنكروه واستقروه ثم تسكلموا مع الشيخ ابراهيم المذكور وعارضوه فقال : أنا لم أذكر ذلك بضمي وعلمي وإنما تلقيت ذلك عن الشيخ علي الميلي المغربي وهو رجل عالم متورع موثوق بعلمه : ثم أنه أرسل الى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع فألف رسالة في خصوص ذلك وأطنب فيها فذكر أقوال المشايخ والخلافات في المذاهب واعتمد قول الامام الطرشي في المنع وعدم الحل وحشا الرسالة بالحط على علماء الوقت وحكامه وهي نحو الثلاثة عشر كراسة (كنا) وأرسلها الى الشيخ ابراهيم فقرأها على أهل الثغر فكثر التخط والإنكار خصوصا وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للدولة وانتهى الامر الى الباشا فكتب مرسوما الى كتحدا بك بمصر وتقدم

اليه بان يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة وأرسل اليه أيضا بالرسالة المصنفة .
فأحضر كتنخدا بيك المشايخ وعرض عليهم الامر فلطف الشيخ محمد الروسي
العبارة وقال : الشيخ علي المبلي رجل من العلماء تلتقي عن مشايخنا ومشايخهم لا ينكر
علمه وفضله وهو منزل عن خلطة الناس الا انه حاد المزاج وبقله بعض خلل
والاولى ان نجتمع به وننذاكر في غير مجلسكم ونهي بذلك الامر اليكم

فاجتمعوا في ثاني يوم وأرسلوا الى الشيخ علي بدعونه للمناظرة فأبى عن الحضور
وارسل الجواب مع شخصين من مجاوري المغاربة يقولان انه لا يحضر مع الفوجاء بل
يكون في مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد بن الامير بحضرة الشيخ حسن القويسي
والشيخ حسن العطار فقط لان ابن الامير يناقشه ويشن عليه الفارة . فلما قال ذلك
القول تغير ابن الامير وارعد وأبرق وتثام بعض من بالمجلس مع الرسل وعند ذلك
أمروا بنحسهما في بيت الآغا وأمروا الآغا بالذهاب الى بيت الشيخ علي واحضاره
بالمجلس ولو قهرا عنه فركب الآغا وذهب الى بيت المذكور فوجده قد تنيب فأخرج
زوجته ومن معها من البيت وسمر البيت فذهبت الى بيت بعض الجيران

ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ علي على خلاف الحق وابى عن
حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسألة وهرب واحتفى لكونه على
خلاف الحق ولو كان على الحق ما احتفى ولا هرب والرأي لحضرة الباشا فيه اذا ظهر
وكذلك في الشيخ ابراهيم باشا السكندري (كذا) ونعموا العرض وأهضوه بالحنوم الكثيرة
وأرسلوه الى الباشا . وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الآغا ورفعوا الحتم عن بيت
الشيخ علي ورجع أهله اليه . وحضر الباشا الى مصر في أوائل الشهر ورسم بنبي
الشيخ ابراهيم باشا الى بني غازي ولم يظهر الشيخ علي من احتفائه ، اه

(النتار) هنا ما كان من علماء الازهر في أوائل القرن الماضي وهم شيوخ
علماء الازهر الحاضرين أوشيوخ شيوخهم فيجدر بمشيخة الازهر اليوم ان تنصير
للحق الذي انتصرت له من قبل . واذا كان الروسي شيخ الازهر يقول يومئذ في
تلطيف أمر من يحرم ذبائح أهل الكتاب من العلماء ان في عقله خلافا فذا ينبغي ان
يقول شيخ الازهر اليوم في جاهل بالشرع يحرم ذبيحة أهل الكتاب رداعلى قنوى

مفتي الديار المصرية بالحل المحتج عليها بالقرآن الكريم؟ وإذا كان أمير مصر في القرن الماضي رأى وهو في كمال استقلاله ، وعدم دخول النصارى في أعماله ، ان العالم الذي قال بعدم حل ذبايحهم يستحق النفي من بلاده فإذا يرى أمير مصر اليوم في ذلك - وهو أعلم من جده بوجه الحاجة الى محاسنة الامم النصرانية والاخذ بالاقوال الشرعية التي تقنعها بأن ديننا دين مدنية وعمران ؟؟ لعلى الرئيسان العظيمان بريان ويقولان ان سلفنا اهتموا بتأديب الشيخين الذين حرما ذبايح النصارى لانهما من العلماء الذين يتقنع العوام بأقوالهم واما المحرم لها اليوم فهو من رجال القوانين ، فلا يلتفت أحد الى قوله في الدين ، وهو رأي صائب . وان كان النبي عن التكسر من الواجب ،

باب السؤال والفتوى

(شبهة على الوحي)

(س ١) أحد قراء المنار بمصر :

حضرة الاستاذ الرشيد

عرضت لي شبهات في وقوع الوحي (وهو أساس الدين) فعمدت الى رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده - حيث وقع اختياري عليها وقرأت في بابي « حاجة البشر الى الوحي » واما مكان الوحي » فوجدت الكلام وجبها معقولا غير ان الحاجة الى الشيء لا تستلزم وقوعه وكذا إمكانه وعدم استحالة عقلا لا يقتضي حصوله . ثم ما ذكر بعد من أن حالة النبي وسلوكه بين قومه وقيامه بجلال الاعمال ووقوع الخير للناس على يده هو دليل نبوته وتأيد بعته فليس شيئا فانه قد يكون (كونه النبي حجة بالبرهنة في عشرينه صادقا في دعونه أعني مقتدا في نفسه - سببا في نهوض أمته ولا يكون كل ذلك مدعاة الى الاعتقاد به والتسليم له .

ولقد حدث بفرنسا في القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت مقهورة للانكليز ان بنتا تدعى « جان دارك » من أجل النساء سيرة وأسلمهن نية اعتقدت وهي في بيت أهلها بعيدة عن التكاليف السياسية انها مرسله من عند الله لا تقاوذ وطها وادفع العدو عنه وصارت تسمع صوت الوحي فأخلصت في الدعوة للقتال وتوصلت بصدق

ارادتها الى رئاسة جيش صغير وغلبت به العدو فعلا ثم ماتت غيب نصرتها مائة الابطال من الرجال اذ خذلها قومها ووقت في يد عدوها فآلقوها في النار حية فذهبت تاركة في صحائف التاريخ اسما يسبق ثمره وتضوع رياموهي الآن موضع اجلال القوم واعظامهم فلقد تيسرت لهم النهضة بمدنها وجروا في العلم والرفي بعيدا فهل نجزم لذلك ان تلك البنت نبيه مرسله ؟؟؟..... ربما تذهبون الى ان عملها لا يذكر مقارنا بما أتت به الرسل وما وصل للناس من الخير بسببهم فاقول هل هناك من ميزان وزن به الاعمال الثافئة لتعلم ان كانت وصلت الى الدرجة التي يجب معها ان تصدق دعوة صاحبها وهل لو ساعدت الصدف (كذا) رجلا على ان يكون اكبر الناس فضلا وأبهاهم أثرا واعتقد برسالة نفسه لوهم قام بفضي بنا ذلك الى التيقن من رسالته ؟....

أظن ان هذا كله مضافا لغيره يدعو الى الترحيح ولا يستلزم اليقين أبدا على انني أعتقد ان تجدوا في قولي هذا خطأ فتعتموني به أو تزيدوني ايضا كما يتكشف به الحجاب وتناولون به الثواب. هذا وإني أعلم من فئة مسلمة ما أعلمه من نفسي ولكنهم يتحفظون في الكتان ويسألون الكتب خشية سؤال الانسان ولكنني لأجسد في السؤال عارا وكل عقل يخطي ويصيب ويزل ويستقيم (أحذروا انكم)

(جواب المتار) لقد سرنا من السائل أنه على تمكن الشبهة من نفسه لم يدعن لها تمام الإذعان فيسترسل في تمدي حدود الدين الى فضاء الاهواء والشهوات التي تفسد الارواح والاجسام بل أطلع شعور الدين الفطري ولجأ الى البحث في الكتب ثم السؤال عن يظن فيهم العلم بما يكشف الشبهة ، ويقيم الحجة ، وان كثيرا من الناس ليسمعفون عن طلب الحق عند أول فذعة من الشبه تلوح في فضاء أذهانهم لانهم شبا على حب التمتع والانغماس في اللذة ويرون الدين صادالهم عن الاهتمام والاسترسال فيها فهم يحاولون امانة شعورهم الفطري . كما أمات النشوء في الجبل برهانه الكسبي ، أرى السائل نظر من رسالة التوحيد في المقدمات وعطاها ولكنه لم يدقق النظر في المقاصد والنتائج لذلك تراه مسلما بالمقدمات دون النتيجة مع الزوم بينهما ولوعاد الى مبحث (حاجة البشر الى الرسالة) وتدبره وهو مؤمن بالله وأنه أقام الكون على أساس الحكمة البالغة والنظام الكامل فأنني أرجو له ان يقتنع . ثم انني أنست منه انه

لم يقرأ مبحث (وقوع الوحي والرسالة) أو لعله قرأه ولم يتدبره فاته لم يذكر البرهان على نفس الرسالة وبينى الشبهة عليه وأتما بناها على جزء من أجزاء المقدمات وهي القول في بعض صفات الرسل عليهم السلام . واننى أكتشفه شبهته أولاً فأبين أنها لم تصب موضعها ثم أعود الى رأيي في الموضوع

ان (جان درك) التي أشتبه عليه أمرها وحي الانبياء لم تقم بدعوة الى دين أو مذهب تدعي ان فيه سعادة البشر في الحياة وبعد الموت كما هو شأن جميع المرسلين ولم تأت بآية كونية ولا علمية لا يهد مثلها من كسب البشر تخدى بها الناس ليؤمنوا بها ، وأتما كانت فتاة ذات وجدان شريف هاجه شعور الدين وحررته من معرجات السياسة فتحرك فنفرد فصادف مساعدة من الحكومة واستعداداً من الامة للخروج من النذل الذي كانت فيه ، وكان الحمس الذي حركته سبباً للحملة الصادقة على العدو وخذلانه . وما أسهل تهيج حساسة أهل فرنسا بمثل هذه المؤثرات وبما هو أضف منها فان نابليون الاول كان يسوقهم الى الموت مختارين بكلمة شرعية يقولها ككلمته المشهورة عند الاهرام

وأذكر السائل الفطن بأنه لم يوافق الصواب في إبعاد الفتاة عن السياسة ومذاهبها فقد جاء في ترجمتها من دائرة المعارف مانصه : « كانت متعودة الشغل خارج البيت كرمي المواشي وركوب الخيل الى العين ومنها الى البيت وكان الناس في جوار دومرمي (أي بلدها) متمسكين بالحرفات ويميلون الى حزب أورليان في الانقسامات التي مزقت مملكة فرنسا وكانت جان تشترك في الهياج السياسي والحاسية الدينية وكانت كثيرة التخيل والورع تحب أن تتأمل في قصص المذراء وعلى الاكثر في نبوة كانت شائعة في ذلك الوقت وهي ان إحدى المذاري ستخلص فرنسا من أعدائها . ولما كان عمرها ١٣ سنة كانت تعتقد بالظهورات الفاتحة الطيبة وتنكلم عن أصوات كانت تسمعها ورؤى كانت تراها ، ثم بعد ذلك يبضع من خيل لها أنها قد دعيت لتخلص بلادها وتزوج ملكها . ثم أوقع البرغيور تمديدا على القرية التي ولدت فيها فتوى ذلك اعتقادها بصحة ملخيل لها . ثم ذكر بعد ذلك توسلها الى الحكام وتمينها قائدة لحيش ملكها ومحبوبها بمشرة آلاف جندي ضباطهم ملكيون على عسكر الانكليز الذين كانوا يحاصرون أورليان وأنها دفعتهم

عنها حتى رفعوا الحصار في مدة أسبوع وذلك سنة ١٤٢٩. ثم ذكر أنها بعد ذلك زالت خيالها الحماسية ولذلك هوجت في السنة التالية سنة (١٤٣٠) فانكسرت وجرحت وأسرت
فن ملخص القصة يعلم أن ما كان منها إنما هو تهيج عصبي سببه التألم من تلك الحالة السياسية التي كان يتألم منها من نشأت بينهم مع معونة التحمس الديني والاعتقاد بالخرافات الدينية التي كانت دائمة في زمنها . وهذا شيء عادي معروف السبب وهو من قبل الذين يقومون باسم للهدى المتطرق كـ محمد أحمد السوداني والباب بل الشبهة في قصتها أبعد من الشبهة في قصة هذين الرجلين وان كانت أسباب الهزيمة متقاربة فان هذين كانا كائناً لهما يدعوان الى شيء يزعمان انه اصلاح للبشر في الحياة

أين هذه الثبوتية المصيبة القصيرة الزمن ، المعروفة السبب ، التي لادعوة فيها الى علم ولا اصلاح اجتماعي الا المدافعة عن الوطن عند الضيق التي هي مشتركة بين الانسان والحيوان الاعجم ، التي لاحاجة لتمدها ، ولا معجزة تؤيدها ، التي اشتملت بتفخها وطلعت بتفخها ، أين هي من دعوة الانبياء التي بين الاستاذ الامام أنها حاجة طبيعية من حاجات الاجتماع البشري طلبها هذا النوع بلسان استعداد فوهها له المدير الحكيم الذي «أعمل كل شيء خلقه ثم هدى» فسار الانسان بذلك الى كماله فلم يكن أدنى من سائر المخلوقات الحية الثمانية بل أدنى وأعلى . وأين دليلها من أدلة الثبوتية وأين أثرها من أثر الثبوتية؟ ان الأمم التي ازقتها بما أرشدتها الى تعليم الوحي إنما ازقتها بطبيعة ذلك التعليم وتأثيره وان فرنسا لم ترتق بارشاد (جان دوك) وتعليمها وإنما مثلها مثل قائد انتصر في واقعة فاصلة بشجاعته وبأسباب أخرى ليست من صنعه واستولت أمته بسبب ذلك على بلاد رقها بعلوم علمائها وحكماء حكماؤها وصنع صناعاتها ولم يكن القائد يعرف من ذلك شيئاً ولم يرشد اليه فلا يقال ان ذلك القائد هو الذي أصلح تلك البلاد وعمرها ومدنها ، وان عدت شيئاً بعيداً فهو شيء بالسبب الطبيعي ككهبوب ربح تهيج البحر فيمرق الاسطول وتنصر الامة

أين حال تلك الفتاة التي كانت كبراقة خفت (ظهرت وأومضت) ثم خفيت ، وصبيحة عات ولم تلبث ان خفت ، من حال شمس النبوة المحمدية التي أشرقت فأفارت الأرجاء ، ولا يزال نورها ولن يزال مناتق السناء ، أمي يتم قضى سن الصبا

وسن الشباب هادئاً ساكناً لا يعرف عنه علم ولا تخيل ولا وهم ديني ولا شعر ولا خطابة ثم صاح على رأس الاربعين بالعالم كله صيحة : انكم على ضلال مين ، فاتبعون اهدكم انصرط المستقيم ، فأصلح وهو الأمي أديان البشر عقائدها وآدابها وشرائعها وقلب نظام الارض فدخلت بتعليمه في طور جديد ؟ لا جرم ان الفرق بين الحالين عظيم اذا آمن النظر فيه العاقل

لاسهة في جواب سؤال لتقرير الدليل على النبوة وانما أحيل السائل على التأمل في بقية بحث النبوة في رسالة التوحيد ومراجعة ما كتبناه أيضاً من الأمالي الدينية في النار لاسميا للدرس الذي عنوانه (الآيات الدينات ، على صدق النبوات) وان كان يصدق على رسالة التوحيد المثل « كل الصيد في جوف الفرا » فان بقي عنده شبهة فالاولى ان يفضل زيارتنا لأجل المذاكرة الشفاهية في الموضوع فان المشافهة أقوى بيانا ، وأنصح برهانا ، ونحن لعاهده بأن نكتب امره وان أبي فليكتب لنا ما يظهر له من الشبهة على ما في الرسالة والأمالي من الاستدلال على وقوع النبوة بالفعل وعند ذلك نذهب في الجواب بما نرجو ان يكون مقنناً على ان المشافهة أولى كما هو معقول وكما ثبت لنا بالتجربة مع كثير من المشتبهين والمرتابين ،

(س ٢) لواعظنا أحدكم بحجر لثمنه - الشيخ محمد حلمي أستاذ العربية بمدرسة سواكن الأميرية : ضمني وبعض العلماء مجلس ودار بيننا الحديث « في مرتبة الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء وآل البيت بعد الممات وهمل هم قادرون على اجابة دعوة الداع اذادعاهم وهمل علىكون لاقتسم تقمأوضرا وفي (لواعظنا أحدكم في حجر لثمنه) هل هو حديث صحيح ومذكور في البخاري وفي الجامع الصغير . فقلت انا بالسلب في الشكل وقالواهم بالاجاب وقد رأينا ان نكتب الجوابكم لتأثروا في محبتكم (النار) بفصل الخطاب فانك لم الحسك الذي رضى حكومته ولكم ن الله الاجر ومنا الشكر

(ج) دعوة غير الله تعالى شرك ونفي بها اللعاب الى غيره في طلب ما وراء المساعدة والمعاونة الكسبية التي تكون بين الناس عادة « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » وقد أمر الله نبيه ان يبين للناس عمل الرسل ووظيفتهم بقوله « قل انما ادعو

ربي ولا أشرك به أحداً * قل اني لأملك لكم ضرراً ولا رشداً * قل اني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً * الا بلا ظمن الله ورسالاته * الخ قال ايضاوي وغيره في تفسير قوله « ضرأ ولا رشدا » أي لا ضرأ ولا نقما ولا غيا ولا رشدا وعبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سيبه أو مسيبه شعار المؤمنين ، أو هذا هو الذي يسميه البلاء الاحتباك ومنه قوله تعالى « لا يرون فيها شمسا ولا زمهرياً ، أي شمساً ولا قرأ ولا حرأ ولا زمهرياً » وقالوا في قوله « الا بلا » انه استثناء من قوله « لا املك » أي لا املك الا التبايع والله هو الفاعل المؤثر الذي ينفع الناس ويرشدهم بالقول . وهذه الآية بمعنى قوله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي » وما في معناها من آيات حصر وظيفة الانبياء في التبليغ وقد شرحنا المقام مراراً كثيرة .

وأما الحديث فقد جاء في كتاب (الأوّل المصنوع) فيه ماله : حديث « لو حسن أحدكم ظنه بجبر لثقه » موضوع كما قاله ابن تيمية . وقال ابن الجوزي هو من كلام عباد الاصنام : اهـ ومن أعجب العجائب ان أمة التوحيد قد فسدت فيها هذا الحديث المفترى منذفت فيهم نزغات الوثنية ودماغيهم الله حتى ان كل طامي يحفظه ولما لبنا على وضعه في درسنا العام في المسجد الحسيني وبيننا فساد الاحتجاج به قام بعض السدنة لتلك الهياكل يفسري العامة بالقول بأننا نفسد لهم دينهم أن قلنا في عمود الرخام الذي في المسجد يتمسح به الناس ويتمسكون فقه : إنه لا ينفع في الحقيقة ولا يضر وان التافع الضر هو الله وحده ولكنه جعل للتفع والضر أسباباً وهذا لا يجتناب الضر واجتناب التافع بما وهب لنا من العقل والحواس والدين ، وعم اللفظ بذلك حتى نصرنا الله رب العالمين ؛

(س ٢) الدعاء بين الخطيئين - الشيخ ميين شيخ رواق الافان في الازهر :
ما قولكم دام فضلكم في رفع اليدين والصوت وتشويش الناس بالدعاء عند جلوس الامام على المنبر بين الخطيئين في يوم الجمعة كما هو رسم في زماننا فهل هوسنة أو مندوب أو بدعة أو مكروه . وحديث عبد الله بن سلام أصبح من حديث أبي موسى الأشعري في تعيين الساعة التي يحجب فيها الدعاء . ينونا تؤجروا أنا بكم الله :

(ج) حديث أبي موسى الذي يثريه السائل هو ان النبي عليه السلام يقول في

ساعة الجمعة « هي ما بين ان يجلس الامام - يعني على المنبر - الى ان يقضي الصلاة »
رواه مسلم وأبو داود وقد أعلموه مع ذلك بالانقطاع والاضطراب أما الاول فلان مخزومة
ابن بكير ورواه عن أبيه قد نقل عنه انه قال انه لم يسمع من أبيه شيئا وأما الثاني فهو أنهم قالوا
ان أكثر الرواة قد جعلوا هذا الحديث من قول أبي بردة مقطوعا وانه لم يرفعه غير
مخزومة عن أبيه يودع الخ ماقالوه وقد استدركه الدارقطني على مسلم وأما حديث عبد
الله بن سلام فهو ناطق بأن الساعة التي يجاب فيها الدعاء هي آخر ساعة من النهار وقد رواه ابن
ماجه مرفوعا ورواه مالك وأصحاب السنن وغيرهم من طريق محمد بن ابراهيم عن أبي
سلمة عن أبي هريرة عن عبد الله بن سلام من قوله ورجاله رجال الصريح وفي معناه أحاديث
أخرى تؤيده ويارضها حديث أبي سعيد عن واحد وابن خزيمة وإلحاكم وهو أنه سأل
التي عنها فقال « قد كنت علمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر » ورجاله رجال
الصحيح أيضا وأجيب عنه بأنه لا يصلح للممارسة لجواز ان يكون ذكر بعد ما نفي .
وللعلماء في تعيين ساعة الاجابة أربعون قولاً ونيف والاكثرون على ترجيح
أحد الحديثين المشار اليهما في السؤال والارجح أنها آخر ساعة من نهار الجمعة
وللمراد بالساعة الزمانية وتصدق بدقيقة أو دقائق . أما رفع الدين والاصوات بالدعاء
عند جلوس الخطيب بين الخطبتين فلا نرفله سنة تؤيده ولا بأس به لولا التشويش
وأنهم جعلوه سنة متبعة بغير دليل والمأثور طلب السكوت اذا صعد الامام المنبر
وإنما السكوت للسماح لذلك لقول لا بأس بالدعاء في غير وقت السماع ولكن يدعو
خفية لا يؤذي غيره بدعائه ولا يرفع كل الناس أيديهم فيكون ذلك شماراً من شعائر
الجمعة بغير هداية من السنة فيه : بل اتهم يخالفون صريح السنة اذ يقوم الامام
ويشرع في الخطبة الثانية وهم مستمرون على دملهم فأولى لهم سماع وتدبر وقت
الخطبة وفكر وتأثر وقت الاستراحة وأهون فعلهم هذا ان يكون بدعاً مكروهة
والله أعلم

(س ٣) منصب شيخ الاسلام وتاريخه من ١ - ع . بالازهر :

يصرع الاسماع كثيراً لفظ (شيخ الاسلام) فهل هذا اللفظ مما اصطلح عليه
المسلمون وله مدخل في شأنهم ويستبر من الوظائف الدينية التي يوجيها للناس أم

هذا لفظ وضعي لامساس له بالشرع؟ ومن أول من اخترعه زرجو الجواب ولسكم الاجر والثواب .

(ج) ان هذا اللقب من الالقاب الحادثة لمنصب حادث ووظيفة شيخ الاسلام في الدولة العثمانية الفتوى الرسمية فهو المفتي الاكبر في المملكة وأحد اعضاء مجلس الوزراء وقد وضع الملوك هذا المنصب بمد ما صارت أمور المسلمين في أيدي الجاهلين بالشرع من السلاطين واعوانهم الوزراء فمن دونهم وكانوا محتاجين الى من يفيدهم حكم الشرع في بعض ما يعرض لهم في سياستهم للامة لاسيما قبل ان يستبدلوا القانون بالشرع في كثير من أحكامهم. وكان اختراع هذا اللقب في أوائل القرن التاسع زمن السلطان مراد خان الثاني الذي ولي السلطنة في الثامنة عشرة من سنه وقدوليه في زمنه محمد شمس الدين ٨٢٨ ونفر الدين المعجمي سنة ٨٣٤ وشيخ الاسلام في الدولة هو الذي يولي القضاة والمفتين في المملكة كلها باذن السلطان . هذا هو اللقب الرسمي والعلماء كانوا يطلقونه على البارعين في علم السنة وفقه الدين كابن تيمية والمزين عبد السلام ويطلقونه في مصر على شيخ الجامع الأزهر .

التم المومي

نظام الحب والبغض ————— تابع ويتبع

قد سمعنا أقوال الناس في انساب الشعوب ولكل أمة أساطير تحكيها في أصلها ونسبها وتتحل لها من الفضل والتميز ما تتحل . وكل الذي زعموه خيال لا يصح وه كذب النساويين .

أما هؤلاء البحاثة النسابة من الاوربيين وهم أمثل النساين في هذا العهد لانامهم في التدقيق وامعاتهم في التحقيق فآبهم يذهبون الى ان القرابة القرية انما تعرف بتقارب اللغات . وقد يصح هذا لو كان لنا ثقة بأن الاقوام المتباعدة لم يطرأ على ألسنتهم تغييرات توجب فيها قرباً من السنة البعداء وبعداً من السنة القرية ولكن أتى ثنائكم الثقة ؟

وهنا نسكتة كنا نود أن يسلم منها هؤلاء المحققون وهي نسبة العزة المتولدة

من والدين مختلفي القبائل الى قبيلة الاب من دون الام • فما الداعي ان نقول فلان ابن فلان حتى نوصله الى أصل قبيلة ذي الصلب المشكوك ولا نقول فلان ابن فلانة حتى نوصله الى قبيلة ذات الرحم المتيقن ؟ ولكن سرى هؤلاء التقليد أيضا وخلقوا ما قبل التاريخ بما بعد التاريخ اذ قالوا أصول البشر (١) الساميون (٢) والاريانيون و (٣) التوراتيون ثم ألحقوا كل جيل من الشعوب الحاضرة بأصل من هذه الاصول وان تنسح الظن كما اتبعه غيرنا فاني لأرى من قرابة الاجيال قريبة الا باعتبار تقارب المقرات التي تفرق فيها البشر وهذا الرأي يبرقنا بقرى شعوب الارض من بعضهم فيما قبل ترميماً يوصلنا الى ما بعد • يعطينا قاعدة نعتقد فيها بقرابات الشعوب الحاضرة اعتقاداً جديداً غير اعتقاد أولئك النساين ومقلديهم • وهي ان العبرة بآخر دور من المزيج وهذا يتحقق بتقارب المقر لا بتقارب اللغة فكم نعلم من قة هاجرت من ديارها وحلت في ديار أخرى وتعدت من موالدها وتزوجوا بنسائها ثم تعدت أولادهم من موالدها وتزوجوا بنسائها فلم يلبثوا بطوناً قليلة حتى صارت أعقابهم بعضاً من الذين هاجروا اليهم في اللون وتركيب البنى • فأَيُّ الفريقين أقرب الى هؤلاء ؟ آ الذين هاجروا عنهم لتقارب لغاتهم أم الذين هاجروا اليهم لامتزاجهم بها وتقارب أبدانهم واشترآكها في التركيب من مواليد أرض واحدة ؟ ولم لا ننسب أولاد المهاجرين المتولدين من بنات المهاجر اليهم الى قبيلة أمهاتهم ؟

هذا ان حافظوا على أصل لغتهم أو إحتوا القرابة بينها وبين تلك، وقد يكون هذا ان كان المهاجرون كثيرين كالعرب الذين هاجروا — قبل الاسلام — من الجنوب الى الشمال وكالاوريين الذين هاجروا — قبل التمدن — من الشمال الى الجنوب. وأما اذا لم يحافظوا على اللسان — وهو كثير — فهل نجدون لهم قرياً غير من هاجروا اليهم ثم امتزجوا بهم ؟ على انه ما من أمة اختلطت بغيرها وأخذت منها الا وتعطيها كما أخذت فان أمة هاجرت وأخذت من المهاجر اليهم الفاظاً وبيانات حتى خالفت من هاجرت عنهم بعض المخالفة فإنها تعطيهما الفاظاً وبيانات من عندها حتى يوافق من هاجروا اليهم لمن هاجروا عنهم بعض الموافقة ثم قد تحدث أسباب تحيل هذا القليل من المخالفة أو الموافقة كثيراً وانما التزمنا التعرض لهذا المبحث لان كلامنا في هذا الباب استدعى بيان ما هو

الاقدم من أحوال البشر . لتفيدنا معرفة قلبه في الاطوار والادوار معرفة ما هو الانسب
الراجح من سنته فان الانسب البقاء ويمثله يكون الارتقاء والرجوع منه ما بادومنه ما سيبيد
بهمة المتفكرين .

وبالذي حررناه ينبغي لكم ان رابطة القومية قداسها قصد التعاون من بعد تفرق
الازواج في كل مفار ، فهو الذي جمع ابناء من أزواج متعددين على رابطة معناها قانون
يحكم فيه بتكافل القرباء وتوحيد مصالحهم التي هي بالنسبة الى غيرهم

وقدر سخ البشر لهذا القانون الصناعي المساوي حتى ظنه القانون طبيعيا روحيا
فيؤسوا من معالجة المرضى بالتعصبات التي لم تأذن بها الانسانية (هي المعنى المخلوق
لاجله الانسان) ويدلنا على كونه غير طبيعي كثرة ما يدعوا اختلاف المصالح بين القرباء
الى تباعدهم وتقريب البعداء . وكما علمنا من حوادث جرت على هذه السنن . وليس
بعيدا عهد المستعنين بالممالك وهم أبعد البعداء ، على سراة أمتهم وخواص أسرهم
وهم أقرب القرباء ، وسواء كان المستعنون بالفريق على القريب مدافعين أو مهاجمين
فكلتا الحالتين تهدينا الى وقوع تعاد بين القرباء يوقع الفقرة والفرقة ، وحدوث تعاون
بين البعداء يحدث الصلة والفرقة . وهذا يهدينا الى ان الاصل صناعي لا طبيعي .

ولعل الذين يرون رسوخ ذلك الرضوخ لذلك القانون (رابطة القومية)
طبعيا انما يبنون ظنهم على ان قرابة الابدان توجب قرابة الافكار والقلوب . وهو
ظن ليس بعيد بل يتبادر الى ذهن كل امرئ بيدان انعام النظر يهدي الى ان الحس
يخطئ هذا الظن وذلك اننا نجد أخص قرابة وهي قرابة الاولاد من الوالدين لا توجب
قرابة الافكار والقلوب الا اذا كانت افكار الاولاد مأسورة بيد الوالدين أو أحدهما
وهو الاكثر . والبدهة تشهد ان هذه القرابة الفكرية على هذا الوجه صناعية
أيضا . ومن المشاهدان الذين خلصوا من هذا الامر قد بعدوا بأنكارهم عن افكار
والديهم بمدا شاسعا . ومن العجب ان هؤلاء الخالصين من ذلك الاسر على قتلهم
وانفرادهم في أمهم كانوا هم المغيرين لعادات البشر واخلاقهم . والتغيرات التي حدثت
في النوع هي الدرجات التي تقل فيها حتى بلغ هذا اليوم وشعوبه واجياله متفاوتة
هذا التفاوت

بل نحن نجهر بما أخفى من هذا وهو ان البشر قبل ان يرتقوا (أي قبل أن تحدث لهم روابط أخرى غير رابطة القومية) لم تكن رحمتهم لاولادهم طبيعية لعللة انهم أجزاء منهم ، وأقرب الاغيار اليهم ، وامانة عظمى في أيديهم ، بل كانت رحمتهم طبيعية لعللة أنها لازمة من اللوازم العامة فلم يك من فرق بينها وبين تلك الرحمة الموجودة عند الحيوان مادام مولوده صغيرا محتاجا للرحمة •

وتظهر الثمرة من اختلاف المتبين في قصصها متى كبر أوفقدتها الا ان تقلب الى معنى آخر فيكون الحكم لذلك المعنى لاهل •

وذلك المعنى قد يكون الامل بأن يكون عونهما يوم يكونان ضعيفين ويكون قويا وقد يكون حنين النفس الى مآلقاته بواسطة التربية • ومألوف النفس مرحوم عندها ومحبوب ومولود به • وقد تألف النفس جمادا أو نباتا أو حيوانا فيكون لديها أعز من الولد • ولا سيما اذا شارك الالفه شيء من التربية لان من جملة حب الذات حب صنعها والاهل صنعوا التربية من الصنعة بل هي أم الصنائع لان في منهاها التزييد وهو روح الصنع • فالامل هو الذي يجمل الابناء أعز وأحب من البنات بل فقدته هو الذي كان يجمل البنات حملا ثقيل لا يجب الاسراع بطرحه كمثل اولئك الذين كانوا يشدونهن فلو كانت رحمتهم لاولاد لتلك العلة المظنونة (علة كونهم اجزاء من الوالدين وامانة كبيرة عندهما) لما كان هذا الفرق • ولما كان فرق أيضا بين أولاد الابناء وأولاد البنات وانك لتراهم يفرقون • قال قائل منهم :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

والامل هو الذي يكثر الحب والرحمة لاولاد اذا قلوا ولا سيما اذا كان الوليد وحيدا وقلقه اذا كثروا • والتربية هي التي تجعل الصغير أعز من الكبير غالبا عند الامهات • والذكر أعز من الانثى لدى الآباء • والتربية هي التي تجعل المرء البعيد من الانسان في حكم الولد • كمثل ولد حملت به زوجته من غيره ثم وضعت على فراشه ورياء في خباثتها بل كولد التقطاه ليكون لهما في حكم الولد • وتجعل غير المرء القريب من الانسان في حكم البعيد كولد حملت به منه غير زوجته ووضعت على غير فراشه ، وولد حملت به ولما وضعت رتمته ليلتقطه الابدون ولتأكله الكلاب والذئاب •

هذا وما نحن في هذه البيانات بوارثين حق تلك الصناعة التي كشفتنا أسرارها من أول نشأتها . ولكنتا مهدتا قلبها لنشر الى بطلان أكثر التصببات المبينة عليها عند الذين تزكت نفوسهم وصحت اخلاقهم . فإتاه لأمضى لدى أهل هذا العلم (علم النفس وما يصلحها — علم الاخلاق) لتصب كل قوم على آخرين بغير الحق الا الاثم والعدوان ، والبغي والطغيان . وساء ذلك من تعاون . وما هو الا التباين لو كانوا بفقهون وقد اغتر بها الانسان . يوم عداه العرفان . من أجل هذا كتب عليه الاثتان . الجهاد والعدوان . وغلب عليه المهلكان . الاستبداد والكفران . وبئس ذلكم الشأن . وأقبح من تلك التصببات الباطلة الفخر بالانساب ونخيل الشرف والمجد بالتولد من ذاك الوالد وذاك الجد . وإن تلك لا وهام باطلة ، لا روج الا على العقول الماطلة . ولا يتعلق بها الا كل ختال ختار . فقروا أنفسكم من هذا العار . أن تكونوا لها فاعلين ، أو تكونوا بها مؤثمين .

هذا ما توصيكم به الفضيلة وهي التي تزكي حقائقكم وتهب كل نفس قولها وسعادتها . وأما ما توصيكم به السياسة وهي التي تزكي أسماء جماعاتكم . وتهب كل جماعة حظها من التميز على أختها فانها توصيكم أن لاتنسوا حفظكم من تلك الرابطة وان استغنم بالاوهام ، وتوصيكم أن لا تجمدوا عليها لئلا تبقوا كالانعام ، كما بقي أهل المغارات واخوانهم ممن في الحيام ، فكونوا من اخوان الفضيلة أو اخوان السياسة انكم مخبرون . وتفكروا ينفعكم التفكير وللملك ترشدون . ولا تقلدوا ان المقلدين اخوان الهون . ومن ظن أن حكم الامم بهذه الرابطة فاعلموا انهم بالسياسة حاكمون . وفي الآتي فصله للذين يقرأون .

(ع . ز)

باب الحجة في الاستمساك

استمساك العرب بالدولة العلية

زار الورد كرزون حاكم الهند العام الخليج الفارسي من مدة قريبة ولما عرج على جزيرة البحرين زار فيها هو وقرينته صديقنا محمد باشا عبد الوهاب أمير

دارين الشهير في عمله التجاري بالبحرين ورغب اللادى كرزون اليه ان يطلعها على جميع اصناف اللؤلؤ فسرت عما شاهدته منها ولم تكن رآته وقد زار صديقنا المذكور جناب اللورد في بارجته الحربية كما زاره غيره من الامراء ولكن كتب اليه ان هناك ان الزورق الذى حمل محمد باشا عبد الوهاب الى بارجة اللورد كان مرفوعا عليه العلم الثماني دون غيره وانه عند اللقاء قدم الى جناب اللورد كتابا بدأ بالبسملة الشريفة وحمد الله تعالى ثم ذكر ان الملوك والحكام انما يتفاضلون بالاثلاف الذى فيه صلاح البرايا ثم اتقل من ذلك الى الثناء على السلطان عبد الحميد خان الذى تحفه بالرتب العالية والوسامات السامية وذكر ان بلاده تتقدم في الحضارة وترقى التجارة في ظل الدولة العلية ترقيا مستمرا. ثم اننى بعد ذلك على الحكومة القيصرية الهندية وعلى جناب اللورد خاصة لتصرفه بزميلته ولما يراه من الرعاية وتسهيل سبل التجارة عليه في الممالك الهندية . وأعرب في ختام الكتاب عن رجائه ورجاء أهل بلاده في « ان يكون هذا التشریف الميمون سببا في زيادة الاتفاق الصادق بين الدولتين الفخيمتين - الدولة العلية النمانية والدولة الفخيمة القيصرية »

ولا يخفى ان انكثرا تعتبر جزيرة البحرين تحت حمايتها أما دارين فلها تابعة للدولة العلية وهي في الحقيقة مبناء بلاد نجد في جنوب بلاد العرب ووجود مثل محمد باشا عبد الوهاب فيها يزيد في تماسق أهلها بالدولة العلية والاستمساك بعرونها وفق الله الدولة وأمراء العرب الى ما به دوام الاتفاق وخير المسلمين آمين

﴿ نصيحة لمسلمي سيرالون ﴾

قد علم من الرسالة المنشورة في الجزء الماضي عن سيراليون ان مسلمي تلك البلاد قد تلك فهم الجهل والتماذي ولا علاج لهم من هذا الداء الا بالتعليم والتمسك باداب الدين وقد قبض الله لهم في هذه الايام من يرشدهم الى ترقية تعليم العربية والدين فليهم ان يستثموا هذه الفرصة ويأخذوا بأرشاد ذلك السائح . وقد جئنا رجل منهم سوداني اسم هارون الرشيد يريد طلب العلم في الازهر فأخبرنا بمثل ما كتب السائح من حاله الحماسة واثني عليه ثناء حسنا

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خير كثير وما
يذكر إلا أول الألباب

المسحاة

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أول الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى ومثاراً كشار الطريق)

(مصر — الثلاثا مغرة ذي القعدة سنة ١٣٢١ — ١٩ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٤)

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

﴿ كلمة في القبور ﴾ (١)

لا نريد بهذا العنوان البحث عن تاريخ القبور كالتواويس والاهرام وما
شاكلها من معالم الوثنية الأولى وانما نريد الوقوف بفكرة القاري عند اختلاف
المؤرخين في مكان قبر أبي عبيدة كاختلافهم في تعيين كثير من قبور جلة الصحابة
الكرام الذين دوخوا هذا الملك العظيم وتحلوا بتلك الشيم السماء وبلغوا
من الفضل والتفضل والتقوى والصلاح غاية لم يبلغها أحد من الاولين ولا
الآخرين . وقد بسط المؤرخون أخبار أولئك الرجال العظام وعنايتهم
آثارهم العظيمة في فتوح الممالك والبلدان حتى لم يتركوا في النفوس حاجة
للاستزادة ونعم ما خدموا به الامة والدين

ان القاري اذا وقف بفكره عند هذا الامر وقة التأمل لا يلبث ان
يأخذ العجب لأول وهلة من ضياع قبور أولئك الرجال العظام واختفاء
أمكنها عن نظر نقلة الاخبار ومدوني الآثار على جلالة قدر أصحابها وشهرتهم
التي طمست الآفاق وملأت النفوس اعظاما لقد رهم وأكبارا لجلالات أعمالهم

(*) بنده من الجزء الثالث من كتاب أشهر مشاهير الاسلام ، الذي يطبع مطبعتي في هذه الأيام

وثناء عليهم وتكريماً لذكر أسمائهم وشكرهم لآلاتهم واعترافاً بمجيدهم واقراء
بفضيلة سبقهم بالإيمان ونشرهم دعوة القرآن

لاجرم ان القاري أقل ما محمده به النفس عند التأمل في هذا الامر
ان أولئك الرجال ينبغي ان تعلم قبورهم بالتميين، وتشاد عليها القباب العاليات
ذات الاساطين، اذا لم يكن لشهرتهم بالصلاح والتقوى وصدق الايمان
وصخبهم للنبي عليه الصلاة والسلام فلما أتوه من كبار الاعمال ، التي
تعجز عنها أعظم الرجال ، فكيف غابت قبورهم عن نظر المؤرخين ،
ودرست اجدانهم التي تضم أكبر الصحابة والتابعين ، حتى اختلف في تمييز
أمكنها أرباب السير ، وعفا من أكثرها الاثر ، إلا ما علموه بعد بالخدس
والتخمين ، وأظهروا أثره بالبناء عليه بعد ذلك الحين ، مع ان المشاهد عند
المسلمين صرف العناية الى قبور الاموات بما بلغ الناية بالتأنيق في رفعها
وتشييدها ورفع القباب عليها واتخاذ المساجد عندها لاسيا قبور الامراء
الظالمين الذين لم يظهر لهم أثر يشكر في الاسلام ، والمتشيخة والدجالين
الذين كان أكثرهم يجهل أحكام الايمان ، ولا نسبة بينهم وبين أولئك الرجال
المعظام كأبي عبيدة بن الجراح واخوانه من كبار الصحابة الكرام الذين
تلقوا الدين غضا طرياً ، وبلغوا بالتقوى والفضيلة مكاناً قصياً ،

والجواب عن هذا ان الصحابة والتابعين لم يكونوا في عصرهم باقل
تقديراً لقدرة الرجال وتعظيم الشأن من نبع فيهم من مشاهير الابطال وأخيار
الامة الا أنهم كانوا يأتون من تشييد قبور الاموات وتعظيم الرفات
لتحقيق النهي الصريح عن ذلك من صاحب الشريعة الغراء الخليفة السمحة
التي جاءت لاستئصال شأفة الوثنية ومحو آثار التعظيم للرفات ، او الكوف

على قبور الاموات ، ويرون ان خير القبور الدوارس وان أشرف الذكر في أشرف الاعمال . لهذا اخفقت عن أنى بعدجيلهم ذلك قبور كبار الصحابة وجلة المجاهدين الا ماندر ثم اختلف نقلة الاخبار في تعيين امكنتها باختلاف الرواة وتضارب ظنون الناقلين . ولو كان في صدر الاسلام أثر لتعظيم القبور والاحتفاظ على أماكن الاموات بتشييد القباب والمساجد عليها لما كان شيء من هذا الاختلاف ولما غابت عنا الى الآن قبور اولئك الصحابة الكرام كما لم تغب قبور الدجاجة والتمشيخين التي ابدعها بعد المصور الاولى مبتدعة المسلمين وخالفوا فعل الصحابة والتابعين . حتى باتت اكثر هذه القباب قتل هياكل الاقدمين وتعيد سيرة الوثنية بافح انواعها وابدمنازعها عن الحق . وأقربها من الشرك . ولو اعتبر المسلمون بعد باختفاء قبور الصحابة الذين عنهم أخذوا هذا الدين وبهم نصر الله الاسلام لما اجتروا على اقامة القباب على القبور وتعظيم الاموات تعظيما يباه العقل والشرع وخالفوا في هذا كله الصحابة والتابعين الذين أذوا لنا أمانة نبهم فاضمنناها وأسرار شريعتهم فعبثنا بها ، واليك ما رواه في شأن القبور مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدي قال : قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعتك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) أن لا أدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته : وفي صحيحه أيضا عن ثمامة بن شفي قال : كنا مع فضالة بن عبيدبارض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي . ثم قال سمعت رسول الله (ص) يأمر بتسويتها (١)

(١) الاحاديث الواردة بالهي عن تشييد القبور وتعظيمها ولعن من يتخذها مساجد ويقصد بها بالنذور كثيرة قد استقصى الكلام عليها كثير من الأئمة المصلحين

هكذا بلغونا الدين وادّوا لنا أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم
ثم تأكيدها العهد الأمانة بدأوا بكل ما أمرهم به الرسول بأنفسهم لتسنن
بسلتهم ونهتدي بهدي نبيهم ولكن قصرت عقولنا عن إدراك معنى
تلك الجزئيات. وانحطت مداركنا عن مقام العلم بحكمة التشريع الإلهي
والامر النبوي القاطن بسدم تشييد القبور اتقاء التدرج في مدارج الوثنية.
فلم نخفل بتلك الحكمة وتحكمتنا بعقولنا الفاصرة بالشرع فحكمتنا بمواز
تشديد القبور استجابا لمثل هذه الجزئيات حتى أصبحت كليات وخرقا
في الدين وإفساداً لعقيدة التوحيد اذ مازلنا تتدرج حتى جعلنا عليها
المساجد وقصدنا رفاتها بالنذور والقربات ووقعنا من ثم فيما لاجله أمرنا
الشارع بطمس القبور كل هذا ونحن لانزال في غفلة عن حكمة الشرع
نصادم الحق ويصادمنا حتى نهلك مع الهالكين اه

— ❦ —
مسئلة ذبايح أهل الكتاب ❦

﴿ تأييد الفتوى بالاجماع ﴾

وقفة الفتوى ان النصارى في قطر من الافطار (هو الزنسفال) يضررون البقر
قبل ذبحه بآلة محددة تسمى البطة ثم يذبحونه ذبحاً واتهم في زعم السائل لا يسمون
الله على ذبايحهم

(تحرير الجواب)

وتحرير الجواب من حيث صحة الذبح ان ضرب الحيوان قبل ذبحه بمحدد أو غير
محدد لا ينافي كون ذبحه بعد ذلك من الذكبة التي يحل بها أكله فهو حلال باجماع
كشيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وامتثلها فلتراجع في مظانها من كتب القوم كالواسطة
واغاة اللفهان وغيرهما من هاشم الاصل ويعلم القراء ان النار وفي هذا الموضوع حقه

المسلمين من السلف والخلف والمتبادر من تصريح السائل بذبج البقر هو أنهم يذبجونه وفيه نية اذ الميت لا يذبج . والمتبادر أن هذه الحياة هي التي يسميها بعض الفقهاء من الخلق الحياة المستقرة التي من علامتها انفجار الدم والحركة النيفة إذ لو ذكي الحيوان وليس فيه الارمق لما اعتد العامي (كالستقي في الواقعة) بذبجه بل لما ساء ذبحها فالحياة هي الأصل ولم يرد في السؤال عما يدل على زوالها أو بقاء الرمق فيها قط فيقال أنها حلال على رأي الجمهور والاكثر كما قال المفسرون (وقتلنا ذلك عنهم في الجزء الماضي) لا بالإجماع كما تدعي

وما قلناه من أن إطلاق السؤال أنهم يذبجون بعد الضرب يقتضي أن يكون الذبوح حلالا بالإجماع نعرضه على علماء الاسلام في مصروفي سائر الاقطار وقول أنه لا يمكن لأحد منهم رده . ومن يزعم أن أئمة المسلمين اختلفوا في حل الحيوان بذبج بعد ضرب بأي شيء فليكتب لنا بالبيان لتنتشر قوله ونحن على يقين من أن كل عالم اسلامي يعلم أنه لا خلاف في ذلك وأما الخلاف فيما اذا ثبت أن الحيوان ذبج بعد رمق سبب يحال عليه الهلاك وليس فيه حياة مستقرة فقال بعض الفقهاء لا يحل وقال أكثرهم أنه يحل وتقدم في الجزء الماضي قول المفسرين في ذلك . وعلامة الحياة المستقرة انفجار الدم والحركة النيفة كما قاله فقهاء الشافعية وقد علمت مما قلنا عن الصحابة وغيرهم في الجزء الماضي أنه يكفي في الموقوذة ونحوها علامة تدل على الرمق من الحياة كحركة الجفن أو الذنب وأنه المتبادر من قوله تعالى « الاماذكيتم »

وأما مسألة التسمية في الواقعة فتقول إنه لا سبيل الى الحكم على أهل قطر من الاقطار بأنهم لا يذكرون الله على ذبجهم الا اذا كان دينهم يمنعهم من ذلك . والشكول عنهم في واقعة الفتوى ليسوا كذلك لانهم نصارى ولو أحل الله ذبائحهم وهم كذلك لما كان للاختلاف في اشتراط تسميتهم وعدمها وجه من الوجوه . وقد نصوا على أن ذبيحة الكتاني لم يعلم أذكر اسم الله عليها أم غيره أم لم يذكر شيئا هي حلال بالإجماع وذلك هو الواقع في مسائلنا اذ العلم بعدم ذكر اسم الله على كل ذبيحة في قطر الترسفال أو في أي بلعمن البلاد مشنر وإنما يتيسر العلم بذلك في ذبيحة معينة وليس هو واقعة الفتوى . فالشكول عنه هو في الواقع ونفس الامر من المجهول وهو حلال بالإجماع . والله

لنرض عن هذا أيضا على علماء الاسلام في مصر وفي سائر الاقطار الاسلامية وقول انه لا يمكن رده ولا تقضه ومن زعم خلاف ذلك فعليه بالبيان . وعن صرح بالإجماع في المسألة الطبري وابن كثير كما تقدم في الجزء الماضي

واما محل الخلاف في مسألة التسمية من الكتابي وعدمها فهو اذا علم المسلم في ذبيحة معينة ان الكتابي لم يذكر اسم الله عليها أو ذكر اسم غيره وقد رأيت النقل من الجزء الماضي عن المفسرين في أن من قال بالحل من الصحابة (رض) أبا الدوداه وعبادة بن الصامت وابن عباس ومن التابعين الزهري وربيعة (شيخ الامام مالك) والشعبي ومكحول وعطاء ، وأن الشعبي وعطاء مثالا عن اليهودي يذكر اسم عزير والنصراني يذكر اسم المسيح فقالا : ان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون : ورأيت ان عليا وابن عمر وعائشة القائلين بالتحريم انما قالوا : اذا سمعت الكتابي يذكر اسم غير الله فلا تأكل : وهذه العبارة على كونها تشترط السماع ليست نصا في التحريم اذ يحتمل أن يكون التهمى للتنزيه . واذا سلمنا أنه للتحريم فلنا ان قول ان المسلم في التزاسقال يسهل عليه أن يأكل من اللحم الذي يجده في السوق لا تفاء الشرط وله ان يتورع في الذبيحة التي يسمع النصراني يذكر اسم الله فلا يأكل منها ليوافق الاجماع في الحلالين ولانفس ان السائل لم يقل أنهم يذكرون اسم غير الله ، فعلما من هذا ان القنوى في واقعها ليست مؤيدة برأي القاضي أبي بكر بن العربي بل هي مؤيدة بالإجماع . ومن الجهل العام ان يستطيع رجل جاهل بالشرع ، معروف بسوء القصد ، تشكيك بعض الناس في حلها

فان قيل : لماذا استدلت المفتي بقول القاضي أبي بكر بن العربي من أئمة المالكية ولم يستدل بالإجماع اذا كانت المسألة اجماعية كما قلت ؟ والجواب ان المفتي لم يكن في جوابه في مقام المناظرة والاحتجاج وانما سئل عن حكم الله فاستدل بكتاب الله لا بقول ابن العربي وبعد الاستدلال بالنص قال وأرى ان يقولوا على ما قاله فلان في تفسير الآية والفرض من ذلك الارشاد الى الاخذ بالاحتياط في شبه مسألة اختلف فيها الصحابة (رض) وهي ذبيحة نصارى بني تغلب قال علي كرم الله وجهه لا تحمل لانهم لم يأخذوا من النصرانية الا شرب الخمر وقال غيره منهم محل لانهم اتهموا الى النصرانية ولا يجب علينا البحث عن

أعمالهم فأراد المفتي أن يأخذ أهل الترنسفال بالاحتياط فلا يأكلوا الا من الذبيحة التي يأكل منها القسيسون مع العامة ، والى ان الدين يسر يبيح أكثر مما في واقعة السؤال ، ولم يكن قول ابن العربي هو الممدد له في الاستدلال . وما ذكرناه في مقالة الجزء الماضي يتضمن كل ما لحسنه هنا ولكن الكلام هناك متشعب والتأنيج فيه موزوجة بالمقدمات والدلائل والثقل فاختصرناه هنا ليقله كل قارىء . والمراد بالاجماع بشرطه إجماع أهل السنة المخيلين لذبايح أهل الكتاب دون الشيعة

﴿ تهافت المرجف في الفتوى ﴾

ما قام أحد بدعوة الا ووجد من لبي دعوته حتى الذين ادعوا الا لوهية من دون الله وشبهه الشكل منجذب اليه . وقد بدأ بالارجاف في الفتوى رجل من محرمي الجرائد الساقطة عصف بالطن في المفتي من عدة سنين حتى زعم أنه ينكر الله أو توحيدَهُ وحوكم في ذلك وفي مثله وحكم عليه غير مرة وسجن . ولما دفع أو اندفع صاحب الجريدة المحدث الى الارجاف استخدمه فصار يكتب له باسمه وينقل بعض ما يكتبه له في جريدته التي صرح فيها بأنه المحرر لما فصارا اثنين في (الظاهر) ولكنهما واحد في الحقيقة . ثم علمنا الآن أن صاحب (الحمار) الذي حوكم قبل الآن في طبعه بالمفتي وسجن وحدث السياسة المشهور بالطن في المفتي أيضا قد انضم اليه أو اليها فحدث السياسة رابعهم ، فهو لاء حماة الاسلام اليوم الذين يتبعون بنصره والمدافعة عنه بخرم ذبايح أهل الترنسفال وهي حلال بإجماع أهل السنة والجماعة كما تقدم بل الحقيقة ان المعترض هو الاول وحده والآخر ان يصدقانه فقط

اما مَنَعُ الأَرجاف فقد كان في أول الامر تسمية ذبايحهم موقوفة وقد أكثر اللغو في ذلك . ولما تنرت الجرائد المنتشرة المقالات المبدئية ان حقيقة الموقوفة هي ما ضربت بشير محمد حتى ماتت قبل أن تذبح وفيها حياة خرق له منفذا ثانيا وهو أن أحياء اليهود وقسوس النصارى لا يستدون بذبيحة أهل الترنسفال . وقد أخذ بحججه هذا المتنفذ فخلط فيه أشد مما خلط في الاول اذ كان ينقل من المبارة فيهما بعضها على حد « لا تقربوا الصلاة » بقصر غايها من يريد تحريم الصلاة . واذ أصبح أن قسوس النصارى لا يستدون بتلك الذبيحة ولا يميزون أكلها فالفتوى صريحة في تحريمها اذ فيها اشتراط

ان يأكل منها قسيسهم وطامتهم ويتفقون على أنها حلال في دينهم . فانظر كيف يناقض
 للمرجف نفسه فيؤيد الفتوى من حيث لا يفهم ، ثم يفتداه من حيث لا يعلم .
 ثم خرق له متفقنا ثالثا وهو الطعن بابن العربي لان المفتي ذكره في فتواه وأيد
 رأيه في الاخذ بالآية الشريفة مع اعتبار ذلك الشرط للذكر آخفا . أما طريق هذا
 الطعن فهو ان بعض الفقهاء بحث في فتوى لابن العربي بحل ما يحتقه السكتاني وقد
 تهافت قول المرجف ووافق في هذا أيضا وتقل عن المالكية ما يصرح بأن فتوى القاضي ابن
 العربي صحيحة على خلاف فيها وان وجه التقدير لها من جهة العبارة فقط وهو انه أطلق
 القول ولم يقيد به بأن يكون قتل عتق الدجاجة المسؤول عنه بقصد التذكية أي الامانة لاجل
 الاكل فقد جاء في قوله عن المالكية بعد نقل ما قاله ابن العربي مانصه :

(ظاهر كلام ابن العربي المتعارض ولكن جمع بينهما ابن عرفة قوله : وقول
 (ابن عبدالسلام : أجاز ابن العربي أكل ما قتله السكتاني ولو رأيناه يقتل الشاة)
 (لانه من طماهم : يرد بأن ظاهره نوى بذلك الذكاة أولا وليس كذلك - فقل)
 (جميع ما تقدم عنه مختصرا وقال مانصه : قلت لحاصله أن ما يروونه مذكي عندهم)
 (يحل لنا أكله وان لم تكن ذكاه عندنا ذكاة : اه) اه من جريدتي المرجف

وما قاله ابن عرفة وهو من أكبر فقهاءهم موافق لما فقهه في الجزاء المأخوذ من
 أن مجموع الاحاديث يدل على أن الذكاة هي ما كان ازهاق الروح فيه بقصد لا كل لا مطلق
 التعذيب والاعدام . وظاهر ما أن مسألة فتوى ابن العربي لم يكن نقصها الا انصر على أن قتل
 حتى الدجاجة بعد ذكاة اذا أرادوا به ذلك وكأنه لم يذكره لالة القرينة عليه
 ثم ذكر قول آخر عن (المياني) في المسألة أو ما يفتوى ابن العربي أيضا وقولا آخر عن
 الزياتي وانه سلمه فحمل أن المسألة سلمة عندهم هذا المذهب

وانما أورد المرجف هذه القول وهي حجة عليه لانه وجد ان بعض المتأخرين قال ان
 في هذا الكلام نظرا من وجوه . وقد تصفحنا تلك الوجوه فقرأناها غير وجبة فانه في أولها
 يستشكل تصديق أخبار أهل الكتاب وروايتهم في ان هذا حلال عندهم ويستدل على ذلك
 بأن القرآن شهد عليهم بالتحريف والتبديل وثبت أنهم كذبو بحضرة النبي (ص) وانه
 عليه الصلاة والسلام قال : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بآي أوليائنا وأقول

اليكم ، وهذا الوجه حجة على ذلك المتأخر فإن الله تعالى قد أطلق القول بحل طعامهم وهو عالم بذلك منهم وأخبر به نبيه والمؤمنين . فدل ذلك على أنه لا يطلب من بل يحرم علينا أن نعتمد على ما في كتبهم المخرقة وعلى أقوالهم فيها وإنما محل لنا كل طعامهم من غير بحث عن حكمه عندهم وإنما طعامهم ما يأكلون إلا ما حرم لذاته كلحم الخنزير . وقصاري هذا أن فقهاء المالكية كابن العربي أخطأوا في اشتراط كون طعامهم مما يأكل منه رجال الدين عندهم . وهذا صحيح ولذلك قلنا في الجزء الماضي إن مقالة ابن العربي وعول عليه المفتي هو من باب الورع والظاهر ما عليه أكثر الصحابة من حل طعامهم مطلقا وإن لم يتسكوا بشي من كتبهم وأحكام دينهم كني تطلب من متصرة العرب

والوجه الثاني البحث في التفرقة بين لحم الخنزير وما يقتلونه بالقر كالضرب بالشاقور . وقول أن الفرق قد تقدم في الجزء الماضي قلا عن كتاب (صفوة الاعتبار) وباقي الوجه مناقشات في العبارات . على أن مقتضى هذه الابحاث أن لا يحل من طعام أهل الكتاب شي مالا ما حلنا أنهم جروا فيه على أحكام الشريعة الإسلامية وما هم بفاعلين فيكون قصارى قول الباحث أن الآية لا معنى لها ولم تعد حكما جديدا وهو ظاهر البطلان . وإذا اعتبرنا كلام هذا المتأخر فأكثر ما فيه أن تكون مسألة أكل ما يقتله أو يقره الكتابي مختلفا فيه عند المالكية . ويجب أن يكون من أعظم المرجحات ما كان أبعد عن المخرج الذي يخص القرآن وهو قول القائلين بالحل . ولا يخفى أن هذا الخلاف ليس في موضوع فتوى مفتي المسير المصرية لأن موضوع الفتوى في حيوان يذبح بعد ضرب وهو حلال باجماع أهل السنة والجماعة كما تقدم . وإنما يورد للمرجف ذلك في الرد على الفتوى لايام العامة الذين لا يفتنون

— الفقه في تحريم الميتة وما أهل به لغير الله —

قد علم مما بيناه في الجزء الماضي من أنواع التذكية الشرعية أن الضابط العام الذي يجسمها كلها هو أن يكون ازهاق روح الحيوان بقصد أكله ويشترط في ذلك شرط ديني واحد وهو أن لا يكون فسقا أهل لغير الله به من مسلم أو وثني مشترك بالله كالذي كانوا يذبحونه على الثصب وهي حجارة تصب ويذبح عليها للأصنام وقديس بعض الصحابة عن أكل ما أهل به الكتابي لغير الله وتقدم البحث فيه في مسألة التسجعة وأن الجمهور على خلافه وذكرنا في الجزء الماضي ما يؤيد رأي الجمهور من كون

آيات تحريم الاحلال لغير الله مكية الخ وتقدم أيضا ان ما أحله له لغير الله هو أشد المحرم محرما لأن علته دينية تتعلق بمجوهر التوحيد،

ومن عجائب جهل عامة المسلمين بالدين في هذا الزمن أن صار فيهم قوم يملكون لغير الله من الشيوخ الميتين للمقدين ولا تكاد تجد لذلك منكرا . بل يذكر عن العامة أن بعض علماء الوقت يأكل من البيسة (السائبة) السيد البدوي عند ما ذبح على اسمه في مولده وان ذكر اسمه عند الفج وكان هؤلاء المشايخ يكتبون في التأويل بأن الذبيحة تحل لأن مريق الدم منسوب الى الاسلام ويذكر اسم الله وان كانت سيئت أولا وسيئت آخر لا أجل التقرب الى السيد البدوي وقصد بها ارضاؤه والتماس الخير منه لذاته بدون ملاحظة شيء آخر كما عليه البعض أولا فواسطة عند الله يفعل الله لاجله ما يريد هو أو يريد التقرب اليه عند قبره أو في بلده ولكن من يتدبر القرآن ويتفقه في الدين يعلم أن تحريم ما أهل لغير الله به على المسلمين حكمته أن لا يقووا في مثل ذلك الذي كان عليه المشركون الذين كانوا يتذرون بما حكاه الله عنهم بقوله هو الذين اتخذا من دونه أولياء ما لم يدعهم الا ليقربوا الى الله زلفى ، واذا لم يصدق ان بعض التنسين لهم يأكلون مما يذبحه بعض الناس للسيد وغيره فتناسل ان هذا التكرار لا يكرهه على العامة ولو أنكره علماء الازهر والجامع الاحمدى لما استمر الناس عليه بل لو ان الخير الدايمة ساعدت المتارور ودعت قوله في إنكار مفاسد الموالات كلها وبعضها ولكن الاهواء السياسية والشخصية تمهيب على هذه الذات أنواط ولكنها جبت على الشجرة العلية التي يستظل بها الاستاذ الامام نريد ان نزرعها أو نقلعها ولكنها شجرة تأملها ثابت وفرعها في السماء ، فلا تقوى عليها هذه الاهواء .

بقي من بحث الفقه في التذكية وتحريم الميتة مسألة لم نذكرها في الجزء الماضي لان المقال فيه كان قد طال وهي : ما هو الفقه في تحريم مامات ختف اقمه وهو المتبادر من لفظ الميتة عند الاطلاق وما هو في مناه كلته ختفة والموقوفة والمتردية والطيحة وما كل السبع منها اذا لم تذكر أي يحجز عليها بقصد الاكل ؟ وما هو الفرق بين الصيد يأتي به السكب الملم يتناقضون حالا وبين ما كل السبع منه فوات ولم تدرك ذكاته وما ضرب الانسان بصا أو حجر فوات كذلك ولم يذكر بالقصد ؟ وما الحكمة في جعل القصد محلا للجهل من ذلك فيا يظهر لنا بعد اعتبار تعظيم شأن القصد في الامور كلها

ليكون الانسان معتمدا على كسبه وسعيه وهو الحكمة الاولى في ذلك - هو أن الميت حتف
أنفه يغلب أن يكون قد مات لمريض أو أكل نبات سام وبذلك يكون لحمه ضاراً كلحم
الخنزير فان هذا قد حرم لضرره (راجع الجزء الثامن) فهذه حكمة ثانية

وتم حكمة ثالثة غير اعتبار القصد وخوف الضرر وهي ان الطباع السليمة تستقدر الميت حتف
أنفه ولائمه من الطيبات والدين يربي الانسان على شرف النفس ولذلك أحل له الطيبات
وحرم عليه الخبائث. وأما ماهو في معنى الميتة حتف أنفها من المتحقة والموقوفة الخ
فيظهر في علة تحريمه كل ما ذكر الاحكمة توقع الضرر في الجسم فيظهر فيه بدلها
تفجير الناس عن تريض البهيمة الى الموت باحدى هذه الميتات القيحة في حال
من الاحوال وان يصرفوا ان الشرع يأمر بالمحافظة على حياة الحيوان وينهى عن
تعذيبه أو تريضه للتعذيب ويماقب من يهاون في ذلك بتحريم أكل الحيوان عليه
اذا تهاون في حفظ حياته فان الرعاة يعضبون أحيانا على بعض البهائم فيقتلونه بالضرب
ويحرقون بين البهائم فيفرون الكباشين بالتناطح حتى يهلكا أو يكادا، ومن كان يرمى أنعام غيره
بالاجرة يقع له مثل هذا كثر. ولو كان كل ما هلك تلك الميتات حلالا لمسا بدن يعتمد
الرعاة وأمثالهم من التحوت تريض البهائم لئلا يكلوها بغيره. ويدل على هذه الحكمة أحاديث
صحيفة منها قوله (ص) بعد النبي عن الخذف وهو الرمي بالحصى والبندق (الطين المشوي لذلك):
« انها لا تصيد صيداً ولا تنكأ عدواً ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » رواه أحمد والبخاري

ومسلم. هذا ما ظهر لنا ومن آتاه الله حكمة وراء ذلك فليستفضل علينا بيباتها

ذكرنا هذا البحث في فقه الشريعة وحكمها لان أحكام المعاملات والمادات هي
معقولة المعنى كلها مبنية على قاعدة دفع المضرات وجلب المنافع وأما قول بعض العلماء
ان أحكام الدين على قسمين قسم تمبدي تؤديه امتثالاً لامر الله تعالى وان لم نقل وجه
فائدته ومنفعته وقسم معقول المعنى نتمثل فيه الامر من حيث نطلب به المنفعة المقصودة
منه فلا شك ان التمبدي منها لا يظهر له وجه الا في أحكام المبادات التي تقرب بها الى الله
على حسب ما وضع وشرع. ومن عجيب أمر علماء الرسوم وأهل الرأي انهم حكموا بقياسهم
ورأيهم في مسائل المباداة المحضة حتى زادت على المتصوص أضمافا كثيرة وجدوا على بعض
أحكام المعاملات ولم يحشوا عن عللها وحكمها بل منعوا أو كادوا يتمنون القياس فيها قندير

﴿ تأييد علماء العصر والجرائد للفتوى ﴾

لما قام المرجف بلفظ في الجريدة الحديثة بالاتقاد على الفتوى فترطت من أهل العلم إلى الرد عليه في الجرائد فنشرنا مقالات كثيرة أيدوا بها الفتوى بالخصوص القاطعة ، والأدلة الساطعة . ومن هذه الجرائد الأهرام والمقطم والوطن اليومية وأما الأسبوعية الإسلامية التي كتبت فلم نحصها ولكن أشهرها جريدة (التمدن) التي يحرم مباحثها الدينية بعض الأزهريين والنيل ، الممتاز والرائد العثماني . وقد نشر كاتب أديب بالمقطم مقالة (عتاب صديق) للعلماء وبعض الجرائد اليومية الإسلامية لعدم الكتابة في الموضوع فأحسن كل ما كتب الا تعظيم شأن الخلاف وتكبير المسألة وهي صغيرة ولم يخالف فيها الا المرجف ومستأجره وأيده الحدث وصاحب الحماره . ولذلك أجبنا أحد العلماء المدرسين المؤلفين بجواب وحيث نشر في (عدد ٤٩٩) من المقطم وقد جاء فيه ما نصه : « ولعمر الحق إننا دأبناهم (أي العلماء) إلى السكوت عنها ووضح السؤال والجواب وعدم الحاجة إلى رد أقوال المعارض على إلقاء ليس عليه بنظر الشريعة غبار . أصل المسألة ذبيحة ضربت على رأسها بطلتة ثم ذبحت أم لا ؟ أفبعد قول السائل ثم ذبحت يتوهم أنها ميتة أو موقوفة ؟ كلا » الخ أما سكوت المؤيد فالظاهر أن سببه عدم العناية بالجريدة الحديثة وكرامة اشهارها مع اعتقاد أنها ضارة ولهذا لم يذكر اسمها الذين ردوا عليها أيضا . وإذا كان هناك سبب باطن أيضا فليس لنا أن نجث عنه وإنما كلامنا في الظاهر فقط وأما الراوي فقد كتب أخيرا ما يدل على الانتصار للفتوى

وبينا نحن نكتب في هذا المقام وردت علينا جريدة جديدة تسمى (الواعظ) فرأينا فيها مقالة وعظية لعالم مغربي عرج على القاهرة في طريقه إلى الحج فلما قرأ ما نشرت الجرائد في موضوع الفتوى كتب هذه المقالة وأرسلها لبعض الجرائد الصائتة الساكنة فلم تنشرها فرغنا إلى صاحب الواعظ أن ينشرها فنقل فكان فعله مما حقق أن اسم الجريدة وافق المسمى . وقد رأينا أن نقلها تنويعا بالواعظ وتنبيه للناس إلى مكانة المرجف من نفوس العلماء القراء بل على مكانة المصريين عند من يتوهم أنه يروج فيهم مثل هذا الأراجاف ومكانة الأستاذ الامام من نفوس عقلاء المسلمين في بلاد المغرب وهذا نصها

«أيها المسلم . هل أتاك خبر ما شاعت به الأنبا من قبل وقال في فتوى الشيخ الامام ، وهل علمت ما كتبه للتار مما نص عليه الفقهاء والعلماء والصحابة وصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ، وما حدث في أوائل القرن الماضي في الديار المصرية ؟ تأمل والمظر كيف التكتت الاحوال واتقلبت ظهراً لبطن ، وأصبح الدين آلة في أيدي رجال الم يحرمون اليوم ما حله آباؤهم من قبل ، معارضين فتوى السيد الامام ، وجهور الفقهاء والصحابة والتابعين وصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام . ويألت شمري أهذا دليل على وقوع الامة في شرك الجبهة وانها ستندلى الى أسفل سافلين أم ذلك تافس يحى ويرول ؟ »

«من المسلمين رجال يؤيدون الدين ويقومون بالاصلاح ويحافظون عليه كالسيد الامام المفتي برأي الجمهور وما اعتمده العلماء ، فهل يرد عليه بما رآه الآخرون وهل يعترض بمنهج على منهج ؟ »

على ان هذه الشريعة السمحة البيضاء نشبت فيها الاقوال ، ليأخذ العلماء من كل زمان بما يناسب الامة من احوال ، ولا تكون ضيقاً على عباد الله اذ هي الشريعة التي ينتظر المسلمون وعقلاء انصارى أن تم الارض كلها كما قال تعالى « والله متم نوره » ، وكما قال « ليظهره على الدين كله » ، فهل يليق ان لسمها بالخرج والضيق ؟ وقد اعتاد العلماء أن يقولوا قولاً ضعيفاً ليأخذوا به عند الحاجة اليه . وليست فتوى السيد الامام من هذا القيل وانما الكلام في ان الشريعة أوسع مما يضيقون

وما لنا ولهذا وذاك ! كنا نقرأ في كتب الفقه ان المفتي والقاضي لا يوليان الا اذا ساروا درجة الاجتهاد كالانظمة والاكابر تقليدهما باطلاً فهل يسمح الدهر بهم واذا سئل العلماء عن المجتهدين يقولون انقطع الاجتهاد من القرن السادس وكل قاض ومفت بعد هذا الانقطاع فهو قاض للضرورة وكأنهم بهذا حكموا على الامة أن تتدلى وتقرض وقد حكموا بتطبيقهم هذا على الشريعة الفراء أن تنقلص على الاحكام وحل محلها القانون السياسي

من لنا بقوم يشعرون بما نقول وأنارجل مغربي طالما تنبئت ان يكون في المسلمين رجال عظام حتى اذا ما رأيت هذا السيد في بلادتي قرت به عيني . وما انا قند

وفسد الآن على مبعث اتوار عرفاته فوجدت لفظا دني على ان القوم هنا لا يالون
بشريتهم ولا رجالها

وبالت شعري هل دري اخوانا العلماء انهم يخبرهمم ذبيحة اهل الكتاب
يفتاتون على القرآن ؟

القرآن أحل ما جرحه كلاب الصيد وقتله . وعلم الله تعالى ان الانسان أفضل
من الحيوان فاستدرك ذلك وأحل ذبيحة أهل الكتاب . والا كانوا في نظر الشرع
أقل من الكلاب، وجل الله ان ينزل الانسان الدين في شريعة متممة للشرائع على
أخص حيوان وأقبحه في نظرها مع ان هنا الدين جاء ليم الارض كلها . وهو الذي
أحل مناكحة الكتاني ومعاشرته ومجامعته ومعاذته وأوجب الهدية في قتله ولم يجز
قط الأكل في أثناء ولغ فيه الكلب حتى يقبل سبع مرات احداهن بقراب

أيجوز لنا ان نأخذ الذبيحة من بين أنياب الكلب ولا نأخذها من بين يدي
الانسان ؟ .. حاشا لله حاشا

اظن اننا الآن أصبحنا اضحوكة في عيون الافرنج ومضغ في افواههم اذ يسموننا
بالوحشية المطلقة وديننا بدین الوحوش . ذكر الله الصيد في اول سورة المائدة
فلم يشأ ان يسكت عن أهل الكتاب علماً منه انهم أولى بالحل . وهل يتصور التصراعي
الترسافي في نظريتنا عن حيوان الصيد أو انه من التصبب الاعمي وعمم التفتن والنظر .
وهل عرف أولئك العلماء حكمة النج المتماد وشيوعه بين المسلمين . قطع الحلقوم
والمريء مع قيام غيره مقامه في الصيد والذابة الشاردة والسماك والجراد والجنيين
في بطن أمه وغير ذلك . . . فليعلموا ان كل قتل بحسب الاصل موصل للمقصود
ولكن الله لحكمته ورحمته بنا وبالحيوان جعل بيننا قسمة عادلة ومنه عامة فخرم
علينا ما قتلته الحيوان ومأمت في الحلاله بغير قصد منا ليقى ذلك كله للحيوان يأكله
لانها أهم امثالنا . وكأنه تعالى لم يرش ان تأكل ما لم تقصده ولم تفكر فيه . فاما
المذكي والصيد والسماك والجراد ونحوها فاتها كلها غالباً لا تؤخذ الا بالتصبب والتب
هنا . ولما علم الله ان الناس منهم الجاهل والعالم والقوي والضعيف وضع قانونا
عاماً يشترك فيه عامتهم وخاصتهم في الذبح وهو ذبح العنق ولو أباح أي ذبح لتفتن الناس

في تعذيب الحيوان . فله الحكمة البالغة . هذا هو قصد من شيوخ قطع الحلقوم والمرى مع قيام غيرها مقامها في أحوال أخرى كالسمك والجراد والصيد وذبحه الكتابي يأثمها المسامحون هل أنتم منتهون عن هذا أنه ليحزن العقلاء أن تشكلم في صفات الأمور وقد تركنا كبارها . وهل يجوز أكبار ليس البريطة مثلاً واستصغار علم اللغات وأنها القتالة للمواطف القومية المحنة لاصول المعتقدات الدينية من مناصرها في النفوس تركنا كبار الأمور واستمسكنا بصغارها وأنه لعار عظيم . هلاقتنا وقدنا هذا القيام وهذا القعود لفروض الكفايات كالصناعات والسياسات التي ينطق بها القرآن لقد دخلت بلادكم الإفرنج مداخلة أشربت بها القلوب والأجسام ، وأصبحت المنازل والأبواب والثياب وكل شيء جديد فيها من آثارهم وولائد صناعاتهم . فكيف تحملون هذا كله وتحرمون البريطة على الترسعالي الذي لا قوة له ولا استقلال يلبسه للضرورة . لعل العلم وقف على الظواهر ولم يمسألبواطن بل بالشعردون اليب . ان الشيخ الامام حين قرأ الدرس في بلادنا المغربية في هذا العام فهمنا أن مصر كعبة العلم ومنبع الفضل ، مؤيداً لما كنا نسلم من قبل ، ولكن لما زرتها نزلت بقيتي في ذلك ، وما هو عندي بتمهم في قوله فلملي عند رجوعي من الديار الحجازية استنشق روح الوفاق على تأييد الحق وما هو بعيد »

(المنار) يظهر أن الكاتب صدق المرجف في زعمه ان العلماء خطأوا الفتوى وان سبق له القول بأن شيخ الأزهر وعلماء لا يخالفون المفتي ١١ . وفي هذه المقالة بيان حكمة رابعة لتحريم الميتة وما في مناسها وهو جعلها من حظ الحيوانات التي تأكل اللحم رحمة بها

﴿ تأييد واقعة الفتوى بذهب الخفية خاصة ﴾

أشرنا في الجزء الماضي الى أن الفتوى مؤيدة بالكتاب والسنة وعمل السلف والى ان خلاف الخفية في مسألة التسمية ليس في شيء من واقعة الفتوى التي أتت فيها مفتي الديار المصرية لأن الحكم في واقعتها يجمع عليه وقد رأينا ان نقل بعض ما قاله الخفية اتهاماً للموضوع حتى يعلم ان المفتي موافق لمذهب الحكومة المصرية وإن لم يكن ذلك واجباً عليه لاسيما في المسائل الدينية الشخصية خصوصاً اذا لم يكن السائل عنها من رعية هذه الحكومة . وقد كنا راجعنا مفتي الفتاوى الحامدية ثم جاء تارسالة

من بعض شيوخ الحنفية المتخرجين في الأزهر يذكر فيها نص الفتوى بدمقدمة في انكار ارجاف المرجف ثم ذكر ما يؤيدها من كتب التفسير وأقوال السلف وختم الكلام بما له :

بقي علينا ان نوضح مواضع الفتوى لفروع الفقه الحنفي فنقول : في كتاب (المقود الدرية، في تنقيح الحامدية) للمرحوم المحقق العلامة السيد محمد ابن عابدين رحمه الله (مثل في ذبيحة العربي الكتابي هل تحل مطلقا أولا) (الجواب) تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالسلم أو دعوى كالكتابي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل من أكله نصار كالمسلم في ذلك ولا فرق في الكتابي بين ان يكون ذميا يهوديا أو نصرانيا حريا أو عريا أو تغليا لاطلاق قوله تعالى « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » : والمراد بطعامهم مذكاهم قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال ابن عباس رضي الله عنهما طعامهم ذبائحهم : إلى أن قال : وهذا اذا لم يسمع من الكتابي أنه يسي غير الله تعالى كالسبح والبر والبر وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى : « وما أهل لغير الله به » وهو كالمسلم في ذلك : قال بسد كلام : لكن في مبسوط شمس الأئمة وتحل ذبيحة النصراني مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل والاطلاق الآية الجواز كما ذكره الترمذ في فتواه : ففاد ما ذكره صاحب المبسوط حل ذبيحته مطلقا سواء سمى عليها أو سكت عن التسمية أو قال ثالث ثلاثة لانه قوله أولا داخل تحته ما اذا سمى الله وما اذا لم يسم أصلا بدليل قوله بذلك : ومقتضى الدلائل والاطلاق الآية الجواز : فمن هنا علم ان هذا القول موافق للفتوى من غير نزاع في ذلك وهو قول صحيح في المذهب يدل على ما ذكره ما قاله صاحب كتاب فتاوى الهندية حيث قال : ثم انما تؤكل ذبيحة الكتابي اذا لم يشهد ذبحه ولم يسمع منه شيء أو شهد وسمع منه تسمية الله وحده لانه اذا لم يسمع منه شيء يحمل على انه قد سمى الله تعالى بحسبنا الظن به كما بالمسلم : ثم قال بعد ذلك : المتردية والمتخفة والموقوفة والشاة المرضية والتطيحة ومشقوقة البطن اذا ذبحت ينظر ان كان فيها حياة مستقرة حلت بالذبح بالاجماع وان لم تكن الحياة فيها مستقرة يحل بالذبح سواء عاش أولا يبش عند أبي حنيفة رضي الله عنه وهو الصحيح وعليه الفتوى كما

في محيط السرخسي : اه فن هذا كله يتبين للقراء ان ما أفنى به فضيلة مولانا الاستاذ مفتي الديار المصرية موافق لاصول مذهب أبي حنيفة رحمه الله ولا خلاف في ذلك فالوقود الذي لم تحت اذا ذكيت حل أكلها سواء كان للزكي لها مسلما أو يهوديا أو نصرانيا لانها قبل موتها تسمى موقودة كما أفاد ذلك العلامة الطبري فيما ذكرناه وفي القدر كفاية لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، اه (التوقيع محفوظ)

﴿ فائدة في حقيقة تفسير ابن عباس ﴾

يوجد بين أيدي الناس كتاب في التفسير مطبوع يسمى تفسير ابن عباس ويتوهم الجاهلون ان ابن عباس هو الذي ألفه والحق أن الصحابة لم يكتبوا في التفسير شيئا وانما رويت عنهم فيه روايات كما رويت الاحاديث المرفوعة وكاتب هذا التفسير يزعم انما اعتمد فيه على ما روي عن ابن عباس ولكن الروايات عنه كثيرة متناقضة بعضها صحيح وبعضها مكذوب بالضرورة اذ لا يمكن ان يفسر الآية الواحدة أو يقول في الحكم الواحد بقولين متناقضين وأقوال المحدثين تؤيد هذا الحكم بأن بعضها صحيح وبعضها غير صحيح . وقد قلنا في الجزء الماضي ان ابن عباس من الصحابة الذين قالوا ان ذبيحة الكتابي تهل وان ذكر عليها اسم غير الله وان عطاء من الذين قالوا يثل ذلك وعطاء هذا من رواة التفسير عن ابن عباس . وزعم المرجف ان ابن عباس يقول بدم الحلق . ويشترط ان تكون ذبيحتهم على شريعتا فان كان لقوله قل من الكتاب التناول أو غيره فهو من رواية الكلبي اذ قل عنه اقول بذلك وقد قال المحدثون ان روايته كاذبة . ولا أحبك أيها القارئ على كتب أسماء رجال الحديث التي يصعب عليك العثور عليها واستخراج التراجم منها ولكنني أدلك على كتاب مشهور تراجع فيه ما قلته لك عنه محروفة اذا شئتكم المرجف في القل فارجع الى الصفحتين ٥٥٥ و ٥٥٦ من الجزء الرابع من شرح احياء العلوم تجد ما لسه :

« وقد روى عنه (أي عن ابن عباس) التفسير جماعة من طرق مختلفة أجمودها طريق علي بن أبي طلحة وله محيطة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عنه . وهي عند البخاري عن أبي صالح وقد اعتمد عليها في صحيحه كثير افيها علقه عن ابن عباس وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثير اباو سالم :

بينهم وبين أبي صالح

« ومن حيد الطريق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن موهي بصيحة على شرط الشيخين وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في المستدرک » ومن ذلك طريق ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو هو وسعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهي حيدة وأساندها حسن وقد أخرج ابن جزير وابن أبي حاتم منها كثيراً وفي معجم الطبراني منها أشياء « وأوهي طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان الصيرفي سلسلة الكذب وكثيراً ما يخرج منها الشعبي والواحدى » انه المراد منه

فلم من هذا ان رواية عطاء الذي لا يشترط في ذيل الكتاب ذكر اسم الله هي من أصح الطرق عن ابن عباس وان رواية الكلبي الذي كان يشترط ذلك واهية أو مكذوبة بل هو حلقة من سلسلة الكذب . واخراج الشعبي وغيره منها لا يفيد وثوقها فاتهم لم يتمدوها وقد علمت ان الشعبي وعطاء قالا بعدم اشتراط التسمية

❦ الاستدلال على سوء قصد المرجف ❦

اتفرد باللفظ في المسألة صاحب الجريدة المحدثه وهي من الجرائد التي تلب في مصر بالساقطة ولقبناها في الجزء الماضي بالسياسة ايماء لما يتحدث به الناس من ان اللفظ يقصد به عمل سياسي في الازهر واستدلوا على هذا بسكوت حدث السياسة عن مشاركتهم بهذا اللفظ مع انه كان يتحمل الشبه البعيدة للتعريض والتشهير بالمفقي لأن الحدث مهم بتلك السياسة وممروف بالفرض . ثم شاع ان الجريدة المحدثه لأسادت اللفظ وخرجت عن الموضوع الى السباب والمهارة والتناقض قيل انها لم تصادف من الجانب الذي كان يظن أنها ستقرب اليه الا البعد والسخط ولذلك تكلم الحدث بعد طول الأزم ، فأبدى باطل وجذد الحق ، وصور المسألة عن السائل بأن أهل الترسلال يضربون الامام بالباطل فأقتناه للفق بأنها حلال ، وقد علم القراء من نص السؤال في الجزء الماضي ان السائل قال انهم يذبحون البقر بعد الضرب بالباطل . ويذبحون النعم من غير ضرب . فانظر الى تجري هذا الحدث البعد عن الهدى . لا يهام الناس خلاف الحق ، ثم أنه يسأل كصاحب

الجريدة المحدثه ان يتنازل المفتي لقراءة لغوهم ولجاوبتهم عليه ونحن نعلم علم اليقين أنه لم يقرأه ولن يقرأه عملاً بقوله تعالى في صفات المؤمنين «والذين هم عن الغلو معرضون» وأنه اذا سمعه يأخذ به قوله تعالى فيهم «واذا سمعوا القوا أعرضوا عنه وقالوا لنأعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير»

ولو كان الحدث وصاحب الجريدة المحدثه يطلبان الحق في المسألة لما بادرا أحدهما الى بذل ٣٠ جنبها من أصل (١٢٠) ... في ورقة الفتوى ليشتع عليها اتوهم ان وراءها مؤاخذة قسمة بل لكان بادر عند العلم بها الى الامام المفتي وسأله اجناح الاستدلال بالآية الكريمة التي استدلل بها ودفع الشبهة عن الاستدلال ان كانت هناك شبهة . ولولا سوء القصد لما حرق السؤال بعد ما نشره المرجف . فانه نشره اولاً ليصه ثم نشره ثانياً في تقريره على نحو ما أوردنا الحدث فانه زاد عليه قوله «حتى يتعرف على الموت» ولم يقل السائل ذلك ولو قاله لما كان مانعاً من حل الدج عند الجمهور ولولا سوء القصد لما غير المرجف في تقريره سؤال المستفتي عن لبس القلنسوة بعد نشره في جريدته بحيث فرغ أخيراً أنه قال أنهم يلبسونها تشبهاً بالقوم من غير سبب وهذا كذب صريح . والفتوى صريحة في اشتراط عدم قصد التشبه

ولو كان المرجف يطلب معرفة الحق في المسألة لمشارك النصوص التي أوردناها في المسألة ولمشارك استفهام شيخ الازهر وعلماء في مصر أولاً كما كتب في بعض الجرائد وزعم انه يستفتي شيخ الاسلام في الاستئذان وحاخام اليهود وبطريق التصاري ثم اقتصر على استفتاء حاخام اليهود القرايين في ذبيحة التصاري ثم اكتفى بمقالة في جريدة يهودية تفصل ما أحل لليهود من حيوان البر والبحر وما حرم عليهم وتذكر شروط الذبح عندهم ومنها ان يكون الذابح بدرجة من العدالة قلما توجد في الناس اليوم وان يكون مستقبلاً بيت المقدس . وزعم المرجف ان الله لا يحل لنا ذبيحة التصاري الا اذا كان مستوفياً لتلك الشروط فهو يلزم التصاري بأن يتبع شريعة التوراة وان كان القرآن مصرحاً عن لسان عيسى عليه السلام بقوله «ولا حل لكم بعض الذي حرّم عليكم» فكانه يلزمهم بعضيان عيسى فيما نسخه من أحكام التوراة ليكونوا نصارى تؤكل ذبايحهم . على ان الله تعالى أخبر عن اليهود التصاري بأنهم لم يقيموا التوراة والانجيل وانهم يحرفون الكلم عن مواضعه ليوافق أهواءهم ثم انه في السورة التي

يذكر فيها هذه الأحكام عنهم محل لنا طعامهم فهو تعالى أعلم بمقائدهم وبأعمالهم
وبأقوالهم وقد أحل لنا ذبايحهم ولم يكلفنا بأن نقرأ قبل أكلها كتبهم ونطيق أحكامها
على الذابح بل ورد في الحديث «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» أي فيها يغربوننا عن شربهم
ولكن صاحب الجريدة الحديثة يصدقهم ويحتج بكتبهم ويقيدهم بكلام جريدة من جرائدهم
بإطلاق القرآن حل طعامهم وذلك لأن مفتي الديار المصرية قال بوجوب الاغذية هذا إطلاقاً
ثم يرجع فيقول لا يصح لأقوالهم ! ولكن المفتي يقدم لصوص القرآن على كل شيء كسائر
أئمة المسلمين فهل نترك القرآن لأن المفتي مستمسك بالقرآن والمرجف لا يرضيه ذلك !!!
❦ إعانة المرجف العلماء وترريضه بالأمير ❦

لما قال المرجف أنه يريد استفتاء شيخ الإسلام في الاستانة كتب بعض المتقدين في الجرائد
يتوجب من إمامه استفتاء شيخ الإسلام وعلماءه في مصر وهم أعلم بالشريعة من علماء الترك
وجله شيخ الإسلام مقدساً قالوا بأجاب عن ذلك بما نصه (ع ٤٦) :
« أجل لا تنكر أنا نؤيد رفع الفتوى إلى مقام مشيخة الإسلام في دار الخلافة ووصفناها
بما استوجب حياطتها الدينية من القداسة ولكننا لم نخط من كرامة مشيخة الأزهر الجليلة إلا
أننا نعلم أن المفتي وشيخ الأزهر توأمان متلازمان فلا نقول أحدهما بما يبين قون الآخر !!
ولا نجعل الفؤاد الذي للمفتي على الأزهر ومن فيه من المستضعفين الذين يخشون الشيخ
ويتقون بطائفة بهم وقد رسخ هذا الوهم في نفوسهم وتولدت منه مخاوف هوت بأفكارهم
وسقطت بمدارك بعضهم حتى صيرت قيمتهم في نظر أنفسهم وعلى ذلك شواهد محسوسة
لا تحتاج إلى إيضاح » اهـ بحروقه

فلينظر المسلمون إلى هذا المرجف كيف يطمئن بفضيلة شيخ الأزهر وسائر علمائه
ويزعم أن المفتي قد استخفهم فأطاعوه حتى في خلاف ما يتقونه ديناً كأنه فرعون مصر
المستبد فيهما ثم هو بعد ذلك لا يستحي أن يقول في ورقته أن علماء الأزهر قد جاءوا إليه وترأوا
من الفتوى ومؤيديها وفي تقريره أن علماء الأزهر كتبوا إليه بأن عدم استناد مفتي الديار
المصرية في قوائمه لآل نرسالي إلى لصوص مذهب أبي حنيفة يقتضي أنه مجتهد وبذلك صار
مزولاً من وظيفة الأئمة !! (اهـ من ص ١٤)

فلينظر أصحاب البصر والبصيرة إلى تمارض أقواله في العلماء - تارة يحصل رئيسهم

ورؤسهم تابعا للمفتي وان أخطأ ! وتارة يجملهم متجهين على القول بجزله من وتطبيقه ! فهل يصدق عاقل نقل هذا المرجف على تناقضه وبعده ما يرى من تحريفه السؤال والجواب وتناقضه في خلط ما يزعم أنه نقل عن الكتب العلماء ومزجه بأقواله .

وقد ذكر في بعض ما كتب في المقام خيرة الامير على الدين وان عزل المفتي وأمثاله يده، وان العلماء رفعوا الاسر الى سموه وللقاوى أن يستبسط من هذا ان النادل كاذب في دعواه أو ان الامير أعزه الله قد علم ان الذين صكبتوا اليه ليسوا من العلماء الذين يستمد على قولهم في الدين ولو لا ذلك لسألتني المفتي في منصبه . ونقول : اذا صبح ان بعض العلماء كتب للامير بأن الفتوى غير صحيحة وأن كل الذبايح المستول عنها حرام في مذهب الحنفية الذي يتقلده وأنه صدقهم ولم يصدق التصووس التي أوردناها في اثبات حلها بالاجماع أو رأي الجمهور ومنهم أبو حنيفة فلا شك ان سموه يترك لكل اللحوم في أوروبا ولوعلى موائد الملوك والامراء ان جميع ذبايح أوروبا على الطريقة التي صدرت الفتوى بآيات حلها بل هي أبعد منها عن النصراتية لأن نصارى الترسلات تتسكون يدينهم متعصبون له كاجا في الفتيا واما أهل أوروبا فقد تساهل أكثرهم بها بل مرق الكثيرون منها وانهم ليختنقون الطيور حنقا ولا يذكرون اسم الله على شيء من ذبايحهم على ما يقال ، والامير أعزه الله أعلم بحقيقة الحال .

ولمثنائين في الجزء الآتي شروط المفتي وما يجب ان يستمد عليه في الفتوى مؤيدة بعبوس العلماء . وربما ألدنا أيضا بنشر وطبعة الولايات التي تلك صاحبها نصب القضاة والمفتين وأهملها الاستقلال بذلك والقدرة عليه وعلى تفيد الاحكام الشرعية . . . وليس المرض من هذا الذي كتبناه كله وما سنكتبه الرد على المرجف فانه في تناقضه بحيث لا يعاب به . ولكن الفرص سحبت لبيان احكام الدين في هذه المسائل وازالة الشبهات عنها فلم تغفلها

﴿ كتاب من الترسلات ، في البحث عن حقيقة الفتيا والسؤال ﴾

بعد كتابة ما تقدم جاءنا كتاب من امام المسلمين في الترسلات وهو من مشركي المثار يذكر فيه صورة الاستفتاء والجواب على نحو ما نشر الان في الكتباة غلطاً كثرة من الاملاء ويقول المرسل انه عرض الفتوى على العلماء وان الشافية قالوا قد حصل فيها غلط بقوله « اذهاق روح الحيوان بأي طريقة كانت » وقال انه توقف عن إرسالها حتى يصححها من جميع العلماء هناك وعلى أي حال كانت ان شاء الله تعالى ، وقال في رأس

الكتاب « ولانلم حل هي جوابات الاستاذ الامام حفظه الله أو غيره » اه بحروفه
 (ج ١ ر) قد علم السائل من الجزء الماضي ان هذه الاشئلة عرضت على الاستاذ
 الامام وأنها غير مفهومة كما قال ولتلك جاءت الاجوبة عن مفهومها لاعن لصها كما
 أشرنا الى ذلك في الجزء الماضي وقد عهد في السنة ان للتي صلى الله تعالى عليه وسلم
 كان يجيب السائلين بمثل ذلك . واما توقف الشافعية فيما ذكرتم فهو لايتلزم ان
 ان يتوقفوا في حل الذبغ عندهم لان ذبيحة الكتاني التي لانلم كيفية نذيتها حلال
 باجماع أهل السنة . وما علمت كيفيته فيه تفصيل والجمهور من الصحابة والسلف
 على ان ذبغ أهل الكتاب حلال على الاطلاق ولغير الجمهور خلاف في بعض الصور
 فالشافعية يجرمون ماذبح وليس فيه حياة مستقرة اذا تقدم ذبحه سبب بحال عليه الهلاك
 فاذا علموا في ذبيحة ميتة أنها كذلك فلم ان يجتنبوا الاكل منها وان أباحها جمهور
 السلف الصالح الذين لم يشترطوا الحياة المستقرة وانما اشترطوا ان يكون فيها وقت
 الذبح رمق واكتفوا من الهليل على ذلك بحركة أي عضو من الاعضاء وذلك مايسير
 عنه الشافعية بحركة المذبح وقد رأيت النقل عن المفسرين في ذلك . واما لبس البرنيطة
 فلا دليل في الكتاب ولا في السنة على منعه . وحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » عند
 أبي داود والطبراني وابن رسلان اذا سلنا أنه حسن كما قيل فتنا ان قول ان منناه
 ان من يتشبه بقوم يعامل معاملتهم في العادة فينبى للالسان ان يتشبه بالكراه دون
 اللثام لكي يكرم ولا يهان ، وقد قال الفقهاء ان التشبه لايتحقق الا بالقصد وأنه مكروه
 في الامور العادية كاللبس تتركها واما في الامور الدينية فان قصد به الكفر يكفر
 والا كان حراما . وهذا البحث مفصل في كتاب (الاعلام بقواطع الاسلام) لابن
 حجر المكي الشافعي فرأجوه . ولتلك قال الاستاذ الامام في جواب سائلهم : « أما لبس
 البرنيطة اذ لم يقصد قائله الخروج من الاسلام والدخول في دين غيره فلا يند مكفرا .
 واذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس أو دفع مضرة أو دفع مكروه أو تيسير
 مصلحة لم يكره كذلك لزوال معنى التشبه بالمرء » اه

على ان لبس البرنيطة ليس خاصا بأهل دين من الاديان فالسالمون قدلبسوا
 نوعاً منها قبل ان يعرفوا الافرنج سموه البرطلة في بلاد التبطن ومن جاوهم من العرب

وكذلك أهل الافغان ألبسوا بعض السكر نوعا منها قبل ان يعرفوا الافرنج . وفسدوا
القرس يلبسون ضربا منها أيضا ومثلهم أهل تركستان وخيوه وبخارى والتركمان والافغان
والتركس وأهل داغستان . وكذلك فرسان الترك . وقال انه لا يزال طائفة من مسلمي
الغرب الأقصى يلبسون ضربا منها يسمونه المظلة . وقد علمتم ان سلطان المسلمين الأكبر
وأكثر أمراءهم قد أخذوا زيهيم عن التصاري بل جمعت الدولة العلمية زي العلماء الرسمي
شبه يزي القسيسين الديني لا المادي فشيخ الاسلام في الاستانة مخصوص بالحلة البيضاء
كبطريق الروم وسائر لبوس التشریف للعلماء عند هارمب على ترتيب لبوس القروس في
الكنائس أيام الأعياد . وربما يعود الى توضيح هذه المسائل ونقول لكم الآن ان الفتوى
التي وصلت اليكم بحجة ولا يلتفت الى قول من يخالفها فانه جاهل بالدين والله أعلم

﴿ أصيحة ﴾

من الناس من يفش ويخدع ، بكل ما يري ويسمع . فيكون العوبة
للمخدعين ، وكرة في أيدي المحتلين . يظنون له ما ليس بعظيم ، ويخوفونه بما لا
يخيف ، يدعي كاذبهم أن الامر الفلاني قد اهتزله العالم الاسلامي واضطرب ، ويحي
من هوله وانحسب ، وتزلت من به من سباه التوازل ، وتارت في أرضه البراكسين
والزلازل ، فيصدق المخدوع هذا القال والقال ، وان قام على قتيضه لاعابه الدليل ،
ولا يرى انفراد المدعي بالخبر مدعاة اربتياب ، ولا غرايته في نفسه موضع استعراب ،
ويدعي جاهلهم أنه آيد الدين والملة ، وطاجزهم أنه نهض بالوطن والأمة ، فيصدق
المخدوع الزعم . ويتقاد بشجرة الى الوهم ، ولا يلتفت الى جهل الزاعم أو ضعفه ،
ولا يفكر في كنه العمل المزعوم ولا وصفه ، بل يظل غمدو طباخيال ، ومخلو بالملقال ،
من غير نظر في حقيقة الحال ، ذلك شأن أكثر ما يسهل في العوام ، ومن العجب ان
يشاركهم فيه أحيانا من يعدون من الخواص ، ولهذا كانت الخلافة من موارد الكسب ،
وطرق التفتحة والفتخر ، سار عليها بعض المستولفين فقال من جاما الامراء ، وتناول
من مال الاغنياء ، ونهض آخر لتقليده فأثناء التقليد . لانه طاجز عن الخلافة بقلمه
ولسانه وقد استأجر لها من يستفيد بها ولكنه لا يفيد ، وينقلب بالخرز المين ، والمقايبة
للمتقين ، فيحذر الماقل من الضرر بأمثال هؤلاء المخدعين ، لاسيما في أمر العلم والدين . فقد
ورد ان هذا العلم من فانظروا من تأخذون دينكم

(المكتبة الصومية • ودار المحفوظات)

أما المكتبة الصومية فقد جاني من أوصي بصحبي وينقل علي ذكر اسمه لطوله فذهبت معه الى تلك المكتبة وهو أخو مديرها وله احترام في قوس خدمتها وكان يعرف قليلا من اللغة الفرنسية فسأته أن يطلب لي فهرس الكتب العربية إن كانت فطلب ذلك فبدت حركة شديدة في الخدمة وكثر الداخذل والخارج ، والذهاب والآيب ، ولقطت اللسن ، وأوتفت الأيدي بالإشارات ، وطال الزمن نحو ربع ساعة ، كل ذلك وأنا لأفهم أسباب هذا الاضطراب ، وآخر الامر جيء الي بدفت صفيح جدا يحتوي على نحو خمسين صفحة وكانت تلك الضوضاء للبحث عنه وكل يتم صاحبه بأنه هو الذي يعرف مقره والآخر يدافع عن نفسه تهمة معرفته ، ولم يرحمني عند تصفحه الاكثره ما فيه من كتب الأدعية والصلوات كأنه فهرس خزنة لصيخ من مشايخ الطريقة الخلوتية ، أو مكتبة السادات البكرية ، قدس الله أرواحهم جميعا وانما رأيت فيها قطعة من شرح ابن رشد على مدونة الامام مالك رضي الله عنه وكتابا في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الا أنه لا يمكن قراءة سطر واحد من تلك السيرة لأن خطوطا قد جرت على السطور بناية غريبة حتى حمت الحروف الأصلية وحجبت حقيقتها عن النظر مع سلامة الظاهر من التشويه فحجبت لذلك وسألت عن السبب فقيل لي ان قسيسا من أهل القرن الثامن حمله التصيب على أن يأتي الى المكتبة ويطلب الكتاب بحجة انه يريد قراءته وكان يعرف العربية حتى المعرفة فلم اليه فصنع به ذلك حتى يصد الناس عن مطالعة ما فيه • وقد فعل مثل ذلك بمسحف من المصاحف وزور كتباً كثيرة أفسدها • وقد انكشف للحكومة حاله فحوكم وصدر الحكم عليه بالحبس مدة عشر سنين في رواية ومدة خمس عشرة سنة في رواية أخرى • أما القطعة من شرح ابن رشد فكانت سليمة وخطها مغربي جيد تسهل قراءته على طالب العلم

والكتاب الفرد الكامل الذي رأيته في المكتبة هو كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني وهو صغير في نحو ستين ورقة بخط ضيق مضبوط صحيح . قرأت منه عدة صفحات وقلت منه عدة فقرات في تفسير قوله تعالى : أم تركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . الخ . وبما تلت في ذلك قول أبي حاتم رحمه الله : وبما كرم الله به الإسلام وكرم به النخل أنه قدر جميع نخل الدنيا لأهل الإسلام فغلبوا عليه وعلى كل موضع فيه نخل وليس في بلاد الشرك منه شيء : فرحم الله أباحاتم ما كان أبدهم عن محبة الحكم في طبائع السران وإن كان من أفضل أهل السير وأجل علماء اللغة . والكتاب مفيد في اللغة وهو بخط مشرقي تاريخ نسخه شهر جمادى الآخرة سنة ٣٩٤ . وقد بلغنا أنه طبع في ألمانيا وكان الأجدر به أن يطبع في مصر ولعل ذلك يكون إن شاء الله . في ساوى المصريون أهل ألمانيا في اهتمامهم باللغة العربية وقائمتها .



ثم زرت دار محفوظات الدولة وهي مثل (الدفترخانه) عندنا الاتهام تبع أوراقها ولادافتره لا بالقطار ولا بالارطل كما فعل بالدفترخانه المصرية بل هي محفوظات على ما كانت عليه من عدة قرون لا يفرط في ورقة واحدة منها . وقد طبعت الدولة ما في الأوراق التاريخية المحررة باللسان العربي وغيره من اللسان الشرقية حتى يسهل على الناظر فيها معرفة ما كتب في تلك الأوراق ويتيسر له بعد ذلك قرائتها في أصولها خصوصا إذا كان غير متعود على قراءة الخطوط العربية المختلفة فإذا قابل بين المطبوع والمرقوم عرف محبة العبارة في النسختين . ولعل المكتبة المصرية الكبرى تصنع مثل ذلك في الخطوط المكتوبة على أوراق البردي وغيرها مما كتب بالكوفية أو النسخ القديم أو ما عني منه القدم ثم قائمة حفظ هذه الأوراق والانتفاع بها إن شاء الله

من المادة في المكاتب وديار حفظ الأوراق أن يجعل لها دقار يكتب فيها الزايم اسمه ولقبه وتاريخ الزيارة وهي عادة حسنة تليق بأماكن أقيمت لحفظ الآثار العلمية والمذكرات التاريخية . أما عمال المكتبة الموسمية في يلزم فلم يحفلوا بهذه المادة واكتفوا بتقديم ورقة من أوراق طلب اللطافة لوضع اضافاتي عليها كما

فعل ذلك خدمة المكتبة العمومية في مسينا لكي عمل دار محفوظات الدولة راموا ان تجري تلك المادة مجراها ففصلوا ذلك الدفتر فلم يجدوه فجاءوا في البحث والتقيب وأخذت الاصوات تتقاذف ، والاشارات تمشو وتزايده ، على نحو ما فصل عمال المكتبة العمومية ، في اكتشاف فهرس الكتب العربية ، وكنت على عجل أريد زيارة محل آخر فحسبت مدة حتى يسر الله ووجد الدفتر ووضعت إضافتي فيه . وأظنهم حمدوا الله لأن كنت السبب في العثور عليه بعد ضياعه

هذا وذلك يدلناك على أحد أمرين إما قللة الزائرين لهذه الاماكن العلمية من الاجانب وطلاب النظر في الانوار العربية وقلة الدارسين من أهل البلاد في تلك الكتب التي كتبت في لسان غير لسانهم اكتفاء بتراجيحها أو لعدم الحاجة اليها ، وأما شدة الاهمال من موظفي هذه الديار ، وقد يتيسر لك الجمع بين الأمرين ولم أعهد في مكتبة أوربية أن وقع لي مثل ما وقع في مكتبي يلزم

﴿ حاجة السامع الى معرفة اللغات وأياها أرفع ﴾

ومن الامور التي لأجد بدأ من تنمها أن موظفي هاته المكتبات لا يعرفون من اللغات الا الايطالية فلا يعرفون الفرنسية مع قربها من لغتهم ومن عرف منها بعض كلمات يصعب عليه ان يؤدي بها مراده . وكان ذيفتي يترجم بيدي ويشرحهم عند ما كان معي في المكتبة العمومية لكنني بعد انصرافه وقعت في وحشة يزيد بها لزم الصمت وعدم الفائدة في الكلام وضيق الصدر عند ارادة الاستفهام عما يراد فهمه ولا يوجد السبيل اليه الا من طريق الاشارة . ولا يخفى عليك ان الاشارة إنما تصلح للإفادة والاستفادة من الاخرس اذا كنت والهة له على ما في المثل « أم الاخرس أعرف بلفظه » فلا بد من التوحد على ضرب من الاشارة مخصوص حتى يتيسر الفهم والافهام . ولهذا لم يمكنني ان أستفيد شيئاً بما بذعني ان يصنع لاستساخني من الكتب العربية كذلك القطعة من شرح ابن رشد مثلاً . وبعد طول الكلام بفرنسية لا يفهمونها وإيطالية لا يفهمها انصرفت وأنا من الجهل على مثل ما دخلت به لكن قد انكشفت عني خفة هذا الجهل بملازمة من أمكنه فهم ما أقول وأمكنتي فهم ما أقول من أهل المدينة

يناسب في هذا المحل ذكر ما يقال من أن الذي يعرف اللغة الفرنسية يسهل عليه السفر في جميع بلاد أوروبا ويتيسر له الفهم والافهام لانها لغة عامة لا تجد نزلا ولا مكانا يرغب في زيارته الا وانت تجد فيه من يكفيك حاجتك فيما تريد . وقد رأيت ان هذا القول اضمحلت محته في مكاتب بلرم ولم ألق مائة قروي محته في مكتبة مسينا والمكاتب من ديار العلم التي يكثر فيها العارفون باللغات الاجنبية ولا ينبغي ان تخلو منهم لمسيس الحاجة اليهم . وقد بت ليله في لوندرا وزلت في أكبر نزل فيها يسمى (كير افور او تيل) فيه ما يزيد على ست مئة بيت للنوم ولم أجده فيه من يعرف الفرنسية الا خادمين أحدهما بواب والآخر من خدمة قاعة الطعام . أما خدمه أما كن النوم وغيرهم فلا يفهمون كلمة واحدة والحاجة اليهم أشد فان الطالب الخاصة جميعها منوطه بهم أو بهم . اذا طلبت ماء أو لبنا أو قهوة أو نيشة حمام أو نقل متاع من مكان الى مكان أو تصحيح منكر أو كسر صحيح لم تجد من تطالبه الا أولئك الذين لا يعرفون كلمة من الفرنسية . غير أنهم لعمودهم فيما يظهر على كثرة ورود هذا النوع من الحرس صاروا أو صرن كوالدة الاخرس يسهل عليهم أو عليهم فهم الاشارات بدون اعجاب شديد لأعضاء المشيرين (أي الذين يتفاهمون بالاشارة لا الذين حازوا رتبة المشيرية العسكرية الثمينة) لكن لا ينبغي عليك ان من الطالب مالا تعبر عنه الاشارة فاذا تصنع اذا كنت أعلم العلماء بالفرنسية وعرض لك مثل هذا الطلب وليس عندك وقت يسع تعلم اللغة الانكليزية ؛ لا يسمعك الا الاقرار بأن ذلك القول الذي قالوا مبني على تجربة قاصرة لاتصلح ان تكون مقدمة من مقدمات البرهان المعدودة في فن المنطق

أزيدك شيئا في هذا وهو انك اذا كنت لاتعرف لسان القوم الذين تنزل فيهم يجهدونك طعمة أو هبة من افه سبقت اليهم فهم يكلفونك من التفقات ما يشاؤون ولا يجهدون في أنفسهم دائما من الرأفة بك أو الرحمة لفرقتك ، ولا يمكنك ان تبحث مع تاهبك في موضوع نهيك ؛ لأنه لا يفهم ما تقول ، وأنت لاتفهم ما يقول ، فينتهي أمرك بدفع ماركم لك رغم أنك ، وغاية ما يمكنك فعله ان تنفخ الصدء وتهز رأسك وتلوي عبقك علامة على غضبك ولكن هذا كله لا يوفر عليك ما قصه منك

الجهل باللسان

وفي ظني ان من أراد ان يسافر الى بلد لا يعرف لسانه فأولى له ان يتعلم من لسان ذلك البلد ما يكفيه للتعامل ومدة سنة قبل السفر تكفي لذلك وأجرة الأستاذ المعلم لا تصل الى نصف ما ينخرسه ببركة الجهل باللسان

استغفرا من خطأ فيا قلت • إذا أراد السفر الى صقلية (سيسياليا) من بلاد إيطاليا فعليه ان يجد لمعرفة اللغة الإيطالية حتى يتكلم بسرعة ويفهم بسرعة يسبق بها كلامه وفهمه كلام الإيطاليين وفهمهم والا سأل الله العوض فيها يفقد من متاعه وما يؤخذ منه أجرة على ضياعه • عند وضع قدمه على ساحل صقلية يجتمع عليه الحمارون والمرشدون المضلون ويجاذبون متاعه وثيابه كل يأخذ قطعة فان كان لا يعرف لسانه كان ما كان مما لا يسمه الامكان ، فإذا سلم له متاعه من التحطيم أو الضياع ، أو أصابه من ذلك ما لم يصد فيه الدقاع • وجد أمامه جيشا من الطالين كل واحد يطالبه بقيمة عمله ، وما هو ذلك العمل ؟ هو حمل قطعة من المتاع وكلمة قلت غير مفهومة في هدائه الى الحل الذي وصل اليه ، مع انه وصل برجليه ، ومن طريق كل الناس يمشون فيه • ولا تنس انهم يجاذبونك أعضاءك حتى ان جميع أجزائك في خطر من مجاذبتهم إذا لم تكن حريصا عليها • فإذا كنت في حاجة الى السفر الى هذه البلاد والاقاة فيها مدة من الزمان لتبديل الهواء وترفع النفس بحمل المناظر خصوصا أيام الربيع فمليك ان تصرف سنتين في تعلم اللغة الإيطالية وما تنفقه في التعلم أقل مما تنخرس مع لغز التفاهم

وجدت ان الذي يعرف الانكليزية أسعد حظا في فرنسا ممن يعرف الفرنسية في انكلترا فانك لا تجد نزلا في البلاد الفرنسية الا وفيه كثير من الخدم الذين يعرفون الانكليزية • سألت عن السبب في ذلك فقول لي ان أهل فرنسا أقلاما يسبحون في بلاد لانكليز ، أما الانكليز والايركيون فيملأون سهول فرنسا وجبالها ، ويدهشون بالذهب صفارها ورجالها ، فاضطر الفرنسي الى ترويح الانكليزية في بلاده لتعجب الزائرين ، وليستكثر من التائرين ،

ويل لك إذا أقت يوما أو يومين في نزل بمسينا من أكبر ما يتصدده السائحون .

وب النزل يعرف بعض كلمات قليلة من الفرنسية يمكنه بها ان يفهمك أن أجرة محل ايتوم وحده بلاأكل ولا شرب عشرة فرنكات في الليلة ويمكنك أن تفهمه بأنك قبلت ذلك على شرط النظافة وتوفر الراحة وان كان لا يعمل من ذلك بما فهم منك وإنما العمل على ما فهمت أنت منه

تتم عند الساعة العاشرة فلا يمر عليك نصف ساعة الا وقد أطار نومك صباح وجليبة ودوي حركات تذهب ونحوي خارج منامك فيضيق صدرك وتطلب الفرج ولا تجده فتفتح الباب وتقول كلاما كثيرا يفهم منه أنك في شدة الضيق مما تمنع ولا سبيل الى النوم فيقال لك ما تفهم منه ان هؤلاء مسافرون جاؤا الى المحل من من جديد وهذا يصنع معهم ؟ فتطلب محلا آخر للنوم ويأخذون قرانك من محلك الأول الى محلك الثاني فتحمده الله على الهدوء وإقبال الراحة ثم تأتي جسمك على الفرش وقبل النوم على عينيك بشفه ثم لا يمضي نصف ساعة الا وقد أخذت يدك تحك وجهك وعنقك واليسرى تحك اليمنى واليمين تحك اليسرى ولا يزال الحلك يزيد والمحكوك يتألم حتى تنبه أعصاب الدماغ والعين ويصبح ذلك النوم الثقيل ، أخف من نفس الجليل ، فيطير عنك الى حيث تبحث عنه ولا تجده ولا يبقى لك الا الحلت والحلوة : وما هذا كله ؟ هذا هو البقي الذي تروعك حمرته ، وتقلقك عفته بل حركته . بل تغير نومك رؤيته ، فتطلب الخلاص وما ذا تصنع ؟ ذهبت مدة من الليل نام فيها الصائجون فتعود الى محلك الأول وقد نام الخادم فتعود الى غير فرائش أو فرائش نفسك وهذا أفضل لك ، فإذا أصبحت حوسبت على شمتين في مكانين بخلاف منكما شيئا وعلى شمتين آخرين ، وكنت تحاسب على أجرة خدعين ، أشرف ما وقع لي مع خادم هذا النزل اطلبت منه ماء باردا فلم يفهم فأشرت الى هو ومثاب يدهي سورده الماء فإذا هو يفتح الباب وينظر الى كأنه فهم انني أشرت بيدي الى أن الباب ملاق وبقي الى فتحه لانه فتحة من فتحات بدني ، وبعد تب أعصابي من الانسابة ، استاني من التكميم بالفرنسية قت وبحت عن كوب وأشرت به اليه ففهم انني أريد ماء لكن لم يفهم اني أريد باردا وما أشد التعب في تصوير الجليل له : فرج ، والليل فطابت منه تحديد فرج في وجهي كرسيا طويلا اشترته لاجلس عليه

في المركب ففزعت لذلك وظننت أنه يريد رمي به ظنا منه أنني شتمته غير أن ذلك سرني عني عندما رأيت أنه ينظر إليّ نظر الاحترام ويطلب مني بمته أن أضع الكرسي . فاستلقيت من الضحك وذهبت إلى موضع النسل وأشارت إليه أن يجدد الماء ففعل . أفلا يجهل ذلك على علم اللسان الإيطالي إذا أردت السفر إلى سبيليا وإن لا تصدق ما يقال لك من أن معرفة الفرنسية تكفيك الحاجة في كل بلاد أوروبا ؟

أنا في علم العربية

(التقریظ)

(رباعيات أبي العلاء المعري)

أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري أشهر من أن يعرف كان إماما في اللغة والأدب وحكما كبيرا العقل بعيد الفكر حرّ النول ذهب بشعره في فلسفة الأفكار مذاهب لم يسبق بها سابق ، ولم يلحقه مثلها لاحق ، إلا أن يكون عمر الحيام قائم جرى على آثاره ، في إبداع الشعر فلسفة أفكاره ، وقد عني الفرغ بنقل أشعار هذا إلى لغاتهم وولعوا بها وصار له فيهم أنصار ومريدون ولكنهم لم يهتموا به إلى أشعار إمامه وقدمته فيما امتاز به وهو أبو العلاء المعري حتى انتدب من عهد قريب أحد أدباء سوريا إلى نقل بعض شعره إلى اللغة الانكليزية وطبعه في أمريكا وسماه (رباعيات أبي العلاء المعري) محاكاة لكتاب ترجم إلى تلك اللغة يسمى (رباعيات عمر الخيام) ذلك الأديب هو أمين أفتدي ريجاني زيل أميركا أحد دعاة الوطنية وأعداء التنصب التميم . وقد صدر الرباعيات بمقدمة بذكر فيها شيئا من شمائل أبي العلاء وفضائله وبعد فكره في فلسفة الدين والاجتماع وقد فضله على غيره من فلاسفة العرب حتى على الرئيس ابن سينا ولكنه أودأ إلى انتقاد المسلمين بأهال شعره ، وعدم الاشادة بذكره ، واتنا تقول إن أبا العلاء لم يكن مغمولا في زمنه ، ولا مهجورا في موطنه ، وإنما أخذ عنه بعض الثابطين كأبي القاسم علي ابن الحسن التنوخي والخطيب أبي زكريا التبريزي بل كانوا يتبركون به كما يتبركون بالاولياء والصالحاء فقد قال

الحافظ الساني أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب لا يادي أنه دخل مع عمه على أبي علاء يزوره فقرأ قاعدة على سجادة ليد وهو شيخ قال: قد علي ومسح على رأسي وكنت صيبا وكنتي أنظر إليه الساعة وإلى عينيه أحداها نادرة ولاخرى غائرة جدا وهو مجسدر الوجه نحيف الجسم : ولو وجد في عصره في أوربا من يقول مثل قوله:

إذا رجع الحكيم إلى حجاب تهاون بالمذاهب وازدراها

لما كان له من جزاء الاحراق بالنار ، ولما بقي له أثر من الآثار ، ولا بأس بأن نعيد هنا عبارة كانت في مقالات (الاسلام والتصراية . مع العلم والمدينة) من مجلد النار الخامس وهي : يذكر علي بن يوسف النفطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج إلى المعرة وقد دعى أهلها عليه فأنزلوه وشرع في حصارها واورماها بالنبج حتى قلما أحس أهلها بالغاب سمو إلى أبي العلاء بن يوسف . ثم إن يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فأكرمه صالح واحترمه ثم قال : أنت حجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف الفاطم لان مسه وخشن حده . وكان بهار ليلنا فقط وسطه وطاب برده . « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجناحين » فقال له صالح : قد وهبت لك : اما السبب في عدم طبع شعره الا من زمن قريب في الهند ثم في سوريا وعصر فهو عين السبب في عدم طبع مثل كتابي أسراز البلاغة ودلائل الاعجاز الا في هاتين السنتين - هو موت العلم العربي من بضع قرون

وقد أحسن المترجم في نقل المختار إلى الشعر الانكليزي وخدم الامة العربية بتعريف فضلاء الفرنج بفضلها ونبأها وسبقها إلى الحكمة ، والآراء السامية ، الا أنه قد حكم عليه الظلم أن يتصرف في بعض المعاني قليلا وله الشكر على هذه الاربحية

عرفات

جريدة أسبوعية جديدة أسسها في القاهرة جماعة الفرنسية صديقنا محمود بك سالم والغرض منها تذكير الشهاب لاوريين ومن أخذ تعلم منهم من المسلمين وغيرهم عن الدين الاسلامي . واقتضاهم بحسنهم . ومحمود بك من أعرف الناس بهذه الشبهات ومنازلها فانه تعلم العلوم الابتدائية والاهلية في أورده ونخرج في أشهر مدارسها وهو باارع بالفرنسية ثم بالانكليزية وله إنسان بالانية ولايصلية . وبعد عودته من أوربا لم يشغله اقتضاء اذ كان قاضيا في المحاكم المختلطة - عن مدرسة العلوم الاسلامية والشعف بتأفة أهلها ومحاورتهم

يها . وقد عرف باستقصاء ما يكتبه الفرنج عن الاسلام والمسلمين في اثنتي عشرة المجلدات الثلاث . وقد ساه في أوروبا وفي البلاد الاسلامية واحتر الناس . وله لسان صدوق قومه . فهو بهذه المزايا مضطلع بأعباء هذا العمل الذي تصبوا اليه نفسه من زمن بعيد ويرجى ان تكون جريده انفع الجرائد للاسلام والمسلمين . ولاوروبا والاوربيين ؛

(الانسانية) مجلة علمية انتقادية دينية سياسية أدبية أسبوعية صاحبها ومديرها محمد اقدى أبو النصر المحامي ومحروها الشيخ ابراهيم الدباغ يصدر العدد مهاست عشرة صفحة وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً صحيحاً في السنة

(الباحث) مجلة علمية دينية تهذيبية لمنشئها الحوري جرجس فرح صغير وكيل بطريركخانه الموارنة في الاسكندرية . تصدر في كل شهر مرة . وقد صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٤ مؤلفاً من ٣٢ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٣٠ قرشاً صحيحاً في السنة . ولم تقرأ من هذه المجله وما قبلها مائتين به حقيقتها لضيق الوقت وانما نوهنا بهما عملاً بحقوق الصحافه

(الامة الشرقية) مجلة علمية صناعية طبية أدبية فكاهية منشئها (ح . ص) تصدر في كل شهر مرة في الاسكندرية . صدر الجزء الاول منها في أول يناير سنة ١٩٠٤ مؤلفاً من ٣٢ صفحة . وقيمة الاشتراك فيها ١٦ قرشاً صحيحاً في السنة وهي زهيدة « لا تجاوز ثمن ورقة دخول في بعض الملاعب » كما هو مكتوب في مقدمتها والضيق الوقت لم تمكن من قرائتها فسي ان تصادف نجاحاً واقبالاً

(النافع) جريدة أسبوعية سياسية أدبية أصدرها في مدينة طنطا الشيخ مصطفى النافع وكبير المؤيد سابقاً وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في السنة وستون قرشاً عن نصف سنة . واتما تنفي هذه الجريدة النجاح فقد سبق لصاحبها من الاشتغال بخدمة المؤيد ما عرفه ولا يعرف غيره من شئون هذا العمل ومن أقدم على شيء عن بصيرة ورجي له ما لا يرجي لغيره

(الواعظ) تقدم التنويه في هذا الجزء بجريدة سميت بالواعظ وقول هنا ان منشئ هذه الجريدة هو محمود اقدى سلامه المشهور عند قراءه في مصر بما سبق له من الاشتغال بالصحافة الناشئ ومحرراً حتى ان بعض الجرائد اليومية قد وجدت ان يقرأها بما كان ينشر فيها . ان مقالاته الإضافية في الاخلاق وانتقاد العادات له ما لا ترجو لهذه الجريدة من النجاح والانتشار ما لا ترجو مثله لاكثر الجرائد التي نذبت في مصر لما بعد عام ويوما بعد يوم وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خير كثير وما
يذكر إلا أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

ففسر عبادي الذين يستمعون القول
فيتسمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ودمناراًء كئار الطررق)

(مصر — الاربعاء ١٦ اذى القعدة سنة ١٣٢١ — ٣ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤)

(باب الفقه في أحكام الدين)

﴿ المفتي والقاضي في الشرع ﴾

وتعريف الاجتهاد

المفتي في الشرع هو الفقيه المجتهد الذي يرجع اليه الناس في معرفة ما يخفى عليهم من أحكام الدين . قال في (كشف اصطلاحات الفنون) مانصه (ص ١١٥٧ ج ٢) :
« الفقه هو اسم علم من العلوم المدونة وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية والفقيه هو من اتصف بهذا العلم وهو المجتهد . قال المحقق التفتازاني في حاشية المضدي : ظاهر كلام القوم أنه لا يتصور فقيه غير مجتهد ولا مجتهد غير فقيه على الإطلاق . نعم لو اشترط في الفقه التبرؤ لجميع الأحكام وجوز في مسألة دون مسألة محقق مجتهد ليس بفقيه »

وجاء (في ص ١١٥٦) منه مانصه « الاستفتاء هو عند الأصوليين والفقهاء مقابل الاجتهاد والمستفتي خلاف المفتي . والمفتي هو الفقيه فإن لم نقل بتجزئ الاجتهاد وهو كونه مجتهداً في بعض المسائل دون بعض فكل من ليس مجتهداً في الكل فهو مستفت في الكل . وإن قلنا بتجزئ الاجتهاد فالامر واضح أيضاً فإنه مستفت فيما ليس مجتهداً فيه مفت فيما هو مجتهد . وبالجملة فالمفتي والمستفتي إنما يكونان بتقابلين متممي الاجتماع عند اتحاد متعلقهما أو أماً إذا اعتبر كونه مفتياً في حكم مستفتياً في حكم آخر فلا : اهـ
وبيان هذا أن المفتي عندهم هو المجتهد المستعد للافتاء بالدليل فإن كان مستمداً للافتاء في طائفة الأحكام فهو المجتهد المطلق وإن كان لا يقدر على الافتاء إلا في بعض الأحكام فهو مجتهد فيما هو مفت به . وهذا التفصيل مبني على قول المحققين من الأصوليين بأن الاجتهاد تجزأ أي يجوز أن يجتهد الانسان في بعض المسائل فيقف على أدلتها ويعرف الحكم منها وإن عجز عن مثل ذلك في مسائل أخرى .

وما تقدم من معنى الفقه هو اصطلاح علماء الأحكام العملية وأصولها (أي علم أصول الفقه) وللفقه معنى آخر هو ما يفهم من الكتاب والسنة وآثار السلف وهو فهم أمرار الدين في إصلاح النفوس ومعرفة آفتاتها وما يصلح أخلاقها . ولا مشاحة في الاصطلاح فإن الامام النزالي الذي بين هذا المعنى كان يستعمل المفتي الاصطلاحي في كتبه الفقهية والأصولية . ويطلق الفقه عند المتأخرين على معرفة أقوال المؤلفين في الأحكام .

وقد اشترطوا في القاضي ان يكون مجتهداً لانه كائن في الحاجة الى معرفة الحق فيما يحكم به بل هو من جهة أوجب الى تحري الحق لانه يلزم والمفتي مبن فقط ولكن الخفية أجازوا أن يكون القاضي غير مجتهد عند الضرورة اعتباراً على أنه يستفي فلم ان جواز نصب القاضي من غير أهل الاجتهاد مشروط بوجود مفت من أهله بين له الحكم . وهذا نص من الهداية وهو أشهر المتون المتمددة في مذهب الحنفية قال : « ولا تعج ولاية القاضي حتى يجتمع في المولى شرائط الشهادة ويكون من أهل الاجتهاد » قال الكمال في (فتح القدير) شرح الهداية « الصحيح ان أهلية الاجتهاد شرط الاولوية فأما تقليد الجاهل فصحيح عندنا خلافاً للشافعي رحمه الله وهو يقول ان الامر باقتضاء يستدعي القدرة عليه ولا قدرة دون العلم . ولنا أنه يمكنه ان يقضي بفتوى غيره مرسوداً مقصوداً بحمل به وهو يقال الحق الى استمارة » وقال المرغيناني في تكملته للفتح : « قوله : خلافاً للشافعي : ومالك واحد وقولهم رواية عن علمائنا نص محمد في الاصل ان التقليد لا يجوز ان يكون قاضياً ولكن المختار خلافه » ثم قال « والمراد بالعلم ليس ما يقطع بصوابه بل ما يظنه المجتهد فانه لا قطع في مسائل الفقه واذا قضى بقول مجتهد فيه فقد قضى بذلك العلم وهو المطلوب » ثم قال « واعلم ان ما ذكر في القاضي ذكر في المفتي فلا يفتي الا المجتهد وقد قد استقر رأي الاصوليين على ان المفتي هو المجتهد وأما غير المجتهد ممن يحفظ أقوال المجتهد فليس بمفت »

ثم ذكر ان نقل النصوص ليس بفتوى وانما هو إخبار على سبيل الحكاية وان هذه الحكاية لا تحمل الا اذا كان للحاكمي سند الى المجتهد الذي ينقل عنه يعتقد صحته أو كان يأخذه عن كتاب معروف تداوله الايدي نحو كتب محمد بن الحسن فعلم من هذه القول ان مذاهب الائمة الاربعة متفقة على ما قاله الاصوليون من كون المفتي هو المجتهد وان خلاف الحنفية في اقتضاء دون الاقتناء وفيه عندهم قولان اعتمد صاحب الهداية على وجوب كون القاضي مجتهداً وقائلاً نص الامام محمد واختار آخرون جواز كونه غير مجتهد اعتماداً على وجود مفت يفتيه فكأنه في نظر هؤلاء نفذ فقط ثم قال الكمال : « وفي حديث الاجتهاد كلام عرف في أصول الفقه وحاصله

ان يكون صاحب حديث له معرفة بالفقه ليعرف ما في الآثار او صاحب فقه له معرفة بالحديث مثلا يشتغل بالتقاس في المتخصص عليه . وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة يعرف بها عادات الناس لان من الاحكام ما يفتي عليها له بحروفه وقاد المرغبات عند قوله : وقيل ان يكون مع ذلك صاحب قريحة : الخ مانصه : « فهذا اقل لا بد منه في المجتهد فمن اتقن معنى هذه الجملة فهو أهل للاجتهد فيجب عليه ان يعمل باجتهاده وهو ان يبذل جهده في طلب الظن بحكم شرعي عن هذه الادلة ولا يقبل أحدا » اه أي ويجب عليه ان يفتي كذلك بما ظهر له ولا يجوز له ان يفتي بقول أحد بل علمت من نصهم ان قل قول الغير لا يسمى فتوى

هذا ما نسر به المفتي والمجتهد في كتب الشريعة وابتدأنا بالقل عن كتب الحنفية خاصة لان الحكومة المصرية على مذهبهم ومنها علم أن المذاهب الثلاثة موافقة لمذهب الحنفية في اعتبار كون المفتي هو المجتهد ، ولكن الجهل الظاهر قام يحتاج على العلم فيحرم الاجتهاد على المفتي ولو في بعض المسائل ويضع للمجتهد تعريفا جديدا وشرطا جديدة لان حرية المطبوعات في مصر أباحت لكل أحد ان يخوض في كل شئ فقد رأينا تقريرا لبعض الجاهلين بالشرع يحتاج فيه بزعمة على بعض ما أفتى به أشهر علماء الاسلام في هذا العصر وينفي عنه الاجتهاد في الدين بناء على تعريف اخترعه للمجتهد لم يقل به قبله عالم ولا جاهل وهو كما في (ص ٣٧) من ذلك التقرير : « المجتهد هو الرجل الوجه عند الله وعند الامة البالغ مبالغ العلم ومعرفة مدارك التشريع واسرار الشريعة بشرط ان يعترف له الناس بذلك » ثم قال بعد سطور في الاستدلال على كون الاجتهاد يكاد ممنوعا عقلا : ان الثقة العامة ركن من أركان الاجتهاد فاذا ادعى مدع انه من المجتهدين واختلف الناس في أمره سقطت دعواه ،

تقول ان هذا الكلام لغو باطل لانه اختراع أصول جديدة للشرع لم يقل بها أحد من اهل العلم على انه غير معقول وغير مفهوم . دع عنك تخصيص الاجتهاد بالرجال المتقاضي ان أهميات المؤمنين نسوة صاحب الشريعة عليه وعليهن السلام كن مقلدات غير مجتهدات في دينهن وانظر في اشتراطه كون المجتهد وجبا عند الله مع اشتراطه به سد ذلك ان تعترف له الامة بذلك او من يقدر من الامة ان يحكم على الله لا يعرف الا بوحى من الله ؟ فهذا

من غير المقول ، ثم انظر في قوله « البالغ مبلغ العلم » تجده من غير المفهوم ، ثم انظر في اشتراط اعتراف الامة مقلديها وجهلائها لرجل بانه وحيد عند الله وأنه يبلغ مبلغ العلم وفهم أسرار الشريعة تجده غير مقول وغير مفهوم لان الامة لا يمكن أن تصل الى معرفة هذه الامور فتحكم بها واذا فرضنا وصولها اليها قلنا تكون أمة مجتهدة أي يكون جميع أفرادها مجتهدين وكل واحد منهم عارف بقدر الآخر وشاهد له ... ولم يشهد فرد واحد لمجتهد من السابقين بمثل ذلك .

﴿ بيان ما جاء في كتاب الاحكام السلطانية من القول باجتهاد القاضي ﴾

(فصل) ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب أبي حنيفة لان القاضي ان يجتهد برأيه في قضائه ولا يلزمه ان يقلد في التوازل والاحكام من اعزى الى مذهبه فاذا كان شافعي لم يلزمه المصير في أحكامه الى أقاويل الشافعي حتى يؤديه اجتهاده اليها فان أداه اجتهاده الى الاخذ بقول أبي حنيفة عمل عليه وأخذ به وقد منع بعض الفقهاء من اعزى الى مذهب أن يحكم بشيء فنع الشافعي أن يحكم بقول أبي حنيفة ومنع الحنفي أن يحكم بمذهب الشافعي اذا أداه اجتهاده اليه لما يتوجه اليه من التهمة والمبالاة في القضايا والاحكام وإذا حكم بمذهب لا يعتمد كان أنفي التهمة وأرضى للخصوم وهذا وان كانت السياسة تقتضيه فأحكام الشرع لا توجب لان التقليد فيها محذور والاجتهاد فيها مستحق واذا نفذ قضاؤه بحكم وتجدد مثله من بعد أعاد الاجتهاد فيه ونفى بما أداه اجتهاده اليه وان خالف ما تقدم من حكمه فان عمر رضي الله عنه قضى في المشتركة بالتشريك في طم وترك التشريك في غيره فقبل له ما هكنا حكمت في العام الماضي فقال: تلك على ما تضيئنا وهذه على ما تضي: فلو شرط للمولي وهو حنفي أو شافعي على من ولاء القضاء أن لا يحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على ضربين أحدهما أن يشترط ذلك عموما في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقا لمذهب المولى أو مخالفا له وأما صحة الولاية فان لم يجله شرطا فيه وأخرجه عن الشرع الامر أو مخرج النهي وقال قد تلتك القضاء فحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الامر أو لا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسدا سواء تمنع أمرا أو نهيا ويجوز أن يحكم بما أداه اجتهاده اليه سواء وافق شرطه أو

خالفه ويكون اشتراط المولي لذلك قدحا فيه ان علم انه اشترط مالا يحبه زولا يكون قدحا ان جهل لكن لا يصح مع الجهل به أن يكون موليا ولا واليا. فان أخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على أن تحكم فيه بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد وقال أهل العراق نصح الولاية ويبطل الشرط. والضرب الثاني أن يكون الشرط خاصا في حكم بعينه فلا يخو الشرط من أن يكون أمرا أو نهيا فان كان أمرا فقال له أقدم من المد بالحر ومن المسلم بالكافر واقص في القتل بنير الحديد كان أمرا بهذا الشرط فاسدا ثم ان جملة شرطا في عقد الولاية فسدت وان لم يجمله شرطا فيها صحت وحكم في ذلك بما يؤديه اجتهاده اليه. وان كان نهيا فهو على ضربين أحدهما ان ينهاء عن الحكم في قتل المسلم بالكافر والحر بالبد ولا يقضي فيه بوجوب قود ولا باسقاطه فهذا جائز لانه اقتصر على لايته على ماعداء فصار ذلك خارجا عن نظره. والضرب الثاني أن لا ينهاء عن الحاكم وينهاء عن القضاء في القصاص فقد اختلف أصحابنا في هذا النهي هل يوجب صرفه عن النظر فيه ؟ على وجهين أحدهما أن يكون صرفا عن الحكم فيه وخارجا عن ولايته فلا يحكم فيه بإثبات قود ولا باسقاطه والثاني ان لا تقضي الصرف عنه ويجري عليه حكم الامر به ويثبت صحة النظر ان لم يجمله شرطا في التقليد ويحكم فيه بما يؤديه اجتهاده اليه اهـ

فعلم من هذا ان القاضي لا يزل اذا خالف مذهب مولاه او شرطه عليه تقليد امام معين بل يجب عليه مخالفة مولاه اذا ظهر له الدليل على ان مخالفته هي الصواب. والمفتي في ذلك كالقاضي كما تقدم نقلا عن شرح الهداية بل القول بوجوب اجتهاد المفتي عند الحنفية أقوى من القول باجتهاد القاضي كما علمت وبهذه النصوص تعلم ان ما كتب في تلك الجريدة الحديثة من كون المفتي بصير معز ولا اذا أفق بخلاف مذهب مولاه قول باطل ، مبني على الجهل الظاهر ،

وقد كان وقع مثل هذا الوهم أو قريبا منه لبعض الأزهرين عندما علم ان قاضي قضاة السودان حكم في بعض القضايا بمذهب الامام مالك كاخلاق على العسر والغائب. فسلنا يومئذ ذلك الأزهرى عن ذلك فأجابه بنحو ما تقدم وزيادة تتعلق بالمولى نسكت عن مثالا الآن . وربما تزيد الكلام في الافتاء والمفتي يانا في جزء آخر

﴿ مناظرة بين مقلد وماحب حجة ﴾ - تابع ويتبع

(اتوجه الثالث والاربعون) قولهم : ان الله سبحانه وتعالى اتى على السابقين لاولين من المهاجرين والانصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، وتقليدهم هو اتباعهم باحسان : فاصدق المقدمة الاولى وما أكذب الثانية • بل الآية من أعظم الادلة وداعى فرقة التقليد فان اتباعهم هو سلوك سبيلهم ومناهجهم وقد نهوا عن التقليد وكون الرجل إمعة • واخبروا انه ليس من أهل البصيرة ولم يكن فيهم - ولله الحمد - رجل واحد على مذهب هؤلاء المقلدين • وقد اتأذهم الله وعاقبهم مما ابتلى به من يرد النصوص لآراء الرجال وتقليدهم لها فهذا ضد ما يتهمهم وهو نفس مخالفهم • قالنا بكون لهم باحسان حقهم أولوا العلم والبصائر الذين لا يقدمون على كتاب الله وستقرسوله رأيا ولا قياسا ولا مقولا ولا قول أحد من العالمين • ولا يجعلون مذهب أحد عيارا على القرآن والسنة فهؤلاء أتباعهم حقا جعلنا الله منهم بفضلهم ورحمته • يوضحه :

(الوجه الرابع والاربعون) ان اتباعهم لو كانوا هم المقلدين الذين هم مقرون على أنفسهم وجميع أهل العلم اتهم ليسوا من أولي العلم لكان سادات العلماء الدائرون مع الحجة ليسوا من اتباعهم ، والجهال أسعد باتباعهم منهم وهذا عين الحال • بل من خالف واحدا منهم للحجة هو المتبع له دون من أخذ قوله بغير حجة ، وهكذا اتقول في اتباع الأئمة رضى الله عنهم معاذ الله ان يكونوا هم المقلدين لهم الذين ينزلون آراءهم منزلة النصوص بل يتركون لها النصوص فهؤلاء ليسوا من اتباعهم وانما اتباعهم من كان على طريقهم واقفى مناهجهم •

ولقد أنكر بعض المقلدين على شيخ الاسلام في تدريسه بمدرسة ابن الحبلي وهي وقف على الخبايا والمجاهد ليس منهم فقال انما أتأول ما أتأول منها على مصرفتي بمذهب أحد لاعلى تقليدي له • ومن الحال ان يكون هؤلاء المتأخرون على مذهب الأئمة دون أصحابهم الذين لم يكونوا يقدونهم • فأتبع الناس المسالك ابن وهب وطبقته من يحكم الحجة وينقاد للدليل أين كان وكذلك أبو يوسف ومحمد أتبع لأبي حنيفة من المقلدين له مع كثرة مخالفتهما له وكذلك البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وهذه الطائفة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين الغرض المتسعين اليه - وعلى هذا فالوقف

على اتباع الائمة أهل الحجة والعلم أحق به من المقلدين في نفس الامر .
(الوجه الخامس والاربعون) قولهم : يكتفي بحجة التقليد الحديث المشهوره أصحابي
كالتجوز بأهم اقتديتم اهتديتم . . جوابه من وجوه :

أحدها : ان هذا الحديث قد روي من طريق الاعمش عن أبي سفيان عن جابر
ومن حديث سعيد بن المسيب عن ابن عمر ومن طريق حزة الجزري عن نافع عن ابن
عمر ولا يثبت شيء منها . قال ابن عبد البر : ثنا محمد بن ابراهيم بن سعيدان أبا عبد الله
بن مفرخ حدثهم . ثنا محمد بن أيوب الصموت . قال : قال لنا البزار : وأما ما يروى
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أصحابي كالتجوز بأهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام
لا يصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الثاني : ان يقال لهؤلاء المقلدين فكيف استجزم ترك تقليد التجوز التي يهتدى بها
وقلديتم من هودونهم بمراتب كثيرة . فكان تقليد مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد
آثر عندهم من تقليد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي . فإدله عليه الحديث خالفتموه صريحا
واستدلتم به على تقليد من لم يتعرض له بوجه .

الثالث : ان هذا يوجب عليكم تقليد من ورث الجد مع الاخوة منهم ومن أسقط
الاخوة به وما وتقليد من قال : الحرام يمين : ومن قال : هو طلاق : وتقليد من حرم
الجميع بين الاخنتين يملك اليمين ومن أباحه . وتقليد من جور للأصنام أكل البرد
ومن منع منه . وتقليد من قال : تعدد المتوفى عنها بأقصى الاجلين : ومن قال : بوضع
الحمل : وتقليد من قال : يحرم على المحرم استدامة الطيب : وتقليد من أباحه . وتقليد
من جوز بيع الدرهم بالدرهمين . وتقليد من حرمه . وتقليد من أوجب النسل من
الإكسال . وتقليد من أسقطه . وتقليد من ورث ذوي الارحام . ومن أسقطهم .
وتقليد من رأى التحريم برضاع الكبير . ومن لم يره . وتقليد من منع تيمم الجنب .
ومن أوجبه . وتقليد من رأى الطلاق الثلاث واحدا . ومن رأى ثلاثا . وتقليد من
أوجب فسخ الحج الى العمرة . ومن منع منه . وتقليد من أباح لحوم المحر الاهلية . ومن
منع منها . وتقليد من رأى التقصير بغير الذكر . ومن لم يره . وتقليد من رأى بيع الامة
طلائها ومن لم يره . وتقليد من وقف المولى عند الاجل . ومن لم يقفه . واضعاف

اضعاف ذلك مما اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فان سوغتم هذا فلا تحجبوا القول على قول مذهب على مذهب بل اجعلوا الرجل غير في الاخذ بأي قوله شاء من اقولهم . ولا تنكروا على من خالف مذهبكم واتبع قول أحدكم . وان لم تسوغوه فأنتم أول مبطل لهذا الحديث ومخالف له وقائل بضد مقتضاه وهذا لا انفكاك لكم منه .
الرابع : ان الاقتداء بهم هو اتباع القرآن والسنة والقول من كل من دعا اليهما منهم فالإقتداء بهم محرم عليكم التقايد ويوجب الاستدلال وتحكيم الدليل كما كان عليه القوم رضي الله عنهم . وحينئذ فالحديث من أقوى الحجج عليكم بالله التوفيق .

(الوجه السادس والاربعون) قولكم : قال عبدالله بن مسعود : من كان مستنا منكم فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد : فهذا من أكبر الحجج عليكم من وجوه . فانه نهى عن الاستئناس بالاحياء وأنتم تقلدون الاحياء والاموات . الثاني انه عين المستن بهم فأنهم خير الخلق وأبر الامة وأعلمهم رضي الله عنهم . وأنتم معاشر المقلدين لاترون تقليدهم ولا الاستئناس بهم وأنتم تقلدون فلان وفلان ممن هو دونهم بكثير . الثالث : ان الاستئناس بهم هو الاقتداء بهم وهو بأن يأتي المقتدي بمثل ما اتوا به ويفعل كما فعلوا . وهذا يعطل قبول قول أحد غير حجة كما كان الصحابة (رض) عليه . الرابع : ان ابن مسعود قد صح عنه النهي عن التقليد وان لا يكون الرجل أمة لابصرة له . فلم ان الاستئناس عنده غير التقليد .

(الوجه السابع والاربعون) قولكم : قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » وقال « اقتدوا بالذين من بعدي » فهذا من أكبر حججنا عليكم في بطلان ما أنتم عليه من التقايد فانه خلاف سنتهم . ومن المعلوم بالضرورة ان أحد منهم لم يكن يدع السنة اذا ظهرت لقول غيره كاتما من كان ولم يكن له معها قول البتة وطريق فرقة التقليد خلاف ذلك . يوضحه (الوجه الثامن والاربعون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قرن سنتهم بسنته في وجوب الاتباع . والاخذ بسنتهم ليس تقليداً لهم بل اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ان الاخذ بالاذان لم يكن تقليداً لمن رآه في المنام . والاخذ بمقتضى ما فات المسبوق من صلاته بعد سلام الامام لم يكن تقليداً لمداد بل اتباعا لمن أمرنا

بالأخذ بذلك قابض التقليد الذي أتم عليه من هنا ؟ يوضحه
 (الوجه التاسع والاربعون) انكم أول مخالف لهدى الحديث فانكم لا ترون
 الأخذ بسنتهم ولا الاقتداء بهم واجبا وليس قولهم عندكم حجة وقد صرح بعض علمائكم
 بأنه لا يجوز تقليدهم وبحج تقليد الشافعي ، فمن العجائب احتجاجكم بشي أنتم أشد
 الناس خلافا له وبالله التوفيق يوضحه

(الوجه الخمسون) ان الحديث بحملته حجة عليكم من كل وجه : فانه أمر عند كثرة
 الاختلاف بسنته وستة خلفائه وأمرتهم أنتم رأي فلان ومذهب فلان . الثاني : أنه حذر من
 محدثات الأمور وأخبار كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة . ومن المعلوم بالاضطرار ان ما أنتم
 عليه من التقليد الذي تركه كتاب الله وستة رسوله ويسر القرآن والسنة عليه ويجعل معياراً
 هليماً من أعظم المحدثات له والبدع التي يرأى الله سبحانه أنقرن التي فضلها وخبرها على غيرها .
 منه . وبالجملة فانه الخلفاء الراشدون أو أحدهم للامة فهو حجة لا يجوز المدول عنها فإن
 هنا من قول فرقة التقليد : ليست سنتهم حجة ولا يجوز تقليدهم فيها : يوضحه

(الوجه الحادي والخمسون) انه صلى الله عليه وآله وسلم قال في نفس هذا الحديث : فانه من
 يعيش منكم بعدني فيسري اختلافاً كثيراً وهذا ذم للمختلفين وتحذير من سلوك سبيلهم وانما
 كثرة الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعا
 كل فرقة تصير متبوعها ، وتدعو اليها ، وتذم من خالفها ، ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم لمة
 أخرى سواهم يدأبون ويكدهون في الرد عليهم ويقولون : كتبهم وكتبنا وأنتم وأنتماء
 ومذهبهم ومذهبنا ، هذا والشي واحد ، والقرآن واحد ، والدين واحد ، والرب واحد ،

قالوا جب على الجميع ان ينقادوا الى كلمة سواء بينهم كلهم وان لا يعطوا الا الرسول ولا
 يجعلوا معه من يكون أقواله كنصوصه ولا يتخذ بعضهم بعضاً رأياً !!

فلو اتفقت كلمتهم على ذلك واتحد كل واحد منهم بان دعاء الى الله ورسوله وتحاكموا كلهم
 الى السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف وان لم يمد من الارض . ولهذا تجد أقل الناس
 اختلافاً أهل السنة والحديث . فليس على وجه الارض طائفة أكثر اتفاقاً وأقل اختلافاً منهم
 ما بنوا على هذا الأصل وكلما كانت الفرقة عن الحديث أبعد ، كان اختلافهم في أنفسهم أشد
 وأكثر ، فان من رد الحق مرجح عليه أمره ، واحتلط عليه ، والتبس عليه وجه الصواب ، فلم
 يدرك بذهاب كمال تعالى (بل كتبوا الحق لمساواة ، فهم في أمره ، ويحج)

باب السؤال والفتوى

الحكمة في كون الانبياء لا يورثون

(س ١) انجي أمبوغن أحدني ستافوره: ما الحكمة في كون الانبياء عليهم السلام لا يورثون؟
 (ج) الحكمة في ذلك دفع شهمة الكافرين والمرتابين الذين يظنون ان الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام كالملوك والامراء كانوا يريدون بدعوتهم الثروة والجاه والسيادة. والحجة
 على هؤلاء ان سيرة الانبياء تردها الزعم وتبطله فقد كانوا معروفين بالزهد في الدنيا وعدم
 المبالاة بزخرفها والثناء بمجدها. وقد يقول التكرار المعهود في كثير من الناس ان يضيئوا
 ويقتروا على أنفسهم ليوفروا التراث لذراريهم وهؤلاء كذلك فكان من تمام الحجة ان يجعلوا
 ما يترون صدقة لآمتهم لئلا يظن انهم لم يتركوا حظا في الدنيا لآلهم في أنفسهم ولا لذراريهم بعد
 مماتهم وانما كانوا يقصدون بدعوتهم مرضاة الله تعالى بهداية خلقه وارشادهم الى ما فيه
 خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة

تكفير الحجاج الذنوب

(س ٢) عوض افندي محمد الكفر اوي زفقي: أفيدو ناعن الحجاج المبرور هل يكفر
 جميع الذنوب الكبائر والصغائر حتى التبعات أم يكفر البعض ويبقى البعض؟ وعن أصح الاقاويل
 والنصوص فيه لان يتناخلاق في ذلك

(ج) الاصل في القول بالتكفير حديث أحمد والشيخين وأصحاب السنن ماعدا أبا داود
 عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج
 المبرور ليس له جزاء الا الجنة» وحديث أحمد والشيخين وغيرهم منه «من حج فلم يرفث ولم
 يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وفي رواية للترمذي «غفر له ما تقدم من ذنبه» قال الترمذي هو
 مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا بالمبادي لا يسقط الحق نفسه بل من عليه صلاة يسقط عنه
 اثم تأخيرها لانفسها فلو أخرها بعد ذلك تجدد اثم آخر. وقال ابن عبد البر ان الذي يكفر هو
 الذنوب الصغائر، وقال الطبري هو محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وقتها أي
 فمن كان عليه حق لا حد فانه لا يكفر عنه الا العجز عن اداة مع نية الاداء عند القدرة. وقالوا
 ان الحج المبرور هو القبول والذي جاء على الوجه الاكمل باستيفاء الاعمال البدنية والقلبية ومن
 ذلك ان يكون المسأل الذي يفقه حاله. وأنشدوا:

إذا حججت بمال أصله دنس فاحججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله الاكل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

وإذا بحثنا في معنى التكفير وسره يتيسر لنا أن نفهم أن قول هؤلاء الأئمة هو المقول وأن قول بعض المتأخرين أن الحج يكفر التبعات والموبقات ويسقط الحقوق فاسد مخالف لاصول الدين وقواعد الشريعة . ذلك أن الكلام الإلهي والمهدي النبوي يدلان على أن الذنوب تدنس الأرواح وتُدَسِّسُهَا ، وأن الأعمال الصالحة تطهرها وتزكّيها . وأن تكرار السيئات يحدث في النفوس ظلمات معنوية إذا كثرت تزين على القلوب أي تمغطها حتى لا تعود تتأثر بالذكرى والموعظة وأن من أحاطت به سيئته بمثل هذا التكرار ، كان خالدا في النار ، وأن من تدارك الذنب بالتوبة والعمل الصالح الذي يكون أثره في النفس مضادا لأثر ذلك الذنب يفر له ويكفر عنه ، أن الحسنات يذهبن السيئات . «وإني انفارق لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى»

والحج المبرور الذي لارفت فيه ولا فسوق أي الذي ليس فيه كلام فاحش ولا خروج من آداب الشريعة وحدودها هو توبة نصوح وإيمان وعمل صالح له في النفس أكبر الآثار في اصلاحها لما فيه من الانقطاع عن الأهل والوطن والأعمال الدنيوية والاقبال على الله تعالى بزيّ الأموات ، وإحياء شعائر أعظم المرشدين ، والوقوف في مواقف أفضل المرسلين ، والتذكر بتقاربهم في تلك المعاهد المقدسة تهديا لله تعالى وتقربا إليه وخضوعا خالصا لجلاله لاحظ للنفس فيه فن حج مثل هذا الحج المبرور ، واستغرق قلبه بمثل هذا الاحساس والشعور ، رجي أن يمحي ما كان علق بنفسه من آثار الذنوب الماضية أو تناب تلك الظلمة بهذا النور وعند ذلك تنبث النفس إلى حسن الطاعة ، والاستقامة على طريق الهداية ، فتعمد إلى أداء ما عليها من الحقوق لله وللناس بقدر الاستطاعة فيصبح أن يقال أنها ولدت ولادة جديدة لأنها دخلت في دور من الحياة جديد ، وأن يقال أن السيئات الماضية قد كفرت وغفرت لأن الغفر والتكفير بمعنى تغطية الشيء وقد غطيت تلك الظلمة الماضية وسرت بهذا النور الحاضر

وأما من يتوهم أن التكفير والمغفرة عبارة عن أجره الحركات البدنية في السفر إلى مكة والطواف والسعي والوقوف في تلك المعاهد وأن مثاها مثال من

أفسد في حشر غني ونسله فكلفه بعمل شاق في مقابلة ذلك الافساد وجعل هذا في مقابلة ذاك - فهو الذي يجعل الدين ويرى ان الله ينظر الى حركات الايدان ، دون اصلاح النفوس والارواح . ولو كان الامر كذلك لكان كل من أدى أعمال الحج الظاهرة مقطوعا له بالمغفرة وكان للمرور ان يترك الفرائض ، ويتنكح المحارم ، ويتوغل في المظالم ، ثم يسافر الى تلك البلاد وبأني تلك الحركات ، ويعتقد ان قد سقطت عنه جميع الحقوق والتبئات ،

وقد قالوا ان الحج المبرور الذي يكفر السيئات علامات جماعها الاستقامة بعده . قال الامام الغزالي في آخر كتاب الحج من الاحياء بعد ذكر أعمال القلب فيه ما نصه : « فاذا فرغ منها فليزيم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدري أقبل حجه وأثبت في زمرة المحبوبين ، أم رد حجه وألحق بالمطرودين ، وليتصرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد نجافيا عن دار الغرور وانصرفا الى دار الانس بالله تعالى ووجد أعماله قد اترلت بميزان الشريعة فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه أبايس لعنه الله . فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نموذ بالله من ذلك ، اهـ

﴿ بعض حكم الحج ﴾

- (س ٣ و ٤ و ٥) سيد اقصدي نصر بالجيزة : (١) ما الحكمة في الوقوف بعرفة ؟
 (٢) ما الحكمة بجمع الجمرات من محل مخصوص وماهي حقيقة الرجم وأي شيء يرجون ؟
 (٣) هل يترزم من صناعة أم طيبة وماعلة تسميتها بهذا الاسم ؟
 (ج) الوقوف بعرفة في معنى الاجتماع لصلاة الجمعة الآن جماعة أكبر ، وفائدة الاجتماع فيه أهم وأكمل ، فان المسلمين يجتمعون له من كل شعب وقبيل ويقصدون اليه من كل رجا من أرجاء الارض فيتعارفون في موقف يساوي بين الملوك والامراء ، والصالحين والفقراء ، ما يجتمعون بزي واحد ، على عمل واحد ، ويتلقون من إمام المسلمين أو نائبه تمليها واحدا بالخطبة ، واما رمي الجمار فيقصد به التشبه بإبراهيم عليه الصلاة والسلام اذ كان في تلك المعاهد يني يد الله ويقتل الحجارة بنفسه ويساعده ولده اسماعيل . فان تذكر

قيام الرجال العظام بخدمة الدين بحي شعور الدين في النفوس وبعث الهمة الاقتداء بهم. وروح هذا التشبه وسره اضمار عبودية لله تعالى ولا يتأتى لامرده واقتضاه أثر رسله في الامور الدينية التي وضعت لاصلاح النفوس باحياء شعور الايمان والتعبد لله . والارمي الاذكار بمخصوصة يقصد بها ما ذكرنا فتكون الحصيات مع هذه الاذكار كالسبحة في احصاء الاذكار الماثورة بالعدد المعين وكانوا في الصدر الاول اذا عدوا يعدون على نحو الحصى والتوى . والعمدمة ما ذكرناه أولا من معنى التأسي والتعبد . واما بزمزم فهي كسائر الآبار ماء طبيعي وبناء صناعي وفي مائها معادن نافعة ان شاء الله تعالى . والماء الزمزم الكثير وروي ان هاجر أم سلمة عجل عليها السلام هي التي اعتدت اليه عند الحاجة وان الملك فجر مائها والملائكة موكلون بك شئ فهم أرواح الغائبه في امس الاسباب والله أعلم وقد كنا عازمين على أن ننشر في الجزء الماضي أو في هذا الجزء مقالا مسهباً في أعمال الحج الظاهرة والباطنة وفي حكمه وأسراره لروحية والاجتماعية ولكن الكلام في مسألة الفتاري المارضة شغلنا عن ذلك حتى سافر أكثر الحجاج الذين كنا نحب ان نزودهم بانكتبوا ملئنا ان أمهل الزمان نكتب ذلك في العام التالي ان شاء الله تعالى

✽ الصور الشمسية ✽

(ص ٦) عبد الكبير ايتدي المصطفى الخياط والمدرس في (روسيا) :
شاع في عصرنا هذا التصوير بالآلة مخصوصة ونحن مجبورون من حكومتنا الروسية على ان نصور بهذه الآلة في بعض الاحوال لاثبات اشخاصنا ومن ذلك ان من يريد منا ان يكون اماما في مسجد يكلف بأن يقدم صورته الى الجمعية الشريفة في أوقاف عند حضوره اليها لتأدية الامتحان لاثبات انه هو فهل يجوز هذا شرعا أم لا وما معنى الاحاديث الواردة في الهي عن ذلك ؟

(ج) سبق لنا في الماتر بيان السبب في الهي عن التصوير واتخاذ الصور بهيئة تدل على التعظيم وهو ان القوم كانوا قريبا عهد بالوثنية وكانت انكبة في الجاهلية مزينة بالصور المتقدمة ومنها صور بعض الانبياء فاراد الشارع ان ينسبهم تلك العبادة الوثنية التي افوها الثرون الطويلة وأنت نفوسهم هاتفهاهم عن التصوير وتعظيم الصور كما هم عن تزييف القبور واتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج عندها بل وعن زيارتها في أول الامر وعن

(تعليم النساء الكتابة) •

(ج) ان مؤلف ذلك الكتاب جاهل بالحديث والشرع فلا يعتد بقوله ولا
أخذ بقوله عن أمته من العامة وإنما تقر من كتابه المذكور شيئا حرصا على أموره
ان يضيع منه شيء في غير ذلك فاعتد على غيره والذين يرونه قد ثبت لهم
بغيره من أمته من العامة ولا يعتد بغيره من أمته من العامة

أي كتاب لاي مؤلف اذا لم يذكر تحريجه عن الحفاظ المعروفين . وكيف ينهى النبي (ص) عن اسكان النساء الغرف والله تعالى يقول « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » ولكن اين هؤلاء الجاهلون من فهم القرآن وتطبيق السنة عليه ؟؟

﴿ يعمل بخبر الجرائد في اثبات الصيام ﴾

(س ٨) الشيخ مقل الذكير في جزيرة البحرين : اطلعنا في الجزء السابع عشر من النار على بحث الصيام وفضله وثبوته فجزاكم الله عن الاسلام خيرا فقد أوجزتم وأحسنتم ولنا ههنا سؤال وهو اذا ذكرت الجرائد ان شهر رمضان قد ثبت شرعا ان أوله الجمعة وكان بعض أهل الاقطار البعيدة كخليج فارس والعراق قد رأوا الهلال ليلة السبت فهل يعتمدون على خبر الجرائد اذا بلغتهم في أثناء الشهر وبينون عليه اتمام العدة ثلاثين يوما اذا لم يروا هلال شوال ثم يقضون ذلك اليوم (الجمعة) أم يتمون العدة على حسب صيامهم الذي أوله السبت ولا يجب عليهم قضاء ؟ أفيدوا ما جوبرن

(ج) الواجب على من ذكرتم ان يعملوا بحسب رؤيتهم ويتموا العدة على حسابهم الا ان يروا الهلال ليلة الثلاثين بحسابهم فانهم بنوا صيامهم على اثبات شرعي صحيح . وما سبق في النار استحسانه من عمل أهل القطر المصري لا ينطبق على مثل ما ذكرتم فانه خاص ببلاد يمكن ان يعرف أهلها كلهم اثبات الشهر في الليلة الاولى منه ليصوموا جميعا ويفطروا جميعا فان الاجتماع والاتفاق في اداء العبادة من مهمات الشرع . وأما البلاد المنقطعة بعضها عن بعض فيجب ان يعمل أهل كل جهة بما يثبت عندهم ولا يعمل أهل البحرين بما ثبت في البصرة أو الهند أو مصر الا اذا أمكن العلم بذلك في الليلة الاولى من الشهر بطريقه ما مونة من التزوير وأتى لهم هذا ؟

﴿ كيفية الاعتقاد بالوحي ﴾

كتب كاتب الى الاستاذ الامام يسأله ان يكتب في النار كيفية الاعتقاد بالوحي وتعريف الوحي التعريف الذي يسهل على الفهم تناوله وعلى العقل قبوله ويقول انه اجتهد في فهم الوحي فلم يفهم المراد منه . فالاستاذ الامام يحمله على رسالة التوحيد فاذا قرأها وتدرى ما كتب فيها ولم يقتنع فليحضر نفسه الى محل الاقتناء في الازهر وليسأل عما اشبه عليه يجب عنه واذا لم يتسر له الحضور فليكتب ما يشبه عليه

نظام الحب والبغض — تابع ويبع

(حب القوة)

— رابطة الدين —

قد بينا هنا لكم أن رابطة القومية لا يمدونفعها قدر اطفيفا كأن يعين الرجل رجلا من عثرته على رجل من عثرة أخرى . وأن هذا القدر لو ابلت عليه الانسان استمر على الحيوات التي ينهش بعضها بعضا . وهناتين كيف حدثت هذا النوع رابطة أخرى . وكيف أورت قوة عظمى . وسارت به في الارتقاء مسافة كبرى .

أما التاريخ فلا يعطينا هذا البيان لأنه انما حدث بعد حدوث هذه الرابطة . فبنا هذا تأخذ بمقارناته في طبيعة الانسان وعناية قاطره به .

❖ تأسيس ❖

ان من المحقق المحسوس ان الاقاليم والاعمال والاعمار تحدث في أهلها ثم في أعقابهم من الصفات الجسدية ما يجعل بينهم وبين الآخرين فروقا بتدريج صغيرة ثم تكبر . فهذه من جملة الاسباب التي أوجبت — على التصادي — الفروق التي بين ابدان البشر . وليس من صدقنا الآن التصدي لذكر الاسباب الاخر . بل نكتفي بهذه لدعمها مقدمة أردنا اثباتها هنا وهي انه « كالتفاوت الابدان لاسباب متفاوت الافكار لاسباب » (ولم أر انثال الرجال تفاوتاً)

ومن المحقق المحسوس والمقول ان بين القوى الثلاثة التي في الانسان ارتباطاً فالقوى الظاهرة مسخرة للنوعين الآخرين من قواه فهي بها قوة الادراك — التي نسميها الفكر أو العقل — وقوة الطلب والارادة — التي نسميها القلب — واتنا نجد أن العقل والقلب يكونان على مبلغ البدن من الصحة والاعتدال والقوة . ثم نجد لصحة البدن أسباباً منها صحة الادراك واعتدال الارادة .

هذا الارتباط دقيق جداً وفيه شبه الدور الذي يمنعه علماء التصور والتصديق (المنطق) ولدقته خفي على أكثر الناس إذافة كل قوة على أختها في التأثير .

فمن الناس من ظن ان صحة البدن هي التي تتيج صحة الفكر والارادة . وقد نسوا ان أصبح البها ثم بدنا لا تنفوق بالفهم أضعفها . ونسوا أن الذين ليس لهم نصيب كبير من الحياة النوعية —

كرماء الابل — أقرب الى صحة الابدان منهم الى صحة الافكار ونحن بهنا الاحتجاج لم نرد تنقيد ذلك الرأي من كل الوجوه بل من وجه الجود على هذه الجهة وحدها . وآخرون ظنوا ان الاصل صحة العقل فهي التي تنتج صحة البدن والارادة . وقد نسوا ان أقوى الناس عقلا لا يفوق بصحة البدن ضفاف الادراك وبصحة الارادة ضفاف الابدان .

كل هذه الغثون نشأت من الشهور بذلك الارتباط ولكن لم يرافقها التدقيق فسميت بالارتباك . والظن السديد الموطود ، هو ان الارتباط موجود ، والدور مفقود ، والامر دائر على فصل لطيف بينها . فحبة القلب للعقل والبدن تنيف لثافة قليلة على اتها بهنما . وحبية العقل للبدن تنيف قليلا على اتها به منه . ثم وراء الكل للعقل والقلب جاذبان ضدان مستتران قدما وجدما باري الكل محكما للعقول ليخلص الطيب كما يخلص الثور من الغناء الاحوى . ولا يستل من خلق الاضداد ما خلق . سبحانه هو المنزه وحده عن الاضداد والانداد

هذا ما ظهر لنا من كيفية الارتباط بين قوى الجسد الظاهرة والباطنة ثم علاقتها بالامرين الفييين وهو يعرفنا أنه مهما يكن للامور الحسية من تأثير فان وراءها مورا غيبية . وانه مهما يكن للامور الغيبية من تأثير فان للامور الحسية دخلا وشركة . وتتم هذه المعرفة احترام الاسباب الظاهرة أدبا مع من لم يوجد لها عبثا وتشوف النفوس الى ما وراء المعارف الحاضرة ويمثل هذا كان رقي النوع في المعارف . ويؤخذ من هذا ان أوائل علوم البشر كلها الهامية وحية وأن الهام كل فرد يكون بحسب قواه .

ومعنى الهام او الوحي في اللغة الالتقاء في الزرع أي الاخطار على البال . يسد أنه يكون على ثلاثة انواع يختلف تعريفه اصطلاحا بحسبها .

النوع الاول : عام وهو ما تكون به هداية كل نوع لما يصلح له قوامه كالذي نراه في فطر آكلة العشب من اجتناب الاعشاب التي لاتلائمها من غير معلم ومن غير تجربة سابقة كالخيل والبقرة والانعام . كالذي نراه من اتخاذ كل نوع من الانواع المتعادية اسبابا لدفاع والم هجوم من صيادي وخدائع . اعتبر بذلك من صفات الحشرات

الى كبار السباع . وكالذي نشاهده من استشفاء البعض منها ببعض الاعشاب كالسنابر والكلاب . وكالذي تراه من نظام الحيوانات المتقادة لرئيس منها كالنحل والنمل . (*)
 والتوع الثاني : خاص وهو ما تكون به هداية هذا النوع الانساني في حياته النوعية وشؤونه الخصوصية . ومن هذا الباب الرجاء الفجائي وأوائل الاختراعات على اختلافها . (**)

والتوع الثالث : أخص وهو ما تكون به هداية بعض الافراد في معرفة شيء من عالم الغيب الذي من نحوه وردت نواميس عالم الحس فكان يسا قوامه ونظامه ***
 ويقابل هذه الهدايات في التوعين الآخرين اضلالات تأتي من جانب أحد الضدين المجتنبين المتجاذبين لقلل الانسان وقلبه . حتى يصعد ذوهدي من النوع الاخير الى أعلى عالين ، وينزل ذو ضلال يضاد الى أسفل سافلين (****)

ومن ثمة لا يكون هذان النوعان الاخيران لافراد أهلها على وتيرة واحدة ولا لما كان التفاوت المكتوب . وإنما يكون أهلوهما متفاوتين على مقدار قابليتهم في الاهاب . فمن الناس من يتلم من معلم صنعة ثم يوحى اليه ان يجرب تجربة لم يتعلمها ليزيد في تلك الصنعة شيئاً جديداً ومنهم من لا يوحى اليه ذلك أو يوحى اليه ان ينقص منها . ومنهم من يوحى اليه ان يتدنى ويخترع أمراً لم يكن من قبل ولم يعلمه إياه معلم . ثم يوحى اليه ان يعلمه للغير أو ان لا يعلمه .

ومنهم من يلهم علم أمسيكون (١) ومنهم من ياتي في روعه ان ينفع غيره

(*) شاهد هذا النوع من القرآن المجيد « وأوحى ربك الى التحل »

(**) (الشاهد : - وأوحينا الى أم موسى - الآية . . .)

(***) (الشاهد : - انا أوحينا اليك كأوحينا الى نوح والتينين من بعدم الآية

(****) (الشاهد : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى

بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » (١) ان علم كل شيء من الامور الغيبية لا يكون لاحد من البشر كما لا يكون العلم لاحد منهم بكل شيء من الاشياء المحسوسة . أما الامور الخفية التي هي من عالم الحس فالعلم بعضها ليس بتربيب بالنسبة بل بنظر هذه البقعة الثرية . وأما الغرب العلم بالامور التي هي من عالم الغيب فهذه هي التي يوحى بعضها لمرسل المظهرين .

وممن من يأتي إليه ان يضر الغير ومنهم من ينشر صدره لتصديق الملهم ومن لا ينشر صدره وهكذا .

هذا ويرى مطالبنا مطالب بتسمية ذنك المتجاذبين المجتنبين فاقول انه قد سمي من قبل جاذب الخير والسادة والفضيلة بالروح الطاهر (القدس) ، والامين ، وعون الله ، وحبر الله ، ونصر الله ، وأمر الله ، وروح الله ، وبالثور ، والشفاء ، وكل جيل . وسمي جاذب الشر والشفاء والرزقة بالروح التجسس (الرجس) واللعين ، ولعن الله ، وغضب الله ، وخزي الله ، وبالظلام ، والمرض ، وكل قبيح .
والكني أحب الذين يدركون خواص المسمى اولاً ثم يلتفتون الى الاسماء فان وافقت المطلوب كما هنا والا اتمسوا المطابق وأكره الذين يلتفتون للاسماء اولاً ثم يتجافون عن الخواص التي ربما لا تظهر لهم من الاسماء . أو يتجافون عن أسماء لم يسموها لخواص كانوا قد سمعوا بها .

بناء

بناء على هذا الاساس الذي مكناه نخال أو نقول :

إن البشر لما تفاوتت أبدانهم وعقولهم وقلوبهم للاسباب الظاهرة والباطنة تفاوتت محبوباتهم ومشتبهاتهم ، وحرص كل منهم على مشتهاه ، واتخذ ليله هواه ، وافق ذلك المشتهى لغيره ولم يوافق ، طابق ذلك التأليه للانسانية ولم يطابق ، فتكون بينهم العدواة والبغضاء ، وأمسى القرباء بعداء ، وزين للاقوياء منهم حطلم الضعفاء ، وماذا تكون عاقبة الاقوام ، اذا آلهوا بالحكام ، وتعبدوا بدم الحسام ، الا يستجير الضعاف ويخارون ، الا يسرون بطلب المتاص ويجهرون ، فمن ذا الذي يجب دعوة المضطرين ، أقنسمها الاحجار ، أقنستجيب لها الاشجار ، أقنستها الحشرات ، أقنستها الجمادات ، أقنسمها نفوس الذين من نارهم تنج ، ومن غبارهم تنج ، لمن يشكون ، أتسمهم الكواكب وتبصرهم ، أتجبر كسرهم وتصرهم ، أتقدر ، أم كل ذلك عنها يسد ؟ فبحول يعالم القيب قايس الامن لذلك يرسل الخالق هذا المدد الذي يحتاجه كل عوالم الارض خاصة ، وأشرفها منية وأعظها قوة ، وأكرمها منزلة .

ألم تسبق عناية الفاطر ان تعد لهذا المصنوع البديع ما لاراء الابصار ، ولا تسمعه الاذان ،

ولا تبلغه الاذهان، فها هو ذالم يجد حاجته هذه عند تلك المحسوبات، من الجادات الارضية فصاعدا الى نيرات السموات، فهل خبأ له هذه الحاجة الا في خزائلك يا عالم الغيب، نجل لنا بأوارك، أشرق علينا بأسرارك، متعجباً بحالك، هبنا من كالك،

بلى قد سبقت عناية القاطر وهذا برهاتنا، وظهرت منحتنا وهذا سلطاننا:

إنه كان رجال مطهرون مصلحون يرشدون الاقوياء الى العدل الذي ينفعهم أنفسهم وغيرهم يرشدون الضعاف الى أسباب القوة التي يدقون بها ظلم الظالمين . وعلى هذا النحو أسسوا أول ميزان في الارض لتوزن به ذات كل بالسوى، وتعرف به حدود القوى، فيكون الرجا والتقوى « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا » هي القرية التي لها بعد « فَأَنَّ الْجَحِيمَ » (على أنواعها الحسية والمنشوية) هي المأوى ، * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ (الذي يرى غيره كإبراهيم، وقويه كإقويه) وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَأِنَّ الْجَنَّةَ (على أنواعها الحسية والمنشوية) هي المأوى ، «

ثاقلة الحداد، لم تخلق سدى، وان للحظة الدنيا غدا، ان هذا لقول من دعو الى الهدى، في كل الامم واللقى، من أول الازمان حتى المدى.

هذا الذي أشرنا اليه هو مبدأ تاريخ الدين القويم ولزيادة التوضيح نقول :

لما كان الفساد يكثر كان رجال ممن تطلب فيهم الروح الطاهرة يقومون للاصلاح ويرهنون للناس على انه اذا لم توضع المطالب والمجوبات حدود ويخضمون لها يفسد النظام ويفني بعضهم بضامن حيث لا يستفيد آخر من فني الكل . وكان الناس منهم من قبل ومنهم من يمرض اذا لو قبل الكل لمن أصلح لما كان اليوم من فساد قط . ولو قبل الكل لمن أفسد لما كان اليوم من نظام قط . بل قد كان اتباع المفسدين أكثر لان الفرق بين المصلح والمفسد كبير هو فرق ما بين الضدين . واذا كانت درجة المصلح عالية كان الاقربون منها أقل من الابدعين . ولولا ان للاصلاحات قوة تؤيدها التلاشى كل اصلاح قام به مصلح منذ الدور الاول حتى هذا الدور . ولكن تلك القوة المؤيدة هي التي تقوم للمصلح ومن يقاربه بمقام الكثرة فقد تكون عظيمة ويطيف من اصلاح بنفوس المفسدين خطرات موقظة من حجة تعجزب فريقاتهم وترجمهم عن غيهم . وقد تكون شعبة ويطيف بنفوس المفسدين طائف

من الروح الخبيث فيهلك المفسدون دعاة الإصلاح ومتبعيهم . ولكن لا يلبثون بدمهم الا قليلا حتى تبيدهم طبيعة الفساد تقوم الحجة فيما بعد .

وهذه خلاصة هذا الامر : (١) انه في القديم فسدت العشائر (٢) فقام في كل قوم مصاحبتهم . (٣) فلم يؤمن للإصلاح الا قليل (٤) وزاد المفسدون (٥) فأبادت طبيعة الفساد من أبادت منهم من الطاغين (٦) واعتبر آخرون (٧) ثم لسوا ما ذكرناه فأصابهم ما أصاب الاولين (٨) لتكون آية في الآخرين (٩) وما ربحوا حتى تواتر المهادون (١٠) وعلا شأن الميزان والوازنون . (١١) وخسر هنالك الطاغون والمطفون ، « الذين اذا اكتملوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أوزوزوهم يخسرون » .

هذا هو تاريخ هذا الامر فيما قبل التاريخ . واما من بعد ذلك فلكل أمة كتب منكم من يعلمها نقص عليهم أبناء مصلحين عرفوهم ولم تعرفهم أمة أخرى . والجدير بالذكر بعد كل ما تقدم أن دعاة الهداية الذين قاموا في أقوامهم بالسننهم قد أثمر عملهم من بعد حين ثمرة كبيرة جدا وهي ربط أقوام كثيرين تحتاني الانساب واللغات بمبادئ واحدة يدينون جميعا بها حتى يكون اسم امامهم فيما بينهم جميعا مقدسا بل حتى يكون حلف الشفاف من أقدستهم ، وعمدة الحلف والاقسام في ألسنتهم ، مثل هذه الحال من قوم أو أقوام ، تقوي بينهم أو أصر القلوب ووشائج الافكار وهي أهم من أواصر الابدان ووشائج الارحام

هذه هي القرابة التي تقرب البعيد ، وتحبب الغريب ، وتحمي الضعيف ، من كيد القوي . هذه رابطة الدين ان سألتم عن اسمها . واحدى مراقبي الانسانية ان سألتم عن رسمها .

وقد عرقم الآن كيف كان كونها ، وكيف صار كونها ، وأوصيكم أن لا تحمدوا وتظنوا أن وحي الانبياء هو من قبيل ما ذكرنا فقط . بل هو من أفق آخر أعلى . أثبتناكم من أجله بالاشياء والامثال ، وأريناكم في مرآتي الكون الانساني أسفلا سافلا وأعلى عال ، ومن لم ير ينايع السيون الصغيرة فربما لا يعرف كيف تنجر الانهار العظيمة من الارض وقد يظنها من السماء ، وانما الفرق بينها وبين الصغيرة بحسب المدد فتمكروا وتذكروا ،

ومعنى الدين الطاعة والتعاليم وتكون من هذه الطاعة الصومية قوة يكون عظمها على مبلغ أهلها من قوة الأبدان والقول والقلوب وكثرة الأفراد. وكيف ما كانت فان هذه الرابطة تقضي ان يكون الكل في أنفسهم وامام غيرهم كرجل واحد. ويظهر ان من مقتضياتها العباد نالية كبرى تضاهل بل تتلاشى فيها الصبرية حتى لا يكون لامة غير . ولكن هذا لا يتم من جهتها حتى يعلم افراد لامة حق العلم ما هو الجوهر الحقيقي للدين القويم . ويعملوا حق العمل بما يطبع في النفس ذلك الجوهر المطلوب .

وقد استبعد هذا قوم حكمو ان الاديان لم تزد الناس الا تبادي وزعموا انها لم تزد الا زيا آخر من أزياء رابطة القومية من ركشاقيلابما هذبت فيه يد التجارب وقسموا منها تضيق الدائرة على الناس في تصوراتهم وفي عاداتهم وأعمالهم بكثرة ما يأتينهم مؤسوسها من فروع الامر والتهي . والقطع والجزم ، في مسائل يحتاج في ادراك اسرارها الى تبصر عقل سليم ، وزروي ارادة معتدلة . ويترك هؤلاء بما تصف ألتتهم وأقلامهم من الاديان حتى يعدوا عن الحكمة وهم يظنون القرب منها ، ويضلوا الحقيقة وهم يرون أنهم وجدوها .

ولذلك ناسب ان تأتي في نذرتا هذه بما يفند من مزاعمهم ولين لهم ولغيرهم منشأ هذه الزايم ليتفكر من يتفكر ، ويذكر من يذكر : نعمة بقية (ع ٥ ز)

﴿ بزم - صقليه ﴾

٣

(مسبنا ومقبرتها)

نسبت ان أضع في جانب المقابر مقبرة مسبنا وهي مقبرة في الجنوب الغربي من المدينة وأنت اذا قلت لصقلي : اتى ذاهب الى مسبنا : يقول لك في الحال : لا بد ان ترى المقبرة : وهي جزء من المدينة بحسب مدينة نفسها فيها مدافن للاسراء والاعيان مبنية على أجل نظام وأقربه الى السذاجة وفيها مكان شاذ رفيع يدفن فيه أرباب الشهرة من المهندسين والشعراء ونحوهم . وطريقة الدفن في تلك الاماكن تختلف بعضها على الطريقة اليهودية من وضع صندوق الخثة تحت الارض وبعضها يوضعه في صندوق ضخيم كبير لا تمكن سرقة على ظهر الارض ، وبعضها في بيوت تفرس في عرض الجدر المربعة

وهكذا . والمقبرة مزينة بأغراس من شجر الصنوبر وضرب من فصيلة الصنوبر يشبه الابل وليس به ولا أعرف اسمه بالعربية سوى أنه شيء من كبار الطرقات، لكنها نظمت بيد أوروبية تعرف كيف تمنح النبات لارادتها فتوجهه الى الوجهة التي تريد . والطرق فيها على غاية ما يرام من النظافة والانتظام، وهي انظف وأجل من كثير من شوارع مدينة لاهيا (مسينا) ثم اتها تأخذ من أسفل الطريق الى قمة جبل اذا صعدت عليه نظرت وأنت في المقبرة من البحر والساحل أجل ما تنظر عينك من اللاأواء والضرة في المواقع المختلفة ، ومن الاشكال الطبيعية، ويداعج الاعمال الصناعية ،

يظهر أن المقبرة أعجبتني حتى انطلق قلبي في وصفها فكأنه قلم صاحب جريدة يتطرق في السياسة المصرية لبيان مناحيها، ووصف ضواحيها ، - أعوذ بالله - يوجد في هذه المقبرة مواضع مخصوصة للفقراء قد صفت فيها قبورهم على نظام محكم تراها كأنها خطوط مزراع القطن في أرض غير معتدلة تقصر وتطول وعلى رأس كل قبر صليب أسود يخيل للرائي من بعيد أنها أجنحة التربان الجامعة على بقايا الجبان . لا زال في وصف المقبرة كما لا يزال بعض الناقلين عن أنفسهم في بلادنا يشتغلون بالسياسة . عن الادب والكياسة

ماذا أقول في وصف هذه المقبرة ؟ مدينة جميلة الناظر ، بديعة الداخل . بعيدة الخارج ، الداخل فيها أكثر من الخارج منها ، قد احتير لها شجر الصنوبر زينة من بين الاشجار ، لانه في خضرة دائمة وحياة مستمرة ، كأن ارواح من يموت تنتقل اليه بدمقارقتا الاجساد فهو لا يزال دائم الحياة في الصيف وفي الشتاء والحريف والربيع ، مدينة زينها الاحياء في حياتهم ، ليعودوا لاقائهم - فيما يزعمون - بعد مماتهم، وهكذا من كان على يقين من الرحيل الى دار هيا تلك الدار للسكنى وأعد لنفسه فيها أنواع التعم ليطيب له المقام ، ولا يقلق به المكان ، لكن هل يكفي أن تزين لنفسك مقرا لجنتك وأنت لا تدري هل تشرع هناك بما زينت ، أو تؤخذ عنه اذا مت ، فهل زينت دارا اروحك بالطيح ، كما زينت دارا لجنتك بالزهر والتبت ، ؟ أخطبك وأنت مصري من سكان القاهرة لا ترى في مقبرتك ولا في الطريق الموصلة اليها الا ما ينفك من الموت ويتصلق فيه ، غمر من التراب ، وتلوث من التراب ، تذكر بها أمك من التراب والى التراب ،

إذا بُنيت فيها مسكنا فليست تبنيه لنفسك يوم تموت ولكن تبنيه لتقيم فيه بنو
الاموات وتشاركهم في المسكن وأنت حي تقضي فيه الايام من رجب ومن شعبان ومن
شوال ومن ذي الحجة وبعض أيام من بقية الشهور تأكل وتشرب وتنام ولا تشبه
جيرانك من أهل المقابر الا في الثوم الثقيل ولا تستحي من معاشرتهم وأنت تأكل وهم
لا يأكلون، وتضحك وهم ربما يبكون ، وتلبس وهم لا يلبسون ، تأهو بالقبيل والقال ،
وملاعب النساء والاطفال ، وربما أقت في المقبرة متسبيا بلواله وجابت بذلك اليها
من المتقين والمطربين والعازفين ، ونصبت فيها الحيام ، وصنعت من لذيذ الطعام ، مبدءوا الى
تناوله العلماء الاعلام ، والأتقياء الكرام ، فيأبوا دعوتك زرافات ووحدانا ، مشاة
وركبانا ، ويخوضون في غمار اللامعين الى ان يصلوا الى حيث نصبت خيامك ،
وهيأت طعامك ، على ظهور الاموات ، وبحوار تلك الرفات . وتبيت ليلتك تأهو
وتأتب ، وتصحح وتصحب ، كأن الموت قد فارق ديارك ، وكرم جوارك ، وفر من بين
يديك ، مشمئزعا بما يرى لديك ، امام قبرة سينافلاترى فيها آكلا ولا شاربوا وأتأثرى الزائرين
في سكينته ووقار لا يشكلمون الاحساء بما شيهم ولا تكاد تسمع لهم جرسا ،

❦ صخب الصقليين وتسولهم وكسلهم ❦

أهل مسينا من اهالي سيسيليا وسيسيليا هي جزيرة صقلية التي ملك فيها العرب نحو
مئتي سنة وكان منها كثير من العلماء والفقهاء والمؤرخين والفلاسفة والصوفية وبعض الزنادقة
وكل صنف من صنوف أهل العلم والتتبيين اليه كما كان في العراق والشام والاندلس . وقد
ترك العرب آثارا في البلاد منها ما تقدم ذكره وهو مما لا يذكر ومنها كلمات في لسانهم
كثيرة كالشروق للربح الشرقية وكالبسة والطلعة والشر ونحو ذلك من الكلمات التي
ترشدك لأول وهلة الى أصلها والى البلاغ التي حملت منها . ولا أظن ان الصياح والصخب
الذي احتض به اهالي سيسيليا يكون من ميراث العرب برحمتهم الله فان اصوات السيسيليين
أشد قرعا ، وآلم في الاذن وقعا ، واني لأشك في ان حناجرهم أشد تمزعا على الصراخ
بغير داع من حناجر أهل كفر الجاموس (٥) أو سكان عرب يسار ، أما العرب فكانوا
يصيحون في الحرب والجلاد ، ويسكتون عند الرجوع الى البلاد ، ولعل هؤلاء استعملوا

(٥) كفر الجاموس منزعة بالقرب من عين شمس في ضواحي مصر

في السلم ما كان يستعمله أولئك في الحرب كما يفعل بحرية يافا وبيروت من تنور سوريا
أما الاممال والكسل فلا أدري هل هو من طبيعة البلاد أو من ميراث تركه بعض
السلف من الفاتحين ؟

ويل لك اذا عرفت بأنك غريب فانه يشبك السائلون الملحفون ، والمكتدون
المجدون ، ويلزموك حتى تعطي شيئا من النقد ، ولا فرق في حالاك بين ان تجلس
في قهوة ، أو تمسكون في زيارة معبد ، أو في تفقد مكتبة أو دار آثار ، تجد من
ذلك الماتجده عند المتبولي ولا عند ضريح الأستاذ اليومي (رضي الله عنه) ثم تجد
الناس في الساحات وقوفا أو جوالين لا يدرون ماذا يعملون وانما يتقرب الى
الغرباء من يظن القدرة في نفسه على ان يفترس منهم فريسة لكن يمكنك ان
كان عندك صبر أيوب وسجاجة بعض السباين عندنا من المصريين أو السوريين ان
لا تعطي شيئا أو تهرب اذا أردت

لملك فترست شيئا من الكسل في حكاية ما وقع في فهرس الكتب العربية
في المكتبة العمومية ، ودقر الاسماء في دار المحفوظات ، وأزيدك انك اذا ذهبت عند
شركة الملاحة (بكسر الميم وتخفيف اللام) للملاحة ففتح الميم وتشديد اللام كما يقول
بعض أكابرنا فان التشديد يجعل الكلمة موضعا للملح الذي يوضع على الطعام ويتناول
أحيانا للإسهال . أما التخفيف فهو اللازم في اسم الشركة لحقة مراكبها في السفر على
البحر المالح وأظن اللفظ يرجع أيضا الى رقيقه فان في البحر ملحا أيضا لكنه
ليس يكثر كالذي في تلك الكلمة المشددة) وجئت مكتب الشركة لتطلب تذكرة
سفر مثلا فتجد العامل يحرك يده ببطء كأن بعض أجزائه ينازع بعضا فاذا فرغ من
الكتابة على هذا الوجه القتال أسرع بمد يده اليك لطلب المبلغ فاذا دفعته اليه وكانت لك بقية
من التقديز مردها اليك كادت يده تشل بجأبه وأنت تنظر اليه وتتظر أن تتناول مالك
وتصرف وهو ينظر اليك كأنه يمتنى ان تنسى مالك عنده أو تمل الانتظار ويأخذك الوقت
فتتركه وهذا ضرب من الكسل في أداء الحق ونوع من البطء في العمل لا تجد حتى في مصر
حرسها الله فان العمال عندنا حتى في زمن الصيف لا يسمحون لأعضائهم ان يعود
هذه المادة الرديئة

﴿ رثاء الصقليين ووساختهم ومقابلاتهم بالصرين ﴾

امانة لللبس عند الفقرة وندس الثياب وعدم العناية بالنظافة في كثير من الشئون فذلك مما انجده مثالا في كثير من الاحياء عندنا ، واني اقص عليك فكاهتين وقتنا في النزول الكبير التي نزلت فيه - رفع الله عماده - كنت اطالع في جريدة خطابا للقاه بعض أساتذة السويون في باريس لمناسبة رفع تمثال للكاتب المؤرخ الفرنسي رنان القاه في بلد رنان التي ولد فيها وكنت مستغرفا فيما يقول الخطيب عن القيسيين وتعاليمهم وعن الاحرار اطال الله في انهم وما يرونه في فلسفتهم واذبحناهم التزل دخل علي ومحتا بطله ولد صغير في الخامسة من سنه تقريرا وقد علا الوسخ وجهه الصبي وهجم القدر على عينيه يريد ان كلهما وانفه وفيه سيلان ذلك بما تعرفوه هنا بما لا يخفى عليك ويده عنقود غناب يتناول منه حبة بعد حبة وماء كل حبة سبل من شديده اذا رأته امكنت ان تحلف بشيء من الطلاق أو العتاق ان أمكن ان هذا من ذرية الشيخ الدعكي رحمه الله وان روح الاستاذ ظهرت في مظهره اللطيف ، واذا كنت واحدا من بعض الاعيان أو بعض من يزج بنفسه في العلماء الذين تمهد لهم أقسمت في الحال انه ولي من الاولياء مجذوب من المجاذيب . فاذا ذكرك مذكر أنه إيطالي قلت لا يبعد على الله ان يكون قد ملأ قلبه جنبا وولها ورزقه من ذلك في صفه ، ما لم ينله الدعكي في كبره ، والا فكيف تسبل سعايبه الى هذا الحد ويكون ليس بمجذوب ؟ هذا خلف . ووعا حملك حسن الاعتقاد على ان تذهب الى المحمل الذي تعرفه وتستخرج من بحر الانساب ما يصل نسبته لمن لا يصح لاحد ان ينتسب اليه مادام على مثل هذا الاعتقاد . فانظر ببشك الى هذا الطباقي والتقابل بين ما كنت مستغرفا فيه وبين ما فاجاني من هنا المنظر أنكريه ، هل يمكنك ان تحدث نفسك بما اذا دافعت عن نفسي في هذه الشدة ؟ دفت فرنكا واحدا وميته على الارض فالتقطه الصبي كما يلتقط المصفور حبة الارز وكر راجبا لا يبالي بتاخر أبيه عنه ليشكرني على ذلك الاحسان كأن الصبي كان يخاف ان اتبعه لاحد الفرق منه . لا تظن أنني أبالغ في كلمة مما قلت فإرايك بهذه الوساخة :

اما تلك الكاهنة الثانية فقد كنت على مائدة الطعام في محل نومي من ذلك النزول لثقة السياح وسعة قاعة الطعام بحيث تكبر عن ان يجلس فيها شخص واحد فلما جاء صنف من الطعام يحتاج الى الملح تيمت الى الملاحه (هذا المرة بتشديد اللام لان فيها ملحاً) كما تسمى . نظرت الى الملح فاذا فيه انقط السواد ما أكثر من نزغات الشيطان ، في قلوب أهل الفسق والعصيان ، وأغزر من الخطيئات ، في بعض الزارات ، فظنرت الى الخادم وأخذت الملاحه وأنشأت أنكث ما فيها من

التقط السوداء نكتة نكتة وأصعد نظري في وجه الخادم وأقطب وأظهر التمزق ولازلت كذلك حتى فهم أن هذا شيء من الوسخ لا أستطيع تناوله فعد ذلك تناول في الملاحة بغاية الكسل ثم ذهب وأطال الغيبة وبعد ما كدت أغضب مع سعة حلمي في السفر جاء بملاحة أخرى أوسع من الأولى وأظهر منها ملحة فكا أنه يفهم أن الوساخة مما لا يابق لكن لا ينهله هنا الفهم إلا إذا قال له شخص آخر أن النظافة خير منها وأن الوسخ شيء تفرز منه النفس . ويفر منه الحس .

أما مثال هذه الواقعة الثانية فما يكثر في خدمنا بل في بعض ساداتنا ربه الله حياتهم فاتهم يظنون بأنهم في الخيث والحيث وورعاً حاكم وفيه بوصفه لكم بل لا ينزهون المكاره عنه بل ربما لا ينزهون أنفسهم عن اللوث به إذا أمرهم بذلك أمر فعد ذلك يمتثلون الأمر بغيره المختار، وعزى الحيار، ثم يحدثك أحدهم بحسن ما يصنع مما أمر به كأنه هو الذي يدفع إليه من نفسه كأن الأمر الصادر إليه هو الذي أكسب الشيء حسنه وحلا به بوصفه . وأعوذ بالله أن يكون هذا هو مذهب الاشاعة الذين يقولون إن حسن الفعل هو الأمر به وقبحه هو النهي عنه والله لا حسن ولا قبح لشيء في ذاته فاني على يقين أنهم لا ينزهون به ما يحبه أولئك الآلات في أنفسهم . وما عليك الآن تبحث في رأي الفريقيين حتى تقف بنفسك على تحقيق الشبه أو فيه فاني الآن لا أكتب كتاباً في علم الكلام ، ولا أكتب أسطري هذه الافاضل من أهل الفن فاتهم أعلى من أن يستفيدوا من قراءة أمثال هذه القصص أوسع الله من عقولهم حتى تسع أهالي بلرم ومسينا وما ذلك على الله بعزيز

الذي يخطر ببالي من أسباب ذلك إذا أخذنا الجبد أن هذا شأن العامة من الامم التي طال فيها زمن الاستبداد وتصرف الارادة الواحدة في جميع الارادات مع ما يطرأ على تلك الارادة الواحدة من الاختلال وفساد المزاج فتأمر بالشيء اليوم لانه من هواها، وتسمى عنه غداً لانه لم يبق من مشتهاها، وأمرها واجب اطاعة، وفي مخالفته إضاعة أي إضاعة تقتضود الانفس على تعاطي الاعمال لا لأنها مختارة بل لأنها مما ترضى به، ويخفى عاها وجه الحسن والقبح لأن التمود على العمل مهما كان قبيحاً يبرزه لانفس أو يسهل عليها مقارفته . وسهولة المقارفة انما تنشأ عن عدم الاحساس برائحة القبح ولو بقيت في شامة النفس لمافته ولما أهكها تعاطيه . وكذلك يخفى وجه الحسن في الشيء . وفي خفي وجه القبح في ضده كما لا يخفى عليك ان كنت من المدققين خصوصاً في علم أصول الفقه الحنفي وقرأت ما كتبه العلامة النزي والحقي الحميد وغيرهما على التلويح للعلامة الثاني سعد الدين التفتازاني حاشية

أوضح على مختصر البردوي . اما اذا سألني عن العلامة الاول في مقابلة العلامة الثاني فاني لا أذكره الآن وان صدق ظني يكون هو عبدالقاهر الجرجاني ولكن الافضل لك أن تسأل شخصا آخر من مدرسي حاشية التجريد للثاني فان من يقرأ هذه الحاشية يسهل عليه وزن العلمين ، وتحديد الفرق بين العلمتين . - وربما قال لك ان الاول هو القطب الشيرازي لان سهولة كلام الامام عبد القاهر وسلاسته تمنهم من جملة العلامة الاول - وان شئت ان لا تشتغل بهذه المسألة فهو أفضل من ذلك الافضل ويكون أفضل التفضيل الاول على غير بابه والسلام . وانما المهم فيما نحن بصدده ان الارادة السلبية ، والطبيعة المستقيمة ، يمكنها أن تميز الملح التظيف من الوسخ وتنتقي بتقديم التظيف الى الضيف من أول الامر ، بدون احتياج الى اصدار أمر ، وقس على على ملح العلماء بقية الاملاح كالتحوم ملح العلم والعلماء ملح العالم وهكذا كل ما يحتاج اليه في اصلاح الاغذية بدنية كانت أو روحية دينوية كانت أو دينية . اما اذا كنت لا تعيز ولا تفهم الا بأمر فترى حتى يأتي الله بأمره والله شديد العقاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاحتفال لتذكار تأسيس الدولة العلية ﴿

نرى الاوربيين في مصر يحتفلون في كل عام احتفالات عمومية لدولهم أهمها الاحتفال للجمهورية الفرنسية والاحتفال لاستقلال إيطاليا وان لهم في بلادهم من العناية بذلك اصعاف مائى منهم في بلادنا حتى انهم ليحتفلون للرجال العظماء الذين خدموا الأمة خدمة جليلة . وبلاد مصر عثمانية ولكنها مستقلة عن الدولة في ادارتها وعامة شئونها وقد زال على عهد الاحتلال أكثر ما يذكر المصريين بها حتى لفها فقد كانت التركيبة الزايمية في مدارس الحكومة المصرية ثم صارت اختيارية ثم اضمحلت وتلاشت . وقد استحسن لفر من نخباء الترك المقيمين في القاهرة ان يحتفلوا في كل سنة بتذكار تأسيس الدولة العثمانية وتكونها في مثل الوقت الذي نودي فيه بثمان الاول سلطانا وكان ذلك في ٤ جمادي الاولى سنة ٦٩٩ للهجرة الشريفة الموافق ١٧ يناير سنة ١٣٠٠ ميلادية وقد جعلوا هذا الاحتفال الاول على الحساب الميلادي ولا أدري أكان ذلك عن اختيار للحساب الميلادي لا بالاشهر الشمسية أم السبب فيه ان التبرك

أو ألزم على الاحتفال كان متأخراً؟ والرأي الذي لا ينبغي التردد فيه ان يكون الاحتفال بعد هذا العام على الحساب المجري

تألفت لجنة في ادارة جريدة (ترك) لاجل هذا الاحتفال فوضعت اللجنة قانونا لتأسيس جمعية خيرية للعثمانيين الذين ليس لهم جمعيات خيرية في مصر وهم المسلمون على اختلاف شعوبهم ولغاتهم فان للتصاري العثمانيين جمعيات كثيرة منها عدة جمعيات للسوريين خاصة واحدة للموارنة واحدة للروم الارثوذكس وواحدة للروم الكاثوليك . والسبب في ذلك ان المسلمين متأخرون عن جميع أبناء الملل في الاعمال الاجتماعية حتى ان مسلمي مصر لم توجد لهم جمعية خيرية الا من عهد قريب وكان سبب ايجادها مشعوذ أفرنجي ولكن قبض الله تعالى لها أفضل رجال مصر في هذا العصر خلفا وهمة فثبتت بثباتهم على شدة سعي المسلمين أنفسهم في اسقاطها ولولم يكن لها مورد الا من اشترك المشتركين فيها لسقطت من زمن طويل فان الرجل الذي يشترك فيها وتوهم عليه السنين الطوال ولا يدفع المبلغ الذي تبرع به وفرضه على نفسه . هذا وهم يرون كثرة الجمعيات المسيحية ويساعدونها . وقد قضت الصعوبات التي مارسها الذين نهضوا بهذه الجمعية والوشايات التي وجهت اليهم من المسلمين - ومنها اتهامهم بأنهم يساعدون مهدي السودان في وقته - ان يحلوهما خاصة بمسلمي مصر فأصبح سائر المسلمين العثمانيين لاجل ان يصاب منهم أو يشك في هذه البلاد التي لا تزال أوروبا تهترق بانها عثمانية . لهذا كان تأسيس جمعية خيرية لمسلمي العثمانيين من أفضل الاعمال الدالة على ان روح الحياة الاجتماعية دبّت في المسلمين أي في بعضهم ، ولكن أعداء أنفسهم من المسلمين سيعمون في ابطال هذه الجمعية ويهملونها بمثل ما تهملوها أعضاها المصرية من قبلها ونسأل الله ان يقبض لها من أهل الجدل والبيان ما يقبض لائق قبلها وان يبي لها أسباب النجاح والفلاح

دعت اللجنة نحو ثمانين رجلا من العثمانيين من جميع الاجناس الى فندق السكوتيتنتال ، وأعدت لهم هناك مأدبة كأحسن ما يؤدب للامراء والأقوال . وبعد الفراغ من الطعام ، افتتح رئيس الحفلة الكلام ، (هو لطيف باشا سليم) فذكر ان الغرض من الدعوة قد عرف من الرقاع التي أرسلت الى المدعوين وقال انه دعي الى رئاسة الاحتفال الحاضر ولا يدري السبب في ذلك ثم تكلم كلاما وجيزاً في سبب ترك مثل هذا الاحتفال في الاحقاب الماضية والسين الحالية . أيام عز الدولة ومجدها . ويزوغ شمس سعدتها ، والقيام به في مثل هذه الايام ، وقد انحطت الدولة في نظر الأنام ، فقَالَ

ما خلاصته: ان الذي يسبق الى الأفهام ان الاحتفال باستقلال الدولة العلية الآن ينطبق على المثل «بمدمخراب البصرة» فان هذه الدولة التي أسسها قوم ساقهم حب المال الى اذلال الامم ودوس هام الدول بسنايك خيولهم فأقاموها بالقوة القاهرة والسيوف البائرة قد وصلت الى درجة من المجد والفخر لا تملاها درجة ولم يحتفل في أيام عزها أحد بتذكار استقلالها . ثم طرأ عليها الترف والفساد فضعفت وانحطت وقامت دول القرب تهددها بالمحور والاقراض — وذكر من مجد دول القرب وتقدمها — وفي هذا الحالة التي ترى فيها الدولة في الزرع تحتفل بتذكارات استقلالها . ألا يصح أن يقال ان هذا «بمدمخراب البصرة» (قال) ماذا تريد بهذا الاحتفال الآن هل تريد أن تقتخر بمجد مضى واقتضى ونشأ أنفسنا ونمجد بما لا ينبغي عن ضعفنا شيئاً؟ أم تريد ان ترى الدولة وتؤثر بها وبكي على عزها ومجدها ؟ ثم قال انه لا يريد ان يسيء الحاضرين ويوقعهم في اليأس فانه يوجد في الممانيين الآن من الفصحاء وأصحاب الاقلام من يرجي فيهم الخير للدولة . وختم كلامه بقوله انه قد أسست في القاهرة جمعية خيرية وأشار الى قانونها بين يديه وان جمعية الاحتفال عهدت اليه بأن يكلف جلال الدين بك عارف بالقاء خطبة تركية وصاحب النار بخطبة عربية . فقام جلال الدين بك فثلا خطاباً مسهباً مكتوباً في ورقات صفق له القوم في أثنائه مراراً . ثم قام هذا العاجز منثنى النار وخطب خطبة عربية ارتجالية سر الممانيين طامة والمصريين منهم خاصة اعتدالها واحتمالها بالدعاء للسلطان عبد الحميد أيد الله دولته ولم يذكر اسم الرئيس والخطيب التركي .

وقد خلصت بعض الجرائد الخطبة قرأنا ان تنقل تلخيص جريدة الراوي لانه لم يكد يغادر من الافكار الاساسية التي قلناها شيئاً مهما الا قولنا ان الممانيين أنشأوا يشتغلون بتحصيل العلم لعلوا انهم في هذا المصير قوام الدول وأساس القوة لذلك تنفع كل حين بمجاهدة تلك الجريدة ولنا الحق في ذلك لانه كلامنا هو :

تحتفل اليوم بتذكار استقلال دولتنا العلية الممانية وقد دعيت الى الخطابة فرأيت ان أنبي على مقالته سعادة رئيس الاحتفال في فاتحة المقال وهو كتمان — كلمة في معنى الاحتفال وكلمة في الدولة التي تحتفل لذكرى استقلالها وتكونتها

انما يراد بالاحتفال احياء الشعور بمجد من يحتفل لاجله والتذكير بتاريخه المجيد، وهل نحن اليوم في حاجة الى احياء هذا الشعور وتجديد هذه الذكرى ؟ وهل لدولتنا العلية تاريخ مجيد تستحق به ان يحتفل لتذكارتاريخها وتتمثيل ماضيها ؟ ولماذا لم يسبق للممانيين مثل هذا الاحتفال في الزمن الماضي

لاشك اننا اليوم أحوج الى مثل هذا الاحتفال منا في الزمن الماضي أيام مجد الدولة الأكبر فان احياء الشعور بمجد الدولة وتذكر تاريخها يمث فينا روح الهوض لتأييد استقلالها ، وتدارك ما فرط من خطأ بعض رجالها ، وأما سبب تأخيرها الى اليوم فهو ان مثل هذا العمل لم يكن يعد في بلادنا وانما هو شيء استفدناه في هذا العصر من الاوروبيين فتا نرى القوم يحتفلون للتذكير بقيام دولهم وباصحائها العظيمة ويحتفلون مثل ذلك لرجالها العظام من الفاححين وغيرهم

وللدولة العلية الصنهاية اسم عظيم في الدول ولها تاريخ مجيد يحق للعراقي ان يقتخر به ، يعلم ذلك من النظر في كيفية تكوينها ومن سيرتها الحميدة في نشأتها

يذهب الذين لا يعرفون من التاريخ الاظواهره الى ان هذه الدولة قامت بالقوة والقهر والصواب انما قامت بالفضيلة فان تلك الفئة التي جاءت مع أسرة السلطان عثمان الاول من بلاد ارمينيا الى بلاد الاناطول ونصرت السلطان علا الدين السلجوقي وايدته ثم بنت دولة عظيمة على اطلال دولته بعد سقوطها لم تكن من القوة والكثرة بحيث تملك بلاد الفرس وبلاد الروم وجزءاً عظيماً من بلاد أوروبا. واتنا نعم ان السلطان محمد الفاتح قد حاصر القسطنطينية العظمى بثلاثمائة رجل ونيف على عداد اهل يد: (رض) تهريباً ثم فتحها وهي أمتع مدينة في الارض وأهلها كانوا أكثر من الترك عدداً وأحسن عدداً وأكثر اطلاعا وعلما. ولكن الصنهايين كانوا متصفين بالفضائل التي أهمها الاتحاد الذي كان الروم محرومين منه يومئذ . فقد قل انهم كانوا يتنازعون في المسائل الدينية والفتاح على اسوار المدينة حتى ان بعض رجال الدين قال : لأن أرى تاج السلطان محمد في مذبح كنيسة أباصوفيا أحب الي من ان أرى فيه كمة (طلاقة) على رأس كردنال من كرادلة الكنيسة الغربية لانجبوا من القول بان الدولة قامت بالفضيلة لا بمجرد القوة والقسوة فان القوم

كانوا في حال بدادة فجاهم الاسلام فجمع كلمتهم وهذب نفوسهم حتى كان ملوكهم الاولون على مقربة من سيرة الخلفاء الراشدين فقد نقل المؤرخون ان المؤسس لهذه الدولة السلطان عثمان الذي ترون صورته امامكم الآن لم يترك لورثته الاحقة وعمامة مضرجة بالدم والمهود في الفاححين المؤسسين للمالك بالقهر والقسوة ان يتركوا القناطير المقطرة من الذهب والجواهر والاثاث والماعون

امسيرة هذه الدولة الحميدة قائما تعلم من النظر في وجه حاجة الانسانية اليها عند تكوينها ومن سيرتها في بلادها . اما وجه الحاجة الى دولة مثلها في زمننا فاقام

أيها السادة تعرفونه من الوقوف على تاريخ الأمم التي تأسست الدولة في بلادها هذه الدولة مؤلفة من أمم وشعوب وقبائل لها لغات مختلفة وأديان مختلفة ولكن الدولة مسلمة وأكثر شعوبها إسلامية وأهم عناصرها الأولى المسلمون والروم. فاما المسلمون فقد كان ملكهم تمزق كل تمزق فاما الدولة العباسية فقد كان التناقض صريحاً ثم زحف الصليبيون على بلادها من كل جانب وأما الدولة الفاطمية فكانت أيضاً قد زلزلت زلزالها ، وهددت من الصليبيين بزوالها ، ولا أعد ملوك الطوائف والممالك في عداد الدول فاتهم كانوا أشبه بالبيوت (العائلات) منهم بالدول — يقوم في البيت رجل عظيم فيجعل له ذكراً ومجداً ثم يسقط فيسقط البيت يسقطه ولا يبقى فيه إلا أثره . فدول الإسلام قبل العباسيين ثلاث الأموية والعباسية والفاطمية وقد كانت هذه الدول اضمحلت وذهب الرجاء منها وبذلك كان المسلمون في حاجة إلى دولة جديدة تجمع كلهم وتحمي حوزتهم

وأما الروم فقد كانوا في ذلك الوقت أسوأ حالا من المسلمين ولولا ذلك ما تيسر للترك تقريق شملهم والاستيلاء على بلادهم وفتح عاصمتهم بعدد قليل . ذلك أنهم لم يكونوا أقل من العباسيين عدداً ولا علماً بالحروب وإنما كان ينقصهم ما كان عند العباسيين من الفضيلة والوحدة فان فساد الاخلاق والتنازع في الدين لا يقي للامم بقية

سار العباسيون في تأسيس دولتهم بما تقتضيه الفضيلة الإسلامية من العدل بالنسبة إلى غيرهم من الدول الفاتحة فقد اقرؤا أهل الملل الخالفة للمسلمين على اديانهم ولغاتهم وعاداتهم بل جعلت لهم امتيازاً يتمتعون به إلى الآن حتى أنهم يفضلون المسلمين في ذلك ببعض الامور . وكان يسهل على هؤلاء المتنازعين ان يرقوا في ظل عدل هذه الدولة وفضلها ويحتجوا بها إلى أقصى ما في استعدادهم

فدولة لها مثل هذا التاريخ الجيد يصح لا بنائها ان يقتضروا بها على اختلاف مللهم وعملهم وان يحتفلوا لتذكارت تأسيسها واستقلالها . ونعم دالى ذكر فائدة الاحتفال

قلنا ان الفائدة في هذا الاحتفال هو احياء الشعور بمجد الدولة والتذكير بتاريخها لاجل السي في استحياء ما كان نافعاً واجتناب ما كان ضاراً . وقد تكلم رئيس الاحتفال عن ضعف الدولة واحاطة الاخطار بها تبييناً وذكراً ولكنه لم يوفقنا في البأس بالمره فقد أعرب عن رجائه ببعض فضلاء الامة . ونريد على ذلك فنقول إنه لا بأس من الدولة

فإنها بفضل الله لا تزال ذات قوة عسكرية يشهد لها بالاعداء وهي قادرة على حماية الأمة وأما ينقصها قوة هي أم القوى في هذا المصروهي قوة العلم والصناعة قلنا ان هذه الدولة قامت بقوة الفضيلة الفطرية والدينية وقد كانت هذه القوة كافية لسيادة صاحبها على جميع الامم اذ كانت متساوية في الجهل . ولكن الزمان قد تغير وصار كل شيء فيه مبنياً على العلم والصناعة ولذلك تأخرت الدولة عن غيرها فاتها لم تكن في يوم من الايام دولة علم وكيف تكون دولة علم وهي لم تكن لها لغة الا اللغة البدوية التي لا قواعد لها ولا تنسج للعلوم والفنون . ان اللغة العثمانية العذبة التي تعلم الآن قد وضعت قواعد النحوية والصرفية أثناء القرن الماضي فأين العلم من أمة وافتاها القرن الماضي وليس هالكة تعلم بالقلم والكتاب؟

فأساس الإصلاح الذي نطلبه لحفظ استقلال الدولة هو العلم . فالعلم هو الذي يقوي شوكتها والعلم هو الذي ينجي ترونها والعلم هو الذي يجمع كلها . ارايتم هذه الشعوب المتفرقة والممل المختلفة لا يمكن ان تكون أمة واحدة الا بالعلم ، العلم هو الذي يقرب بين البعدها . ويوصل الافكار بالافكار ، وهو الذي يمتاز به الانسان فكل من كان اقرب في فكره كان اقرب في ودأ وانني لأفضل معاملة من لا يجمعني به غير صلة الانسانية على معاملة من يجمعني به كل صلة حتى صلة الدين والنسب القريب اذا كان الاول قريباً مني بفكره وقلبه ، والآخر بعيداً عني بقله ولبه ، لكن العلم الناقص ربما كان شرأ من الجهل البسيط فان الجاهل البسيط يكون على شيء من سنة الفطرة يستقيم به عمله بعض الاستقامة ولكن ناقص العلم لا يستقيم على الفطرة ولا يحسن الصناعة العلمية

أقول هذا لانني أرى كثيراً من الناس يحصرون الشيء في اصلاح الدولة بالانحاء على القاضين على زمام الاحكام فيها وما هؤلاء الحكماء الا طائفة من الامه فاذا صلحت الامه بالعلم والتهذيب فاتها تصلحهم لا محالة . تشكو الامه من الحكومة واثا السئامة في الحقيقة ولا يمكن ان تكون أمة الا بالعلم والتهذيب العام والدولة غير قادرة على تعميم التعليم فلي العقلاء من ان يسعوا في ذلك لاجل تكوين الامه . ان لنا صورة الامه وهي الافراد المجتمعة ولكن ليس ثامتساها وهو الافراد المتحددة . فاذا كانت هذه الصورة التي أمامكم هي السلطان عثمان مؤسس الدولة فهو هؤلاء الافراد الذين ترونها في البلاد العثمانية هم أمة لما ان تطالب بحقوق الامم هنا ما قوله واحتصر القول خوف المال واختم قولي بالله تعالى الى الله تعالى بان يؤيد الدولة العلية ويوفى سلطاننا الاعظم عبد الحميد خان ورجال دولته الى ما فيه خيرها وحفظ مجدها آمين . اهـ

بِزَيِّ الْحَكَمَةِ مِنْ بَيْتِهِ وَمِنْ بَيْتِ
الْحَكَمَةِ قَدْ أَوْفَى خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَبَابِ

المسحاة

١٣١٥

فَبَشَّرَ حَادِي الَّذِينَ يَسْتَمُونَ الْقَوْلَ
يُتِمُّونَ أَحْسَنَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ
اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أَوَّلُ الْأَبَابِ

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي ودماراً كشار الطريق)

(مصر - الخميس غرة ذي الحجة سنة ١٣٢١ - ١٨ فبراير شباط سنة ١٩٠٤)

﴿ باب الفقه في أحكام الدين ﴾

﴿ المفتي والافتاء في الشرع ﴾

حَمْدُ الْإِمَامِ ابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ (أَعْلَامُ الْمُوقِنِينَ) بِفَوَائِدَ كَثِيرَةٍ مَعْلُومَةٍ
تَتَعَلَّقُ بِالْفَتْوَى فَرَأَيْنَا أَنْ نَلْخِصَ مِنْهَا مَا يَأْتِي تَنْوِيرًا لِبَحْثِنَا السَّابِقِ وَلِيَعْلَمَ قَلِيلُ الْإِطْلَاعِ
أَنْ مَفْتِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَةِ جَرَى فِي قَوَاهِ لِلتَّرْسُفِ عَلَى سُنَّةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَاقْتَدَى
فِيهَا بِأَثَمَةِ الدِّينِ ، لَا بِأَوْضَاعِ جِهَةِ الْمُقَلِّدِينَ ، الْفَائِدَةُ الْأُولَى مِنْ تِلْكَ الْفَوَائِدِ فِي أَنْوَاعِ
الْإِسْئَلَةِ الَّتِي تَعْرِضُ عَلَى الْمَفْتِيِ ، وَالثَّانِيَةِ فِي بَيَانِ أَنَّهُ يَحْيُوزُ لِلْمَفْتِيِ أَنْ يَبْدُلَ فِي جَوَابِ
الْمُسْتَفْتِيِ عَمَّا سَأَلَ عَنْهُ إِلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ مِنْهُ وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ
فِي بَيَانِ أَنْ يَحْيُوزَ لِلْمَفْتِيِ أَنْ يُجِيبَ السَّائِلَ بِأَكْثَرِ مَا سَأَلَ عَنْهُ وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ
بِالسُّنَّةِ (وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ بَابُ مَعْقُودٍ لِهَذَا) وَالرَّابِعَةُ فِي بَيَانِ أَنَّ مَنْ هُوَ الْمَفْتِيُ
وَنَصَحَهُ أَنْ يَدُلَّ الْمُسْتَفْتِيَّ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ عَمَّا سَأَلَ عَنْهُ بِالْقَوَى فِيهَا سَأَلَ عَنْهُ وَاسْتَدَلَّ

عليه بالسنة ، والخامسة في أنه ينبغي للمفتي أن يحذر السائل مما يذهب إليه الوهم من خلاف الصواب في الفتوى واستدل عليه بأسلوب الكتاب والسنة . قال :

(الفائدة السادسة) ينبغي للمفتي أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه ذلك ولا يلقيه إلى المستفتي ساذجا مجردا عن دليله ومأخذه فهذا لضيق عطئه وقلة بضاعته من العلم . ومن تأمل فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم (وقد أوردها المصنف في آخر الفوائد) الذي قوله حجة بنفسه وآها مشتملة على التثبيته على حكمة الحكم ونظيره ووجه مشروعيته ؛ وهذا كما سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال « أنقص الرطب إذا جف » قالوا نعم فزجر عنه ومن المعلوم أنه كان يعلم نقصانه بالجفاف ولكن نهيهم على علة التحريم ونسبه . ومن هذا قوله لعمر وقد سأله عن قبلة امرأته وهو صائم فقال : « رأيت لو تخلصت ثم حججته أكان يضر شيئا » قال لا . فنهى على أن مقدمة المحظور لا يلزم أن تكون محظورة فإن غاية القبلة أنها مقدمة الجماع فلا يلزم من تحريمه تحريم مقدمته كما أن وضع الماء في الفم مقدمة شربه وليست المقدمة محرمة . ومن هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها فانكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » فذكر لهم الحكم ونهيهم على علة التحريم . ومن ذلك قوله لأبي الثعمان بن بشير - وقد خص بعض ولده بفلام فحله إياه - فقال : « أحب أن يكونوا لك في البر سواء » ؛ قال نعم قال « فأتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وفي لفظ « أن هذا لا يصلح » وفي لفظ « اني لأشهد على جور » وفي لفظ « أشهد على هذا غيري » تهديداً فإنه لا يأذن في الجور قطعا . وفي لفظ « رده » والمقصود أنه عليه علة الحكم : الخ الشواهد

(الفائدة السابعة) ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام فهو حكم مضمون له الصواب متضمن للدليل على أحسن بيان ، وقول الفقيه المعين ليس كذلك . وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يخرجون ذلك غاية التحري حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص واشتقوا لأنفسهم ألفاظا غير الفاظ النصوص فأوجب ذلك هجر النصوص ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تنفي عما تنفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان

فتولد من هجر النصوص والاقبال على الالفاظ الحادثة وتعليق الاحكام بها على الامة من الفساد ما لا ينمه الا الله تعالى فألفاظ النصوص عصمة وحجة برية من الخطأ والتناقض والتمقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة عمدة الصحابة وأصولهم التي اليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من يبدعهم وخطأهم فيما احتفوا فيه أقل من خطأ من يبدعهم، ثم ان التابعين بالنسبة الى من يبدعهم كذلك وهم جرا . ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الاهواء والبسيع كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض

« وقد كان أصحاب رسول الله (ص) اذا سئلوا عن مسألة يقولون : قال الله كذا قال رسول الله (ص) كذا أو فعل كذا : ولا يمدلون عن ذلك ما وجدوا اليه سيلا قط ، فن تأمل أجوبتهم وجدوها شفا لما في الصدور . فلما طال المهود وبعد الناس من نور النبوة صار هذا عيبا عند المتأخرين أن يذكروا في أصول دينهم وفروعه : قال الله وقال رسول الله : أما أصول دينهم فصرحوا في كتبهم أن قول الله وقول رسول الله لا يغيد اليقين في مسائل أصول الدين وإنما يخرج بكلام الله ورسوله فيها الحشوية وأنجسة والمشبهة . وأما فروعهم فقتلوا فيها بتقليد من اختصر لهم بعض المختصرات التي لا يذكر فيها نص عن الله ولا عن رسوله (ص) ولعن الامام الذي زعموا أنهم قلدوه دينهم بل عمدتهم فيما يقتون وقضون به ويقولون به الحقوق ويبسحون به الفروج والدماء والاموال على قول ذلك المصنف ، وأجلهم عند نفسه، وزعيمهم عند بني جنسه ، من يستحضر لفظ الكتاب ويقول : هكذا قال وهكذا لفظه : والحلال ما أحله ذلك الكتاب والحرام ما حرمه والواجب ما أوجبه والباطل ما أبطله والصحيح ما صححه ، - هذا وأثنى لنا بهؤلاء في مثل هذه الازمان فقد دفننا الى أمر نضج منه الحقوق الى الله ضحيجهما ، ونعج منه الفروج والاموال والدماء الى دينا عجيجهما، يبدل فيه الاحكام، ويقلب الحلال بالحرام، ويجعل المعروف في أعلى مراتب المنكرات، والمنكر الذي لم يشرعه الله ورسوله من أفضل القربات ، الحق فيه غريب وأغرب منه من يعرفه ، وأغرب منهما من يدعو اليه وينصح به نفسه والناس ، قد قلق له قاتل الاصباح صبحه عن غياهب الظلمات ، وأبان له طريقه المستقيم من بين تلك

الطرق الجائزات ، وآراء بعين قلبه ما كان عليه رسول الله (ص) وأصحابه مع ما عليه أكثر الخلق من البدع المضلات ، ورفع له علم الهداية فشمريه ، ووضع له الصراط المستقيم فقام واستقام عليه ، وطوبى له من وحيد على كثرة السكان ، غريب على كثرة الحيران ، بين أقوام رؤيتهم قذى الميون ، وشجى الخلق ، وكرب النفوس ، وحى الأرواح ، وغم الصدور ، ومرض القلوب ، أن أنصفهم لم تقبل طيبتهم الانصاف ، وإن طلبته منهم فابن النزي من يد الملتص ، قد أنتكست قلوبهم ، وعمي عليهم مطلوبهم ، رضوا بالأماني وابتلوا بالمحظوظ وحصلوا على الحرمان ، وخاضوا بحار العلم ولكن بالدعاوي الباطلة وشفاشق الهذيان ، ولا والله ما ابتلت من وشله أقدامهم ، ولا زككت به عقولهم وأحلامهم ، ولا ابضت به ليالهم وأشرق بنوره أيامهم ، ولا ضحكت بالهدى والحق منه ربوة الدفاتر إذ بليت به أقلامهم ، أنفقوا في غير شي ، فأناس الانقاس ، وأنعموا أنفسهم وحبروا من خلفهم من الناس ، ضيعوا الأصول ، فخرموا الوصول ، وأعرضوا عن الرسالة فوفقوا في مهامة الحيرة وببدا الضلالة ، والمقصود أن العصمة مضبوطة في الفاظ النصوص ومعانيها في آتميان وأحسن تفسير ، ومن رام ادراك الهدى ودين الحق من غير مشكاتها فهو عليه عسير ، غير يسير « اهـ

(المنار) ان ما ذكره هذا الامام الجليل . من وجوب اسناد الفتاوى الى نصوص الكتاب والسنة هو الذي جرى عليه جميع أئمة المسلمين ولكن الذين ذكرهم خرجوا عن هدي السنة وطريقة الأئمة فحتموا اسناد الفتوى الى قول مؤلف من المقلسين الميتين ولم ينقل عن عالم من علماء الاسلام جواز تقليد المقلد ولم يكتفوا بهذا حتى صاروا يبيعون من يفتي بالكتاب والسنة ويزعمون أنهم بهذا ينصرون الاسلام وما الاسلام الا الكتاب والسنة الذين تركوها وعادوها . وما ذكره من أو صاف العالم الذي يفتي بالنصوص ويراه الناس غريبا ينطبق في زمنه على شيخ الاسلام (رحمهما الله تعالى) وفي هذا الزمن على الاستاذ الامام (حفظه الله) فانه لم يستند في الفتوى بحمل ذبائح أهل الكتاب على اطلاقها باطلاق نص القرآن في حلها قام بعض الجاهلين يعيب ذلك زعمان الافتاء بنص القرآن غير جائز للمفتي وانما يعجب عليه ان يذكر نص مؤلف من المؤلفين الميتين الذين ينسبون الى أبي خيفة خاصة . وبليت هذا العيب والافكار كان ممن يدعون الاشتغال بكتب الاحكام التي يسمونها فتها ! كلاته صادر من

أجهل أبواب الجرائد الاخبارية بالدين وأشدّهم إغلا في الفسق وإسرافا في الامر، فلو كان ابن القيم في هذا الزمان فاذا عاصم يقول ويكتب في هؤلاء؟

(القائمة الحادية عشرة) اذا نزل بالحكم أو المفتي التازلة قلما ان يكون علما بالحق فيها أو غالبا على ظنه بحيث قد استفرغ وسعه في طلبه ومعرفة أولا فان لم يكن علما بالحق فيها ولا غلب على ظنه لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بما لا يعلم ومتى أقدم على ذلك فقد تعرض لمقوبة الله ودخل تحت قوله تعالى : « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم واليغي غير الحق، وأن تشركو بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » فجعل القول عليه بلا علم أعظم المحرمات الاربعة التي لا يباح بحال . ولهذا حصر التحريم فيها بصيغة الحصر . ودخل تحت قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » اتمايا مكرهم بالسوء والفسق، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » * ودخل في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من أتى بغير علم فأتاها به هلى من افتاء » وكان أحد القضاة الثلاثة الذين ثلثوا في النار . وان كان قد عرف الحق في المسألة علما أو ظنا غالبا لم يحل له ان يفتي ولا يقضي بغيره بالاجماع المعلوم بالضرورة من دين الاسلام وهو أحد القضاة الثلاثة والمفتين الثلاثة والشهود الثلاثة واذا كان من أتى أو حكم أو شهد بغير علم تركب الا عظم الكبائر فكيف من أتى أو حكم أو شهد بما يعلم خلافه !!!

فالحكم والمفتي والشاهد كل منهم مخبر عن حكم الله . فالحكم مخبر منفذ ، والمفتي مخبر غير منفذ والشاهد مخبر عن الحكم الكوني القدري المطابق للحكم الديني الامري فن أخبر منهم عما يعلم خلافه فهو كاذب على الله عمدا « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » ولا اظلم ممن كذب على الله وعلى دينه . وان أخبروا بما لم يعلموا فقد كذبوا على الله جهلا وان أصابوا في الباطن وأخبروا بما لم يأذن الله لهم في الاخبار به وهم أسوأ حالا من القاذف اذا رأى الفاحشة وحده فآخبر بها فانه كاذب عند الله وان أخبر بالواقع فان الله لم يأذن له في الاخبار بها الا اذا كان رابع اربعة فان كان كاذبا عند الله في خبر مطابق لخبره حيث لم يأذن له في الاخبار به فكيف من أخبر عن حكمه بما لم يعلم ان الله حكم به ولم يأذن له في الاخبار به قال الله تعالى : « ولا تقولوا لما تصف السنتكم بالكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب

لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب اليم * وقال تعالى : « فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه » والكذب على الله يستلزم التكذيب بالحق والصدق . وقال تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو أنك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، الا لعنة الله على الظالمين * » وهؤلاء الآيات وان كانت في حق المشركين والكفار قاتها متاملة لمن كذب على الله في توحيدهِ ودينهِ واسماءهِ وصفاته وأفعاله ولا تتناول الخطيئة المأجور اذا بذل جهده ، واستفرغ وسعه في اصابة حكم الله وشرعه فان هذا هو الذي فرضه الله عليه فلا يتناول المطيع لله وان أخطأ وبالله التوفيق .

(الفائدة الثانية عشرة) حكم الله ورسوله يظهر على أربعة ألسنة : لسان الراوي ولسان المنفى ولسان الحاكم ولسان الشاهد قال راوي يظهر على لسانه لفظ حكم الله ورسوله والمنفى يظهر على لسانه معناه وما استنبطه من لفظه . والحاكم يظهر على لسانه الاخبار بحكم الله وتنفيذه . والشاهد يظهر على لسانه الاخبار بالسبب الذي ثبت حكم الشارع والراجل على هؤلاء الاربعة ان يخبروا بالصدق المستند الى العلم فيكونون طالمين بمسايخرون به صادقين في الاخبار به وآفة أحدهم الكذب والكتمان فتى كتم الحق أو كذب فيه فقد حاد الله تعالى في شرعه ودينه وقد أجرى الله سنته ان يحق عليه بركة علمه ودينه وديناه اذا فعل ذلك كما أجرى مآذته سبحانه في المتبايسين اذا كتسا وكذبا ان يحق بركة يغها . ومن التزم الصدق واليان في مرتبته بورك له في علمه ووقته ودينه وديناه وكان مع التبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما .

فبالكتمان ينزل الحق عن سلطانه ، وبالكذب يقلبه عن وجهه ، والحزاء من جنس العدل جزاء أحدهم أن ينزله الله عن سلطان المهابة والكرامة والمهابة والتمظيم الذي يليه أهل الصدق واليان ، ويلبسه ثوب الهوان والقت والحزي بين عباده ، فاذا كان يوم القيامة جازى الله سبحانه من يشاء من الكاذبين الكائمين بطمس الوجوه وردمها على أديارها كما طمسوا وجه الحق وقلوبه عن وجهه جزاء وفاقا . « وما مبارك بظلام للصيد * »

(الفائدة الخامسة عشرة) ليحذر المنفى الذي يخاف مقامه بين يدي الله سبحانه

أن يفتي السائل بمذهبه الذي يقلده وهو يعلم أن مذهب غيره في تلك المسألة أرجح من مذهبه وأصح دليلاً فحمله الرسة على أن يتقدم الفتوى بما يطلب على ظنه من الصواب في خلافه فيكون خائفاً لله ورسوله وللناسل وناسله وأهله لا يهدي كيد الخائسين وحرمة اللجنة على من لقيه وهو غاش للاسلام وأهله والدين الصيحة والغش مضاد للدين كمضادة الكذب للمصدق ، والباطل للحق ، وكثيراً ما ترى المسألة تعتقد فيها اختلاف المذهب فلا يسعنا أن نفتي فيها بخلاف ما نعتقد فتحتكي المذهب ثم نحتكي المذهب الراجح ونرجحه ونقول هذا هو الصواب وهو أولى أن يؤخذ به وبالله التوفيق ، اهـ

(المثار) يعتبر بهذا الجهلاء الذي يزعمون أن المفتي يجب عليه أن يفتي كل سائل بالمذهب الذي عليه الحاكم الذي قلده منصب الافتاء وان خالف اعتقاده كأن المنصب يحيز للمسلم أن يترك اعتقاده فيحل ما يعتقد حراماً ويحرم ما يعتقد حلالاً ، وفي هذا الزعم من الجناية على الدين ونصر أهواء الحكام عليه مالا يفوق إفساده إفساداً ، ونحن نعلم أن أكثر السلاطين والامراء المتأخرين لا يعلمون من المذاهب التي ينتسبون إليها شيئاً من الاحكام القضائية ولا من احكام الحلال والحرام الا المشهور الذي يعرفه العوام فاذا ولوا مفتياً ليفتي بحاكمهم ورجالهم فمن أي كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس أو قياس نوجب على هذا المفتي أن يترك علمه واعتقاده في كل مسألة تخالف مذهب السلطان وفتي الناس بالمذهب الذي ينسب اليه السلطان بالقول وهو في الحقيقة من العوام الذين مذهبهم مذهب مفتيهم ؟

نعم ان لا فتاً للمفتي بمذهب السلطان في المسائل القضائية التي تنظر فيها الحاكم وجها اذا كان السلطان لا ينفذ الا ما يقضي به القاضي على مذهب وذلك لان الافتاء والقضاء بخلاف ذلك يكون لفوا . أما اذا كان السلطان يطلب الحق في المسائل القضائية ومتى ظهر له باقناً أو غيره وحكم به حاكم ينفذه فلا وجه لالتزام مذهب مطلقاً . وأما المسائل الدينية التي لا تتعلق بالحاكم ولا تحتاج الى تنفيذ السلطان كمسائل الحلال والحرام والعبادات فمن أكبر الجهل بالدين أن يقال أنه يجب على المفتي أن يفتي فيها بمذهب السلطان ويترك اعتقاده الذي يتجيه عند الله تعالى لاجل منصبه الذي نبي على الاجتهاد في كل مذهب ويريد المتلدون أن يقصروه على التقليد . ثم قال ابن القيم :

(الفائدة العشرون) لا يجوز للمقلد أن يفتي في دين الله بما هو مقلد فيه وليس

على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه - هذا اجماع من السلف كلهم وصرح به الامام أحمد والشافعي رضي الله عنهما وغيرهما . قال أبو عمرو بن الصلاح: قطع أبو عبد الله الحلبي امام الشافعيين بما وراء النهر والقاضي أبو الحسن الروياني صاحب بحر المذهب وغيرهما بأنه لا يجوز للمقلد ان يفتي بمسا هو مقلد فيه، وقال : وذكر الشيخ أبو محمد الجويني في شرحه لرسالة الشافعي عن شيخه أبي بكر القفال المروزي انه لا يجوز لمن حفظ كلام صاحب مذهب ونصحه ان يفتي به وان كان متبحرا فيه جازان يفتي . قال أبو عمرو : ومن قال لا يجوز له ان يفتي بذلك معناه لا يذكره في صورة ما يقوله من عند نفسه بل يضيفه الى غيره ويحكيه عن امامه الذي قلده فعل هذا من عددناه في اصناف المفتين المقلدين ليسوا على الحقيقة من المفتين ولكمهم قاموا مقام المفتين وادعوا عنهم فعدوا منهم ، وسيلهم في ذلك ان يقولوا مثلاً : مذهب الشافعي كذا وكذا ومقتضى مذهبه كذا وكذا وما أشبه ذلك ، ومن ترك منهم إضافة ذلك الى امامه فان كان ذلك اكتفاءً بالمعلوم عن الصريح فلا بأس :

قلت ما ذكره أبو عمرو حسن الا ان صاحب هذه المرتبة يحرم عليه ان يقول مذهب الشافعي لما لا يعلم أنه نصه الذي أنفق به أو يكون شهرته بين أهل المذهب شهرة لا يحتاج معها الى الوقوف على نصه كشهرة مذهب في الجهر بالبسملة والتتوت في الفجر ووجوب تيميم التبة لفرض من الليل ونحو ذلك فالما مجرد ما يجحد في كتب من انتسب الى مذهبه من الفروع فلا يصح ان يضيفها الى نصه ومذهبه بمجرد وجودها في كتبهم فكيف فيها من مسألة له لانس فيها البتة !!! ولا ما يدل عليه وكم فيها من مسألة نصه على خلافها وكم فيها من مسألة اختلف المتسبون اليه في إضافتها الى مقتضى نصه ومذهبه فهذا يضيف الى مذهبه اثباتها ، وهذا يضيف اليه قبحا ...

فلا ندري كيف يسع المفتي عند الله ان يقول هذا مذهب الشافعي وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة . وأما قول الشيخ أبي عمرو ان هذا المفتي يقول: هذا مقتضى مذهب الشافعي: فلمعرفة لا قبل ذلك من كل من نصب نفسه لانتيا حتى يكون عالما بما أخذ صاحب المذهب ومداركه وقواعده جمعا وفرقا ويعلم ان ذلك الحكم مطابق لاصوله وقواعده بعد استقراغ رسمه في معرفة ذلك فيها حتى اذا أخبر ان هذا مقتضى

مذهبه كان له حكم أمثاله من قال بما يخالف علمه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها
وبالجملة : فالفتي بخبر عن الحكم الشرعي وهو اما خبر عما فهمه عن الله ورسوله
واما خبر عما فهمه من كتاب أو نصوص من قوله ديدنه وهذا لون وهذا لون فكما
لا يسع الاول ان يخبر عن الله ورسوله الا بما علمه فكذا لا يسع الثاني ان يخبر عن
امامه الذي قلده دينه الا بما ينظمه وبالله التوفيق

(الفائدة الثانية والمضرون) اذا عرف العامي حكم حادثة بدليلها فهل له ان يفتي
به ويسوغ لغيره تقليده فيه ؟ ففيه ثلاثة أوجه للشافعية وغيرهم
أحدها الجواز لانه قد حصل له العلم بحكم تلك الحادثة عن دليلها كما حصل
للعالم وان تميز العالم عنه بقوة يتمكن بها من تقرير الدليل ودفع المعارض له فهذا اقدر
زائد على معرفة الحق بدليله .

والثاني لا يجوز ذلك مطلقاً لعدم أهليته للاستدلال وعدم علمه بشروطه وما
يعارضه ولعله يظن دليلاً ما ليس بدليل .

والثالث ان كان الدليل كتاباً أو سنة جازله الاثنا وان كان غيرهما لم يجز لان القرآن
والسنة خطاب لجميع المكلفين فيجب على المكلف ان يعمل بما وصل اليه من كتاب
ربه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز له ان يرشد غيره اليه ، ويدله عليه . اهـ
(النتار) علم بما قاله هذا الامام الجليل ان سلف الامة وأئمتها مجمعون على انه
يجب على المفتي ان يفتي بعلمه في المسألة وانما اجاز بعض فقهاء القرون المتوسطة ان ينقل
المفتي قول بعض الأئمة المجتهدين أو رأيه على أنه خبر ورواية وذلك لا يسمى فتياً وناقله
لا يسمى مفتياً وانما اجازوه للضرورة . وكلام هذا الامام الحنبلي موافق لما قلناه في الجزء
الماضي عن أئمة الحنفية والشافعية ومثلهم في ذلك المالكية لان المسألة إجماعية

وعلم من قوله أيضاً ما تقدم مثله من قبل وهو ان العالم اذا كان لا يقدر على الفتوى
في جميع المسائل بالاجتهاد وكان واقفاً على أدلة بعضها فما عرف دليله وجب عليه ان
يفتي به دون غيره ، وقد تقدم في الاجزاء السابقة ان هذه المسألة مبينة على قول أهل
الاصول بتجوز الاجتهاد . فاذا فرضنا ان مفتي الديار المصرية لم يستوف الشروط التي
وضعوها للمجهّد المطلق فهل يبعد على مثله وعلى من هو دونه بمراحل ان يعرف

بعض المسائل بدليلها من الكتاب والسنة ؟ ما ظن ان احدا من حاسديه يباهت نفسه بانكار اهليته لذلك كيف وقد اجازوها للمسمى ! ، وعلى هذا يكون وافق ائمة الامول والفقه في فتواه للترساقلي بالدليل من غير صاحة الى بناء الفتوى على دعوى الاجتهاد المطلق ، وهذا الكلام انما هو لبيان صحة اسلوب كتابة الفتوى اما صحة الحكم وحقيقة ما افق به في مؤيدة بالاجاز في الواقعة كما تقدم شرحه

﴿ الآثار المكذوبة ﴾

اعتاد كثير من أراد الله بهم شرا على الاختلاق والتدليس وزيادة اشياء في الدين ما أنزل الله بها من سلطان ليجلبوا بها نقما ويكسبوا بها حطاما فكذبوا وزوروا آثاراً ونسبوا للنبى صلى الله عليه وسلم وغروا بذلك العامة وموهوا عليهم حتى اعتقدوا صدق تلك الآثار ورسخ في اذهانهم انها من الحقائق مع انها مزورة بلا ريب ويعرفها كذلك كل من له إلمام بالحديث الشريف ووقوف على السنة النبوية واطلاع على السيرة الشريفة والشمايل المثيفة وخبرة بالتاريخ وتبحر في المعارف وبعد عن الخرافات والاهوام . وكثيرا ما تنسر الاوهام انوار الحقائق وتحجب شمس المعارف ثم لا تلبث ان تزول لدوي الاطلاع والثقد والاختبار فلا تفرهم تلك الزخارف ولا يخذعون باعمال العامة والجهلة ولا يقدونهم في اعمالهم الفاسدة التي درجوا عليها واطمأنوا بها وركنوا اليها كونا عظيما

لبس هؤلاء المزورون على المسلمين وادخلوا في البلاة الاسلامية مالبس منها وحسنوا لهم اعمال اهل الوغية كالتمسح بالاحجار والاخشاب والاشجار وقيل الابواب والآثار المزورة كآثر القدم المزو للنبى صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا في الجامع الاحدي وجامع قاييبي ومسجد سيدي عبد الرزاق بالاسكندرية وحجر الرفق ومسجد البغة والآثار التي بالرباط الكائن بقرب بركة الحبش على شاطئ النيل . قال المؤرخ القريري : وكان شيخنا السراج البلقيني يعطن في هذه الآثار ويذكر ان له فيها مصنفا : فترى هناك العامة مزدهجين على التمسح بتلك الآثار والاحجار اي ازدهام معتقدين فيها اعتقاداً كبيراً ملتصقين منها البركات الموهومة

مستشهدين بالأحاديث الموضوعة على أن الاعتقاد بالأحجار ينفع مع أن ذلك من شأن أهل الوثنية قاتهم يحسنون ظنهم بالأحجار وهؤلاء تشبهوا بهم وساروا على طريقهم ولم يحتفوا بتلك الأعمال حتى اعتقدوا أنها قرينة تقررهم إلى الله تعالى زاني مع أنها مفسدة كبرى ودين الاسلام يرى من هذه الافعال ومن نسبتها إليه ومنزه عن افعال الوثنيين وعقائدهم الهائلة التي لا يركن إليها من اطلع على السنة واشرب قلبه التوحيد وابعد عن الشرك

وقد رأينا اتقانا للفائدة أن نذكر هنا نص الفتوى التي اتي بها حافظ الانام شيخ الاسلام الامام أبو العباس أحمد بن حنبل فيما نقله عند تلميذه الحافظ ابن القيم وغيره وهي : « ان الجهال تخترع احجارا يزعمون ان فيها أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم فيتمسحون بها ويقبلونها كما يقول الجهال في الصخرة التي في بيت المقدس من ان فيها أثرا من موسى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وفي دمشق مسجد يسمى مسجد القدم يقال ان ذلك أثر قدم موسى عليه السلام وهو باطل لأصله ولم يقدم موسى دمشق وما حولها ومثله أحجار بمصر وغيرها من البلدان افتراها الكذابون واستخفوا بها عقول العامة بل ما يروى من حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه قدمه كل ذلك من الكذب المختلق لم ينقله أحد من أهل العلم بأحواله صلى الله عليه وسلم بل هو كذب عليه فلا يفتقر بنقل كثيرين متساهلين في ذلك ساكتين عن حكم الحديث وقد اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل لمقام إبراهيم الذي ذكره الله في قوله تعالى « واتخذوا من مقام إبراهيم مصل » وذكر الارزقي عن قتادة : أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه : ولقد تكلفت هذا لامة شيئا ما تكلفت به الامم قبلها ذكر لنا من رأى أثره وأصابه (كذب) شارح هذه الامة تمسحه حتى اخلو حتى ابيض فان المكان الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه كان يدبنة المنورة دائما لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يقبله فكيف بمالاتهم صحت من آثاره عليه الصلاة والسلام وبما يعلم انه مكتوب كحجارة كثيرة يأخذها الكذابون ويختون فيها موضع قدم ويزعم غيرهم من الجهال ان هذا موضع قدم النبي صلى الله عليه وسلم فاذا كان هذا غير مشروع في موضع قدمه وقدمي إبراهيم الخليل عليه السلام

فكيف يقال أنه موضع قدميه كذبا وإفتراء عليه كاللوع الذي يصخرة بيت المقدس وغيره من المقامات اهـ من كتاب تنزيه المصطفى المختار . عما لم يثبت من الآثار، للعلامة المحقق الشيخ أحمد بن المعجمي الوفاي الشافعي

جاء الاسلام بقطع شأفة الوثنية ورفع اعلام التوحيد ومحو العقائد الباطلة الراسخة في الازهان ونفي كثير من الاباطيل التي كانت منتشرة ، وحض على التمسك بمكارم الاخلاق والابتعاد عن سفاسف الامور وبين للناس ما يجب عليهم واظهر الحق من الباطل وحذر من الوقوع في المآثم فلي العاقل ان يتمسك باوامره ويتبعد عن تلك الآثار التي ابتدعها المذرورون ليروجوا بها سلمتهم ويستفيدوا الفوائد الدينية الوقية فجرو الناس على الاعمال الموجبة لغضب الله تعالى المتأفة لدين الفطرة المفسدة للعقائد المزيلة لركن التوحيد وسعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى

(محمد البشير ظافر الازهري)

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(التلفيق في التقليد)

(س ١) مصطفى أقدي رشدي بناية الزقازيق :

توضأت وقبل الصلاة نزل من في دم خالط الريق وغلبه فانتقض الوضوء لاني على مذهب الامام الاعظم فأردت أن أصلي على مذهب الامام الشافعي لأن ذلك لا ينقض الوضوء عنده فهل تجوز الصلاة ؟ وهل اذا اعتزاني مثل ذلك وأنا داخل للمسجد للصلاة اوفيه والوقت ضيق لايسع الوضوء أو كنت أنا لا أستطيع الوضوء الا في منزلي لاسباب صحيحة فهل أصلي على مذهب الشافعي وان مسست امرأة ؟

ومثال ذلك في عبارة أخرى ان التي ينقض الوضوء عند الامام الاعظم دون الامام الشافعي فاذا قاء الانسان وهو متبهي للصلاة فهل يصلي على مذهب الشافعي (ولمس امرأة) ام في حال لمس المرأة لا تجوز الصلاة ؟

ومثال ذلك ايضا ان صلاة الظهر تصير قضاء عندنا اذا دخل وقت العصر ولكن عند الامام مالك تعدصلاتها اداء الى ما قبل الغروب فاذا كنت متسلا وتوضأت

على مذهبي فهل تجوز لي الصلاة بعد العصر واعتبرها اداء على مذهب الامام مالك؟
 (ج) ينفي السائل بالامام الاعظم ابا حنيفة قال مذهب الحنيفة مؤلف في الحقيقة
 من عدة مذاهب أشهرها مذهب أبي حنيفة ومذهب أبي يوسف ومذهب محمد
 ابن الحسن ولكن هذين الامامين قد تلقيا عن الامام ابي حنيفة وسارا في الاجتهاد
 على طريقه في الاستنباط ولم تعرف اقواله وآراؤه الا عنهما وفي كتبهما لذلك جعل
 مايؤثر عنهما من الثقل عنه وما خالفه فيه مذهباً واحداً ثلاثة ائمة يقال لكبرهم
 ومرشداهم الامام الاعظم . وقد جرى المؤلفون في هذا المذهب والمفتون فيه من
 المجتهدين فيه على ترجيح اقوال بعض الثلاثة على بعض فكان كل عامل بما في كتبهم
 مقدراً لمدة اشخاص في حقيقة واحدة وهذا هو التلفيق الذي منه الجمهور وأجازوه
 بعض المحققين . وعلى القول بالجواز تكون صلاة السائل صحيحة في المسائل التي ذكرها
 وقد تقدم البحث في جواز التلفيق والاستدلال عليه في مقالات المصلح والمقصد
 فليراجع السائل في مجلد المنار الرابع (س ٣٦٩) وما بعدها وفي مباحث جمعية
 أم القرى من المجلد الخامس (س ٦٧٦) وملخصه ان المسألة خلافية وان أكثر
 علماء التقليد منعوا التلفيق مع انه لازم للتقليد وان دليل الذين أجازوه أقوى. وهذا
 الخلاف مفروض في المقلد الذي له معرفة بمذهب أمامه ونظر في أدلته وأما من ليس
 كذلك فهو عامي لا مذهب له وإنما مذهبه مذهب مقتيه فإذا أفتاه شافى بشي
 وحني بشي فلا يجب عليه ان يتوقف عن الاخذ بقول مقتيه في المسألة الى ان يعرف
 مذهبه في جميع المسائل التي تتعلق بموضوع الفتوى كالصلاة مثلاً

هذا وانه لا دليل في الكتاب ولا في السنة على تقض الوضوء بالتيء أو بخروج
 الدم فاختلاف فيها بالرأي والاجتهاد . وأما وقت الاداء والقضاء فالحكم فيه ان كل
 امام ينهك عن تأخير الصلاة الى الوقت المختلف فيه عمداً وإذا أخرت بعذر فأحسن
 التوبة وأقم الصلاة على وجهها في أول فرصة وليس عليك تعمد اداء أم قضاء والله أعلم
 ﴿تعريف الزنا وتحريم الاستمتاع بما دونه﴾

(س ٧) اسماعيل أفندي . ل . بمصر : توجهت لزيارة صديق لي فوجدت عنده مجلساً
 سافلاً بالاخوان والكل مشتغلون بالبحث في أحكام الدين - وهذا الشعور لم يوجد

الابهمة حضرتمكم أنابكم الله وجزاكم احسن الجزاء ، وكان من موضوع محمهم تعريف الزنا فقال فريق : هو كذا ... - وذكر معنى الفاحشة الكبرى - وما كان غير ذلك لا يعتبر زنا ولا ترتب عليه أحكام وحينئذ يمكن للرجل ان يأتي المرأة في جزء من جسمها ولا عقاب عليه : والفريق الآخر قال : ان الاززال باحدى هامه الطرق يعتبر زنا : واخيرا اتفقوا على سؤال المتار والسر على ما يقرره طبقا للشرعية الاسلامية الفراء .. (ج) ان أرادوا بالزنا ما يحكم الحاكم صاحبه الحد المعروف في الفقه فهو ما عرفه به الفريق الاول وان أرادوا ما حرمه الحاكم الحاكمين على عباده وجسمه من أسباب مقتسه وسخطه فهو أعم مما قال الفريق الثاني فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كتب على ابن آدم لصيه من الزنا مدرك ذلك لامحالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناهما الكلام واليد زناهما البطش والرجل زناهما الخطا والقلب يهوى وتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » وفي رواية لمسلم « والفم يزني وزناؤه القبل » : وظاهر ان المراد بالنظر هو النظر الى المرأة الاجنبية بشهوة والمراد بالبطش لمسها وفي معنى اليد غيرها فكل ملامسة محرمة . فاستماع الرجل بشير امرأته أو جاريته للمملوكة له ملكا صحيحا شرعيا محرم كيفما كان سواء أنزل أم لم ينزل

ومقتضى الحديث الصحيح الذي تقدم ان هذا الاستماع يسمى زنا وان للزنا مراتب أدناها النظر بشهوة عمدا وأقصاها الفاحشة الكبرى المروفة ، وانما وضع الحد على من انتهى الى الدرجة القصوى لان المضرات البدنية والمدنية والادبية التي يعاقب الحكام مرتكبها لا تظهر الا في هذه الدرجة فالنظر مما يكثر وقوعه ولا يعرف كونه بشهوة الا من الناظر فتزنيب الحد عليه حرج عظيم لانه من الهم الذي ترجى مفترته باجتتاب ما وراه « والذين يجنبون كبار الائم والنواحيث الا الائم » وأما اللمس والتقبيل فضرته في الاصرار ومنها تجربته مرتكبه على المحارم اذا لم يبادر الى التوبة منه وهي مضرة روحية لا أثر لها في الامة - اوفي الهيئة الاجنبية كما يقولون - الا اذا تعدى الرجل على المرأة او فعل ذلك بحضور الناس ولذلك درجات تختلف باختلاف الاشخاص والمكان والزمان ليس من العدل ان توضع لها عقوبة معينة

لا يختلف كما هو معنى الحد وإنما عقوبتها التعزير الذي يفرض الى رأي الحاكم . فلم من ذلك ان عدم وضع الحد على مثل هذه الامور ليس دليلا على اباحتها ولا على كونها هيئة عند الله تعالى

ويتوهم بعض الناس ان ماشرنا اليه من انواع الاستمتاع بالنساء دون الوقاع لم يحرم الا لانه مقدمة للوقاع الذي تترتب عليه المفساد الكثيرة وان من وثق بنفسه وقدر على منها من الوقاع حل له ان يستمتع بالمرأة الاجنبية كما يشاء اذ لا مفسدة في هذا (بزعمهم) ومن كان من هؤلاء مجاورا في الازهر بعض سنين ، او متلقيا شيئا من كتب الدين ، يستدل على ذلك بنص « ان تحببوا كباثر ماتهن عنك نكفر عنكم سيئاتكم » ويقول بعض الفقهاء لا كبيرة بما دون الفاحشة الكبرى وهي الوقاع . وقد كان سألني مشافهة احد تلامذة المدارس العالية في مصر عن ذلك وقال ان التلامذة وغيرهم من الشبان في مصر يعاشرون البنات العناري ويستمتعون منهن بما عدا الفاحشة المينة فهل يحل ذلك ام يحرم ؟ فأجبت بأنني اتمجب اشد التمجيب من كون هذا الجاحظي تحريره على مسلم ويرى انه ما يستحق فيه

نعم انه لم يحرم شيء في الشريعة الاسلامية الا لانه ضار بفاعله او بالناس مباشرة او مفض الى الضرر وان استباحة استمتاع الرجال بالنساء فيادون الوقاع ضار بالمستمتعين والمستمتعات وبغيرهم . وبيان هذا بالتفصيل لا يذكر في جواب سؤال ولكننا نذكر ما يخطر لنا من ذلك الان بالاجاز فقولنا لذلك مضرات كثيرة

(احدها) ان هذا الاستمتاع يفري صاحبه بالشهوة ، ويوله باللذة ، حتى لا يكون له هم سواها ، فان من طبيعة نفس الانسان انها اذا أخذت بمادي الامر المستلذ بالطبع تتدرج فيه حتى تصل الى غايته ، وتكون قبل الوصول الى الغاية في بلبال وهم ، واشتغال ففكر وقلب ، وهذا ضرر في نفسه وهو اصل مضرات اخرى تنشأ عنه كما يعلم مما يأتي

(ثانيها) انه يورث النفس الصغار والضة لان اللوع بملاعة النساء من اللوع بملاعة الاطفال او الحسام فان هذه على كونها اشتغالا بالمحقرات والمفاسف التي تافى كبر العقل وعزلة النفس ليس فيها من الخوف ومهالة النفس ما في اللوع بملاعة النساء (ثالثها) انه يملك الهوى وحسب اللذة ومما الارادة وقلمنا نجد عند صاحبه عزيمة

ثابتة الا ماعاصم يكون في طلب لذته ، ومن يستحل الزنا فيرتكبه عند شدة الداعية اليه في المواقير العامة لا يكون عرضة لهذه القائلة وما قبلها كالمستحل في ملاعبة النساء والاستمتاع بهن في غير المسيس ، وان كان لزننا مضرات أخرى شر منهما (رابعا) انه لا بد ان ينتهي أمر هذا الاستمتاع بالفاحشة الكبرى لما فيه من من الاحاح بالاغراء ، والتجربة على الصيان ، فان كان الفاسق يستمتع بمذراء يحافظ على شرفها ، ويحشى عاقبة فضيحتها ، وقوي لذلك على ضبط نفسه معها ، فانه لا بد ان يجمع به سلطان الهوى المطاع الى غيرها .

(خامسا) ان اوزاع الدين والحيامن افة تعالى يضعف ويضمحل في نفس هذا المستمتع وفي ذلك من الضرر الروحاني والمحل لشرحه هنا ومن قرأ ما كتبناه في معنى تكفير الحرج للذنوب في الجزل الماضي فانه يستغني به عن طول الشرح

(سادسا) ان هذا العاصي لسلطان الدين ، الخاضع لسلطان الشهوة ، لا يكتفي ظالما بالاستمتاع بامرأة واحدة لاسيا اذا كانت الخلوة بها لا تيسر له دائما فهو اذا جاء الوقت تم به داعية الشهوة بدافع من التأثير والتأثير العصبي فيلمس غير من عرفها أولا حتى يضيع كثيرا من وقته ويحرم بذلك من اتقان عمله في معيشته (سابعا) ان هذا العاصي يفسد باسلاسل قياده للذة كثيرا من النساء وهذا شر في نفسه وربما يتولد منه شرور أخرى كالناراع بين الفاسقين او بين الفاسق وأقارب المرأة

(ثامنا) ان في هذا التنقل في الفسق من اتلاف المال ما يقل عنه كل اتلاف (تاسعا) ان من اعتاد على التنقل في مراتع الفسق كثيرا ما يرغب عن الزواج ويكتفي بالمسافة واتخاذ الاخذ ان وفي ذلك من المفساد ما فيه وشرحه شرح لمضار الزنا وانما كلامنا في الاستمتاع بما دونها الى ان يؤدي اليه

(عاشرها) ان من اعتاد ذلك يحرم في الغالب من السعادة البيتية التي ملاكها قناعة كل من الزوجين بالآخر ، ومن تنقل في مراتع الفسق لا يكاد يرضى بمن يتزوج بها لاسيا اذا اعتاد الاستمتاع بمن هي أجمل منها شكلا ، أو ألطف في ذوقه دلا ، وكذلك المرأة ، وناهيك بما في فقد هذه القناعة من ضرور الشقاء ، والحناية على

النسل ، فانه مغرب لليوت التي تتألف منها الامة
وجملة الناس ، ان الاستمتاع المسئول عنه صار في ذاته ومؤد الى الفاحشة حتما ولكنه
شر طريق اليها لان من وقع في الفاحشة ابتداء يوشك ان يدرك قبورها ويتوب منها
قبل الاسترسال فيها ولكن من يقدم لها تلك المقدمة المهيجة فانه ينشمر فيها حتى
يفرق ويكون من الهالكين ، أما مضرات الزنا في البدن والنفس والمال والامة
أو الاجتماع فسنشرحها في وقت آخر ، فعلى المؤمن بالله واليوم الآخر ان لا يخدع
لهواه ويتجبرأ على الاستمتاع بغير حليته الشرعية غشا لنفسه بأن هذا مقدمة لازنابليس
فيه كبير ضرر فان هذامن وسواس الشياطين ،

❦ اسئلة رفعت الى مفتي الديار المصرية ❦

كتب احمد بن الحاج مصطفى التركي الجزائري كتاباً للاستاذ الامام يقترح عليه
ان يؤلف كتاباً مختصراً فيما يجب معرفته من البادات على الجاهل ويسأله هل يجوز
الاخذ بقول أي مذهب من المذاهب الاربعة أم لا وعن أخذ الاوراد من مشايخ
الطرق وعن التوسل بالاولياء مثل : اللهم يارب بحق قلان : الخ وعن التبرك بكتابة
الفاتحة في محن وشربها للعافية من المرض أو من العين والسحر ، وعن اتخاذ حرز
من الادعية النبوية التي في صحيح البخاري - « لا غيرها مثل الزناقي وأبي معشر » قال
فهذا الحقير يعترف بأنه باطل - ثم قال « لان الحقير يعيل بالطبع الى الاقتداء بمذهب
السلف الصالح * ولما كانت حضرتكم امامنا في هذا الزمان الذي كثر فيه الخلط
والتخبط خصوصاً في بلادنا ولم نجد من يرشدنا انزوى الفقير لبايكم فلا تردوه خائباً
والله يحفظكم ويرعاكم ، واذا ظهر لكم نشر ما ذكرت لكم في التار الاغر فذلك
ما كنا ننبغي والسلام »

وقد أعطانا الاستاذ هذه الاسئلة لتجيب عنها بما يأتي : أما الاول فالعامي
لامذهب له وانما مذهب مذهب مفتيه فليعلم ان يسأل أي عالم عن حكم الله في المسائل
التي تعرض له وان يأخذ بما يرشده اليه وليس عليه ان يسأله عن مذاهب العلماء
وأرائهم . وأما مشايخ الطرق فهم العالم بشرع والجاهل به فاذا أرشد العالم تلميذه
ومريده الى التوبة والذكر والفكر والادعية الماثورة في الكتاب والسنة الصحيحة

فله ان يتخذ مرشدا ومريا وان يهتدي بهديه السلم من البدع ولا يجوز لاحد ان يأخذ شيئا عن مشايخ الطرق الجاهلين بعلوم الدين - وأهمه علم الاخلاق وآفات النفس - لانهم مضلون لمرشدون، وأما كتابة الآيات والادعية في الاواني والاوراق لاجل دفع الامراض والآفات فهو استعمال لطاف غير أنزل لاجله من هداية الناس وتوجيه قلوبهم الى الله تعالى وحده حتى لا يضلوا على غيره في دفع الضر وجلب النفع بعد اتخاذ الاسباب المعروفة للناس . وما ورد من نحو اجازة بمض الرق - وهي من هذا القيل - فلا بد ان يكون له سبب خاص في واقعة حال خاصة وان ذلك ورد في حديث البخاري وغيره ان من علامات المؤمن الصادق الذي يدخل الجنة بغير حساب أن لا يرقى ولا يسترقى بل يتوكل على الله تعالى في دفع ما لا يعرف سببا عاديا لدفعه وهذا ما جرى عليه السلف الصالح رضي الله عنهم .

وإنما التوسل الصحيح هو التقرب إلى الله تعالى بمشاعره من العلم والعمل الصالح ، والتوسل بالصالحين من سلف الامة باتباع طريقتهم في الورع والتقوى وتحري العمل بالكتاب والسنة المطلوب : وانما تختم هذه الاجوبة بمساجد في آخر الصفحة ١١٣ وعامة الصفحة ١١٤ من كتاب إغاثة اللفهان للإمام ابن القيم ، فقد ذكر بعد بيان الفتنة بالدعاء عند القبور وتوهم تأثيرها في الاجابة مانعه بعد العنوان :

﴿ الأقسام على الله تعالى ببعض عبادته ﴾

والمقصود ان الشيطان يلطف كيد به بحسن الدعاء عند القبر وأنه أرجح منه في دينه ومسجده وأوقات الاسحار فاذا قرر ذلك عنده قلبه الى درجة أخرى من الدعاء عنده الى الدعاء به والاقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك. قال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لاحد ان يدعو الله إلا به ، قال وأكره ان يقول أسألك بمعقد المز من عرشك وأكره ان يقول : بحق فلان وبحق انبيائك ورسولك وبحق البيت الحرام : قال أبو الحسن : أما المسألة في غير الله فنكرة في قولهم لانه لاحق لغير الله عابه وانما الحق لله على خلقه . وأما قوله : بمعقد المز من عرشك :

فكره أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف قال : وروي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بذلك . قال : ولأن معقد المز من العرش إنما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمت فكأنه سأل الله بأوصافه . وقال ابن بدجي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله تعالى الإله فلا يقول : أسألك بفلان أو بعلائك أو بأنيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على خالقه . أو يقول في دعائه : أسألك بمعقد المز من عرشك ؛ وعن أبي يوسف جواز ما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، وفي فتاوى أبي محمد بن عبد السلام : أنه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الأنبياء ولا غيرهم وتوقف في نيتنا صلى الله تعالى عليه وسلم لا اعتقاده أن ذلك جافي حديث وأنه لم يعرف صحة الحديث .

فإذا قرر الشيطان عنده أن الأقسام على الله به والدعاء به يبلغ في تعظيمه واحترامه وأعجب في قضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله ثم نقله بذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وقتاً يعكف عليه ، يوقد عليه القنديل ، ويلقى عليه السطور ، ويبني عليه المسجد ، ويبعد بالسجود له ، والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه ، والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته ، واتخاذهم عباداً وقتاً ، وإن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم . قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب أبعد ما عن الشر أن يسأل الميت حاجته ويستنيث به فيها كما فعله كثير من الناس . قال : وهو لا من جنس عباد الأصنام ولهذا قد تمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يمثل لعباد الأصنام وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله . المرتبة الثانية أن يسأل الله عز وجل به وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو بدعة باتفاق المسلمين ، الثالثة أن يسأله نفسه . الرابعة أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك زوايا بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم : قبر فلان ترياق محروب والحكاية المتقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر ، اهـ

القسم السومى

﴿ نظام الحب والبغض ﴾ (تابع ويتبع)

(بقية الكلام في رابطة الدين)

ان الذين مآرأدوا الا اصلاح ما استطاعوا ! يتأف هدامم الذي يدعون اليه في كل جيل وكل قيل من ركنين مشبين ، على اساسين متينين . الاول توجيه النفوس الانسانية الى عالم الغيب لانّ هناك كمالها المد لها بحسبها . وأساس هذا الركن ان النفس الانسانية - هذه التحفة البديعة التي لم تزل من الاسرار الغامضة - لم تخلق عبثا ، والثاني ترقيق عواطف الناس بعضهم على بعض ليخف بتواخي الكثيرين بعض من التعادي القديم العمومي الوحشي . وأساس هذا الركن ان كمال كل نفس - في عالم الشهادة والغيب هبيرا سواء فضلت افادتها للغير أو فضلت استفادتها أو استوثا . ثم ان كل ركن من هذين الركنين مبني من أجزاء كثيرة . وهذه الاجزاء تكون بحسب الادوار والاحيال . فلهذه العلة تختلف صور الاديان وجودها وواحد . هذه الاجزاء نسبيها وسائل . ولاختلافها بحسب الحال فيها يدعو اليه المتمددون تعددت الاديان باعتبار تعدد الدعاة وباعتبار تخالف الوسائل .

فأما الراسخون في هذا العلم فما زالوا ولا يزالون يعظمون أمر ذلك الجوهر الذي يهدي سبل السلام ويخرج من الظلمات الى النور وأما البعيدون عن العلم فلا يستفنون عن قائد يهدهم في مناهج تلك الوسائل فالبشرى لهم ان كان قائدهم مصلحاً مخلص القلب والويل لهم ان كان قائدهم مفسداً . وبالجملة فشان هؤلاء ان يظنوا أن الوسائل روح الدين ، والتذامج في سبيلها نهاية عمل الطيبين الطاهرين ، ونفاية الزلف عند رب العالمين .

ولتأيد ما ذكرناه آتينا من وحدة الجوهر لزم ان نورد شهادات من كتب الاديان . ويجدر ان تقدم بين يدي ذلك قولنا : « ان هذا الذي علمناه بعد قراءة اسفار الامم ، وصحف أحيال الشعوب ، قد أوحى لبي أمي لم يقرأ سراً ، ولم يخط سطره فاعظم تلك اللوحة (عليه الصلاة والسلام) .

فما أوحى اليه : « قل يا أهل الكتاب (علم على اليهود والنصارى) تمالوا الى كلمة سواء ينذروا وينكم (هي) ان لا تعبد (أي ان لا ترجو ولا تخاف شيئاً من الاشياء

رجاء بقارنه حب واحترام ، وشوق وهيام ، وخوفاً يقارنه هبة واعظام ، وخنوع واهتمام) الا الله (الصانع المدير من به قوام الكوائن واليه يسود نظامها) ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً (أي يعقام الأرباب من السلطة المطلقة) من دون الله (بل الله وحده السلطة المطلقة والكمال المطلق والقدس المطلق) أفلم تروا ان قوله « سواء بيننا وبينكم » يقيد مانحن بصدده من وحدة جوهر الدين .

ومأ أوحى اليه : — « ان الذين آمنوا (علم على أتباع محمد صلى الله عليه وسلم في زمانه) والذين هادوا (علم على أتباع موسى) والنصارى (علم على أتباع عيسى) والصائين (علم على طائفة كانوا يبايل) من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً (ما يصاح لسعادة النفس) فلهم أجرهم عند ربهم (كل على حسبه) ولا خوف عليهم (من اختلاف النسبة) ولا هم يمزنون (على فوات أجر العمل) »
أولم تروا ان ذكر الذين هادوا والنصارى والصائين مع الذين آمنوا بمحمد ثم الوعد بالخزاة الذي ينفي الخوف والحزن لدى الايمان بالقيوم والعمل الصالح فيبد ان هذا هو الدين المطلوب من كل لا الاتم للاسماء .

ومأ أوحى اليه : — « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب (أي التوراة والانجيل) ومهيئنا عليه (أي شاهداً) فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم (اي ظنونهم بأن وسائلهم لا تنسخ) عما جاءك من الحق . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (اي في الوسائل) ولو شاء الله لجلدك امة واحدة . (أي متفقة التاهج في السلوك لبوغي الركنين المقصودين في الدين) ولكن ليلوكم (اي ليظهر استعداد كل منكم بحسب زمانه ومكانه) فيما آتاكم (من آلات العلم والعمل) فاستبقوا الخيرات (أي استعملوا الآلات فيما خلقت من أجله لتكون لكم العلوم الثافئة والاعمال الزافئة وهي الخيرات بخلافها . وهذا الخطاب ختان وتفضل على الفطرة ومنح لها السعة في القابلية) الى الله مرجعكم جميعاً (أي الى الموقف العنبي الذي تنال فيه نفوسكم ما أعد لها بحسب ما قدمت في الموقف الحسي) فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . (اي يكشف لكم هنالك ما حجبه الحس عنكم هنا) . »

وشاهد هذا المعنى من القرآن المجيد كثيرة . وللاختصار نكتفي بما تقدمناه

ونكتفي أيضاً بشاهد واحد مما في كتب العهدين (التقديم والجديد) فاليكموه جامعا هذا المعنى المجمع عليه في العهدين، سئل المسيح : يا معلم أي وصية هي العظمى في التاموس . فقال له يسوع تحب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الاولى والعظمى . والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق التاموس كله والانبياء (متى ص ٢٢) أو لم تروا كمال المطابقة بين ما عبرنا عنه هنالك في وصف الركنين وبين ما عبر بهنا عنهما .

وانما قد كتبنا هذه الادلة للمتدينين الذين قد يعيرون الالامال هذا المعنى أما غيرهم فسوف يقولون سواء علينا أصحت هذه الدعوى أم لم تصح فأتناقوم بنظر الواقع فأخذ منه نفس الامر . ونحن نقابلهم فنقول سواء علينا أذهم أم لم تذهموا فأتنا قوم نطهر للجواهر ولا نسيا بالصور ،

وهانحن اولاء نين لكم كيف تتايرت الوسائل حتى تغايرت صور هذه الاديان : إن فروع كل قانون من قوانين العالم في الاخلاق وفي نظام الاجتماع تكون بحسب الحيل والقييل وقد يحدث في فهم المخاطبين بها تفاوت فيكون اليونان قانون وقانون وهذا مثله ذلك

(١) في بعض الاحيال سنعمل شيء لتأليف القلوب . وفي أحيال أخرى كان ذلك العمل من مفرقتها .

(٢) في بعض الاحيال شرع عمل لضرورة وفي أخرى لم تكن الضرورة تلك .

(٣) خوطب قوم برموز فأخذها آخرون على ظاهرها وخوطب قوم بصريح

فقالوا هذه رموز !!!

(٤) رغب قوم بسعادة الحس وأرهبوا من شقائه وآخرون رغبوا بسعادة القلب وأرهبوا من شقائه وشوق آخرون للامرين فهم الأولون بوسائل الملك والغلبة على الامم . وهام التالون يرفض التعم في هذا العالم وعدم المبالاة بجميحه . واعتدل الآخرون فطلبوا نصيباً من ههنا وههنا . واشتغلوا بكتنا الوسيطين فكيف تتساوى الفروع ههنا ؟

فأتمرون من هذه الامثلة وما ستقيسون عليها أن الوسائل ضروري فيها التغيير وما كان تحت التمييز فهل يكون الروح واللب ؟

وكثيراً ما تنفق بعض الأجزاء بالمعنى ويفترق دواؤها ما بين صريح أو رمز كالتمثيل عن كون الخالق خالق الخلق اضداداً بأن العالم نشأ من الظلمة والظلمة نشأت من النور . وكالتعبير عن كون الفاطر فطر الإنسان فطرة بديمة وآتاه فضلاً من العناية (كأن سخر له الأرواح الساريات بطوناً ، والأجسام الجارية ظهوراً ، والمعاديات عدناً) بأنه سواء يده ، وتخي فيه من روحه ، وخلقه على صورته ، واستخلفه في أرضه ، وعلى هذين المثالين قيسوا ما اختلفه بين صريح وكناية . وعجالة وإشارة ، ولوشاح السردينا ههنا من الأمثلة مئات ، تنتفع بها الفئات ، فليستع من قرعت سمعهم هذه الاشارات ، يتابع ذكلمهم الفائضات ،

والفرض من كل ذلك أن الذين يلهمون الحكمة الصافية لا يمدون ما يبينون به للناس دينهم الذي أجوبه من فهم شخص ، وكرهه من فهم آخر ، وهو واحد

ذلك الدين الواحد هو ما أمر به الرسول من اسلام النفوس الى بارئها وتصحيح الارادة وتوجيهها نحو الكمال الذي اعتد للفطرة ان تاله فطرة الله التي فطر الناس عليها . « ان الدين عند الله الاسلام » ومن أحسن ديناً عن أسلم وجهه فهو هو مؤمن واتبع ملة ابراهيم خنيفاً . ولم يك ملة ابراهيم الا ملة الفطرة ، فقد سمعتم انه عاق تلك الاوضاع التي كانت في قومه « الصابئين » وهاجر من ديارهم ولم يك في ملته تلك الويل والاحزاء التي اقتضاها من بعد ذلك زمان موسى ثم لم يقتضها زمان عيسى ولا زمان محمد (عليهم السلام) فبالحق كم من فضل ومنة علينا لهادينا الرؤف الرحيم ، ومرشدنا الرسول الكريم ، الذي أهدانا من الضلالة ، اذ دعانا الى هذه الملة . ملة الانبياء كلهم كما أوحى اليه : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وفي آية أخرى « قولوا آمنا بالله وما أنزلنا اليك وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »

أما الجيدون عن العلم فهم عن هذا معرضون ، يشنون للمشاحة في الكلام والاسماء ، والكر على الوسائل والاجزاء ، لب ان فرض وروح الدين ، وغاية المطلوب من الطالعين الباطهرين ، ونهاية الزلف عند رب العالمين ، ولو كان كذلك لما غير الانبياء شيئاً من وسائل من قاهم

اذ قد أصرأوا ان لا يفرقوا في الدين، فهل هم يخالفون الوحي؟ كلا أم أوحى لكل منهم دين على حدة؟ كلا وإنما أوحى لكل منهم شرعة ومناهج، ووضع لكل منهم في رقيقة الناس معراج، وبين الدين والشرعة فرق لغوي واسطلاحى، فأسألوا أهل العلم ان لم تعلموا وقد حررتا لكم آتفاً ما يزيدكم هذا ان كنتم تذكرون

وإنا لسألوهم هل لب الدين تلك المسائل التاريخية التي وقعت كما وقعت ثم اختلف التعبير عن كيفية وقوعها، هل غاية ما يتوقف عليه رضا الباري وغضبه القول بأن زيدا أهانه عمرو أو أنه لم يهنه عمرو وإنما أهانه يد سرية ورأى الناس يد عمرو فحكموا أنه هو الذى أهانه ولكنهم في الحقيقة واليقين لم يسيبوا في حكمهم لان الذى أهانه يد سرية لا يد عمرو هل هذا كل الدين؟

وسألوهم هل منتهى الدين أمور تتعلق بالمعادن البشرية من قيام وقعود، وسهر وهجوع، وشبع وجوع، وذهاب ورجوع، واطعام وتزويل، وأمرور أخرى تتعلق بالأبدان، من لحم وشعر ونظفر واسنان، أو هذا هو الدين أو هذا كل الدين؟ وسألوهم هل يبلغ زائف المتدينين ان يفنى بعضهم بعضاً أن استطاعوا أو يقبل المغلوب ما قبل الغالب. اذن أين حرية التفكير. اذن أين الفضيلة لا يكره فيها يأتيه بظاھرہ وینکرہ بباطنه؟

هناك أسئلة كثيرة يستلها من غلظنا تلك الغلظون، وتربص بعضهم بضرب المتنون أما نحن فسيأتنا سائل من أهل الملل قائلا: هل أنت تسكر الوسائل مطلقا، وهل الوصول الى ذيك الركيزن يكون بدون الوسائل، وهل أنت غير معتبر لوسائل دين من الاديان وبهذا الاعتبار ألا ترد غيرها؟ وحينئذ فأنمره تطويلك هذا الذى لا يشيك مثل غيرك عن قنيدن الذاهبين الى وسائل شرعة اخرى؟

فقول ل هؤلاء انه من المؤكد اننا قبل الوسائل التي في دين محمد (عليه السلام) لانها قديمان (١) قواعد عامة شرعية يمكن البناء عليها في كل زمان ومكان و(٢) قواعد عامة أدبية معينة ومساعدة للقواعد الشرعية. ومن شاء ان يسألنا عن قاعدة منها لا يقبلها العقل فليعمل... ولكن قولنا ذلك هل يمتنعنا عن تذكر القاعدة العظمى التي يبنى عليها الاخاء الكبير، أم يأمرنا به وبالتذكير؟

اني لما رأيت الناس (منهم) من نسوا الجوهر الذي منه واليه ~~شكل~~ الاديان ، ومنه واليه صلاح الانسان ، وظنوا ان الحركلة والدين في مخنفة غيرهم في كل شيء (*) و (منهم) من اختلفوا في فهم وسائلهم فاقسموا على انفسهم . ومنهم من اقاموا ناساً منهم مقام المرشدين الذين يتقدمون عصمتهم فعبثوا بالمقاصد والوسائل عمداً أو خطأ . و (منهم) من ليس له من الاديان الا النسبة التي أصبحت بمقام النسبة للقوى - لما رأيت هذه الاحوال الضارة التي ليست من الاديان في شيء نويت بتطويلي هذا تذكرياً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بالجواهر وتنفيذاً لمن اقاموا أقل الوسائل اعتباراً مقام المقاصد العظمى على حين ان الشعوب تشابهت في الحاجات المادية والادبية وتشابهت في عدم العلم والعمل بأديانهم المقاصد والوسائل ، فمن تذكر هذا التذكري يرجى به ان يتخذ نبراساً يخرج به من الظلام ، ويهديه سبل السلام ، وان قبل هذه التذكيري فاعل

من أثم ١ من ب ثم ١ من ج ثم ١ من د فهذه هي الثمرة المطلوبة لان ١

وسيقول بعد هذا من يدعون حب الحكمة من الذين لم يرتبطوا بامروءة من عرى الاديان كلها : ان هذا الذي حررته الاشعر أو حامى المألوف وان جنى الناس من الديانات إلا التذابح ، فيالله العجب هل حدث التذابح يوم حدثت الديانات أم هي سنة البشر من قبل ؟ ألم يكن من ثمرات الاديان تخفيف ذلك التذابح القديم ؟ ألم تحشر الشعوب الكثيرة المتغايرة في الالسنه والالون . المتباعدة في العادات والبلدان ، تحت رايات قليلة من رايات الاديان ؟

(*) قيل لمندي عامي هل تصلي قال : آكل البقر الحمد لله : ورأيت قوماً يرمون شخصاً بالكفر فسألهم عن دليل كفروه فقالوا إنه لبس قمعة في أوروبا . وأخبرني شيخ بمعركة لايزال حيا - عن نفسه أنه كان هو أول من لبس القوندره (الخزمة) في هذا البلد فرأى أحد الاعيان فاستحضر أخاه وقال له ان أخاك لم يبق عليه الا ان يعلق صلياً في عنقه . قال فبالله ؟ قال اني رأيته يلبس قوندره أليس هي من زي الفرنجة ؟ فماد على أخيه يا كيا ناجا قال فما بالك قال انك البستنا العار بلبستك هذه وقص عليه الخبر . ولكن لم يمض عام حتى لبس المعمر من تلك اللبسة فقال له كما قال له كفا قال له فنجعل وطلب منه الإقالة .

وإنما لسائلهم لو لم تكن الأديان التي تدور على الخوف والرجاء من القوة القبيحة،
والعدل والإحسان في البرية. كيف كان المرء يصنع إذا خضع للمصائب، وانتهكت التواب،
يُجلب يده لنفسه النية، لأنه رأى الحياة قراراً الآلام الحقيقية، وعش الآمال الوهمية،
وكيف يده يذهب الحياة وهي حبيته وانقضت، ومناه وانقضت ففتنة، أم يصبر
تحت ما قبل من أعباء الحياة صبر الحمار الذي لا غرض له في الحمل، ولا أمل له
بشر الفص المأكول، ؟

وكيف يصنع المرء إذا لاحت له رغائب، فيها الخير ومطالب، أرى عي الخير وهو على أن يبيده
 فدير، وبأن يؤثر نفسه جدير، أم يبيده في الهوى، ويفضل الآخر هكذا حتى لا يلقى سوى،
 أم للرغائب حد يقف النفس لديه، أو مطلوب اسمى تلتفت إليه. أهذا شرعكم أم هذا ماديون
 أن يبيد لقوي الضيف أن ينفقه، ويشيد على الجانيات والحيات شرفه، فكلم أخطأ الناس
 إذ لم يتبعوا فيكم شرعكم، وبذرعوا لكم ذرعكم. كأن لذكمن أن لا تكون الحكمة إني بها
 نظام العالم التي من أجلها ربحكم من هم أقوى منكم وترككم بمواهبكم كلها متمنون، أفهذا
 جزاؤكم للحكمة أن تغيروا عليها بمخمس كسيف من التوهيات الشمسية التي تريدون أن
 تدمر ما بها قواعدها، وتخرجوا الناس فوائدها، ؟

أفأنتم من أنصارها الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، عما تظنون، وبئس ما تصنعون، تفكروا أم لكم ترشدون، وتذكروا العلمكم تشكرون.

❦ خلاصة ❦

والخلاصة من كل التفصيلات المتقدمة أن اقبال الجماعات الكثيرة، على دعوة هاد من الهداة المطهرين، معراج من معارج الانسان في العلم بعد الجهل، والقوة بعد الضعف، فالفضيلة التي تكره الضر، وتنبى عن الشر. تبهج نفسها بهذه الام التي تربي في حضنها اقواماً تباعدوا في الصور - كابتاعوا في الكور، حتى صاروا بواقاربون في القلوب، ويرحم الغالب منهم المغلوب، والسياسة التي تهوى القوى، لتوزن كل جماعة مع السوى، وتقر عينها بهذه الام التي تربي لها حامة؛ لا تسأل يوم الواقعة ما هي، (ع. ز)



أنا علي بن الحسين

تفسير سورة العصر

قد جمعنا من الثمار تفسير سورة العصر للاستاذ الامام وطبناه وحده في كتاب صغير الحجم كبير الفائدة وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ وخطابه في تونس وموضوعه (العلوم الاسلامية والتعليم) . ويلم قراء المثار ان هذا الكتيب ركن من أركان الاصلاح والارشاد وقد كتب الشيخ محمد بن مصطفى أحد علماء الجزائر المشهورين بآليفهم المفيدة كتابا للاستاذ الامام يقول فيه مانصه :

(وقد اطلعت في المثار الاثوري على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع فرائني أسلوبه الفائق العجيب ، واخذته في منزعه العجيب بالتلايب ، فله أنتم ، وقد دركم ، ما أبعد غور فكركم الصائب ، وغوص ذهنكم الثاقب ، في استنباط دقائق المسائل ، وتقرير حقائق الفضائل ، ولشدة شغفي به قرأته على ملا عظيم من العلماء والطلبة والاعيان عشر مرات في مجالس متفرقة فاستحسنوه جدا واستجزلوا فوائده وأبدوا من السرور مالا مزيد عليه وأنشوا على جنبابكم السامي بما أنتم أهله ، ودعوا لكم من صميم القلوب بسعادة الدارين ، اهـ هذا واتنا قد جمعنا ثمن هذا الكتاب في مصر قرشا صحيحا واحدا تسهلا لاقتنائه على مجاوري الأزهر وتلامذة المدارس الذين هم أجدر الناس بالاستفادة من حكمه العالمة وأسلوبه الرقيق . ومن طلبه في البريد فعليه ان يزيد أجره لإرساله

قصيدة عالم جزائري في الاستاذ الامام

أطلعنا على قصيدة تزد على الحسين يتنا للشيخ عبد الحليم بن علي بن سباه أشهر علماء الجزائر مدح بها الاستاذ الامام وأرسلها اليه في القاهرة من عهد قريب فسرنا مآنها آية من آيات صلاة علماء الاسلام بعضهم بعض في الاقطار المتباعدة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به أهل الشرق من قدر الاستاذ الامام ، واتنا تقتطف منها هذه الايات
فأنت لنا شمس تنير على المدى أتى نورها من غير أن تنطلقا
ادريذكرائك الذي منك قدمضى فأشرب كأسها بالصفاء منه مشعا

يذكرنيك المجد والعلم والتقى
 وتلوي الى تلك المجالس فكرني
 محافل كان العلم فيها مجالي
 فأسمع فصلا من حكم وحكمة
 فما بال أقوام هدى الله عقلهم
 ألم ينظروا الآثار تشهد بالعلی
 لسان متى يوماً تألق برقه
 أمن بعد اجماع عليه وأخذه
 فهل حمية من بعد حق مشاهد
 يقول يشد الفضل متن يانه
 يطالب بالأعمال في العلم أهله
 لمحرك ما تقني العلوم وحفظها
 تحس بها كلكا يسري بعوده
 أتي بكتاب في الكلام يانه
 ويسبح ران القلب عن له رنا
 براهته في النفس والكون والحجا
 تنزه عن دور وغل تسلسل
 بقودك للبرهان غير مقيد
 فانظر من عليك عرشا مرفعا
 فتترك قلبي بالخيال متمعا
 أسامر بدرا بالجلال تقمعا
 اذا ما بدت خرت ذرى الزور ركما
 يمارون فيه والسحاب تقمعا
 وان ينبع الماء يوجب منبععا
 يسبح رعد السامعين لمادعا
 تراء على أيدي الهوى قد تروعا
 وما الحق الا أن تراء وتسمعا
 وما القول لولا الفعل الامصدعا
 وحق له من عالم قد تضلعا
 اذا لم تكن فيها خطييا ومصمعا
 متى رامة ففكر لامر تجمعا
 يفادر من صم الجنادل خشمعا
 يسكن جاش القلب مهما يردعا
 وليست لرسطاليس أو من تصمعا
 وكم سلسلت آياته من تطمعا
 يريك حدود العقل مهما تطمعا

بَابُ الْحَبِيبِ الْكَافِي

— مجلة بشار السلام —

يعلم قراء النار اننا أنشأنا فصولا كثيرة في الرد على هذه المجلة البروتستنتية المعتدية
 على الاسلام وكتابه القرآن الحكيم، ونبيه خاتم النبيين، وهذه الفصول منشورة في المجلة
 الرابع والخامس والسادس ولما لم يزدها الرد الذي كشف الثقاب عن أباطيلها وأظهر

لها الحق الا لجأنا وغادأ حركت القبرة بعض أعضاء مجلس شورى القوانين فخطبوا الحكومة في شأنها وقبل ان يخطبوها طلبوا منا أعداد المحلة ليراجعوها ويطلع بعضهم بعضا على ما فيها من الطعن المنوع قانونا وأدبا وكناسكتنا عن الرد في أجزاء قليلة لكثرة المسائل العارضة فاضطررنا الى الاستمرار على السكوت لان الاجزاء لم تمتد اليها وقد توهم بعض القراء اننا سكنا لاجل اعتراض ذلك المعارض من الاسكندرية الذي لم يستحسن الرد على المحلة وزعم ان ذلك يزيد في نشر شبهاتها فصار الناس يسألوننا عن ذلك حتى كتب الينا قاضي جزيرة البحرين — وهو من فضلا أهل العلم والدين — من كتاب طويل مانصه :

« ولحقني على تقاريرك عن شبهات النصارى فالي لأرى لها ذكرا، فوريك ان أجوبتك كالشبه المحرقة لشياطينهم، الممزقة لشبهاتهم، وفهمي من مدلول علمك، وفور عقلك، فإأظنك تصفي نمر انتقدك في أجوبة شبهاتهم، وعلمته التي قادها او هي من انتقاده، أو في حسبانه ان دوى أصوات شبهاتهم محصورة فيما بينهم؟ بل بعدما وحي بها شياطين جنهم، فاه بها شياطين أنفسهم، الخ

فليعلم القاضي الفاضل وغيره من القراء، اننا لم نترك الرد لذلك التقدير، فإنا نعلم ان فينا من لا ترضيه منا الحسنات، ويود ان يحولها الى سيئات، وكما انتقد ذلك الاسكندري علينا بالامس الرد على المعتدين على الاسلام من الذين قالوا اننا نصارى، انتقد علينا اليوم الرد على المعتدين على الاسلام من الذين قالوا اننا مسلمين، وحرموا علينا طعام أهل الكتاب وهو حلال بنص الكتاب المبين - وحرموا علينا لباسهم وقد لبسه الرسول الامين، ومن أعجب قنون الجنون ان يشتك شتم سرا، ويكلفك ان تشتم نفسك جهرا، على ان هذا الجاهل أراد ان يذم فمدح فقد قال اننا استبدلنا الطيب بالخبث والحلو بالمر ومعنى هذه العبارة في لغة القرآن اننا جعلنا الطيب بدلا من الخبث والحلو بدلا من المر والمعنى بعكس ذلك في لغة الجاهلين وهو ما أراد الساب

اماما كان من أمر مجلس الشورى والحكومة فان الحكومة خاطبت وكيل انكلترا السياسي في الامر لان الذي يصدر تلك المحلة الخاطئة انكليري غير الاورد كرومر الحكومة بين محاكمته واستنابته فرضيت بالثانية فوبخه الاورد واستنابه. ولما انهري

مجلس الشورى لهذا الامر قام أحدث السياسة يتجرون في جرائدهم ويفتخرون زاعمين أنهم أنصار الدين ، وأصحاب الفيرة على الاسلام والمسلمين ، وأنه لولا لهم لم يتعرض مجلس الشورى لمخاطبة الحكومة في شأن تلك المجلة . ومن عجائب فوضى هؤلاء الاحداث ان واحدا جديدا منهم قام يترض على أكبر المتصرين للدين ويرميه بالتقصير في مقاومة بشائر السلام وهو يعلم أولا يعلم أنه لولا لما قال أحد كلمة في هذا الانتصار فيما نظن ولو كان هذا وغيره من أصحاب الدعوى المريضة بحيون الدين ويفارون عليه ولو كانوا يعرفونه لعرفوا أنصاره واتخذوهم أئمة لهم لأعداء واضدادا . وانا نرجو ان ترد إلينا الاجزاء تلك المجلة التي أخذها بعض اعضاء المجلس لثمة الرد على تلك الشبهات المموهة ولئلا يطم أهل الكتاب ان لا يقدرروا على شيء من فضل الله ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الشيخ محمد الاشموني - وفاته

فاثنا ان نذكر في الحيز الماضي وفاة شيخ شيوخ أهل الازهر الشيخ محمد الاشموني الذي قيل فيه أنه لا يوجد عالم ازهري الآن الاوقداً أخذ عنه أو عن أحد تلامذته وقد أبنته الجرائد بمثل البخاري حديثنا والشافعي فقها وسيبويه نحواً : ولكنها لم تذكر له منزلة غير انه عالم كبير . وقد بلغنا أنه كان يمقت هذه الجواشي فلا يقرأها وكان يحفل بما يحفل به الشيوخ من كداوى التشريف ولقاء الامراء بل يكره ذلك . وروي أن سائلاً سأله في الدرس عن حكم لبس البرطلة (البرنيطة) فأجاب : جثني بواحدة البسها لك هنا : اي في الازهر . وكان صاحب انبساط ودعابة مع جلسائه . مات عن مئة سنة ونصف رحمه الله تعالى

جاءنا بعد جمع المناسك وقبل طبع هذه الصحيفة الاخيرة منه مقالة من احد علمائنا الديار التونسية في تأييد فتاوى مفتي مصر للترانسفالي فأرجأناها الى الجزء الآتي

(تصحيح) قال الاستاذ الامام ان الاولى ان تسبدل كلمة (المشاعر) في السطر

السادس بكلمة الشعائر من الصفحة الثامنة

ثبت لدى قاضي مصر ان أول ذي الحجة كان يوم الاربعاء فعيد الاضحى يكون الجمعة جعله الله مباركا على أهله

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتوبون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

تتويج الحجة من بيتاء ومن يوت
الحجة فقد أوتي خير كثير وما
نبت إلا أكرم الأكرام

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى ودمارآء كنار الطريق)

(مصر — الخميس ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٣١ — ٣٣ مارث ١ آذار) سنة ١٩٥٤

﴿باب الفقه في أحكام الدين﴾

﴿تأييد علماء الآفاق، للفتوى بحل طعام الكتابي على الإطلاق﴾

نادت الجريدة المحمدية علماء الإسلام في الغرب والشرق للكتابة في موضوع فتوى مفتي الديار المصرية للترانسقالي بحل طعام أهل الكتاب أودبهم خاصة وذكرنا في الجزء الماضي ان أحد علماء الديار التونسية أرسل إلينا رسالة في ذلك ثم رأينا رسالة أخرى لبعض علماء فاس الاعلام في ذلك أرسلها مع كتاب منه الى الاستاذ الامام - كإرأينا مقالات في بعض الجرائد الهندية - فرأينا ان تنشر الكتاب ثم الرسالتين لما في ذلك من تأييد الحق وصلة علماء الاقطار الاسلامية بعضهم بعض في التوازل الفقهية ومن خذلان الباطل وأهله . وهذا نص كتاب العالم الفاسي:

والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

« سيدنا الامام ، الدراكة الهمام ، المتبحر مفتي الانام ، القائم بشريعة الاسلام ، الحائز قصب السبق ، في الفضل واتقدم والمجد ، الاستاذ مفتي الديار المصرية أبو عبد الله سيدي محمد عبيد . سلام على سيادتكم ورحمة الله ،

« أما بعد فالقصد الاعلام بأننا على محبتكم وودادكم وان لم نركم بالابصار ، لكن نرجو الله تعالى بفضلته ان يجمعنا بكم في هذه الدار ، وقد أخبرني عن سيرتكم ومحاسنكم صاحبنا وحينئذ الفقيه الوزير العلامة الاسعد ، البركة الفاضل الامجد ، أبو عبد الله سيدي محمد النعاص الفاسي وزير الحرب الآن الذي كان سفيرا بالجزائر قبل هذا الوقت وان كان لم يتلاق معكم أيضا هناك وقد تأسف على ذلك . وجاءه خبركم وهو بوجودة فرجع سريعا الى الجزائر بقصد ذلك فلم يلحقكم هناك وان كان تلاق معكم بنجاة المبارك الميمون سيدي محمد لكنه لم يكتف بذلك ولا زلتا جميعا نرجو الله تعالى ان يجمعنا بسيادتكم على أحسن حال ، بحاجه النبي والآل ،

« ثم انه كان سألني بعد قدومه من الجزائر عن ذبيحة أهل الكتاب فأجبت بما قاله الامام ابن العربي وغيره من حليتها ، وقد كانت وقعت فيها بفاس مذاكرة قبل هذا الوقت فكتبت فيها جوابا بذلك ، فإذا به جاءنا جريدة من محروسة مصر فيها

فتواكم عن ثلاث مسائل فأعجبني سرور مهاجرة سرور وضمنها كني في أوائل
لحنها ثم لما رأيت في تلك الجريدة نفسها كلاما لبعض المارقين من الدين اغضت لذلك
وعزمت أن أوجه لكم بعض ما كنت قديته فيها من كلام الائمة المهتدين فتناورت في
ذلك الوزير المذكور ، فحث علي في تقديم ارساله على جميع الامور ، وأعجبه ذلك
مظهرا به غاية الفرح والسرور ، ومسلما عليكم أيضا وطالبا صالح أدعيتكم في خلواتكم
وجلوواتكم ، والسلام - ١٤ ذي القعدة الحرام عام ٢١ (للهدي الوزاني بغاس)
وأما رسالة هذا العالم فهذا نصها وكتب أنه لم يرسل جميع ما كتبه لعدم الحاجة اليه
بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وبعد فهذا جواب عما كثر فيه الخوض بين الناس في ذبيحة الكتاني هل تؤكل
أم لا ؟ ففي نوازل العلامة أبي عبد الله سيدي محمد الوزاني أنه (سئل) عن ذبيحة
الكتاني هل تحل الزكي كيفما كانت سواء وافقت ذكاتها أم لا أو فيها فصيل ؟ (فاجاب)
قال الامام ابن العربي : اذا سئل الصراني عن ذبيحة حل للمسلم ان يأكلها لان
الله تعالى أحل لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم وكل ما يرونه في دينهم فانه
حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه . الخ وقد تقدم في الصفحة ٧٧٩ من اثنار . ثم قال الفاسي :
« قلت ومعنى قوله : وقد قال علماءنا : الخ : انه حيث أباح العلماء وطه نساءهم
وبنائهم المقبوضة منهم في الصالح معهم مع ان ذب أشد من طعامهم الذي يستحلوه
في دينهم فيجوز لنا أكل ذبيحتهم بالاحرى لانه يحتاط في الفروج مالا يحتاط في
غيرها والله أعلم

« وقد أفتى الامام الحفار بمثل ما قاله ابن العربي واتصر له كما في الميار ووجهه
فقال : أفتى ابن العربي بجواز أكل ذبيحة فك نصراني رقبها ولا اشكال فيه عند
التأمل لانه تعالى أحل لنا أكل طعامهم الذي يستحلونه في دينهم على الوجه المباح لهم
من ذكاته المشروعة لهم ولا يشترط ، وقد تقدم ذكرهم لذكاتها : « - الخ . قاله الحفار وقد تقدم
في (ص ٧٧٩ و ٧٨٠) من اثنار . ثم قال الفاسي :

« وقد سكنت ابن عرفة عن فتوى ابن العربي وأقرها قول : حله ان ما يرونه ، وذكر
عندهم حلال لنا وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة : « - وبذلك ، وفيه دليل على ان ذكاته

الحلفاء. وسلامه أيضا. قلت: وإن تابع لهم أيضا
 « الدليل على صحة مناقلة لاسام ابن العربي » ذكره العلماء في مذبح أهل الكتاب للصنم
 فإنه حرام مع المتيقنة وما عطف عليها وقيدوه بما لم يأكلوه والا كان حلالا لنا .
 قال الشيخ بناني على قول المختصر « ذبح لصنم » مانصه : الظاهر أن المراد بالصنم
 كل ما عبدوه من دون الله سبحانه وتعالى بحيث يشمل الصنم والصليب وغيرهما وإن
 هذا شرط في كل ذبيحة الكتابي كما في الثاني والزرقاني وهو الذي ذكره أبو الحسن
 رحمه الله في شرح المدونة وصرح به ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبائح
 ونصه : كره مالك رحمه الله مذبح أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لأنه رأى مضاهيا
 لقوله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » ولم يجرمه إذ لم ير الآية متناولة له
 وإنما رآها مضاهية له لأن الآية عنده إنما مضاهيا فيها ذبحوا لآلهتهم مما لا يأكلون .
 قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبد الملك : هـ .

« وقال في سماع عبد الملك عن أشهب : وسألته عما ذبح لكنائس قال لا بأس
 بأكله : ابن رشد : كره مالك في المدونة أكل ما ذبحوا لأعيادهم وكنائسهم ، ووجه
 قول أشهب أن ما ذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب أن تكون حلالا لنا لأن
 الله تبارك وتعالى يقول « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وإنما تأول قول
 الله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » فيما ذبحوه لآلهتهم مما يتقربون به إليها ولا
 يأكلونه فهذا حرام علينا بدليل الآيةين جميعا : هـ .

« قتين أن ذبح أهل الكتاب إذا قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لأنهم لا
 يأكلونه فهو ليس طعامهم ولم يقصدوا بالذكاة بإباحته (*) وهذا هو المراد هنا . وأما
 ما يأتي من النكراهة في ذبح لصليب فالمراد به ما ذبحوه لأنفسهم لاسكن سمواعليه اسم
 آلهتهم فهذا يؤكل بكره لأنه من طعامهم : هذا يفرض من كلام بناني وسلمه الرهوني
 بسكوته عنه فهذا شاهد لابن العربي قطعا لأنه علق جواز الأكل على كونه من طعامهم
 والمنع منه على ضد ذلك . وأيضا ليس كل ما يجرمه في ذكائنا يجرمها أكله في ذكائهم
 كزكوة التدكية عمدا فإنها لا تؤكل بذبيحتنا (١) وتؤكل بذبيحتهم حسبما تقدم فإذا المدار

(*) التار : يؤخذ ما سبق لأن من أن المدار في الذبيحة على قصد إلى الأكل (١) هذا على
 مذهب المالكية وأما الشافعي فيبيح أكل ذبيحة المسلم وإن ترك التسمية عليها عمدا أو سهوا

على كونها من طعامهم لا غير والله أعلم

« فظهر أن ما قاله الإمام ابن العربي لم ينفرد به بل تبعه عليه جماعة من المحققين ، لكنه اعترضه عليه جماعة من المتأخرين ، قال ابن ناجي في شرح الرسالة : وإذا كان النصراني يسلب علق الدجاجة فالشهور أن لا تؤكل وأجاز ابن العربي أكلها ولو رأينا يسلب عنها لأنها من طعامهم : ابن عبد السلام وهو بعيد : « وبالغ البساطي فقال : ليت قوله هذا لم يخرج للوجود ولا سطر في كتب الاسلام : « ابن سراج : وهو هفوة لانا اذا لم نستبح الوحشي بقرهم فأحرى الانسي . وعلى استباحته فعلة اللخمي بأنه ذكاة عندنا وعقرهم الانسي ليس بذكاة عندنا فلا يباح بذلك : «

« قلت وهؤلاء المترضون عليه لم يأتوا بحجة ولا دليل ، ولا بنص صريح أو رواية تشفي القليل ، وإنما أتوا بمجرد كلام خشن ليس فيه أدب مع القاضي ، لاعتقادهم أنه خالف ما قرر قبله في الزمان الماضي ، ولا سيما الشيخ الرهوني رحمه الله . وأيضا المترض عليه هو ابن عبد السلام وابن سراج والبساطي ، والمؤيد لكلامه هو الحفار وصاحب المعيار والزياتي فينقابلان ويتساقطان ويبقى كلام ابن العربي سالما

« وقول الشيخ الرهوني : ويكتفي في كون ما بين العربي شاذا اذ اتفق الائمة على عزوه له وحده الخ : فيه نظر ظاهر لأن هذه المسألة إنما تكلم عليها ابن العربي فقط دون غيره من الائمة فلم يتعرضوا لها بنفي ولا باثبات فلذلك نسبوها له وحده وإنما يصح ما ذكره لو تعرضوا لها في كتبهم وأقوا فيها بخلاف ما قاله هو فهنا يصح له ما قاله . أما حيث مكتوب عنها وهو الذي تكلم عليها بالخصوص فلا . وأما اعتراضهم عليه فقد منا انهم لم يأتوا عليه بدليل فهو والمدم سواء . وقول ابن سراج : لا تأذنا لم نستبح الوحشي بقرهم فأحرى الانسي الخ : لا حاجة فيه لأن الوحشي كما قاله الزياتي إنما لم يستبح بقرهم لأن فيه نوما من التبدد أي وليسوا هم من أمهه فأمهه . وأيضا ما قاله غير متفق عليه عندنا بل معترض ولا يحتاج بمختلف فيه كما هو معلوم . قال الزرقاتي على قول المختصر « وجرح مسلم » الخ ماله : فلا يؤكل بصيد الكافر لقوله تعالى « تناله أيديكم ورواحكم » أي والحطاب للمؤمنين وإنما افرق سيده من ذبحه لأن في الصيد نوع تسبده ووقوفا مع الاضافة الى المؤمنين في الآية ولا يمارضه عموم « وطعام

الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، كما استدل به أشهب وابن وهب وجماعة على عدم اشتراط الاسلام لتخصيصها بالآية لاخرى جما بين الدليلين : الخ

« وقال في التوضيح : الاستدلال بهذه الآية على منع صيد الصكابي هو الذي في المدونة وفيه نظر لأنه اختلف في الرد بهذه الآية فقبل المراد بها باحقة الصيد وقيل منعه واختاره اللخمي وغيره ، وان المراد الامتناع في حال الاحرام ، والابتلاء في « ليلوكنكم الله » الاختبار هل يصبر عنه لقوله تعالى « ليعلم الله من يخافه باليب » ولقوله تعالى « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » اهـ فله بذني واقره وكذا سلمه الرهوني بسكوته عنه فاستدل ابن سراج بما قاله باطل لا يصح : وقال الرهوني على قول الزرقاني : كما استدل به أشهب وابن وهب : الخ مانصه : مقاله هؤلاء هو الذي اختاره الباجي وابن يونس وابن العربي واللخمي ، وقيل انه مكروه قال ابن بشير ويمكن ان تحمل المدونة على الكراهة : الخ فانت ترى بعضهم نظري في كلام المدونة وبعضهم تأوله كما ان جماعة من أهل المذهب خالفوه فكيف يستقيم الاستدلال به لابن سراج ؟ والله أعلم . قاله وقيد عبد ربه تعالى محمد الوزاني ، اهـ الحسن الممراني

(المثار) جاء في كتاب الصيد من المدونة بعد ما تقدم في صيد اليهودي والصرافي مانصه :

« قال سحنون قال ابن وهب لا بأس بأكل صيدها وقال علي بن زياد فاما لا أرى به بأسا

لان الله تبارك وتعالى قال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم اهـ

وهذا هو المتعين والآية وليست في الموضوع وانما هي في المحرم بالحج

وجاء في كتاب النبلج من المدونة مانصه :

« قلت أفتحل ذبائح نساء أهل الكتاب وصبيانهم . قال ماسمت من مالك فيه

شيئا ولكن اذا حل ذبائح رجالهم فلا بأس بذبائح نسائهم وصبيانهم اذا أطافوا الذبج

قلت : أرايت ماذبجوا لعيادهم وكنائسهم أيؤثل ؟ قال قال مالك أكرهه ولا أكرمه

وتأول مالك فيه (أو قسما أهل لغير الله به) وكان يكرهه من غير ان يكرمه . قلت أرايت

ما ذبحت اليهود من الفم فأسابوه فاسدأ عندهم لا يستحلونه لاجل الرثوم ما أشبهها التي

يحرمونها في دينهم أيحل أكله للمسلمين قال كان مالك مرة يجيزه فيا بلقي ، اهـ

فانت ترى هذا النص أوسع مما ذهب اليه ابن العربي الذي اشترط ان يأكل منه

أحبارهم ووجهائهم وإذا كان الامام مالك تأول النص في الحرم فمحمد بن عبد بنينا وهو ما أهل
لغير الله لا حول موم حل طمام الكتاني فتحايل القاضي أبي بكر ما قتل الكتاني عنه
لا يحتاج الى تأول فان القرآن لا يتأوله بالنص اذ ليس من الية حتم أنها ولا من المتخفة
وبلعهائهم أنه من قيد الخوق والنص فيه فان المتخفة في الله ما تخفت بدون لعل
فان هو الذي وجهه هو حق المفسر بن . قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى والمتخفة
ما له . (الجزء السادس صفحة ٣٩)

وأولى هذه الاقوال بالصواب قوله من قال هي التي تخشى التي وثاقها ابا داود
رأسها في الموضع الذي لا قدر على التخلص منه فتخفى حتى تخرج وتبعث ذلك أولى
بالصواب في تأويل ذلك من غيره لان المتخفة هي الموصوفة بالانحياق دون خلق غيرها
طساولو كان معناه بذلك أنها مفعول من الفعل : وانحوت حتى يكون معنى السلام ما قالوا اه

﴿ رسالة العالم التونسي ﴾

الى العلامة النقاد السيد منشىء « المنار » الاقرء

لقد كنت أحب ان أوجه الى متاركم شيئاً من قواعد أفكارى ، وأنيط بمتنه
العلما قيساً من ناري . وما كنت أحسب أن سيكون أول شيء أنشكم فيه رأيي
مسائلين كثر فيها اللط والاختلاف بالنظر المصري وقطرنا . ولكن من البعث
ان استهاد الناس وتهاقهم على مهواة اللط في هاتين المسألتين شفعني لي الى مخاطبتكم
بمزم أصدر اذ دواجمها هاته النتيجة التي توافكم . ولطالما يحس بخاطري ان أصدر
في متاركم بحقيقات أحب ان أزيل بها أوهاماً عن بعض الآراء يلذا غير وائق
بمريدة تصلح انشر المسائل العلمية الحقيقه الاجر يدتكم المني بمجها على أساس الجدال
والشرع لا على شفا جرف الجود والمناظرة . ثم يصدني عن ذلك وفرة الاشغال ،
وسرعة المتأخرين الى تسليم سلاح الجدال ، وما صادفت مسألة كثر فيها اللط عن
جهد مرك ، واعتماد على عصا إرضاء العامة وتصب ، ما صادفت في هاتين المسألتين
وهما مسألة أكل موقوذة الكلاب ونحوها من طعامه ومسألة لبس قنصوة أو
نحوها من لباس غير المسلمين ، اللتان أفتي فيها ذلك الاستاذ الامام مفتي الديار
المصرية بلجواني بعض مسلمي الترانز قال وأبان ذلك بما لا ملطن فيه ، ولا متوقف

بعد النظر إليه ، ولكن بعض من يستويه حب الهذيان ، والحكم فيما لا رضى فيه
 حكومته من مسائل الأديان ، أبى أن يلتقي عصا التسليم ، ووجدتها فرساً للطمان في
 رجل من العلماء عظيم ، بتوجيهات وبعث استرعت العامة الذين دينهم الفهم ، وأسهرت
 العلماء المشبهين بهم ، الذين متى نزلت بهم الحادثة سردوا ما يحفظونه من الكلمات ،
 بدون ملاحظة الجانب الحقيقة ولا التفات ، واقتد كان الكثير من المنكرين ساهين أو
 متفاضين عن مصدر المسألة هل هو الرغبة والاحتجاب ، أم تحقيق الحق وإزالة
 الحجاب ، ولكن مع هذا لم يزل من بين قه منا طائفة من أساتذة العلوم الذين يتحول
 نباهتهم القشر من الب يفهمون الحقيقة خلافاً لما لحناه في بعض الجرائد المصرية
 — ان صدقت — من الحسنة عن الأزهرين خطأ صريحاً ، وكم من عائب قولاً
 صحيحاً ، وربما كان بعض الجرائد التي لا يقوم لاصحابها وزن في الاجتماع ، ولا يلهو
 بها إلا البطالون من الرعاع ، قد أخذ في هاتين المسألتين نصيباً مع الناس ، وأعجب
 من هذا وذلك أنهم رأوا أن يفاقوا الجدل في هاتين المسألتين بتوجيههما إلى حكم
 مشيخة الإسلام في الاستانة العاية وجهلوا أن حكم الله لا يشته إلا الدليل ، سواء كان
 من الأكثر أم من القليل ، وسواء أحبه الناس أم كرهوه ، وبادر المحبون إلى العمل
 به أم آخروه ، وذلك كله أنبأنا (وهو صادق فيما ينبغي) أن كثيراً من الجرائد
 المصرية لا يترقب من بحثه بيان الحقيقة أو بالأقل دفع معرة الغلط وإنما يقصد أن
 تصدر جريدته في الميقات المعين لها ملائى كلاماً ، ولو علم أنه مبحث يقال مثله فيه عند
 المعارضة سلاماً ، ونحن (وإن كنا في غنى عن تب تغير هاته الاخلاق بما انتممونه
 في مناركم من تشخيص الحقيقة) أحيثنا ان نصنع بكلمات لتألم أهل الحق أن لهم نصراً
 لا يزالون ظاهرين وأن أصبحوا ضغفاء الشيعة ، وربما يهبط يردون مسخ الحق وتشنيعه ،
 وما كان الله تعالى ليودع دينه أو يضيئه :

❖ الموقوذة ونحوها من ذكاة أهل الكتاب ❖

« لما اتقسم الناس في الدين إلى مقلدين وناظرين وجب أن نخوض عباب هاته المسألة
 تارة إلى وجهة التقليد وأخرى إلى هدي النظر . فأما الخطوة الأولى فإن الناس بعد
 أن اتفقوا أن الله تعالى أحل لأطعام أهل الكتاب وانفقوا على أن ذبائحهم داخلية تحت

عموم طعامهم وانفقوا على أن لا يشترط في ذبيحتهم أن تكون على الوصف المصطور في كتبهم اختلفوا فيما كان من ذكائهم على بعض النصوص التي نص الله تعالى في صدر الآيات على تحريمها كالتحفة والوقوذة وما أهل به لغير الله والخلاف فيها في مذهب مالك معلوم لمن كان ذا بصيرة في الفقه - ذهب ابن عبد الحكم وابن وهب من أصحاب مالك فيأذبح لغير الله للكنيسة أو للمسيح إلى جواز أكله وذهب ابن القاسم إلى منعه وهذا يرشد إلى أنهم يختلفون في تخصيص الطعام المباح بشرائتي من قبل وفي تخصيص تحريم ما تلي علينا بحالة لا يكون فيها طعام أهل الكتاب. ونحن هنا لا يهتدون بحث عن ترجيح أحد الاحتياين حتى نبحث في المسألة بحث المجتهدين. وعلى قول ابن عبد الحكم وابن وهب انبئي ما أتى به القاضي أبو بكر ابن العربي. والذين يكشف عن خلاصة الفقه في هاته المسألة قول الامام عبد الله بن الفرس الخزرجي الأندلسي المتوفى سنة ٥٩٩ في أحكام القرآن ونصه:

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) اتفق على أن ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى: «وطعام الذين أوتوا الكتاب» فلا خلاف في أنها حلال لنا وأما سائر أطعمتهم بما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير فاختلف فيه فذهب الأكثرون إلى أن ذلك من أطعمتهم. وذهب ابن عباس إلى أن الطعام الذي أحل الله لنا ذبائحهم فأما ما خيف منهم استعمال النجاسة فيه فيجب اجتنابه. وإذا قلنا أن الطعام يتناول ذبائحهم باتفاق فهل يحمل لفظه على عمومهم أم لا؟ فلا أكثر إلى أن حل لفظ. الطعام على عمومهم في كل ما ذبحوه مما أحل لهم أو حرم الله عليهم أو حرموه على أنفسهم. وإلى نحو هذا ذهب ابن وهب وابن عبد الحكم وذهب قوم إلى المراد من ذبائحهم ما أحل الله خاصة وأما ما حرم الله عليهم بأي وجه كان فلا يجوز لنا وهذا هو المشهور من مذهب ابن القاسم. وذهب قوم إلى أن المراد بلفظ الطعام ذبائحهم جميعا لا ما حرم الله عليهم خاصة لا ما حرموه على أنفسهم وإلى نحو هذا ذهب أشهب. والذين قالوا الله يجوز لنا كل ما لا يجوز لهم أكله اختلفوا هل ذلك على جهة النع والكره أو وهذا الخلاف كله موجود في المذهب واختلاف أيضا فيما يجوز له لا عبادهم وكنائسهم أو سموا عليه اسم المسيح هل هو داخل تحت الإباحة أم لا؟ فذهب أشهب إلى أن الآية متعذرة بحملها وأن أكله جائز وكرهه مالك رحمه الله يتناول قوله تعالى: «أو فسد أهل لغير الله به» على ذلك. الذين أوتوا الكتاب» اختلف العلماء في الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى

منهم وقد اختلف في الجوس والصائبة والسامرة (كذا) هل هم من أوتي كتاباً أم لا وعلى هذا يختلف في ذبائحهم ومناكحتهم أم ملخصه
والناس وإن اختلفوا في الرجل للذبح إلى وليمة النصراني هل يأكل ما يراد وقده فهم يتفقون في محل الضرورة في بلأهله لا يذبحون الا كذا فكذا يصنع المسلم من بينهم ! وربما كانت هاته الكلمة تحرك مسألة تقدير الضرورة ماهي في قوله تعالى «الا ما اضطررتم اليه» ولنا فيها فهم (*)

فإن أردنا أن نخوض في هاته المسألة نخوض المارقين الناطقين - وقليل ما هم - فانا نقول وردت الآية « حرمت عليكم الميتة والدم » الآية غرمت اشياء سمها وباحت شيئاً بالعموم وهو طعام الذين أوتوا الكتاب فمن المحتمل أن يكون عموم قوله «طعام الذين أوتوا الكتاب» مخصوصاً بما مر من المحرمات وقد يحتمل أن الله تعالى أراد عموم الطعام فأورده بعد ذكر المتصونات على وجه يشبه ورود النسخ بعد النص وإن كانت الآية هنا واحدة والخفية قاطبة يرون العام الوارد بعد الخاص ناسخاً وخلفه جمهور المالكية والشافعية فأروه مخصوصاً بالتقدم والحقيقة في هذا الأصل أن العام إذا ورد بعد الخاص على وجه لا يمكن فيه الجمع بين عموميه وخصوص الخاص ينسخ الخاص لمقدار مدلول عموميه لا يبطله فكان شياً بالبيان ولهذا سماه الخفية ناسخاً نظراً لنسخه ما اقتضاه الخصوص أول مرة ولم يسمه غيرهم نظراً إلى أن النسخ ابطال الحكم كله وكأنه خلف في اللفظ والغاية متحدة .

ولقد رأيت رأياً ربما رجح أحد الاحتمالين أيضاً وهو أن الله تعالى أحل لنا طعام أهل الكتاب بعد أن قال «اليوم أحل لكم الطيبات» والطيب ما وافق شروط الله تعالى مما شرع لنا ثم قال «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم» فيه بطفه على الطيبات عطف الجملة على الجملة أنه حلال . قل يمكن على شروطنا وكان في مظنة يكون

(*) التار : إلى هنا انتهى بحثه في المسألة من جهة التقليد وبه علم أن كبار أئمة المذهب قالوا بجمل ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن لم تكن على طريقنا بل ولا على طريقهم في قول وإن ذكرها عليها اسم غير الله تعالى . وأما بحث الآتي فهو من طريق النظر والاستدلال وهو لا يزيد قارئه إلا بصيرة في الدين وإن كان مقلداً

فيها غير طيب أو تحقق فيه أما ان وافقنا فلا حاجة الى التصبص عليه. وأما قال الله تعالى «أوتوا الكتاب» دون الذين يمسكون بالكتاب أو يقرءون نكتاب ليرشدنا الى ان مناط الحكم هو ان يكون الطعام طعام من له تنساب الى الكتاب ولو اتسبا تاريخياً لم يبق منه الا اسمه وتشيبه فلا يكفينا البحث عن صحة فقههم فيما يأتون من ذكائهم وكيف يكلفنا ذلك وهو تعالى يعلم وقد أعلمنا انهم بدلوا كتبهم ببدل لا رفع الثقة بها ونسف العلم بصحة أي شيء منها لاحتمال التبديل فيه . فذهب ما يذهب كثير من الناس يسرد علينا نصوص التوراة . ومن عجيب حالهم المضحكة المبكية انهم يتدوّن بالتكبر على الناظرين في الدين ثم هم يجهدون فيه ويشرحون مراد الله تعالى بالتوراة والانجيل . بعد ما أيقنوا من التحريف والتبديل .

أما نقل فتوى الاستاذ الامام س من هذا الباب الى باب «يدخل بعد عقره» وأوجرجه فإني أخال أنه دخول الى مغارة يسر الخلد منها لأنه بعد موضع فصل فيه الفقهاء حالها بعد الوفاة هل كانت تعمل فيها لذلك واحتجاج الاستاذ الامام أيده الله وسؤال السائل يدلان انهما ما قصدا الاصححة هذا لانه كان من أهل الكتاب لأن المسلم يتألف فعلة (٥)

❦ لبس القنسوة ونحوها من لباس الكفار ❦

أما مسألة القنسوة فحسبهم من حيث التقليدان الفقهاء ما قالوا ان لبس أي شيء من ثياب الكفار موجباً لردة الالباس الدين حيث ينضم اليه قرائن تقيد كثرها قطعاً بان صاحبه النساخ عن الدين و فرق عظيم بين نحو الزنار لباس الكنييسة وبين لبس القنسوة ونحوها من لباس الشعب والأمة التي ما كان الدين فيها الا اتباعاً وقد انتهى بعضهم حكم لبسها الى الوجوب وبين الردة والوجوب مراتب كثيرة منها الكراهة أو الإباحة والذي يجب ان ينظر نظراً لغرضي عليه من التقليد يمكنه ذلك ان يجوز بحجة الحكم في صورة الاستفتاء ان كان من أهل النظر قلنا ان الردة لا يمس أمران لا يتعاقبان لا بالمواد

(٥) النار : قد أوجز الكاتب هنا اعتماداً على تفصّل به السابق وهو ان الدليل النظري وليس المذهب يدلان على ان طعام الكتاني حلالاً كيفما ذكر في التفصيل الذي ذكره الفقهاء على هذا خاص بذكره السلم كآه يقول اذا كانوا احلوا ما أهل به لغير الله من ذبائحهم واحلوا ما حقوه وعقروه ، فكيف لا يحلون ما ذبحوه .

والاسلام . نبي يوافق بالاذعان الى لاحكام الشريعة والاعلان بتصميم القلب على تصديقها فلا يبعث الا حيث اهدمت هاه المنومات . وربما كان بعض الناس مع بعض قرائن مؤذناً بالاسلاخ صاحبه من الاسلام ولكن يكدن ذلك حيث يكون اللباس لباس الدين لالباس الامة وحيث ينضم اليه ترك الاعلان بكلمة الاسلام والتردد على شعائر الكفر وكل واحد من هذين كاف في الردة وقافاً وخلافاً بين العلماء إما التزام عادة من طادات الكفار لحب في العادة لافي دين أهلها أو لانطباقها على حاجة الرقي في الوجود للدني فليس من الكفر في .

ليس اسلام العربي في عمامته والالكفر اذا خلمها عند وضوئه ولا كفر الكافر في قبته والا لكان مسلماً اذا كشف راسه للسلام . وإنا ننظر أنواع الشعوب الذين اتفقوا في الدين يختلفون في اللباس اختلافاً بعيداً وما يقتضي ذلك باختلافهم في الدين كاختلاف أصقاع المسلمين بين حجازي وتركى وقارسي ومصري وتونسي كل لباس منها يخالف لباس الآخر خلافاً بيناً وانكل غير لباس الصحابة . فاذا لبس الرجل لباساً باعتبار اصائل فيه فذلك الواجب أداء عليه . قد كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فما سمعنا - ولو كان لسمعتنا شيئاً شوهر دوني العلماء على قوله ولا يتمد به شيوعه عن وصول ذكره - أحد منهم أمر الفارسي ان يتحول الى اللباس العربي ثم مشاهدة المساواة اليوم بين مسلمي القطر الواحد وكفاره في زي واحد شاهدة على ما نقول الابدان ميز المسلمون أهل ذمتهم بعلامات حين أرادوا ان يكتنوه ايمانهم من بعد عهدهم ولا يرقبون فيهم ذمتهم . وهل كانت ثياب رسول الله وأصحابه لا كتياب المشركين من العرب ؟ أم هل علمناهم حين دخلوا في الحيفية استبدلوا لبوسهم ؟ كلا ان الدين لا كبر من الاهتمام بما يسهل له للاشطات وسخفا . ان الذين

أما استبدال الرجل بزي زيا آخر كيف كان بلاد دُع قصد للعقلاء فشيء يدل على سخافة عقل وانحراف ادراك ولذلك يتخذ سخريا بين الناس في كل زمان ومكان . يرى الرجل يلبس لبوس الافرنج لكونه من أهل الدولة فلا يلوم . أو يسخر منه أحد فلو لبس عمامة العلماء ولباسهم لكان ضحكة للاضحكين . وبالعكس نرى العالم مثلاً . وهذا

هو دستوراته المنشأيات التي صيرت السهل جبالاً، حجات هؤلاء القوم لا يكادون يهتدون سبيلاً، واليكم بحقي وسلامي على بعد الدار، وقناعة من التعرف بالأخبار، وحرر في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢١ هـ

﴿ سؤال عن فتوى ﴾

سأل سائل من طلاب العلم في الجامع الأعظم بتونس اسمه (أبو بكر العروسي) عن مستند مفتي الديار المصرية في الفتوى: لشركة التأمين على الحياة التي نشرت في جريدة المغرب قلاعاً عن جريدة الوطن وإطال الكلام بأحكام قديمة مالكية ليست من موضوع الفتوى في شيء، واتساهى من موضوع ما كتب في الجريدتين ففجبتنا من ذلك وكتب إلى المفتي عالم من (وجدة) في الجزائر كتاباً يقول فيه إنه اطلع على ما نشرته جريدة المغرب وأنه رأى أن الفتوى منطبقة على السؤال وإنها حق في نفسها ولكنها لا تنطبق على موضوع شركة التأمين على الحياة وشروطها أي فيساقطة الشركة منها غير الإيham ولمسأرتنا ما كتب في جريدة المغرب قد استمع بحثاً وسؤالاً في بلاد المغرب على أن ما نشر في جريدة الوطن لم يستتبع مثل ذلك في المشرق أحياناً إن نين الحقيقة فنذكر أولاً صورة السؤال والفتوى كما نشر في جريدة المغرب ثم نين مآراً وهم الطالب فنقول (أما صورة السؤال فهي)

حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية

ما قولكم دام فضلكم في شخص يريد أن يتعاقد مع جماعة (أ) على أن يدفع لهم مالا من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيه بالتجارة واشترط معهم أنه إذا قام بها ذكر وانتهى أمد الاتفاق المبين بانتهاء الأقساط المينة وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حياً فيأخذ ما يكون له من المال مع ما ينضم من الأرباح وإذا مات في أثناء تلك المدة فيكون لورثته أولئك الحق في الولاية في ماله أن يأخذوا المبلغ تلقى مورثهم مع الأرباح فهل مثل هذا التعاقد الذي يكون مفيداً لأربابه بما ينتج له من الرجحان شرعاً راجحكم التكرم بالإفادة أقدم :

(١) نشرت شركة الجريشام في مصر هذه الفتوى في كراس طبعت في راس موضوعها وأعمالها وزادت في السؤال هنائي عند ذكر لفظ جماعة (شركة الجريشام مثلاً) ووضعت في يادته هكذا بين قوسين للإشارة إلى أنها لم تكن في الصورة التي قدمت للمفتي وأجاب عنها

﴿ الجواب ﴾

الحمد لله وحده :

لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزاً شرعاً ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الانقضاء والعمل في المال وحصول الرجوع ان يأخذ لو كان حياً ما يكون له من المال مع ما خصه من الرجوع وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أتجه من الرجوع والله أعلم

(المار) هذا هو نص السؤال ونص الجواب كما في الخبرين الا اننا ذكرنا الكلمة الزائدة وهي «شركة» لغيره من مثله في الهامش. فأين منه اتأمين على الحياة ؟ ومن قال أو من قول ان المفتي يجب عن نيات الناس دون أسئلتهم ومن أمثال العامة (ان الفتوى على قدر النص) أي نص السؤال ؟ نعم انه يجوز للمفتي ان يفيد السائل بأكثر مما يطلبه ان وآء اعتجابه الى ذلك ولكن ليس لمشتغل بالعلم وقدر رأى فتوى استدل بها على ما لا يدل عليه في رأيه ان يقول ما مستند هذه الفتوى في تجريزها ذلك الامر الذي استدل بها عليه !!!



﴿ مناظرة بين مقلد وصاحب حجة ﴾ تابع ويتبع

(الوجه الثاني والخمسون) قولكم : ان عمر كتب الى شريح : ان قض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فيها في سنة رسول الله فان لم يكن في سنة رسول الله فيها قضى به الصالحون فهذا من أظهر الحجج عليكم على بطلان التقليد فانه امره ان يقدم الحكم بالكتاب على كل ما سواه فان لم يجد في الكتاب ووجده في السنة لم يلتفت الى غيرها فان لم يجد في السنة قضى بما قضى به الصحابة ونحن نناشد الله فرقة التقليد هل هم كذلك أو قريباً من ذلك ؟ وهل اذا نزلت بهم نازلة حدث أحد منهم نفسه ان يأخذ حكمها من كتاب الله ثم ينفذه فان لم يجد في كتاب الله أخذها من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان لم يجد في السنة أفتى فيها بما أفتى به الصحابة والله يشهد عليهم وملائكته وهم شاهدون على أنفسهم : أنهم انما يأخذون حكمها من قول من قبله وان استبان لهم في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة خلاف ذلك لم يلتفتوا اليه ولم يأخذوا بشيء

منه الا يقول من قلده فكتاب عمر من أبطال الاشياء وأكسرها لقولهم وهذا كان سير السلف المستقيم ، وهدم القوم ، فلما انتهت التوبة الى التأخيرين ساروا عكس هذا السير ، قالوا : اذا زلت التازلة بالنفي أو الحاصكم فبليه ان ينظر أولا : هل فيها اختلاف أم لا ؟ فان لم يكن فيها اختلاف لم ينظر في كتاب ولا في سنة بل يفني ويقتضي فيها بالاجماع وان كان فيها اختلاف اجتهد في أقرب الأقوال الى الدلائل فنفى به وحكم به وهذا خلاف ما دل عليه حديث معاذ وكتاب عمر وأقوال الصحابة والذي دل عليه الكتاب والسنة وأقوال الصحابة أولى فانه مقدور مأثور فان علم المجتهد بما دل عليه القرآن والسنة أسهل عليه بكثير من علمه باتفاق الناس في شرق الارض وغربها على الحكم وهذا ان لم يكن متخدرا فهو أصعب شئ وأشقة الا فيما هو من لوازم الاسلام فكيف يحلنا الله ورسوله على مالا وصول لثاليه ويترك الحوالة على كتابه وسنة رسوله الذين هدانا بهما ويسرهما لنا وجعل ثالي معرفتهما طريقا سهلة التناول من قرب ، ثم ما يدريه قلعل الناس اختلافوا وهو لا يعلم وليس عدم العلم بالنزاع علما يصدمه فكيف يقدم عدم العلم على أصل العلم كله ؟ ثم كيف يدعونه ترك الحق المدلول الى أمر لا علم به وغاية أن يكون موهوما وأحسن أحواله ان يكون مشكوكا فيه شكاً متساويا لوراجعاً ؟ ثم كيف يستقيم هذا على رأي من يقول انقراض عصر المجيمين شرط في صحة الاجماع فلم ينقض عصرهم فلمن شاع في زمنهم ان يخالفهم فصاحب هذا السلوك لا يمكنه ان يحتاج بالاجماع حتى يعلم ان العصر انقراض ولم ينشأ فيه مخالف لأهله.

وهل أحال الله الامة في الاقتداء بكتابه وسنة رسوله على مالا سبيل لهم اليه ، ولا اطلاع لافرادهم عليه ، ؟ وترك لإحاطهم علي ما هو بين أظهرهم حجة عليهم باقية الى آخر الدهر وهم متمكنون من الاهتداء به ومعرفة الحق منه وهذا من أجل الحال ؟ وحين نشأت هذه الطريقة تولد عنها معارضة النصوص بالاجماع المجهول وانفتح باب دعواه وصار من لم يعرف الخلاف من المقلدين اذا احتج عليه بالقرآن والسنة قال هذا خلاف الاجماع وهذا الذي أنكروه أنتم الاسلام ، وما يوا من كل ناحية على من ارتكبه وكذبوا من ادعاه ، فقال الامام أحمد في رواية ابنه عبد الله : من ادعى الاجماع فهو كاذب لعل الناس احتفتوا ، هينه دعوي بشر الريسي والاصم ولكن

يقول لاسلم الناس احتافوا أو لم يبلغه . وقال في رواية المروزي : كيف يجوز للرجل أن يقول أجموا إذا سمعهم يقولون أجموا فاتهمم لو قال اني لم أعلم مخالفاً كان (أحسن) : وقال في رواية أبي طالب : هذا كذب ما علمه ان الناس يجمعون ولكن يقول ما أعلم فيه اختلافاً فهو أحسن من قوله اجماع الناس : وقال في رواية أبي الحارث : لا ينبغي لاحد ان يدعي الاجماع لعل الناس يحتافوا : ولم يزل أئمة الاسلام على تقديم الكتاب على السنة والسنة على الاجماع وجماع الاجماع في المرتبة الثالثة قال الشافعي : الحجة كتاب الله وسنة رسوله واتفاق الأئمة : وقال في كتاب اختلافه مع مالك : والعلم طبقات الاولى الكتاب والسنة الثانية . ثم الاجماع فباليس كتابا ولا سنة ، الثالثة أن يقول الصحابي فلا يعلم له مخالف من الصحابة . الرابعة اختلاف الصحابة . الخامسة القياس : فقدم النظر في الكتاب والسنة على الاجماع ثم أخبرناه انما يصير الى الاجماع فبالم يعلم فيه كتابا ولا سنة وهذا هو الحق

وقال أبو حاتم الرازي : اذ لم عندنا ما كان عن الله تعالى من كتاب ناطق ناسخ غير منسوخ ، ومصحح به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علاما مراض له . وما جاء عن الاولياء من الصحابة ما اتفقوا عليه فاذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم ، فاذا خفي ذلك ولم يفهم فمن التابعين ، فاذا لم يوجد عن التابعين فمن أئمة المهدي من اتباعهم مثل أيوب السختياني وحصاد بن زيد وحجاج بن سلمة وسفيان ومالك والاوزاعي والحسن بن صالح . ثم ما لم يوجد عن أئمتهم فمن مثل عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن ادريس ويحيى بن آدم وابن عينة ووكيع بن الجراح . ومن بعدهم محمد بن ادريس الشافعي ويزيد بن هرون والحلي وأحمد بن حنبل واسحق بن ابراهيم الحنظلي وأبي عبيد القاسم : انتهى

فهذه طريقة أهل العلم وأئمة الدين جمل أقوال هؤلاء بدلائل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة بمنزلة التيمم انما يصار اليه عند عدم الماء . فعدل هؤلاء المتأخرون المقلدون الى التيمم والماء بين أظهرهم أسهل من التيمم بكثير . ثم حدثت بعدهم فرقة هم أعداء العلم وأهله فقالوا اذا نزلت بالفتي أو الحكم نازلة لم يحز أن ينظر فيها في كتاب الله ولا سنة رسول الله ولا أقوال الصحابة بل الى ما قاله مقلدو متبعوه ومن جملة عيارا على القرآن والسنة

فما وافق قوله أفتى به وحكم به وما خالف لم يجر له أن يفتي به ولا يقضي به وأن فعل ذلك تعرض لمزله عن منصب القنوى والحكم واستفتي له ما تقول السادق الفقيه فيمن ينتسب إلى مذهب إمام معين يقلده دون غيره ثم يفتي أو يحكم بخلاف مذهبه هل يجوز له ذلك أم لا ؟ وهل يقدح ذلك فيه أم لا ؟ فينقض المقلدون رهوسهم ويقولون لا يجوز ذلك ويقدر فيه ولعل القول الذي عدل إليه هو قول أبي بكر وعمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأمثالهم فيجيب هذا الذي اتصّب للتوقيع عن الله ورسوله : بأنه لا يجوز له مخالفة قول متوعدة لأقوال من هو أعلم بالله ورسوله منه وإن كان مع أقوالهم كتاب الله وسنة رسوله : وهذا من أعظم جنائز كفرمة التنفيل على الدين ، ولو أنهم لم يوافقوا أحدهم ومريدتهم وأخبروا وأخبروا بما وجدوه من السواد في البياض من أقوال لا علم لهم بصحتها من باطلها السكاك لهم عن رأيهم عند الله ولكن هذا مبلغهم من العلم وهو معاداتهم لأهله وللقائمين لله بحجته ، وبالله التوفيق .

(الوجه الثالث والخمسون) قولكم : منع عمر من بيع أمهات الأولاد ونسب الصحابة وأزعم بالطلاق الثلاث وتبعوه أيضا : جوابه من وجوه (أحدها) أنهم لم يتبعوا تقليد بل إذا هم اجتهدوا في ذلك إلى ما داه إليه اجتهادهم وإيقول أحد منهم قطاني رآيت ذلك تقليد العصر (الثاني) أنهم لم يتبعوا ما كلهم فهذا ابن مسعود بخلافه في أمهات الأولاد وهذا ابن عباس يخالفه في الإلزام بالطلاق الثلاث وإذا اختلفت الصحابة وغيرهم فالحكم هو الحجة (الثالث) أنه ليس في اتباع قول عمر رضي الله عنه في هاتين المسألتين وتقليد الصحابة — لو فرض — له في ذلك ما يسوغ تقليد من هو دونه بكثير في كل ما قبله وترك قول من هو مثله ومن هو فوقه وأعلم منه فهذا من أبطال الاستدلال وهو متعلق بيت الشكوك فقلدوا عمر وتركوا تقليد فلان وفلان فأما وأنتم تصرحون بأن عمر لا يقلد وأبو حنيفة والشافعي ومالك يقلدون فلا يمكنكم الاستدلال بما أنتم مخالفون له فكيف يجوز للرجل أن يحتج بما لا يقول به .

(الوجه الرابع والخمسون) قولكم : إن عمرو بن العاص قال لعمر لما احتجتم خذ ثوبا غير ثوبك فقال : لو قلت صارت سنة : فإن هذا من الأذن من عمر في تقليده والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله وغاية هذا أنه تركه لثلاث عتدي به من براه

ويصل ذلك ويقول : لولا ان هذا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعله عمر : فهذا هو الذي خشي عمر والناس مقتدون بسلامتهم شاءوا أو أبوا فهذا هو الواقع وان كان الواجب فيه تفصيل

أثر على السنية

﴿ التعريض ﴾

(الحاسة السنية الكاملة المزنة ، في الرحلة العلمية ، التزكية الشنيطية)
 للشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنيطي شهرة طائفة في جوعولم العربية كما هو هنا بذلك مراراً وتحتى محبو العلم من المارفين بمكانة هذا الرجل منه وعبي الاستفاده منه لو بطبع له تأليف يزادون به علما . ونشرهم بأن رحلته العلمية تم طبعها من عهد قريب ونشرت في هذه الايام وفيه يحفل من سيرة الشيخ وآثاره في النظم والنثر ، فن ذلك ابتداء تحصيله بالمغرب وابتداء رحلته الى المشرق ، وذكر ما استقبله من العلم الذي اخطأ فيه من قبله ، وذكر بعض مشهوري النحاة الذين اخطأوا في عدم صرف عمر ، وابتداء رثمة نفسه ، وذكر مشهورات قبائل العرب ، وفيها مناظرات ومكاثبات بينه وبين بعض العلماء في المغرب والمشرق ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة ، وقد سلك المؤلف في رحلته هذه مسلك الحرية التامة في كتابة ما يعتقده في نفسه وفي غيره من الذين خالفوه في بعض المسائل وأنحى على المخالفين له بشدة عظيمة . وإذا كانت هذه الطريقة متقدمة عند بعض القارئ فهو الذي عهدناه لا يخاف في حق اعتقاده لومة لائم ولعلنا ننشر من الرحلة شيئا في المآر . واتناخت أهل العلم والأدب على قراءة هذه الرحلة فانهم يجدون فيها من سيرة هذا الرجل الشهير ومن علمه وأدبه مالا مطمع في الوقوف عليه لولاها

(تحذير المسلمين ، من الاحاديث الموضوعة ، على سيد المرسلين)

كتاب جديد ألفه حديثا الشيخ محمد البشير ظافر الأزهرى جمع فيه فصولا كثيرة في الحديث على الاشتغال بالحديث وفي وضع الحديث وأسبابه والمؤلفين فيه وفي ذكرهم

الكتب والرسائل التي تكثر فيها الاحاديث اوضوغة، وفي الحطب المتبعين على ذكر الاحاديث اوضوغة في خطبهم وفي الخرافات الاسرائيلية التي دخلت في كتب المسلمين وأشهر رواياتهم وفي الحكم والامثال التي رفعها الرضاعون وهي موضوعة وفي طائفة من الاحاديث الموضوعة مرتبة على حروف المعجم. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة (الراوي) فنشكر لمؤلفه عنايته وخدمته ونعت القرائ على مطالعة كتابه وهو يباع بمكتبة المنار وغيرها وعن النسخة ثلثة قروش وأجرة البريد نصف قرش

— ديوان سبط ابن التاويدي —

سبط ابن التاويدي هو أبو الفتح محمد بن عبدالله توفي سنة ٥٨٣ هـ وهو شاعر مشهور قال فيه ابن خلكان «كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما اعتقده لم يكن قبله بمثلتي سنة من يضاهيه» وله ديوان كبير عني بنسخه وطبعه حديثا الدكتور مرجليوت الانكليزي مدرس العلوم العربية في مدرسة اكسفر الجامعة في انكلترا. وقال في مقدمته انه اخذ من لمسنتين في المكتبة البلدية المشهورة احدهما مبنية على ما وصفه المصنف في خطبته والاخرى على ترتيب القوافي الخ مذكروا هو يدل على ما نزل من انايا في جمع الديوان وترتيبه. وقد وصف الدكتور الديوان بعبارة رقيقة لا تراعى الجمال ولا التكلف فيها على ما فيها من السجع والجناس فقال: «وكفي هذا الديوان من مدحة راقعة للقدرة، وأرجوزة شارحة للصدر، ومن أهجية جارحة للاعراض وشكاية مصيبة الاعراض، ومرثية مبكية للعيون، وقطعة مختلفة الفنون، فان القصائد كأنها مراميا تظهر فيها أسرار القلوب، وخفايا الخطوب، وتكاد ان تليد الاموات، وتبهمهم ذوي حياة، وتظهر من غير وسلف، تصب من خلف، حتى يشترك فيما كان يداخلهم من الملقاة والمقت، عند قديم الوقت، ويشاهد من السرور والضراء عنه اختلاف الشئون، ويسمع حديثهم ذا الشجون.»

فانت ترى هذا السجع الرقيق لا ياباه نفسه اكتبه كتاب المصنفان وجد من الكائين من يرى مثل قوله «اللقاة والمقت» عند قديم الوقت «من التكلف في التجنيس والتسجيع فانا ضامن بأن ابن الفارض يتبى مثله في شعره، ولا ياباه الحريري في شعره، فلما نجد في الازهر من يحسن مثله

وقد وضع للديوان فهرسين أحدهما في إحصاء أسماء المدحويين والمهجوين وغيرهم
 ممن ذكر في هذا الديوان مع يار نوع الشعر الذي قيل فيهم . وثانيهما في أهم المعاني
 الجائزة في أبيات الديوان مرتبة على حروف المعجم كالأبواب . وأخذ الممدوح الجائزة دون
 المسادح وأعادة الدعوة المباسية في مصر والأتراك والتشيع والين وغيوب الشعر
 وقلة الخليلي ونحو ذلك من المعاني التي يحتاج إلى مراجعتها الباحثون وهذه الفهارس التي
 يلحقها لا فرنج بكتبهم وما يطبعونه من كتبنا مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث
 والمؤلف ومعي صرنا نعرف قيمة الوقت فأتينا نحذوهم فيها وقد طبع الكتاب بالشكل
 الكامل في مطبعة نقطة طه وهو ضار سه نحو ٥٠٠ صفحة وثمان الف نسخة منه غير مجلدة ٣٦ قرشا
 صحيحا وثمان المجلدة تجلدا عاديا ٤٠ قرشا والمجلدة تجلدا متقنا مرسوما بالذهب ٤٥
 قرشا . فنشكر للمؤلف عنايته وخدمته لافتناء وثبة قومنا للاعتبار بذلك فأتينا صرنا
 نأخذ لفتنا وأدائها عن الأفرنج

﴿ أسرار النجاح ﴾

كتاب يشتمل على مقالات مفيدة جدا في الثروة والكسب مؤلف من مقدمة
 وثلاثة أبواب . أما المقدمة فهي أهم التصانيع والاعتماد على النفس والمحافظة على الوقت
 ومصادر الثروة والثبات على العمل واختياره وأهم الأعمال الصناعية وأما الباب الأول
 ففي الزراعة وفيه ثلاثة مباحث وأما الثاني ففي الصناعة وفيه أربعة مباحث وأما الثالث
 ففي التجارة وفيه سبعة مباحث . واضع الكتاب إبراهيم بك رمزي صاحب جريدة التمذد
 ومن قرأ جريدته يعرف كنه أفكاره المفيدة في أمثال هذه الموضوعات وقد جعل الكتاب
 هدية إلى أبناء الوطن ، فهو يوزع عليهم بغير ثمن ، وهذا دليل على غيرة المؤلف وأخلاصه
 في حب الخير لبلاده ، ولكن قومنا مغفلو الأيدي ومقيدوا الأرجل فلا يستطيعون السعي
 ولا يدرون على الكسب بالهمة التي يريدونها أمثالهم من التباء الأبد فك تلك الأغلال وكسر
 تلك القيود ، ولا بد لذلك من جهاد في عالم المعائم ينتصر فيه من يدعو إلى الاسباح في
 عمارة البلاد ، وترقية البلاد ، ولا شك عندنا في أن مثل هذا الكتاب من أهم الكتب
 التي نشرت فإن الناس إذا عملوا وجوه القوائد ، يقومون على محاربة التقاليد والعوائد ،

(الزهرة) جريدة أسبوعية صدرت في تونس زمنا ثم احتجبت زمنا وقد برزت
 ثانية من كمها فترجو أن يبقی عطرها ، ويم نشرها

باب الخليفة الأول

الحرب بين اليابان والروسية

الروسية دولة تشب شبابا عجيا مساحة أرضها تناهز سدس الأرض ولكن معظمها في أقصى الشمال حيث البحار جامدة من شدة البرد لا ينتفع بها ، وسكانها مئة ألف ألف أوزيدون عشرة آلاف ألف ونيفا ، ونحو ثمانين ألف منهم خاضعون للكنيسة الشرقية يتقلدون المذهب الأرثوذكسي ، مذهب الحكومة الرسمي ، وحيشها في وقت السلم ١٨٩٦ ألفا وقال إن في أملاكها بحيد أربعة ملايين ونصف إذا وجدت المال الكافي لذلك ، وقول إذا وجدت المال قاتلها لا نجد الضباط والقواد الذين يدبرون نظام هذا الجيش مجتهدا ولكن لها من السكر مددا لا يتعد في حرب أي دولة من الدول الكبرى . وقد ارتقت أساطيلها في السنين الأخيرة وكثرت حتى سارت قواتها البحرية في الدرجة الثالثة أي بعد أن كلتارو فرنسا ، ويقال إن عدد سفنها الحربية يزيد على مئتي سفينة متفرقة في البحر الأسود وبحر قزوين وبحر البطليك وبحر الصين ولكن السفن الجديدة القوية التي يستمد عليها في الحرب لا تزيد على خمسين سفينة ، ثم إن عسكر هذه الدولة في البر والبحر متعثر على القتال والزال ، مستمد له في كل حال ، ومالية الروس في إرثاء مستمر ولهم خزنة مخصوصة للحرب ، نعم إن الأمة الروسية في ظلمات من الجهل ودولتها في غمرات من الاستبداد ولكن كان من الحكمة أن بدأت بإصلاح العسكرية ثم المالية وأما الإدارة والمعارف فلا يتأتى إصلاحهما في مثل تلك البلاد الواسعة والأمة العريقة في الجهل إلا بالتدريج البطيء ولهذا الدولة رجال لا يارون في السياسة فهم في الدرجة الأولى ولذلك نالت بين الدول مقاما عليا ، وقد قلت منذ سنين أن روسيا كشاف في سن العشرين وألمانيا كشاف في الثلاثين وانكلترا ككهل في الأربعين وفرنسا قد أشرفت على الخمسين أو دخلت فيها .

أصبحت هذه الدولة القاهرة مرهوبة الشد من دول أوروبا القوية ولقد حالفها دولة فرنسا فكان حديث الأمم أن فرنسا على عظمتها وضاعا وقوتها وعلمها هي

التابعة وروسيا هي للتبوعة. أليس من العجيب ان تجرباً على هذه العظمة والجبروت دولة شرقية حديثة المدينة كدولة اليابان التي لا يكاد يزيد عدد رعيتهما على ثلث عدد الروسيين الا قليلاً؟ اليس من العجيب ان يفاضب هذا الطفل الصغير (كما يقول القيصر) ذلك الشاب للمعتلى قوة وشباباً، وزهواً وإعجاباً، ثم يوانبه فيخفه ولا يخاف منه؟؟ على ان هذا من مواطن العجب، عند من لا يعرف السبب، عندهؤلاء الافراد الذين لا يعرفون معنى حياة الامم وعزة الدول وان كانوا من الكثرة بحيث يطلق عليهم لفظ (أمة) - عند الذين لهم هيئات حكومات يطلق عليها لفظ (الدولة) - عند الافراد الذين لم يشعروا بأن في الكون سنة إلهية سماها الناس (تنازع البقاء) وهي تقضي بنمو الحي القوي ، بتغديه بالضعيف والميت ، واثامهم يشعروا لانهم لم يذوقوا « ومن ذاق عرف » اما الميت منهم فلم يذوق لانه ميت وأما الضعيف فلم يشعر لان معدته لا تقبل الغذاء فارادته لا تطلبه فهو في معنى الميت الا انه اشقى منه بما بقي له من الشعور بالالم عند تغذي الاصحاء به .

أظن ان القارئ فهم المراد لانه يعرف ان أكثر الذين يعيش معهم لا يحسبون ولا يشعرون بأنهم طعام للامم الحية ومن عساه يحس منهم بذلك فانه يتألم ولا يكاد يبدي حراكا لانه اذا قوي على الحركة صاح به سائر الضعفاء واستعانوا عليه بالاموات وقالوا جميعا : هلموا به فانه يريد ان يثير ما ورتناه عن آباءنا وأجدادنا من جرائم مانحن فيه (أي من الضعف والموت الزؤام قاتهم في ذلك دون سواء) فهذا يرغمه بكسر القيود ، وذلك ينبذه باعتدائه الحدود ، وفلان يقول إنه اجاز لنا ان تأكل مع الآكلين ، وفلان ينادي بل اجاز لنا ان نلبس من لبوس السائدين ، لقد أوقتنا في البلاء المبين ، وسلب منا باباحة الاكل واللباس الدنيا والدين ، فاذا اجاز لهم مع الغذاء والكساء ان يكسبوا مع الكاسيين ، فقد استحق عندهم ان يكون من المخرجين ،

أمثال هؤلاء لم ان يعجبوا من مواثبة دولة توصف بالشرقية مثلهم لأعظم دولة في الغرب والشرق ولكن الذين يعرفون معنى الحياة لا يجبون قاتهم يعلمون ان هذه الامة قد ارتقت في معارج الحياة الاجتماعية فالتست الغذاء والحي الصحيح تغذي دائماً بغيره - فصادفت المقاومة فسلت الحسام ولجأت الى القوة فخارت دولة الصين التي يبلغ

سكان بلادها زهاء ثلث البشر فقهرتها واستولت على طائفة من بلادها تسمى كوريا
 قرية من اليابان وهي تستمد منها غلاتها وتتفق فيها تجارتها وعليها كان النزاع وتنازلت
 الصين لليابان بعد الحرب عن ميناء (بورت آرثر) وطايلانوان ، وهما التران الذان
 يرن ذكرهما كل يوم في الآذان ، ولكن روسيا حسدتها على هذه التهمة وخافت مع غيرها
 من الدول الأوروبية عاقبة اليابان فاتفقت مع ألمانيا وفرنسا على حرمان الظافر من ثمرة
 ظفريه ونقضت هذه الدول الثلاث على اليابان بالخروج من منشوريا وكانوا تفلعلوا فيها
 وباستقلال كوريا (وذلك بعد الحرب سنة ١٨٩٥ م) وفي أثناء ذلك احتلت الروسية
 منشوريا بحجة تسوية مسألة اليابان والمحافظة على استقلال الصين الذي عقدت الحلفاة
 الثلاثية لاجله ولكنها لم تخرج منها بعد خروج اليابان ولم تكتف بذلك حتى اتفقت مع
 الصين على اصلاح ثمر بورت آرثر وطايلانوان ثم طفقت تعد السكك الحديدية في
 منشوريا وتقيم فيها الحصون والقلاع بحجة حماية السكة الحديدية وقد خاطبتها اليابان في
 الجلاء عن منشوريا «حفظا لاستقلال الصين» فاسطلت وسوفت ثم وعدت وعدا الى
 أجل مسمى فاقضى الاجل ولم تف بالوعد فطلعت اليابان ان السيف في اخراجها انما كان
 لاجل الحلول في محلها والاستئثار بضميتها فطفقت تستعد للكفاح ، وتطالب الروسية
 بالوفاء بوعدها مع شروط اخرى بناية الاحلاح ، ولما ابطأت عليها بالجواب آذنتها
 بقطع الصلات السياسية، وابتدأتها بالحرب بحرية وبرية،

اما قوة اليابان البرية فقد قالوا انها تستطيع ان تجهز في زمن السلم زهاء ثلاث
 مئة انف مقاتل. وأما اساطيلها فهي أقل من مجموع الاساطيل الروسية سفنا ولكنها
 في الغالب اسرع منها سيرا وأبعد رميا وعدد السفن الحربية عندها على اختلاف
 أنواعها ثلاث وثلاثون يقابلها خمسون عند عدوتها ولكن هذه لا تستطيع ارساها كلها
 الى الشرق الاقصى قاليا بان هناك أقوى اسطولا والذبح الحجري عندهم أقرب تاولا لالكثرة
 في بعض جزائريهم وعندهم حياض كثيرة لاصلاح السفن التي يمرض لها في الحرب
 التلق في آلتها اوفي ذلتها . وقوة اليابان البحرية سهلت عليها ائزال جنودها البرية
 حيث تشاء من واتي كوريلو امدادها بما تحتاج اليه من المؤن والذخائر . وقد حصرت
 الاسطول الروسي في مرقاها بورت آرثر بعد ان دمرت بعض مدرفاته في مهاجمتها تدبرا

لهذه الاسباب واصعوبة ارسال الجنود مع ذخايرها ومؤنها من قلب البلاد الروسية الى منشوريا يعد الناس الدولتين المتحاربتين متكافئتين فيعضهم يرجع العصر لهذه وبعضهم يرجع تلك ومنهم من يفصل في ترجيحهم فيقول ان الظفر يكون في اول الامر لليابان في البر كما كان لها في البحر ولكن العاقبة تكون لخصمها لان مدد الجنود الروسية لا ينفد وعندها الميل الكثير الذي يمكنهم من مواصلة الحرب مدة سنة كاملة من غير ان يحتاج الى القرض ثم ان الاكتتاب من رعيها للمعاونة على هذه الحرب قديداً بصفة مدهشة اي انه بدأ بالملايين من الروابل (قيمة الروبل عشرة قروش مصرية) فبدأ ينهسي

اما ميل الامم الى المتحاربين فمختلف فالانكليز والامريكان يميلون الى اليابان ويقال ان الانكليز حرصتها على الحرب ، وفرنسا تميل الى حليفها روسيا ، وأما ألمانيا فقد اختلفت الرواية عنها والراجح عندي انها تودد الى روسيا ظاهراً وتودضعها باطنا لانها جارتها وحليفة عدوتها (فرنسا) وقد ظهر ميل الانكليز والامريكان لليابان في جرائدهم كظهر ميل فرنسا لروسيا في جرائدها بل ان شركة روتر البرقية الانكليزية تتنقى بنقل الاخبار التي تنفيد خذلان الروسيين وشركة هافاس الفرنسية بالعكس . وقد بالغت الجرائد الانكليزية في الطعن والتفجير من روسيا حتى خافت حكومتها مغبة ذلك وطفق للملك يتودد الى القيصر ويكثر مقابلة سفيره في لندن والاقبال عليه . واما السلدون طامة فانهم يودون ضعف روسيا لانها اكبر خطر على دولتهم المستقلة الثلاث - تركيا وايران وافغانستان - ولكن السلطان عبد الحميد اقصر ارباك روسيا واشتغلها بأمر الحرب فبانع في التودد الى القيصر وهي سياسة حكيمة بصرف النظر عما يقول كبراء الترك من وجود اتفاق سري بينهما فان اظهار الميل عن روسيا الى اليابان يحفظ قلب القيصر ورجال دولته على تركيا فيضربون الانتقام منها في اول فرصة من حيث لا ينفع هذا الميل السلطان ولا الدولة من وجه آخر .

واما التصارى في البلاد العثمانية فهم أشد الناس ميلا الى روسيا لاسباب الروم الارثوذكس منهم والسبب في ذلك التزعة الدينية ولكنك تجد افراداً منهم يميلون الى اليابان لانها دولة شرقية قدرت في العلم والنظام والصناعة فهم يتخرون بها لانهم يدون الشرق كله وطنهم والرابطة الوطنية اعلى في نفوسهم من الرابطة الدينية بل يرون ان الرابطة

الدينية ضارة في الدنيا وغير نائمة في الآخرة فأنها هي التي حالت دون مساواتهم بمن يعيشون معهم في بلاد واحدة من كل وجه . وهذا الاعتقاد قاش في المسلمين من التصارى ولكن لم يلب وجدان الا كثيرين ، كما غلب أفكارهم فهم يميلون الى مشاركتهم في الدين - ، وأن كانوا غير معتقدين . ولو وجد في المسلمين عدد كثير يميل الى هذه الوطنية ولومع المحافظة على دينهم لكثير عدد التصارى الوطنيين وتضاعف . وليس من موضوع بحثنا ان نطيل في حديث الوطنية وانما ذكرنا هذا للمسائل لانها من العبر التي يصح ان نستفيد منها من تأثير الحرب فذلك انفع لنا من معرفة عدد الذين يخفرون سكة حديد منشوريا ومعرفة طول نهر (بالو) وعرضه

وأهم مباحث هذه الحرب مبحث طاقتها وتبعاتها الى الدول الاخرى ويظن ان اوروبا كلها سيئتها ان يكون في الشرق دولة قوية غلة صناعية ويسرها ان يترك شمل الجنس الاصفر كما تترك شمل المسلمين اذ لم يكن لها منازع في السيادة على الشرق غير المسلمين وما امت جانبهم باستيلائها على أكثرهم وتصبها على باقهم الانجم لها في الشرق ناجم آخر ينازعها في هذه السلطة . لذلك يظن ان لاجني اليابان من انتصارهم انهم انتصروا اكثر مما جنوا من انتصارهم على الصين وان اورد بالاعتكهم من توسيع نطاق ملكهم في الشرق ولا من تمدن الصين وتعليمها الا ان تشاء انكثروا امرى كما مقاومة روسيا بها . وقد بحث السياسيون منهم في فاقة ارتقاء اليابان واتخذوا اوروبا الخطر من الجنس الاصفر اذا اجتمع شمله واتحدت كلمته . واطن ان فرنسا لا تورط في الحرب لاجل روسيا اذا هي انكسرت واذا هي تورطت فأنها تورط انكثروا وهناك الخطر العظيم على أوروبا كلها وعلى آسيا وعقلاء الدول الاوربية يتقون هذا الخطر أشد التقوى ولذلك اتفقوا على حل (السألة الشرقية) بالمطالبة بالبلتاجزة والاقرب الى المقول ان يحتل منشوريا وكوريا معا والاولى فقط جيش مؤلف من دول أوروبا الكبرى لتبقى السيادة للابيض على الاصفر ولتؤمن اغارة روسيا على هذه البلاد مرة أخرى والافان الحرب تستمر سنين طويلة واما اذا انتصرت الروسية طاجلا أو آجلا فهل تترك لها أوروبا وامريكا ملكتي منشوريا وكوريا غنيمة باردة وترضيان بأن تكون لها السيادة العليا في الشرق الاقصى والكلمة النافذة في الصين؟ كلا ان هذا بعيد من المقول وان الخطر في انتصار روسيا أشد

من الخطر في أنكسارها وانه ينتظر حينئذ أن تهب الصين الى مساعدة اليابان فاذا ظهرت روسيا على الجنس الاصفر كله فلا بدول طريقان أحدهما سلمية وهي الاتفاق على إلزام روسيا بجعل منشوريا وكوريا تحت حماية الدول الكبرى واحتلالها بإها بجيش مختلط والإزام اليابان بالفرامة التي تنقل كاهلها واخذها بالعقوبات التي لا ينض لها معها رأس، ولا يرتفع لها فيها صوت، والثانية حرية تسلك اذا تعذر الاتفاق بين الدول ذات الشأن وهي انكلترا والولايات المتحدة ثم ألمانيا وفرنسا أو أبت عاين روسيا الدخول في الامر ولا بد أن تشدد فرنسا عضدها حينئذ ولا مندوحة لانكلترا والولايات المتحدة عن امداد اليابان بالساكر البرية والاساطيل البحرية ان بقي اسطول روسيا في الشرق حيا الى أن تتمكن من تعزيزه بأسطول بحر البلطيك وماذا يفعل الدب الروسي حينئذ ؟

اذا كانت الحافلة بين روسيا وفرنسا تقضي على هذه باسعادها في الحرب اذا ساعدت خصمها دولة أخرى فهناك الطامة الكبرى وتكون الكلمة العليا في أوروبا لمن تنصره ألمانيا فان أسطول فرنسا في البحر المتوسط لا يقف أمام اسطول انكلترا فيه لان هذا أقوى اساطيل انكلترا وهي تستطيع ان تعززه حالا بأسطول بحر المانش واسطول البحر الشمالي . والا قرب الى أن تصور ان تنصر ألمانيا يومئذ لانكلترا على عدوتها الظاهرة وهي فرنسا وعدوتها الخفية وهي روسيا وتجعل السيادة في العالم بين الجرمانيين والسكسونيين فانهم اقرب نسباً ومذهباً - يقول هذا على تقدير وقوع مانحذر منه وأوروبا وتوقعه ، على أنها توقفه ونحشاءه ، والأرجح ان الدول تقدر على إلزام الغالب والمغلوب بما تحكم به وانها تكفي باضعاف الدولتين المتنازعتين في السيادة على الشرق الأقصى وتجعله مرتعاً مباحاً لجميع الاوربيين والأمريكيين ، ويكون النجاح للسايقين ، وظن بعض الناس هنا ان الحرب العامة تفيد الدول المهضومة كالدولة الثمانية وايران وبعض الدول الصغرى في أوروبا ولكن للتفكرين يرجحون أو يستقدون بأن الحرب العامة لا تنتهي الا بانتهاء المسألة الشرقية وابتلاع الدول القوية للضعيفة في تلك الفرصة وقانا الله شرها وألهم الاقوياء ما فيه أمن الضعفاء .

هذا ما سنرجع لنا من الاخبار والآراء في هذا المقال لم قصد به التفكيكه والتسليه ولا تدوين تاريخ الحرب ولا التحزب السياسي بالاتصار لدولة دون أخرى وإنما قصد

التيه والابقاط للاعتبار بأحوال الام الحية وامعالمها ، وامانيتها و مالمها ، لم
القارئ يتدبر فحقن نفسه الى العزة والقوة ، وتجنى ان تكون امته حبيسة قوة ، ثم
يقوده الفنى الى التفكير في وسائله ليصبر رجا واملا ، يستلزم سعيًا ويقضي عملا بوليت
شرعي امن الفنى امن من الرجا ما يفكر به الاكثرون من استفادة الدولة العنانية والدولة
الفارسية من هذه الحرب التي روت انها شغل روسيا عنهما عشرين سنة ؟ سئل عظيم من رجال
احدى الدولتين ان استفيدوا للاسلام - تركيا وايران - من هذه الحرب ؟ فاجاب الرجل
العظيم هل استفاد من حديثنا هذا التام (و اشار الى رجل قائم في المجلس) واتفق ان
استيقظ التام عند الجواب فقال السائل : ها قد استيقظ التام . قال : نعم ولكن التوم
لا يزال مل عينيه .

كم من فرصة سنحت لنا وخفت ، ثم تولت وخفيت ، ونحن في طريقنا سائرون ،
ومحاثنا راضون ، كتبنا (في ٣٠ جادى الثانية ١٣١٧ الموافق ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩)
مقالة ضوأتها (الفرستان) جاء فيها ما نصه كالمى (ص ٥٣٢) من مجلد النار الثاني :

« واما فرقة الدولة العلية فهي اشتغال روسيا فانكلا تراوسا تدول اوربا الكبرى بالمسألة
الصينية واما الخطر على الدولة من روسيا التي يعرف الناس ان سياستها التقليدية تقتضي
هو اسمها من لوح الدول وضمها الى الامبراطورية الروسية العظمى او من اتفاق اوربا
على تقسيمها . يدل على شغل روسيا عنها بالطمع في الصين الفضيحة البعيدة الارجاء ان
هذه الدولة قد عجزت على تعزيز الخط الحديدى العظيم الذي انشأه في سيبيريا (وطوله
٤٦٩٥ ميلا) بخط آخر ينشط من الطريق الاعظم في بلاد منشوريا التي هي في الشمال الشرقى
للصين معتمد الى ميناء بورت آرثر وينوشوتخ ويقرب ان تمده من هذه الى بكين عاصمة الصين ،
ويقدر المسال اللازم لهذا النشاط بعشرين مليون جنيه كما قدر المسال اللازم لطريق سيبيريا
الاعظم بستة وخمسين مليون جنيه اذا مد عليه خط واحد . وانها قد قررت ان اق ٩ ملايين
جنيه لتعزيز اسطولاها بالواجب من الطرز الجديدة . تخمسة وعشرون مليوناً من الجنيهات من
هولة لا تمد من الدول الغنية ليس الا تلك القيمة الكبرى التي توقعها في الصين ويؤكد كذلك
قوة الاسطول مع امنها على ثورها في اوربا من الدول البحرية وعلما بان اليابان لا تقدم
هل عجزها عن تخاف منها على فلا يقوستك وميناء بورت آرثر ولا يخشى على هاتين الحاضرتين

من غير اليابان . هذا ولابد لانكلترا وفرنسا والمساينا من مزاحمة روسيا ولا بد ان
يمتد اشتغالهن بتلك المملكة الى سنين كثيرة

« فيجب على الدولة العلية ان تشغل بنفسها مادام الطامعون في شغل عنها تقدم على
نحو نصف قرن وهي مشغولة بالسياسة الخارجية عن الاصلاح الداخلي والدول الاوربية
تطالبها بالاصلاح وهي التي تحول بينها وبينه . وقد يتأربأنا في الاصلاح الواجب من قبل
في مقالات نشرت في المنار وأخرى في المؤيد واهمها تعميم التعليم العسكري وتقوية الاسطول
ومساعدة الرعية على تعميم المعارف واتقاء العمال والحكام من الانكفاء والدولة العلية
وسلطاتها الاعظام ألعن متابعنا ينبغي ويجب من ذلك » اهـ

هذا ما قلناه منذ سنين والدولة لم تعمل شيئا منه يذكر ولكن اليابان استعدت في هذه
اللمدة وابتدأت روسيا بالحرب وقد قتل الجرائد الاوربية من أقوال قصر روسيا و كبار
قواده ما يدل على اعترافهم بيسالة هذه الدولة واستعدادها واتهم لا يقدر على الانتقام
منها الا بعد زمن طويل يتم فيه استعدادهم . وتقت من أقوال اليابانيين وأناسيدهم
ما يدل على احقارهم الروسين ورميهم ايهم بالجبل والظلم واعتقادهم بأنهم هم الغالبون
بالعلم والنظام ودلائل التصر بادية لهم فاعتبروا يا أولي الابصار

وبقي علينا ان نشير الى ما يجب على دولة ايران فان الخطر عليها من روسيا أشد
منه على غيرها وربما يكون أول شيء تنوجه اليه روسيا بعد ذهاب منشوريا من يدها
اذا هي غابت عنها أن تأخذ بلاد فارس عوضا عنها فتسترحذلانها وتسكي انكلترا فانواجب
على دلة ايران ان تعني قبل كل شيء بتخاذ الوسائل لتسايح أهالي بلادها وتمريضهم
على رمي الرصاص ليكونوا كلهم مدافعين اذا دخل العدو بلادهم كما هو حكم الشريعة
الاسلامية وان تمتي أشد الاعتناء بالتعليم العسكري واستجلاب الاسلحة والذخائر
الجديدة بتدر الطاقة وأظن ان انكلترا تساعدنا في هذا الوقت اذا أرادت ولها ان
تطلب ضابطا من أختها تركيا فقد مضى زمن التقاطع والتدابير

واما أفغانستان فهي غنية عن التنبيه والاذنار فان عنايتها بالتعليم العسكري واستعمال
السلح لا مزيد عليها فاذا التزمت روسيا من امام اليابان ، فانها لا تقوى على مهاجمة افغان ،
لما عليه هؤلاء من شدة الباس ، وصعوبة المراس ، ووعورة البلاد ، وحسن الاستعداد ،

﴿ دعوى الخلافة ﴾

(تعريب مقالة نشرت في جريدة (رك) القراء)

ان دعوى الخلافة هي من أهم الاسباب الداعية لتشتت شمل المسلمين والمانع الوحيد لوقافتهم ووثامهم وماهي بالشيء الجديد وانما بدأت منذ زمان سيدنا علي ومعاوية ونمت بعدئذ وتشتت الى شعب كثيرة . واشترأت نحوها غناق الامم الاسلامية بسرهما حتى ان كل أمة من هذه الامم لا يروقها وجود الخلافة عند غيرها ولا تراها صالحة الا لها . فكم من دماء على هذه المسئلة قد اريقت ، وكم أرواح زهقت ، وأطفال يمت ، ونساء رملت ، وكم أضرت هذه الدعوى بالاسلام من الاضرار البليغة للمادية والادبية

وأكثر الكل تجحاً بدعوى الخلافة هم العرب اذ يتخذون اتساعهم الى التي هي ، ونزول القرآن باللغة العربية ومدينة العرب بعد الاسلام حجة على تأييد مدعاهم . ولا يروقهم كون الخلافة بيد الترك الذين تشرفوا بالدين الخفيف منذ سبعة قرون ولا يرونها لائقة بهم . ومع ذلك فان الوقاق والوثام لا أثر لهما بين العرب . فترى مثلاً ان أهل الحجاز يريدون ان يكون شريف مكة هو الخليفة وان الخلافة حقه لا ينازع فيها منازع . كما ان كل شيخ مشايخ عربان البين يريد الخلافة لنفسه . اما السوريون فان افكارهم تناقض هذه الافكار كل المناقضة . ولوعظمتا النظر الى المسلمين الفاطنين في افرة الراين المراكبيين يدعون ان سلطتهم من نسل التي واه أحق بالخلافة من غيره . أما سكان وادي النيل فانهم يريدون ان تكون القاهرة مركزاً للخلافة كما كانت في الصور القاهرة فتراهم لا يأتون جهداً في تعميم هذا الفكر بين افراد المصريين . واما الايرانيون فانهم لا يعتقدون بصحة خلافة الذين تولوا الخلافة بعداً ولاد الرسول ولا يقبلون غيرهم أحداً فلي ظني ان هذه الدعوى جميعها مبنية على اسس واهية وهذه الافكار أوهاهم باطلة وهذه الاقوال غير صحيحة ،

فاول شرط من شروط الخلافة هو ان تكون الامة التي تبني حل تبة هذا المنصب على عاقبها هي أكثر الامم الاسلاميه جاهاً وأبدهم في الحضارة شأواً وأقدرهم على درء الصدو عن حوزة الخلافة المقدسة وهو ما يقضي به العقل والشرع . فاذا نظرنا اليهم نظرة الناقد البصير فهل نرى غير الشماليين منهم أمة محوزة هذه الاوصاف جميعها ؟ كلا : فالخلافة لا تقاس ببابوية الكاثوليك . ولم تكن وظيفة الخليفة محصورة في رفع الاكتمب والدعاء .

لحفظ الخلافة الاسلامية وصيانتها . بل ان من الواجب على الخليفة ان يريق الدماء ويذلل الاموال للذود عن حقوقها .

فللمرأكشيون الذين لايزالون على ما كانوا عليه من الحمجية منذ القرون الوسطى ولاهجة الرع ورماء السهام من قبائل افريقيا ولاشريف مكة الذي لايهمه سوى سلب الحجاج أموالهم ، ولاأصحاب الاوهام الباطلة من المصريين بقادريين على القيام بحقوق هذا المنصب . ولايمكن ان يقوم باعبائه غير الثمانيين الذين تؤهلهم له حضارتهم وموقعهم الجغرافي ورسالة جنودهم وانتظامها . وما أتوه من الخدم الجزيلة وما أراقوه من الدماء في سبيل هذه الغاية في الصور الخالية هو اقوى دليل على ماقدمننا . ولكن هل استفادوا مقابل ذلك شيئا من الفائدة المادية؟ كلا . فلو لم يحملوا تبعه هذا المنصب على عاقبهم لاستراحوا من هذا الغناء . ولا مضوا حياتهم السياسية بكل راحة وهناء . ولما تسلطت انتصارى حتى الامبركيون منهم على الاتراك ولما ترقوا للفرص لايقاع الاذى بهم وكل ذلك لم يكن الا ليكون الاتراك هم عضد الاسلام الاقوى وجميع السهام المصوبة نحو الاسلام لاتقع الا على رموس الاتراك . اما ما يقال من ان الترك لم يقوموا بأعباء هذا المنصب حق القيام فهو صحيح . ولكن ايرى من يقدر على القيام باعبائه أكثر منهم على شرط ان يؤيد أقاله بالانصاف . وحينئذ يرى الثمانيين مستعدين لتسلم هذه الامانة المقدسة والازواء في زاوية الراحة . اما اذا قال قائل ان الحكومة العثمانية لا تترك للسوريين واليمانيين والبغداديين مجالا فقول . من الذي ياترى غل أيدي المراكشيين والتونسيين والمصريين عن العمل؟ ولكن هيئات « طيب يداوي والطبيب عليل » اه

(المنار) قول الكاتب الاديب ان دعوى الخلافة كانت بلا على المسلمين وأنها أضرت بهم كثيرا صحيح وكان يجب عليه ان يبحث في تلافي هذا الضرر لأن يريجه بمعظم قومه ونحفير سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم . وكان يجب عليه ان يمثل لهم قوة الدولة العثمانية عز المم وشرفا . لا عار اعليه . وعرضا . ان الكاتب أخطأ في سيره بمقاتلة واثنين له خطأ ووجه الصواب الذي كان ينبغي له ان يعرفه وان يرفق الناس به وهوانه لا يوجب في سوريا ولا في مصر من يفكر في جعل خليفة المسلمين سوريا أو مصر أو بغداديا . واما الكلام في المسألة فقد وجد في مصر وحدها من افراد من أهل البطالة الذين يكسبون المال والحاج

من الاستانة ومصر بكتابة التقارير ، للإيهام والتفريب ، وقد كتبوا أوراقا وظموا أشعاراً
يوهمون بها السلطان بأن خديو مصر يسعى للخلافة سعيها وان الامة المصرية تابعة له .
ويريدون بهذا التقرب الى السلطان تارة والى الخديو أخرى على أنهم يخوفون السلطان
منه ليقضيه حاجاه عنده حال هؤلاء معلوم وهم يوقنون بأن الامة المصرية لا تفكر
في هذا المعنى ولا ترجوه فضلا عن كونها تسي اليه

هذا ما تعلمه علم اختبار في القطرين ونعرف برواية الصادقين ان أهل مكة والمدينة
لا يريدون ان يكون أميرها خليفة للمسلمين ، وكذلك البلاد العربية كلها تود ان تكون
دائما تحت رعاية الدولة العثمانية وسيادتها بشرط ان تقيم فيها العدل واما الذين يخرجون
في اليمن فهم معدودون يستفهم ظلم أحكام الترك فيبحون ، ولو حكموا بالعدل لما كانوا
يشورون ، فهذا ما قوله بناء على اختبار من تثق بهم كصديقنا محمد ناسا عسكروهاب
أمير دارين وصديقنا المرحوم الكواكي الذي ساح في الجزيرة واختبرها حق الاختبار
ولكن العرب لا يصبرون على الضم فاذا ساءت معاملتهم ساءت أعمالهم . واما أهل
مراكش فلا علاقة لهم بالسلطة التركية . ودعوى سلطانهم الخلافة كدعوى سلطانتا
لم تحمل احدهما صاحبها على منازعة الآخر وأما كونها مائة من أمجادها فاللوم فيه
أعلم السلطانيين وأحكمهما اذ يرضى ان يكون القلب سبب التفريق بين رؤساء المسلمين
بلافاضة . واما الايرانيون فنصرهم أوضح الاعذار لان المسألة عندهم دينية محضة فلا
يمكن مطالبتهم بترك اعتقادهم الا بالحجة الدينية ومقالة جريدة (ترك) سياسية لادبنة

فلم من هذا ان تصوير الكاتب الفاضل مسألة الخلافة غير صحيح من جهة الواقع
أي انه ليس في المسلمين من ينازع الترك بالفعل لاجل لقب الخلافة وهذا هو روح المسألة
واما قوله ان العرب يحتجون على كونهم أحق بالخلافة بكذا فغير صحيح أيضا وانما
يحتجون بالأحاديث الصحيحة المتفق عليها الناطقة بأن الخلافة في قرش وهي حجة لم
يخالفهم فيها أحد من علماء الترك فهذه كتبهم في العقائد والفقه والحديث متفقة مع كتب
علماء العرب على اشتراط القرشية في الخلافة . ولا يقدر ان يقول ان حديث الرسول
من « ألا وهام الباطلة والاسس الواهية » وانما الباطل ما ذكره هو في شروط
الخلافة من الجاه والخصارة والموقع الجغرافي !! نعم ان القوة هي للدار الحقيقية ولكن
يجب على المسلمين ان يحصلوا قوتهم مؤيدة للحق الذي جاءت به شريعتهم وحجة له

لا خذلة له وحجة عليه • ولو كانت الحضارة شرطا لمحت خلافة الراشدین
وأما قوله هاتوانا من يقدر على اقیام بمحقق الخلافة من غیر الترك لنسأما
الیهم فجوابه ان الخلافة ليست حقا شائما منتشرا بین افراد الشعب التركي الممتاز على
جميع الشعوب بحضارته يقال ذلك وانما هي منصب تقلده الامة لرجل واحد وهذا
الواحد يجب ان تنیده الامة بشریفا فاذا كان ما يقوله الكاتب صحیفا فليختر الترك أولیو
رجلا قرشیا من آل النیت على صفات الخلافة ومجملوه بقوتهم التي وصفها خليفة
للمسلمین ولا يتوقف هذا على ما یجوز انکاتب به الشعوب الاسلامیة من مطالبها
بالاستعداد لازالة قوة الترك وإيجاد خلافة بقوة أخرى !!!

و خلاصة القول ان البحث فی الخلافة والخليفة من اللغو الذي یغنی ضرره ولا
یرجى نفعه • وان الذي یجب على كل مسلم فی هذا العصر هو ان یؤلف بین المسلمین
فی حکوماتهم وأفرادهم وان لا یجمل هذا اللقب سببا للتفریق ولا اختلاف اللغات سببا
للإختلاف • وانه لا یضر الترك شیء مثل جعلهم التركية جامعة لهم یفتخرون بها علی سائر
المسلمین وتعمدهم إضاماف الشعوب الاسلامیة لیتنازوا بالقوة وحدهم فاتهم اذا أسوا
وحدهم فلا بد ان تتلعم أوروبا وقد رأوا العبرة بالممالك التي انفصلت منهم والممالك التي
تهدد بالانفصال • والكاتب الفاضل یلم ان القوة التي افتخر بها لیست مؤلفة من الترك
وحدهم بل منهم ومن العرب والاکراد والارناؤط وغيرهم • فعليه ان یبحث قومه
على مساواة جميع الشعوب التي تألف منها الدولة بانفسهم فی بلاد الدولة وان یقربوا
من سائر الشعوب الاسلامیة بخدمة الاسلام نفسه أي باحیاء لغة کتابه المنزل من
عند الله تعالى علی رسوله العربي وباقامة شریسته السادة وبتأمین حرم الله وحرم
رسوله فان عار سلب الشریف أموال الحجاج انما هو علی لدولة التي تحکم الحجاز لاعلی
الشریف الذي هو أحد عمالها الذين یولیم سلطانها « خادم الحرمین الشریفین »
فاذا فعلت الدولة ذلك ووجهت قوتها الى جمع الشعوب • وتألیف القلوب • رچی لها
الفوز بالرغوب • والا كانت هي المقطعة لا وصال الاسلام محافظطة علی سیادة العنصر التركي
واما ما تنجح به من أعمال الترك وجهادهم فی سبیل الخلافة المقدسة فهو أغرب
ما فی المقالة فان الترك أیام حروبهم وفتوحاتهم لم یكونوا یذكرون انظ الخلافة
ولا ینتجعون به کالیوم ولم تکن حروبهم دینیة اذ لم یکن یقبلونها دعوة الى الاسلام

ولم تكن لحماية الدعوة وحرية الدين ونمائها كانت لسعة الملك وذلك لم ينتشر الاسلام في الممالك التي اقتحوها بسيفهم واقامهم للدين ، ولا ارتقت فيها الحضارة بمدنيتهم ، ولا اتسعت دائرة المعارف بعلومهم ، ولا قدروا على تحويلها الى لغتهم وجنسهم بحسن سياستهم ، بل أحفظوها عنهم ، حتى أمكنها الفرصة فتملصت من أيديهم ، وهذا حتى يسوء ناذ كره ، ولا يسمن إنكاره ، فعلينا وعلى أخينا الكاتب الفاضل ان يرغب عن الفخر بالباطل ، الى تأليف القلوب بالحق ، وما هو الاشد حاجة بعضنا الى بعض وناسي اننا شوب مختلفه فحبنا ان الاسلام جمع بيننا وجعلنا بركة الله اخوانا وان الخلافة الحقيقية لم تكن الا لراشدن ثم صارت ملكا عضوضا

ألم يكن أفضل مما كتبه في رمي العرب عامة والمصريين والسوريين منهم خاصة بنبض الترك وتعني نزع لقب الخلافة منهم ان يذكر الجميع بأن أوروبا واقفة للمسلمين عامة بالرصد وان أعون شيء لها عليهم اختلافهم وتفرقهم وأنه لا مصلحة لاحد منهم في هذا التفرق وان الدولة العلية هي أقوى دولهم فاذا أوقع الاعداء بها وهي قائمة ، فكيف يرجي ان نهض بهم أمة نائمة ؟ ألم يكن الافضل لمن يعتقد ان التنازع على لقب الخليفة هو المانع من اتحاد المسلمين ان يدعو قومه الى السكوت عن هذا اللقب ويدعو سائر الحكومات الاسلامية الى الانحداد على حفظ البلاد الاسلامية مع بغاء كل أمير في امارته وكل سلطان في سلطته كما يتحالف ويخمد ملوك النمسا ؟

ليخبرني الكاتب الفاضل اي ضرر يلحق الدولة أو الاسلام والمسلمين اذا سكتنا عن الفخر بهذا اللقب الذي اعترف هو بان ادعاءه قد فرق كلمة المسلمين ؟ ان قال قوت قائده في تكبير أوروبا شأن الدولة العلية : أقول وهل كان هذا التكبير الا ضارا إذ هو الذي اقام قيامة أوروبا على الترك كما قال ، وهو الذي يحمل دول أوروبا على التضيق على مسلمي مستعمراتهم توها انهم يدلون الى الدولة على أنهم لا يتركون الضغط على الدولة لارضائهم ، وان كان انه يفوتها بذلك ما تجنيه من مسلمي تلك المستعمرات من الفوائد : نقول لانه لم ان نحو مساعدة مسلمي الهند لسكة الحديد الحجازية هو لاجل لقب الخلافة ولئن سلمنا لنقول ان هذه الفوائد لاتوازي بعض مضرة مناهضة أوروبا ونفور العرب من الدولة ان صح قوله الاول انهم نافرون .

﴿ دعاء شعبان - انتقاد المنار ﴾

تكرر من الروعداً متتابعاً لاتخاذ علينا ونذكر رأينا فيه قاما تسليما واما قنعدا، وقد كنا ذكرنا في الجزء السابع عشر من هذه السنة كلاما في بدعية ليلية الصنف من شعبان، ذكرنا ان من ذلك الدعاء المشهور الذي لم ينزل الله به من سلطان، ثم تنبها الى ما كنا فرأناه في كتاب كنز العمال من ان بعض ألفاظ الدعاء أصلا مرويا في الجملة كاستدكره وكتب البنا عقيب ذلك الشيخ إبراهيم السنودي المتصوري كتابا يقول فيه: « اخرج ابن أبي شيبة في مصنفه وغيره عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا ووسع الله عليه في مبعثته: يا ذا المن ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والاكرام، يا ذا الطول لا إله الا انت، ظهر الاحيين، وجار المستحيين، وما من الخائفين، ان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا، فامح عني اسم الشقاوة، واثبتني عندك سعيدا، وان كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروما، فمقرأ علي رزقي فامح - رماني ويسر رزقي واثبتني عندك سعيدا موفعا للخير فانك تقول في كتابك الذي 'زلت' بمحوه ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب: « وارجع بعضه عبد بن حميد وغيره عن عمر رضي الله تعالى عنه، وكذا ابن جرير عن شقيق بن وائل ومعلوم ان ليس في ذلك للرأي مجال فيكون في حكم المرفوع: اهـ (المنار): مصنف ابن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد لم تتداولها الايدي ولا عرف في عصرنا من يرويهما متتابعين لسخما بحيث يصح ان يعتمد على هذه النسخ والرجال من متقدمي الحديث وكل ما رويوه فهو في كتب الحديث المتداولة صحيح في الصحاح وحسنه في الحسان وضعيف في الضعاف. وهذا كتاب الجامع الكبير للسيوطي يقول انه احصى فيه جميع هذه الكتب المعروفة ولم نجد في كنز العمال (الذي هو الجامع الكبير وزيادة الا انه يختلف الترتيب) هذا الحديث عن هذين الحديثين، وانما اخرج عن الحاكم بسند ضعيف عن الحسن بن أبي الحسن اخته ذكر عن عبادة بن مسعود قال: كان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بدعوة كان يأمر ان لا تعلموها السفهاء فيدعون بها (كذا) فكان يقول: يا ذا الجلال والاكرام، وساق نحو ما تقدم مع تفسير في العبارة ولم يذكره فانك تقول في كتابك: « الخ وعسى ان لا كلائي عن أبي عثمان الهندي انه سمع عمر يقول في طوافه اللهم ان كتب كتبتني عندك في السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني في الشقاوة فامحني منها واثبتني في السعادة فانك تحو ما تشاء وثبت وعنده أم الكتاب، ولو صح هذا وما قبله - وما

هما صحيان - لم يكن فيهما حاجة على هذا الشعار الذي المبتدع في اية النصف والذعاء الملقق الذي يطلب فيه نحو ما في أم الكتاب ، على ان الرواية الاولى لم يجزم فيها قول ابن - مود ، والثانية بعد عن المقصود . ورجو من الاستاذ السنودي ان يكتب اليانستد ما واده الا فلا ممول عليه اتي كان .

﴿ خاتمة السنة السادسة ﴾

نحمد الله تعالى ونشكره ان آتم لنا ست سنين ، في خدمة الامة والدين ، وان جعل هذا المنار مينا نايما يزيد الاقبال عليه والثقة به سنة بعد سنة وتجدد له في كل عام مثون من المشتركين . ثم بعد شكر الله تعالى نشكر أهل الفضل والغيرة الذي وازرونا في عملنا بالرغب في المنار وبأداء حقه في وقته وكان أعظمهم منة علينا في هاتين السنتين وكيل المنار الهمام في تونس الذي نحمد لتأسيب وحمته عدد عظيم من المشتركين ووعد - وهو خير من وفى - بأنه لا يأتي شهر صفر ولنا عند أحد في تلك البلاد قرش واحد من الاشتراك . ثم ذلك السري الشيمي الذي طلب منا خمسين نسخة ترسل باسمه وهو يدفع قيمتها . وكذلك بعض كبراء المصريين الذي كان مشتركاً بعبدة نسخ فزادها في السنة الماضية عشرا ومثله كبير في بلاد العرب زاد في اشتراكه عشر نسخ غيا الله هؤلاء الكرام ، وادامهم انصارا لعلم والاسلام ، ثم نشكر لسائر المشتركين الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وقادهم في زمن قل فيه الوفاء وعظم فيه الشح في طريق الحق والخير من حيث عظام السرف والتبذير في سبيل الترف والشهوات . ونادعوا للماطلين المسوفين بأداء قيمة الاشتراك بمنذر أو بغير عنذر بأن يوفقه الله تعالى لما فيه خير أنفسهم وسلاحها من الوفاء والاهتمام بالاعمال النامة والتعاون على الر والتقوى . ونحتم هذا المجد بالصلاة والسلام على خاتم النبيين . والحمد لله رب العالمين ،

﴿ شرط الاشتراك في المنار ﴾

كل من قبل الجزء الاول من السنة السابعة (١٣٢٢) يد مشتركا في نهاية السنة ويجب عليه دفع قيمة الاشتراك كاملة وان رد المجلة بعد ذلك فليس لمريض بهذا الشرط فابرد لنا الجزء الاول . وعلى من لا يصل اليه بعض الاجزاء ان يطلبه في مدة ٢٠ يوما من وعوده صدوره يرسل اليه فان طلبه بعد ذلك فعليه ان يرسل ثمنه قرشين ونصف قرش والادارة غير مكلفة باعطاء بدل المفقود ولو بالتمن ، والحكم في مراعاة ما تقدم للذمة والامانة .



Bibliotheca Alexandrina



0551730